أ . د . علي الجباوي

تصوير أبو محمد

عَشَائِرُ النَّوَرَ في بلاد الشّام

أبو عمرو البغل

تنسيق جمال حتمل

القرباط - القرج - الطبالة - الريّاس - الحجيات - البهلوان
الشعار - الصياغ - المبيضون - وتجار الحمير والخيول

دراسة أنتروبولوجية ميدانية

التكوين

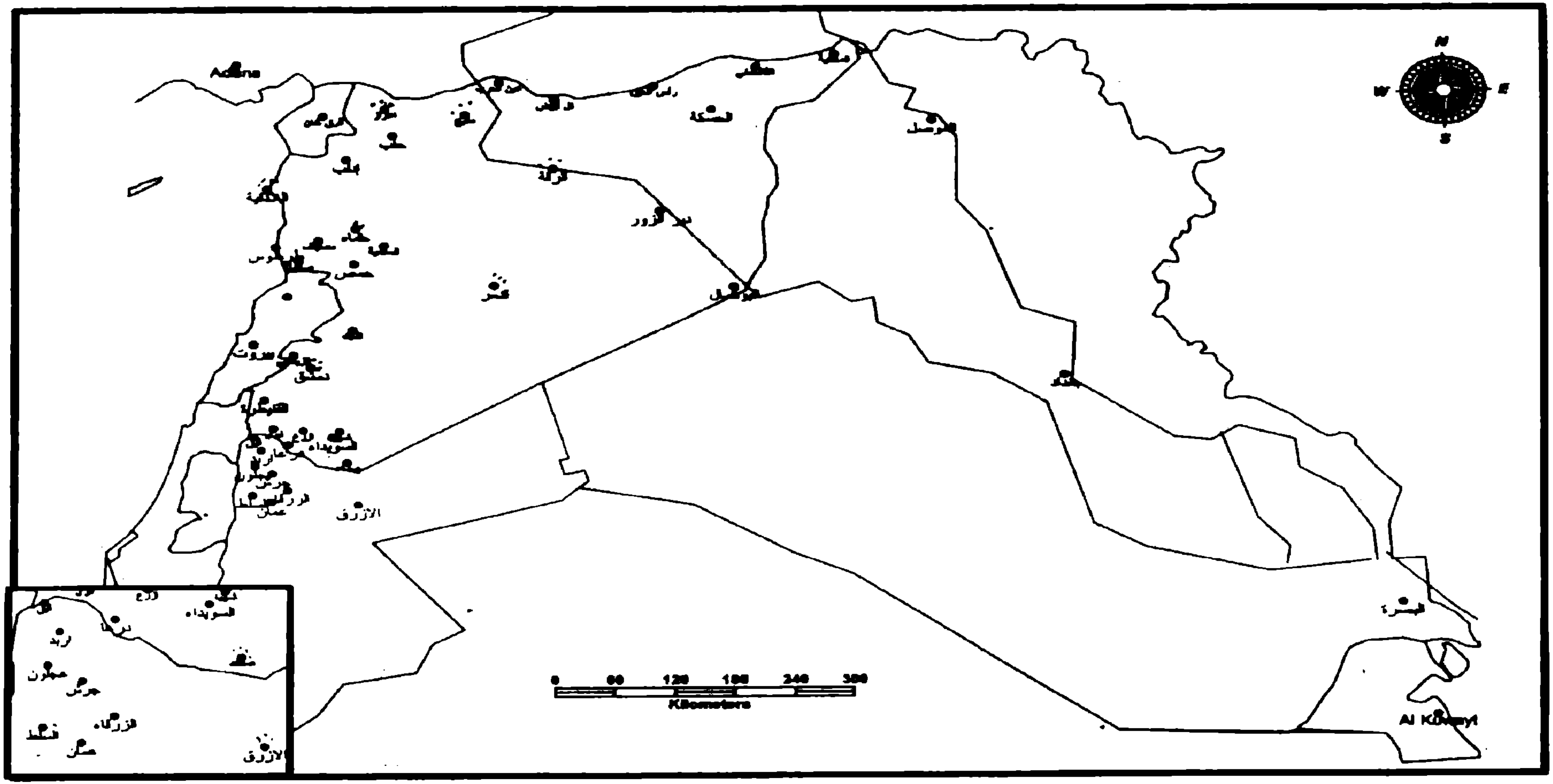

أماكن تواجد النّور في بلاد الشّام .

المصدر: اد علي عبد الله الجباوي بالاعتماد على نظام المعلومات

أ . د. علي الجباوي

عَشَائِرُ النَّوَر

فِي بلادِ الشّام

القرباط ـ القرج ـ الطبالة ـ الريّاس ـ الحجيات ـ البهلوان
الشعار ـ الصياغ ـ المبيضون ـ وتجار الحمير والخيول

دراسة أنتروبولوجية ميدانية

دراسات

عشائر النَّوَر

في بلاد الشّام

دراسة أنثروبولوجية ميدانية

أ . د . علي الجباوي

© جميع الحقوق محفوظة للناشر
2006

التكوين
للتأليف والترجمة والنشر
دمشق - حلبوني
تلفاكس 2236468 جوال 094 330989
ص . ب : 11418
taakwen@yahoo.com

التكوين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

صدق الله العظيم

إهداء

إلى الذين يعيشون ليومهم، فلا طمعٌ، ولا همٌ ، ولا مال.

إلى الذين يعيشون صفو الحياة فلا حقدٌ في خرابيشهم ولا كدرُ.

إلى الذين يفرحون ويحزنون بصدقٍ ، ومن صميم أعماقهم.

إلى الذين تركوا أرضهم التاريخية منذ زمنٍ سحيق القدم.

إلى الذين لا يعرفون متى ولماذا، وكيف غادر الهند وطنهم إلى غيررجعة.

إلى هؤلاء النَّوَر جميعاً وبكافة مللهم ونحلهم على امتداد بلاد الشام.

أقدم لهم عملي العلمي الأنتروبولوجي هذا عربون محبة وتقدير ووفاء على ما أبدوه من مساعدة، وممانعة في الوقت نفسه وتوجس أثناء دراستي الميدانية لحياتهم اليومية المعاشة.

والله ولي التوفيق

المؤلف

في ١١-٧-٢٠٠٦م

المقدمة

على الرغم من أن أفراد البشرية كافة ينحدرون من نوع بشري واحد ـ Homo إلا أننا نجدهم يتباينون في صفاتهم السلالية والثقافية والاجتماعية لتباين البيئات الطبيعية والثقافية التي يعيشون فيها.

إن العوامل الطبيعية والوراثية تعد الأرض الصلبة التي تقود إلى الاختلاف في الصفات السلالية الإحيائية الظاهرة منها والمستترة عند أفراد النوع البشري الواحد، لكنها ليست سبباً في تباين السلوك الاجتماعي عندهم، فهي تنتقل بالوراثة من السلف إلى الخلف عن طريق الوالدين، في حين أن الخصائص الثقافية والاجتماعية يكتسبها الشخص عن طريق التعليم والتلقين في وسطه الاجتماعي الذي وُلِد وتربّى فيه، وخاصة في سنوات العمر الأولى التي تتكون لديه أثناءها مقومات شخصيته الثقافية والاجتماعية، والتي تغاير هذه المقومات مثيلاتها عند شخص آخر ومن مجتمع آخر، لأن الإنسان في سلوكه وثقافته، ابن مجتمعه الذي ينتمي إليه، وانتماء الإنسان إلى هذا الشعب أو ذاك تحدده في نهاية المطاف التربية والتعليم اللذان يكتسب الإنسان من خلالهما ملامح الوسط الثقافي الذي وُجد فيه. فأفراد البشرية عند ولادتهم هم متساوون في صفاتهم العضوية، لكن الاختلاف في تحديد معالم شخصية كلّ منهم يبدأ منذ أن تأخذ الأم مناغاة ومداعبة طفلها في لحظات عمره الأولى، ثم تكرّسه عناصر ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه. فهذا الإله ـ رع ـ قد عزى منذ القدم التباين في السلوك الاجتماعي بين البشر إلى الإنسان ذاته، إذ نسب إليه عَبَدَتُهُ آنذاك القول التالي: ((لقد خلقت الرياح الأربع التي يستطيع كل إنسان أن يتنفسها مثل أخيه في حياته. وخلقت كل إنسان مثل أخيه وحرمت عليهم فعل الشر، ولكن قلوبهم لم تع ذلك))[1]. وقد عزى ـ كونفوشيوس الحكيم بدوره تباين الناس في سلوكهم ونظرتهم

ـ نقلاً عن كتاب: «تطور الجنس البشري» ـ تأليف نيودوسيوس دوبزانسكي - ترجمة د. عبدا لحليم منتصر - مراجعة د. كامل منصور - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة - نيويورك ١٩٦٦ - ص ٨٧.

إلى الحياة إلى تباين العادات والتقاليد ((إن طبائع الناس واحدة، وإن عاداتهم هي التي تباعد فيما بينهم))[1]. ويؤكد ابن خلدون أيضاً أن الإنسان ابن مجتمعه الذي عاش وتربى فيه ((إن الإنسان ابن عوائده ومألوفه، لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال العادية حتى صار خُلقاً وملَكَةً وعادةً تَنَزل منزلة الطبيعة والجبِلّةَ واعتبر ذلك في الآدميين نجده كثيراً صحيحاً والله يخلق ما يشاء))[2]. وقد أكدت الأبحاث التي قام بها Lee ـ عام ١٩٤٩ ـ أن البيئة الثقافية بما فيها اللغة تُحدث تأثيرها الإنشائي على الشخصية الإنسانية، إذ قال ((إن الناس الذين ينتمون إلى ثقافات غير ثقافتنا لا يختلفون عنا فيما يأتون من أفعال فحسب، ولكن لهم أساساً سلوكياً مختلفاً، إنهم يعملون وفق مبادئ مختلفة، ويتبينون الحقيقة على صور مختلفة، وينسقونها بطريقة مختلفة، واللغة أداة فعّالة بدرجة كبيرة في عملية التنسيق هذه))[3]. ويؤكد العالم الأنتروبولوجي ـ رالف لنتون ـ في كتابه «دراسة الإنسان» على أن الإنسان عند ولادته لا يحمل في ذاته أية عوامل طبيعية لتحديد سلوكه مستقبلاً. إذا يقول ((من المؤكد أن الأفراد لا يولدون بأية غرائز للنشاطات الخاصة التي يسهمون بها في حياة الجماعة، أو لنماذج السلوك الرسمية اللازمة لاستمرار الحياة الاجتماعية. هذه الأمور كلها يجب تعلمها، والمجتمع جهاز شديد الحساسية لا يصح معه أن يترك مثل هذا التعلم للمصادفات أو التجربة الفردية))[4]. ويوضح في موضع آخر، أن شخصية الفرد تتكون في خلال مراحل نموه في البيئة الاجتماعية التي يكتسب منها مكونات شخصيته الثقافية، حيث يقول: ((فكل ثقافة تكتسب بالتعلم ولا تورث بطريقة بيولوجية، ولا يمكن تعميمها للخارج وإتاحة فرصة تعلمها لأفراد جدد إلا عن طريق السلوك... ويولد الطفل دون شخصية، وفي مراحل نموه تتكون فيه الشخصية، بسبب تفاعل إمكاناته الفطرية مع محيطه الخارجي. ولما كان الطفل عضواً في المجتمع فإن بيئته كلها تتألف من التعبيرات الظاهرية لثقافة ذلك المجتمع وللشخصيات التي سبق أن كونتها تلك

---

1 - من أقوال الحكيم كونفوشيوس.

2 - مقدمة ابن خلدون –الفصل الخامس - ص١٢٥.

3 - تطور الجنس البشري: تيودوسيوس دوبزانسكي، مرجع سابق ص٨٧.

4 - دراسة الإنسان: رالف لنتون – ترجمة عبد الملك الناشف – منشورات المكتبة المصرية – صيدا – بيروت – ١٩٦٤ – ص١١٩.

الثقافة. ويحتك الطفل بثقافة مجتمعه وشخصياتها وتساعده في ذلك عوامل أخرى أكثر فعالية هي التعليم والمحاكاة، وهذه كلها تخلق في شخصيته مركباً ثقافياً مميزاً من الصلات والقيم العاطفية والعادات. وبعبارة أخرى، يكتسب الطفل ثقافة المجتمع الذي تربى فيه، وهذا الطفل يصبح مع الوقت جزءاً من بيئة تنمو فيها شخصيات جديدة، ويقوم بدوره بنقل هذا المركب الثقافي إليها))[1].

ولما كانت الثقافة هي التي تحدد معالم شخصية الفرد خلال مراحل حياته والتي يكتسبها بالتعليم والتدريب، فإن الناس لا يولدون عرباً، أو نَوَراً، أو هنوداً، أو إيطاليين، أو يونانيين، أو صينيين، أو فلاحين، أو علماء، أو فنانين، أو أشراراً، أو حكماء، أو قديسين، لكنهم يتعلمون أن يكونوا هؤلاء أو أولئك من بيئاتهم الثقافية التي يعيشون فيها. فالطفل عندما يولد، يولد دون هوية قومية ولا ثقافة ولا دين ولا لغة، لكنه يكتسب كل هذا من محيطه الاجتماعي الذي وُلِد وتربّى فيه. فالأهل هم الذين يبوذان طفلهما أو يهودّانه، أو ينصّرانه، أو يؤسلمانه. وهم أيضاً الذي يُعَرِّبانه، أو يُنوِّرانه، أو يُفرنِساه، أو يُفرسّاه. ومصداق ذلك قول الله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين ((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[2]. وفي موضع آخر من القرآن الكريم، تتضح أهمية التربية، والدور الذي تلعبه في تنشئة الإنسان، وتكوين مقومات شخصيته الاجتماعية والثقافية، الروحية منها والمادية، حيث يقول تعالى: ((ونفس وما سواها. فألهما فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها))[3]. وتصديق لقوله تعالى تؤكد الأبحاث العلمية أن الطفل عندما يولد لا يحمل في ذاته أية عوامل طبيعية لتحديد سلوكه، حيث يكتسب هذا من البيئة الاجتماعية المحيطة به، عن طريق التعلم والتلقين، وأن انتماء هذا الإنسان إلى هذا الشعب أو ذاك تحدده في نهاية المطاف التربية والتعليم اللذان يتشبع الإنسان من خلالهما بملامح الوسط الذي وجد فيه[4].

---

1 - المرجع السابق – ص٣٧٥.

2 - القرآن الكريم: سورة النحل آية رقم ٧٨.

3 - قرآن كريم – سورة الشمس – الآيات: ٧ – ٨ – ٩ – ١٠.

4 - لمزيد من الاطلاع – انظر: الإثنوس والتاريخ – بروملي – بودلين – موسكو ١٩٨٨، ص ٢٩.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل مولودٍ يُولَد على الفِطْرةِ فأبَواه يُهَوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمَجِّسانه كمَثَل البهيمةِ تُنتَجُ البهيمة هَل ترى فيها جَدْعاء))[1].

وفي ضوء ما سبق يتضح لنا وبشكل قاطع لا مُرَاءَ فيه، لماذا تتباين الشعوب فيما بينها بعاداتها وتقاليدها وقواعد أخلاقها، مما يجعل أفراد كل شعب ينظر إلى أفراد الشعب الآخر بشيء من الريبة والشبهة لتباين السلوك الشخصي للفرد عند كل منهم، ويجعل أفراد كل شعب ينظرون إلى سلوك الآخرين من غير شعبهم، على أنه سلوك غريب ومُستهجن لا بل وشاذ، كشذوذ السلوك اليومي لأفراد جماعات ـ النَّوَرْ ـ الذين هم موضوع الدراسة بالنسبة للأوساط الاجتماعية التي يعيشون بين ظهرانيها في شتى أصقاع العالم.

والنَّوَر مجموعات بشرية تعيش في مختلف بقاع العالم، لدرجة أنه لا يخلو بلد أنَّى كان موقعه الجغرافي منهم، بما في ذلك بلاد الشام، حيث توجد جماعات ـ النَّوَر Al Nawar ـ في كل بقعة من بقاعها، عدا منطقة فلسطين المحتلة، إذ أُجلوا عنها مع العرب الفلسطينيين بقوة السلاح عام ١٩٤٨م. وقد لجأت عائلات النَّوَر التي كانت تتجول في فلسطين إلى كل من لبنان وسورية والأردن، وأفرادها يحملون اليوم الجنسية الفلسطينية. وتشكل جماعات النَّوَر في بلاد الشام مجموعة بشرية متجانسة ذات صفات سلالية، وثقافية، واجتماعية، ومعيشية خاصةً بها دون غيرها، إذ يتصفون بالبشرة السمراء التي لفحتها الشمس بأشعتها، مما يمنحهم منظراً جذاباً، والقامة الرشيقة لتناسق الأطراف مع الجذع، والشعر الأسود القاتم والكثيف مما يزيد المرأة جمالاً فوق جمالها، والعيون الواسعة ذات القزحية السوداء، والوجه النحيف والمتطاول في معظم الأحيان، والجمجمة ذات الشكل المتطاول، والأنف المستقيم والأقنى. كما ينبت الشعر على الوجه، وعلى بقية الجسم عند الرجل منهم، بشكل يميل إلى الكثافة، إذ يتميز الرجل من النَّوَرْ بشاربيه الكثيفين والطويلين، والشفاه المتوسطة في ثخانتها.

وينقسم المجتمع النَّوَري في بلاد الشام إلى جماعات مهنية متعددة ومختلفة كل مهنة عن الأخرى، حيث تضم كل جماعة أو فئة ذات مهنة واحدة عائلات أو عشائر، أو

---

١ - صحيح البخاري ج ٢: باب ما جاء في عذاب القبر- دار إحياء التراث العربي. وانظره برواية أخرى من وجهة نظر الوسطاء في سنن أبي داود ٤: ٢٢٩، كتاب السنة - راجعه محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة محمد - مصر.

غصون - حسب عرفهم، لا يربط فيما بينها العامل الدموي والأصل الواحد، لذا نجد المخيم الواحد للنَّوَر – أو بني الدوَّارة – أو الضُّوم – ينحدرون من أصول دموية مختلفة، في معظم الأحيان، لكن توحد فيما بينهم المهنة الواحدة التي يمارسها أفراد المخيم أو النُّزل.

ويمكن تقسيم عشائر بني الدوّارة أو العشائر الضُّوميّة إلى فرعين رئيسيين، متباينين إلى حدّ ما في المهن، وفي السلوك. إلا أن الفرعين هما: «نَوَر Nawar» ويرجعان في أصولهما اللغوية والسلالية، والثقافية، والاجتماعية إلى شبه القارة الهندية، وإن أخذوا تسميات مختلفة، ومهن مختلفة كان قد اكتسبها أجدادهم في موطنهم الأصلي، الذي كان وما زال الناس هناك ينقسمون إلى جماعات مهنية، وفق تراتب طبقي، حيث جماعات النَّوَر: (الضّوم: بني الدوارة)، كانوا وما زالوا يقع تصنيفهم الاجتماعي في أدنى السلّم التراتبي الاجتماعي في الهند.

وأن الفرعين الرئيسين للنَّور: الضُّوم في بلاد الشام هما: «القرباط AlGorbat» و«النَّور Alnawar»:

١ ـ **القرباط AlGorbat**: هم من رؤوس النَّوَر، وهم يتواجدون في معظم أنحاء بلاد الشام، لكن بنسب مختلفة. فمعظم القرباط يتواجدون في كل من المناطق التالية: حلب – عفرين – إدلب – منبج – اللاذقية والساحل، وفي منطقة حمص، وفي جنوب لبنان، وفي محافظة إربد في الأردن، وهؤلاء النَّوَر القرباط، يمارسون صناعة الغرابيل بمختلف أنواعها من جلود الحيوانات النّافقة في الماضي، ومن مسالخ الدولة في الحاضر. وهم متعصبين جداً لنُوَريتهم، حيث لا يزالوا محافظين على لغتهم الأم التي يعرفها النَّوَر بكافة فئاتهم لكن بنسبة مختلفة، وهم قساة جلفين كثيرو المشاكل فيما بينهم، يتكلمون فيما بينهم بصوت مرتفع وبصخب، عندهم غيرة على عرضهم، ولا يتزاوجون مع بقية عشائر النَّوَر من الفرع الثاني، بل هناك حقد بينهم، وينظرون إلى غيرهم من النَّوَر أنهم بلا أخلاق لأن عِرضهم ليس غالٍ عليهم.

٢ ـ **النَّور Alnawar**: وينطوي تحت الفرع الثاني كل من الجماعات النَّوَرية التالية، وذلك حسب المهن التي يمارسها أفراد كل جماعة، وليس على أساس العصبية القبلية التي تقوم على رابطة الدم، وهذه الجماعات النَّوَرية هي: الطبالة – الريّاس – الطنجرلية – السعادين، مروضو القرود والدببة والماعز – البهلونيون – الحدادون –

الصباغ – سُبّاس الخيول؛ تجار الخيول والحمير الهزيلة – المبيضون، أو أصحاب القدور – الحجيات – الشعّار أو القواصيد، الذين كانوا يقصدون على أوتار الربابة.

وإن كافة نساء النَّوَر من قرباط والنَّوَر، يمارسن مهنة الشحادة على باب الله الكريم من الصباح وحتى المساء.

وأما تسمية القرباط، التي تطلق على جزء كبير من النَّوَر، يرجعها علماء النَّوَريات إلى أسباب مختلفة لا نميل إليها، إذ نرى هذه التسمية – قرباط – هي تسمية نسبة لجبال الكربات[1] في أوروبا، والتي كانت أحد المحطات الأساسية التي توقف فيها أجدادهم في الماضي أثناء رحلتهم من الهند نحو الغرب باتجاه القارة الأوروبية.

إن الهدف من دراستنا الميدانية لعشائر النَّوَر في بلاد الشام، التي تخللها الكثير من الصعوبات والعوائق الاجتماعية والثقافية والمادية منها والمعنوية، والتي كان قد اصطدم بها الباحث من قبل أفراد مجتمعه المحيط به، ومن محيطه العلمي الأكاديمي، إلى جانب نعته بكثير من النعوت التي تُنمّ عن همز ولمز. لكنني استمريت بتعقب جماعات النَّوَر في كافة أماكن تواجدهم الجغرافية، رغم الصعوبات التي كانت تقف حائلاً بيني وبين إمكانية الحصول على المادة الإتنوغرافية، من قبل جماعات النَّوَر أنفسهم، حيث الانغلاق على الذات، والتوجس من كل غريب يحتك بهم، بسبب نمطهم المعيشي القائم على الانتقال، والشحادة إلى جانب ما هو مخبوء في صدروهم من تصور عن الناس الآخرين من غير جماعتهم كما يقولون. إلا أنني استطعت أن أتغلب على ذلك من خلال اصطحابي إلى خرابيشهم، أو إلى بيوتهم، إذ كانوا مستقرين، الهدايا من: القهوة – الشاي – السكر – الدخان والسكاكر والسَّمْن مما أرهقني هذا مادياً.

إلا أنني تعرضت إلى بعض المواقف المحرجة، وبخاصة أثناء تصويري لبعض النساء، للحصول على وثائق مادية توضح ماهية شخصيتهم الإنتوغرافية. فمن هذه المواقف: تعرضت للشتم والسب والضرب من قبل امرأة كانت تقف في ساحة المرجة بدمشق مع رجل خليجي، لتقرأ له الطالع. فوقعت آلة التصوير «Zenit» روسية الصنع، وانكسرت، وبلحظات جاءني ثلاث شباب أرادوا إهانتي، وإذ بسيارة شرطة المرجة جاءت على

---

١ – جبال الكربات: هي سلسلة جبلية تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي إلى القرب من مجرى نهر الرون الذي ينبع من سفوحها الشمالية ويصب في البحر الأسود وتخترق جبال الكربات دولاً متعددة منها: رومانيا – هنغاريا – يوغسلافيا سابقاً.

الفور، وأحاطوني وهموا بزجي داخل سيارتهم، حيث كانوا عازمين على أخي إلى مقسم الشرطة لإهانتي.

عند ذلك أفصحت لهم عن هويتي وطبيعة عملي الذي أقوم به، عندئذ تركوني وشأني والناس حوالي وكأني – نوريّ أقودُ سعدانٌ بيَدي – والناس ينظرون إلي نظرات مختلفة مشوبة بالغرابة والاستهجان لما أقوم به. وإن جملة ما تهدف إليه الدراسة، هذا العمل العلمي الإنتوغرافي (الأنتروبولوجي الاجتماعي أو الإتنولوجي) الموسوعي هو الآتي:

١ ـ تسليط الضوء على هذه الجماعات البشرية Ethnos التي تعيش بين ظهرانينا في بلاد الشام، والمغايرة لنا بكل من العادات، والتقاليد والأعراف، وبالنمط المعيشي الذي يقوم على التنقل، والغناء والرقص، وقرع الطبول، وطلاء الأواني النحاسية، وترويض القرود والدببة، وصناعة الغرابيل والاتجار بالحمير والخيول الهزيلة وبممارسة النساء للشحادة على باب الله الكريم طيلة النهار (على مدار العام) حيث تعد المرأة الركن الأساسي في تأمين الغذاء لأفراد أسرتها.

٢ ـ تصحيح وجهات النظر السلبية تجاه النّور، أو الضُّوم التي تصورهم أنهم أناس دونيون، لا يستحقون الاحترام بسبب نمطهم المعيشي.

٣ ـ إنصاف هذه الشريحة الاجتماعية الواسعة من الظلم والحيف، والإجحاف الاجتماعي الذي يحيق بهم، من الأوساط الاجتماعية التي يعيشون في خضم بحرها.

٤ ـ وضع صورة حقيقية عن الواقع المعاش لجماعات النَّوَر، وما يعانونه من مصاعب حياتية يومية في أماكن تواجدهم أنّى كانوا، حيث الفقر والجهل، والأمية، مما يجعلهم مغيبين في عملية الإسهام في البناء والتطوير لمجتمعنا العربي في بلاد الشام.

٥ ـ إلقاء الضوء على الأصول البشرية السلالية، التي انحدر منها هؤلاء الناس، وعلى الأصول اللغوية للغات التي يتكلم بها أفراد المجتمع النَّوَري Ethnos[١].

وتكمن أهمية هذه الدراسة لكونها أول دراسة إتنوغرافية تتم عن جماعات النَّوَر في بلاد الشام، حيث لم يتم التعرض ميدانياً من قبل الباحثين في مجال علم الأنتروبولوجيا، أو الإتنوغرافية، أو علم الاجتماع لتلك الشريحة الاجتماعية العريضة

---

١ - إتنوس: كلمة من أصل لغوي إغريقي قديم، تعني: / قوم أو شعب أو جماعة، لها عاداتها وتقاليدها، وأصولها السلالية واللغوية..الخ.

التي تتعايش معاً جنباً إلى جنب ونجهل عنهم الكثير، بسبب الصعوبات المادية، والاجتماعية وتباعد المسافات بين أماكن تواجدهم من جهة، ولعدم استقرارهم في مكان محدد، مما كان يزيد صعوبة عملية البحث العلمي عندئذ.

وإنني بعد إنجازي لهذا العمل العلمي الإتنوغرافي الموسوعي الذي يعدّ مثابة لبنة أساسية لبناء علمي مستقبلي، يقوم به من بعدي البحّاثة الاجتماعيين بمختلف مشاربهم، لإلقاء المزيد من الضوء على الجماعات النَّورية، للأخذ بيدها، وصهرها بالنسيج الاجتماعي العربي المحيط بها، ولزجهم في عمليات البناء والتطوير، للاستفادة من طاقاتهم البشرية، وقدراتهم الذهنية الكامنة، والمتصفة بالذكاء والانفتاح والإخلاص لعملهم والتفاني من أجله.

وقد اتبعت في إعدادي لهذا البحث الإتنوغرافي الموسوعي المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، إلى جانب المنهج التحليلي المقارن إلى حدّ ما.

ويتصف النَّوَرْ بنمط معيشيّ، يقوم على ديمومة الانتقال، فمسكنهم يدعونه «الخربوش» ويصنعونه من أكياس الخيش ليسهِّل انتقالهم، ورواحلهم الحمير الهزيلة، إلى جانب بعض الخيول الهرمة والهزيلة*.

أما المرأة؛ فهي عمود البيت من الناحية الاقتصادية، إذ يعتمد أفراد عائلتها في طعامهم، على ما تجمعه على ظهرها من تجوالها طيلة النهار، بين البيوت السكنية في كل من الأرياف والمدن، في حين يبقى الرجال داخل مساكنهم «الخرابيش» لتناول القهوة المرة، وتعاطي لفائف الدخان بشراهة طيلة النهار، إلى جانب التحدث فيما بينهم بصوت مرتفع. وأما الأطفال فهم شبه عراة وهم يلعبون بصخب طيلة النهار حول «الخرابيش».

والزواج عند النَّوَرْ داخلي، إذ يتم داخل الجماعة الواحدة ذات المهنة الواحدة وإن كان أفرادها لا يمت بعضهم بصلة القربى لبعضهم الآخر. ويتم الزواج مبكراً عند كل من الشاب والفتاة. والنَّوَرْ شعب ولود، ويحب الأطفال، وتكثر عندهم حالات تعدد الزوجات، وتندر عندهم حالات الطلاق. وتوجد عندهم ظاهرة خطف النساء، لأن الحب يجري في دمائهم، مما يجعل الحب عندهم كالسيل الجارف. فهم يفرحون من أعماقهم، ويحزنون من أعماقهم. وأن جماعات النَّوَر منغلقة انغلاقاً تاماً على ذاتها، فهم

---

* هذا كان في الماضي. وفي أيامنا هذه صارت السيارات الصغيرة اليابانية – سوزوكي، هي رواحلهم العصرية، وعلى الأغلب بالإيجار، وليست ملكاً لهم.

لا يتزوجون من المحيط الاجتماعي العربي الذين يعيشون فيه إذ ينظرون إلى مثل هذا الزواج على أنه عار عليهم وانتقاص من كرامتهم.

ويدين النَّوَرْ في بلاد الشام بالإسلام، ويتكلمون فيما بينهم - إلى جانب اللغة العربية التي يتحدثون بها بطلاقة - لغة خاصة بهم يتحدثون بها فيما بينهم، يطلقون عليها تسمية «لغة العصفورة»، لكن الغالبية منهم يطلقون عليها تسمية لغة «الضُّوْم وَاري Denwir». أي: اللسان النَّوري.

كما تتكلم كل جماعة منهم لغة ثالثة إلى جانب اللغتين السابقتين، كالتركية أو التركمانية أو الكردية أو الفارسية، ما عدا نَوَر الجزء الجنوبي من بلاد الشام، فهم يزعمون أنهم عرب في أصولهم، وينحدرون من قبائل بني مرّة وبني تميم، إذ لا يعرفون سوى اللسان النّوري Domwiri الضوم واري - إلى جانب اللغة العربية مثل عشيرة «المجاربة أو الظاهر»*.

وترتدي المرأة لباساً طويلاً فضفاضاً محتشماً، ويتكون من ثوب طويل خارجي، وآخر داخلي، وسروال واسع ومزموم عند كعبيها. وَمَلْفَعْ تَلُفُّ به رأسها وتحزمه بعصبة سوداء تعصب بها رأسها، وترسل بقية الملفع «الشنبر» ليغطي كلاً من الظهر والكتفين والصدر. وتلبس أحياناً «خراطة» طويلة فضفاضة مزمومة على الخصر، وتلبس المرأة «الكنزة» فيبدو صدرها ناهداً بوضوح كما هو الحال عند عشائر النَّوَرْ في منطقة القدم، والحجر الأسود جنوبي دمشق. وغالباً ما تمشي النساء والأطفال حفاة القدمين.

ويمارس الرجال من النَّوَرْ مهناً تتباين من جماعة إلى أخرى: فهناك النَّوَر الذين يقومون بصناعة الأدوات الزراعية، كالغرابيل من جلود الحيوانات الميِّتة مثل الحمير والخيول، وهم يُعيَّرون بهذا من قبل جماعات أخرى إذ تسمعهم يقولون لبعضهم أثناء الشجار «يا ابن سلاّخ الحمير»، ويُطلق هؤلاء على أنفسهم تسمية «القُرْبَاط» وهم موجودون في الجزء الشمالي من بلاد الشام ولا سيما في منطقة حلب. ويُعدُّ القُرْبَاط من أكثر جماعات النَّوَر في بلاد الشام غيرة على العِرْض، ومن أكثرهم حفاظاً على تراث النَّورْ الثقافي المنقول شفاهاً، ومن أكثر جماعات النَّوَرْ تزمتاً وتقوقعاً على أنفسهم، ومن أكثرهم جلافة. إذ أنهم يقومون غالباً في حال خطف النساء بقتل كل من الفتاة

* إن هؤلاء النور ليسوا بعرب.

والشاب معاً. والقُرَيّاط أكثر جماعات النَّوَر معرفة بلغة النَّوَرْ، والتي تُعرف بـ «لسان العصفورة» أو «الضُّوُم واري Domme wiri»، ويتكلمون إلى جانبها إحدى اللغات التالية: التركية، الكردية، الفارسية، أو التركمانية، وفقاً للبيئة التي وُجدَ فيها أجدادهم في الماضي ولفترة طويلة قبل أن يأتوا إلى بلاد الشام.

أما الجماعات الأخرى من النَّوَرْ التي تعيش في بلاد الشام فهي:

١) النَّوَرْ المطاربة، والريّاس: وهم أصحاب طبل وزمر، إذ يقوم الرجل بالضرب على الطبل والزمر والزرنايا في المناسبات، كالأعراس والطهور والعودة من الحج. ولا تشارك المرأة الرجل في عمله هذا. وهذه الجماعة أقل حفاظاً على التراث الثقافي النَّوَري وأقل غيرة على العرض من القُرَيّاط. ويُطلق عليهم تسمية «القَرَجْ».

٢) النَّوَرْ الحْجَيّات: ويقوم الرجل عند هؤلاء بالعزف على الربابة والبزق، في حين تقوم المرأة بالرقص والغناء، ويتخذون من ذلك مورداً للحصول على لقمة العيش. ويزعم بعضهم أن هذه الجماعة من النَّوَرْ، لا تحافظ على عرضها، لكنني لم ألمس هذا بشكل مادي، فالبنت ترقص وتغني بوجود والدها أو أخيها الذي يرافقها إلى دور الملاهي، وهي مطالبة بالحفاظ على عذريتها ما دامت غير متزوجة. لكنها ماهرة في تفريغ النقود من جيوب المعجبين بها عن طريق كلماتها الحلوة وحركاتها المثيرة، دون أن تطفئ ظمأ المشاهد أو الجالس إلى جانبها. ويقول الشاعر العربي الأردني مصطفى التل، الملقّب بـ عرار ـ بهذا الخصوص ما يلي ((ففي موسيقاهم روعة باكية وعلى ألحانهم مسحة من كآبة ضاحكة، ولأعين نسائهم ومضة ساحرة، وفي تثني قدود راقصاتهم ما يشيع في نفس المشاهد أحاسيس متباينة ومشاعر متضاربة تتأرجح بين الإعجاب والإشفاق واللذة والألم والبهجة والأسى وفي أنماط حياتهم الاجتماعية وضروب تعاملهم في التفكك والالتصاق والتنافر والتآلف والطمع الأشعبي والكرم الحاتمي ما يثير الدهشة! فهذه «الراقصة» التي تَتَبَذَّلُ تَبَذُّلَ العواهر المحترفات استرضاء للزبائن «المقرشين» تتقلب في طرفة عين إذا ما جَدَّ الجدُّ، إلى سيدة رزينة تقرأ في قسمات وجهها المثل العربي الشهير: (تجُوعُ الحُرَّةُ ولاَ تَأكُل بِثَدْيَيْهَا!) مكتوباً بخط ثلث وبحبر أحمر قانٍ....!))[1].

---

١ - البدوي الملثم: عرار - شاعر الأردن - دار القلم - بيروت - لبنان - ١٩٨٠ - ص١٣٠.

وهناك جماعات من النَّوَرْ أقل عدداً وشأناً ممّن ذكرناهم وهم:

١) **النَّوَرْ الذين كانوا يتاجرون بالخيول والحمير:** حيث كانوا يبتاعونها من أصحابها الفلاحين شتاءً أو بعد انقضاء موسم الحصاد والدراس، بأسعار رخيصة لكونها هزيلة وبخاصة إذا كانت هَرِمة. وفي فصل الربيع كانوا ينتقلون بها إلى البرية، وبخاصة على ضفاف الأودية والسيول كي يسمنوها. وفي بداية موسم الحصاد يبيعونها لأصحابها الفلاحين بأسعار غالية مع استخدام حيل للغش يصعب على المرء تصورها: كأن يضعوا في دبر الحيوان «مخرجه» مواداً حادة مثل الفلفل أو الشطّة المسحوقة. وعند بيع الحمار اللَّدِنْ أو الكديش يركب النَّوَري عليه ويكون بيده أداة حادة من العظام أو من الحديد فينخش الحيوان في رقبته بقسوة حتى يثقب جلده، ومن ثم يضع الفلفل أو الشطة الحادة فوق الجرح فيتألم الحيوان ويعدو بسرعة. ومن حيل النَّوَر الطريفة في تجارة الحمير كما يقول - جورج ليّان - في كتابه الغجر ص٥٠: «صبغ الحمير ونفخها قبل أن تعرض للبيع، وهي من حيلهم المعروفة في سورية ولبنان». وكان قسم من نَوَر هذه الجماعة يمارسون الشعوذة إذ يعرضون شعوذاتهم في ساحات القرى وأزقتها برفقة القرود التي روضوها ودربوها على محاكاة الإنسان وتقليده في أوضاع مختلفة. ويُعرف هؤلاء النَّوَرْ باسم «السَّعادين» نسبةً لتلك الحيوانات التي اتخذوا منها وسيلة للحصول على لقمة العيش. وتُعرف هذه الجماعة في الهند حتى يومنا هذا باسم الناتيون: ومفردها ـ نوت ـ ومنها جاءت كلمة - نُوتِي - التي يُنعَتُ بها الشخص الذي كثر كلامه وقلَّ أدبه[1].

٢) **النَّوَرْ البهلوانيون:** ويُعرَف هؤلاء بمهنة اللعب على الحبل، مما جعل الناس يطلقون عليهم تسمية ـ أم حبل ـ لكون المرأة هي التي على الأغلب تصعد الحبل المنصوب بين نقطتين ثابتتين وعلى ارتفاع يزيد عن ثلاثة أمتار لتمشي عليه وهي مُنتَعِلَةً بقدميها ألواح الصابون، في حين كان الرجال يجلسون في وسط منسف من النحاس في منتصف المسافة من الحبل، ويقومون بحركات بهلوانية. وقد شاهدت هذا المشهد البهلواني الرائع في طفولتي في بلدتي ـ نوى ـ من أعمال حوران.

---

١ - عن كتاب القرون والناس: الإتنوس والتاريخ - برومليه - بودلني - دار التقدم - موسكو ١٩٨٠ ص ٢٢٨، ترجمة: طارق معصراني.

٣) النَّوَرْ المبيضون: تقوم هذه الفئة بتبييض الأدوات المنزلية النحاسية عن طريق طلائها بمصهور القصدير المُذاب عن طريق استخدام النار الملتهبة بالحطب أو بروث الحيوانات. ويقومون أيضاً بصهر الأدوات المنزلية المصنوعة من معدن الألمنيوم، لصنع أدوات مطبخية جديدة أقل اتقاناً أو متانة في الصنع.

٤) النَّوَر الحدادون: ويقوم رجال هذه الجماعة بصناعة أدوات الزراعة المعدنية من معدني الحديد والفولاذ، إذ يتم طرقها بفضل الحرارة المستمدة من الحطب أو روث الحيوانات الذي يسلط عليه الهواء المنفوخ به من الكور المصنوع من الجلد وعن طريق اليد - ويُقال لهؤلاء النَّوَرْ - الصنَّاع.

٥) النَّوَرْ الصُّيَّاغ: ويقوم رجال هذه الجماعة بصياغة الحلي والزينة للنساء من معادن النحاس والفضة، والألمنيوم. ويقومون بصناعة الخواتم والخلاخيل، وزبائن هذه الجماعة كلهم من قطاع النساء.

٦) النَّور البرامكة: ويعرف هؤلاء بالنَّوَر الجعافرة، حيث كانوا يربون ذكور الحمير الكبيرة الحجم، والتي تضاهي الحصان بحجمها، لاستخدامها في تلقيح إناث الخيل، حيث يكون المولود الهجين، نوع جديد، يجمع في ذاته قوة الحصان، وصبر الحمار، ويعرف هذا الحيوان بتسمية (البغل). فقد كان هؤلاء النّور البرامكة يدورون في أزقة القرى، وهم يمتطون حجرهم الضخمة المزينة بالخرز الأزرق، والمرايا، والأجراس النحاسية الصغيرة، حيث تشدّ الأنظار إليهم وبخاصة الأطفال الصغار.

أما النساء عند جماعات النَّوَرْ الآنفة الذكر فيمارسن مهنة الشحادة على باب الله الكريم كما يقولون، دون أن يأخذن معهن أي شيء لبيعه للنساء في البيوت وهن يتجولن في أزقة وشوارع القرى والمدن. وأحياناً تمارس النسوة إلى جانب الشحادة مهنة فتح الفال «بصَّارة» فيبصرّن بشكل خاص للشابات اللاتي لم يحالفهن الحظ بالزواج بعد، والبنات العاشقات الحالمات بالزواج ممن يعشقن. والمتزوجات المحرومات من الأطفال، والنساء اللاتي لم يحصلن على حظ عند أزواجهن. أو النساء اللاتي لا يعيش لهن أولاد، ويقمن أثناء التبصير في بعض الأحيان بسرقة حلي المرأة صاحبة البيت التي تأمل من عملية التبصير معرفة مستقبل المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها، وأحياناً بسرقة بعض الحاجات المنزلية مثل أدوات الطبخ إذا ما كانت صغيرة الحجم أو

الألبسة، بحيث يمكن إخفاؤها. وكانت المرأة في الماضي تشحد الطعام والبرغل والقمح، والحبوب بأنواعها. أما الآن فصارت المرأة النَّوَرِيَّة تطلب: الزيت ـ الصابون ـ الدراهم، ويمكن أن تصل قيمة ما تجمعه من تجوالها اليومي بمعدل وسطي يزيد عن ٢٠٠/ ل.س/. وتمارس النسوة ظاهرة الشحادة على شكل جماعات. ويعتقد النَّوَرْ أن لهم نصيباً في ممتلكات الآخرين، ولهم الحق في الحصول عليها عن طريق الشحادة، حتى أن الزوج لا يسأل زوجته أين كنت، وإنما ماذا جَلَبْتِ مَعَكِ. وبقدر ما تكون الكمية التي حصلت عليها من عملية الشحادة أثناء تجوالها كبيرة بمقدار ما تكون عزيزة على زوجها وتستحق الثناء والمديح من كافة أفراد النزل (المخيم). وإذا كانت بنتاً لم تتزوج بعد، فإنَّ قدرتها على الحصول على كميات جيدة أثناء الشحادة، يجعل منها شابة مرغوبة من قبل الشباب، ويكون مهرها غالياً، بالقياس إلى غيرها من الفتيات غير النشيطات في عملية الشحادة. ففي عام ١٩٩١ صيفاً، وفي أحد أطراف بلدة نوى، حيث بنى رجل من النَّوَرْ خربوشه مع زوجتيه، قام في أحد الليالي بضرب زوجتيه معاً، وهو يصيح بصوت مرتفع «يا ناس نِسوان بْتِبِين مُشْ قادرات يعيشوا رجّال». وَيَنْعَتْ النَّوَرْ المرأة الشاطرة في الشحادة بأنها «رَشِيْقَة». ويتصف أفراد جماعات النَّوَرْ كافة وبدون استثناء بالكرم والسخاء، إذ يطعمون ضيوفهم في «خرابيشهم» أو في بيوتهم، ويقدمون لهم القهوة المرة، ولفائف التبغ، مما يجعل «خرابيشهم» مجمعاً لكثير من الرجال اللذين لا يملؤون معدتهم إلا من خارج بيوتهم، بالإضافة إلى جلسات السَّهر المختلطة داخل «الخرابيش». يقول الشاعر الأردني ـ عرار ـ عن كرم النَّوَرْ ما يلي: «وهذا المهرّج الذي يسألك عقب (السيكارة) التي في يدك لما أعيته الحيل في أن يبتزَّ بعض مَالِكَ فظننته الذُلَّ والصَّغار والحرص مجتمعةً، تقف أمامك ماثلةً بشخصه يدهشك أن تراه في اليوم الثاني يبيع حماره ليقري ضيفاً أو يتساهل في مهر ابنته أو أخته ليقرض غنياً، من غير أبناء عشيرته، افتقر»[1].

وقد حضرت بنفسي وليمة عند المختار السيد «أبو عزيز» مختار النَّوَرْ في بلدة دير العصافير في صيف عام ١٩٨٧، بصحبة السيد «أبو عدنان الظاهر» من عشيرة المجارية

---

١ - البدوي الملثم – مرجع سابق ص ١٣٠ – ١٣١.

والذي يعيش وأسرته في منطقة عين غزال بمناسبة تسريح أحد أولاد المختار من خدمة العلم: إذ قدم ما يزيد عن عشرين منسفاً[1] مليئاً بالأرز المطبوخ والمغطى بقطع لحم الخراف والصنوبر، وهذه المناسف كلّها موضوعة على طاولات، فكان المدعوون لا يوضع أمامهم، إلا مناسف معدّة خاصة دون أن يمسها أحد من قبلهم رغم كثرتهم، وعدم مجيئهم في وقت واحد. وبعد تناول الطعام صعدت مع الصاعدين إلى مضافة المختار في الطابق الثاني والتي يزيد طولها من الغرب إلى الشرق عن ١٢/م/ وبعرض خمسة أمتار حيث قُدِّمت الحلوى الغالية الثمن والمحشوة جميعها بالبندق والفستق الحلبيّ. ثم قُدِّم الشراب. وفي المساء بدأ الرجال المدعوون يرقصون على أنغام البزق بالدور، وكان من بين الذين رقصوا السيد المختار «أبو عزيز» الذي أظهر مهارة عالية في الرقص مما أدهش الحضور وخاصةً أنا وأثار إعجابي زيادةً على إعجابي بكرمهم وحسن استقبالهم.

وتعد العشيرة الأرضية الصلبة والرئيسة التي يقوم عليها البناء الاجتماعي لدى جماعات النَّوَرْ. إذ يرتبط أفراد العشيرة فيما بينهم برباط القرابة بالدم من جهة الأب كما أن الأسرة هي الخلية الأساسية الأولى في تنظيمهم الاجتماعي ذي الطابع العشائري. وتسود عندهم الأسرة الأبوية الكبيرة التي تتكوّن من أكثر من جيل، يُسيطر فيها الأب الأكبر سناً على كافة أفراد الأسرة، فقوله هو الذي يجب الاستماع إليه والتقيُّد به. وتسود عند النَّوَرْ عادة الأخذ بالثأر وبصرامة قاسية.

كما أن لشيخ العشيرة مكانة مرموقة في نفوس أفرادها، فهو يتمتع بسلطات واسعة، إذ يجمع في قبضته السلطتين القضائية والتنفيذية. وتظهر عند كافة جماعات النَّوَرْ على اختلاف مهنهم ولغاتهم، وأماكن وجودهم في بلاد الشام العاطفة الشديدة تجاه الأطفال الصغار وخاصةً إذا كانوا قد فقدوا أهلهم. إذ يتبناهم الميسورون منهم مما يجعل ظاهرة تبنّي الصغار من قبل الميسورين شيئاً مسلّماً به عندهم. وتؤمن جماعات النَّوَرْ كافةً وبدون استثناء بوجود الأرواح الشريرة والمؤذية، والتي تكون سبباً في مرض الإنسان، عن طريق دخولها إلى داخل جسم المريض، مما يجعلهم يقبلون على حمل التعاويذ والرقى في أعناقهم، وخاصةً النساء منهم، وذلك اتقاءاً من أذى تلك الأرواح.

---

١ - المنسف: أكلة شعبية تحضر من طبيخ البرغل واللبن والسّمن العربي ولحم الخراف، حيث تقدم للضيوف بإناء نحاسي دائري الشكل – وأحياناً يقدم الأرز بدلاً عن البرغل، وهذه الأكلة معروفة بحوران السهل والجبل، وعند البدو. وحالياً استعيض عن المنسف الكبير بمناسف صغيرة، يكفي كل واحد منها لشخصين أو ثلاثة.

كما أنّ كافة أفراد جماعات النُّوَرْ يتكلمون في «خرابيشهم» بأصوات مرتفعة حتى أنّ الضيف يظن أنهم سيتشاجرون وهم كثيرو الشُّجار فيما بينهم، لكنهم سرعان ما يصطلحون ويجلسون معاً وكأنَّ شيئاً لم يكن لطيبة قلوبهم. وبساطتهم لدرجة السذاجة، لكنهم أذكياء جداً ويستطيعون فهم ما يجري حولهم من خلال استقراء ملامح الناس الذين يحيطون بهم. ويتعاملون مع الغرباء «من غير جماعتهم» بحذر شديد. ويخشون الشرطة الداخلية بشكل غريب لكثرة الشكاوى عليهم وخاصةً على النساء منهم لتصرفاتهن غير المقبولة مثل السرقة.

ويميل كافة أفراد النُّوَرْ إلى الطرب والموسيقى، لكونهم سريعي التأثر بالغناء والموسيقى، بسبب إحساسهم تجاه ذلك. كما يميلون كافةً إلى تعاطي التبغ وخاصةً الرجال منهم، والنساء المتقدمات في العمر، إلى جانب الإفراط في تناول كل من القهوة المرّة والشاي.

ويحلو للرجال ممارسة الصيد ليلاً بواسطة الكلاب من نوع «البوجي ـ السَّلَق» لاصطياد كل من حيواني: النِّيص وَالْغريري، إذ تدور حولهما قصص كثيرة ذات طابع خرافي تصل بهم إلى حد التقديس لهما. كما أنهم مولعون بصيد طيور الحجل وتربيتها في أقفاص في خرابيشهم إلى جانب ديوك الدجاج ذات الساقين الطويلين والرقبة الطويلة، والمنقار الطويل والقاسي من أجل المبارزة فيما بينها.

إن تلك الصفات الآنفة الذكر التي يتصف بها ـ النُّوَرْ ـ الموجودون في بلاد الشام، تجعل منهم قوماً قائماً بذاته له ملامحه السلالية والثقافية والاجتماعية الخاصة بأفرادها دون غيرهم من الناس الآخرين الذين يحيطون بهم في منطقة بلاد الشام. وإنّ هؤلاء القوم Ethnos يتميزون بجملة من العادات والتقاليد ونمط الحياة، تحفظه وتكرسه التقاليد، التي تميز هذه المجموعة، عن غيرها من المجموعات الأخرى التي تعيش معها في بيئة جغرافية واحدة[1].

أما فيما يتعلق بأصلهم، فهم جميعاً يعترفون في قرارة أنفسهم بأنهم غرباء عن بلاد الشام، وأن أجدادهم جاؤوا في الماضي إلى هنا في أزمان غابرة ولا يعرفون متى تمَّ ذلك، وإن كان الكثير منهم يقول أنهم جاؤوا من منطقة الهند تارةً، أو من بلاد الفرس واليونان والترك تارة أخرى.

---

١ - لمزيد من الاطلاع، انظر كتاب الإتنوس والتاريخ - مرجع سبق - ص ٥٠.

كما أن هناك قسماً من نَوَرْ بلاد الشام يدّعون أنهم من قبائل عربية شهيرة، مثل بني مرّة، بني تميم.... إلخ. وإنّ تلك الادعاءات المزعومة وغير الصحيحة التي تقول بأصول عربية للبعض منهم ربما دلّت على أنّ أجداد هؤلاء النَّوَرْ كانوا موجودين في الجزيرة العربية منذ زمن طويل، حيث كانوا يضربون «خرابيشهم» إلى جانب بيوت الشَّعْرِ، التي تسكن فيها العشائر البدويّة؛ كصنّاع وشعراء يكيلون المديح والثناء لشيخ القبيلة العربية البدوية، أو للوجهاء والميسورين، على أنغام أوتار الربابة، لينالوا جزيل العطاء من خراف وسمن وجلود... إلخ. وأحياناً يقومون بتحميص القهوة المرّة ودقّها في المهباج وتحضيرها عند شيوخ القبائل وميسوريها. ومن جملة ما يدّعيه هؤلاء النَّوَرْ في بلاد الشام أنهم من جماعة جسّاس، في حين أن بقية الناس من غير النَّوَرْ وخاصةً الفلاحين هم من جماعة ـ الزير ـ حتى أنهم يردّدون القول التالي، عندما يُسألون عن سبب تنقلاتهم المستمرة وفي وقتٍ تكون فيه الشمس حادة من أيام الصيف: «إنّ الزير رَكّبهم على الحمير، وأَمَرَهُمْ بالرَّحيلْ، وعدم إِشعالْ النّار. امّا جَسّاس أَجْبَرَنا نحنُ ((كافة الناس من غير النَّوَرْ) على مَسْكِ المِنْساسِ وأمَرَنا بالفِلاحَةِ)).

إنّ تناقل هذا التراث الشفهي، لدى تلك الجماعة من النَّوَرْ في بلاد الشام، والحفاظ عليه حتى يومنا هذا، لدليل على شكل مستحاثة اجتماعية حيّة تحكي لنا أن أجداد هؤلاء البشر من النَّوَرْ كانوا موجودين في الجزيرة العربية قبل نشوب الحرب الضروس التي كانت فاتحتها يوم البَسُوس، الذي قتل فيه جسّاس الشيباني كليب وائل فهاجت بسبب ذلك حرب بَكْرٍ وتغلِب ابني وائل من ربيعة أربعين سنة[1]. وإن أجدادهم عاصروا تلك الحرب القبلية القاسية.

أما الحقيقة التاريخية الكامنة وراء زعم بعض عشائر النَّوَرْ في بلاد الشام بأنهم عرب وينحدرون من قبيلة ـ بني تميم ـ أو قبيلة ـ بني مرّة ـ ، فإنها برأينا تعود إلى نصوص المعاهدة التي عقدت بين الأساورة في منطقة الخليج العربي من جهة وبين القائد العربي المسلم، محمد بن قاسم الشقفي، زمن الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧ ـ ٦٣٨م. إذ وافق الفاروق عمر على بنود تلك الاتفاقية والتي حصل الأساورة بمقتضاها على مكاسب معنوية منها:

---

١ - مجمع الأمثال: ٤٣٩/٢.

١) أن يعتنق أفراد جماعات الأساورة الدين الإسلامي.

٢) أن يدخلوا في خدمة العرب.

٣) أن لا يحاربوا إلا العجم من غير المسلمين.

٤) أن يلحقوا بأشراف العطاء. وأن تطلق لهم الحرية في الانضمام إلى القبيلة العربية التي يؤثرونها.

وقد حذا حذو الأساورة كل من عشيرتي: السيابجة والزط اللتين انضمتا إلى قبيلتي بني تميم، وبني مرّة العربيتين[1].

ومن الخرافات التي يزعمونها لأنفسهم بخصوص أصولهم أنّ فريقاً منهم يسلسل نسبه إلى آدم عليه السلام. وخاصةً أفراد عشيرة تُدعى ـ بَكْوَيان ـ التي يوجد أفرادها في قرية ـ مَرْقَدَة ـ بمنطقة الحسكة. إذ يقول السيد حمد جلود الصليبي وجيهْ تلك العشيرة المذكورة ما يلي: «إنَّ جدّ أفراد هذه العشيرة اسمه مَعَّو وهو ابن حَاجُو بن تكو، والملقّب بكوان بن هوزان بن سليم ابن منصور، بن عكرمة، بن خصفة، بن قيس، بن عيلان، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، بن آو، بن طميع، بن سلامان، بن بنت، بن حمل، بن قيرما، بن اسماعيل، بن ابراهيم، بن تارح، بن نوح، بن منوشلح، بن أخنوخ (هو إدريس عليه السلام)، بن الباردين مهلائيديل، بن قيان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم ـ وهو أب البشرية جميعاً.

وعلى الرغم من حرص جماعات النَّوَرْ الشديد في بلاد الشام على الحفاظ على مقومات شخصيتهم الثقافية والاجتماعية التي كانت قد تكوّنت في زمن موغل في القدم في وطنهم الأم الذي يقع في وسط شمال منطقة شبه الجزيرة الهندية، كالترحال الدائم. فمنذ أن كان النَّوَرْ في الهند، كانوا من القبائل الرحل الجوالة. والاختصاص بمهن معينة اشتهر بها النَّوَرْ، وكانوا قد امتهنوها في الهند منذ القديم. هذه القبائل الجوّالة التي ينتسب إليها النَّوَرْ الذين انطلقوا من الهند غرباً كانت على أي حال كما

١ - دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثاني ص٤١ – ٤٢، وتجدر الإشارة إلى أنّ الأساورة هم: فرسان من العجم، كانوا في خدمة الفرس قبل زوال إمبراطوريتهم على يد العرب المسلمين. وكان هناك في منطقة الخليج العربي وبخاصةً في البحرين جماعات بشرية تُدعى: السيابجة والزط على شكل حامية عسكرية. وهؤلاء ليسوا بعرب، وهم أقرب إلى شعوب شبه القارة الهندية من حيث صفاتهم السلالية والثقافية.

يقول الأنتروبولوجي الروسي بروميليه ((أكبر من أن يعين لها تخصص مشترك، إذ ظهرت عند النَّوَرْ تشكيلة من الحرف ـ من ألعاب السيرك إلى الحدادة))[١].

وعلى الرغم من كل ذلك فقد طرأ بعض التغير على النمط المعيشي للقسم الأعظم من نَوَر بلاد الشام، إذ استقر معظمهم في بيوت ثابتة وصار قسم كبير من الرجال يعملون في مؤسسات الدولة كسائقين أو عمال تنظيفات في بلديات المدن الكبرى مثل دمشق ـ عمان ـ حلب ـ وبيروت. وأخذ النَّوَرْ يتخلّون عن بعض عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية نتيجة لتغير طرأ على نمط معيشتهم من جهة، ولتكيفهم مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بهم، وخاصةً خضوعهم لسجلات الدوائر المدنية في كل دولة من دول بلاد الشام، لبنان، سورية، الأردن، وهذا ما حرمهم من حرية الانتقال التي كانوا يتمتعون بها ما قبل الخمسينات.

وخلاصة القول: إنّ جماعات النَّوَرْ Nawar تنتشر في أنحاء بلاد الشام كافةً وبدون استثناء، ويشكّلون مجموعة بشرية Ethnoc، تتمتع بأكثر الخصائص الثقافية، والسلالية وضوحاً. ويملك أفراد هذه الجماعات جملة من العادات والتقاليد ونمط حياتي يقوم على التنقّل، تحفظه وتكرّسه التقاليد، التي تميز أفراد هذه المجموعة البشرية عن بقية الوسط الاجتماعي الذي يعيشون بين ظهرانيه. وإنّ تعلّق النَّوَرْ بنمط الحياة المتنقّلة، أبقاهم متماسكين غير قابلين للذوبان، في الخضم البشري المحيط بهم. ويعود الفضل في الحفاظ على هويتهم الخاصة بهم إلى التربية الاجتماعية، إذ تعطي تلك التربية سلطة للكبار على الصغار، وسلطة الآباء على الأبناء، وسلطة للزعماء والوجهاء على الأفراد البسطاء، سلطة جبّارة عند هؤلاء الناس الأحرار في الظاهر، وهي سلطة لا تعتمد على القوة بل على الهيبة والوقار. والشيء الذي استطاع هذا المجتمع العشائري، أن يفعله على نحوٍ باهر، على الرغم من انقطاع النَّوَرْ الطويل عن وطنهم الآسيوي في الهند كما يقول كل من برومليه وبودولني ((هو تربية الأجيال الجديدة على نمط الكبار وشاكلتهم؛ على الإخلاص للعادات وقواعد الحياة المتعارف عليها. ولعل هذه القدرة على التربية كانت الشيء الرئيسي في حفظ الذات لدى النَّوَرْ على امتداد مئات السنين))[٢].

---

١ - الإتنوس والتاريخ – بروميليه - بودولني – ترجمة طارق معصراني - دار التقدم – موسكو ١٩٨٠م ص٢٢٨.

٢ - بروميليه – بودولني: الإتنوس والتاريخ - دار التقدم – موسكو ١٩٨٨م ص٢٣١.

ويتكوّن الكتاب الذي بين أيدينا من ثمانية فصول، ما عدا الفصل الأول التمهيدي، الذي عالجنا فيه وباختصار، التسميات التي تطلقها شعوب العالم على هذه الجماعات البشرية، التي تعيش بين ظهرانيها، والتي لا تتوافق معها في بناها الاجتماعية، التي حافظت عليها عبر مسيرة تاريخها الطويلة والغامضة، مما جعلهم يعيشون غرباء في كافة أصقاع العالم، رغم مدة وجودهم الطويلة هناك. وعالجنا أيضاً الأساطير والحكايات التي يدور محتواها حول أصول جماعات النَّوَرْ ذات الأصول الهندية الآسيوية.

أما في الفصول الثمانية التالية فقد عالجنا فيها كافة جوانب الحياة الاجتماعية، والروحية، والثقافية، والمعيشية لتلك الجماعات في بلاد الشام، وفق مناطق توزعهم الجغرافي وتجدر الإشارة إلى أن عشائر النَّوَرْ في فلسطين، قد التجأ معظمها إلى سورية والأردن في عام ١٩٤٨. أما فيما يتعلق بجماعات النَّوَرْ في لبنان، فكانت الدراسة الميدانية غير موسعة بسبب وجود أقارب لتلك العائلات في القطر العربي السوري، إما عن طريق الدم، أو عن طريق النسب، فاكتفينا بذكر أسماء العائلات من النَّوَرْ في لبنان، وذكر المهن التي يتعاطونها، وذكر الأسماء التي يُعرفون بها وما يقال عن النَّوَرْ في لبنان، يقال عن النَّوَرْ في الأردن، إذ يوجد لكافة العائلات من النَّوَرْ هناك أقارب في القطر العربي السوري، ولهم المهن نفسها التي يمارسونها، ومنهم المستقر في بيوت ثابتة كما هو الحال في منطقة عمان، والزرقاء ومنطقة إربد، ومنهم من يعيش حياة عدم الاستقرار: في خرابيش من الخيش والقصدير على أطراف المدن والقرى شتاءً، وفي الصيف ينتقلون إلى القرى الموجودة في منطقة سكناهم، حيث المرأة تشحد، والرجال يمارسون أعمالاً متباينة وذلك حسب تصنيفهم المهني الذي سيمر معنا في متن هذا الكتاب. لذا سنكتفي بذكر أسماء عشائر النَّوَرْ في الأردن، وأسماء الأماكن التي يوجدون فيها، وذكر أسماء المهن التي تمارسها كل عشيرة من تلك العشائر، وخاصةً عشائر منطقة عجلون غير المستقرة في بيوت ثابتة.

وإني آمل من خلال دراستي الأنتروبولوجية الاجتماعية الميدانية هذه، أن أكون قد وضعت اللبنة الأولى في مجال علم النَّوَرِيّات[1]، ولتكون الأرضية التي سينطلق منها

---

١ - علم النَّوريّات: علم يهتم بدراسة النور في العالم: إنتوغرافياً وتاريخياً وجغرافياً، والمختص في هذا المجال: «عالم بالنوريّات».

الباحثون العرب في المستقبل، لمتابعة مسيرة البحث الاجتماعي الأنتربولوجي للنَّوَرْ الذي يعيشون بين ظهرانيهم، والآخذين في التكيف والتلاؤم مع البيئات الاجتماعية المحيطة بهم، مما يهدد الكثير من خصائصهم الإتنوغرافية في الزوال، وإن كان ذلك التكيف والتلاؤم يتم ببطء شديد جداً، ولكن تظهر ملامحه للباحث مباشرة، من خلال الدراسة المقارنة لما كانوا عليه منذ /٤٠ عاماً/ سبقت، وما هم عليه الآن، إذ أنّ قسماً كبيراً منهم قد تخلى عن النمط المعيشي القائم على التنقل طيلة أيام السنة على ظهور الحمير والخيول إن وُجدَت. وإن مجرد استقرار هذه الجماعة في بناء ثابت يعني أنهم لن يعودوا نَوَراً، لأن البناء الاجتماعي الذي حافظوا عليه خلال مئات السنين عن طريق التربية، سيأخذ بالتغير تدريجياً وإن كان ببطء وإنّ المدة التي سيبقون فيها نُوَراً بعد الاستقرار هي مدة مؤقتة ونطلق عليها «مرحلة احتضار» ومن بعدها سيموت أي سيزول البناء الاجتماعي للنَّوَرْ بكافة مؤسساته الاجتماعية والروحية والثقافية، ولن يعودوا عندئذ ـ نَوَراً ـ بل سيندمجون مع السكان الذين يحيطون بهم. وخير مثال على هذه الظاهرة الاجتماعية ما حدث للنُّور في كل من المجر، ورومانيا، وبلغاريا حيث صاروا جزءاً من شعوب تلك الدول، فمنهم العلماء، والباحثون، والموسيقيون، وأساتذة الجامعات.

أ. د. علي عبد الله الجباوي

دمشق في ٢٠٠٦/٥/٣٠م

الفصل الأول

دراسة تاريخية أنتروبولوجية لجماعات النَّوَر في العالم

- تسميات النَّوَر Al Nawar في بلدان العالم.
- تسميات النَّوَر Al Nawar في بلاد الشام.
- تسميات النَّوَر Al Nawar في البلدان العربية.
- تسميات النَّوَر Al Nawar في البلدان الآسيوية.
- تسميات النَّوَر Al Nawar في البلدان الأوروبية.
- الفرضيات والأساطير التي تدور حول أصول النَّوَر وأنماط معيشتهم القائم على التجوال.
- البنية الاجتماعية للنَّور Al Nawar.

التسميات التي تُطلق على النَّوَرْ

لكل شعب معاصر عدة ألقاب وأسماء، ثمة تسمية ذاتية يطلقها الشعب على نفسه، في حين يسميه جيرانه على نحو آخر. فالأسماء التي تطلق على النَّوَرْ تختلف من بلد إلى آخر، لدرجة أنها تتباين محلياً داخل البلد الواحد لتباين المهن التي يمارسونها. ولكنهم يبقون جميعاً نَوَراً، وإن اختلفت الألقاب التي يُنْعَتُوْنَ بها، لأنهم يمتلكون سمات ثقافية واجتماعية وسلالية، ونمط معيشي خاص بهم دون غيرهم.

التسميات المحلية التي تُطلق على جماعات النَّوَرْ في بلاد الشام

يطلق أهل الشام على جماعات النَّوَرْ تسميات متعددة، وإن كان الناس جميعاً يطلقون على تلك الجماعات مجتمعةً، بغض النظر عن المهن التي يزاولها أفراد تلك الجماعات، تسمية النَّوَرْ Al Nawar:

١- يُعرَف النَّوَرْ في منطقة حلب بتسمية محلية هي القُرْبَاطْ وإن قسماً كبيراً من النَّوَرْ الذين كانوا في الماضي يمتهنون صناعة الغرابيل يحبون أن يُدعَوا بتلك التسمية: أي أنّ النَّوَرْ القُرْبَاطْ مهنتهم صناعة الغرابيل بأنواعها المختلفة.

٢- يُعرف النَّوَرْ في منطقة الساحل السوري بتسمية المطاربة وهي جمع لكلمة مُطرب، ذات الأصل العربي. وقد جاءت هذه التسمية من مهنتهم التي كانوا يزاولونها في الماضي وإلى حدّ ما حالياً. ألا وهي مهنة الغناء.

٣- في منطقة الحسكة والقامشلي والمالكية، والتي تقع إلى الشمال الشرقي من القطر العربي السوري، يُنعَت النَّوَرْ بتسمية - القَرَج.

٤- في منطقة غوطة دمشق وخاصةً في دير العصافير يُطلِق النَّوَرْ على أنفسهم اسم - الرَّيَّاسْ - لمهنتهم التي يزاولها الرجال بالضرب على الطبل والزمر مع فرقة من الفتيات النَّوَريَّات من جماعة الحَجِّيَاتْ.

٥- في منطقة الفرات والتجارة وحي تشرين، ومساكن برزة في دمشق يُعرف هؤلاء النَّوَرْ بلقب - الحجِّيات - لمهنتهم التي يزاولونها، إذ ترقص النساء وتغني، في حين أنّ الرجال لا يعملون شيئاً سوى مرافقة أولئك النساء إلى دور الملاهي ليلاً. وهؤلاء هم أكثر فئات النَّوَرْ غنىً وأكثرهم سخاءً في الصرف على أنفسهم طعاماً ولباساً. وغالباً ما يزوجون بناتهم مقابل مهر كبير جداً يصل في أيامنا هذه إلى أكثر من مليون ليرة سورية وأحياناً مليوني ليرة، وخاصةً إذا ما كانت الفتاة جميلة ورشيقة في الرقص وهم من أقل جماعات النّور غيرة على عرضيهم.

٦- في منطقة حوران وجنوب سوريا يطلق السكان المحليون على كافة فئات النَّوَرْ على اختلاف مهنتهم - النَّور - وهي التسمية الشائعة في بلاد الشام عامةً.

وهناك جماعة من النَّوَرْ كان يزاول أفرادها رجالاً ونساءً مهنة اللعب على الحبال، وكان يُطلق عليهم في بلاد الشام النَّوَرْ البهلوانية.

٧- وفي منطقة الأدرن، يُطلق المواطنون على كافة جماعات النَّوَرْ على اختلاف مهنهم أيضاً تسمية - النَّوَرْ - وهذا الشاعر العربي الأردني مصطفى التل الملقّب بـ عرار الذي يُعدُّ خير صديق مخلص للنَّوَرْ يكيل لهم المديح بلا حدود لبساطتهم في طريقة حياتهم المتنقلة، ففي «خرابيش» النَّوَرْ وفق رأي الشاعر الصدق واليقين، ولا يحظى المرء بهما إلا في خرابيش النَّوَرْ، في حين أن الزور والبهتان عند غيرهم:

إنَّ الخرابيش التي حَامَتْ عَلَيَّ ... أَوْ حَوْلَ مَنْ يَرتادهُنّ ظُنُونُ

ففي نَجْعِهِنَّ وَرَبْعِهِنَّ وَدَمْعِهِنَّ ... إذا صَدُقْنَ وإنْ بَكَينَ يَقِينُ[1]

وينصح الشاعر - مصطفى التل - المولع بالنَّوَرْ وبحياتهم البسيطة إخوانه مِمَّن لم تأخذهم بعد بهرجة الحضارة وزينتها إلى ارتياد «خرابيش» النَّوَرْ البعيدة عن الحياة المزيفة:

---

١ - البدوي الملثم - مرجع سابق ص١٧٦ - ١١٧.

وَتَعَالَ عِنْدَ الْمُنْتَشِينَ بِطَبْعِهِمِ مِنْ (حان) أَلْحَانِ الرَّبَابَةِ تَسْحَرُ
فَالطَّامِعِينَ وَلَيْسَ مِنْ أَمَلٍ لَهُمْ وَالْقَانِطِينَ وَكُلُّهُمْ مُسْتَبْشِرُ
فَالآخِذِينَ مِنَ الْحَيَاةِ بِصَفْوِهَا وَالتَّارِكِينَ لِغَيْرِهِمِ مَا يَكْدُرُ
فَنُورٌ نُسَمِّيهِم وَنَحْنُ بِعُرْفِهِمْ مِنْهُمْ وَفِي عَيْنِ الحقيقة أَنْوَرُ[1]

وينعت النَّوَرْ في منطقة الأردن بألقاب منها «إخوة نُورَة» و«إخوة سَلْمى» بالإضافة إلى أنها تطلق على أفراد عشيرة «التمارزة»[2] هناك.

أما أهل فلسطين كما جاء في كتاب «عرار شاعر الأردن» فيطلقون على جماعات النَّوَرْ لقب «الجَبَلِيَّة» وعندما سألت عنهم السيد ناجي إبراهيم أسعد من قبيلة الشّعارنة، في منطقة الحجر الأسود التي قدم أفرادها عام ١٩٤٨ إلى سورية من فلسطين، قال:

إن الجبلية هم أحد فئات النَّوَرْ الذين كانوا في فلسطين قبل عام ١٩٤٨م، وقد قدموا إلى فلسطين من مصر، وكان رجال هذه العشيرة يتجولون في القرى مع سعادينهم التي دربوها على تقليد ومحاكاة تصرفات الإنسان. ويسكن أفراد عشيرة الجبلية حالياً في ـ قاعة الميدان ـ وفي ـ الميدان ـ لمدينة دمشق، ويحملون الجنسية الفلسطينية شأنهم شأن بقية أفراد عشائر النَّوَرْ الأخرى التي جاءت إلى سورية من فلسطين مثل: عشيرة الشعارنة ـ السناكرة ـ الصيامات ـ البهلوان ـ وبيت أبو مايهة، علماً أنّ أفراد هذه العائلات الثلاث الأخيرة، ينكرون إنكاراً مطلقاً أصولهم النَّورية. ويقطن أفراد تلك العشائر في: مخيم فلسطين، الشاغور، الصالحية بمدينة دمشق.

أما بيت البهلوان الذين يوجدون في الجهة الشرقية من البوابة بمدينة دمشق فقد اتخذوا لقب المصري، في حين أن هذا اللقب يُطلق على عائلات أخرى في مناطق متفرقة من سورية، بسبب أصولهم المصرية، حيث كان أجدادهم قد قدموا من مصر إلى بلاد الشام زمن السلطان محمد علي باشا.

وأمّا النَّوَرْ في لبنان، فمعظمهم من جماعة الْحجِّيَّاتْ وتمتهن المرأة عندهم الرقص والغناء وهناك القليل من النَّوَرْ الصُّنَّاع، والصُّيَّاغ، والغرابلية. ولا تختلف جماعات النَّوَرْ

---

١ - البدوي الملثم - مرجع سابق ص ١٧٦ - ١١٧.

٢ - التمارزة: من عشائر النور في الأردن، وهؤلاء النور هم من فئة الحجيات، حيث الغناء والرقص دينهم.

في كل من لبنان والأردن في ثقافتها الروحية والاجتماعية ونمطها المعيشي عن جماعات النَّوَرْ في سورية، حيث يكون أفراد العشيرة الواحدة، موزعين بين كل من: الأردن وسورية ولبنان كما هو الحال في: عشيرة الهرامشة – عشيرة الصوالحة – القواسمة – عشيرة التمارزة – المقصطلي (الظاهر) - الكريملية.

وعلى الرغم من الألقاب المتعددة التي يطلقها النَّوَرْ على أنفسهم، أو التي يُطلقها الآخرون عليهم، فقد لمست من خلال اتصالي المباشر معهم، أنّ معظم جماعات النَّوَرْ، وبغض النظر عن المهن المتباينة التي يزاولونها، يرغبون وباعتزاز أن يُطلَق عليهم تسمية - الضُّوْمْ - والتي مفردها ضُّومي.

ففي زيارة قمت بها إلى جماعة من عشيرة «الكريميلية» من النَّوَرْ المقيمين في السيدة زينب جنوب دمشق في ١٩٨٦/٣/١٣، وزيارة مماثلة إلى جماعة من عشيرة «الشعارنة» التي يسكن أفرادها في منطقة الحجر الأسود في الطرف الجنوبي لمدينة دمشق وذلك يوم الأربعاء في ١٩٨٦/١/٢٩، وجدت أنّ أفراد هذه العشائر يحبذون أن يُخاطَبوا بكلمة - ضُّوم - التي ترتاح لها نفوسهم أكثر من تسمية - النَّوَرْ - والتي تعني عند السكان المحليين أنهم جماعة متنقلة لا تعمل، ولها مدلول دوني يُراد به الإهانة عندما يخاطَب بها أي شخص كان سواء أكان من جماعات النَّوَرْ أم من غيرهم. ويُطلق كل من أفراد عشيرة: الهرامشة - الكريملية - الشعارنة، على اللغة الخاصة بهم - اللسان النَّوَري - وبلغتهم جُبْ دُّومْ وَارِيَ - إذْ تعني كلمة: جُبْ: لسان، في حين كلمة - دُّومْ وَارِي تعني النَّوري. وقمت بتسجيل الكثير من الجمل وفق ما تُلفَظ في لسان الدُّوم واري، أي النَّوري منها:

- السؤال: هل أنت نَوَري: ضُّوم إشتُوري إبْرا
- الجواب: نعم أنا نَوَري: أَمَا ضُّوُمْ اشتُورِي

أما: أنا - ضُّوم: نَوَرْ - ضُّومي: نَوَري.

وقد أورد الأنتروبولوجي الروسي - توكاريف - كلمة الدُّوم Dom في كتاباته، على أنه اسم لواحدة من القبائل المتنقّلة الجوّالة في شمال الهند، حيث يمتهن أفراد هذه القبيلة الرقص والغناء، ويدينون بالديانة الهندوسية[1]. ويسود اعتقاد في أوساط الباحثين

---

١ - س - توكاريف – ١٩٥٨ – إتنوغرافيا الاتحاد السوفييتي – باللغة الروسية - ١٩٥٨م ص ٢١١ – ٢١٥.

في علم النَوريّاتْ أن جماعات ـ الضُوم ـ أو ـ الدُوم ـ هم من أكثر المنبوذين انتشاراً، وأنهم يعودون إلى ذلك الشعب الذي اجتاحت بلاده الموجة الآرية، وأرجعوا نسبهم إلى حد ما إلى الدرافيديين. وإن لجماعات الدُوم بشرة سمراء داكنة، وقد عاش هؤلاء الرُحل قروناً أو ربما آلافاً مْن السنين في منطقتي: بيهار وأورد، حيث كانت هناك مملكة هندية قديمة وهي مهد الآريين، أما الآن فهما جزء من مقاطعتي: أكرا وأورد المتحدتين، وعاصمتهما مدينة لاكتو.

ويرى الباحث مارتن بلوك Martin Block أنّ كلمة ـ دُومْ ـ ذات طابع لغوي سنسكريتي، وتعني ـ رَنَّ ـ وهي صفة للشعب الذي يعيش على الرقص والغناء.[1]

وأودُ أن أشير إلى الخطأ الفادح الذي وقع فيه السيد - طه حمادي الحذيفي - في مؤلفه المنشور من قبل وزارة الثقافة في الجمهورية العراقية تحت عنوان «الغجر والقرج في العراق»، إذ عَدَّ جماعات ـ الدُوم ـ في شمال القطر العراقي من العشائر الكردية، إذ اختلط عليه الأمر، لتكلّم أفراد ـ الدُوم ـ اللغة الكردية، إلى جانب مهنتهم في صناعة الأحذية (الكلاش).[2]

إن هذه الجماعة التي تُسمّى بالدُوم في شمال العراق، هم برأينا نُوَر يمارسون الأعمال اليدوية، ولا يمتّون بصلة للأكراد بأية صلات تاريخية أو ثقافية، وإنما هم مجموعة عاشت بين محيط بشري يتكلم اللغة الكردية فتعلموها على مر الأجيال، ولو أننا سألنا واحد من أفراد الدُوم عن اللغة التي يتكلم بها داخل بيته مع أفراد عائلته لوجدنا مفردات لغة الدُوم هي السائدة.

أما كلمة ـ لُوْم ـ والتي تطلق على النُوَرْ في منطقة البلقان فهي نسبة إلى مدينة بلغارية تقع على نهر الدُون الفاصل بين رومانيا وبلغاريا. وإن الطبيب، جرّاح القلب المشهور ـ تشيركوف ـ هو من مدينة لُوْمْ البلغارية، ومن أصل نَوَري. وكان تشيركوف يعمل مع الطبيب الجراح المشهور - برنارد الأمريكي - الذي قام بعملية زرع قلب لأول مرة في جنوب افريقيا.[3]

---

١ - الغجر - دراسة تاريخية اجتماعية فولكلورية - جان بول كلير - ترجمة لطفي الخوري - ١٩٨٦ - وزارة الثقافة والإعلام - العراق ١٩٨٦ - ص٣٨ - عن كتاب ١٩٦٣ Martin Block: Moeur et contu Mes et Tsiganes

٢ - الغجر والقرج في العراق ٢٢.

٣ - مقابلة مع طبيب بلغاري عام ١٩٨٩م كان يعمل في القطر العربي السوري.

وكلمة ـ لُومْ ـ التي تعني النَّوَرْ في منطقة البلقان، شبيهة من حيث النشوء بتسمية جماعات النَّوَرْ في القطر السوداني بكلمة ـ الْحَلَبْ ـ لأنهم يقولون: إنهم جاؤوا إلى السودان من حَلَبْ في سوريا. وشبيهة بتسمية النَّوَرْ في بريطانيا بكلمة ـ الْجِبْسِي ـ نسبة إلى Egypt مصر، إذ ادّعى هؤلاء عند وصولهم إلى بريطانيا أنهم قد جاؤوا من مصر. وأحياناً تلفظ كلمة ـ Lom ـ بلفظ مغاير هو ـ ROM ـ .

ومن الطريف ذكره أن الناس في منطقة حوران، إذا ما كان شخص خارج قريته وسُئِل عند عودته: هل رأيت أحداً في طريقك، فيجيب بالنفي قائلاً: والله ما شفت **الدُّومَرِي، أو، والله ما في الدُّومَرِي***.

إن كلمة ـ الدُّومَرِي ـ هنا في رأينا تعني ـ النَّوَرِي ـ للسبب الآتي: إن النَّوَرْ لا يرتحلون من قرية إلى أخرى إلا قبيل الظهر حيث حرُّ الشمس على أشدِّه تمشياً مع نمطهم المعيشي وثقافتهم الاجتماعية. وتعني عبارة /ما في الدُّومَرِي/ أنَّ الشمس حامية في حرارتها حتى لا يوجد مشاة أو رُحَّل من النَّوَرْ على الطرقات. وأحياناً يكون جواب الشخص مغايراً تماماً في ألفاظه لكن يؤدي المعنى والغرض نفسه إذ يقول عندما يُسأل: هل رأيت أحداً في الطريق: **والله مَا شُفْتْ صَافِرِ النَّار ـ أو ـ والله ما في صَافِرِ النَّار.**

ومعنى الجواب أنه حتى الإنسان الذي يقوم بصناعة المواد المعدنية الخام وتحويلها إلى مواد قابلة للاستعمال من سكاكين وَخُوَصْ، وسِكَكْ للفلاحة وخواتم وأساور عن طريق النار التي يزداد أوارها بالنفخ بالكور اليدوي، غير قادر على الارتحال في هذه الشمس الحادة. فكيف إذن تسأل هل رأيت أحداً. والمعروف أن الذين كانوا يقومون بالحدادة سابقاً في القرى هم من جماعات النَّوَرْ التي تُعرَف بالحدادين، وقد اكتسبوا مهنتهم هذه منذ زمن قديم عندما كان أجدادهم في موطنهم الأصلي شمال ووسط الهند. وكان هؤلاء النَّوَرْ يرتحلون نحو البوادي والمراعي حيث مضارب البدو للحصول على عطاياهم من السمن والخراف وجلودها ومشتقات الألبان.

ومن اللطيف ذكره أن هناك أغنية شعبية في حوران يُذكَر فيها اسم ـ الدُّوم ـ إذ تقول:

عَالدُّومْ عيني عَالدُّومْ.

---

* الدُّومَرِي = هي اختصار للكلمتين التاليين: الدُّوم: النَّور – واري: اللسان ومع مرور الزّمن تم دمجهما معاً تحت – كلمة - الدُّومري: أي النَّوري: لأن النَّور لا يشدون رحالهم على الدروب إلا في أوقات الحر الشديد من النهار صيفاً.

واللي اجوزَتْ اليُوْمْ.
صَارَتْ حُبْلِهْ وَزَعْلانَهْ.

وربما تشير هذه الأغنية إلى ظاهرة اجتماعية عند جماعات النَّوَرْ التي كانت تتجول في منطقة جنوب سورية، إذ تحكي العلاقة الزوجية بين أفراد جماعات الدُّوْمْ، التي يكثر فيها الشجار والخلافات الزوجية، والتي تؤدي إلى الطلاق وإنْ كانت واقعة الزواج غير قديمة.

ويُطلق على جماعات النَّوَرْ أيضاً تسمية ـ «جَنْقَلَهْ» ـ كقول أهل حوران عندما يريدون أن ينعتون مجموعة من الأشخاص يمشون مع بعضهم بشكل فوضوي، ويتكلمون مع بعضهم بصوت مرتفع وبدون نظام بصيغة: والله مثل جَنْقَلَهْ النَّوَرْ. أو يطلقون هذه التسمية على مجموعة من الأشخاص يمشون في الطريق، ولها سمات المجموعة الأولى نفسها، الفوضى في الحديث والمشي معاً، ودون أن ترى «شو هالجنْقَلَهْ». إن هذه التسمية تركية الأصل لكنها حُرِّفَت بعد تعريبها وقد جاءت إلينا عندما كانت بلاد الشام تخضع للاحتلال العثماني، ففي تركيا يطلق على جماعات النَّوَرْ تسمية جينكاني Jehinghanie.

أما تسمية النَّوَرْ Al Nawar: فهي سائدة في بلاد الشام (سورية ـ الأردن ـ لبنان ـ فلسطين) وتُطلق على تلك الجماعات البشرية التي تعيش بين ظهرانينا، وتختلف عنّا بنمطها المعيشي الذي كان وما زال يقوم على التجوال، وبثقافاتها الاجتماعية والروحية والمادية، التي تتحدد من خلال معالم شخصية الفرد من هؤلاء النَّوَرْ، مما يجعل سلوك الإنسان ـ النَّوري ـ غير مشابه لسلوكنا نحن سكان بلاد الشام. ولكلمة النَّوَرْ عند أهل الشام دلالات أنثروبولوجية تعني الاحتقار والعيب والدونية لمن يُنعَت بها كائن من كان بسبب نمط معيشتهم القائم على (التَّسوُّل والرقص وفتح البخت والوشم، عن نساء القبيلة وصنع الأمواس والخناجر ومقصات شعر الأغنام والمبارد والخواتم المعدنية الرخيصة، وملاقط النار والمناجل والغرابيل وأجران القهوة، المهباج، وفُرَيْرات* الصبيان

---

* - فريرات: فُرَنيحات تعمل من الورق وتنسبت على قضبان، حيث يوجهه الأطفال نحو اتجاه حركة الهواء. فتدور الك الفرنيحات، فيفرح الأطفال بحركتها وبصوتها.

من الورق الملون، عند رجالهم الذين لا يحرثون ولا يزرعون، إنما يجمعون المال في مجالس اللهو والشرب، والنفخ بالناي والنقر على الطّار والعزف على الرباب)[1].

أما الأصول التاريخية واللغوية لتسمية – النَّور - فلم أستطع مع الأسف التوصل إلى حقيقة ذلك، لكن هناك مجموعة بشرية توجد في وسط ـ نيبال ـ يُطلَق على أفرادها تسمية قريبة بلفظها من كلمة ـ نَوَرْ ـ وهذه التسمية هي «Navar».

وتعيش جماعات ـ Navar ـ نافار ـ هذه في معظم أنحاء دلتا كاتامندو، إذ يشكلون معظم سكان عاصمة دولة نيبال، والقرى المحيطة بها. وقد استقر قسم من النافار Navar في أقدام جبال التيبت الجنوبية، حيث كانت هناك جماعة منهم تمتهن مهنة الصياغة. ويمارس أفراد ـ نافار ـ في نيبال إلى جانب مهنة التجارة مهناً عديدة هي: الحدادة ـ الصياغة ـ صناعة الجلود ـ النِّجارة ـ صناعة الفخّار والخزف ـ ويربون الدجاج، ومنهم من يربي الماعز والغنم، ويمارس قسم ضئيل منهم الزراعة. ويدين كافة أفراد نافار ـ Navar ـ في نيبال بالديانة الهندوسية، وبالديانة البوذية، لكن إيمانهم ضعيف، ويحدث الطلاق في مجتمعهم ويتم بسهولة مطلقة. وتجدل المرأة منهم شعرها الطويل في جدالة واحدة وتسدلها على ظهرها، وتلبس اللباس الطويل والفضفاض وتغطي رأسها بمنديل كبير[2].

إن تلك الصفات الثقافية المادية منها والروحية تجعل منهم أناس قريبون في بنائهم الاجتماعي والثقافي من جماعات النَّوَرْ في بلاد الشام الذين هم غرض الدراسة.

كما أن كلمة ـ Navar ـ المسمّاة بها الجماعة المذكورة آنفاً في منطقة كاتامندو، هي تسمية مطابقة لتسمية ـ نَوَرْ ـ لأنه لا يوجد في اللغة الروسية لفظ ـ وا ـ إذ يُستَعاض عنه بلفظ فا: Va، وبالتالي فإن تسمية ـ نافار ـ التي جاءت بالروسية في كتاب شعوب جنوب شرق آسيا هي تسمية ـ نَوَرْ ـ نفسها التي تُعرف في بلاد الشام. وبالتالي فإن عشائر النَّوَرْ ذات أصول تاريخية آسيوية هندية ونسبة إلى - نَوَرْ - سكان مقاطعة كاتا مندو في نيبال[3].

---

١ - البدوي الملثم –عرار - شاعر الأردن – مرجع سابق ص ١١٤.

٢ - شعوب جنوب أسيا - أكاديمية العلوم السوفيتية - موسكو – ١٩٥٨م ص٨٠٣ -٨٠٨. باللغة الروسية. / الموسوعة الإتنوغرافية لشعوب العالم.

٣ - النور: هي تسمية لمجموعة بشرية تعيش في مقاطعة – كاتامندو – في نيبال، وهؤلاء القوم شبيهون ببنائهم الاجتماعي، لجماعات النور في بلاد الشام.

أما تسمية القُرْبَاطْ: فهي التسمية التي يُعرف بها النَّوَرْ في كل من: أفغانستان ـ ألبانيا ـ يوغسلافيا ـ اليونان ـ أمريكا ـ المغرب العربي ـ وفي الشمال من سوريا ولبنان. وينقسم الباحثون حول الأصول اللغوية لكلمة ـ قُرباط ـ: فمنهم من يرى أنها تعود في أصولها إلى اللغة العربية من كلمة (غُرْبَة)، ومنهم يرى أنها من أصل لغوي فارسي من كلمة (غُوْرُبْ): أي التغيب أو عدم الحضور إلى البيت، حتى أن كلمة غُوْرُبْ يبدو من لفظها ودلالتها التجريدية أنها عربية، وقد تحرف لفظها بعد أن دخلت في وعاء المفردات اللغوية الفارسية.

لكنّي لا أميل إلى أي من الرأيين المذكورين، لعدم توفر المعطيات العلمية الأكيدة حول صحة كل من الافتراضين لأسباب منها:

١. إن قسماً من النَّوَرْ هم الذين يطلقون على أنفسهم تسمية القُرْبَاطْ ويفضّلون أن يُدعَوا بها من قبل الأناس الآخرين. وهؤلاء يتواجدون في منطقة عفرين.
٢. إن التسمية غالباً ما تكون ذات دلالة جغرافية عن المكان الذي كان قد جاء منه الشخص، أو الجماعة.
٣. وأحياناً تكون التسمية للشخص أو الجماعة وفقاً للمهنة التي يزاولونها وعلى هذا فإننا نرى:

أن تسمية القُرْبَاطْ التي يسمى بها قسم كبير من النَّوَرْ، هي تسمية تدل على مكان جغرافي، كان النَّوَرْ قد وُجدوا فيه، أو انطلقوا منه باتجاه أوروبا الغربية في الماضي من تاريخهم، وأن هذا المكان برأينا هو أقدام سلسلة جبال ـ الكاربات ـ التي تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ما بين خطي عرض (٥٠° ـ ٤٥°) شمال خط الاستواء. وبين خطي طول (٣٠° ـ ٢٠°) شرق غرينتش. ومما يدعم رأينا هذا ما يلي:

إن المنطقة الآنفة الذكر تُعدّ من أكثر مناطق العالم التي يوجد فيها جماعات النَّوَرْ حتى يومنا هذا. وهذه البلدان هي: رومانيا ـ هنغاريا ـ الجزء الشمالي من يوغسلافيا ـ تشيكوسلوفاكيا. وغالباً ما نطلق كلمة ـ قرباطي ـ في بلاد الشام للدلالة على صفة غير مستحبة في الشخص الكثير الكلام وبصوت مرتفع، وبدون معنى لثرثرته (فاجرْ) لكونه لا يتكلم الحقيقة، أو يريد طمسها.

تسمية القَرَجْ: هي كلمة تركية الأصل، وتُلفَظ ـ قره جي ـ ومفردها ـ قره چي ـ وأول من أطلقها على النَّوَرْ الفرس، وتعني تلك الكلمة: المتسول. فهناك إلى الآن جماعات من النَّوَرْ في أذربيجان، يُعرفون بتسمية (القَرَجْ) وتُلفَظ بـ كاراغي[1]. وتطلق هذه التسمية على جماعات النَّوَرْ في كل من منطقة الحسكة والمالكية والقامشلي وفي شمال العراق أحياناً.

وقد ورد في معجم تركي: أنّ كلمة كرجي «Karaji» «هي مرادفة لكلمة غجري أو جنكاني، وتعني عديم الحياء والأخلاق، وهم قوم من عبدة الأصنام، نشأوا في الهند ثم انتشر قسم منهم في إيران والعراق ومصر، ومنها تفرقوا إلى بلاد الفرنجة والأندلس. وورد فيه أيضاً أن – قره جي – مشتقة من –قراجي – بمعنى اللص وقاطع الطريق».

وذكر السيد علاء الدين السجادي: «أن القرج جماعة رحل، يمتهنون الحدادة، وصنع الغرابيل، وفتح الفأل، وتمارس نساؤهم بيع ما يعدّه الرجال من المنتجات اليدوية، ولا يزاولون مهنة تركيب الأسنان ولا التسول في منطقة الحكم الذاتي (شمال العراق) وتغلب عليهم اللهجة – الكرّيّة في اللغة الكردية التي يتكلمونها»[2].

---

١ - الغجر: دراسة تاريخية اجتماعية فولكلورية – جان بلو كليبر – ترجمة لطفي الخوري – وزارة الثقافة – العراق – بغداد عام ١٩٨٦م ص ٧٥.

٢ - عن كتاب الغجر والقرج في العراق - طه حمادي الحديثي – ١٩٧٩ ص ٢١.

تسميات النَّوَرْ في بقية البلاد العربية

- في القطر العراقي:

يُطلق عامة الناس في العراق على جماعات النَّوَرْ تسمية - الْكَاْوْلِيَّةَ - وقد تعددت الآراء حول أصل تلك التسمية: فقد ورد في القاموس الفارسي «فرهنك انذدراج»: أن مصطلح - كاولي - مرادف لمصطلح - لُوْرِي - الذي أُطلق على جمع من الهند، وقد حذفت الألف من اللغة الفارسية وصار - كُوْلِي - . أما الأب أنستاس الكرملي، فقد أطلق على النَّوَرْ في العراق ثلاثة تسميات وهي: الكاولية - الكُوليّة - الكُول، والواحد منها كَاْوْلِي أو كُوْلِي أو كُوْلِي، وترجع كلمة - الكول - في أصلها إلى طائفة من الأشرار والكفار، كانت تقيم في ناحية مولتان في الهند، ويرى أن الكَوْل أوالكولية من أصل هندي[1]. وأن منطقة مولتان Multan – تعرف حالياً بإقليم البنجاب في الهند.

وكان يعرف أفراد هذه الجماعة من النّور قديماً بتسمية زاتس أو – الزُّط – الذين يعتقدون بمبدأ خلق العالم من التهوبوت Tohubout، وإبداع كل شيء من التراب والطين، ويعبد النّور (الزط) الشمس إيزاكريس Isakris – المنبعثة من مهاماريا، من مرْيا العظيمة أو الأوقيانوس السماوي. ومما يروى في تقاليدهم «أن السماء كتابهم والنجوم آدابهم، وضياء الكواكب ملائكتهم، وفصول السنة والأشهر أنبياؤهم، والشمس والقمر كهنتهم، والعالم معبدهم، والله هو النور».

وقد روى – الفردوسي في كتابه – الشاه نامـا (الملوك)، ومن قبله حمزة الأصفهاني: إن – شنغال ملك كانوجيا – بعث عشرة آلاف موسيقي ومُغنٍ، إلى صهره – بُهرام غور – زوج ابنته عام ٤٢٠ ق.م. وكان الملك قد انتقى – العشرة آلاف شخص من رجال ونساء من المهرة على ضرب العود. وقد أعطى الملك ثوراً وحماراً لكل منهم، ليجعل منهم مزارعين، وأمر الملك بتزويدهم بألف حمل من الحنطة، وعليهم أن يفلحوا الأرض بالحمير والثيران، ومقابل تلك العطايا والهبات التي أغدقها الملك عليهم، أن

---

١ - الغجر والفرج في العراق – طه حامد الحنيفي – منشورات وزارة الثقافة العراقية – بغداد ١٩٧٩.

يعزفوا بآلات الطرب للفقراء مجاناً – كي يسعد شعب الملك. فأكل هؤلاء الثيران والقمح، وبعد سنة رجعوا إلى عند الملك صفر الوجوه، فأنبهم الملك وأمرهم: «كان يجب أن لا تبددوا البذار، لم يبقَ لكم إلا الحمير، فحملوها أمتعتكم، وحضروا آلاتكم الموسيقية، وزينوا أوتارها، بشرائط الحرير وارحلوا! ولا تزال قبائل ZOTT أو اللوري رفقاء الكلاب والذئاب في الذهاب والإياب، وفي المأوى والغياب، مستعدة للسلب والنهب في الدروب، أثناء الليل وأطراف النهار». وأن هؤلاء – الزط ZOTT – قد ظهروا في القرن السابع الميلادي، وبعضهم فرّ من معسكر الفرس واعتنقوا الإسلام، وأقاموا في البصرة، وقسم آخر استوطن أنطاكية وسواحل سوريا[1].

ويرى الدكتور مصطفى جواد: أن تسمية ـ كاولي ـ جاءت من الكابلي نسبةً إلى كابول، عاصمة أفغانستان. ولكن هذا لا يعني أنهم من الأفغان، وإنما كانت كابول طريقهم الذي مرّوا به من السند إلى إيران، خاصةً أن مدينة كابول تسيطر على المدخل الغربي لمر خيبر الاستراتيجي، والذي يصل ما بين أفغانستان وبلاد السند[2].

وقد جاء في المجلد الإتنوغرافي وسط آسيا وكازخستان باللغة الروسية أن كلمة ـ كاولي ـ مرادفة لكلمة ـ لوري ـ وتعني بالفارسية ـ الكاوليّة ـ مُغنُّو الشوارع الفقراء[3]. ويتوزع النُّوَرْ الكاولية في المحافظات الجنوبية من العراق وتمارس نسوة هؤلاء النُّوَرْ الغناء والرقص، وهم شبيهون بـ نور ـ الحجيّات ـ في بلاد الشام كما هو متعارف عليه، إذ تمتهن نساء هذه الجماعة الرقص والغناء.

- يُطلق على جماعات النُّوَرْ في شمال العراق تسمية القَرَجْ:

يتواجد النُّوَرْ من جماعات القَرَجْ، في منطقة شمال العراق، وهم جماعة متنقلة، يمتهن أفرادها الحدادة، وصنع الغرابيل، وفتح الفأل. وتقوم نساؤهم ببيع ما يعدّه الرجال من المصنوعات اليدويّة. ولا يزاولون مهنة تركيب الأسنان، ولا التسول. وتغلب على اللغة الكردية التي يتكلمونها إلى جانب لغتهم الأم، اللهجة اللّريّة[4].

---

١ - نقلاً عن كتاب سيرة الغجر – جورج ليان ص ٢٤.

٢ - المرجع السابق ص ١٧.

٣ - المجلد الثاني لوسط آسيا وكازخستان – باللغة الروسية – موسكو ١٩٦٣ ص ٥٩٧ – ٦٠٩.

٤ - عن المؤرخ السيد علاء الدين السجادي، في مقابلة مع مؤلف الكتاب الآنف الذكر، الغجر والقرج في العراق ص٢١ لمؤلفه طه حامد الحليفي – العراق – بغداد ص ٧٥، ١٩٨٦.

أما الأب - أنستاس الكرملي - فقد ذهب: إلى أن تسمية - القرج - تطلق على جماعة من النَّوَرْ توجد في أطراف الموصل وبعض أنحاء بغداد، وتتميز بالجشع والطمع والسرقة، وتدعي الانتساب إلى القرشيين. ويرجع الأب أنستاس أصول هذه الجماعة إلى مدينة كَرَجْ أو قَرَجْ الواقعة بين همدان وأصفهان، دون أن يحدد تاريخ نزوحها عن وطنها الأصلي، ودون أن يحدد انتماءها السلالي والقومي. واكتفى بالقول إنهم ((من عنصر فارسي أو يكاد فارسياً أي كردياً كذا؟)).

إننا لا نتفق مع الأب أنستاس الكرملي في قوله: **أن القرج من أصول فارسية أو كردية، لأن جماعات النَّوَرْ على اختلاف مهنهم قد نزحت من شبه الجزيرة الهندية ذات المجتمعات المقسمة إلى طوائف مهنية ضمن تراتب اجتماعي صارم.**

أما إرجاعه لهذه الجماعة من النَّوَرْ في أصولها إلى مدينة (القرج) الواقعة بين همدان وأصفهان، فهو إرجاع خاطئ في رأينا، وأن الأصح والأقرب إلى المنطق أن جماعات النَّوَرْ التي تمارس مهن: الحدادة - صناعة الغرابيل - فتح الفال. والتي تقوم نساؤها ببيع المنتجات اليدوية لرجالها أنهم قد توقفوا طويلاً في بلاد فارس وفي منطقة مدينة الْكَرَجْ، ومن ثم انطلقت هذه الجماعة نحو الغرب باتجاه شمال العراق وسوريا، مما حدا بالناس أن يطلقوا عليهم تسمية المنطقة التي جاؤوا منها وهي (القرج). أو أن أفراد هذه الجماعة على الأغلب أطلقوا على أنفسهم اسم المدينة التي كانوا يتواجدون حولها لفترة زمنية طويلة. وهذا مألوف لدى جماعات النَّوَرْ عندما يذهبون إلى مناطق جديدة، إذ يسمّون أنفسهم باسم المنطقة التي جاؤوا منها. وهذا ينطبق على جماعات النَّوَرْ في السودان، حيث يُعرفون بتسمية - الْحَلَبْ - نسبة إلى منطقة حَلَبْ في شمال سوريا والتي قدموا منها إلى أرض السودان. كما أننا لا نتفق مع السيد طه حماذي الحذيفي الذي عدَّ جماعات القرج هم ((خليط من عدة جماعات بشرية كالأكراد، والترك، والعرب، وأقوام أخرى قدمت من إيران وتركيا إلى العراق في فترات زمنية مجهولة ليس بالمستطاع تحديدها))[1]:

---

[1] - الغجر والقرج في العراق – مرجع سابق ص ٢١.

فَالْقَرَجُ هم برأينا: هم جماعة من النَّوَرْ قدمت من الهند، واتخذت جماعاتها عدة محطات في طريقها نحو الغرب، كان من بين تلك المحطات – منطقة مدينة - قرج – الواقعة ما بين مدينتي أصفهان وهمدان في إيران – مما أدى هذا إلى اعتقاد البعض - وهو اعتقاد غير صحيح – أمثال أنستاس الكرملي، أن هذه الجماعة من النّور من مدينة – قرج – الإيرانية، وارتأى أن هؤلاء القرج: أنهم من عنصر فارسي أو تركي أو كردي[1]. وأن توقف جماعات نُوَر القرج لأزمان طويلة في كل من بلاد الفرس والترك والعرب، مما أدى إلى تكيّف أفراد تلك الجماعات مع البيئات الاجتماعية التي حطت رحالها بين ظهرانيها، إذ تأثروا بمؤسسات البناء الاجتماعي للأقوام التي عاشوا بين ظهرانيها من فرس وترك وعرب. وهذا ما حدا ببعضهم أن يرجع هذه الجماعات إلى أصل عربي من قبيلة بني مرّة كما يقول ذلك - طه حمادي الحذيفي - عن الأسر القَرجيّة المخيمة في منطقة ـ تَلْ عَفَرْ ـ إنها تنتمي إلى قبيلة بني مرّة العربية.

وينطبق القول السابق على الأسر القرجية التي تقطن في منطقة القلعة بمدينة كركوك، وفي محلة العرب في ـ أربيل ـ إذ يرى طه حمادي الحديثي خطأ أنها تركية تنتمي إلى قبيلة ـ مهرالي بك التركية ـ التي نزحت إلى العراق كما يذكر السيد طه حمادي الحديثي في أواخر الحكم العثماني. ولكن لم تتهيأ لها فرصة الحصول على الجنسية العراقية. إن هؤلاء القرج، ليسوا بأتراك، وإنما هم من النَّوَر الذين عاشوا ولزمن طويل بين ظهراني شعب تركي القومية، فاكتسبوا اللغة والعادات والأعراف التركية، وما هم بأتراك، وإنما هم نُوَر الأتراك. ويعيش هؤلاء القرج بعزلة اجتماعية كاملة عن الشعب التركي المحبط بهم. وينطبق القول السابق على النَّوَرْ القَرَجْ الذين يوجدون في محلة طيراوة في أربيل إذ يُرى أنهم فرس، وقد وفدوا إلى العراق من قلعة ـ دَمدَم ـ في مقاطعة الرضائية شمال غرب إيران بعد تدميرها على يد الشاه عبّاس الصفوي في عام /١٦٠٨م/. فهؤلاء ليسوا بفرس، وإنما هم من النَّور الذين عاشوا بين ظهراني الفرس.

---

١ - عن كتاب: الغجر والقرج في العراق – طه حمادي الحديثي – جامعة الموصل ١٩٧٩م – ص ٢٠ – ٢١.

وقد ورد في أحد المعاجم اللغوية التركية بخصوص كلمة - القرج - أن كلمة قرجي مرادفه لكلمة غجري أو جنكاني، وتعني مجموعة من الصفات منها: عديم الأخلاق والحياء. وهم قوم من عبدة الأصنام نشؤوا في الهند، ثم انتشر قسم منهم في إيران والعراق ومصر، ومنها تفرقوا إلى بلاد الفرنجة والأندلس مزاولين فيها حياة التنقل وعدم الاستقرار، وورد فيه أيضاً أن قره جي مشتقة من قراجي بمعنى اللص وقاطع الطريق[1]. ويتكلم أفراد القرج في شمال العراق، باللغة الكردية إلى جانب لغتهم الأم والتي تُعرف بـ «لغة الضوم واري»:

النَّوَر المطاربة: هناك جماعة من النَّوَرْ تعيش في شمال العراق، يعرفون بالمطاربة، حيث يستقرون في بيوت سكنية ثابتة، ويزاول الرجال من هذه الجماعة فقط الضرب على الطبل، والعزف على الزرنايا في الاحتفالات الأسرية والرسمية الخاصة بالمجتمع الكردي. وتمتاز الأسر المطربة بأنها محتشمة، وتتكلم اللغة الكردية إلى جانب اللغة الخاصة بهم، ويدينون بالدين الإسلامي، ومعظمهم متجنسون بالجنسية العراقية. ويسكن هؤلاء في: سميل - دهوك - لاخو - وفي قضاء سنجار[2]. وهؤلاء يُطلق عليهم أيضاً في بلاد الشام تسمية (المَطَارِبَة) حيث يمارس الرجل الضرب على الطبل والزمر دون النساء، في حين أن النساء يمارسن الشحادة، وفتح الفال بعيداً عن أماكن سكناهم. وهناك جماعات في منطقة البصرة - العمارة - الزبير، يُعرفون باسم المِعَيْدِيَّة ومفردها إمْعَيدي. والمرأة عندهم تمارس مهنة بيع الحاجات النسائية: حنّاء - حَلَق - أبر - مسال - كشاتبين - خيطان - علكة - أصبغة... إلخ، وتمارس الشحادة في حين أن الرجال يقومون بأعمال شاقة كالحمالة والزراعة والبناء ويطلق على إحدى جماعات النَّوَرْ في العراق اسم - الحَدَاحْدة: وهم يقومون بصنع أدوات الحراثة اليدوية، ويَصْنَعُونَ الأساور من النحاس والفضة والألمنيوم. ويقومون بصنع الأساور، والخواتم والخُوَصْ (السكاكين) والخناجر، والشَباري ومفردها شِبْرِيّة، ويعرف هؤلاء من النّور - بتسمية السمكريين — وهؤلاء موجودون في منطقة بلوجستان — في الباكستان. وهم في صفاتهم العرقية، والثقافية والاجتماعية، يشبهون جماعات - الدُّوم Dom في شمال الهند، والذين هم في عداد المضطهدين. وقد وصفهم ماسمون Macmunn — أنهم «لعلّهم من أوسع المضطهدين انتشاراً،

---

١ - المرجع السابق ص ٢١.

٢ - الغجر والقرج في العراق - مرجع سابق ص٢٧.

فأصلهم غير معروف، ولكن الإنكليز يميلون إلى الاعتقاد بأنهم يعودون إلى ذلك الشعب الذي اجتاحت بلاده الموجة الآرية، وأرجعوا نسبهم إلى الدرافيدية Dravidian. وللدّوم بشرة داكنة وهيئة بدائية، أما ديانتهم فهي خليط عجيب من عقيدة لعبادة الطبيعة غير واضحة لنتبيّن منها أصلهم، فهي مجموعة من القصائد التي تبدو الألوهية والانتساب إلى المجهول ولبعض الأولياء المجهولين – ويكرمون (الكالي – ما) والمهادو – والكنج. وتنتشر بينهم دائماً الديانات المحلية الأخرى».

ويقول الباحث بعلم النّوريّات – جوان كليبر – في مجال ديانة النّور: «إن بعض النّور المعاصرين ما زالوا يقدسون الآلهة السوداء – كالي – هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن للغجر ميزة ينفردون بها وهي: اعتناقهم أديان ومعتقدات الشعوب التي يسكنون بينها ويصبحون أشدّ إيماناً من أصحاب الدين الأصليين»[1].

- النُّوَرْ في إقليم الأحواز (عربستان):

تعيش جماعات من النُّوَرْ في إقليم ـ الأحواز (عربستان) ويُسمُّون بـ **الكواولة** أو **الكاوليون**. ويُدعى الرجل ـ كاولي ـ والمرأة كاوليّة. ويتراوح عددهم بحدود العشرة آلاف نسمة. ولا يتزاوج الكواولة مع عرب إقليم الأحواز على الرغم من تعاطفهم الشديد معهم تجاه العنصر الفارسي ولا تتزوج بناتهم من العرب (الْغَرْبي) إلا في حالات نادرة، تصبح فيها الفتاة منبوذة من مجتمعها النُّوري الكاولي، لأنها شقّت عصا الطاعة على العرف السائد لدى مجتمعها الذي يحض على الزواج الداخلي. ويمارس الرجل الكاولي مهنة العزف والجر على الربابة، وهذا ما جعل أهل الأحواز يقولون ((يَرَبْرِبْ يَاكُلْ وِنْ مَا رَبْرَبْ مَا يَاكُلْ)) ـ ويُطلَق على النساء الكاوليات أحياناً في الأحواز الحجِّيات أو بنات الهوى، حيث تمتهن المرأة الكاولية الغناء ـ ويرتبط الكاوليون في الأحواز بالرباط العشائري فيما بينهم ومن شيوخهم المشهورين الشيخ – **قشعم** -.

ويعتقد أهل الأحواز بخرافة تدور حول النُّوَرْ وتتلخص بأن جدّهم قد تزوج من أخته فحلّت عليه لعنة الله وعلى نسله من بعده إلى يوم الدين[2].

---

١ - الغجر: دراسة تاريخية، اجتماعية، فلكلورية – جوان كليبر – ترجمة لطفي الخوري – دار الشؤون الثقافية العامة – العراق بغداد ١٩٨٦م – ص ٣٧ -٣٨.

٢ - مقابلة أجراها المؤلف مع طالب عربي من إقليم الاحواز (عربستان) كان يدرس الطب في جامعة دمشق – ١٩٩٢.

ـ تسمية النَّوَرْ في البحرين وبقية منطقة الخليج العربي:

يُعرف النَّوَرْ في البحرين بتسمية ـ ميناويِّة ـ نسبةً إلى منطقة ـ ميناو ـ في إيران التي قدموا منها إلى البحرين وهم مسلمون على مذهب أهل البحرين، ويمارس أفراد هذه الجماعة الرقص والغناء الصاخب، لدرجة أنهم يرقصون على الجَمْر ذي الحرارة المرتفعة.

توجد في البحرين جماعة أخرى تُعرف بتسمية ـ شَرْشَنيِّة ـ مفردها شَرْشَن، وغالباً ما يلفظ أهل الخليج كلمة ـ شَراشِنهْ ـ أو ـ شَرْشَنيّهْ. ويُقال للرجل النَّوري شَرْشِني وللمرأة شَرْشَنية. وتعمل النساء من النَّوَرْ الشَّراشِنَة في بيع الحاجات البيتية والخاصة بالنساء كالحنَّاء والزعتر الأخضر والمقصّات والإبر والمسال والمرايا والعلكة، إذْ تحمل المرأة الشَّرْشَنيِّة هذه الحاجات في كيس من القماش الأبيض على ظهرها ماسكة فتحته فوق أحد الكتفين. وتمارس المرأة الشحادة إلى جانب بيع الحاجات المذكورة. وترتدي نساء الشَّرْشَنْ لباس المرأة الخليجية نفسه من عباءة، وبرقع على وجهها، كما أنها تقوم بالتبصير وفتح الفال للنساء. وتدل كلمة شَرْشَني عند أهل الخليج على الذي يتكلم بصوت عالٍ مع الإكثار منه، ويُقال للشخص الكثير الكلام بصوت عال ـ مِثْل الشَرشِني. ومما يجدر ذكره أنه في منطقة الكويت توجد هناك قبيلة تُعرف باسم ـ الصُّلِيبي ـ حيث يُنظر إلى أفرادها نظرة دونية، والأغلب أن أصولهم من النَّوَرْ...

وهناك جماعات من النوَر في السعودية، يطلق عليهم تسمية الصُّلَبْ ـ ويقيمون في مدينة ـ حائل ـ حيث لهم حيٌّ يعرف بحي ـ الصُّلَبْ ـ حيث يمارسون أعمالاً غير أخلاقية.

ـ تسمية النَّوَرْ في السودان ومصر:

يعزف النَّوَرْ في السودان بتسمية ـ الْحَلَبْ ـ نسبةً إلى المنطقة التي جاؤوا منها، وهي منطقة حلب في شمال سورية.

تسمية النَّور في مصر:

١- الْغَوَازِي: يطلق المصريون على جماعات النَّور الذين يعيشون بين ظهرانهم ـ لقب الغوازي. وهي أحد القبائل النَّورية التي تسكن كما يقول Hutton في شمال ووسط الهند. ويقع ترتيبها في أدنى درجات السلم الاجتماعي للطوائف الهندية ويسمُّون هناك

بطائفة الغازية[1]. إن المحافظة على التسمية الأصلية التي تطلق على أفراد تلك الطائفة في موطنهم الأصلي وسط وشمال الهند، وفي منطقة سكناهم الحالية في مصر لخير شاهد على أن أصول هذه الجماعات البشرية التي تمتهن الغناء والرقص والطبل والزمر والعزف على الربابة، وقراءة الطالع، وسبك المعادن، وصناعة الأدوات الزراعية والحلي من خواتم وأساور في مصر، يعود إلى القبائل المتجولة في منطقة شبه القارة الهندية.

٢- الغجر Al Ghajar: غالباً ما يُطلق في بلاد المغرب العربي ومصر، على جماعات النَّوَرْ تسمية الْغَجَرْ علماً أنّ ـ النَّوَر ـ أنفسهم لا يحبون تلك التسمية، التي يجدون في دلالتها اللغوية، انتقاصاً لكرامتهم من قبل المجتمعات البشرية التي يعيشون بين ظهرانيها في معظم أنحاء العالم. لكنهم يحبون بأن يُنعتوا بتسمية ـ الدُّوم ـ أو ـ الضُّوم. وأن كلمة – الغجر – هي تحريف لاسم قبيلة نُوَرية في الهند تعريف بـ - الفانجارا Vanjaar - حيث يسكن أفراد هذه العشيرة ضواحي مدينة – بومباي – و -كوجرات – ورماها رشترا، وحيدر أباد. حيث يعملون في التسول وصناعة الحلي المزيفة، ويعيشون على شكل جماعات متنقلة، ويستعملون الحجر دون العربات في تنقلاتهم، وينامون في الخيام. ومن الطريف أن هناك بلدة بمنطقة الجولان في سورية، تعرف باسم – الغجر – تقع على الحدود السورية اللبنانية في الجزء الغربي من جبل الشيخ (حرمون). وربما أن التسمية جاءت من جماعات النّور، التي كانت في الماضي البعيد تأتي إلى الجولان في أيام فصل الربيع مع حيواناتها من خيول وحمير هزيلة، كانوا قد اشتروها من الفلاحين بأثمان بخسة فيسمّنوها، من ثم يبيعونها في نهاية فصل الخريف للفلاحين بأسعار غالية.

ـ تسمية النَّوَرْ في التراث الفكري العربي:

عُرف النَّوَرْ في كتب التراث العربي الإسلامي في العصور الوسطى بتسمية ـ الزُّطْ ـ أو ـ السَّيَابِجَة ـ ومفردها ـ سبجي ـ أو ـ سَابجي ويعود أفراد كل من الجماعتين المذّكورتين في أصولهم التاريخية إلى بلاد السِّنْد في شبه القارة الهندية.

١- الزُّطْ: هم جيل أسود من السِّند، وإليهم تُنسَب الثياب الزّطّية، وقيل ـ الزُّط ـ وهي تعريب لكلمة ـ جُتْ ـ الهندية، وهم جيل من أهل الهند.

---

١ - Hutton: Les costes de l'inde, ١٩٤٩.

وقال أبو النجم مادحاً فتاة من جماعة الزُط قد أهداه إياها خالد بن عبد الله كجارية من سَبْي الهند أرجوزة مطلعها:

عُلّقْتُ خَوْداً من بنات الزُطْ[1]

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية بخصوص كلمة أو تسمية ـ الزُطُ ـ مايلي:

ينطبق بها ـ زِط ـ بكسر الزاي في دمشق: وهي اسم قوم أو جيل. وأن الاشتقاق المحقق أن ـ زط ـ من الفارسية. وقد ذكر ـ البلاذري ـ في كتابه ـ فتوح الشام ـ والمتوفي ٨٩٢م: أن الزط قد استقروا في ثغور الخليج العربي قبل ظهور الإسلام شأنهم بذلك شأن جماعة أو قوم السبايجة. وقد ورد هذا القول أيضاً على لسان المؤرخ «حمزة الأصفهاني» في صدر القرن العاشر. وذكر الفردوسي المتوفي ١٠٢٤ في كتابه الشاهنامه الكثير عن جماعات ـ الزّط ـ أو ـ الزُط ـ ، فقد ذكر: أن الكثير من الزط قد استقروا في البطاح بين واسط والبصرة، وازدادت سطوتهم في عهد الخليفة المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٣م) فانتفضوا عليه جهرة، وقطعوا أسباب الاتصال بين البصرة وبغداد، ولم يستسلموا إلا عام ٨٣٤م، مشترطين أن يأمنوا على أموالهم وأرواحهم.

وذكر الفردوسي أيضاً ومن قبله الكثير من علماء العصور الوسطى المسلمين: قصة مجيء الزط إلى منطقة جنوب العراق مفادها:

أن ملك فارس بهرام جور (٤٢٠ ـ ٤٣٨م) سأل ملك الهند ـ شانغال ـ أن يرسل إليه عشرة آلاف ـ لوري ـ منْ الرجال والنساء البارعين في العزف على العود.

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية بشأن الزُط أيضاً ما يلي:

((إن النصوص العربية والفارسية تقول: إن الزط هاجروا لسبب من الأسباب من الهند، إلى فارس، ومن فارس إلى الجزء الأدنى من آسيا وأوروبا). وتعيش على الشاطئ الشرقي لجزيرة ـ مدغشقر ـ قبيلة تُعرف باسم ـ أوندازاتسي ـ ، ويُكتب هذا الاسم عادة في ـ مدغشقر ـ بالعربية: ـ أجة ـ أو ـ أجت ـ أو ـ أذت ـ أو ـ زط ـ . ويقول جيرانهم المدغشقريون في الجزء الجنوبي الشرقي: أن ـ الأوندازاتسي ـ يضاجعون المحارم سراً، ولكن المماثلة بين: ـ أوندازاتسي ـ و ـ جات ـ و ـ زط ـ أدق من أن يكون عن طريق

---

[1] - لسان العرب - المجلد ٧ - ص ٣٠٨.

المصادفة[1]. وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية بخصوص حدود المنطقة التي يتواجد فيها جماعات ـ الجتُ ـ المحدثون ((يحدّها من الشمال سلاسل جبال هيمالايا، وغرباً بالسند، وجنوباً بخط يمتد من حيدرأباد والسّند، إلى أجمير دبهوبال، وشرقاً بنهر الكبخ. ويعيش قليل من ـ الجات ـ أو ـ الجت ـ فيما وراء السند عند بشّاور وفي بلوجستان، بل هم يعيشون إلى الغرب من سلسلة جبال سليمان. وأخيراً نجد في ـ كرمان ـ والعراق خليط من الجت والغجر (النُّوَرْ) ويوجد علاوةً على ذلك نحو ٥٠/ ألفاً/ آخرين في مكْران وأفغانستان (كلكه ـ انجان كانتكو)).

٢- **السَّيَابجَةْ**: جاء في لسان العرب: أن السَّيَابجَةْ قوم ذو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها، واحدهم سبجي، ودخلت في جمعه الهاء للعجمة والنسب. ويقول ابن السكيت السيابجة قوم من السند يُسْتَأْجَرُوْن لِيُقَاتِلُون، فيكونون كالمبذرقة.

وقال الجوهري: السَّيَابجَةْ قوم من السند كانوا في البصرة جلاوزةً، وحرّاس السجن، والهاء للعجمة والنسب، وقال يزيد بن المفرغ الحميري:

وطَمَاطِمَ من سَبَابِيجَ خُزْرٍ يُلْبِسُونِي مع الصَّبَاحْ القُيُودا[2]

وجاء في دائرة المعاف الإسلامية: أن السَّيَابجَةْ اسم قوم وتقرأ سيابكه. ويقول ـ البلاذري ـ: إنهم كانوا قبل الإسلام بالسواحل (على سواحل الخليج العربي). وفي عهد الخليفة أبي بكر (٦٣٢ ـ ٦٣٤م) كانوا في (الخط) في البحرين، حامية من السَّيَابجَةْ والزط وكثيراً ما يذكر هذان القومان سوياً، وإن كان لا يربط بينهما صلة أو نسب.

وفي سنة (١٧هـ، ٦٣٨م) عقد الأساورة (مفردها الأسواري)، وهم فرسان من الأعاجم كانوا في خدمة ملك الفرس، معاهدة مع القائد المسلم (محمد القاسم الثقفي) وصدّق عليها الخليفة عمر بن الخطّاب، وأخذوا على أنفسهم بمقتضاها أن يسلموا، ويدخلوا في خدمة العرب بشرط بأن يلحقوا بأشراف العطاء، وأن تطلق لهم الحرية في الانضمام إلى القبيلة العربية التي يؤثرونها، وألا يقاتلوا إلا الأعاجم، وقد حذا حذوهم السَّيَابجَةْ والزط، وانضموا جميعاً إلى قبيلة تميم العربية في سنة (٣٦هـ، ٦٥٧م). وكلّ

---

١ - دائرة المعارف الإسلامية: المجلد /١٢/ ص٤٠ - ٤١.

٢ - لسان العرب — المجلد الثاني ص٢٩٤.

السَّيَابِجَةُ ببيت مال البصرة، وكان جيش أهل الكوفة الذي هبَّ لنجدة الإمام علي ضد معاوية بن أبي سفيان يشمل جماعة من السَّيَابِجَةُ والزط[1].

ويتضح مما سبق: أن السَّيَابِجَةُ جندٌ يوثق بهم، وقد ألفوا العمل في البحر، وكانوا انضباطيين وشجعان ومخلصين لمن يستأجرهم، وهذه الصفات جعلت منهم أناساً يصلحون للخدمة في الجيش براً وبحراً وجنوداً ضباطاً في الشرطة، وسجانين وحراس خزانة. ومما يجدر ذكره أن النَّور مخلصين بعملهم الموكل إليهم، ويتفانون من أجله، وهم ذوي نخوة وحمية، قويو الشكيمة والمراس، إذا ما أحسن استخدامهم.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن ـ السَّيَابِجَةُ ـ من سلالة المهاجرين من أهل سومطرة، نزحوا إلى الهند، ثم إلى العراق والخليج العربي، حيث نجد شواهد على وجودهم قبل الإسلام.... وأن أهل سومطرة استعمروا مدغشقر في تاريخ متقدم جداً وكان الطريق الشرقي لديهم معروفاً.

ـ تسميات النُّوَرْ في بلدان آسيا

يُسمّى ـ النُّوَرْ ـ في بلدان آسيا بتسميات متعددة، وذلك بسبب التباين القائم بين جماعات النُّوَرْ المتنقلة، لاختلاف المهن التي تمارسها الجماعات النُّوَريَّة:

ففي بلاد الهند التي تُعدّ الموطن الأصلي للنُّوَرْ الذي انطلقوا منه إلى بقية أنحاء العالم، لا يزال يوجد فيها قبائل متنقلة، تمارس المهن نفسها التي يمارسها أفراد جماعات النُّوَرْ خارج الهند، ولها النمط المعيشي نفسه القائم على التنقّل الدائم، والبناء الاجتماعي العشائري ذاته، الذي تقوم فيه المرأة بتوفير أسباب المعيشة لأفراد أسرة زوجها عن طريق الشحادة بأشكالها المختلفة:

١) الغازية: يسكن أفراد هذه القبيلة شمال ووسط الهند، ويأتون في أدنى درجات السلم الاجتماعي قياساً إلى بقية الطوائف الهندية إذ يمتهن كثير من أفرادها الحدادة والصياغة والتبصير وفتح الفال والموسيقى والغناء وتربية الخيول والحمير للاتجار بها.

٢) لوري Luri أو Luli: هؤلاء أصولهم من الهند، حيث يمتهنون الغناء والرقص، وتربية القرود. وقد ذكر سائح إنكليزي قام بالتجوال في منطقة السند وبلوجستان

---

[1] - دائرة المعارف الإسلامية - المجلد /١٢/ - ص ٤٠ -٤٤.

بخصوص ـ جماعات اللوري النَّورية ما يلي ((اللوري شعب متشرد وهم قوم شبيه بالغجر الأوروبيين، يتكلمون لهجة خاصة بهم، لكل جماعة منهم ملكها الخاص. وسمعة بعيدة المدى في اللصوصية وقطع الطريق. يقضون أغلب أوقاتهم بالرقص والموسيقى والسكر، بالإضافة إلى آلاتهم الموسيقية الخاصة، فلكل جماعة ستة من القردة، والدببة، مدرَّبةٌ لتقدم ألعاباً بهلوانية، وفي كل جماعة شخصان أو ثلاثة يمتهنون قراءة الطالع والكشف عن المستقبل بطرق متعددة))[1]. وقد جاء في كتاب هاتون Hutton بعنوان – العشائر في الهند – بخصوص جماعات النَّورية اللوري: «من بين العشائر القاطنة في بلوجستان، من المناسب أن نذكر هنا اللوريين، السمكريين المتجولين، صاغة الذهب والفضة والجواهر، والمغنين الموسيقيين المتجولين، ونساء العاملات في القبالة، والعمال غير الماهرين، ونجدهم في كثير من الأوصاف مشابهين لشعب الدُّوْمْ القاطن في شمال الهند، ولكنهم يدّعون أنهم من سلالة عربية انحدرت من حلب، والحقيقة أنهم – نَوَرٌ: (غَجَرٌ) يعيشون بصورة خاصة على ساحل منطقة – مكران – إلى الغرب من – كراجي، وهم على الغالب رُحّل، ويبدو أن صفة البداوية هذه هي الغالبة في جميع أنحاء بلوجستان، ويعيش ثلث السكان في خيم وأكواخ وقنية، ويهاجر الكثير منهم مع تبدل الفصول من مكان إلى آخر وبصورة خاصة من بلوجستان إلى السند والعودة مرة أخرى».

إن المهن التي عددها المؤلف هي نفس المهن التي يمارسها – النَّوَر – في كل من أوروبا وبلاد الشام بما في ذلك التنقلات الموسمية، على ظهور الحمير في الماضي، وعلى السيارات والعربات في الحاضر.

ويرى – جان كليبر في – تسمية لُوْري – ما يلي:

(يبدو أن الاسم لوري Luri – صار – نُوْرِي Nuri. ويطلق على جماعة يقطنون سورية ومصر وفلسطين، وتبقى هذه العلاقة مشكلة قائمة. فكلمة نَوَري Nauari، هي مفرد لكلمة Nawar – نَوَرْ العربية وتطلق على الغجر القاطنين في البلاد العربية)[2].

---

١ - من كتاب: الغجر – دراسة تاريخية اجتماعية فولوكلورية – مرجع سابق ص ٢٥.

٢ - انظر كتاب: الغجر دراسة تاريخية، اجتماعية، فلكلورية – مرجع سابق ض ٣٥ -٣٦.

ويقول سائح إنكليزي في اللوري أو لوري: « اللوري شعب متشرد لا موطن معين له. وهم قوم لهم شبه غريب بالغجر الأوروبيين يتكلمون لهجة خاصة بهم، لكل جماعة منهم ملكها الخاص وسمعة بعيدة في اللصوصية، وقطع الطرق، يقضون أغلب أوقاتهم بالسكر والرقص والموسيقى، وبالإضافة لآلاتهم الموسيقية الخاصة، فإن لكل جماعة ستة من الدببة والقردة، مدربة لتقدم ألعاباً بهلوانية وفي كل جماعة شخصان أو ثلاثة يمتهنون قراءة الطالع والكشف عن المستقبل بطرق متعددة».

٣) **هانْدي فُوْغي** Handifogi: يمارس أفراد هذه العشيرة الشحادة والشعوذة والتنجيم، كما يعملون حواة. يقومون بتربية الأفاعي وتدريبها على حركات معينة، حيث يلفونها على أعضاء أجسادهم، دون أن تلدغهم.

٤) **كامي** Kami: يمتهنون الحدادة وصناعة الأساور والخواتم، ويوجدون في منطقة نيبال في الجزء الشمالي من شبه الجزيرة الهندية.

٥) **كاسار** Kasar **أو كاسيرا** Kasera: ينتقل أفراد هذه العشيرة في شمال الهند، وهم صنّاع معادن وسباكو قصدير. ويعملون في قصدرة الأواني النحاسية (يُطلَق عليهم في بلاد الشام اسم ـ مُبَيِّضينْ ـ .

٦) **كورافا** Korava:.يعيشون في منطقة التاميل ويمارسون التنجيم وقراءة الفال أو الطالع. وأعمال الشعوذة، إلى جانب امتهان مهنة اللصوصية والسرقة.

٧) **لوهار**: يوجدون في شمال الهند وهم من النَّوَرْ الصنّاع.

٨) نات Nat: وتُلفَظ أحياناً بـ ـ نُوْت ـ Nout. يعيشون في شمال الهند ويمارسون مهنة اللعب على الحبل، ومهنة الرقص. ويرى Hutton أن هؤلاء البهلوانيون يمتهنون الإجرام في الوقت نفسه. ومن الطريف ذكره أن أهل بلاد الشام يصفون الإنسان الكثير الصياح وقليل الحياء بكلمة ـ نوتي ـ ، فيقولون ((هَذا وَاحَدْ نُوْتِي)) و((يخرب بَيْتَكْ شُو نُوْتِي)). أما العالم الأنتروبولوجي برومليه، وبودولني المشهور فله رأي آخر في النَّوَرْ من جماعة ـ نوت Nout ـ وهو الأصح من ناحية نوع المهنة التي يمارسها أفراد هذه الجماعة في شمال الهند حتى يومنا هذا حيث يمارس الرجال منها مهنة المتاجرة بالخيول. أما الرقص والغناء والموسيقى فهو مهنة لجماعات ـ اللولي ـ أو ـ اللوري ـ ((ولا تزال قبيلة الناتيين الجوالة

تعيش في وطنها القديم «الهند» إلى الآن. ويشتري الناتيون الجياد ويبيعونها. ويعرضون شعوذاتهم في ساحات الأسواق، ويسوقون الدببة والقرود المروضة لعرضها))(١).

٩) تاثيرا Tathera: يمتهنون الحدادة وصناعة المعادن. ويُعرفون بأنهم حدادو شمال الهند.

١٠) جات أو جُت: هؤلاء من شمال الهند، ومن ثم وصلوا إلى آسيا وأوروبا بعد خروجهم من موطنهم الأصلي في شمال الهند. وهم صناع معادن، إذ يقومون بصناعة نعال الخيل (حذوة وجمعها حذوات الخيل ومنها تسميّة حذّاء الخيل)، ويصنعون أسرجة الخيول واللجام. ويقول ـ ماك مون Mac.Munn ـ بصدد الخدمة التي قدّمها هؤلاء النُّوَرْ من جماعات الجُتْ إلى جيوش الهون والتتار أثناء اجتياحها لأوروبا ((إن بوهيمي أوروبا ساروا إثر جيوش الهون والتتار والسلاجقة، وهؤلاء هم الذين عملوا في صناعة الحديد وشحذوا لنا مدانا وكانوا بلا شك هم الذين قاموا بشحذ سيوف وسلاح تلك الجيوش التي أذاقت أوروبا الأمرّين))(٢). وحسب رأي العالم بأصول وأحوال النُّوَرْ ـ فرانز دي فيل ـ : أن قسماً كبيراً من هؤلاء البوهيميين عُرفوا باسم ـ الجات ـ أو ـ الجُتْ ـ وفي العربية يُقال ـ الجط ـ أو ـ الزّطْ.

١١) كانجار Kanjar: يعيش أفراد هذه الجماعة في منطقتي وسط وشمال الهند ويمتهنون صناعة الحصر.

١٢) البانجاراز: ينتشر أفراد النُّوَرْ من جماعة البانجاراز في معظم أنحاء الهند، لكنهم يتواجدون بصورة أساسية في منطقة ـ حَيْدر آباد ـ . وهم فقراء متنقلون، لكن في الفترة الأخيرة بدؤوا بالاستقرار. ويقومون بتعاطي الأعمال الشاقة بما في ذلك الزراعة والبناء إلى جانب أعمال البيع والشراء في المدينة. وترتدي النساء الألبسة المزركشة الفاقعة في ألوانها شأنهن في ذلك شأن كافة نساء جماعات النُّوَرْ سواء كان ذلك في الهند، أو في بقية بلدان آسيا وأوروبا والعالم الجديد. وتزاول النساء الرقص للترفيه عن أنفسهن بعد إتمام أعمالهن المنزلية وخروج رجالهم إلى العمل. (الرقص ثم الرقص هداية

---

١ - برومليه بودولني: الإتنوس والتاريخ – دار التقدم – موسكو – ١٩٨٨ – ص ٢٢٨.

٢ - Mac Munn: Mouets et coutunes mes des basse classe de l'nde ١٩٣٤ – عن كتابه الفجر دراسة اجتماعية أنثروبولوجية – مرجع سابق – ص ٢٣.

نساء البانجاراز) «عندما يخرج الرجال إلى العمل، وتنتهي أعمالهن في البيت والسوق، يرقصن على ضرب الدفوف وقرع الصاجات وأذرعتهن بالأساور دائماً فوق رؤوسهن في عرض مستمر»[1]. وتمارسن نساء البانجاراز مهنة التسول، ويصنع الرجال الحلي المزيفة، ويعيش هؤلاء على شكل جماعات رُحّل، حيث يستخدمون الحمير في تنقلاتهم، ولا يستخدمون العربات في تلك التنقلات، وينامون في الخيام. ويستخدمون الطب السحري، لكنهم ليسوا حدادين ولا مشعوذين.

١٣) الدُّوم Dom: من العشائر النُّورية المعروفة في الهند منذ زمن طويل. وقد تكلمنا عنها في موضع سابق.

١٤) جهارا Ghara: يرى فيهم سكان أهل البنغال وبخاصة منطقة - كالكوتا - أو - كلكوت - وهم من العشائر النَّورية في الهند، ويعرفون عموماً بأنهم لصوص. ويتناقل الناس في البنغال قولاً يفيد: ((بأن الجهاري غير الماهر في النشل لن يستطيع الزواج))[2]، ويرى - جان بول كليبر Jean Paul Clebert - أنه من المحتمل أن تكون هناك علاقة بين جهارا، وبين الجوراري the tehurari، أو تجورار tchurar، أو شوراري churari، التي تسمى بها إحدى جماعات النَّوَرْ في الهند[3].

١٥) لا ماني Lamani: يميل أفراد هذه الجماعة إلى اللون الأشقر إلى حدٍّ ما. ويزينون بشرتهم بالوشم وخاصة النساء منهم. وترتدي نساؤهم اللباس الطويل، والأساور الثقيلة، والخلاخيل ذات الأجراس الكبيرة حول كواحل أرجلهن، ويتهمون بأنهم يختطفون الأطفال، ويرى أهل البنغال أن هؤلاء النَّوَرْ قد جاؤوا من إيران.

وبرأي أهل البَنْغَالْ أن النَّوَرْ الحقيقيين هم أفراد العشائر التالية:

١- القانجارا أو البانجارا الذين يوجدون حول - بومباي - كوجرات - ماهارمشترا.

٢- اللاماني Lamani.

٣- اللوري Luri.

٤- الجهارا Ghara، تُنطق الجيم - مثل الجيم المصرية - أو مثل القاف في حوران.

---

١ - مجلة العربي – العدد ٢٩٦ – تموز ١٩٨٣م – ص ١١٤.

٢ - عن كتاب الغجر: دراسة تاريخية اجتماعية فولكلورية – مرجع سابق ص ٣٩.

٣ - المرجع السابق ص ٣٩.

ويُطلق أهل البنغال على جماعات النُّوَرْ بشكل عام تسمية (بِيدي) Bede ومؤنثها بيديني Bedeni، والجدير بالذكر أن في الروسية توجد كلمة Pedni التي لها اللفظ ذاته، وتعني الفقير المُعدم، ولعلّ هناك أصول لغوية تاريخية مشتركة بين الكلمتين البنغالية Pedni والروسية Pednyπ (المؤلف)، وأما في اللغة السنسكريتية، فتعني كلمة النُّوَرْ - يايافار yayavar.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك جماعات بشرية تعيش في نيبال وخاصةً في مدينة - كاتأمندو - العاصمة وضواحيها، يعرفون باسم - نافار Navar - وهي قريبة من التسمية العربية - النُّوَرْ - والتي تدل على نمط معيشي محدد يقوم على التنقل وعدم الاستقرار، وأن المرأة هي التي تؤمن الغذاء لأفراد الأسرة عن طريق التسول، في حين أن الرجال يمارسون الحدادة والألعاب البهلوانية، وتربية السعادين والدببة ومزاولة الألعاب البهلوانية معها، والاتجار بالخيول، وصناعة الأدوات الزراعية كالغرابيل - كرابيل - وتبييض الأدوات النحاسية وطلائها بالقصدير، وسكب المعادن وفي مقدمتها: النحاس والفضة والتوتياء. لصناعة أدوات الحلي والأواني، إلى جانب صناعة أحذية الخيول وترتكز البيئة الاجتماعية على الأسرة التي تشكل الخلية الأولى في النظام العشائري عند أفراد تلك الجماعة، والتي لا تهتم بما يجري حولها من سياسة، وإن كانوا يُستخدموا أحياناً بين الدول وخاصةً الأوروبية منها في أعمال التجسس.

إلا أن أفراد جماعات — النافار — في نيبال، هم مزارعون ومربّوا حيوانات ومستقرون، ويمارسون الأعمال التجارية. مما يجعل أفراد هذه الجماعات غير متشابهين في النمط المعيشي مع جماعات النُّوَرْ المتنقّلة[1]. لكن لا بدّ من القول إن الإنسان النّوري عندما يستقر في بيوت ثابتة ويتخلى عن الترحال، وممارسة الأعمال اليدوية الأخرى التي كانت قد حرّمتها قوانين - مانو - في الهند، مع التخلي عن التسوّل وفتح الفال والغناء والموسيقى والرقص فإنه لم يعد نورياً. وربما ينطبق هذا القول على جماعات - النافار - في وسط وشمال نيبال، ومنها جاءت كلمة النُّوَر Al- Nawar.

---

١ - لمزيد من التفاصيل يُنظر إلى المجلد شعوب جنوب آسيا من الموسوعة الإتنوغرافية لشعوب العالم - موسكو - ١٩٦٣ - ص ٨٠٣-٨٠٨.

يؤكد الرحالة - أوريل شتاين Aurel Stein – الذي جاب أنحاء آسيا الوسطى، الأصل الهندي للنّور (الضُوم: Dom) بأن هناك جماعات من النّور في شبه القارة الهندية، لا زال أفرادها يمارسون المهن التي يزاولها بقية عشائر النور في بلدان العالم:

١- أن هناك جماعة من Dom: الضُوم في كشمير على درجة كبيرة من النباهة والذكاء والنشاط، حيث يناط بهم حراسة القرى بصفة مأمورين، ورغم عملهم هذا، فهم منغلقين على ذاتهم، ويعيشون حالة اغتراب عن فلاحي القرى، وأن هؤلاء الفلاحون يأبون الزواج أو التزويج من أفراد تلك الجماعة التي تعرف بالدُوم Dom.

٢- هناك جماعة من الدُوم في منطقة هيمالايا، إذ يقول أوريل شتاين: أنهم أصحاب مزارع وأرباب مهن يدوية مشهورين بصنع: الخلاقين (القدور)، والأسلال والحصر، وحذوات الخيل، ومنهم سيّافون لقطع رؤوس اللصوص، وأن هذه الأوصاف والمهن تنطبق كما يقول – أوريل شتاين – على النور في ألمانيا والذين يطلق عليهم تسمية روم Rom، والذين يمارسون نفس المهنة الآنفة الذكر.

٣- هناك مجموعة من النور Dom: الضُوم المسلحين في كراكوروم الغربية على مقربة من (جلجت) في ولاية (هونزا و - نغاز) الصغيرتين كما في أوروبا، منها اللغة الهندية. وأن هناك قرابة للغة الهندية التي تتكلم بها تلك الجماعة مع لغة لجماعة بشرية تعيش في منطقة (بنجاب) الهند وعلى ضفاف نهر الغانج، وقد اشتهر أفراد هذه الجماعة الضُوم: Dom بين سكان تلك المناطق بالمهن التالية: «الحدادة، واستعمال المنافيخ (الكور) الخصوصية والمصنوعة من جلود الماعز، وتصليح الأدوات الزراعية، وفي الشتاء ينصرفون لبيع ما لديهم من منتجات صناعية لفلاح منطقة النبجاب الهندية»[١].

---

١ - جورج ليّان: الفجر – أصلهم – لغتهم – تقاليدهم – مرجع سابق ص ٢٧.

ـ تسميات النَّوَرْ في بقية بلدان آسيا:

إن التسميات التي أُطلقت على النَّوَرْ في كل مناطق العالم هي متعددة، لتَعَدُّدِ الفرضيات التي تتحدث في الأصول الجغرافية التاريخية لأفراد هؤلاء القوم Ethnos الذين يمتلكون مقومات الشعب أو القوم، دون أن يكونوا مُقيمين على أرض جغرافية واحدة، وإنما هم منتشرون في كافة أصقاع العالم، لكنهم يحافظون على نمطهم المعيشي الذي كانوا قد اكتسبوه قبل آلاف السنين في منطقة شبه القارة الهندية قبل أن يتشتتوا في معظم أنحاء المعمورة.

ويؤكد كل من الباحثين الروسيين ن. ن. تشيكساروف، و ي. آ. تشيبكساروفا، الأصل الهندي للنور: أن النور الحاليين قد أضاعوا وطنهم القومي التاريخي، منذ أن أخذ أجدادهم يهجرون منطقة شمال الهند، في اتجاه الغرب منذ نهاية الألف الأول للميلاد، حيث وصلت طلائعهم إلى أوروبا في القرن الرابع عشر ميلادي من خلال مسارين هما:

١- آسيا الصغرى: دول منطقة البلقان: بلغاريا – اليونان – رومانيا – يوغسلافيا – هنغاريا، وذلك مروراً قبل ذلك في بلدان: أفغانستان – باكستان – إيران.

٢- باكستان – أفغانستان – إيران – العراق – بلاد الشام – مصر – ومن ثم إلى دول المغرب العربي، التي تعرف أحياناً بدول شمال أفريقيا، ومن ثم إلى إسبانيا[١].

ففي بلاد فارس وأواسط آسيا يُطلق على أفراد النَّوَرْ تسميات أهمها: الكاولي ـ جوغي ـ لولي Luli ـ لوري Luri. ولا تزال هناك منطقة واسعة في إيران تعرف باسم ـ لورستان. وتوجد في هذه المقاطعة جماعات متنقلة تشبه في نمطها المعيشي جماعات النَّوَرْ. لكن بعد الثورة الإسلامية فإن كافة أفراد هذه الجماعات قد بدؤوا بالاستقرار أو كادوا بتشجيع من الحكومة.

يُطلَق على النَّوَرْ في وسط آسيا التسميات المازانغ ـ القرج ـ السمكري في منطقة بلوجستان وفي أفغانستان: وهم متجولون وصياغ ذهب وفضّة، وصفّار نحاس. وإن

---

١ - ن. ن. تشيكساروف – ي. آ. تشيبكساروفا: الشعوب – السلالات – الثقافات – باللغة الروسية ١٩٧١ ص ٢٠.

السمكريين واللوريين المغنين والراقصين يتنقلون وفق المواسم من بلاد السند إلى منطقة بلوجستان ويعودون ثانية، ويُطلق على النَّوَرْ في أفغانستان تسمية كاولي Kauli. وفي تركيا وإلى حدٍ ما في سوريا تسمية ـ جَنْقَنِهْ Ginghnes ـ والكلمة الشائعة في بلاد الشام هي ـ الجَنْقَلَهْ ـ (حيث قُلِب حرف النون إلى حرف لام). وغالباً ما تُطلق كلمة جَنْقلهْ على مجموعة بشرية يمشي أفرادها معاً أو على دواب ويتحادثون بصوت مرتفع وبدون نظام وغير مفهوم. ويُطلق أحياناً على الشخص النَّوري تسمية ـ نُوْتِي ـ وهي مشتقة من كلمة أو تسمية ـ نُوتْ ـ وتعني في الجزء الجنوبي من بلاد الشام الإنسان الكثير الصخب وشديد البخل. ويُدعى النَّوَرْ أحياناً بتسمية ـ كراتشي ـ نسبةً إلى منطقة كراتشي، التي كانوا قد انطلقوا منها باتجاه الشمال والغرب، وتعني بالفارسية الأسود. ويُطلق على النُّوَرْ في إيران تسمية ـ زانكي ـ .

ويقول النَّوَرْ أنفسهم: إن سكان وسط آسيا هم الذين أطلقوا عليهم التسميات الآنفة الذكر وفي مقدمتها:

١- لولي Luli: تسمية يُطلقها أهالي ـ أوزبكستان ـ على جماعات النَّوَرْ.

٢- جوغي: تسمية يطلقها أهالي ـ تاجسكتان ـ على جماعات النَّوَرْ.

٣- المازانغ Mazans: وهم يمتهنون صناعة الحصر من النباتات التي على ضفاف الأنهار ومجاري السيول الفصلية والتي تُعرف في جنوب سوريا بـ /البُوْط والحَلْفا و- الزّيْنَا/ إلى جانب القصب. ويُطلق أفراد نَوَرْ المازانغ على هذه المادة تسمية تُوْلْ Tol، وإن نساء جماعات اللولي والجوغي تمارس مهنة الشحادة في حين نساء نَوَرْ المازانغ لا تمارس الشحادة.

أما نَوَرْ آسيا الوسطى فيطلقون على أنفسهم تسمية خاصة ـ موغات ـ وينقسم هؤلاء إلى قسمين وفق مناطق توزعهم الجغرافية:

- نَوَرْ ـ **موغات سمرقند** ـ وكانوا دوماً ينتقلون ضمن المنطقة الجغرافية لسمرقند.

- نَوَرْ ـ **موغات بخارى** ـ كانوا ينتقلون داخل حدود منطقة بخارى الجغرافية.

وهناك نور يُعرَفون بتسمية ـ كارشين ـ ونور ـ شارهيسيابزى. وتوجد جماعات هؤلاء النَّوَرْ في كل من بلاد التاجيك والأوزبيك. وترتدي نساء هذه الجماعة اللباس نفسه عند نساء التاجيك والأوزبيك باستثناء لباس الرأس الخاص بنساء هذه الجماعة

اللاتي يحافظن عليه وعلى وضعه على رؤوسهن ويطلقون عليه تسمية (الدُرَّة). ويخاطب الزوج زوجته من أفراد نَورْ الموغات بصيغة ـ موغات زان ـ أما الزوجة فتخاطب زوجها بأبي فلان[1].

ويتكلم النَّوَرْ في وسط آسيا بكل من اللغتين: التاجيكية، والأوزبكية.

أ- الأوزبكية: تدخل ضمن العائلة اللغوية (ألطاي، والقريبة من اللغة التركمانية، واللغة التركية.

ب- التاجيكية: تدخل هذه اللغة ضمن العائلة اللغوية الإيرانية، وهي قريبة من اللغة الكردية.[2]

لكن معظم النَّوَرْ في أواسط آسيا يستعلمون على نطاق واسع ـ لسان الرطانة argo: آرغو. ونسبة مفردات لسانْ الرطانة لنَورْ أواسط آسيا ٥٠٪ من مفردات اللغة التاجيكية و٥٠٪ رطانة فئة الدراويش من جماعة /عبد الملا/ في العصور الوسطى. وهم موسيقيون. وقد نمت هاتان الرطانتان من اللغة السريّة والتي تُعرَف بلغة ـ لوغا Luga، وهي لغة لفئة من بني ساسان في العصور الوسطى[3]. ويُطلق نور أواسط آسيا على رطانتهم تسمية (لافري موغات).

ـ تسميات النَّوَرْ في بلدان أوروبا وزمن ظهورهم فيها:

أطلق الأوروبيون على جماعات النَّوَرْ تسميات مختلفة منذ قدوم طلائع هؤلاء المتنقلين إلى الأراضي الأوروبية، وذلك خلال مدة تزيد عن سبعمئة عام (ما بين ٨٥٠ م ـ ١٥١٥ م) كما جاءت في كتاب الغجر لمؤلفه ـ جان بول كليبر وهي كالآتي:

- زمن ظهورهم في الدول الأوروبية:

١- بيزنطة عام ٨٥٠م.

٢- بوهيمية ما بين عامي ١٢٦٠ ـ ١٣٩٩م.

٣- كريت عام ١٣٢٢م.

٤- كورفو عام ١٣٤٦.

---

١ - المجلد الإتنوغرافي لوسط آسيا وكازاخستان – موسكو – ١٩٦٣ – ص ٥٩٧ -٦٠٩.

٢ - تشمل العائلة اللغوية الإيرانية اللغات: الفارسية – الكردية – الطاجيكية.

٣ - المرجع السابق ص ٥٩٧ -٦٠٩.

٥- صربية عام ١٣٤٨م.
٦- جنوب اليونان ومنطقة - زغرب (عاصمة كرواتيا) - عام ١٣٧٨.
٧- بازل وترانسلفانية عام ١٤١٤م.
٨- مولدافية والألب عام ١٤١٧م.
٩- ساكسوني وأوكسبرك ١٤١٨م.
١٠- جنوب فرنسا عام ١٤١٩.
١١- دانمارك عام ١٤٢٠.
١٢- روما عام ١٤٢٢م.
١٣- باريس عام ١٤٢٧.
١٤- ويلز (بريطانية) عام ١٤٣٠ - ١٤٤٠م.
١٥- برشلونة (إسبانيا) عام ١٤٤٧.
١٦- سكوتلندا ما بين عامي ١٤٩٢ - ١٥٠٥م.
١٧- روسية عام ١٥٠٠م.
١٨- بولندا عام ١٥٠٩م.
١٩- السويد عام ١٥١٥م. ويُعتقد أنهم وصلوا إلى السويد في حدود عام ١٣٠٣م.

وأما التسميات التي أُطلقت على جماعات النَّوَرْ القادمة إلى أوروبا من جهة الشرق فهي متعددة ومتباينة من أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

١- بريطانيا: الجبسي - Gypsy.
٢- الولايات المتحدة: الجبسي - Gypsy.
٣- فرنسا: بوهيمي - Bohemi.
٤- اليونان: تزيجانون - Tsiganos.
٥- المجر: سيجانيوك - Siganyok.
٦- إيطاليا: زنجاري - Zingari.
٧- إسبانيا: زينكالي - Zincali.
٨- البرتغال: سيجانوس - Ciganos.
٩- ألمانيا: زيجونر - Zigeuner.

١٠- اسكوتلندة: التينكر ـ Tinker.

١١- سكاندينافية: الفن أو ـ فانت ـ .

١٢- إسبانيا: خيتانو أو بيسكاي ـ Byscayans نسبةً إلى أهل منطقة الباسك الإسبانية.

١٣- فرنسا: رومانشل – Romanchel – وهناك تسميات أخرى للنور في فرنسا – جبتانو -.

١٤- منطقة البلقان: أورساري وتعني (قادة الدببة).

١٥- اليونان: كاتزفيلوي أو ـ أتزينكانوى.

وسنقوم بتوضيح بعض التسميات التي أُطلقت على جماعات النَّوَرْ في أوروبا.

* البوهيميون ـ الجبسي ـ الفِنْ ـ تينكر ـ رومانشيل ـ سنتي ـ تسيغان ـ جيتان ـ خيتانوا ـ مانوش ـ كالديراش.

١- الجبسي Gybsy: نطلق هذه التسمية على جماعات النَّوَرْ في بريطانيا انطلاقاً من الفرضية التي تقول بأن أصول النَّوَرْ تعود في جذورها التاريخية إلى مصر Egyptians.

٢- البوهيميون: تعود الجذور اللغوية لهذه التسمية إلى كلمة بريتونية قديمة Poém ـ وتعني السحر. أما التسمية /بوهيمية الأوروبي/ فتعود إلى قبائل بوئي: Poii ـ ذات الأصل الغالي، والتي طردت من قبل ـ الماركومانيون[1]، في أوائل عهد الملك أغسطوس، واحتل السلوفاك الجيكيون بوهيمية في القرن السابع، وأسسوا عدة دويلات فيها، وأراد شارلمان أن يفرض الجِزْيَة عليها. فرحل هؤلاء البوهيميون إلى فرنسا وكوّنوا جماعات عاشت لمدة طويلة ضمن الكولياوديين، والمتشردين، الذين ساروا إثر الجيوش الشارلمانية (ليعملوا حدادين لإصلاح وصنع نعال الخيول والسرج والسيوف... إلخ). والتصق اسم البوهيميون باسم الكولياوديين[2]. وهذان اللفظان يعنيان الدلالة نفسها وهي (جماعات متنقلة، تمارس الشحادة والعمل اليدوي، والرقص والغناء... إلخ). وعندما ظهرت طلائع النَّوَرْ في أوروبة بملابسهم المزركشة الغامقة الألوان، والتي لا تشبه البوهيميين. حيث

---

١ - قبائل ألمانية النسب قهرها دروسوس عام ٩ ق.م فهاجروا إلى بوهيمية وغزوا إيطاليا في عهد –ماركوس أوريليوس.

٢ - الكولياوديين: جماعة ظهرت في القرون الوسطى تضم قساوسة ورهباناً معزولين، أخذت تتجول في أوروبة أشبه بالشعراء المتجولين أو المشعوذين. وكانت تحت إمرة المطران –كولياس.

وردت أول إشارة مكتوبة لكلمة ـ بوهيميين ـ والتي تعني الغجر في كتاب بيشودي روبي والمسمى: ١٥٥٠ La vie Ganereax de Gueux, marcelots de Boesmienes.

٣- **الفن أو فانت:** أطلق الإسكندينافيون على النور ـ Nawar ـ تسميات متعددة منها:

- تتر Tatar.
- Omstreifer.
- Reisnder وتعني متجولون.

لكنهم فضلوا تسمية ـ فانت ـ المشتقة من كلمة (فِنْ) عن كل التسميات، حيث كانت لجماعات الفِنْ سمعة سيئة في اسكاندينافيا، وكان ينظر إليهم على أنهم بلاءٌ خبيث بسبب قيامهم بأعمال الشعوذة، والسحر، وتحضير الأورواح الشامانية[1]، وكان يستخدم أفراد جماعات (الفن) و(الفانت) الدببة، والدفوف في حفلاتهم الغنائية المصحوبة بالرقص والصخب. ونظراً لتشابه النمط المعيشي عند كل من جماعات ـ الفِنْ، والفانت ـ بالنسبة للاسكاندنافيين فإنهم لم يميزوا بين أفراد تلك الجماعتين المتنقلتين لصعوبة ذلك الأمر.

لكن عالم الغجريات ـ تيلهاكن ـ قد ميز بين كل من جماعة (الفن) وبين جماعة (الفانت) لاختلافهما السلالي والثقافي، فعدَّ أن الفانت هم النَّوَرْ وأنهم ينحدرون من قبيلة /البالاجي/ التي قدم أفرادها من بولونيا.

٤- **تينكر:** تعني بالإنكليزية السمكري، أو الصّفّاح، الذي يرْقّع ويُلَحِّم، ويُصفح القطع المصنوعة من رقائق المعادن. ويرى الكثير أن هناك علاقة بين كلمة /تينكر/ وكلمة /اتنجاني/ التي تعني النَّوَرْ.

ومهما يكن أصل كلمة /تينكر ـ تينقر/ فإنها تدل على الحدادين والسمكريين المتجولين في بريطانيا والذين يعيشون الحياة النورية المتنقلة. ويدعى جماعات التينكر أنهم من سكان اسكوتلندة الأصليين، ولا يتزاوجون مع النَّوَرْ، ولا يأكلون القنفذ، الذي يعدُّ الأكلة المفضلة لدى عشائر النَّوَرْ. ويوجد في اسكوتلندة جماعات رحَّل تدعى **الكورامنجري** Koramengeri.

---

١ - الشامانية: هي أحد المعتقدات البدائية، التي ترتكز على نظرة تخوف من الأرواح الشريرة، التي هي أساس البلاء للإنسان بكافة مجالات الحياة. وتجد في السحر الدواء الشافي للإنسان من الأمراض التي تصيبه. وتتم معاجة الأمراض من قبل الكاهن الذي يسمى – الشامان – وتعني هذه الكلمة –الساحر والطبيب - عند مجتمعات الأسكيمو و -الألويت - في منكقة القطب الشمالي.

٥- رومانشل Romanchel: لا تزال هذه التسمية تطلق على جماعات النَّوَرْ في فرنسا منذ ٢٠٠ عام ونيف وحتى يومنا هذا، وإن هذه الكلمة ذات أصول لغوية نوريّة وتعني في نظرنا الإنسان النّوري، استناداً إلى ما يلي: Rom تعني إنسان. ولا تعني ابن روما كما يرى جون بول كليبر. وإنما تعني الإنسان الرُّوميني أو الإنسان الضومي: النُّوري. وأن مانوس تعني بالسنسكريتية (إنسان). ويُطلق على النُّوَرْ في فرنسا أيضاً تسمية ـ جيتان ـ و ـ أونغارسي ـ نسبةً إلى هنغاريا.

٦- سَّنتي Sinti أو السَّندهو Sindhu: وفقاً لبعض الأساطير التي يرويها النُّوَرْ أنفسهم، إذ يذكرون أنهم جاؤوا من آسيا قديما. ويطلق على النُّوَرْ في أوروبا أو على قسم منهم اسم /السنتي/، وهؤلاء فخذ من قبيلة الغوند سندهو Gond sindhu كما تقول الحكاية الأسطورية التي رواها الأب ـ فلوري Fleury ـ رئيس الغجر في فرنسة. وأن الغوند ـ Gond ـ هم نَوَرٌ معروفين في منطقة شرقي الهند، وفي نيبال، وبورما.

وتقول الحكاية: إن «السندهو أو السَّنتي تحركوا في الماضي نحو الغرب بعد أن عبروا تخوم الهند، وعملوا في تدريب الخيول والمتاجرة بالأحجار الكريمة. وامتلكوا البهائم لنقل أحمالهم، وحلّت أحمالهم عن طريق قوافلهم بعد مدة من الزمن في أرض الكلدانيين، فرحَّب بهم سكان البلاد، إذ كانوا مهرة في صناعة النحاس والذهب، وعلّموا الكلدانيين فنون ومبادئ اليوغا Yoga، الذي يتطلب الكثير من ضبط النفس، والتأمل الشديد بالروح العظمى. وكذلك علموا الكلدان القفز وكيفية السير على النار وهي من الألعاب البهلوانية والاستعراضية. أما الكلدان فقد لقّنوا ـ نور السَّنتي ـ علم التنجيم. وتقول الحكاية الأسطورية أن ذلك حدث قبل عهد ـ إبراهيم الخليل. وأن نور - السَّنتي سكنوا بلاد الكلدان مدة طويلة. وعندما ترك إبراهيم الخليل مدينة ـ أور الكلدانية ـ رافقته إحدى عشائر النُّوَرْ السَّنتي إلى بلاد كنعان. ومن هناك وصلوا أراضي مصر، كما تقول الحكاية، وقام أفراد نور السنتي باستعراض علومهم وفنونهم أمام الفراعنة، ومنحوا حق اللجوء[1].

١ - عن كتاب – الغجر – دراسة تاريخية واجتماعية فولوكلورية – جان – بول كليبر – ترجمة أحمد لطفي – وزارة الثقافة والإعلام العراقي – بغداد – ١٩٨٦ – ص٢٣ -٢٤.

إن هذه واحدة من الأساطير التي يحكيها النَّوَرْ عن أصولهم، لكنها تشير وبوضوح إلى أن النَّوَرْ منذ القديم وإلى الآن: هم أناس ملهاة للعامة، وسحرة ومنجمون وقرّاء فال، وصنّاع، وسُيَّاسُ خيول ويتاجرون بها إلى جانب الحمير.

وتنقسم جماعات نَوَرْ السُنتي إلى ثلاثة فروع:

١) **السنتي الفرنسيون**: أصحاب مسارح متنقلة، حيث الرقص والغناء، والأعمال الاستعراضية البهلوانية.

٢) **السنتي الألمان**.

٣) **السنتي الإيطاليون**.

ويُعرف ـ نور السنتي ـ في أوروبا بتسمية ـ المانوش ـ المرادفة في معناها لتسمية ـ البوهيميين ـ وإن كلمة مانوش مُحرَّفة من الكلمة النَّوَرية /مانوس Manos/ وتعني إنسان.

وهناك نور ـ **الكالديراش**: ويدَّعي هؤلاء النَّوَرْ بأنهم هم النَّوَرْ الأصليون وهم صناع ـ سمكريون ـ نحاسون. وقد جاء اسمهم من كلمة /غالديرا/ الرومانية والتي تعني: إناء من النحاس، وفي الإسبانية تعني كلمة /غالديرا/ قِدرٌ بالعربية. وقد جاء هؤلاء من البلقان ثم من أواسط أوربا، وينقسمون إلى خمسة فروع.

إننا نرى أن تسمية الغالديراش جاءت من تسمية القِدْر ـ العربية الأصل والتي تعني إناءً كبيراً من النحاس، ولازال يستعمل في الطبخ حتى يومنا هذا وبخاصة في حفلات الأعراس، والمآتم، والنذر وخاصةً في القسم الجنوبي من بلاد الشام. وقد انتقلت هذه التسمية إلى بلاد الأندلس في العصور الوسطى، وحافظت هذه الكلمة ـ قِدرٌ ـ على حروفها العربية نفسها وحتى على طريقة لفظها والدليل على ذلك أن الكلمة الإسبانية /غالديرا/ تشبه كلمة ـ القِدْرْ ـ في العربية حروفاً ولفظاً. وعلى ذلك فإننا نرى أن تسمية ـ القالديراش ـ هي تسمية ذات أصول لغوية عربية وتعني /أصحاب القدور/ وهؤلاء جاؤوا من أواسط أوروبة وينقسم نور أصحاب القدور إلى خمسة فروع وهي:

أ- **لوفاري** Lovari: وهي قريبة من الكلمة الهندية Lohari. ويطلق عليهم في فرنسا ـ الهنغاريون.

ب- **بويهاس** Boyhas: جاءوا من مقاطعة ترانسلفانيا قبل الحرب العالمية الثانية. ويعمل هؤلاء في فرنسا عارضي حيوانات وخاصةً (الخيول والحمير) التي

اشتهروا بتربيتها، حيث يشترونها رديئة الحال وبعد أن تسمن يبيعونها بأسعار غالية.

ت- لوري أولولي: مازالوا يحملون الاسم القديم نفسه ذي الأصل الهندي.

ث- تشوراري Tschurari أو شوراري Churari: ويعيش هؤلاء بمعزل عن بقية نَوَر القدور (الغالديراش)، وتمارس نساء الغالديراش السحر، وقراءة الفال.

ج- التركوأمريكان: هؤلاء النَّوَرْ هاجروا إلى الولايات المتحدة من تركيا قبل عودتهم إلى أوروبا، مما جعل الأوروبيين يطلقون عليهم تلك التسمية[1].

وهناك تسمية أخرى للنَّوَرْ في فرنسا وإسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا، لكنهم يشكلون جماعة إتنوغرافية لا تتشابه مع نَوَرْ - الكالديراش - وتعرف هذه المجموعة من النَّوَرْ بـ الجيتّان في فرنسا و - الخيتانو - في إسبانيا، ويعرفون في إسبانيا بتسمية الفلمنج أو - الفلمنجو - ومنها جاءت تسمية الموسيقى التي تعرف بالتسمية نفسها. ويسمي نور الخيتانو أنفسهم بتسميات ذات صبغة محلية وهي عدة منها: نور إسبان - نور قشتاليون - نور أندلسيون[2].

- أما في أوروبة الشرقية فيطلق على النَّوَرْ اسم تسيغان، وتُلفَظ تلك التسمية Tsiganes، في بلدان أوروبا الشرقية بشكل متباين قليلاً من بلد إلى آخر.

أ - روسيا - تسيغان.

ب - بلغاريا - تسيغان.

ت - إيطاليا - تزينغارو - تسينغارو.

ث - بولونيا سيغان.

ج - لتوانية سيفانوص.

ح - سويسرة - زيجيلنار - تسيجينار.

خ - في العصور الوسطى - تسفانوس.

---

١ - عن كتاب الغجر – دراسة تاريخية اجتماعية فلكلورية – مرجع سابق ص ٤٢ - ٤٣.

٢ - **Francois de vaux de Foletiere – Mille Ans d'Histoire des Tsiganes** ص ١ – ٥. مترجم إلى العربية من قبل المؤلف وغير منشور بعد.

وعلى ما سبق فإن تسمية ـ تسيغان ـ وإطلاقها على النَّوَرْ هي الأكثر شيوعاً من غيرها من التسميات السابقة الذكر، وحتى أكثر شمولية من تسمية /البوهيميون/ أو غيرها بالنسبة للقارة الأوروبية. ويقول السيد بول بانايار Paul Bianlard: ((إذا كنا نريد الحصول على تسمية أكثر شمولية وأفضل من كلمة ـ بوهيمي ـ التي بالتأكيد لا تعني شيئاً، فيجب تبنّي تسمية ـ تسيغان ـ (بالنسبة للنَّوَرْ) الأكثر شموليةً لهذا الجنس، لأن هذه التسمية التي اتخذت أشكالاً متنوعة هي منتشرة في أغلب مناطق أوروبا الشرقية. ولقد تأكدت من ذلك حديثاً. حتى أن البوهيميين الرحَّل من المجر الذين التقيت بهم في باريس يلفظون هذه الكلمة كما كتبتها))[1].

---

١ - عن كتاب Mille Ans d'Histoire des Tsiganes Foletiere لمؤلفه فرانسوا دوفو دوفولتير Francois de vaux de.

الأساطير والأصول التاريخية للنَّوَر NAWAR

إن الأصول التاريخية والأنتروبولوجية لشعب النُّوَرْ Nawar Ethnos كان ومازال يكتنفه الكثير من الغموض، بسبب جهل النُّوَرْ أنفسهم لتاريخهم القديم، وعدم تذكر الفترات الزمنية التي هاجروا فيها من وطنهم الجغرافي. وحتى عدم معرفتهم للطرق التي سلكوها في هجرتهم، بالإضافة إلى عدم معرفة الأسباب التي قادتهم إلى ذلك.

ويعود السبب الآخر في غموض الأصول التاريخية والأنتروبولوجية إلى انطوائية جماعات النُّوَرْ، وعزلتها التي تكاد تكون مطلقة عن الشعوب التي تعيش بين ظهرانيها. وقد بدأت الدراسات الأولى، التي بحثت في أصول النُّوَرْ التاريخية والأنتروبولوجية في أوروبا منذ عام ١٤١٧م، من قبل الباحثين الأوروبيين، والتي ترافقت مع ظهور طلائع جماعات النُّوَرْ على أبواب مدن ألمانيا. وقد تابعت جماعات النُّوَرْ تجوالها باتجاه غرب أوروبا، وإلى أجزاء من أوروبا الشرقية، حيث عرفت هناك أفراد هذه الجماعات ذات النمط المعيشي القائم على الترحال وعم الاستقرار طيلة القرن الخامس عشر (XV)، علماً بأن العلماء العرب قد أشاروا وبوضوح إلى أصول النُّوَرْ التاريخية، وصفاتهم السلالية. ونسبوهم إلى بلاد الهند، وذكروا الفترات الزمنية التي تمت فيها هجرتهم. وقد تكلمنا عن هذا في موضع سابق في الكتاب. أما في منطقة حوض نهر الدون، ومناطق البلقان الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا، فقد ظهرت جماعات النُّوَرْ لأول مرة في زمن أقدم من ظهورها في بقية المناطق الأوروبية. وكان ظهور النُّوَرْ في أوروبا بمثابة ظهور شعب مجهول، وغريب في عاداته وأعرافه، ونمط معيشته عن شعوب أوروبا، مما أدى إلى تخوف الشعوب الأوروبية منهم، ونعتهم بالتوحش، لدرجة أنهم اتهموهم بأنهم يأكلون لحوم البشر. وقد سمي النُّوَرْ في أوروبا الغربية بـ التَّتَرْ Tartar.

أما جماعات النُّوَرْ، فقد نسجت لنفسها أساطير تحكي عن أصولهم والموطن التاريخي الذي جاؤوا منه، مما يدل على أنهم قد انقطعوا عن وطنهم الأصلي منذ زمن طويل، لكنهم حافظوا وإلى حدّ كبير على نمطهم المعيشي الخاص بهم دون غيرهم،

والذي كانوا قد اكتسبوه من البيئات الاجتماعية التي حددت معالم شخصية الفرد النَّوري في موطنهم الجغرافي الأم قبل الانسياح منه بزمن طويل[1]. وسنتعرض لبعض من هذه الأساطير التي تحكي أصول النَّوَرْ:

ـ أسطورة الأصل الأفريقي من مصر:

فقد أشاع النَّوَرْ أثناء ظهورهم في أوروبا أنهم جاؤوا من مصر. وأنهم ينحدرون من طبقة النبلاء المصريين Gypsienes، والأشراف من مصر الصغرى[2] Klein Egyptian، وأنهم طردوا من مصر في الماضي السحيق. وقد بقيت تلك الأسطورة شائعة بين الأوروبيين وخاصةً بين صفوف المعلمين لفترة طويلة. وقد أشاع النَّوَرْ ذلك في ألمانيا، إذ أقنعوا الألمان بأنهم قد جاؤوا من مصر ليقضوا زمناً طويلاً من العقوبة، تكفيراً عن فعلة أجدادهم الشنيعة، التي كانوا قد افتعلوها في مصر، برفضهم إيواء السيدة العذراء (مريم البتول) وولدها عيسى عليه السلام، أثناء وصولها هرباً من طغيان الإمبراطور الروماني ـ هيرود ـ الذي كان قد اتخذ لنفسه مدينة طبريا عاصمةً له. وأن حياة التنقل المستمرة ما هي إلا عقوبة قد حلَّت بالنَّوَرْ لأنهم لم يقدموا المساعدة للعائلة المقدسة (**مريم العذراء وطفلها عيسى والقديس يوسف النجار**).

ويرى الباحث المجري (**أنطون هرمان**) المتخصص بدراسة النَّوَرْ ما يلي:

أن النَّوَرْ أثناء عبورهم آسيا الصغرى، قد استطاعوا المرور من منطقة (نيكوميدي) والتي تُعرَف حالياً بـ إزمير، حيث كان الأتراك يسمونها مصر الصغيرة، نظراً لخصوبتها وجمال طبيعتها. وفي القرن السادس عشر، وجد كتّاب كثر من الأغريق يقولون أن هناك بلداً يُدعى إيبير Epire، كانت تسمى مصر الصغرى، وفي القرن السابع عشر، عندما كان السلطان التركي حاكماً لمصر، ولإيبير أضاف إلى بقية الألقاب التي يتمتع بها لقب (ملك مصر الكبرى والصغرى). إذاً كان هناك أكثر من مصر، فثمة مصر صغرى في كل من آسيا وأوروبا، ومن المؤكد أنه لا يقصد بمصر الصغرى مصر

---

١ - س - أ - نوكاريف - إتنوغرافيا شعوب الاتحاد السوفييتي SSSR - موسكو ١٩٨٥ - ص ٢١١ - ٢١٥ - اللغة الروسية - غير مترجم إلى العربية.

٢ - عن كتاب الغجر - دراسة تاريخية اجتماعية فلكلورية - مرجع سابق ص ٢٢.

الإفريقية، لأن موجة الهجرة الأولى للنُّوَرْ لم تمر من شمال أفريقيا. فعندما زار الجغرافي Bellon في القرن السادس عشر نهر النيل التقى بأناس هناك كما يقول: «يسمون مصريين في أوروبا، في حين أنهم يُعَدُّون في مصر نفسها أجانب وقادمون جدد»[1].

ـ أسطورة انحدار النُّوَرْ من نُوح:

تقول الأسطورة بأن النُّوَرْ قد انحدروا من كامو (حام) بن نوح. وقد سخر كامو من أبيه ذات يوم، فحلّت عليه لعنة إلى الأبد، بأن يبقى عبداً ونسله من بعده عبيداً. وأن نسل كامو (حام) قد عوملوا معاملة سيئة من قبل أبناء عمومتهم من نسل ـ يافت ـ وقد اكتشف المدعو ـ طوبال (توبالو ـ قابيل) طريقة صهر النحاس وصناعته، ثم أجبرهم على العمل تحت ضرب السياط، وفيما بعد تمرد النُّوَرْ (الذين هم من نسل /حام/ وصاروا أحراراً، واستولوا على بلاد /الكلدانيين/، حيث تكاثروا لدرجة ضاقت بهم البلاد. فانقسم النُّوَرْ إلى جماعتين بناءً على مشورة رؤسائهم وعقلائهم، على أن تبقى أحدهما في بلاد الكلدان، وتهاجر الأخرى والأقوى إلى بلاد الهند بعد أن تعلم أفرادها الفلك، وتجهزوا بالكتب المقدسة، وكان أفراد الجماعتين قد تعلموا من معرفة رموزنا في الطريق (الباترين Patrin)، وتنبأ أفراد الجماعتين أنهم سيجتمعون مرة ثانية في المستقبل المحدود. وقد جلب المهاجرون إلى الهند معهم لغتهم، وصناعاتهم للذهب والحديد وعلوم أخرى. لكنه حدث نزاع أثناء الرحيل بين بعض العشائر التي أزمعت الرحيل إلى الهند، مما حدا ببعضها للهجرة إلى جهة معاكسة فقدموا إلى بلد تسمى ـ Chat ـ مصر. أما الجماعة الأخرى فبقيت في بلاد الكلدان وتحالفت مع الآشوريين. وحكم سلطانان من النُّوَرْ الدولة الآشورية وهما بوديلو Podilo وابنه رومانو نيرانو Romano Nirano وقاموا ببناء مدينة (بابيلا Babila)، واتخذوها عاصمة لهم. وبقيت الحال على هذا المنوال إلى أن جاء كورش Girasho ملك البرسيين (الفرس)، الذي أعلن الحرب عليهم، فاضطروا إلى ترك بلاد الكلدان، فاتجهت جماعة شرقاً، وأخرى غرباً، واستقر بعضهم في اليونان القديمة Pelagii وبعض جزرها، في حين تمكن بعضهم الآخر

---

١ - عن كتاب ـرحلة الألف ميل من تاريخ الغجر لمؤلفه فرانسوا دوفو. Francois de vaux foltiere – Milles ans d'Hustoir des Tsiganes. P. ١١ -١٨.

من عبور بلاد البرسيين، فوصلوا إلى الهند، حيث وجدوا هناك إخوتهم الذين هاجروا من أرض الكلدان من قبل آلاف السنين. وتقول الأسطورة بأن اليونانيين القدماء قد أحسنوا وفادة النَّوَرْ لمعرفتهم صناعة المعادن. وأنّ النَّوَرْ هاجروا مع البلازكي ـ البلازغي ـ إلى الغرب، وأنهم بنوا مدينة مرسيليا، وشقوا طريقهم إلى نهر الرون. وتؤكد الأسطورة أن النَّوَرْ الذين وصلوا بلاد (مصر Chal) قد ساهموا في بناء الأهرامات[1].

ويحاول النَّوَرْ جاهدين تحديد بلد ليكون موطناً أصلياً لهم سواء أكان ذلك الهند أم بلدان الكلدان (ما بين النهرين). وهذا واضح من خلال مضمون كل من الأسطورتين: أسطورة الأب فلوري التي قالت بأن الهند هي الموطن الأصلي للنَّوَرْ والأسطورة الأخيرة التي ذكرها ـ كالوجودي ـ والتي تقول: بأن موطن النَّوَرْ هو بلاد ما بين النهرين.

ـ أسطورة انحدار النَّوَرْ من آدم:

تقول هذه الأسطورة ((إن شعب النَّوَرْ قد انحدروا مباشرة من آدم وامرأة أولى سابقة لحوّاء، وبذلك فهم منزهون عن الخطيئة، وبالتالي فهم مستثنون من قانون العمل، ومعفيين من وجوب حصولهم على رزقهم بعرق جبينهم، لأن النَّوَرْ كانوا سحرة))[2].

ـ أسطورة ورثة إبراهيم وسارة:

وهناك أسطورة أخرى، يدّعي النَّوَرْ فيها لأنفسهم أنهم الورثة الشرعيين لإبراهيم وسارة، في حين أن كل الذين انحدروا من إبراهيم، كانوا أبناء الخادمة وغير شرعيين. ويشهد على ذلك في القرن السادس عشر (الفقيه ـ دي شالار)[3].

أما الفرضيات التي قال بها المهتمون بأصول النَّوَرْ التاريخية والجغرافية والأنتروبولوجية فهي متعددة، ويغلب على الكثير منها الطابع الخيالي. لكننا سنعرض بعض تلك الفرضيات وباختصار دون تفصيل لأن هذا يحتاج إلى عمل علمي قائم بذاته:

---

١ - سَرَد تلك الأسطورة –كالوجودي - على عالم النوريّات البلجيكي –روبرت هنرى، الذي حاول إيجاد حل لأصل النَّوَرْ –السُّنتي.

٢ - عن كتاب: ألف سنة من تاريخ الغجر بالفرنسية. Francois de vaux foltiere – Milles ans d'Hustoir des Tsiganes P. ١٠.

٣ - المرجع السابق – ص ٩.

١. النَّوَرْ هم من بقايا قارة الإتلانتيد:

يقول أصحاب هذه الفرضية وفي مقدمتهم (بليز سندار) الذي أمضى حياته ملازماً لجماعات النَّوَرْ وهو شاعر يحكم عاطفته، لا باحث علمي يحكم العقل بعيداً عن الأهواء في معالجته لأية مشكلة هو بصدد بحثها: إنّ النَّوَرْ «تسيغان» tsigans هم بقايا سكان قارة الإتلانتيد التي غرقت في البحر الأبيض المتوسط في العصر الحجري أو العصر البرونزي، وإن (النَّوَرْ) يمثلون ما تبقى بعد هذه الكارثة في الجانب الشرقي، وهم الفلاحون الذين تدفقوا إلى مصر، والجيتان الذين يجتمعون سوية كل عام في (كامارك) في اليوم الذي تغيب فيه الشمس في أعلى سمتها، والباسكيون الذين يضعون الريش على رؤوسهم، كما يفعل أفراد قبيلة الإيروكيز من الهنود الحمر في الولايات المتحدة، ويندبون حريتهم تحت شجرة.

وقد عزّز هذا الافتراض القائم على أصل النَّوَرْ من قارة الإتلانتيد الغارقة في البحر، ما كان قد كتبه كل من (هيرودوت وسترابون) عن شعب يُدعى «سيفينا» الذي عاش في الشمال من منطقة نهر الدُّون Don، لكنه لا يوجد أية دلائل مادية تشير إلى التطابق بين النَّوَرْ في أوروبا «تسيغان» وبين تلك القبائل القديمة التي أشار إليها كل من (هيرودوت وسترابون)، سوى التشابه في اللفظ بين الكلمتين.[1]

٢. بلاد الهند هي الموطن الأصلي لشعب النَّوَرْ:

تشير الدراسات العلمية الجادة حول أصول النَّوَرْ التاريخية والأنتروبولوجية، والتي كانت قد بدأت على يدي كل من: ريوديغر وغريلمان من خلال أبحاثهما في مجال اللغة التي يتكلمها النَّوَرْ في أوروبا «تسيغان» إلى وجود روابط بين أفراد هذه المجموعة من البشر التي تعيش في أوروبا وبين سكان منطقة الهند، لتشابه اللغة فيما بينهم وتطورت مثل هذه الدراسات اللغوية المقارنة على يد الباحث اللغوي الألماني ـ بوت ـ والذي أصدر كتاباً في جزأين عن النَّوَرْ عام ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤م بعنوان ـ نور أوروبا وآسيا ـ إذ جمع ـ بوت ـ معلومات مطولة عن لغة النَّوَرْ ولهجاتها، ومدى قرابتها من لغات الشعوب التي تعيش في الهند، ويكون ـ بوت ـ بذلك كما يقول ـ توكاريف ـ قد برهن بشكل علمي على: أن أصول النَّوَرْ من منطقة الهند وليس من مكان آخر.

---

١ - س.آ. توكاريف – إتنوغرافيا – SSSR – موسكو ١٩٥٨ – ص ٢١١ – ٢١٥ مرجع سابق. باللغة الروسية

وفي عام ١٨٨٠ قام الباحث اللغوي (ميكلوشيتش) بإصدار كتاب عن لهجات وهجرات نور أوروبا (Tsigans)، حدَّد فيه صلة القرابة بين اللهجات التي يتكلم بها نور أوروبا، وبين لغات شعوب شمال غرب الهند بصورة عامة، واستنتج أن لهجات النَّوَرْ في أوروبا ترتبط بشكل وثيق مع لهجة طائفة من النَّوَرْ تعرف باسم /جات/. إلا أنَّ ذلك الافتراض لم يُثبت علمياً حتى الآن[1].

وقال ميكلوشيتش إن هناك ثلاث عشرة لهجة لجماعات النَّوَرْ في أوروبا. وتتطابق كل لهجة مع المنطقة الجغرافية التي يوجد فيها النَّوَرْ حالياً.

وهناك باحث روسي (م.ي. كونافين) غير معروف كما يقول الأستاذ توكاريف: قد عاش مع جماعات النَّوَرْ مدة /٣٥ عاماً/ وهو يتنقل من مكان إلى آخر مرافقاً جماعات النَّوَرْ في حلّهم وترحالهم في كل من روسيا ـ النمسا ـ ألمانيا ـ الشمال العربي الأفريقي ـ وفي منطقة الهند، حيث جمع الكثير من المعلومات الأنتروبولوجية عن النَّوَرْ: عادات وتقاليد ـ طقوس ـ تراث شفهي غير مكتوب، لكنه لم ينشر كل ما جمعه. وهذا ما جعل المعلومات التي جمعها تضيع. وقد توصل ـ كونافين ـ إلى تقسيم النَّوَرْ في أوروبا إلى قسمين وفق منطقة توضِّع كل منهما الجغرافية في أوروبا:

أ- المنطقة الشرقية التي تقع إلى الشرق من مجرى نهر الفولجا وحتى خليج ـ كريستشكي. ويدخل ضمن نور المنطقة الشرقية، الجماعات النَّوَرِيّة التالية: نور منطقة ما وراء نهر الفولجا Volga - حيث حرف G يقابل ج في المصرية – ونور أواسط آسيا ونور منطقة سيبيريا ونور منطقة ما وراء القففاس.

ب- المنطقة الغربية تقع إلى الغرب من مجرى نهر الفولجا وحتى خليج كريستشكي. ويدخل ضمن هذه المجموعة من النَّوَرْ: نور روسيا ـ نور أوكرانيا ـ نور منطقة.القرم[2].

ويرى (كونافين) أن جماعات النَّوَرْ لا يمكن أن تكون قد انحدرت جميعاً من قبيلة واحدة أو من مجموعة بشرية ودينية واحدة تعيش في منطقة شمال الهند. وإنما

---

١ - جات – أو جُتْ – أو زاتس – هم جماعات الزُط Zot وقد تكلمنا عنهم في موضع سابق من الكتاب. وهم يشكلون الأغلبية السكانية لولاية البنجاب الهندية.

٢ - س.آ. توكاريف – إتنوغرافيا – SSSR – موسكو ١٩٥٨ – ص ٢١١ – ٢١٥ مرجع سابق. باللغة الروسية

الأرجح وفق رأي (كونافين) أن النُّوَرْ قد انحدروا من جماعات بشرية عدة توجد في شمال غرب الهند، وكانت قد طردت من هناك إلى خارج الهند. ويحاول كونافين إثبات رأيه بشيء من الغرابة:

إذ يعتقد أن النُّوَرْ الذين يمتهنون مهنة التنجيم والفال هم بمثابة أحفاد للبراهيميين، الذين تخصصوا بذلك وفقاً لتربيتهم الدينية. وإن الذين يمتهنون مهناً أخرى هم أحفاد للذين كانوا يمارسون هذه المهن في السابق في شمال الهند. وعلى هذا يمكن إدخال سكان شمال غرب الهند ضمن الشعب النُّوَرِي.[1]

أما السيد جورج ليَّان: فإنه يرى مع «غايات» أن أصل النُّوَرْ يعود إلى منطقة ـ مول تان Mul Tan، إذ يقول ((جاء هؤلاء من - مول تان Multan - أي من بلاد الأصل المعروفة بـ بنجاب الهند، وكانوا يسمون قديماً ـ زاتس ـ أو ـ زوط ـ أو ـ زط ـ ، الذين يعتقدون بمبدأ خلق العالم تهوبوت Tohubout، وإبداع كل شيء من الطين والتراب، حيث يعبد الزط الشمس إيزاكريس Isakris المنبثقة من مهامريا، من مريا العظيمة أو الأوقيانوس السماوي Mahamaria. وحينما رحلوا إلى فينيقيا حملوا معهم آلهتهم عشتروت)). ومما يروى من تقاليدهم ((أن السماء كتابهم والنجوم آدابهم، وضياء الكواكب ملائكتهم، وفصول السنة والأشهر أنبياؤهم، والشمس والقمر كهنتهم))[2].

ويؤكد العالم الأنتروبولوجي السوفييتي ـ برومليه ـ والعالم ـ بودولني ـ الأصل الهندي لجماعات النُّوَرْ بقولهما: ((أن النُّوَرْ هم الشعب الوحيد الذي قدمته الهند إلى أوروبا في السنوات الثلاثة آلاف الأخيرة على أي حال» مقابل الكثير من الشعوب التي أتت من أوروبا إلى الهند. وبالمناسبة يعيش الكثير من النُّوَرْ في الهند إلى الآن، كما يعيشون في كل بلدان العالم تقريباً))[3]، حيث كان شمال غرب الهند على الدوام مكاناً يأتيه الغزاة في أحيان كثيرة ((وغالباً ما كانت تجري فيه نزاعات بين الإقطاعيين المحليين، والقبائل الحرة منذ ألف سنة ونيف. في خلال جولة جديدة من الحروب والنهب تحركت إحدى القبائل المتجولة من مكانها ورحلت. ولعلها لم تكن قبيلة واحدة، بل عدة قبائل.

---

١ - س.آ. توكاريف – إتنوغرافيا – SSSR – موسكو ١٩٥٨ – ص ٢١١ – ٢١٥ مرجع سابق. باللغة الروسية

٢ - جورج ليّان – الغجر: تسميتهم، أصولهم، لغتهم، تقاليدهم – دار الكفاح ١٩٦٤ ص ١٦ – ١٧.

٣ - برومليه، بودولني: الإثنوس والتاريخ – دارة التقدم – موسكو – ص ٢٢٨.

والأرجح أنه انفصلت وانطلقت في سفر بعيد مجموعات كبيرة من أناس مختلف القبائل، لا قبائل بأكملها. ولم يجر هذا مرة واحدة بل عدة مرات على امتداد السنين))[1].

أما دزبرول Desbarrolle فيقول: إن هؤلاء الرجال من النَّوَرْ - روم - أو رومانشان، أنهم منحدرون من أصلاب كهنة إلهة سيبل، ويمتّون منذ وجودهم إلى التاريخ الهندي، الذي كان يعتبرهم مثل بقية أبناء الأرض، إذ يمثلون أقدم سلالة على وجه الأرض.

وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين من المجلد السابع ما يلي:

١ - إن السيد الدكتور - **كوبرنيكس** - قام بفحص عشرين جمجمة من جماجم موتى النَّوَرْ في مشفى بخارست. ونتيجة للفحص تبين له: إن هذه الجماجم تشبه جماجم أحط الشعوب الهندية (الأكثر بدائية في نمط معيشتها)[2].

٢ - أما السيد - **هوملاك** - فقد ارتأى أن أصل النَّوَرْ من الهند، وأنهم خليط من قوم متحضرين، وقوم متوحشين.

٣ - أما السيد - **دوديجر** - فقد قارن بين لغة النَّوَرْ، وبين اللغات التي تتكلمها قبائل شمال غرب الهند، التي يزعم أن اللغة النَّورية مشتقة من سبع لغات منها، والحقيقة أنها لا تقرب من أي واحدة منها، ولا يمكن أن ينسب النَّوَرْ إلى أي قوم من الأقوام التي تعيش في عصرنا هذا في الهند، وإن كان البعض يرى أن النَّوَرْ هم أقرب الشعوب إلى طائفة (ابدياس) من البنغال وإلى (البنجاريس؛ البنجارا)، بالرغم من وجود مشابهة بين البانجارا، وبين النَّوَرْ كما يرى السيد روسيه. وأن النَّوَرْ قد تركوا الهند منذ زمن طويل من التاريخ الذي يكاد الكثير يقرُّ به حوالي /١١٠٠/ عام سبقت. فقد وجد النَّوَرْ في جزيرة بن عمرو في شمال العراق منذ زمن بعيد، وأيضاً في جزر البحر المتوسط ومناطق القفقاس وآسيا الصغرى[3]. وأن جماعات السيجيين الذي تكلم عنهم هيرودوت (السّنتي، الذين كانوا يعيشون في عهد اليوناني - هوميروس، قد كانوا

---

١ - المرجع السابق ص ٢٢٨.

٢ - هذا ضرب من ضروب العنصرية البغيضة التي يدحضها العلم، فالنور هم أناس ينطوون إحيائياً وسلالياً إلى النور البشري **Homo**، وإلى سلالات الإنسان الحالي **Homo Sapiens**، وليس كما يزعم العنصري – كوبرنيكس: أنهم من سلالة منحطة.. الخ (المؤلف).

٣ - دائرة معارف القرن العشرين – محمد وجدي – المجلد السابع ص ٤ – ١٠.

أسلافاً للنَّوَرْ الحاليين الذين نتكلم عنهم. أما السيد ـ فيتوسكي ـ يرى أن جماعات اللولي أو ـ اللوري ـ ، يشبهون جماعات النَّوَرْ في كل من مصر وسوريا، وأن الاسم يدل على أن هؤلاء القوم ينتمون بأصولهم التاريخية إلى مدينة ـ ألور ـ إحدى مدن الهند الكبرى والتي تقع في أطراف الهند على شكل أنقاض مهدمة (خرائب).

أما جماعة ـ الزط ـ أو ـ الجت ـ الذين ذكرهم الشاعر الفردوسي في شاهنامة، والأصفهاني في مذكراته فهم الجت الذين يشكلون الأغلبية في بلاد البنجاب الهندية[1].

وإن الرأي الأكثر غرابة والبعيد عن المنطق هو للفرنسي فولتير ((أن النَّوَرْ هم من مصر، حيث موطنهم الأول. وأن النَّوَرْ البوهيميون في أوروبا ما هم إلا سلالة فاسدة جاءت من كهنة ـ إيزيس ـ نتيجة اختلاطهم مع العذارى المنذورات للآلهة السورية /عشتروت/ آلهة الخصب والجمال (عندما يطالع المرء الأوصاف التي ذكرها ـ أبوليوس ـ لأزياء واحتفالات هؤلاء الكهنة يجد حقيقة واضحة: هي التشابه الكبير بينهم وبين بوهيميٌ (نَوَرْ) أوروبا فصنجاتهم وطبولهم متشابهة تماماً لصنجات كهنة إيزيس وسورية)[2]. وهناك العديد من الفرضيات التي تدور حول أصول النَّوَرْ وإن كانت خيالية، يصعب علينا ذكرها جميعاً، فمن هذه الفرضيات مثلاً:

١- نظرية تقول بأن النَّوَرْ قد انحدروا من شيث أحد أبناء سام بن نوح /١٦٣٦/ وقد قال بها الإسباني ـ مادتنو.

٢- نظرية تقول بأن النَّوَرْ كنعانيون ينحدرون من شعب اسمه كنعان، وكانوا قد هاجروا إلى أوروبة بعد غزو بلادهم من قبل Jouse، وأصبحوا بدورهم قدماء الغجر.

---

١ - جورج لبّان: الغجر: تسميتهم – أصولهم – صفاتهم – عاداتهم – دار الكفاح العربي ١٩٦٤ ص ٢٥.

٢ - عن كتاب الغجر: دراسة تاريخية – اجتماعية – فلكلورية – مرجع سابق ص ٢٧.

الطرق التي سلكتها قبائل الدور من وطنهم التاريخي الهند الى بلدان اسيا – افريقيا – اوروبا بدءا من القرن التاسع

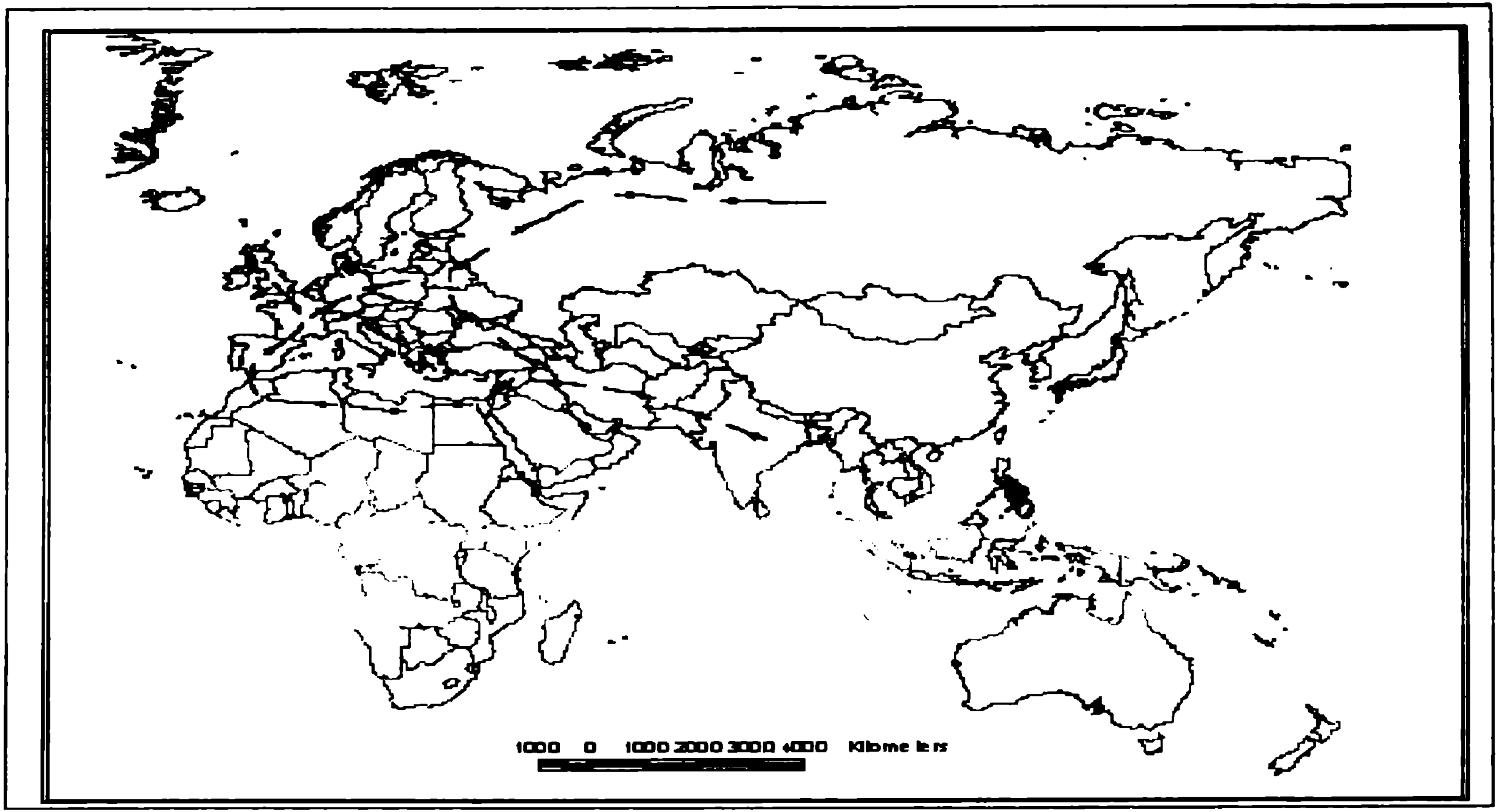

المصدر: ا.د علي عبد الله الجباوي بالاعتماد على نظام المعلومات

البنية الاجتماعية للنَّوَرْ

ينقسم النُّوَرْ إلى جماعات مهنية، تكاد أن تكون كل جماعة مستقلة عن الأخرى وإن كانت في بلد واحد ومن أهم الجماعات المهنية:

١. **الغرابلية**: الذين يمتهنون صناعة الغرابيل من جلود الحْيوانات.

٢. **المبيِّضُون**: الذين يقومون بطلاء الأدوات النحاسية بمادة القصدير.

٣. **الطبَّالة**: وهم أصحاب طبل وزمر، ويعرفون حالياً بتسمية ـ المطارية.

٤. **الحَجيّات**: وتمارس النساء منهن مهنة الرقص والغناء.

٥. **البلهوانية**: يمارس أفرادها الرقص على الحبل رجالاً ونساءً.

٦. **السّعادين**: وهم الذين يهتمون بتربية القرود، إذ يعلمونها محاكاة الإنسان في تصرفاته، ويدورون في الأرياف والمدن مع سعادينهم. وجد مثل هؤلاء النُّوَرْ في سيلان، وهناك فئة ثانية من النُّوَرْ في سيلان، تتخذ من الأفاعي وتربيتها مصدر رزقهم، حيث أفاعي الكوبرا، التي يربّونها، ويقومون بحركات استعراضية معها. ويمارس النُّوَرْ أيضاً مهنة التنجيم وقراءة الفال، وبيع الرقى والتعاويذ، إلى جانب ممارسة العنف. ويتكلم أفراد هذه الفئة من النُّوَرْ لغة تُدعى ـ تيللوغو Tellygy[1].

٧. **تجّار الخيول والحمير**: ويشتري هؤلاء الحمير والخيول الهزيلة بأسعار رخيصة في أيام الشتاء، ويقومون برعايتها في فصل الربيع، حتى تسمن وتُباع في الصيف للفلاحين بأسعار غالية، مع استخدام طرق الغش المقصودة، لإظهار الحيوان بأنه صغير السن ونشيط، إذ يضعون الزنجبيل في دبره إلى جانب مواد حادة، ويضعون على رقبة الحمار بعد جرحها بشكل خفيف قليلاً من الفلفل الحاد. والأطرف من ذلك أنهم يقومون ببرد أضراس الخيول والحمير لتظهر للشاري بأنها صغيرة العمر، ويقومون بصبغ الحمير ونفخها قبل بيعها... إلخ.

---

١ - عن مجلد شعوب جنوب آسيا ١٩٦٣ – موسكو – ص ٨٧٧ - باللغة الروسية.

٨. **الحدادون**: يمارسون مهنة التعدين وصنع أدوات الزراعة والسكاكين بواسطة الكور اليدوي◆، والفحم العضوي أو الخشب.

٩. **مربوا الأفاعي من نوع كوبرا** حيث تشكل هذه المهنة مورد رزق، إذ يقومون بعروض بهلوانية مع تلك الأفاعي. ويعرف هؤلاء - بالحواة.

أما نساء جميع هذه الفئات المهنية فيمارسن الشحادة، وقراءة الكف والطالع. والتقسيم الاجتماعي عند جماعات النَّوَرْ هو تقسيم عشائري ضمن كل جماعة مهنية وفقاً للأب. وتسود بين عشائر النَّوَرْ الأسرة الأبوية الكبيرة، أو الأسرة الممتدة – باترانوميا Patranomya، التي تتألف من أكثر من جيل Patranomya.

وتعيش جماعات النَّوَرْ في حِلِّهِمْ وترحالهم في مخيمات أو نُزُلٍ من «الخرابيش» تكون بجانب بعضها، ويصل أحياناً عدد «خرابيش» النزل إلى مايزيد عن ٥٠/ «خربوشاً»، ويعيش في كل «خربوش» أسرة أبوية، لكن أفراد أُسر النزل ليسوا من عشيرة واحدة (أي ليسوا أقارب بالدم) كما هو الحال عند البدو الرُّحل من العرب، إذ يكون أفراد البدو الذين يعيشون في فريق واحد (مخيم) من عشيرة واحدة، ويرتبطون فيما بينهم برباط الدم. والسلطة في (نزل النَّوَرْ) هي سلطة تكاد تكون مستبدة بيد الرجل (الأب) بين أفراد أسرته، وقيادة (النزل) غالباً ما تكون بيد رجل وجيه، وأحياناً يكون هناك امرأة متقدمة في العمر تشارك أو تقدم النصح لكبير النزل، كما أن هناك شيخ لكل عشيرة يكون هو الآمر والناهي.

أما مكانة المرأة داخل خيمتها وبين أفراد أسرتها، كما لاحظت ذلك خلال زياراتي لخرابيشهم: فهي تكاد تكون مهيضة الجناح، وهي مقيدة في جميع حركاتها. ولا تكون حرّة إلاّ في خارج خيمتها والنزل الذي تعيش فيه، فهي حرة ما دامت بعيدة عن أنظار أفراد جماعتها. وهذه الظاهرة الاجتماعية هي عامة لدى كافة الشعوب. أما بالنسبة للنساء من جماعة الحجّيات (التي يمارس نساؤها الغناء والرقص) حيث المرأة عندهن تتمتع في خيمتها بحرية أكثر من بقية نساء الجماعات الأخرى من النَّوَرْ، بسبب طبيعة مهنتها، ولإدخال النشوة في قلوب الزبائن الذين جاؤوا

◆ - أداة يدوية نافخة، تصنع من جلود الماعز. وهي أول أداة استطاع الإنسان بفضلها الحصول على درجات حرورية عالية صهر فيها الحديد.

للسّمر والترفيه. لكن المرأة منهن تسمح للزبائن بالتحدث والمغازلة إلى حدّ معين، فإذا ما تجاوزها الزبون فإنها تنقلب إلى امرأة حادة الطبع لتدفع الأذى عن كرامتها. ويدين النَّوَرْ بدين سكان المنطقة الجغرافية التي يعيشون فيها، فهم مسلمون في البلدان التي يدين أهلها بالإسلام، ومسيحيون في البلاد التي يدين سكانها بالمسيحية، وبوذيون في البلاد التي يدين سكانها بالبوذية... إلخ. وبالرغم من اعتناق جماعات النَّوَرْ الإسلام والمسيحية. لكنهم لازالوا يؤمنون بالخرافات والأساطير، وبالأرواح الشريرة، مع عدم التقيد بكل من مبادئ الدينين السماويين الآنفي الذكر؛ إذ ينظرون إلى بعض الحيوانات نظرة احترام لدرجة التقديس كحيوان النِّيصْ مثلاً. ويقول الشاعر الفرنسي بهذا الخصوص في كتابه رحلة إلى إسبانيا في وصف النَّوَرْ ما يلي: ((إن النوريات يبعن التعويذات ويتنبأن بالمستقبل... إن ضيق الجبين والأنف المعقوف يدل على أصلهم مثلما هو حال - نَوَر فالنسيا - و - البوهيميون - . وقد عَبَّرَ أبناء هذا الشعب العجيب إلى أوروبا باسم الجنس المصري، منذ العصور الوسطى، حيث أن القرون العديدة لم توقف تكاثره الغامض))[1].

أما - **ميشال تسرغون** - فيقول في معرض حديثه عن النَّوَرْ ((في الساحات وبين أحياء المدن المهيأة دوماً لتجمع البهلوانيين من كل جنس، حيث أصوات جوقاتهم الموسيقية تصم الأسماع بالإضافة إلى الصراخ الصادر عن عروضهم البهلوانية. هؤلاء بوهيميون قادمون من الجبال، حيث يقرؤون المستقبل لجمهور المتسكعين المتجدد دوماً))[2]. ولا زال النَّوَرْ حتى يومنا هذا ينظرون إلى الأجداد نظرة تقديس واحترام كبقايا مستحاثية حية من عبادة الأجداد في الماضي. ومن الطريف ذكره أن جماعات النَّوَرْ تحلل لأفرادها السرقة لأموال الآخرين من غير النَّوَرْ، انطلاقاً من الخرافة التي يؤمنون بها، والتي يتناقلونها شفاهياً ومفادها:

أن النَّوَرْ كانوا قد سرقوا المسمار الرابع من المسامير التي أُعدَّت لصلب السيد المسيح عليه السلام في زمن الإمبراطور - هيرود - الذي اتخذ من مدينة - طبريا - عاصمة له، وأن سرقة النَّوَرْ للمسمار الرابع قد خفف الألم عن السيد المسيح عليه السلام.

---

١ - انظر المنجد الفرنسي – **Le Roberto** ١٩٧٦م.

٢ - نفس المرجع السابق.

وتوجد عند النَّوَرْ ضوابط للسرقة وهي:

١- يرى النَّوَري في بلاد العرب أنه إذا سرق فقير من عند غني فهو حلال.

٢- إذا سرق نوري من عند شخص أفقر منه فهذه جريمة لا تغتفر.

٣- استخدام المكر والخداع لإتمام عملية السرقة بنجاح، بعيداً عن القسر والإكراه واستخدام العنف. فعلى سبيل المثال عند سرقة الدجاج دون أن يطلق صوتاً ما، إذ يأتي النَّوَري بمصران ويضعه أمام الدجاج، في حين يبقى الطرف الآخر للمصران بيده، فيقوم عندئذ بنفخ المصران بعد أن أخذت الدجاجة في عملية ابتلاعه، فينتفخ بلعوم الدجاجة عندئذ، وتصبح غير قادرة على إطلاق الأصوات.

٤- سرقة الأشياء الخفيفة والغالية الثمن.

٥- أن يسرق النّوري الأشياء التي هو بحاجة لها.

أما اللغة التي يتكلمها النَّوَرْ فهي متعددة وليست واحدة، وتنقسم إلى عدة لهجات محلية وفق المنطقة الجغرافية والشعب الذي يعيشون بين ظهرانيه، لكن كافة اللهجات للُغة النورية تحتوي على الكثير من الكلمات من الأصول الهندية، والفارسية، والتركية واليونانية، والأرمنية، والكردية، والتاجيكية، والأوزبكية، والعربية، هذا في بلدان آسيا أما في بلدان أوروبا فهناك ثلاث عشرة لهجة: اللهجة البلغارية ـ اللهجة الرومانية ـ اللهجة الصربية ـ اللهجة التشيكية ـ اللهجة المجرية ـ اللهجة البولونية ـ اللهجة الألمانية ـ اللهجة الباسكية ـ اللهجة الإسكاندينافية ـ اللهجة الفنلندية[1].

ويُطلق نَور بلاد الشام على لغتهم الأم الأصلية تسمية لغة العصفورة، إذ لا زالوا حتى يومنا هذا يحافظون على الكثير من مفرداتها في لسانهم النَّوري (الضّومي الخاص بهم). وربما جاءت هذه التسمية من الطائر الصغير الحجم الغريب في سلوكه والذي يعرف بطائر السِّنِنغل وهو يعيش بدون مأوى (عش)، وقد اتخذ النَّوَرْ منه شعاراً لكثير من تصرفاتهم /فهم فقراء كالسينغل/ كما يقول المثل الشعبي عند نَوَر أوروبا. وهذا المثل له المعنى نفسه للمثل الشعبي الدارج في بلاد الشام كدلالة على الفقر المدقع (نُورِي أَنْدَبُوْرِي).

---

١ - عن مجلة الإتنوغرافيا السوفيتية – ١٩٧٠ – عدد ٣ – المشكلات التاريخية والأنثروبولوجية للنَّوَرْ.

أما لباس جماعات النَّوَرْ فالرجل يرتدي زي الرجال في البلدان التي يعيشون فيها، في حين أن النساء يحافظن على لباسهن الشعبي النَّوَري المحتشم والطويل والفضفاض وذي الألوان المزركشة الفاقعة (الأصفر - الأحمر - الأزرق - الأخضر). والمرأة النَّورية تستر شعرها في كافة البلدان التي يعيش فيها أفراد قومها. وتلبس الحلي من أساور من فضة أو نحاس، وتضع الأقراط في أذنيها إضافةً إلى وضع ما يُسمّى (الشْنَاف أو الزمَيْمة) في الجانب الأيمن لغطروف الأنف السفلي. وتضع النسوة القلائد الخرزية والحزر في أعناقهنّ. وأحياناً تضع الفتيات صباغاً أحمر على شكل نقطة مستديرة شأنهن بذلك شأن الفتيات الشابات في معظم أنحاء الهند غير المسلمة، مما يؤكد ذلك أصولهم الهندية، التي تعود إلى ماض سحيق لا يعرفون عنه أي شيء.

ويتصف الإنسان النَّوَري بقوة الفطانة والحذر، وحسن التدبير في الوصول إلى ما يريد، فهو يكذب بلباقة وخفة لاذعة كما أنه حاد التفكير والطباع فهو يغضب بسرعة لكنه يرضى بسرعة. ويميل إلى النكتة والدعابة، والتحدث بصوت عال، مع كثرة الشجار فيما بينهم دون أن يترك ذلك أثراً للحقد في قلوب المتشاجرين، فهم يتصالحون بسرعة قبل مغيب الشمس. وقد مجَّدهُم - سرفانتس - في روايته «الغجرية الصغيرة» بقوله ((إن روحية الشعب النَّوري تسير في اتجاه يختلف عن مسيرة الأقوام الأخرى، إنها تذهب إلى أبعد من عدد سني حياتها، فليس هناك حماقة غجرية، أو فتاة غجرية بلهاء. فإن الحياة على طريقة النُّوَرْ، تلزم المرء بأن يكون حذراً ذكياً وكذاباً. وعلى هذا فإنهم يستغلون كل الخدع والخرافات وفي كل المناسبات، ولكنهم لا يسمحون لأنفسهم بمظهر الإنسان البليد الخانع))[1]. وتهوى نفوس النُّوَرْ الموسيقى بكل حواسهم وجوارحهم، وإن كانت موسيقاهم ذات مسحة من الكآبة والحزن. فقلما نجد «خربوشاً» عند جماعات النُّوَرْ، أو بيتاً من بيوتهم إذا ما كانوا مستقرين في سكن دائم يخلو من أداة موسيقية كالعود والغيتار والطنبورة والبزق والدف... إلخ. حتى أنهم يعملون الربابة من صفائح التنك. وبقدر ما يميل النُّوَرْ إلى الطرب والفرح، بقدر ما يتملك الحزن جوارحهم بعمق، إذ يعتصر الألم قلوبهم بقوة وبصدق عندما تحل بأفراد

---

١ - سرفانتس - الغجرية الصغيرة.

جماعتهم مصيبة ما، إذ تقوم النساء بالصراخ والعويل ولطم وجوههن وخمش خدودهن بأظافرهن، وأحياناً ينثرن التراب فوق رؤوسهن. وقد رأيت هذا في تشييع جنازة لرجل نَوَري وجيه في حي النَّور – إلى الشرق من كازية القدم، وذلك صيف عام ١٩٨٦. أما الرجال فيتباين موقعهم وفق تباين العادات والتقاليد في البلدان التي يعيشون فيها، إذ يحلقون أحياناً رؤوسهم... إلخ. ومن طباع النَّوَرْ أنهم ميالون إلى التباهي والتفاخر بالمظهر الخارجي للشخص، وأحياناً يبدون متعجرفين متكبرين عما حولهم، إذ يعتدّون بأنفسهم، وأن قومهم هو الأمثل، وأن الأقوام الأخرى هم الأدنى، لذا لا يزوجون بناتهم أشخاصاً من غير النَّوَرْ، لأن هذا في عرفهم عار وينتقص من قيمتهم الاجتماعية. وإذا ما تزوجت فتاة نوريّة شخصاً غير نَوَري وهذا غالباً ما يحدث عن طريق الخطف دون موافقة أهلها، فهذه الفتاة التي تمردت على العرف والتقليد لأبناء جماعتها، تبقى منبوذة ومحتقرة طيلة حياتها من قبل أهلها ومجتمعها النَّوري، هذا إذا لم يتم قتلها وقتل الشخص الذي تزوج منها دون موافقة أهلها ومجتمعها النَّوري، ورغماً عنهم.

والطريف أن النَّوَرْ في أوروبا، لا يتقبلون النماذج الأخلاقية الأوروبية، لكنهم لا يعيشون بدون قانون يضبط العلاقات الاجتماعية بين أفراد جماعاتهم، إذ لهم بناهم الاجتماعية، التي تحدد موقع الشخص النَّوري من بقية أفراد جماعته (عن الموسوعة الإنكليزية). يعيش شعب النَّوَرْ منذ تركهم الهند موطنهم الأصلي حياة التنقل والتشرد المرفقة بالقتل والاحتقار في كافة أنحاء العالم، حتى أنه يمكن القول: إن النَّوَرْ منذ زمن سحيق يعيشون مأساة إنسانية حقيقية مستمرة دون أن تجد البشرية حلاً لتلك المأساة. وإن كافة المراجع التي اهتمت بالنَّوَرْ وجعلت منهم موضوعاً لبحثها تؤكد أن النَّوَرْ كانوا ذبيحة لكل من أراد أن يجرِّب سيفه: من مضيق مِسِّينا إلى بحر البلطيق، ومن روسيا إلى إنكلترة، ومن الدانوب إلى إسبانيا.

وعلى الرغم مما حلَّ بالنَّوَرْ من مذابح ومصائب حتى يومنا هذا، فإننا نجدهم محافظين على نمطهم المعيشي المتنقل تقريباً، وعلى تراثهم، رافضين وبإصرار كل مظاهر الحضارة الحالية المزيفة، إذ أن التغيير من نمطهم السلوكي قد يخفف الآلام عنهم، لكنه سينهيهم كجماعة بشرية لها تراثها الخاص بها، فهذا النمط هو الذي منحهم مقومات شخصيتهم، التي تعشق الحرية، البعيدة عن كل قيود اجتماعية. يقول

أ.ب. بارانيكوف بهذا الخصوص «إن النُّوَرْ إذا رفضوا أو تركوا أو ابتعدوا عن نمطهم النُّوري في الحياة اليومية وطرق العيش التي يتبعونها: العمل اليدوي ـ الشحادة ـ التنقل ـ التنجيم وقراءة الفال، لن يكونوا نوراً بعدئذ»[1]، وهو قول صحيح لأن في تغير النمط المعيشي تفريغ لمحتوى التسمية التي عُرُفوا بها، فتسمية النُّوَرْ تدل على جماعة بشرية لها طابع اجتماعي خاص بها دون غيرها، إذ تتخذ من التنقل الذي لا يعرف طعماً للاستقرار نمطاً حياتياً أبدياً. كما تعتمد على التنجيم، وممارسة المهن اليدوية الخفيفة من قبل الرجال، كالصياغة، والحدادة، والمتاجرة بالخيول، وتربية القرود والأفاعي، والأعمال البهلوانية، والغناء والرقص، والنقر على الطبل، من قبل الرجال والشحادة وبيع منتجات الأعمال اليدوية التي يقوم بها الرجال، إلى جانب المداواة بالأعشاب من قبل النساء. وقد كتب الروائي الإسباني سرفانتس قبل ثلاثة قرون على لسان أحد النُّوَرْ قوله **«تعلمنا الألم منذ زمن طويل... تعلمناه فلم نحس به... أشنع العذاب لم يعد يجعلنا نرتجف، ولا نهاب أي نوعٍ من الموت... هو والحياة سواء، ولهذا نغني والأحقاد تذبحنا، وحتى في أعماق حفر السجون»**[2].

وقد تعرض النُّوَرْ في أوروبا إلى قتل جماعي وخاصةً في كل من يوغسلافيا سابقاً وألمانيا النازية إبان الحرب العالمية الثانية، حيث قُتل من النُّوَرْ أعداداً كثيرة تفوق ما قتل من اليهود، وبطرق أكثر بشاعة واحتقاراً، إذ لم يكن يسجل اسم الشخص النُّوري المقدم إلى مذابح الأفران، خلافاً لما اتُّبع مع أتباع العقيدة اليهودية، إذ كان يسجل اسم الشخص قبل حرقه، كما أن عدد الذين قتلوا في ألمانيا من اليهود أقل بكثير من الذين قُتلوا من النُّوَرْ. واستمر احتقار النُّوَرْ إبان السلم بعد انتهاء الحرب... ((فخلال محاكمات نُوَر مبرغ التي جرت لمهجري الحرب العالمية الثانية من قبل النازيين، لم يُدع غجري واحد من الذين أُنقذوا من معسكرات الموت للإدلاء بشهاداتهم ضد جلاديهم، في حين اكتفت هذه المحاكم بالاستماع إلى شهادات اليهود بصورة رئيسية... بل حتى التعويضات المادية أو المعنوية رفضت الدول الكبرى تقديمها للنُّوَرْ. بينما نال وينال اليهود منها حتى يومنا هذا مبالغ خيالية.... وانسحب

---

١ - أ.ب. بارانيكوف – النُّوَرْ في SSSR – الاتحاد السوفيتي – موسكو – ١٩٣١ – ص ٢٨ – باللغة الروسية – غير مترجم.

٢ - عن مجلة أكتوبر – ص ٤٩.

الأمر على المنظمة العالمية «الأمم المتحدة»، التي كانت تخضع لمواقف الدول المنتصرة على النازيّة. فقد جرى عن عمد عدم الإشارة إلى النّوَرْ كقوم عانوا الإبادة فيما كُوفِئ اليهود بقرار تقسيم فلسطين))[1].

ولم يتوقف اضطهاد النّوَرْ وذبحهم على أيدي النازيين فقط، وإنما عانوا الذبح الجماعي من قبل اليوغسلافيين، حيث أكمل النازيون ما كانوا قد بدؤوه في ألمانيا، فسيق عشرات الآلاف من النّوَرْ إلى معسكرات الموت وخاصةً معسكر ـ ياسينوفيتش. وقد تجاوز عدد الذين قُتلوا من النّوَرْ المليون ونصف المليون، في حين يرى بعضهم أنّ عدد الذين قُتلوا من النّوَرْ إبّان الحرب العالمية الثانية وبعدها أكثر من ذلك العدد بكثير، إذ يزيد عدد القتلى الذين قُتلوا من النّوَرْ عن /٣ ملايين/، على الرغم من ذلك لم يُكافَئ هؤلاء في العالم الأوروبي سوى بالمزيد من الاضطهاد والاحتقار، وعدم الاعتراف بهم كقوم لعدم وجود منظمات عالمية ونَوَريّة تدافع عنهم.

وعلى الرغم من المذابح ألتي تعرض لها /٣ ملايين/، فإن عددهم الحالي يزيد عن خمسة ملايين نسمة منتشرة في كافة أصقاع العالم، فهم شعب وَلُودْ وشَابْ في هرمه السكاني ويحبون الأطفال كثيراً، ويبدى الكبار منهم تجاه الأطفال كل الحب والمودة، والمرأة لدى النّوَرْ هي رمز العِفّة والشرف.

وعلى الرغم من المذابح التي تعرض لها شعب النّوَرْ خلال تاريخهم الطويل الملىء بالأهوال والمصائب، والتشرد، وانقطاعهم الطويل والمستمر عن موطنهم الأصلي الآسيوي في وسط وشمال الهند، فمازالوا محافظين على الكثير من تراثهم الروحي والاجتماعي الذي كانوا قد اكتسبوه قبل آلاف السنين في موطنهم الآنف الذكر، ويعود الفضل في ذلك إلى تشبثهم وتعلقهم بنمط حياتهم المعيشي القائم على التنقل والتجوال، مما أبقاهم متماسكين ورافضين كل أشكال الاندماج مع الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، ولا يخفى ما للتربية الاجتماعية التي يمليها الكبار على الصغار، والشيوخ والزعماء على الأفراد البسطاء من دور أساسي في حفظ ذلك التراث الشفهي والمتجسد في نمط معيشتهم اليومي، ونظرتهم العامة إلى مجمل جوانب الحياة

---

١ - عن مجلة أكتوبر – العدد الخامس عشر – من ١ -١٥ سبتمبر ١٩٨٩ – (مأساة الغجر – أو ملحمة الغجر) – تحقيق وإعداد: د. صالح الشعلاوي – ص ٥٣.

بطريقتهم الخاصة بهم. يقول الباحث الأنتروبولوجي الروسي ـ بروميليه ـ و ـ بودولني ـ بهذا الصدد ((إن الشيء الذي استطاع هذا المجتمع البدائي أن يفعله على نحو باهر، هو تربية الأجيال الجديدة على نمط الكبار وشاكلتهم، على الإخلاص للعادات وقواعد الحياة المتعارف عليها، ولعل هذه القدرة على التربية كانت الشيء الرئيسي في حفظ الذات لدى النَّوَرْ على امتداد مئات السنين))[1].

ويصف السيد كونتين الروسي المختص بشؤون جماعات النَّوَرْ في منطقة الأورال، السلوك اليومي لأفراد تلك الجماعات على لسان واحد من هؤلاء النور، وذلك عندما سأله ـ كونتين ـ ما هي موارد عيشك، فكان جوابه ((آكل حيثما أجوع وأشرب حينما أشعر بالعطش، وليست عندي أية موارد للعيش إلا ما يبعثه القدر مصادفةً، ولكن عندي حريتي.... أنا لا أحني هامتي أمام أحد. ولا أعترف بأحد، إذ أذهب إلى حيث أريد، وأعيش كما أستطيع، وأموت حين تحلُّ ساعتي))[2].

إن في القول السابق للسيد ـ كونتين ـ مبالغة كبيرة. فالإنسان النَّوَرِي لم يكن بمقدوره ضرب خيمته «خربوشه» أينما يريد، بل كانوا دوماً وما زالوا يقابلون بنوع من عدم الارتياح من قبل سكان القرى والمدن عندما يضربون خيامهم حولها، إلا أنهم يعشقون الحرية، ويعيشونها وفق أعرافهم وعاداتهم، التي تشكل جزءاً أساسياً من مكونات شخصيتهم، فهم في مناطق توزعهم الجغرافي معطين ظهورهم للبنى الاجتماعية للشعوب التي يعيشون بينها، محافظين على هويتهم ذات السمات الخاصة بهم دون غيرهم، والتي تربطهم بموطنهم الهندي المنسي، القابع في زمن غارق في القدم، بوشائج إتنوغرافية حية لا زالت تدغدغ أحاسيسهم ومشاعرهم، رغم بعدهم عنه آلاف الكيلومترات.

---

١ - الإتنوس والتاريخ – دار التقدم – موسكو – ١٩٨٨ – ص ٢٣١. مرجع سابق.

٢ - المرجع السابق – ص ٢٢٧.

الفصل الثاني

النور القرباط في منطقة حلب وادلب وعفرين

١. منطقة عفرين

٢. منطقة حلب

٣. منطقة إدلب

النَّوَرْ القُرْبَاطْ في عفرين وتوابعها

يعيش في بلدة عفرين جماعة من النَّوَرْ يطلقون على أنفسهم تسمية ـ القُرْبَاطْ ـ ويعتزون بها ويتفاخرون بنسبهم القُرباطي. ويتجاوز عدد مساكن هذه الجماعة من القُرْبَاطْ المئة بيت. ويَعدُّ القُرْبَاطْ أنفسهم أنّى كانوا أنهم أقارب تجمع فيما بينهم عادات وتقاليد، ويأتي في مقدمة تلك العوامل الاجتماعية التي توحّد جماعات القُرْبَاطْ ـ عامل اللغة القُرْباطيّة ـ التي يتكلمون بها داخل البيت، وفيما بينهم حتى وإن كان يجلس بينهم إنسان آخر غير قرباطي. والصفة الملازمة لهم في حديثهم ـ الصوت العالي ـ . والتكلم بشكل جماعي دون أن يكون هناك نظام في تحدثهم كأن يتكلم شخص ويستمع إليه الآخرون ويكاد يكون حديثهم يأخذ طابع الفوضى حتى أن الجالس إليهم يظن أنهم يتشاجرون في الكلام، شأنهم في ذلك شأن كافة جماعات النور الأخرى على اختلاف مِلَلِهم ونحلِهم.

ـ العشائر التي تسكن في منطقة عفرين:

يعدُّ القُرْبَاطْ أنفسهم جميعاً بمثابة جذع لشجرة واحدة هي ـ القُرْبَاطْ ـ والعشائر التي ينتمون إليها بمثابة أغصان لتلك الشجرة وفق سلسلة النسب التي اعتادوا سردها. وأهم العشائر في عفرين هي:

أ ـ عشيرة التغلي: ويطلقون على أنفسهم تسمية ثانية هي ـ غيفو ـ .

وتُعدُّ هذه العشيرة أكبر عشائر القُرْبَاطْ في منطقة عفرين كما روى لي السيد ـ حسن إبراهيم هورو ـ من قرباط عفرين، ويتراوح عدد بيوت تلك العشيرة ما بين (٥٠ إلى ٦٠ بيت: خربوش).

وقد فهمت من خلال حديثي معهم أن تعداد العشيرة عندهم يكون وفق عدد البيوت فيقولون مثلا: عشيرة ـ غيفو ـ خمسون بيتاً، وهم بهذا يختلفون عن الذين يُعدُّون أفراد العشيرة من الرجال لا بيوتها سواء أكانوا من الحضر أم من البدو فأصحاب النمط

الرعوي فيقولون مثلاً إن عدد أفراد العشيرة الفلانية /٢٠٠/ زيرة. وبهذا فإن العرب لا يعدّون المرأة من تعداد العشيرة لأنها مستثناة من هذا التعداد، ذلك أن قوة العشيرة يتناسب طرداً مع عدد رجالها، وكلما كانت العشيرة عند العرب كثيرة في تعداد رجالها كلما كانت مهابة من بقية العشائر الأخرى بين جماعات البدو؛ كما أن الناس في حوران ودير الزور، ومنطقة الرقة، ومنطقة الحسكة، ومنطقة عرب الجولان، لا زالوا حتى الآن تسود بينهم العصبية القبلية التي تتباهى أو تتفاخر بعدد رجال القبيلة. وهناك مثل شعبي في حوران يقول (عِدْ رجَالَكْ وِرِدْ الْمَيْ): أيّ عُدُّ رِجَالَكَ وأرِدِ الماء[1].

٢ ـ عشيرة الراقراق: ويتراوح عدد بيوتها ما بين ٣٠ ـ ٤٠ بيتاً، ومختار تلك العشيرة حالياً شخص يُدعى ـ ديبو حسن أبو عبدو الراقراق عام ١٩٨٨م.

٣ ـ عشيرة مُلْحِم: ويطلق عليهم أيضاً تسمية ـ المَلاَحِمَة ـ ويبلغ تعداد بيوت تلك العشيرة في عفرين في حدود العشرة بيوت.

إنّ هذه العشيرة من العشائر القُرِيَاطيّة الكبيرة العدد والتي يُحسَب لها حساب بين العشائر القرياطية في القطر العربي السوري وتوجد عشيرة الملحم في المناطق التالية من سوريا: حلب في أحياء (الأوزاعي ـ الأنصاري ـ الأشرفية ـ ظهرة عواد ـ حي الكلاسة)، وفي حمص وحماة، وسراقب، وفي منطقة الست زينت في دمشق.

ويذكر السيد ـ خليل جمعة غيفو ـ المُكنّى بأبي خليل: أن عدد عشيرة الملحم في سوريا يزيد عن ٦٠٠ بيت، وأن عدد أفراد كل بيت، وفقاً لقوله، يزيد عن ـ ١٠ ـ أشخاص، وأحياناً يصل عدد أفراد البيت الواحد عند القُرْيَاطْ إلى ما يزيد عن ـ ٢٠ نسمة ـ لأن الرجل يتزوج أكثر من امرأة واحدة، فعلى سبيل المثال، قال لي السيد داهود بن محمد والدته شمسة من عشيرة القادرلار القرياطية التي تسكن في ظهرة عوادة بحلب: إن عدد أفراد بيت أخيه المدعو ـ أحمد جمعة القادرلار ـ /٢٣/ شخصاً وهو زوج لامرأتين هما: عزيزة ومَلَك.

---

١ - إن هذا المثل يدل على أنّ المجتمع القبلي كان سابقاً يعاني من قلة المياه لسقاية مواشيه، وهذا ما أدّى إلى قيام مشاحنات بين أفراد العشائر من أجل سقاية مواشيها. فكلما كانت العشيرة كثيرة الرجال، كلما كان إسقاء مواشيها مؤمن. والآن هذا المثل يُقال في حوران والمناطق الأخرى ذات النظام القبلي تفاخراً بعدد الرجال.

وأنَّ مختار عشيرة ـ الملحم ـ هو السيد ـ عَدْرُو مُلحِم ـ وقد كان يسكن سابقاً في بلدة عفرين، أما الآن فهو يسكن في مدينة حلب.

من الجدير بالذكر أن القُرْبَاطْ يقومون بالهجرة من الريف إلى مراكز المدن الكبرى لأن سبل العيش هناك أسهل وأوفر. لذا نجد القُرْبَاطْ الذين يسكنون في مدينة حلب أيسر حالاً، لدرجة أنهم يمتلكون سيارات النقل الخارجي ـ الشاحنة ـ، والسيارات السياحية التي تعمل في مدينة حلب، أما سائقي تلك السيارات فهم ليسوا من القُرْبَاطْ، وإنما هم عرب ويعملون عليها بالأجرة.

ـ القُرْبَاطْ في إعزاز:

ينتمي القُرْبَاطْ القاطنين في بلدة إعزاز جميعاً إلى عشيرة الباشاوات، وقد قال لي السيد ـ خيرو غيفو ـ من قرباط عفرين عن باشاوات إعزاز ما يلي:

إن عائلة الباشا القُرْبَاطْ في عفرين هم شيوخ للقرباط في منطقة حلب أباً عن جد، ويطلق القُرْبَاطْ على أفراد هذه العشيرة لقب ـ الرُّيّاس ـ وكان للرُّيّاس سابقاً أثر كبير في البنية الاجتماعية لجماعات القُرْبَاطْ في كافة المنطقة الشمالية من سوريًا التي يوجدون فيها مثل: إعزاز ـ عفرين ـ جندرس ـ الباب الواقعة إلى الشرق من حلب ـ منبج ـ سراقب. وكان يصل تأثير عائلة الباشا إلى المناطق الأخرى من سورية التي يوجد فيها القُرْبَاطْ مثل: المعرّة ـ إدلب ـ حمص ـ حماة ـ الرستن ـ دمشق.

إلا أن معظم بيوت عشيرة (غصن) الريّاسي في بلدة إعزاز قد رحلوا إلى حلب، واستقروا فيها، ولم يبق في إعزاز إلا عددٌ قليل من البيوت لا تزيد عن خمسة بيوت من أصل عدد يتراوح ما بين ٣٠ ـ ٤٠ بيتاً.

وكان مختار القُرْبَاطْ الباشاوات سابقاً رجل اسمه ـ باشا ـ، وبعد وفاته خلفه ابنه ـ مصطفى باشا ـ الذي توفي بدوره، وأصبح الآن مختار الباشاوات السيد ـ نعسان باشا ـ الذي يعيش في مدينة حلب بحي الأشرفية.

إن حالة المختار ـ نعسان باشا ـ المادية جيدة، فهو يمتلك قهوة كبيرة، وفوقها مطعم كبير يقدم فيه الطعام للضيوف ومن كان حاضراً آنذاك مجاناً. كما قال لي السيد خليل غيفو من قرباط عفرين. وأضاف السيد خليل قائلاً إن المختار ـ نعسان ـ رجل طيب

وكريم، وإن له حالياً أخاً اسمه حسين، وإن المختار نعسان وأخاه حسيناً يمتلكان حقولاً من أشجار الزيتون يزيد عددها عن ٣٠٠ شجرة زيتون، وهذا العدد من الشجر يُعدُّ ثروة كبيرة في نظرهم.

عندئذ سألت السيد خليل: هل تمتلكون أشجاراً من الزيتون؟ فكان جوابه من أين يا حسرة والله نحن في أَمَرِّ عيشة أوّل بَوّل. ثم أردف قائلاً: نحن إذا ما اشتغلنا متنا من الجوع. ومن القُرْبَاطْ الباشاوات الذين ما زالوا في عفرين السيد ـ عبدو ديبو باشا ـ الذي قال بدوره: إن عائلة الباشا قد هاجر معظم أفرادها إلى حلب منذ أكثر من عشرين عاماً، حيث استقروا في حي الأشرفية بحلب حيث يوجد ـ نعسان باشا ـ مختار القُرْبَاطْ.

ـ قرباط جندرس:

إن معظم قُرْبَاطْ بلدة ـ جِنْدرِس ـ من عشيرة واحدة تعرف باسم ـ غماري ـ وتوجد بيوت من عشيرة الغماري في سراقب وفي منطقة اللاذقية قضاء الحفّة وخاصةً في بلدة ـ منجيلا ـ.

أما فيما يخص عدد عشيرة الغماري القرباطية بصورة عامة فقد روى لي السيد القرباطي المدعو حسن إبراهيم هورو الراقراق المُكنّى بأبي حميدو القاطن في بلدة عفرين أن عدد بيوت غصن* ـ الغماري ـ يتراوح ما بين ٤٠ ـ ٥٠ بيتاً. فإذا كان المعدل الوسطي لأفراد البيت الواحد ـ ١٠ أشخاص ـ فإن عددهم يبلغ ـ ٤٠٠ ـ شخص تقريباً بين رجل وامرأة.

ومختار عشيرة ـ الغماري ـ هو السيد ـ الحاج الغماري، ويسكن حالياً في بلدة جندرس. والذين تركوا بلدة جندرس من قرباط الغماري إلى حلب قليلون جداً، ولا تزال ـ جندرس ـ هي المركز الأساسي لغصن الغماري.

ويتفاخر القُرْبَاطْ بكثرة عددهم لدرجة أنهم يقولون إن عدد بيوت القُرْبَاطْ في مدينة حلب لوحدها يصل إلى ـ ٢٠٠٠ ـ بيت. ولا أدري مدى صحة ذلك القول وقربه من الواقع، إلا أنه يدلُّ على كثرة القُرْبَاطْ الموجودين في القطر العربي السوري إذ تُعدُّ محافظة حلب المركز الأساسي لجماعات القُرْبَاطْ في سوريا.

* - غالباً ما يطلق قرباط منطقة حلب - كلمة غُصُنْ - بدلاً من تسمية العشيرة.

ـ البنية الاجتماعية عند جماعات القُرَباطْ في منطقة عفرين:

تتكون البنية الاجتماعية من مجموعة كبيرة من العلاقات الاجتماعية المتشابكة والمنبثقة من المؤسسات الاجتماعية التي يجد الفرد نفسه مقيداً في سلوكه بقواعدها الناظمة التي يتحدد من خلالها علاقة الفرد ببقية أفراد الجماعة البشرية التي ينتمي إليها.

وقد تبين لي من خلال دراساتي الميدانية التي قمت بها لجماعات النَّوَرْ في مختلف مناطق تواجدهم: أن من أهم المؤسسات الاجتماعية التي لها دور فعّال ومؤثر في حياة الفرد القرباطي اليومية هي ما يلي:

١ ـ العشيرة. ٢ ـ المشيخة. ٣ ـ الزواج. ٤ ـ الطلاق. ٥ ـ الثأر. ٦ ـ الاستجارة. ٧ ـ الأسرة.

ـ العشيرة: وتسرى في دماء الجماعات القرباطية العصبية القبلية القائمة على رباط الدم بين أفراد العشيرة الواحدة من جهة الذكور فقط، كما أن العشيرة أو (الغصن) وفق تعبيرهم تكون قوية بكثرة عدد رجالها، فكلما كان عدد الرجال في الغصْن كبيراً كلما كانت تلك العشيرة مهابة الجانب من قبل العشائر القرباطية الأخرى.

وقد لاحظت أن أفراد العشيرة الواحدة التي يرتبط أفرادها برباط الدم من جهة الأب وليس من جهة الأم متماسكون فيما بينهم، ويحبّون بعضهم، ويشدّون أزر بعضهم البعض بغض النظر عن الأماكن ومواقعها، التي يوجد فيها أفراد تلك العشيرة وأنَّ خير دليل على تماسك أفراد العشيرة القرباطية فيما بينهم: أن الفرد الذي تجاوز سن الثلاثين يعرف وبشكل جيد أفراد تلك العشيرة المذكورة جميعاً. ويعرف أيضاً أسماء أولادَ كل رجل منهم، مع معرفة كافة الأماكن التي توجد بها بيوت عشيرته مهما كانت تلك الأمكنة متباعدة عن أبعاضها.

ـ الثأر: يعَدُّ الثأر مؤسسة اجتماعية ملازمة للمجتمع البشري الذي يعيش حياة الترحال وعدم الاستقرار وبالتالي فإن جماعات القُرَباطْ لا تشذ عن هذه القاعدة الاجتماعية. ولقد كانت عادة الثأر متمكنة في السابق من نفس وسلوك الشخص القرباطي لدرجة أن أي فرد من العشيرة يرى نفسه أنه مسؤول عمّا يحلُّ بأي فرد من أفراد عشيرته من الأذى من قبل أفراد عشيرة ثانية، وإذا ما قُتل أحد أفراد العشيرة على يد شخص غريب من عشيرة أخرى فإنه يرى في ذاته أنّه الأكفأ والأشجع والمتوجب عليه الأخذ بدم القتيل من أفراد عشيرة القاتل بصورة عامة، ومن الشخص القاتل بصورة خاصة.

أما الآن كما روى لي معظم الرجال القُرْبَاطْ: فقد أصبحت عادة الثأر أقل وطأة على الفرد القرياطي، إذ أصبحت مهمة الأخذ بدم القتيل من القاتل أو من أفراد عشيرته تقع على عاتق أقارب الشخص المقتول من الدرجة الأولى والثانية فقط[1].

ويرجع السبب في انحسار مكانة عادة الثأر في سلوك الشخص القرياطي - كما روى لي أكثر من شخص - إلى ما يلي:

أصبح القُرْبَاطْ يرون أن الشجار والمشاحنات بين الرجال لا تجلب على أفراد عشائرهم إلا السِّجن وعدم الاستقرار النفسي لأفراد العشيرة، كما يتبع ذلك خسارة مادية كبيرة تثقل كاهل العشيرة، ويزداد الأمر سوءاً إذا عرفنا أن الحياة اليومية صارت ثقيلة بهمومها المادية، إضافةً إلى أن أفراد أسرة القاتل سيتشردون. أما زوجة الرجل المسجون والذي حُكم عليه فترة طويلة فإن ذلك قد يجعلها تفكر بالزواج والخطف، وفي كلا الحالتين يبقى الأطفال بدون شخص يرعاهم وينفق عليهم حتى يكبروا، ويزداد الطين بلّة إذا لم يكن أهل الرجل المسجون على قيد الحياة كي يهتموا بتربية أحفادهم ريثما يخرج أباهم من السجن. ولقد حدث هذا فعلاً مع السيد - أحمد صيدو - من قرياط عفرين بعد أن أودع السجن مدة عشر سنوات لقتله شخصاً أثناء (الْكُوْنَة)[2] وهي المشاجرة في لغة القُرْبَاطْ. أما زوجة السجين وهي - سوريا بنت إبراهيم هورو الراقراق - فقد خَطَفَتْ رجلاً اسمه - رمضان غيفو - وتركت أطفالها الأربع الصغار دون أن يكون لهم مربياً سوى عَمَّيْهِمَا خيرو وأحمد. وإذا ما حصل شجار بين شاب قرياطي وآخر ليس قرياطياً فإن كافة الشباب يندفعون حميّةً لقريبهم وإن كان على ضلال، في حين يجنح المسنون منهم إلى حل الشجار بالطرق السلمية.

ولقد شاهدت بأم عيني أنَّ ولداً لا يتجاوز عمره السادسة عشرة من عمره كان يرعى الغنم في منطقة الصنمين إلى الجنوب من الجسر القائم على الطريق العام دمشق - درعا، وقد تجمَّع حوله ما يزيد عن ١٠ أطفال من أولاد القُرْبَاطْ النازلين هناك مؤقتاً في ١٩٨٦/٥/٢٥ وكان يوم الأحد المصادف السابع عشر من شهر رمضان المبارك وكان

---

١ - الأقارب من الدرجة الأولى ينحصرون فقط بين الإخوة من الأب أما الأقارب من الدرجة الثانية فيتألفون من أولاد الإخوة (أولاد العمومة للشخص المقتول) – وأولاد الأخوال إذا كانوا من العشيرة نفسها التي يرتبط أفرادها برباط الدم من جهة الأب.

٢ - الْكُوْنَة: هي كلمة عربية – مشتقة من فعل – كاوَنَ: تشاجر – ويقال أنَّ فُلاناً تكاوَنَ مع فلان: أي تشاجر.

كافة أطفال القُرْبَاطْ بيدهم الحجارة والنقيفات، وكلهم يضربون بالولد الراعي لا لشيء سوى لأنه أنّب أحد الأطفال القُرْبَاطْ لضربه لأحد رؤوس الماعز التي يَسرَحُ بها الولد الراعي. ومن الطريف أن كافة الأطفال القُرْبَاطْ كانوا يتكلمون معاً وبصوت عالٍ وبفوضى كاملة دون أن يفهم الولد الراعي شيئاً من حديثهم وشتائمهم له. وبقي الأمر على حاله إلى أن جاءت والدة الراعي شاكية إلى عند السيد ـ خيرو ـ الذي كان يعمل غربالاً في خيمته، عندئذ قام خيرو وأنّب الأطفال القُرْبَاطْ على عملهم باللغة القرباطية. وانفك الشّجار.

نستدل من تلك الحادثة على أن الجماعة القرباطية متماسكة ومتعصبة لنفسها، كما أن التفاخر والتباهي والنظرة الدونية لغيرهم من غير القُرْبَاطْ متأصلة في سلوكهم الاجتماعي. ولقد سألت كل من فوزي ورمضان وحميد أولاد السيد حسن إبراهيم هورو السؤال التالي:

إذا حدث شجار فيما بينكم أو مع جماعة ليست من البيوت التي توجد فيما بينكم فبماذا تتضاربون فكان الجواب:

«إننا نقوم ونقاتل بأعمدة البيت* وإن أدى ذلك إلى سقوط الخيمة على رؤوس الأطفال أو الشيوخ العاجزين الذين يجلسون في البيت، وذلك دفاعاً عن كرامتهم. لأن أغلى ما عند الشخص القرباطي كرامته، ولهذا فهو يندفع كالسيل الجارف نحو الخصم وإن قاده سلوكه هذا إلى الموت. وإذا لم يفعل الرجل القرباطي ذلك وصفه جماعته بالخوف والجبن، وهما صفتان يمقتهما الشخص القرباطي مقتاً شديداً، لأن ذلك إذلالاً له ووصمة عار لا يرضاها لنفسه».

ـ الأسرة:

لقد فهمت من خلال دراستي الميدانية بين جماعات القُرْبَاطْ أن كلمة بيت التي يتكون من مجموعها العشيرة (الفُصن) عندهم، هي مرادفة لكلمة ـ الأسرة ـ أو لكلمة العائلة عندنا نحن العرب. في حين المفهوم الاجتماعي لكلمة ـ البيت ـ عندنا تدل على مضمون ـ العشيرة ـ أو الحمولة.

---

* ـ البيت عند القرباطي ـ هو الخيمة أو الخربوش.

يتكـون أفـراد الأسـرة عنـد القُرَيْـاطْ مـن الأب وزوجتـه وأولادهمـا، ومـن أولاد أولادهما، إذا كانوا متزوجين. أي أن الأسرة القرياطية تتكون من جيلين وأحياناً من ثلاثة أجيال. ودوماً يبقى أفراد الأسرة الواحدة التي تتكون من أكثر من جيل، متواجدين في خيام إلى جانب بعضها البعض.

وأن الأب في السابق كان يفرض سيطرته الفكرية والمادية على أولاده وعلى أفراد أولاده وأنهم لم يكونوا يعملون شيئاً إلا بعد مشورته، أما الآن لم تعد تلك السيطرة من قبل الأكبر على أفراد أسرته كما كانت في السابق. ويعيش الابن بعد زواجه في خيمة منفردة يكون هو مسؤولاً عن أسرته الصغيرة، مع استمراريته بتقديم المساعدة لوالديه ولإخوته الصغار ضمن حدود إمكانياته.

- موقف الأبناء من الآباء:

يتمتع الآباء باحترام كبير من قبل أبنائهم لدرجة إذا ما أقدم الأب على ضرب ابنه لسبب أو لآخر فإن الابن لا يحرك ساكناً اتجاه الأب مطلقاً. بل سيتلقى الضربات من والده وهو راضٍ عن ذلك، لأن حق الأبوة عليهم كبير. فقد قال لي الشابان - فوزي - و - رمضان - ولدا السيد حسن إبراهيم الراقراق بعد أن سألتهما عن مكانة الأب عندهم ما يلي:

«لا يجوز بأي شكل من الأشكال ضرب الأب مهما كان السبب. وحتى لا يجوز أن يرفع الابن صوته على صوت أبيه إذا ما اختلفنا، وبنفس الوقت فإن الأب عند القرياط عطوف على أولاده في كبرهم وصغرهم ويحاول جاهداً بكافة قواه إبعاد الأذى عن أولاده».

- موقف البنات من الأمهات:

تتمتع الأمهات باحترام كبير أيضاً من قبل أولادها الذكور والإناث على السواء، لدرجة تصل درجة الاحترام هذه مرتبة الصداقة أيضاً بعد أن يكبر الأولاد، وتكبر البنات:

إن الأم في الأسرة القرياطية هي الأقرب إلى بنتها، فالبنت تحكي لأمها كل ما يحدث معها، وتبيح أسرارها الخاصة. وتستشير البنت أمّها في كل خطوة تخطوها. وكذلك الأم بدورها تقدم النصح لابنتها على ضوء تجاربها التي مرت بها وهي في سن الصبا.

ويستشير الأب زوجته أثناء زواج ابنتهما، كي يعرف هل لديها الرغبة من الشاب الذي تقدم لطلب يدها أم لا. وقد قال السيد حسن هورو: أن الفتاة في معظم الأحيان

تكون على معرفة جيدة بالشاب الذي يتقدم منها، إلا أنها لا تبدي رأيها صراحةً وتدَّعي أنها لا تعرفه، لكن سكوت البنت عندما يستشيرها وليُّ أمرها بشأن زواجها من الشاب المتقدم منها، فإن كان جوابها بالسكوت معنى ذلك دلالة الرضى، والعكس إذا بدت أنها غير راضية فإن ملامح وجهها وسلوكها تدل على عدم رغبتها.

ويتمتع الأطفال الصغار بالحب والاحترام من قبل الأهل وبقية أفراد الأسرة والعشيرة التي تنتمي إليها تلك الأسرة. وأن الأطفال الرضع يرضعون الحليب من ثدي أمهاتهم. أما إذا كانت المرأة المرضع قليلة الإدرار، لدرجة أنها لا تشبع طفلها، يضطر الأهل في هذه الحالة إلى شراء الحليب المجفف وإرضاع الطفل من خلال الزجاجة.

ولكن رضاعة الطفل من الزجاجة من خلال جولاتي الميدانية كانت شبه نادرة. ويقول القُرْبَاطْ أن الزوجة ذات الحليب الخفيف تعتبر كارثة ماديّة على الأسرة لكثرة نفقات طفلها الرضيع حتى يكبر. وتحمل المرأة القرباطية طفلها على ظهرها بعد أن تضعه في ثوبها الخارجي الطويل المفتوح من الأمام بشكل كامل، وذلك أثناء خروج المرأة في النهار طلباً للرزق على باب الله الكريم سواء في نطاق القرية التي ينزلون بها أو في ذهابها إلى القرى المجاورة للقرية التي ينزلون بها. والمرأة النَّورية بصورة عامة لا تبدي حرجاً من إخراج ثديها أمام الناس لإرضاع طفلها، لأنها كبقية النساء النَّوريات: أن الثدي هو من حق الطفل، وليس عضواً للإثارة الجنسية - وإنما الفرج - هو للجنس وفيه يمكن الشرف، لذا كافة نساء النَّور في بلاد الشام وفي العالم يرتدين الثياب الطويلة حتى أسفل الكاحل، حيث السترة والحشمة.

وقد شاهدت بأم عيني أن الطفل الرضيع يُكَفَّلُ بكِفَال من القماش. ومن ثم يحزم الطفل الرضيع بحزام فوق الكفال بعد أن توضع يدا الطفل على صدره وهما ممدودتان إلى أسفل. أما الرجلين فيُمدَّدان ويقربّان إلى جانب بعضهما ومن ثم يُلفَّان بالقماش (الكفال) ويحزمان بالحزام الذي يُعرف بالعربية بـ القماط. وهذه عادة عند المجتمعات العربية وعند مجتمعات أخرى مثل الروس - ويرى بعض علماء الإناسة / الإنتروبولوجيا/ أن الشعوب التي تقوم بتكفيل صغارها الرضع - شعوب غالباً ما تكون أقرب إلى الخنوع، وأكثر تقبلاً وتحملاً للاستبداد، لكنها إذا ما نفضت عنها غبار الذُّلّ والمسكنة فإنها تثور كالسيل الجارف.

ولقد سألت أم خليل زوجة خليل غيفو، لماذا تعملين هكذا بالطفل؟ فكان جوابها لي: (هيك أحسن لاكبر بصير أقوى). وبعد أن يصبح عمر الطفل أكثر من خمسة أشهر تبدأ الأم بإخراج يدي طفليها من الكفال بعد أن يقمط الطفل بالقماط. والكفال للطفل الصغير مفيد له أثناء حمله كي لا تحدث - خَلْعٌ - ليديه وخاصة من الكتف. ويفيد الطفل أثناء النوم أيضاً كي لا يحرك يديه فتأتي أصابعه في عينيه فيتأذى من ذلك.

صورة للطفل الرضيع وهو مقمّط ويداه موضوعتان داخل القماط
ويشتركون بهذه العادة مع العرب ومع الروس من الشعوب الهندوأوروبية

وتمتاز الأسرة القرباطية بخصوبتها وكثرة أطفالها، لدرجة، أن عدد الأطفال دون الخامسة عشر من العمر يشكلون قاعدة عريضة للهرم العمري عندهم، في حين أنّ الكبار بالسن يكاد يكونون قليلون.

لذا نجد بيوت القُرْبَاطْ في النهار خالية من النساء وحتى من الرجال إلا الكبار في العمر، في حين يكون الأطفال يلعبون ويمرحون حول الخيام وبشكل جماعي. حفاة شبه عراة، وبعيدين عن النظافة.

وتسود عادة عند القُرْبَاطْ:

أن يسمي الأب اسم ابنه البكر على اسمه وهو على قيد الحياة، وغالباً ما يكون الولد البكر المُسمّى على اسم أبيه من قبل أبيه. أما العرب فإنهم يسمون الابن البكر

غالباً على اسم جده المتوفى أو على اسم جدّه الذي ما زال على قيد الحياة. لذا نجد عند القُرْباطْ أن الابن والأب لهما اسم واحد. فعلى سبيل المثال - خليل بن جمعة غيفو - قد سمّى ابنه البكر خليل على اسمه. لذا يُلقّب بأبو خليل. وتسود عند النَّوَرْ عادة ثقب أذن الطفل ووضع أقراط في الأذن تعبيراً عن حبهم الشديد له.

صورة للأطفال وهم حول بيوت أهلهم

ـ مكانة الشيخ عند القرباط:

تنتقل المشيخة عند القُرْباطْ من السلف إلى الخلف، حيث يخلف الابن أباه في المشيخة بعد وفاته. وأن الولد الأكبر للشيخ المتوفى هو الذي يتسلّم المشيخة بعد وفاة أبيه. وبعد وفاة الأخ الشيخ يستلم المشيخة من بعده أخاه الأصغر منه. أما إذا لم يكن للشيخ المتوفى أخاً كفؤاً للمشيخة بعده لسبب أو لآخر، فإن ابن الشيخ الأكبر هو الذي سيستلم المشيخة بعد أبيه.

يجلس الشيخ في ديوانه، ويأتي أفراد العشيرة إلى عنده ليلاً ونهاراً يتبادلون الأحاديث الخاصة والعامة فيما بينهم، ويشرب الحاضرون القهوة عند الشيخ. ويكثرون من تدخين لفائف التبغ. والحديث فيما بينهم بصوت عالٍ.

- المهام الملقاة على الشيخ:

يقوم الشيخ بمعالجة المشاكل التي تحدث بين أفراد العشيرة، أو بين أفراد عشيرته، وأفراد عشيرة ثانية. ويعطي الشيخ مقابل أتعابه وتضيف القهوة مبلغاً معيناً من المال، يكبر هذا المبلغ أو يصغر وذلك تمشّياً حسب حجم القضية التي يسهم بحلها بين المتنازعين من أفراد العشيرة.

يعتبر الشيخ عند عشيرة القُرْيَاطْ بمثابة رسولها الذي يتكلم باسمها لدى بقية العشائر القرياطية الأخرى.

كان الشيخ سابقاً يقوم بدور الوسيط في واقعة الزواج بين أهل العريس من جهة، وبين أهل العروس من جهة ثانية:

عندما يريد شخص خطب فتاة قرياطية ما سواء كانت من عشيرته أم من عشيرة أخرى، كان يذهب والد الشاب إلى عند الشيخ ويعلمه بالأمر. عند ذلك يذهب الشيخ المكلّف من قبل الشاب إلى عند أهل الفتاة التي يريد الأهل تزويج ابنهم منها، فيقريهم السلام، ويطلب الفتاة من والدها أو من أخيها إذا كان الوالد متوفياً، فإذا ما وافق والد الفتاة وأهلها على تزويج ابنتهم من الشاب الذي جاء من أجله الشيخ ويبلغونه موافقتهم وموافقة الفتاة، تبدأ المفاوضة على تحديد كمية المهر. وغالباً ما كانت الفتاة تباع بيعاً شأنها شأن بقية متاع البيت. ويعطي أهل الشاب وأهل البنت للمختار مقابل أتعابه وضيافته مبلغ يتراوح من ٥٠ ـ ١٠٠ ل.س لكل منهما على السواء. وقد كان هذا في الماضي منذ زمن يزيد عن ٤٠ سنة. أما الآن لم يبق من هذا شيئاً على حد قول ـ أبو خليل غيفو ـ فأهل الشاب يأتونْ مباشرة إلى عند والد البنت أو وليّ أمرها، كي يطلبوا يدها منه. وأن والد الفتاة هو الذي يفاوض أهل العريس على كمية المهر حتى الأب لم يعد يشاور أخيه في زواج ابنته. وقد قال السيد حسن إبراهيم الراقراق: أن كل شخص في العشيرة حالياً عند القُرْيَاطْ هو الشيخ نفسه فقط، وذلك تمشياً مع واقع العصر الذي يعيشه القُرْيَاطْ المثقل بالهموم اليومية المتزايدة في عبئها المادي يوماً بعد يوم.

- الاستجارة - الدخول:

تسود لدى القُرْبَاطْ عادة جميلة تتصف بها كافة المجتمعات البشرية التي يغلب على بناها الاجتماعية الطابع القبلي، وتأتي الاستجارة في مقدمة العادات الجيدة عند القُرْبَاطْ:

إذا جاء رجل ما لا على التعيين والتجأ إلى بيت قرباطي طالباً الحماية من خصومه الذين يطاردونه، فإن الرجل القرباطي الذي أستجير به يقدم دمه وروحه وحتى أولاده رخيصةً كي لا ينال الشخص الداخل في بيته الأذى.

لقد قلت للسيد حسن إبراهيم غيفو ما يلي:

إذا جاء شخص ما وليكن قرباطي واعتدى عليَّ وأنا جالس عندكم في بيتكم هذا، فما هو موقفكم من هذا الأمر؟

أجابني السيد حسن إبراهيم الذي كان منهمكاً في صنع الغربال بما يلي:

«أنا أقوم فوراً وأضربه بالسكين، وأردف قائلاً والله واحد بضْرُبْ شخص عندي في البيت بذْبَحُو، بَخلّي دَمُّوا يسيل والله (انني سأضرب الشخص الذي يعتدي على الشخص الجالس عندي في البيت، بالسكين حتى الموت). فقلت عندئذ للسيد حسن متسائلاً لماذا يا أبو حميد تفعل ذلك أجابني بما يلي:

أن الذي يضرب الرجل الداخل أو الشخص الموجود في بيتي، لم يضرب الشخص الذي في بيتي فقط وإنما كأنه ضربني. وقال السيد حسن إبراهيم هورو أبو حميد لي (إذا جاء رجل يخاصمني وكان قد قتل واحد من أولادي وقال أنا داخل على الله وعليك يا أبو حميد فأنا أعفو عنه وأسامحه على فعله سابقاً ضدنا فقط لكونه دخل بيتي): أي أن الفرد القرباطي خاصة والنّوري عامة، إذا دخل شخص قرباطي آخر إلى بيته دخيلاً ومتسجيراً به فإنه يجيره ويعطيه الأمان وإن كان المقتول أحد أقاربه ولو كان حتى ابنه.

يبدو في الصورة السيد حسن إبراهيم هورو من عشيرة ـ الراقراق من قرباط عفرين، وهو يتوسط ولديه.
من اليمين إلى اليسار: ١ ـ رمضان. ٢ـ فوزي، ويبدو السيد حسن يحمل على كتفه ـ
الإطار الخشبي ـ الذي يحبك السريد في ثقبه حتى يصبح غربالاً.

ـ الزواج عند القُرْبَاطْ:

إن القرباط لا يفخرون بهويتهم القرباطية فقط، بل متعصبون جداً لقرباطيتهم في القول والعمل. فالقرباط يأنف تزويج الفتاة القرباطية لشخص غير قرباطي، ويعتبر ذلك إن حدث عاراً عليهم يجب التخلص منه عن طريق غسل هذا العار، عن طريق قتل الفتاة التي أقدمت على الزواج من رجل غير قرباطي دون موافقة الأهل عن طريق الخطف[1].

كما أن القُرْبَاطْ يأنفون تزويج بناتهم لرجال من جماعات النَّوَرْ الأخرى مثل: الطَّبَّالة ـ الحجِّيات ـ السَّعادين. لأن جماعات النَّوَرْ هذه تسمح لبناتها بالرقص والغناء أمام الغرباء ومعهم أيضاً. لذا فإن النَّوَرْ القُرْبَاطْ يصمون النَّوَرْ بعدم محافظتهم على العرض. كما أن النَّوَرْ بدورهم لا يرضون بتزويج بناتهم من القُرْبَاطْ بسبب كثرة

---

١ ـ إن أهل الفتاة القرباطية لا يوافقون بأي شكل من الأشكال على زواج ابنتهم من رجل غير قرباطي، لذا فإن الفتاة القرباطية إذا ما أحبت رجلاً غير قرباطي تعرف مسبقاً عدم موافقة أهلها بالزواج منه، مما يضطرها إلى تذهب مع حبيبها خطيفة وإن كلفها ذلك حياتها مستقبلاً.

المشاكل السيئة عند جماعات القُرْبَاطْ على حد قول السيد ـ عبدو الرمضان الأحمد من عشيرة الهرامشة ـ مع العلم أن القُرْبَاطْ كما قال لي ـ عبدو الرمضان الأحمد أبو عبد الرزّاق (أنَّ القُرْبَاطْ والله همَّ من رؤوس النَّوَرْ).

فالقرباطي حسب قول السيد ـ حسن إبراهيم الراقراق (أبو حميد) إذا رأى شخصاً في الطريق يعاكس أخته أو زوجته أو قريبته، ويتكلم عليها الكلام البذيء، لا يتحمل ذلك إذ يغارُ على عِرْضِهِ، مما يضطره إلى الانتقام من الشخص الذي أساء إلى قريبته وإن كلفه ذلك حياته. لأن الشرف عند القرباطي حسب قولهم هو أعز ما يملك. وقد قال لي السيد حسن إبراهيم هورد ما يلي (سورية ما بتقاتل من أجل الشرف؟ وإحنا كمان نقْتُلْ مشان الشرف، وأردف قائلاً والله إذا واحد حكي مع حرمتي كلمة عاطلة بذبحو)*. كما أن المرأة القرباطية إذا تعرضت لكلام بذيء من قبل شخص وهي بالطريق، فإنها تشلح حذاءها من رجلها وتضربه بها على وجهه وتبصق عليه. فإذا ما شاهد رجل قرباطي هذه الحادثة بأم عينيه فإنه يندفع ويضرب الشخص الذي أساء للمرأة القرباطية، وذلك حتى الموت. والقُرْبَاطْ كما لاحظت متعصبون في بيوتهم، حيث لا يسمحون بأخذ صور لنسائهم لأن هذا عيب عليهم وعار بل إنقاص لشرفهم.

أمّا سلوكية المرأة وهي خارج بيتها، عندما تذهب في النهار لتعاطي الأسباب على باب الله الكريم. فإن وُجْدانها هو الذي يكون الوازع الخلقي عندها فقط. فهي قادرة أن تعمل ما تريد ولكن شريطة أن لا يدري أحد بذلك، وبناءاً على رغبتها وموافقتها. وأن الرجال القُرْبَاطْ بدورهم لا يحبذون الزواج من امرأة غير قرباطية (مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ). ويكمن السبب بنظرهم أن تلك المرأة القريبة لا تعرف لسانهم، وغير معتادة على عادات وتقاليد المِلّة القُرباطيّة.

أما إذا الشاب القرباطي أحبَّ فتاة غير قرباطية فإنهم يسمحون له بالزواج منها إذا ما وافق أهلها على ذلك، وقد قال لي السيد ـ داهود بن محمد جمعه ـ أن القُرْبَاطْ يسيرون على المبدأ التالي ـ نحن لا نأخذ ولا نعطي ـ في عملية الزواج من الغير. ومن الطريف أيضاً أن هذا العادة موجودة عند جماعات النَّوَرْ حيث لا يعطون بناتهم لغير

* يقصد السيد – حسن هورو – من قوله هذا: أنتم السوريون ألا تقاتلون من أجل الشرف والعِرْض - فنحن (القرباط) نقاتل من أجل شرفنا وعرضنا إذا ما تعرضت نساؤنا للإساءة بشرفها.

النُّوَرْ. أما إذا أحب شاب نُوَري فتاة غير نُوَريّة فإنهم يسمحون له بالزواج منها. وقد قالوا لي بهذا الشأن ـ نحن نأخذ ولا نعطي ـ .

إن دلَّ هذا المبدأ في ظاهرة الزواج عند القُرَبَاطْ، إنما يدلُّ على عنصريتِّهم وعلى تعصبهم الشديد لِمِلَّتِهِمْ القرباطية النُّوَرية، شأنهم بذلك شأن باقي جماعات النَّور بمختلف مِلَلِهم ونِحَلِهمْ.

إن العادة المذكورة أعلاه لها وقع كبير في سلوكية القرباطي اليومية ليس عند القُرْبَاطْ في القطر العربي السوري وإنما أينما كان القُرْبَاطْ متواجدون في بقاع العالم، فإن لهذه العادة العنصرية تأثير فعّال وقوي في سلوكهم اليومي حيث يأخذون من بنات القوم الذين يعيشون بين ظهرانيه وبنفس الوقت لا يزوجون بناتهم القرباطيات أو النّوريات إلى شباب ذلك القوم المضيف لهم.

لقد التقيت وأنا موجود في موسكو ما بين عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٥ لتحضير الدكتوراه مع أكثر من شاب قرباطي والجميع أكّدوا لي أنهم يتزوجون من الفتيات الروسيات إذا أحبّ الشاب فتاة روسيّة لكننا لا نعطي بناتنا كزوجات للشباب الروسي لأن في ذلك إنقاص لكرامتنا. وما ينطبق على القُرْبَاطْ في روسيا ينطبق على القُرْبَاطْ في ألمانيا وفرنسا أيضاً. كما أكّد لي السيد ـ داهود بن محمد جمعه القادرلار ـ من قرباط حلب حي ظهرة عواد، والذي يخدم علماً في سلاح الهندسة في منطقة إزرع، حيث زار كل من ألمانيا الغربية وفرنسا ما بين أعوام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٩ مع أبيه وتعرّف هناك على عدد من القُرْبَاطْ عن طريق الصدفة وأنهم يعتزون بقرباطيتهم فلا يتزاوجون مع الألمان في ألمانيا، ولا يتزاوجون مع الفرنسيين في فرنسا.

تعطى الفتاة القرباطية حالياً نوعاً من الحرية في اختيار شريك حياتها، في حين كانت سابقاً غالباً ما تزوج على رأي أهلها، حيث يعطوها لمن يرغبون هم. وإن كانت البنت غير راغبة كزواجها منه. لكن هذه العادة السيئة في إكراه الفتاة بالزواج حسب رغبة أهلها لما كان ينتج عنها من أعمال سيئة ومؤسفة. كعدم الوفاق بين الزواج فيما بعد، وهذا ما يعكر صفو أهل العروس. ولقد كان أحياناً نتيجة لتزويج الفتاة القرباطية مكرهة من شخص لا تريده، أن تجد تلك الفتاة في الخطيفة أمر لا بدَّ منه. وكان يترتب على الخطيفة مشاكل وحوادث مؤسفة سنتحدث عن هذه الظاهرة فيما بعد.

ويسود عند القُرْبَاطْ إعطاء بناتهم كزوجات لرجال متزوجين، شريطة أن يُدفَع المهر المناسب الذي يطلبه والد البنت مقابل ابنته التي يكاد زواجها شبه عملية البيع تماماً.

ـ المهر: عام ١٩٨٧م

كان المهر سابقاً لا يتجاوز بضع مئات الليرات السورية. ويجيب القُرْبَاطْ إذا ما سُئلوا عن المهر سابقاً عندهم: بأن المهر كان أوّل (سابقاً) رخيص. أما حالياً فإن المهر يتراوح ما بين ٢٠ ـ ٣٠ ألف ليرة سورية في التسعينات. وإذا كان العريس من أقارب العروس كما تقول أم حميد زوجة السيد حسن إبراهيم هورو يكون المهر قليلاً جداً قياساً بالمهر المفروض دفعه لأهل الفتاة من قبل العريس الغريب من عشيرة ثانية. وأحياناً يزوج القُرْبَاطْ ابنتهم إلى ابن عمها إذا كان عند الاثنين رغبة ببعضهما بدون مهر.

ويرتفع مقدار مهر الفتاة طرداً مع مكانة أبيها الاجتماعية، لأن الزوج بهذه الحالة يشتري اسم الأب الذي يتمتع بمكانة رفيعة بين جماعات القُرْبَاطْ. وكان الشيخ سابقاً يأتي في مقدمة الوجهاء ذوي المكانة المرموقة عند بقية جماعات القُرْبَاطْ البسطاء. لذا كان مهر بنت الشيخ أغلى بكثير من مَهْر الفتاة المنحدرة من أب عادي. فإذا كان المهر سابقاً ٥٠٠ ل.س للفتاة العادية، كان مهر بنت الشيخ يزيد عن ١٠٠٠٠ ل.س. فالزوج هنا قد حصل بزواجه من ابنة الشيخ على الوجاهة والاحترام التي يكنها القُرْبَاطْ لذلك الشيخ.

ويصل المهر لبنات الشيوح وإن كنَّ غير جميلات إلى ما يزيد عن ٧٠ ـ ٨٠ ألف ل.س في التسعينات كما روى لي السيد ـ خليل جمعة غيفو ـ . ولقد صارت الفتاة حالياً تأخذ قسماً من مهرها حيث تشتري: خاتم ذهب ـ أقراط ـ ساعة ـ وأحياناً مبرومة ذهب أو سحبة ذهب. لكن الغالبية العظمى من القُرْبَاطْ يأخذون المهر لجيوبهم لا للفتاة. وبصورة عامة فإن الأمر متروك إلى والد البنت كما قالوا لي ـ هو وَنَفْسِهِ (أي هو ووجدانه) وتلعب الحياة المادية للأب دوراً كبيراً في هذه الظاهرة:

إذا كان فقيراً فإنه لا يعطي ابنته شيئاً إلا النذر اليسير.

إذا كان الأب ميسور الحال، فإن المبلغ المعطى للفتاة من أصل مهرها يكون أكثر كمية فيما لو كان فقيراً.

وأن الشيخ يعطي ابنته لأي شخص من عشيرته أو لأي رجل من العشائر القرياطية الأخرى شريطة أن يدفع المهر الغالي الذي يليق بمكانته الاجتماعية التي يتمتع بها بين أفراد عشيرته من جهة، وبين العشائر القرياطية الأخرى.

ويختلف مقدار المهر عند جماعات القُرْيَاطْ حسب الصفات التي تكمن في الفتاة ذاتها:

١ ـ كلما كانت الفتاة جميلة كلما كان مهرها غالي.

٢ ـ إن مهر البنت البكر التي لم تتزوج هو أكثر من مهر المرأة الثيِّب (التي كانت متزوجة قبل ذلك).

٣ ـ كما أن مهر المرأة الثيِّب التي لم تقعد في بيت زوجيتها مدة طويلة، ومن ثم تركت زوجها لسبب أو لآخر، هو أغلى من المرأة التي عاشت مع زوجها مدة طويلة، وأنجبت مئة أطفال.

٤ ـ كما أن مهر المرأة الشابة المطلّقة وإن كان عندها أولاد هو أغلى من مهر المرأة المتوسطة السن، والتي كان قد طلقها زوجها وإن لم تنجب أطفالاً منه.

ـ زواج البَدَل (مِلْكِرِنْ):

وتسود عند عشائر القُرْيَاطْ زواج البديلة، شأنهم بذلك شأن بقية السكان العرب المحيطين بهم حيث تتفق أسرتان بتزويج ولديهما وبنتيهما عن طريق المقايضة. إذ يعطي الشاب أخته زوجة لشاب آخر، مقابل أن يعطي الشاب الآخر أخته كزوجة للشاب الأول.

ولزواج البدل في غالب الأحيان مضاعفات سلبية مستقبلاً وخاصةً عندما لا يتفق أحد الزوجين مع زوجته. أو أنّ زوجة أحد الزوجين قد توفيت لسبب أو لآخر.

إذا فقد أحد الزوجين من زواج البدل، زوجته عن طريق الوفاة، فإنه يستدعي أخته بديلة زوجته المتوفية من عند زوجها، إلى عنده حتى يدفع زوجها له نصف المهر المتعارف عليه بين أفراد عشيرته: فإذا كان المهر ٢٠ ألف ليرة، على أخ الزوجة المتوفية أن يدفع لزوجها مبلغ ١٠ آلاف ليرة سورية. وهذه الظاهرة كانت موجودة في حوران سابقاً ويدعونها ـ نصف نقيصة ـ. ولا تزال هذه العادة من زواج المقايضة أو البدل موجود عند العرب الرُّحل.

إذا غضبت إحدى الزوجتين وجاءت إلى دار أبيها، فإن زوجها بهذه الحالة يذهب ويأتي بأخته البديلة وتبقى أخته في بيته إلى أن يعيد الثاني أخته. فإذا لم ترض المرأة

التي زعلت أن ترجع إلى عند زوجها. فإنّها تُطلّق ويدفع أهلها بهذه الحالة مهراً كاملاً لأهل زوجة ابنهم المتفقة هي وزوجها.

إذا كانت إحدى الفتاتين اللتين سيتبادل بهما أخويهما كزوجات، غير جميلة، يترتب على أخيها دفع مبلغ زيادة فوق أخته مقابل الفتاة الثانية التي سيأخذها زوجة له لا لشيء وإنما لكونها أجمل من الأولى.

ويقول الأشخاص الذين اجتمعت بهم من القُرْبَاطْ أن زواج البدل (مِلْكِرِنْ) أخذ في طريق الزوال لما يترتب عليه من نتائج سلبية على البنية الاجتماعية عند جماعات القُرْبَاطْ.

- زواج الخطيفة:

كان يسري بين جماعات القرباط ظاهرة خطف النساء، والآخذة في طريق الانحسار حالياً لما لمسه القُرْبَاطْ من عواقب وخيمة كانت تحدث أثناء حدوث مثل ذلك الزواج الذي تسلكه البنت حسب رغبتها فقط دون أن يكون للأهل علم أو رغبة بذلك.

وظاهرة الخطف هذه كانت تحدث نتيجة لموقف الأهل الذي لا يتمشى ورغبة البنت باختيار شريك حياتها. كما أن الفتاة سابقاً لم يعطها أهلها لمن تحبه، لأن في ذلك إنقاص لشرف وكرامة أهلها، لدرجة إذا علم والد الفتاة، أن ابنته تحب شاباً وجاء يطلب يدها منه، فإنه لا يعطها إياه مهما دفع أهل الشاب مقداراً كبيراً مرتفعاً من المهر كإغراء لأبيها. عند ذلك يقوم الأب بإرغام ابنته على الزواج من شخص آخر قرباطي لا تحبه ولا ترغبه، مما يضطرها هذا الموقف إلى أن تذهب مع الشاب الذي يحبها دون موافقة أهلها.

ولقد كانت البنت الخاطفة تتعرض إلى تصرفات انتقامية من قبل أهلها هدفها القتل لغسل عارهم إذا ما استطاعوا الوصول إلى ابنتهم ولو كان ذلك في دوائر الدولة فلا يتردد أهلها عن قتلها، وعلى الأغلب أن الأخ هو الذي يقوم بقتل أخته.

لا زال قُرباطْ مدينة حلب إلى يومنا هذا يُقْدِمُون على قتل ابنتهم إذا ما خطفت شخصاً دون موافقة أهلها، في حين أن قرباط منطقة عفرين قد تخلوا عن هذه العادة إلى حدٍّ ما، وصار الأمر يحل عن طريق الحوار السلمي بين أهل البنت وبين أهل الشاب عن طريق طرف ثالث وغالباً ما يقوم بهذا الدور وجهاء القُرْبَاطْ ومن بينهم المختار، هذا إذا كان الخاطف شاب من القُرْبَاطْ، ويكون المهر هنا مضاعفاً. أما إذا كان

الخاطف شاب لا ينتمي إلى جماعة القُرْبَاطْ، فإن أهل البنت لا يقبلون الصلح في هذه الحالة، التي أدت إلى إنقاص كرامتهم، وإذلالهم. ولا تسترد الكرامة المهدورة التي جلبتها الفتاة الخاطفة لأهلها إلا بقتلها حتى ولو كانت في دوائر الدولة.

أما عن سبب انحسار هذه العادة السيئة حسب رأي القُرْبَاطْ يكمن بما يلي:

أ ـ أنّ الفتاة يجب أن تُعطى لمن ترغب وتحب. وقد صار القُرْبَاطْ يدركون هذه الظاهرة جيداً، لدرجة أنهم يقولون: يجب إعطاء البنت حريتها في عملية الزواج حتى لا يتعب أهلها مستقبلاً فيما إذا زوجوها على هواهم، دون أن يكون لها رغبة بالشخص الذي زوّجها أهلها له كرهاً.

٢ ـ غالباً الفتاة التي تُزَوَّجُ رغماً عنها إما أن تترك زوجها فيما بعد وتأتي إلى عند أهلها، ولا ترضى أن تعود إلى عند زوجها الذي لا تحبه مهما كانت نتيجة غضب أهلها عليها. عندئذٍ يرضخ أهلها للأمر الواقع، فيطلبون طلاق ابنتهم من زوجها مقابل إرجاع المهر كاملاً لزوجها ما عدا اقتطاع مبلغ ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ل.س كان هذا في التسعينات مقابل الناموس (بدلاً من دخول زوجها عليها). أما إذا لم يرض الزوج باقتطاع هذا المبلغ مقابل مضاجعته لتلك الفتاة وفض غشاء بكارتها، فإن أهلها ملزمون بدفع المهر كاملاً غير منقوص للزوج.

٣ ـ من الأمور التي ساهمت في انحسار ظاهرة قتل الخطيفة ـ خضوع القُرْبَاطْ للسلطة في سوريا خضوعاً كاملاً بعد أن تم تسجيلهم في دوائر السجل المدني. وصار القانون المدني في سوريا يُطبَّق على القُرْبَاطْ شأنهم في ذلك شأن بقية المواطنين في سوريا.

لذا صار القاتل يُودَع في السجن مدة ليست بقصيرة تاركاً أولاده وزوجته وأهله للقدر، مقابل طيشه الذي قاده إلى قتل أخته أو ابنته.

ولقد كانت الخطيفة وقتلها سارية المفعول في معظم المناطق التي يسودها المنطق القبلي سابقاً مثل: منطقة الرقة ـ منطقة دير الزور ـ منطقة البادية ـ منطقة حوارن ـ لكن هذه العادة السيئة قد انحسرت وزالت لما كانت تخلفه من أضرار مادية ومعنوية لأفراد العشيرة التي ينتمي إليها البنت أو الشاب على السواء.

ـ احكام في الزواج والعرف والعادة:

١ ـ إذا غضبت امرأة متزوجة من زوجها، وجاءت إلى بيت أهلها، فإن أهلها يستقبلونها ولا يحاولون إزعاجها مع محاولاتهم لتعزيز مكانتها عند زوجها.

أما إذا جاء زوجها إلى عندها وطلب منها أن تعود إلى بيتها، وذهبت معه عائدةً إلى عند أولادها دون أن يكون علم لأبيها أو أخيها بذلك الأمر. فيترتب على موقف المرأة هذه من قبل أهلها: عدم احترامها. ولا يستقبلونها ثانية إذا جاءت غاضبةً إلى عندهم، لا بل يطردونها.

أما المرأة التي ترضى بعد أن تكون عند أهلها زعلانة، دون أن يكون لأهلها علم بذلك ـ عند جماعات النَّوَرْ ـ فإنها تُعامَل معاملة الخطيفة عندئذ يتوجب على الأهل قتلها.

٢ ـ سن الزواج للفتاة عند القُرْبَاطْ ـ حالياً ما بين ١٥ ـ ١٨ ـ سنة، في حين كانت تتزوج الفتاة القرباطية في سن أبكر من ذلك كما تقول ـ أم حميد زوجة حسن إبراهيم هورو ـ من قُرباطْ عفرين وذلك ما بين ١٢ ـ ١٤ عام.

٣ ـ يسود عند القرباط ظاهرة جمع أكثر من زوجة على عصمة الرجل الواحد ـ ولربّما هذه الظاهرة الاجتماعية عند القُرْبَاطْ هي التي تجعل ـ ظاهرة البنات العُنَّسْ غير موجودة، لا بل لا يعرفونها وعلى حد تعبيرهم ـ الكل بيجَوِّزْ ليش بتَمْ ما بيجَوِّز ـ .

٤ ـ بالرغم من أن القُرْبَاطْ مجتمع قبلي، غير أنهم يفضلون في وقتنا الحالي الزواج من الفتاة الغريبة التي لا تمت لعشيرة الشاب بصلة قرابية دموية. ويعزون سبب ذلك، إلى أن الزوجة الغريبة تقدِّر وتحترم زوجها أكثر من القريبة.

٥ ـ كما أنّ أولاد العم لا يجبرون ابنة عمهم بالدم الزواج منهم إلا في حالة واحدة: عندما تكون لها رغبة بأحد أبناء عمها وأهلها راضون عن ذلك. أمّا إذا كان الأب والإخوة غير راضين بزواج ابنتهم أو أختهم من ابن عمها، فإن الزواج لا يتم. وبالتالي لا ينطبق عندهم القول الذي كان يسري عند المجتمعات العربية القبلية ـ ابن العم يُحَدِّر بِنْتْ عَمُّو من عَظْهِرِ الفَرَسْ ـ (ابن العم بحَدِّر ابنة عمه من على ظهر الفرس) دلالة على شدة العصبية القبلية تأثيرها في سلوك الفرد القبلي والتي تُعْطِي ابنَ العمِّ صلاحيات فوق العادة على ابنة عَمِّهِ وخاصةً إذا كان العم أبو الفتاة أضعف في قوته من أخيه وأولاده.

٦ ـ إن العروس لا تزور أهلها إلا بعد اليوم السابع من زواجها، حيث يدعو أهل العروس ابنتهم وزوجها (نسيبهم الجديد)، لتناول طعام الغداء على شرفهما.

٧ ـ إذا تزوجت البنت وتبين في ليلة الدخلة لزوجها أنها ليست بِكْرٌ. فإنه يترتب في هذه الحالة ما يلي:

١ ـ إذا كان الزوج راضٍ عن عدم وجود غشاء البكارة عند عروسه بعد إعلامه ذلك لأهله وأهلها، ويريد أن يستمر بزواجه منها: على والد العروس في هذه الحالة أن يرجع نصف المهر المدفوع إلى العريس.

٢ ـ أما إذا لم يرض العريس الاستمرار بزواجه من عروسه غير الْبِكْر، فعلى والد العروس في هذه الحالة أن يرجع كافة المهر الذي دفعه له أهل العريس أثناء خطوبة ابنته. وفي بعض الأحيان يتم اقتطاع مبلغ زهيد من المهر لا يزيد عن ٢٠٠٠ ل.س، أو كما يحدد ذلك الديوان الذي يحل المشكلة بين الطرفين، وذلك مقابل ناموس الفتاة الذي كان قد كشفه العريس ليلة عرسها◆.

ومن ثم يأتي الأب بابنته إلى عنده ويسألها من فضَّ غشاء بكارتها فإذا قالت البنت عنه، يطلب ذلك الفاعل إلى الديوان (بيت شيخ العشيرة) ليدفع المهر لأهل الفتاة أكثر من ضعفين، هذا إذا لم تحدث أعمال ذات طابع مأساوي: كإقدام أهل الفتاة قتل ابنتهم. وأحياناً يتم قتل الرجل الذي ضاجعها وهي بكر إذا تسنّى لهم ذلك. ويدعى المبلغ الذي يدفعه الشخص المضاجع للفتاة قبل زواجها، حسب عرف القُرْيَاطْ ـ شَرَفِيَّة ـ تزيد عن خمسين ألف ل.س. هذا في عام ١٩٨٧م:

٨ ـ الصلح على الفتاة الخاطفة غالباً ما يتم باتفاق على مبلغ أكبر بكثير من مقدار المهر المتعارف عليه عند أهل الفتاة التي كانت قد خطفت دون علم أهلها. فإذا كان المهر المتعارف عليه ٣٠ ألف ل.س توجب على الخاطف دفع مبلغ يزيد عن ٨٠ ألف ل.س لأهل الفتاة شَرَفِيَّة لهم.

٩ ـ إذا تزوج شاب قرياطي من فتاة ولم يستطع مضاجعتها خلال مدة شهرين من تاريخ زواجها، فإن الفتاة ترجع إلى عند أهلها وتعلمهم بالأمر.

◆ - الديوان: يقول القرياط – عن الواسطة – المكلفة بإصلاح ذات البّين، إذا ما جلسوا لتداول المشكلة من أجل حَلّها - بـ الديوان. وغالباً يكون الديوان – هو مجلس شيخ العشيرة.

في هذه الحالة يقضي العرف عند القُرَباطْ بأن يتصرف الأب ما يلي:

- إرجاع نصف مبلغ المهر المدفوع إلى أهل العريس.

- أو إرجاع المهر كاملاً بعد اقتطاع ثمن الناموس حسب ما يقرّه المجلس أو الديوان الذي كان قد كلّف بحلّ المشكلة بين أهل العريس والعروس، وأحياناً المبلغ المقتطع لا يزيد عن ۲۰۰۰ ل.س أو كما يرى الوسطاء. فأحياناً يرجع الأب كامل المهر لأهل العريس غير القادر جنسياً.

۱۰ - إذا تزوجت الفتاة التي كانت قد تزوجت سابقاً، ولم يدخل زوجها عليها لعدم قدرته على المضاجعة جنسياً ومن ثم رجعت إلى عند أهلها وطُلّقت منه، يكون مهرها بهذه الحالة أقل من الفتاة التي لم تتزوج بعد، وإن ما زالت تحتفظ بغشاء البكارة الذي يحرص الفرد النَّوري أن يكون موجوداً لدى شريكة حياته التي اختارها بادئ الأمر. كما أن الفتاة النَّوريَّة وبغض النظر عن انتماء أهلها المهني أو العشائري - حريصة كل الحرص بالمحافظة على عُذْريتها ما دامت دون زواج، لأن إقدامها على هذا يعرضها حياتها للموت الأكيد.

۱۱ - إذا تزوجت فتاة ودخل عليها زوجها، ومن ثم ذهبت إلى بيت أهلها مع إصرارها بعدم الرجوع إلى زوجها. فيترتب على والد العروس إرجاع مهر ابنته كاملاً إلى عريسها لأنها هي الكرهانة، إلا أنه يتم أحياناً اقتطاع مبلغ يتراوح ما بين ۲۰۰۰ - ۳۰۰۰ ل.س شرفية فقط والباقي من المهر يرجع إلى الزوج. ويتم اقتطاع المبلغ - الشَّرَفِيَّة - حسب ما تأمر به العارفة شريطة قبول الزوج بذلك، فإذا لم يقبل فإن مهره يرجع بكامله إليه.

۱۲ - إذا خطفت امرأة متزوجة من تحت فخذ زوجها ولم تكن قد أنجبت أولاد منه، يقضي العرف عند القُرَباطْ، إرجاع المهر لزوجها مضاعفاً مرتين - فإذا كان مهرها ۱۰ آلاف ليرة سوري - يدفع أبو المرأة الخاطفة لزوجها مبلغ ۲۰ ألف ليرة سوري شريطة أن يوقع الزوج على وثيقة تعهد تَنُصُّ: أنه لم يعد له أيّ علاقة مع زوجته التي كانت قد خطفت.

وغالباً ما يتم دفع المبلغ بعد أن يتم الصلح بين الرجل الخاطف وبين أهل المرأة المخطوفة وليس لزوجها أي علاقة بالموضوع. أما إذا لم يوقع الزوج على الوثيقة التي

يطلب منه الالتزام بما جاء بها فلا يدفع له ولا قرش مما قد تم الصلح عليه بين أهل المرأة وبين أهل زوجها الجديد الخاطف لها.

إن في هذه الظاهرة لخير شاهد على الانتماء المزدوج للزوجة؛ انتماء دائم بيولوجي واجتماعي لأهلها، وانتماء مؤقت لزوجها قاصر على المضاجعة الجنسية، والمساعدة في تربية الأطفال وتسيير أمور البيت.

١٣ ـ أما إذا كانت المرأة المتزوجة قد خطفت وهي على عصمة زوجها، وعندها منه أطفال يصبح الأمر أكثر تعقيداً فيما لو لم يكن عندها أطفال من زوجها الذي تركته.

١٤ ـ زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفّي إذا كان قد أنجب أطفالاً:

يسود عند المجتمع القرباطي زواج الأخ من أرملة أخيه الذي كان قد توفي وترك وراءه أطفالاً، وذلك شريطة موافقة الزوجة الأرملة على ذلك، ويكون من الأفضل إذا وافق أهلها أيضاً على هذا الزواج الجديد كي تبقى عند أطفالها. وفي هذه الحالة يجب أن يدفع مهر من جديد إلى والد الأرملة.

في هذه الحالة غالباً الأب لا يأخذ مهر ابنته لجيبه كما حدث في زواجها الأول، وإنما يعطي مهرها كاملاً لها كي تساعد به أطفالها اليتامى.

لقد حدثني السيد ـ حسن إبراهيم هورو الراقراق ـ أنَّ ابنته ـ سوريّا ـ كانت قد تزوجت من شخص قرباطي من عائلة ـ صيدو ـ اسمه ـ أحمد صيدو ـ الذي أُودع السجن لمدة عشر سنوات. ولقد بقيت زوجة السجين عند أطفالها الأربع مدة أربع سنوات تقوم على تربيتهم. وان أخوة زوجها السجين ـ خيرو وأحمد، طيلة تلك المدة يحاورانها بالزواج من أحدهما، إلا أنها لم توافق على ذلك.

وكان والدها ـ حسن إبراهيم هورو ـ بدوره يبعث لها إذا كانت تريد الزواج، أم تبقى على أولادها، فقالت أريد أن أبقى على أولادي لأن أولادها أحسن عندها من زوجها. ودوماً كانت تقول ـ سوريّا ـ لكل من يحاورها بالزواج: أنّ عندها الرغبة الكاملة بانتظار زوجها مهما طالت مدة غيابه عنها.

وذات يوم بعد الأربع سنوات وإذا بابنته ـ سوريّا ـ وسِلفُها عبدو صيدو قد جاء إلى عنده وقال له سلفها: هذه ابنتك خذها. عندئذٍ سأل والد المرأة حسن إبراهيم هورو سِلفُها هل في شيء، فكان جواب سِلفُ سوريّا لا يوجد شيء.

وبعد عشرين يوماً جاء سِلْفُ سوريّا والذي يُدعى ـ خيرو ـ إلى عند أبيها وكلمّه حرفياً: بدنا ترجع كنتنا إلى عند أولادها. فكان جوابْ الأب معليش مشان الأولاد يجب أن تذهبي إلى بيتك مع سِلْفِكِ، فذهبت سوريّا إلى عند أولادها، لكنها رجعت في نفس النهار إلى عند أبيها، فسألها أبيها عن السبب فقالت، بعد ما وصلت صار يضربني بشدّة. فغضب الأب وقال: هذا ليش بيضرب لو كان زوجها معاليش لكن سلفها.فقال لابنته أقعدي عندي حتى يطلع زوجك من السجن، عندئذٍ يأتي إلى عندي وتذهبين معه. إلا أن سوريّا بعد عشرة أيام قد خطفت شخصاً قرباطي اسمه ـ رمضان خليل جمعة ـ من عشيرة غيفو من قرباط عفرين.

قال لي أبوها: ((أننا سنأخذ ضعف مهرها الأولي من زوجها الحالي، وأعطيه بدوري إلى زوجها الأول من أجل مساعدة اليتامى شريطة أن يوقع زوجها الذي في السجن على وثيقة مكتوبة تنص على أنه لم يعد له علاقة معها)).

وأردف ـ أبو سوريّا ـ قائلاً:

((بعد أن يتم الصلح سأجعل أحد أولادي يقوم بعملية ذبحها لأنها كسرت شرفي بين قرباط عفرين)). وإلى الآن لم يصلح السيد حسن إبراهيم هورو على خطيفة ابنته سوريّا، بالرغم من كثرة الوساطات التي تأتي من قبل زوجها الجديد، والذي يقول أنّه سيدفع مهراً لأبيها كما يطلب. وللصدفة وأنا جالس عندهم في الخيمة على طريق الشيخ مسكين نوى، جاءهم وسيط اسمه داهود محمد جمعة القادرلار من قرباط حي ظهرة عواد بحلب والذي يخدم مجنّداً بإزرع ((وهو شاب وسيم ولطيف وخلوق وصائم وقام يصلي الظهر وأنا موجود، وأن السيد داهود متعلم حيث يقرأ ويكتب)).

نستنتج من هذه الحادثة: أن البنية الاجتماعية عند جماعات القُرْبّاطْ لا تلزم الزوجة التي يتركها زوجها أكثر من خمس سنوات أن تبقى على أولادها في بيت زوجها، إلا إذا كانت هي راغبة بذلك.

ويعتبر قرباط منطقة عفرين من أشد فئات النَّوَرْ في القطر العربي السوري تعصباً لقرباطيتهم، كما أنهم جماعات شجعان حسب اعتراف جماعات المطارية وجماعات الهرامشة والذين يشهدون بشدة البأس لدى هؤلاء الناس من القُرْبّاطْ. ولا تزال حتى يومنا عادة القتل (الذبح) للمرأة إذا عرف أقاربها أنها قد عملت عملاً يسيء إلى سمعة شرفهم.

اللغة عند القُرْبَاطْ (جِبْ ضُوْم واري: للسان النَّوري)

تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية يكتسبها الفرد من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها. فإذا ما ولد طفل من أبوين يتكلمان اللغة العربية، ورباه منذ الصغر في محيط اجتماعي جديد يتكلم اللغة اليونانية على سبيل المثال، فإن ذلك الطفل سيتكلم اللغة اليونانية التي يتكلم بها المحيط الاجتماعي الذي احتضنه ورباه.

إن المثال المذكور يؤكد لنا أن اللغة ظاهرة اجتماعية وليست ظاهرة إحيائية تنتقل عن طريق الصبغيات المورثة من الوالدين إلى الأولاد كلون الشعر وشكله، ولون العين وشكلها، ولون البشرة وشكل مساماتها... إلخ من تلك الصفات السلالية التي تنتقل إحيائياً عن طريق الصبغيات الذاتية الموروثة والتي يبلغ عددها عند الإنسان ـ ٤٤ ـ زوج صبغي ذاتي. فإذا ما أخذنا طفلاً صغيراً ووضعناه في مكان منعزل عن أي تجمع بشري يحتك به مباشرة مع تأمين كل مستلزمات الحياة لذلك الطفل، فإن ذلك الطفل لن يتكلم بأية لغة كانت لأنه كان محروماً من الإطار الاجتماعي الذي عن طريقه يتعلم الطفل اللغة التي من خلالها سيعبر ذلك الطفل مستقبلاً عن أحاسيسه وشعوره وخوالجه، وأن اللغة هي العامل الذي بواسطته يستطيع الإنسان أن يتفاهم عن طريقها مع بقية أفراد نوعه الإنساني.

كما أن اللغة تساهم بشكل فعّال في قدرة الإنسان على التفكير، لأن اللغة والتفكير برأينا ظاهرتان متلازمتان، فإذا فقد الطفل الرضيع حاسة السمع ولاديّاً وهو في بطن أمه فإن ذلك الطفل لن يكتسب اللغة من محيطه الاجتماعي مستقبلاً. أن عدم قدرته على التكلم تنعكس سلباً على قدرته التفكيرية واستيعابه لمعطيات الحضارة التي تحيط به. وتشكل اللغة بنظرنا ذلك الوعاء الكبير الذي يختزن الإرث الثقافي المكتسب لأي شعب من الشعوب والذي ينتقل من السلف إلى الخلف عن طريق الاكتساب سواء عن طريق التلقين أو عن طريق التعلم والتعليم.

وتعتبر اللغة أهم عامل روحي واجتماعي يربط بين الأفراد الذي يتكلمون لغة واحدة، لدرجة أن اللغة تقوي الشعور القومي بين الذين يتكلمون بها، ويعتبرونها بقرارة أنفسهم أنها لغتهم القومية التي يشعرون بوجودهم من خلالها، وأنهم يتميزون عن غيرهم بنطق كلماتها. وأن أي شعب يحافظ على لغته القومية، وإن كان قد فقد أرض وطنه لسبب أو لآخر، فإنه سيبقى محافظاً على شخصيته القومية، وإن تبعثر أفراد هذا القوم في أصقاع شتى في العالم، لأن اللغة ليس صلة اتصال بين الناس التي يتكلمون بها، بل هي الوعاء الذي يختزن فيه تراثهم الثقافي والروحي والمادي، والذي يحدد معالم شخصية الفرد. وأنّ قولنا هذا ينطبق على جماعات النَّوَرْ فقط، حيث لا زالوا محافظين على هويتهم القومية. رغم تَشَتُّتُهِمْ في معظم أنحاء المعمورة.

وأعتقد أنّ السر في المحافظة على اللغة وعلى كثير من العادات القديمة عند كافة جماعات النَّوَرْ على اختلاف نحلهم يكمن في:

١ ـ الحياة الاجتماعية المغلقة التي يعيشونها. فهم أشبه في تجمعاتهم بخلايا النحل أو النمل التي لا يسمح أفرادها للغرباء الدخول إليها.

٢ ـ الحياة العشائرية التي تتجسد في سلوكهم اليومي لدرجة أن الزواج داخلي Endagamy مقصور بين العشيرة الواحدة فقط.

٣ ـ نمطهم المعيشي القائم على التنقل الدائم هو ما يحرم أفراد الجماعات النَّوَرية كثيراً من معطيات الثقافة الإنسانية: كالتعليم والاستفادة من معطيات الحضارة ذات المسار المستقيم نحو الأفضل.

٤ ـ السلطة المعنوية التي يتمتع بها الكبار، حيث يتم تلقين الصغار، كل جوانب الحياة المادية والروحية التي نشأ فيها الكبار.

ولقد تبين لي من خلال لقاءات مع رجال متقدمين بالسن من النَّوَرْ، حول اللغات التي يتكلمها ALNAWAR ـ غير لغتهم الأم التي يسمونها ـ لغة العصفورة ـ أو ـ ضوم واري ـ أي: اللسان النَّوري، تعود لاسباب تاريخية وشفافية، كان جماعات النَّور قد عاشتها في الماضي بين ظهراني شعوب مختلفة بثقافاتها، ولغاتها، وأديانها، وذلك بعد خروج جماعات النور أو ـ بني الدوّارة ـ أو الضُّوم ـ التي يحبون أن ينعتوا بها:

أ ـ أن الجماعات من النَّوَرْ التي تدعي بأصولها الكردية، قد عاش أجدادهم زمناً طويلاً في بيئة اجتماعية تتكلم اللغة الكردية قبل أن يأتي هؤلاء مؤخراً إلى منطقة القدم في دمشق ليستقروا فيها. فقد قال السيد ـ عبدو الرمضان الأحمد ـ من نور الهرامشة، والساكن في بلدة الشيخ مسكين في حوران: أن النَّوَرْ الذين يتكلمون اللغة الكردية قد عاشوا سابقاً في منطقة جبل الزاوية لمدة طويلة، وهذا ما جعلهم يتكلمون اللغة الكردية تدريجياً على حساب لغتهم القرباطية الأم. وهذه الفئة من النَّوَرْ الذين يَدَّعون أنهم أكراد مكروهين من بقية العشائر النَّورية الأخرى لامتهانهم السَّرقة، حيث المرأة تسافر وفي زِنَّارِها مربوط حزمة من المفاتيح لفتح البيوت الخالية من أصحابها وسرقة ما فيها من حُليٍّ وعملات وَرَقِيَّة كانت أم معدنية.

٢ ـ وهناك فئات من القُرْبَاطْ يتكلمون التركية كقرباط منطقة عفرين ومنطقة حلب، وقرباط منطقة الميادين والعشارة في محافظة دير الزور، وأن هؤلاء جميعاً ليسوا بأتراك، وإنما كانوا قد عاشوا بين ظهراني مجتمع في الماضي يتكلم اللغة التركية، فاكتسبوها وصاروا يتكلمون بها، إلا أن هؤلاء القُرْبَاطْ يتكلمون القرباطية إلى جانب التركية والعربية التي اكتسبوها بدورهم من المحيط العربي الذين يعيشون فيه حالياً. وسبب معرفة هؤلاء النَّوَرْ اللغة التركية لتواجدهم زمناً طويلاً في تركيا من جهة ولوجود مناطق استقرارهم الحالي على الحدود ما بين الجمهورية العربية السورية وبين تركيا ـ عفرين ـ الباب ـ إعزاز ـ سراقب ـ حلب. كما أنّ نور منطقة دير العصافير يتكلمون اللغة التركمانية لدرجة أنهم يعرفون بعشيرة التركمليّة وأن مختارهم الحالي السيد أبو زهير.

أما النَّوَرْ في منطقة الساحل السوري، ومنطقة العريضة، وتل كلخ، وفي منطقة المالكية، يطلقون على أنفسهم تسمية ـ المَطَارِبَة ـ مفردها مُطْرِبْ وهي من أصل عربي، لكن بلهجتهم يقولون ـ مِثْرِبْ ـ كما أنّ هؤلاء يتكلمون العربية والتركية، لكنهم يعرفون أيضاً اللغة القرباطية الخاصة بهم دون غيرهم.

ومن خلال ملاحظاتي لمخارج الحروف عند القُرْبَاطْ والنَّوَرْ على حد سواء وهم يتكلمون القرباطية، لاحظت ما يلي:

أن مخارج الحروف الصوتية في لغة التَّوَرْ والقَرْبَاطْ في معظمها هي فَمِّيَّةً. فعند نُطقِ الحرف الصوتي ـ و ـ O ـ علينا أنْ نَجْعَل الشّفة العليا والسفلى على شكل خاتم ضيق مع وضع مقدمة اللسان إلى خلف وأسفل أسنان الفَكْ السُّفلي وهذه بعض الكلمات أمثلة على ذلك:

سُوزُوك= يجب أن يلفظ الحرف الصوتي ـ الواو ـ هنا كما يلي ـ أُوْ ـ . وتعني هذه الكلمة سوزوك القرباطية كلمة ـ صوص ـ باللغة العربية.

كُوتِرْ= أيضاً يلفظ الحرف الصوتي هنا ـ الواو ـ كما يلي: أُوْ. وتعني تلك الكلمة القرباطية ـ كُوتِرْ ـ الحمام باللغة العربية.

دُوك= أيضاً الحرف الضوتي هنا يلفظ كالآتي ـ أُوْ ـ بعد جعل الشفتين على شكل خاتم، وتعني المغزل الخشبي.

شْتُونْ= أيضاً يلفظ الحرف الصوتي ـ الواو ـ O كالآتي ـ أُوْ ـ ولفظ هذا الحرف شبيه بلفظ الحرف ـ Y ـ باللغة الروسية وإلى لفظة حرفي ـ OU ـ بالفرنسية.

أما لفظ الحرف الصوتي ـ آ = A في اللغة القرباطية يكون مبتوراً غير ممدود في لفظه كلفظتا حرف ـ آ ـ مع المدَّة في اللغة العربية، وإنما يشبه لفظ حرف الألف وعليه الهمزة حيث مخرج الحرف شبه حلقي مع فتح الفم قليلاً ووضع اللسان بشكل ملاصق لأسنان الفك السفلي من الداخل مثال:

قَالْ = حيث يكون حرف الألف مع مدته (حركة المدة القصيرة) كقولنا ـ قَلْ ـ وتعني تلك الكلمة القرباطية ـ قال ـ بالعربي ـ الْجِلْد.

داناياك = أيضاً الحرف الصوتي هنا ـ أ= A والمكرر مرتين في الكلمة المكتوبة لا ترافقهما حركة المد الطويلة المعروفة بـ آ بعد فتح الفم قليلاً ووضع اللسان ملامساً لأسنان الفك السفلي من الداخل.

يُوغَاغْ = تلفظ كأنها مكتوبة ـ يُوغَغْ ـ حيث مخرج الحرف الصوتي ـ A ـ إلى حد ما حلقي ـ وتعني تلك الكلمة باللغة العربية بيضة.

أما لفظ الحرف الصوتي ـ ي = E، يكون حلقياً، مع فتح الفم ووضع مقدمة اللسان على أسنان الفك السفلي من الداخل مع زفير طويل وثني مقدمة اللسان قليلاً نحو الأسفل. أمثلة على ذلك:

كِري - سكّين: مُوْسْ.

بًاني = يلفظ الحرف الصوتي الأخير- ي - من الكلمة - بًاني - وضع اللسان على أسنان الفك السفلي من الداخل مع ثنيه قليلاً نحو الأسفل، إلى جانب عملية زفير تستمر حتى ينتهي لفظ الحرف - ي - وبالتالي يكون لفظ الحرف - ي - باللغة القرباطية كما يلي: إِي.

لافْتِي = أيضاً يلفظ الحرف الصوتي الأخير من الكلمة المذكور كالآتي - إِي - وتعني هذه الكلمة بالعربية: بنت.

لاحظت وجود حرف صوتي حَلْقِيُّ المخرج، يلفظ على شكل حرف - أُوْ - مخففة، كلفظنا للحرف الفرنسي الصوتي - E - مثل كلمة - آرو - وتعني بالعربية (تعال).

أما عدد الحروف التي استطعت إحصاءها من خلال أحاديثهم مع بعضهم البعض، ومن خلال أغانيهم، في حدود ست وعشرين حرفاً منها أربعة حروف صوتية واثنان وعشرون حرفاً ساكناً، وهي كما يلي:

آ - ب - ت - ج - ح - خ - د - ر - ز - س - ش - غ - ع - ك - ل - م - ن - ف - ڤ - ص - ط - ي - و(أُوْ) - هـ - ث. (قاف تلفظ حسب لهجة أهل حوران. وهناك حرف صوتي يلفظ كالحرف الفرنسي - E - أو مثل حرف - و - مخففة وحلقي المخرج. ولاحظت في كلامهم حرفي - ح - ع.

ومما لاحظته أن حرف الحاء مشترك بين القرباطية واللغة الكردية، حتى أن هناك كلمات مشتركة في اللغتين مثل:

	قرباطي	كردي	عربي
١	يُوْكَا	يَاك	واحد
٢	دُوِي	دُوْدُوْ	اثنان (٢)
٣	شيش	شاش	ستة (٦)
٤	بانج	پينْج	خمسة (٥)
٥	حَوْط	حَوْط	سبعة (٧)
٦	حَشْتْ	حَاشِتْ	ثمانية (٨)

٧	إنْهَاٰ	نْهَاٰ	تسعة (٩)
٨	فيست	بيست	عشرون (٢٠)
٩	سيٰ	سو	ثلاثون (٣٠)
١٠	صاد	صاد	مئة (١٠٠)
١١	حازار	حازار	ألف (١٠٠٠)
١٢	كُنْدُرْ	كُنْدُرْ	كوسا

ومما لاحظته وتأكدت منه في اللغة القرباطية أثناء حديثهم لي وغنائهم بالقرباطية ما يلي:

١ ـ الصفة تسبق الموصوف، مثال على ذلك:

١) هَنَاٰ بْخيزِي لافِتْي: هذه جميلة فتاة (هذه فتاة جميلة)

هذه جميلة فتاة: هذه جميلة بنت (هذه بنت جميلة)

٢) هَنَا إرْ بْخيْزِيٰ: هنا الموصوف قبل الصفة كما يلفظونها أحياناً لكن الأصح الصفة قبل الموصوف. ـ هذا ولد جميل ـ لكن معظم كلامهم الصفة تسبق الموصوف (هَنَاٰ بْخَبزِي إرْ). إرْ: وَلَدٌ

٢ ـ إن الجملة في اللغة القرباطية التي تحكى ولا تكتب تتكون من فعل وفاعل ومفعول به. لكن الذي لاحظته من حديثهم أن ترتيب كلمات الجملة نحوياً يكون كالتالي: الفاعل أولاً، والمفعول به ثانياً والفعل ثالثاً أي في آخر الجملة مثل على ذلك:

١) كِيلسَفِنْ مَنَاٰ قيْرِيٰ (القرباطية: اللسان النُّوري).

الترجمة للعربية:

الْوَلَد الْخبز أَكَلَ = يعني أكل الولد الخبز.

كِيلسَفِنْ = الولد.

مَنَاٰ = الخبز.

قَيرِيٰ = أكل.

٢) فِيلسَرُوه بَأنِيٰ بيرُه (القرباطي).

فِيلسَرُوه = الولد.

بَأنِيٰ = ماء.

بيزُه = شَرِبَ.

الترجمة حرفياً = الولد الماء شرب - أي شرب الولد الماء.

٣) جُوْرُوْمِي آيْدا بُوْكَا تنكة ثشِقْنَاهْ

جُوْرُوُم = امرأة (جُوْرُومِي = امرأتي)

آيْدا = جَابَتْ.

• بُوْكَا = واحدة.

تنكة = سطل.

ثشِقْنَاهْ = زيت. ترجمتها تصبح كما يلي:

إمرأتِي جَابَتْ واحدة تَنْكَةً زَيْتٍ - أي: امرأتي جابت تنكة زيت.

فإن الفاعل قبل الفعل هنا في الجملة المذكورة على غرار اللغات الهندوأوروبية:

٤) جُوْرُوْم آبْرا هِيتَّا:

جُوْرُوُم = امرأة.

آبرا = جاءت (فعل لازم).

هِيتَّا = هنا.

الْمَرأة جَاءَتْ إلى هُنَا، في العربية تصبح: جاءت المرأة إلى هنا.

٥) مَانُوصْ بِيسِّينقَا قَيْرِيْ:

مَانُوصْ = رجل.

بيسِّينقا = بُرْغُلْ.

قَيْرِيْ = أَكَلَ. (فعل مُتَعَدٍّ يحتاج إلى مفعول به).

الرَّجُلُ البُرْغُلَ أَكَلَ - أي: أَكَلَ الرَّجُلُ البُرْغُلَ.

مما سبق نجد دوماً الفاعل يأتي قبل الفعل في الجملة في اللغة القرياطية، سواء كان الفعل لازماً أو متعدياً.

إذا كان الفعل متعدٍّ يحتاج إلى فاعل ومفعول به، فإن المفعول به يأتي بعد كلمة الفاعل من حيث الترتيب النحوي، وفي نهاية الجملة يأتي الفعل مثل قولنا:

قَرْ غَيْسُوْفْ قَيْرِيْ

قَرْ = الحمار.

غَيسُوْفْ = الحنطة.

قَيْرِيْ = أكل.

الحمار الحنطة أَكَلْ = أكَلَ الحِمار الْخُبْزُ:

الحمار = فاعل ـ الحنطة= مفعول به ـ أكل = فعل ماض متعدٍ يحتاج إلى مفعول به.

ومن الطريف أن كلمة الناموس التي تعني ـ الشرف ـ في اللغة العربية نجدها في اللغة القرباطية تعني اسم، فعندما نسأل بالقرباطي ـ ما اسمك؟ ـ نقول: كَاكْ نَاْموس أَتُوْ؟. فيجيب الشخص المسؤول فرضاً كالتالي: نَاْمُوْسْ عَلِيْ: بمعنى اسمي علي.

وتجدر الإشارة أن كلمة ـ كاك ـ أين بالقرباطية: هي كلمة سلافية روسية: كيف؟

ـ ضمائر المخاطب في اللغة ـ الدُوْمَرِيَّة ـ (النورية أو القرباطية):

ـ أمَا ـ Ama ـ وتُلفظ أحياناً ـ أمَاْيْ: وتعني ـ أنا ـ للمذكر والمؤنث.

ـ أَتُوْيْ ـ Amo ـ للمذكر والمؤنث وتعني: أنتَ ـ أَنْتِ.

ـ هَنَاْيْ أو بَاْنْجِي Hana ـ Bangi وتعني: هو وهِيَ. وأحياناً يقولون هَنُوْيْ بدلاً من لفظة ـ هَنَاي.

ـ أَمِين: Amin ـ للمذكر والمؤنث في حالة الجمع وتعني: نحن.

ـ أَتْمِين Atmin ـ للمذكر والمؤنث الجمع ـ أنتم ـ أنتن ـ أنتما: وأحياناً يلفظون كلمة ـ دِوَّيرِنْ.

ـ هيرين Hurren ـ للمذكر والمؤنث الجمع ـ هم ـ هُنَّ ـ هُما.

ـ ضمائر التملك:

ـ باص: عند.

ـ بَاصُوْمْ: عندي للمذكر والمؤنث ـ باصوم كريًا: عندي بيت.

ـ بَاْصُوْرْ: عندي للمذكر ـ عندك للمؤنث: باصور كريًا: عندكَ بيت أو عندكِ بيت.

ـ بَاْصي: عندها وعنده ـ باصي كريًا: عندها بيتٌ أو عنده بيت.

ـ بَاصُوْمَنْ كريًا: عندنا للمذكر والمؤنث في حالة الجمع ـ عندنا بيت.

ـ بَاصُوْرَن: عندكم ـ عندكن: باصورن ضوله: عندكم طبل ـ أو عندكن بطل.

ـ بَاصْتِين: عندهم أو عندهن: باصتين كريًا ـ عندهن بيت أو عندهم بيت.

وأحياناً يقولون ـ باصْتِيك: بدلاً من كلمة باصتين.

كما تلاحظ أن في لغة الدوم واري لا يوجد تثنية لا للشخص الغائب /هما/ ولا في حالة الحاضر /أنتما/.

كما لا يوجد هناك ضمائر خاصة بالمذكر دون المؤنث كما هو الحال في اللغة العربية في حالات الجمع مثلاً أنتم ـ أنتن أو للشخص الغائب في حالة الجمع: هُمْ ـ هنَّ.

لا يوجد في لغة الدوم واري ضمائر خاصة بالمؤنث دون المذكر في حالات المفرد للضمائر التالية: أنا ـ أنتَ ـ أنتِ ـ هو ـ هي.

٢ ـ ضمائر التملك:

١ ـ آبوْم: لِي ـ للمذكر والمؤنث على حد سواء: آبُوْم لاَ فِتِي: لي أخت.

٢ ـ آبُورْ: لَكَ ـ أو ـ لَكِ: للمذكر والمؤنث: آبُوْر لافتي: لكِ أخت أو لكَ أخت.

٣ ـ آبُوْس: له ـ أو ـ لها: للمذكر والمؤنث: أبُوْسْ لافتي: لَهُ أولها أخت.

٤ ـ آبُوْمَنْ: لنا ـ للمذكر والمؤنث في حالة الجمع للشخص الأول: أَبُوْمَنْ سْنُوْطَاْ: عندنا كلب.

٥ ـ آبورن: لكم ـ لكن ـ لكما: للمذكر والمؤنث في حالة الجمع والتثنية للشخص الثاني: أَبُوْرَنْ بَّارْ: لَكُمْ أو لكنَّ أو لكما أخ.

٦ ـ أَبُوْسَنْ: لهم ـ لهن ـ لهما: للمذكر والمؤنث في حالتي الجمع والتثنية للشخص الثالث ـ أَبورن سنوطا: لهما أو لهم أو لهن، كلب.

مثال: لافتي: بنت.

لاْفتِيُوم: Laftiom ـ زيادة ـ وم ـ Om ـ ابنتي.

لافتِيُورْ: Laftior ـ زيادة ـ ور ـ Or ـ ابنتك.

لافتِيُوْسْ: Laftios ـ وسي ـ or ـ ابنته.

لافتِيُو مَنْ: Laftioman ـ زيادة ـ وم ن ـ oman ـ ابنتنا.

لافتِيُوْرَن: Laftioran ـ زيادة ـ ورَ ن ـ oran ـ ابنتكم ـ ابنتكن ـ ابنتكما.

لافتِيُوْسَنْ: Laftiosan ـ زيادة ـ وسَ ن ـ Osan ـ ابنتهم ـ ابنتهن ـ ابنتهما.

لافتِيمْ: Laftim ـ زيادة ـ م ـ M ـ بناتي ـ للمذكر والمؤنث بالنسبة للمالك.

لافتِير: Laftir ـ زيادة ـ ر ـ r ـ بَنَاتُكِ ـ بَنَاتُكَ.

لافتِيس: Laftis ـ زيادة ـ س ـ s ـ بَنَاتُهُ ـ بَنَاتُهَا.

يلفظ حرف الياء في ٧ ـ ٨ ـ ٩. على شكل لفظ حرف a. بالإنكليزي.

وعلامة الجمع في اللغة، الدوم واري: النورية أو القرباطية أو العصفورة بالنسبة للأسماء عن طريق زيادة ياء و- ن في نهاية الكلمة:

مثال كلمة: سنوطا: كلب - تصبح - سنوطين - بإضافة ياء ونون - تصبح (كلاب).

سنُوطُوم: Snotom - إضافة - وم - Om - كلبي.

سنُوطُورْ: Snotor - بإضافة - ور - كلْبُكَ - كلْبُكِ.

سنُوطُوس: Snoots - زيادة - وس - Os - كلبه - كلبها.

سنُوطُومَنْ: Snotoman - زيادة - مَ ن - Man - كلبكم - كلبكن - كلبهما.

سنُوطُورَن: Snotoran- زيادة - رَ ن - Ran - كلبكم - كلبكن - كلبكما.

سنُوطُوسَنْ:Snotosan - زيادة - سَ ن - San - كلبكم - كلبهن - كلبهما.

سنُوطيم: Snotum - زيادة - ي م - Um - كلابي للمذكر والمؤنث بالنسبة للمالك.

سنوطير: Snotur - ي ا - Ur - كلابكَ - كلابكِ.

سنوطيس: Snotais - زيادة ي س - Ais - كلابه - كلابها.

سنوطيمن: Snotaiman - زيادة - ي مَ نْ - كلابنا.

سنوطيرن: Snotairan - زيادة ي رَ نْ - Airan - كلابكم - كلابكن- كلابكما.

سنوطيسن: Snotaisen - زيادة ي سَ نْ - Aisan - كلابهم - كلابهن - كلابهما.

مثال آخر:

جور: امرأة وتُلفَظ الواو مضخمة مثل لفظ حرف Au =A+U بالفرنسي.

جوروم: زيادة - وم - Om: امرأتي.

جورو: زيادة - ور - Or: امرأتك.

جوروس: زيادة - وس - Os: امرأته.

جورومن: زيادة - ومَ ن - Oman: امرأتنا.

جورورَن: زيادة - ورَ ن - Oran: امرأتكم.

جوروسن: زيادة - وسَ ن - Osan: امرأتهم.

ومما لاحظته أنه لا يوجد في اللغة الدُّوم واري النورية أو القرباطية أو العصفورة الـ- التعريف: وبالتالي فإن الأسماء جميعها تتألف من نفس الأحرف في حالتي التعريف والتنكير، دون تغيير يُذكر.

والشيء الغريب والطريف في الوقت نفسه في اللغة عند النَّوَرْ القُرْبَاطْ أينما كانوا، أنها واحدة بغض النظر عن مكان تواجدهم في هذا البلد أو ذاك من بلدان العالم. ويستطيع النَّوري القرباطي في سوريا أن يتفاهم مع النوري القرباطي في الأردن، وفي لبنان، لا بل يستطيع القرباطي من الوطن العربي أن يتفاهم مع القرباطي الموجود بفرنسا أو في ألمانيا أو في أي بلد آخر من أوروبا أو آسيا أو أفريقيا، وبدون أي صعوبة تذكر.

لقد قال لي السيد - داهود بن محمد، والدته شمسة من عائلة القادرلار القرباطية التي تسكن في - ظهرة عواد - بمنطقة حلب ما يلي:

أنه قد ذهب إلى ألمانيا الغربية، بصحبة والده وأخيه، من أجل تعاطي العمل وذلك عام ١٩٧٨. وأثناء وجوده في منطقة مدينة - برونو - قد تعرَّف صدفةً على مواطنين ألمان يعتبرون أنفسهم قرباطاً مع التفاخر بذلك الأصل. وقد أكدَّ لي أنهم لا يعتبرون أنفسهم ألمان، وإنما يقولون عن أنفسهم - قرباط.

وأردف قائلاً: إنهم كلهم متعلمون فمنهم الضباط ومنهم المدرسون والمعلمون والأطباء، ومنهم العمال أيضاً. وأن جميع قُرْبَاطْ منطقة /برونو/ يعيشون في بيوت جيدة ونظيفة وتحتوي على كافة الوسائل الحياتية العصرية. والشيء الطريف والجدير بالاهتمام جوابه لي بعد السؤال الذي طرحته عليه - بأي لغة تفاهمت معهم؟ قال السيد - داهود بن محمد القادرلاري) بالحرف الواحد ما يلي:

«لقد تفاهمنا معهم باللغة القرباطية التي يتكلمها القُرْبَاطْ في سوريا وفي الأردن وبقية الوطن العربي. وأنّ تفاهمنا بالقرباطية كان جيداً دون أية صعوبة، وكأنني أتحدث مع قرباطي من عفرين أو من حلب أو من منطقة الميادين مثلاً». ثم قال السيد - داهود - بعد أن سألته كيف استطاع القُرْبَاطْ بألمانيا المحافظة على لغتهم القرباطية، قال ما يلي:

«إنّ القُرْبَاطْ في ألمانيا الغربية يتكلمون ويتحدثون القرباطية بين بعضهم في المنزل حيث القرباطية لغة المنزل هنا في ألمانيا كما هو الحال عند القُرْبَاطْ في منطقة حلب من سوريا».

كما أن السيد - داهود بن محمد القادرلاري - كان قد سافر مع أبيه إلى فرنسا عام ١٩٧٦م، من أجل العمل (حيث كان يقوم بالعمل العضلي في خطوط المترو لمدينة

باريس، ولمدة شهر ونصف كما روى لي ذلك هو نفسه)، وكان السيد ـ داهود بن محمد جمعة ـ قد تعرف صدفةً على جماعة قرباط يعيشون في فرنسا. وأن هؤلاء يعتزون بأصلهم القرباطي، ولا يعترفون بقرارة أنفسهم أنهم فرنسيو القومية، لأن أصولهم البشرية لا تمت بصلة إلى الفرنسيين الذين ينتمون إلى المجموعة اللغوية اللاتينية أو الرومانية كما يسمونها أحياناً بتلك التسمية.

وأن القُرْبَاطْ بمنطقة ـ ماحنًا ـ من مدينة باريز كما قال، كانوا فرحين جداً بهذه الصدفة التي جعلتهم يتعرفون على قرباط من بني جلدتهم ولا يقطنون بفرنسا. ومن شدة غبطة القُرْبَاطْ الفرنسيين بالقُرْبَاطْ الذين كانوا قد قدموا من سوريا للعمل، قد دعوهم على موائد عائلية في البيت، كي يكون التعارف أعم وأشمل. وأن التفاهم بين السيد داهود وأبيه القرباطيين مع قرباط باريز، كان باللغة القرباطية وبكل سهولة وبدون أية صعوبة تُذكر.

الشيء الذي يجعل العلماء في كل من علم اللغات، وعلم الأنتروبولوجيا في حيرة من أمر النَّوَرْ هو ما يلي:

«إن النَّوَرْ بصورة عامة قد تفرقوا إلى مناطق كثيرة من العالم وذلك منذ زمن بعيد، ومع كل ذلك فإنهم ما زالوا يحافظون على لغتهم القومية، دون أن يكون لهم أرض قومية خاصة بهم، يحافظون من خلالها على مقوماتهم القومية التي تأتي في مقدمتها العامل اللغوي».

إن هناك شعوباً لم تترك ولم تتفرق ولم تبتعد عن أرضها إلى مناطق شتى من العالم قط، ولكن مع مرور الزمن أن الشعب الواحد صار أكثر من شعب واحد وأن لكل منها مقومات الأمة القومية إتنوغرافياً، نتيجة تخليهم عن اللغة الأم، والتكلم بلهجات محلية استطاعت أن تفرض وجودها فيما بعد لا كلهجات للغة واحدة، وإنما كلغات مختلفة بعضها عن بعض (عن طريق قواعد نحوها وصرفها)، وقد وصل الأمر بهذه الظاهرة اللغوية عند مثل تلك الشعوب الناطقة بتلك اللغات التي تشترك بأصل لغوي واحد ليس ببعيد كاللغة السلافية في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، بحيث تحولت اللهجات المحلية إلى لغات مستقلة كل منها عن الأخرى، وصار لكل لغة لها شعبها الخاص بها والذي يتكلم بها: اللغة الروسية ـ اللغة البلغارية ـ اللغة البولونية ـ اللغة الأكرانية ـ اللغة الفلندية ـ ولغة روسيا البيضاء.

إن المتكلمين بهذه اللغات السلافية المذكورة لا يستطيعون التفاهم فيما بينهم عن طريق لغة واحدة من تلك اللغات التي كانت قد انفصلت عن اللغة الأم، حيث كلما كان وقت انفصال واحدة من تلك اللغات المذكورة عن اللغة الأم كان أقدم (قديم) كلما انعدمت إمكانية التفاهم بين المتحدثين بين تلك اللغتين، إلا عن طريق طرف ثالث بينهما يعرف اللغتين المتحدث بهما، فعلي سبيل المثال:

١ - إن الأوكراني لا يستطيع التفاهم مع الروسي إلا ببالغ الصعوبة.

٢ - إن الشخص البلغاري لا يستطيع التفاهم مع الروسي بشكل تام ولكن يفهم معنى الحديث عندما يتكلمان.

٣ - إن الشخص البلغاري لا يفهم على البولوني مطلقاً. وأن الشخص البولوني لا يفهم عل الروسي باي شكل من الأشكال إلا عن طريق وسيط بينهما يعرف الروسية واللغة البولونية (هذا دليل على قِدمِ انفصال اللغة البولونية عن اللغة السلافية منذ زمن بعيد أي أقدم من انفصال اللغة البلغارية عن الروسية مثلاً).

مما سبق نستنتج ما يلي: لقد استطاعت اللغة القرباطية: ضُوْم واري - أن تحافظ على نفسها من الزوال، بالرغم من عدم تواجد المتكلمين بها على أرض واحدة منذ فترة زمنية طويلة، تزيد عن ٢٠٠٠ عام سبقت، إذ تجد هؤلاء النُّوَرْ محافظين على لغتهم وعلى الكثير من عاداتهم وتقاليدهم. وأن السبب بالمحافظة على اللغة القرباطية من قبل المتكلمين بها، يعود إلى الحب الشديد الذي يكنُّه الناس المتكلمين بها (القُرْبَاطْ) لتلك الظاهرة الاجتماعية المكتسبة والمنقولة من السَّلَفْ إلى الخلف عن طريق التلقين شفاهياً فقط. كما أن النُّوَرْ بمختلف فئاتهم يحافظون على كثير من عاداتهم الخالصة بهم بالرغم من تبعثرهم في كافة أصقاع المعمورة: مثل ممارسة الغناء والرقص والموسيقى (الطرب). ومثل ظاهرة التسول وضرب الحظ (التبصير) الذي تمارسه النسوة فقط دون الرجال، وقد شاهدت بأمِّ عيني في عام ١٩٧٣م النساء النُّوَرِيّات في موسكو وهنَّ يَدُرْنَ بالساحة الحمراء، وفي حديقة قصر الكرملين وهنَّ يقترين من الشباب من أجل التبصير لهم، وكنت واحداً منهم، وفوجئت بذلك، وشردت الذاكرة بي وكأني في وطني.

ويقال أن الحكومة السوفيتية حاولت أن تثبت النَّوَرْ في بيوت مستقرة. فأسكنتهم في شقق سكنية، إلا أنهم تركوها وغادروا المنطقة، وهذا ما أدى إلى نشوء مثل يشرح الصعوبة التي واجهها الروس أثناء عملية تحضيرهم للنَّوَرْ (الروس طلعوا على القمر ولكن ما قدروا يحضِّروا النَّوَرْ).

ومن العادات التي يحافظ عليها النَّوَرْ (القُرْبَاطْ) في أوروبا وفي أي مكان ما من العالم هو تعصبهم لقرباطيتهم أو لنوريتهم. ويتمثل هذا التعصب بعدم السماح لبناتهم بالزواج من شباب غير نور (قرباط)، وخرق هذه العادة يؤدي بالفتاة إلى الموت. وقد تعرضنا لهذا المبدأ في الفصل السابق والقائل خذ ولا تعطي: نحن نأخذ ولا نعطي:

وحيث يتزوج الشاب القرباطي من فتاة روسية إذا أحبها وأحبته، لكن لا يُسمَح للفتاة القرباطية أن تتزوج من رجل روسي، وهكذا ما يقاس على الروسي في ظاهرة الزواج من القُرْبَاطْ، يقاس على كافة أفراد الشعوب الأخرى التي يعيش القُرْبَاطْ بين ظهرانيهم.

وغالباً ما يمتهن النَّوَرْ في الاتحاد السوفيتي - Tsigans - الرقص والغناء، حيث يحب الشعب الروسي التراث النَّوَري من رقص وغناء الذي يؤديه النَّوَرْ هناك. ويوجد للنَّوَر في موسكو مسرح خاص يؤدون فيه الرقص والغناء النَّوري يومياً. ويتكون المسرح من باخرة للركاب لم تعد صالحة للملاحة في عرض البحار فتم تحويلها إلى مسرح ثابت في مجرى نهر موسكو تُعْرَضُ فيه المسرحيات والأغاني الشعبية من قبل فرق موسيقية ذات أصول بشرية تنتمي إلى - نَوَرْ - روسيا البيضاء وأوكرانيا. ويلقى المسرح إقبالاً شديداً من قبل الجمهور الروسي من أجل التمتع بعروضه المسرحية والغنائية الراقصة ذات الطابع النَّوري الشيِّق والذي يبعث في خوالج المشاهد المرح.

النمط المعيشي لجماعات القُرْبَاطْ في منطقة عفرين

تعتبر الأسرة هي الخلية الأساسية في البنية الاجتماعية والاقتصادية عند جماعات القُرْبَاطْ المتواجدين بصورة أساسية في منطقة عفرين، جندرس، الباب الشرقي، إعزاز، وفي مدينة حلب حيث يتواجد قسم كبير منهم في الأحياء التالية: ظهرة عواد - الكلاسة - الأشرفية - الأنصاري - الأوزاعي - حي الميَسَّرة.

إن كافة أفراد الأسرة يتعاضدون في البناء الاقتصادي عند جماعات القُرْبَاطْ. إلا أن العمل بين أعضاء الأسرة ينقسم حسب الجنس.

ومن الميزات الأساسية للبنية الاقتصادية عند جماعات القُرْبَاطْ في منطقة عفرين ومدينة حلب أن كافة أفراد العشائر القرباطية (الغصون القرباطية) بدءاً من نهاية فصل الربيع وطيلة أيام الصيف، وفصل الخريف يتنقلون في معظم أنحاء القطر العربي السوري بحثاً عن لقمة العيش وتأمينها، كما أن جماعات القُرْبَاطْ التي تضرب خيامها بجانب الأماكن السكنية في القرى أثناء الفترة الزمنية التي يَكدُّونَ فيها لتحسين أوضاعهم المادية من جهة، ولتأمين كمية من المال يصرفونها على أنفسهم في فصل الشتاء حيث الركود شبه التام في البناء الاقتصادي عند القُرْبَاطْ وكافة الفئات النورية في القطر العربي السوري، وبقية أقطار الوطن العربي.

١ - ظاهرة العمل عند القُرْبَاطْ:

لقد اتضح لي من خلال دراساتي الميدانية لجماعات القُرْبَاطْ على مدار أيام السنة بصورة عامة ما عدا فصل الشتاء الذي يخيم عليهم برده القارس، مما يؤدي إلى حالة من الركود أو الجمود في بنيتهم الاقتصادية. بسبب المهن التي يمارسونها، التي تتوفر الظروف الموضوعية لمزاولتها في أيام الصيف والخريف، حيث المواسم الزراعية للحبوب بمختلف أنواعها، والتي تتطلب بدورها أدوات، يقوم النَّور القرباط بصناعتها وبيعها للفلاحين، ويزاول القرباط المهن التالية:

آ) مهنة صناعة الغرابيل: عندما تذكر كلمة ـ القرباطي ـ على مسامعنا، علينا أن نقرنها بمهنة ـ صناعة الأدوات الزراعية التي يصنعونها ويبيعونها للفلاحين في مواسم البيادر والحصاد مثل: الغربال ـ الكِرْبال ـ المِقْطَضفْ القماحي ـ المقطف الشعاري ـ المذارة. وقد قال لي أكثر من شخص من جماعات القُرْبَاطْ العبارة التالية حسب لفظهم لها بالعربية الشائعة بينهم (القرباطي: يلحق غرابيل).

يقوم الرجل القرباطي بتحضير الأدوات الزراعية من جلد الحيوانات: كالخيول والحمير التي كانت قد نَفَقَتْ: (الحيوانات الميتة: الفاطسة).

ويحصل الصانع القرباطي على جلد الحيوانات المذكورة سابقاً، عن طريق سلخهم جلود الخيل والحمير الضعيفة البنية العضوية، وذلك بعد ذبحها. كما أنّهم كانوا يسلخون الخيول أو الحمير الفاطسة للحصول على جلدها لصنع الغرابيل. فقد كان على سبيل المثال في بلدة مَنْبج أرضاً منخفضة على شكل جورة (حفرة أرض) تزيد مساحتها عن ثلاث دونمات، حيث كان القُرْبَاطْ في منطقة منبج يأتون بالدواب الضعيفة التي كانوا قد اشتروها من الفلاحين من أجل ذبحها كي يحصلوا على جلدها بعد ذبحها.

وقد قال لي أكثر من شخص، وفي مقدمتهم السيد ـ عبدو الرمضان الأحمد ـ أن القُرْباطْ في السابق كانوا يسلخون جلد الحيوان الميت حتى ولو مضى على موته أكثر من عشرين يوماً طمعاً في جلده. وكثيراً ما كانت تحدث حوادث شجار حادة بين الرجال القُرْبَاطْ عندما يرون حماراً أو حصاناً فاطساً؛ فإذا ما تشاجر رجلان قرباطيان حول الأحقية في سلخ جلد هذا الحمار الفاطس أو الحصان الفاطس فغالباً ما كان يْحلُّ ذلك الشجار: بأن يأخذ كل منهما نصف الجلد المختلف عليه. أما إذا لم يرضى أحدهما بذلك غالباً ما تنتهي بمأساة اجتماعية، حيث أحدهما يقتل الآخر.

أما الإطار الخشبي فقد كان الرجل القرباطي يشتريه من مدينة حلب، أو من غيرها من المدن السورية الأخرى. وكان يمارس هذه المهنة في السابق معظم الرجال بغض النظر عن أعمارهم، حيث تعتبر المصدر الرئيسي لمعيشتهم.

أما الآن فقط لاحظت ولمست بيدي أيضاً وبشكل قاطع أن الرجال الكبار فقط هم الذين ما زالوا يمارسون هذه المهنة اليدوية التي تحتاج إلى صبر وخبرة ودقة في العمل. ويؤمن القرباطي الجلد حالياً من المسلخ بدمشق إذا كان يخيم في منطقة قريبة من

دمشق مثل حوران. بالإضافة إلى الإطار الخشبي الذي يُقدَّر ثمنه بعشرين ليرة سورية. ويترواح ثمن الكيلو الواحد ما بين ٦ ـ ١٠ ل.س عام ١٩٨٩م. ويمكن صنع غربالين من ذلك الجلد بعد تشريطه.

السيد خيرو غيفو من قرباط عفرين أثناء عملية صنع الغربال

السيد حسن إبراهيم هور الراقراق ـ صانع الغرابيل ـ حيث الإطارات الخشبية اللازمة لعمله تبدو على كتفه.
الإطار الخشبي= الطارة، في اللغة القرباطية ـ تْشّامْبرْ.

- طريقة صنع الغربال:

بعد أن يحصل الرجل الصانع على الجلد من المسلخ، يقوم بتنظيفه من الشعر، ومن ثم وضع مواد كيماوية عليه من بينها الشَّب، وبعد أن يصبح الجلد صالحاً للتصنيع، يقوم الرجل القرباطي بما يلي:

تشريط الجلد على شكل خيوط بعرض لا يزيد عن ٣مم.

يقوم الرجل عند ذلك بغزل هذا الشريط من الجلد، والذي يسمى باللغة العربية بـ سريد أما بالقرباطية يطلقون على هذه الخيوط الجلدية كلمة - دُوْوَالْ - فبعد غزل الجلد المشرط بواسطة أداة المغزل الخشبية كما هو واضح في الصورة التالية، حيث يغزل السيد حسن إبراهيم شرائح الجلد على مغزل خشبي، على طريقة غزل المرأة للصوف بمغزلها الخشبي سابقاً.

السيد حسن - إبراهيم هورو - يغزل شرائح الجلد الطولانية بالمغزل الخشبي - حيث يُطلق عليه بالقرباطية - دُوْكْ - (أما دوك فايدي دووال) بالقرباطي، بالعربي (أنا أغزل السريد).

بعد أن يتم غزل السريد الجلدي، يبدأ بإدخال الشريط الجلدي بثقوب موجودة على مستوٍ واحد على محيط الطّارة الخشبية (الإطار الخشبي). وباللغة القرياطية يقولون الطارة المثقبة (ثْشامْبِرْ سِمِهْ)، وذلك بمساعدة أداة حديدية لا يتجاوز طولها ٤٠ سم على شكل خِلالْ ويكون أحد طرفيه دقيق جداً لكنه معقوف بحدود نصف سم، أما الطرف الآخر منتفخ في نهايته، حتى يكون الإمساك سهلاً بتلك الأداة، التي يطلقون عليها بلغتهم القرياطية ـ كَاْجِكْ ـ أما العقفة في رأسه الحاد فيطلقون عليه كلمة: تِكْ.

ويستطيع الرجل القرياطي أن يعمل في النهار الواحد ما بين ٤ ـ ٥ غرابيل، هذا إذا لم يتعطل في ذلك النهار. أما إذا عمل على مهله فإنه يعمل بالنهار ٢ ـ ٣ غرابيل دون أن يجهد نفسه بذلك. ومن خلال مراقبتي الدقيقة للرجل القرياطي وهو يقوم بعمله اليومي في صناعة الغرابيل لاحظت ما يلي:

آ ـ أن الرجل القرياطي. إنسان جاد ودقيق بعمله، ويتحمل التعب بأناة وصبر، لدرجة أنه لا يترك عمله طيلة النهار، إلا عندما يريد تناول الطعام أو شرب كاسة الشاي مع سيكارة يُفَضّي بها عن همومه اليومية التي تثقل كاهله. ولقد سألت الكثير ممن يمتهنون صناعة الأدوات الزراعية من الخشب والجلد، السؤال التالي:

لماذا لا تعمل عملاً غير هذا العمل المتعب؟، فكان الجواب دوماً: هذا كار أبونا وجدنا لَكْ يا عَمُّو.

أثناء إدخال شرائح الجلد ـ دووال ـ عن طريق ـ كاجك ـ في ثقوب الطّارة ـ ثْشَامْبِرْسِمِهْ ـ فإن الصانع بين اللحظة والأخرى يقوم ببَلّ راحة كفّه بالماء الموضوعة في إناء إلى جانبه ليمسح بها السّريد الذي يقوم بحبكه بين ثقوب الإطار الخشبي.

٢ ـ ومما لاحظته أثناء صناعة الغربال: أن الصانع يجلس على الأرض وهو يصنع الإطار الخشبي أمامه ممسكاً به بقَدَمِهِ اليُمْنَى، ويمسك المثقب (كاجك) بيده اليمنى، في حين يضع عن طريق يده اليسرى ـ السريد الجلدي (دُوْوَال) في العقفة من المثقب (تِكْ)، ومن ثم يقوم بسحب السّريد إلى الخلف باتجاه صدره وهو ممسك بالطارة بيده اليسرى في نفس الوقت، كما هو واضح في الصورة التالية:

القرباطي - خيرو جمعه - يقوم بصنع الغربال

ويبيعون تلك الأدوات الزراعية للفلاحين في فصل الحصاد بمبلغ حالياً يتراوح ما بين ٤٠ - ٥٠ ل.س. في الوقت الذي يكلف الغربال الواحد دون جهد الصانع مبلغ ١٥ ل.س. فإذا ما عمل الشخص في اليوم الواحد - ٤ - غرابيل يكون دخله اليومي (١٠٠ ل.س) وذلك في التسعينات من القرن الماضي.

٢ - ومم لاحظته أثناء زياراتي الميدانية العلمية للقرباط في منازلهم ما يلي:

١ - أن الرجال الذين يتجاوزون الخمسين عاماً فقط هم الذين يمارسون مهنة صنع الغرابيل فقط دون الشباب والنساء.

٢ - إن المرأة بعد مجيئها إلى البيت* بعد الساعة الثالثة بعد الظهر من عملها القائم على الشحادة أو كما يقولون - تذهب تطلب الرزق على باب الله الكريم - ، لا تشارك الرجل بعمله. لا بل لاحظت أن الرجل هو الذي يكنس البيت والزوجة موجودة بعد المجيء من التسول.

إن السيد - خيرو جمعه غيفو - كان يقوم بتكنيس الأتربة من داخل خيمته قبل وبعد مجيء زوجته من العمل خارج البيت (الشحادة) والتي تدعى - زلُوخة.

* - البيت: هنا المقصود - الخيمة - التي يعيشون فيه.

كما أن الشباب من سن ـ ١٨ ـ عام وما فوق، يجلسون في الخيمة إلى جانب الأب وهو يعمل الغرابيل دون أن يقوم أي منهم بتقديم المساعدة لأبيهم سواء بتشريط الجلد (قَاْلْ)، أو بغزل الشريط الجلدي (دووال) عن طريق المغزل الخشبي (دُوْكْ).

وهذه بعض التسميات للأدوات التي يصنعها القُرْبَاطْ الغرابلية:

الجلد: قالْ.

السَّريد: دَوْوَاكْ.

المْثقَبْ: كَاْجِكْ.

عَقفَةُ المَثقَبْ: تِكْ.

الإطار الخشبي (الطارة): ثْشَامِبِرْ.

الكربال (يشبه الغربال إلا أن شقوبه كبيرة، ويستخدم في تنظيف حبوب الحمص): عبَّارة.

مقطف شعًاري: جُوْ سِرِتْ.

الغِرْبال: كافْ.

مقطف قماحي: قُيُوْسِرِتْ.

المْغزَلْ: دُوْكْ.

أما أسماء الحيوانات التي تستخدم جلودها في صناعة الأدوات الزراعية الآنفة الذكر منها:

القْدريْش: غُوْرَاْ.

الجَحْشْ: قِرْ.

العْصَا: دَاْيْنَاْكْ.

الْخَيْمَة: إبَّلاْصْ.

عامود الخيمة: شْتُوْنْ.

الدّجاج: إتشكماري: تلفظ الكاف هنا حسب اللهجة الحورانية أو حسب الحرف الروسي ٢.

وينادون الدجاج بلفظة تشكي ـ تشكي = وهي تقابل لفظة ـ تِيْعَا ـ تِيْعَا ـ التي تستعمل كصيغة نداء للدجاج أو حتى للطيور بصورة عامة والحمام بصورة خاصة.

عصفور: تْشِبَرْكي يلفظ هنا حرف ـ ك ـ عادياً.

بَ ـ مهنة تركيب الأسنان:

لم يكن القُرْباطُ ولا النّورُ عامةً منذ القدم يقومون بتركيب الأسنان وتلبيسها. وقد قال السيد عبد الأحمد الرمضان: أن أول من تعلم مهنة تركيب الأسنان الصناعية هم قرباط حلب وذلك منذ فترة تزيد عن ٧٠ عاماً، وأول من تعلم هذه المهنة هو السيد ـ خيرو الملقب ابو نصري كبير القُرْباطُ آنذاك. وكان قد تعلمها من أطباء الأسنان العاديين أي المتعلمين. ومن ثم بدأ القُرْباطُ الشباب يتعلمون تلك المهنة إلى جانب صناعة الغرابيل والكرابيل... وفيما بعد انتقلت هذه المهنة إلى كافة مِلَل النَّوَرْ دون استثناء. ومما لاحظته أن مطاربة الساحل لا يهتمون بمهنة الأسنان الصناعية كاهتمام القُرْبَاطُ بها. أما النّورْ الآخرون المتواجدون في أماكن مختلفة من القطر يبقى اهتمامهم بتركيب الاسنان الصناعية أخف من غيرهم.

وحاليا يمارس معظم الشباب من النّورُ القُرْباط المتواجدين في حلب وتوابعها مهنة تركيب الأسنان الصناعية كتعويض عن الأسنان الساقطة عند الشخص المريض. ويقومون بتلبيس السّن بشريحة رقيقة من معدن: الذهب ـ النحاس (الصفرة) ـ معدن البلاتين الأبيض والذي لا يصدأ في الفم.

ويختلف السعر لتلبيس السن حسب نوعية السن، وحسب نوع المعدن الذي سيلبس به السن وحسب من يقدم المعدن الصانع أم الشخص الذي يريد تلبيس سنّه:

١ ـ إن تلبيس السن الواحد من معدن البلاتين يتم مقابل٧٥٠ ل.س. كان هذا في التسعينات من القرن العشرين.

٢ ـ إن تلبيس السّن الواحد من معدن النحاس الأصفر (صِفْرهْ) يتم مقابل مبلغ ١٥ ـ ٢٠ ل.س.

٣ ـ إن تلبيس السن الواحد من معدن الذهب الخالص يتم مقابل ٢٢٥ ل.س إذا كان السن من القواطع أو الأنياب أو الثنايا (الضحاك)، وأن الذهب في هذه الحالة من الصانع القرباطي. إلا أنه حالياً لا يوجد ذهب بين أيديهم.

٤ ـ إذا السن الملبس ذهباً من قبل القرباطي كان ضرساً، والذهب من الصانع، في هذه الحالة يأخذ القرباطي مبلغ ٥٠٠ ل.س حالياً.

٥ ـ إذا كان الذهب من الشخص المريض، يأخذ النَّوري القرباطي أجار يده مبلغ ٥٠ ل.س فقط. هذا في التسعينات من القرن الماضي.

٦ ـ إن النَّوري القرباطي لا يقوم حالياً بمعالجة السن أو الضرس المنخور بالسوس، فعندما سألت السيد حميد بن عبدو الرمضان الأحمد من نور الهرامشة، قال لي: إن الطبيب هو الذي يقوم حالياً بوضع حشوة من الرصاص في الثقب من السن المسوّس عند الرجل المصاب. كما أكدّ السيد خليل جمعة من قرباط عفرين ذلك بدوره أيضاً، أننا لا نقوم بمعالجة السن المنخور بالسوس لأن هذا الرجل يجب أن يذهب إلى طبيب الأسنان.

٧ ـ كما أن القرباطي لا يقدم على شلع الأضراس المنخورة حالياً لأن هذا العمل هو من اختصاص طبيب الأسنان كما قيل لي من قبل الكثير من الشباب الذي يقومون بتركيب الأسنان.

إن النَّوري القرباطي قادر على وضع جسر من الأسنان الصناعية التي يشتريها من المخابر التي تقوم بصناعة تلك الأسنان والأضراس من العظام...

شاب نُوري يقوم بتلبيس الأسنان

ومن الأهمية بمكان ذكر: أن معظم الريفيين من الرجال والنساء كانوا سابقاً يعالجون أسنانهم عند النَّوَرْ القُرْبَاطْ، الذين يَقْدمُوْنَ أثناء تجوالهم في الصيف والخريف إلى كافة المناطق الريفية من القطر العربي السوري.

ومما لاحظته أن الرجل لا يأتي بشيء إلى البيت بعد تجواله في القرى لتركيب وتلبيس الأسنان. في حين المرأة هي التي تعود وقد جلبت معها الزيت والخضار والسكاكر للبيت. أما في السابق منذ عشرين عاماً وأكثر فإن صانع الأسنان كان يتجول بين القرى وبيده محفظته التي يحمل أدواته المعدنية من شاكوش صغير ومبرد وكماشة وسندانة صغيرة ومطرقة صغيرة... إلخ، وذلك مشياً على الأقدام. سألت السيد خليل جمعة غيفو بعد عودته إلى خيمته من عمله لتركيب الأسنان على دراجته، حيث كنت عند عمه خيرو جمعة وهو يقوم بصناعة الغربال، وذلك في يوم الأحد الموافق ١٩٨٦/٥/٢٥، حيث كان ١٧ رمضان: لماذا لا تزاول عملاً آخر غير تركيب الأسنان إذا كانت هذه المهنة لا تدّر عليك دخلاً يكفي مؤونة عيالك كما تقول، فكان جوابه لي على النحو التالي: ماذا أعمل. قلت له: بالحفريات ـ بالبناء ـ بحمل الأثقال ـ بالحصاد ـ بحراثة الأرض. فقال لي بالحرف الواحد عندئذ ـ **كثّر خيرك هذا شُغُلْ هذا شُغُلْ بيقتُل الجحش ـ وضرب لي مثلاً على هذا العمل الشاق:**

أن رجلاً من عفرين كان يعمل في الحجارة، وقد توفي فيما بعد، عندما وقع عليه حجر أثناء عمله. وأنا إذا اشتغلت بهذا الشغل مثل الحفريات ـ حمل الحديد ـ حمل الخشب، سأموت بعد سنة. إذ في هذه الحادثة لدلالة قاطعة على أن القُرْبَاطْ لا يحبون تعاطي الأعمال الشاقة والمتعبة والتي يمكن أن تنال من ممارسها المكروه فتؤدي عندئذ بحياته.

ـ مهنة التبييض:

يتعاطى القُرْبَاطْ مهنة التبييض للأدوات النحاسية التي تستخدم في أعمال الطبخ مثل: القدر ـ المنسف ـ الطنجرة ـ الملاعق.. الخ، حيث كانت تصنع تلك الأدوات من معدن النحاس. وأن هذه المهنة حصراً على الرجال.

ويمتلك هؤلاء المتهنون لهذه المهنة آلة الكور اليدوي المصنوع من جلد الحيوانات، إلى جانب مادة القصدير التي تستخدم في طلاء أواني الطبخ النحاسية التي بدت ذات لون أزرق لتكون مادة سامة يطلق عليها العوام - الجنزار - لدرجة أنهم يقولون والله هالقدر مْجَنْزِرْ بُدو تبييض. وفي الواقع فإن النحاس يتأكسد وتتكون لدينا كبريتات النحاس SO_4Cu. كما أن النَّوَرْ المطاربة في الساحل لا يمتهنون تبييض الأدوات المنزلية النحاسية (طلاء آنية النحاس بمادة القصدير البيضاء).

الأولاد دون سن الخامسة عشرة:

إن هذه الفئة العمرية من جماعات القرباط تكاد تكون أكثر من ٥٠٪ من العدد العام، هم عاطلون عن العمل، حيث يقضون النهار وهم يلعبون حول الخيام وبيدهم - النقيفة - التي يصطادون بها العصافير (تْشيركي) كما يقولون. ويطلق القُرْبَاطْ على النقيفة تسمية - لاستِيْغْ تَشَّاطَك، وذلك بلغتهم الدومرية القرباطية.

إلا أنني لم ألاحظ تواجد البنات اللواتي يتجاوزن الثالثة عشر من عمرهن أثناء النهار في الخيام يلعبن مع الصبيان من أعمارهن، مما يدل على أن تلك الفتيات يذهبن مع النساء منذ الصباح إلى القرى المجاورة - على باب الله الكريم - كما يقولون. ومما يجدر ذكره: **أن البنت الباكر لا تذهب على باب الله لوحدها، وإنما دوماً مع امرأة متزوجة.**

إن الأطفال عند القُرْبَاطْ فوضويون يتكلمون بأصوات مرتفعة. ويضربون بعضهم بالحصى لأتفه الأسباب إذا ما حصلت بينهم مشكلة ما، وأحياناً يتشاجرون فيما بينهم إلا أن الكبار في السن الموجودين في الخيام لصنع الغرابيل يمنعون ذلك.

ومن الطريف أن هؤلاء القُرْبَاطْ يتواجدون على أطراف - النُّزُل (تجمّع الخيام التي يعيشون فيها) فإذا شاهدوا شخصاً غريباً قد توجّه إلى خيامهم، سرعان ما تجدهم قد ركضوا وجاءوا إلى عنده وصياحهم غير المفهوم معناه يبعث الخوف في نفسية ذلك الشخص إذا كان لا يعرف عادات وتقاليد النَّوَرْ القُرْبَاطْ بصورة خاصة والنَّوَرْ بصورة عامة. ويطلب الأطفال من الشخص القادم إليهم الدراهم والحلوى إذا كان ذلك موجوداً معه وشاهدوه بأم أعينهم.

أما إذا قدم شخص ما أو شاب حاول إيذائهم، فإن كافة أطفال النُزُل يجتمعون حوله مع إطلاق الشتائم بصوتٍ عالٍ، فإذا غلط ذلك الولد الغريب وضرب أحد هؤلاء الأطفال، فلا يعرف من أين تأتيه الحجارة التي تقذف عليه. إن الأطفال القُرْبَاطْ ملتزمون ببعضهم اتجاه الإنسان الغريب الذي يحاول إيذاءهم أو ضربهم، ومردُّ ذلك إلى الرباط الدموي الذي يربط بين هؤلاء الأطفال لأن النزل في معظم الأحيان يتكون من مجموعة بيوت تصل أحياناً إلى ما يزيد عن عشرة خيام يربط أهلها برباط العصبية القبلية الشديدة لديهم.

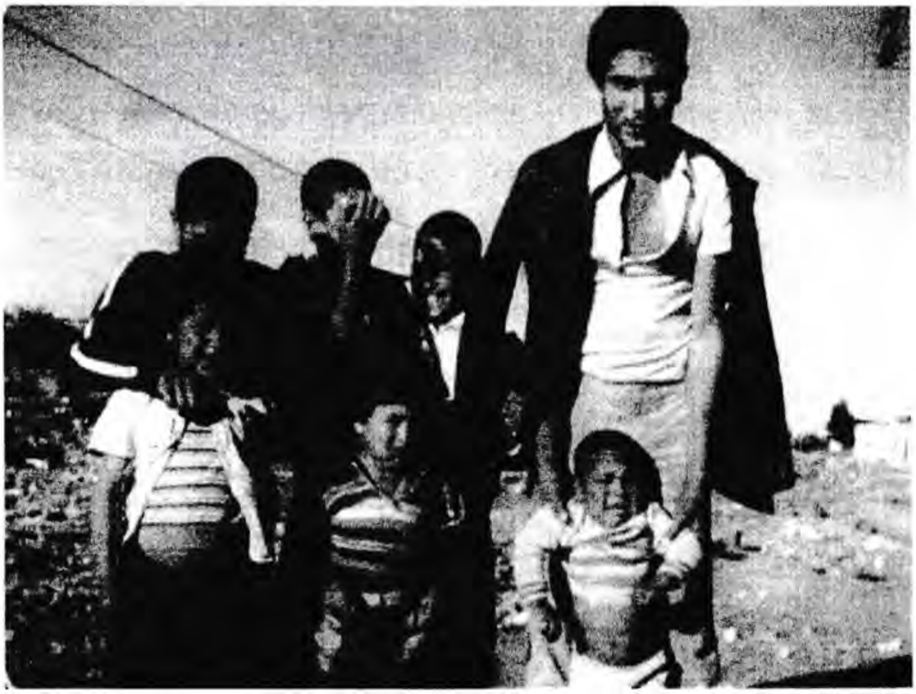

مجموعة من الأطفال القرباط حول خيامهم القريبة من بعضها والتي يطلقون عليها أيضاً تسمية (النزل).

ويمارس الأطفال عند القُرْباطْ تربية طيور الحمام العادي في الخيام لا من أجل تناول لحم فراخها (الزغاليل)، وإنما فقط كما يقولون من أجل الزينة في داخل الخيمة، وتوضع تلك الطيور في صناديق خشبية على أطراف الخيمة من الداخل. وأن عدد هذه الطيور لم أشاهد أكثر من زوجين في الخيمة الواحدة. ويضع الأطفال في أرجل تلك الطيور - الخلاخيل - المكونة من الخرز المختلف الألوان.

ـ المرأة والعمل عند القُرْبَاطْ:

تعتبر المرأة عند جماعات النَّوَرْ Nauar عامةً بغض النظر عن نحلهم المعيشية عماد البنية الاقتصادية عندهم جميعاً وبدون استثناء.

وينحصر عمل المرأة بصورة عامة خارج البيت من الثامنة صباحاً وحتى الرابعة بعد الظهر صيفاً، حيث تذهب المرأة إلى القرى المحيطة لمكان النزل التي تُضْرَبُ خيامهم فيه. وتنتقل المرأة بين القرى حالياً عن طريق السيارات العامة، حيث تقف النسوة على شكل جماعات على مفارق الطرق بعد الظهر وأكياسهن التي يحملهن على أكتافهن مليئة بما جاد عليهن سكان القرية التي تجولن بها. ونتيجة لذهاب النسوة عند المجتمع النَّوري ومن بينهم القُرْبَاطْ من الصباح حتى بعد الظهيرة، تبقى الخيام لدى كافة مِلَلِهِمْ خالية من النساء وحتى من الفتيات اللاتي هن دون سن الرابعة عشر أو الثالثة عشر، لأنهن يذهبن مع النسوة الكبار على باب الله الكريم للتسول.

أما الأطفال الصغار وخاصةً الذكور فلا يذهبون مع أمهاتهم من أجل التسوُّل، لأن هذه المهنة محصورة بالنسوة فقط. وأن قيام الرجل القرباطي في تعاطي مهنة الشحادة يعتبر عاراً وعيباً عليهم، حيث ينقص من كرامة الرجل.

ـ المرأة القرباطية والشّحادة:

إن المرأة النورية بصورة عامة تختلف عن المتسولين العاديين الذين نجدهم في شوارع وأزقة المدن وهم جالسون أو واقفون وأيديهم ممدودة مع إطلاق كلمات معينة وبصوت عالٍ كقولهم: ساعدونا الله يساعدكم ـ الله يخلّي أولادكم حِنُّوا علينا، حنُّوا على هؤلاء اليتامى ـ الله يخلّي لكم أعماركم حنّوا على هالعاجز... إلخ.

وإنما نجد المرأة القرباطية تتجول بين حارات القرية من بيت إلى بيت بعد طرق أبوابها، حيث يخرج بعد سماع صوت الباب الأطفال الصغار أو النسوة اللاتي يجلس في البيت لتدبير الأعمال المنزلية. فتقول القرباطية لصاحبة البيت: شحدِّينا الله يخلي لك أولادك وزلمتك ـ تحسّني علينا. ويكون الإلحاح شديداً من قبل المرأة النَّورية على صاحبة البيت لتعطيها كمية أكثر فيما إذا عرفت أنّ زوج أو ابن صاحبة ذلك البيت غائباً أو مريضاً.

وتكون المرأة النّورية أثناء تجوالها محظوظة فيما إذا ساقتها الصدفة إلى بيت من بيوت أهل القرية، وقد حدثت فيه وفاة، لأن أهل المتوفى يجزلونها العطاء حسنة عن ابنهم المتوفى، أو عن أبيهم، أو عن أخيهم المتوفى، أو عن أختهم، أو عن أمهم المتوفية، حيث تطلب المرأة النّورية في هذه الحال في أيامنا هذه: اللباس ـ الأحذية ـ الزيت ـ السكر ـ الرز ـ الفلوس ـ خضار من بندورة وخيار وكوسا وبطاطا. وغالباً ما تطلب النّورية رغيفاً من الخبز في نهاية طلبها من أصحاب البيت.

إما إذا الصدفة قادت المرأة النُّورية القرباطية إلى بيت ولم يعطها أصحابه شيئاً، فإنها تطلب الخبز أو الطعام وبصورة عامة فإنها لا تخرج من البيت فارغة اليدين، ولو كسْرة خبز وشربة ماء.

وبهذا فإن الشحادة عند المرأة النّورية القرباطية تختلف اختلافاً كلياً عن الشحادة التي يسلكها المتسولون غير النَّوَرْ:

المرأة القرباطية لا تقعد في مكان واحد كي تشحد من المارة في القرية أو حتى في المدينة، وإنما هي في حالة تجوال مستمرة متنقلة من بيت إلى بيت قاصدة باب الله الكريم. كما يقولون هم عن العمل الذي تقوم به المرأة.

إن الفترة التي تشحد خلالها المرأة القرباطية في النهار محددة، بحيث تبدأ من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر. وأحياناً ترجع أبكر من ذلك الوقت فيما إذا امتلأ الكيس الذي تحمله على كتفها كالجناد (يعرف بلغة القرْباطْ الخاصة بهم دون غيرهم بتسمية ـ غوْيهْ ـ . ولا تعود ثانية إلى الشحادة. كأن لدى جماعات النَّوَرْ قناعة في عادة التسول هذه، بحيث يكفي الشيء الذي تم الحصول عليه طعام ذلك النهار لأفراد أسرتها. أما المتسولون المتهنون لتلك المهنة ذات المكانة الاجتماعية السيئة لا يقتنعون بمبلغ معين في اليوم الواحد، لدرجة تبقى أيديهم ممدودة وتوسلاتهم العالية الصوت مستمرة طيلة النهار وهم قابعون بمكان واحد، في حين أن الذين يعطونهم هم المتحركون. فالمتسول غير النّوري يبقى قابعاً في مكانه والمارة تحف بجانبه، فهو أشبه بهذه الحالة بالحجرة القابعة في قاع النهر والماء تجري من فوقها.

المرأة النّورية القرباطية تأخذ ما يعطيها إياه صاحب هذا البيت أو ذاك، لباساً كان أم طعاماً أم زيتاً أو سكراً أو رزاً أو برغلاً، وتأخذ دراهم أيضاً إذا أُعطيَت، في حين أن المتسولين الآخرين لا يأخذون إلا دراهم فقط. ويزداد عدد هؤلاء المتسولون في

شهر رمضان المبارك، فيطرقون أبواب البيوت على أصحابها ليحصلوا على صدقة رمضان المعروفة ـ بالفطرة.

تأخذ المرأة القرباطية معها عند ذهابها صباحاً إلى القرى المجاورة، حيث ينزل جماعتها في خيامهم، قاصدة باب الله الكريم، أدوات تبيعها للنسوة المتواجدات في بيوتهن بعد ما تطرق عليهن مثل: الأمشاط ـ المرايا ـ القلائد الخرزية ـ دبابيس ـ أقراط عادية ـ أبر ـ مسال (جمع مسلّة) ـ عطور ـ كُحل. ومما لاحظته أثناء ذهابي إلى بيوت القُرْبَاطْ أن المرأة عندهم في بيتها محتشمة لا تطلب من الشخص القادم إليهم شيء فعلى سبيل المثال قد جلست في بيت السيد ـ حسن إبراهيم هورو ـ وقد كانت زوجته وكنته فلم تطلبان منّي شيء، وكذلك الأمر أثناء وجودي في بيت السيد ـ خيرو جمعة غيفو ـ وفي بيت السيد ـ خليل جمعة غيفو ـ وفي بيت السيد ـ خليل خليل جمعة غيفو ـ فلم تطلب النسوة شيئاً ما، حيث يعتبر مثل هذا التصرف عيباً بنظرهم.

أما النَّوَرْ المطاربة الذين يتواجدون في منطقة الساحل من القطر العربي السوري وفي لبنان فإن المرأة تطلب من الشخص القادم إلى عندهم كثمن باكيت دخان، أو ثمن حلوات (سكاكر) للأطفال.

ويشارك المرأة القرباطية أثناء تجوالها للشحادة، في بيعها لأدوات خفيفة للنسوة، نساء النَّوَرْ الذين يزعمون حسب قولهم أنهم أكراداً، حيث تبيع المرأة حالياً: كبايات الشاي ـ أبر ـ أمشاط ـ مرايا ـ عطورات ـ حمرة ـ كحل ـ مسال... مِرْوِجِهْ (مادة تشرب من علبة العطارة، وهي منتجات البلاد الحارة وفي غالب الأحيان تستورد من الهند. وتستخدم المروحة كبلعة على الريق من أجل تليين المعدة. ويضعها الكبار في السن على الضرس الملتهب أو المنخور من قبل السوس)، وخير مثال على هؤلاء النَّوَرْ الذين يتكلمون الكردية ـ النَّوَرْ المتواجدين في بلدة داعل بحوران مثل عائلة (أبو صالح وأبو حسن).

إن المرأة القرباطية إذا ما امتلأ الكيس الذي تضعه على كتفها مما قد أعطاها الناس إياه أثناء تجوالها بين بيوت القرية، تبدأ بوضع ما تحصل عليه بثوبها الخارجي الذي ترتديه، والذي يكون مفتوحاً من الأمام من الرقبة حتى القدمين. وعندما تكون المرأة مرضعاً فإنها تضع طفلها فيه وتشدّه على ظهرها مع بقاء الرأس معرضاً للهواء كي لا يختنق ذلك الطفل. ويسمي القُرْبَاطْ ذلك الثوب بلغتهم التسمية التالية ـ تُشَّاطِكْ

- وغالباً ما يكون الثوب المفتوح ذا لون أسود وطويل حتى الكاحلين، وفضفاض عند كافة فئات النَورْ دون استثناء.

ومما لاحظته أن الفتيات الشابات سواء كن متزوجات أم عازبات لا يرتدن الثوب الطويل المفتوح فوق ملابسهن التي يرتدينها، وتكتفي الشابة القرباطية بوضع الكيس على كتفها فقط، وبعد أن يمتلئ الكيس ترجع الشابة قافلةً إلى بيتها وهي مقتنعة بما كانت قد جمعته، ولا تعود ثانية إلى الشحادة على باب الله الكريم، في اليوم نفسه.

فعندما تعود المرأة القرباطية من عملها المتعب الذي قامت به من أجل الحصول على لقمة العيش أثناء تجوالها تبدو البسمة على وجهها دلالة على أنها راضية عمّا جمعته، ولكن لا تخفي علائم التعب أيضاً من على وجهها.

أن القرباطيات أثناء تجوالهن بين القرى وفي داخل القرى، لا ينفردن بحيث تكون كل امرأة لوحدها وإنما العكس كل امرأتين معاً. وعندما يعدن إلى منازلهن لا يعدن أيضاً فرادى، وإنما على شكل جماعات، بحيث يصل عددهن أحياناً إلى ٨ نساء معاً.

إن بعض المواد غير القابلة للتلف التي تجمع من قبل النورية القرباطية كالزيت - السكر - الأرز - يبعنه إلى أصحاب الدكاكين في القرى وخاصة الزيت والصابون. ويتم بيع تلك المواد من بعد الساعة الخامسة بعد الظهر، حيث نجد الأطفال وبأيديهم عبوات من البلاستيك ذات المظهر الوسخ، وهي ملآنة بالزيت الذي كانت قد جمعته أمّه أو أخته، من أجل بيعه وبرفقتهم رجل كبير أيضاً يحمل بنفسه عبوات من البلاستيك التي امتلأت بالزيت. لذا نجد كل امرأة تذهب للشحادة تأخذ بيدها عبوة من البلاستيك من أجل وضع الزيت بها.

تذهب النسوة القرباطيات في أيام الأعياد إلى المقابر - حيث تسود عادة زيارة الأموات من قبل أهاليهم، الذين يأخذون معهم إلى المقبرة مواد غذائية - لتفريقها حسنة عن روح المتوفي - الراحة - الهريسة - الخبز المردَّد - خبز القالب - فواكه - خضار - حلويات بمختلف أنواعها. ومن المعروف أن أهل حوران كرماء في تقديم الصدقات إلى المحتاجين حسنة عن روح ميتهم. وتأتي بلدة نوى في مقدمة المراكز السكنية في حوران بكبرها وسخاء أهلها للمحتاجين لدرجة أنها تُنْعَت - بأم اليتامى.

تذهب النساء النَوريات القرباطيات إلى المقابر في حوران يوم الخميس صباحاً كي يحصلن على الصدقات التي يُفرِّقها أهل الميت حسنة عن روحه، من قبل أمه وأخته أو

ابنته أو زوجته... إلخ. على المقبرة. فإذا ما ذهبن إلى ضريح الشيخ محي الدين النواوي في بلدة نوى في حوران صبيحة كل خميس لوجدنا النساء النّوريات بكثرة هناك أيام الصيف، إلى جانب المحتاجين الآخرين الذين يقصدون التربة أملاً في الحصول على الصدقات العينية والنقدية. وحالياً نقلت المقبرة إلى الشرق من نوى مسافة تزيد عن ٤كم/ حيث يأتي المحتاجون إلى هناك وبخاصة في ايام الأعياد، وكأنك إذا ما كنت هناك سترى بأم عينك زحمة تفوق زحمة سوق الحميدية من كثرة الشحادين الذين يأتون من منطقة دمشق بسيارات شحن صغيرة (السوزوكي - هونداي) لحمل ما جمعوه من الشحادة.

وتمتاز المرأة النورية القرباطية عن بقية الملل النورية الأخرى أنها لا تتعاطى الغناء، ولا تتعاطى الرقص. ويعتبر القُرْبَاطْ أن هذه عادة سيئة ومعيبة للمرأة ولأهلها في نفس الوقت. فقد قال السيد حسن إبراهيم هورو من قرباط عفرين:

إن الشرف غالي علينا ونحن مستعدون أن نقاتل إذا أساء أحدٌ إلى نسائنا. كما أننا لا نقبل أن نكون مثل المطاربة، وبقية عشائر النَّوَرْ الأخرى التي تمارس المرأة عندهم الرقص والغناء كمصدر رزق لهم. ثم أردف قائلاً: كيف أنا بد أشوف حرمتي ترقص مع هذا الرجل وذاك. وأنها تمسك بيد هذا الرجل أو ذاك... إلخ أنا والله بذبحها (أنا والله أذبحها). وينعت القُرْبَاطْ بقية ملل النَّوَرْ الأخرى بعدم حرصهم على عرضهم.

ط- تربية الحيوانات:

كان القُرْبَاطْ سابقاً منذ أكثر من ٣٠ عاماً يقومون بتربية الخيول والحمير الهزيلة إما لذبحها والاستفادة من جلدها لصنع الغرابيل والكرابيل وبقية الأدوات الزراعية المصنوعة من الخشب والجلد، أو لتربيتها في فصل الربيع عن طريق السَّرْح بها حول ضفاف الأودية والسيول الفصلية لترعى الأعشاب. كما أن النسوة كانت تشحد التِّبنَ والشعير لتلك الدواب التي تكون مربوطة أمام بيوتهم، وخاصةً تلك الحمير الكثيرة العدد أمام الخيم لجماعات النَّوَرْ بصورة عامة ومن بينهم القُرْبَاطْ. وعندما تصبح تلك الدواب أحسن حالاً يبيعونها للفلاحين بأسعار غالية في مواسمهم الزراعية في موسم الحصاد أو في موسم الفلاحة أو الحراثة مع بداية فصل الشتاء.

ولقد كان النَّوَرْ يقومون بعملية غُشّ لمن يشتري تلك الحيوانات. فإذا ما سأل الفلاح أن هذا القديش يحرث، يجيبه النوري بكلمة نعم يَحْرُثْ، في هذه الحالة يكون النوري قد قام بجرح رقبة الحمار أو الحصان بأداة حادة ويضع على ذلك الجرح مادة حادة مثل الفلفل أو التوابل أو الملح، كي يجري هذا الحيوان وهو يجرُ المحراث الذي وضع على رقبته من أجل أن يتم البيع.

وكان القرباطي يقوم بتربية الحمير بصورة خاصة، لأنها كانت واسطة النقل الأساسية التي ينتقل بواسطتها من مكان إلى آخر، بعد تحميلها الخيام والأمتعة التي يحتاجونها في حياتهم اليومية. كما أن الأطفال الصغار والنساء العاجزات أو اللواتي ولدن منذ فترة قريبة، وكانوا يركبون على تلك الدواب أثناء الترحال. وأن بقية القوم من نساء وشباب ورجال، يمشون وراء تلك الدواب وكلابهم معهم. والشيء الطريف أن القرْباطْ والنَّوَرْ عامةً غالباً ما كانوا يضعون على ظهورهم الجراء الصغيرة والدجاج وفراخها الصغيرة، حيث يأخذونها إلى كل الأماكن التي يضربون خيامهم بها.

أما الآن فإن النَّوَرْ بما فيهم القُرْبَاطْ لا يربون الحمير والخيول الهزيلة سواء كان للرحيل، أو لذبحها للحصول على جلدها. ويكمن السبب إلى تغير الظروف الاجتماعية المحيطة بهم، وإلى انتشار أداة المواصلات الحديثة مثل السيارات والقطارات والطائرات. وهذا ما جعل الرفيق المخلص والصبور الذي كان يهتم به القُرْبَاطْ (الحمار) يسير نحو الزوال في مجال التربية لعدم وجود الحاجة إليه. فمن خلال ترددي على خيامهم الصيفية في أماكن تواجدهم المؤقتة في منطقة حوران ومناطق الزبداني والغوطة. وبقية المناطق الأخرى من اللقطر العربي السوري.

لم أشاهد الحمير أو الخيول الضعيفة أمام بيوتهم كما كانت سابقاً، حيث كان يوجد في الماضي أمام كل خيمة ما يزيد عن ٢ ـ ٤ حمير. إلى جانب بعض الخيول الهزيلة.

ـ تربية الكلاب:

كان الرجل القرباطي سابقاً يهتم بتربية كلاب الصيد المعروفة بـ ـ البوجي ـ السّلق إلى جانب الكلب العادي، الذي يربى من أجل الحراسة. والشيء الطريف أن القُرْبَاطْ سابقاً كانوا يربطون كلابهم أمام خيامهم، ولا يتركونها وشأنها.

١ ـ البوجي: نوع من الكلاب ذات حجم وسط، وذات شعر طويل. لكن أرجل البوجي أقصر من قوائم الكلب المستخدَم في مطاردة الحيوانات السريعة (السلق).

كان يذهب الرجل القرباطي ليلاً إلى الأماكن الوعرة ومعه كلبه ـ البوجي ـ الذي يتقفّى أثر بعض الحيوانات عن طريق شم آثارها. فقد قال لي أكثر من شخص أن البوجي قادر على إخراج الثعالب من أوكارها. كما أنّ كلب البُوجي عنده القدرة على اصطياد حيوان النِّيص الذي يحبه النَّوَرْ بمختلف مِلَلِهمْ. ويستطيع البوجي أيضاً صيد حيوان ـ الفريري ـ ، حيث يُستفاد من جلده، ويصل ثمن البوجي إلى ما يزيد عن ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ل.س في السابق وحالياً.

إلا أنني لم أشاهد هذا الحيوان إلى جانب خيام القُرْبَاطْ المتواجدين في منطقة حوران لصيف عام ١٩٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ١٩٨٦م.

٢ ـ السَّلق: كان القُرْبَاطْ يربون هذا الكلب السريع العدو، من أجل صيد الحيوانات السريعة العدو مثل: الغزال ـ الأرنب. وقد قال السيد عبدو الرمضان الأحمد الهرامشة أن السَّلوقي قادر على أن يجري مسافة تزيد عن عشر كيلومترات وبسرعة تقارب سرعة الفرس. لذا يعتبر حيوان السلوقي حيوان محبب لمطاردة تلك الحيوانات السريعة العدو (الغزال ـ الأرنب) والتي لا يقدر حيوان البوجي اللحاق بها: إلا أن ثمن الكلب السلوقي يبقى أقل من ثمن كلب البوجي.

أما الآن فإن القُرْبَاطْ يكادون لا يمتهنون مهنة الصيد التي تملي عليهم تربية تلك الحيوانات كما كان ذلك في السابق. فإذا ما سُئِل شخص ما عن السبب في عدم تربية تلك الكلاب، يقولون لم يبق شيء يمكن اصطياده.

كما لاحظت عند خيام القُرْبَاطْ الدجاج التركي، ذوي القوائم العالية والعنق الطويل. وكان يستعمل هذا الطير من أجل المبارزة مع الدجاج البلدي، أو مع الدجاج التركي.

ويقولون أن الديك التركي قادر بضربة واحدة عن طريق منقاره، أن يميت ديكاً من الدجاج البلدي مهما كان الأخير كبيراً وقوياً. وأن هذا الديك قادر على تحمّل الضرب بالمنقار من قبل الخصم ولمدة تزيد عن الساعتين، وغالباً ما تنتهي المصارعة الحرة بين ديكين تركيين بموت أحدهما عن طريق خصمه. وثمن الديك الجيد كما روى لي من قبل أشخاص ينحدرون من ملل مختلفة من النَّوَرْ ومن بينهم القُرْبَاطْ، يصل ثمنه أحياناً في السبعينات من القرن الماضي إلى ما يزيد عن ٢٠٠٠ ل.س. أما الآن فإن اعتناء القُرْبَاطْ بهذه الطيور لم يعد كما كان سابقاً، لأن المهنة الأساسية للرجل القرباطي هي صنع الغرابيل ـ لذا يقولون: أن القرباطي بيلحق الغرابيل.

بالرغم من أن النُّوَرْ ومن بينهم القُرْبَاطْ أناس يميلون إلى الرفق بالحيوان كما بدا لي إلا أنهم لا يربّون القطط، أو حتى لا يعتنوا بها. وربما يعود سبب عدم تربية القُرْبَاطْ لحيوان القط لكونهم غير مستقرين من جهة، ولعدم وجود مؤونة دائمة في الخيمة من جهة ثانية. وهذا النمط من المعيشة لا يجعل من القط حيواناً ضرورياً لحياتهم اليومية، لكن اتضح لي فيما بعد أن السبب في عدم تربية النّور بصورة عامة، بما فيهم النور القرباط، يكمن في أن كافة النور بمختلف نحلهم المعيشية، وأماكن تواجدهم الجغرافية، ينظرون إلى حيوان القط أنه نجس لأنه يلعق جسمه.

أما البدو العرب الذين يرعون الماشية فإنهم يربون القط ولكن على درجة أخف من تربيتهم لحيوان الكلب الذي يقوم بمهمة الحراسة، وتنبيه صاحب البيت إذا جاء شخص غريب إليهم، والأهم من ذلك فإن حيوان الكلب عند البدوي يقوم بدور الحارس والمدافع عن القطيع من حيوان الذئب الذي يفتك بالغنم إذا لم يشاهده الراعي وخاصة في ظلمات الليالي الباردة الماطرة من ليالي الشتاء، فالكلب بهذه الحالة خير من يدافع عن الغنم المحصورة داخل الصيرة١.

وقد شاهدت داخل خيامهم ـ طائر الحمام ـ فسألتهم عن الفائدة من تربيته لهذه النوع من الطيور والتي لا تزيد عن زوجين في الخيمة الواحدة؟ فقالوا أن هذه هواية يمارسها الأطفال فقط دون أن يكون هناك فوائد مادية ترجى من وراء هذا الطير. وهذا على عكس من الحضر الذين يربون الحمام للاستفادة من لحم صغاره.

ـ السكن عند القُرْبَاطْ:

إن معظم القُرْبَاطْ في منطقة عفرين وتوابعها مستقرون في بيوت من الاسمنت، يعيشون فيها فقط في فصل الشتاء البارد. وأن معظم بيوتهم منارة بالكهرباء، ولديهم أدوات كهربائية مثل: البرّاد ـ التلفاز ـ الغسالة... وأن قسماً كبيراً من تلك البيوت ممدد لها من قبل الدولة.

١ـ قطعة من الأرض غالباً ما تكون مرتفعة عن الأرض التي حولها، حتى إذا نزل المطر سال إلى الأماكن المنخفضة التي حولها. وتكون تلك القطعة من الأرض مسيجة بالحجارة على شكل دائرة، يصل قطرها أحياناً الخمسين متراً، لتبيت فيها الأغنام شتاءً. وأن الراعي بهذه الحالة وكلبه يكونان بين الغنم.

أما بدءاً من نهاية فصل الربيع وطيلة فصلي الصيف والخريف فإن القُرْبَاطْ في منطقة عفرين يذهبون لبيع ما يصنعونه من: غرابيل - كرابيل - مقطف قماحي - مقطف شعاري - مذارة. كما أن المرأة كما ذكرنا سابقاً تقوم بعملية التجوال بين أحياء القرية، وتنتقل النسوة نهاراً من قرية إلى أخرى على باب الله الكريم - كما يقولون.

وأثناء غيابهم عن منطقة مشتاهم المستقرين بها (عفرين وتوابعها)، فإنهم يعيشون بالخيام البسيطة المشغولة من أكياس القنّب العتيقة، وأحياناً مصنوعة من الكتّان على شكل خيمة ذات شكل دائري إلى حد ما يطلقون عليها تسمية - تْشَادِرُ - ، وفي أغلب الأحيان ذات شكل مستطيل كما هو الحال بالشكل التالي:

خيام لجماعة من القُرْبَاطْ - بيت غيفو - في بلدة الصنمين
إلى الجنوب من الجسر وإلى الشرق من خط دمشق درعا ١٩٨٧م

إن فتحة الخيمة دوماً نحو جهة الشرق، كما أن الخيام تكون قريبة من بعضها البعض، بحيث لا تبعد الخيمة عن الأخرى سوى بضعة أمتار.

أما الخيام عند العرب البدو، والتي يُطلق عليها بيوت الشعر تكون أحياناً متباعدة بعضها عن بعض وأنها مفتوحة من الغرب ومن الشرق حسب وضعية الشمس في النهار في بدايته ونهايته. أما الخيمة عند القُرْبَاطْ أو عند النَّوَرْ بصورة عامة

مفتوحة من جهة الشرق، في حين من جهة الغرب تكون مسدودة طوال النهار، وإن غربت الشمس نحو الغروب.

وفي معظم الأحيان تقوم الخيمة عند القُرْبَاطْ على خمسة أعمدة - شَنْتُوْنْ: أربعة منها موجودة على الأطراف، بحيث تغرس تلك الأعمدة على الزوايا الأربع كل عمود في زاوية. أما العمود الخامس فهو عمودي في وسط الخيمة. وأحياناً إذا كانت الخيمة كبيرة إلى حدٍ ما حيث يوضع في الوسط عمودان، ولا يبعد أحدها عن الآخر أكثر من مترين.

- اللباس عند القُرْبَاطْ:

يمكننا القول أن اللباس عند القُرْبَاطْ رجالاً ونساءً هو لباس طويل وفضفاض، ومحتشم في نفس الوقت. وأن المرأة والرجل يرتديان على رأسهما غطاء الرأس المخصص لكل من الجنسين.

- لباس الرجل:

يتكوّن لباس الرجل بصورة عامة من القطع التالية:

١ - القميص الذي يلبسه فوق اللباس الداخلي.

٢ - السروال ذو الفرج الواسع والنازل إلى الأسفل، وضيق الحِجْلَيْن مما يساعد على خفة الحركة وسهولة في العمل. وغالباً لون السروال أسود أو اللون الأبيض. ولا يضع القرباطي إلى سرواله دكة من المطاط وإنما دكّة سرواله في الغالب مشغولة من القماش. وبواسطة دكّة القماش يبقى السروال مشدوداً إلى خصر الرجل. ويمكننا القول أن كافة الناس في الريف والمدن عندما كانوا يلبسون السروال سابقاً من أكثر من - ٧٠ - عاماً كان يضعون للسروال دكّة من القماش. أما الآن فمعظم الذين يرتدون السروال يضعون لسراويلهم دكّة من المطاط.

٣ - يرتدي الرجل القرباطي فوق القميص في معظم الأحيان - القلابية - وخاصة في أوقات الراحة. وغالباً ما يكون لونها أزرق أو أخضر وأحياناً أبيض.

٤ - يرتدي الرجل عند القُرْبَاطْ طاقية من خيوط القطن على رأسه. وأن القرباطي في معظم الحالات لا يضع العقال على رأسه. إذ يكتف الرجل بلف - القضاضة، أو المنديل ذي اللون الأحمر المخطط بالأبيض على رأسه.

٥ - يرتدي الرجل فوق القلابية في معظم الأحيان - الجاكيت.

٦ ـ أما الشباب في وقتنا الحالي غالباً ما يلبسون اللباس العادي المعاصر من بنطال وقميص لكنهم حاسروا الرأس. ويلبس الشباب أيضاً القلابية.

أما الأطفال دون سن الثانية عشرة، يرتدون القميص أو الكنزة، والبنطال. ولا يرتدون على رؤوسهم شيئاً: إلا أن ملابسهم رثّة ووسخة. كما أنهم لا ينتعلون بأقدامهم الأحذية. فإذا ما ذهبنا إلى خيام القُرْبَاطْ في النهار لوجدنا كافة الأطفال حفاةً وشبه عراة.

يظهر السيد إبراهيم هورو بلباسه الشعبي المتعارف عليه في منطقة عفرين: الطاقية على الرأس ـ القلابية ـ القميص ـ السروال، ويقول القُرْبَاطْ عن الطاقية ـ قُلْ ـ وتطلق اللفظة على الغطاء الذي تضعه المرأة على رأس طفلها الصغير والمتعارف عليه عندنا بكلمة ـ بُخْنُقْ ـ و ـ بَرْنُوس

ـ لباس المرأة عند القرباط:

يتسم اللباس عند المرأة القرباطية المتزوجة منها والعازبة باللباس والطويل الفضفاض والذي يتكون من قطعة واحدة. كما ترتدي المرأة القرباطية الغطاء على رأسها الذي يتكوّن من منديل مزركش أو إشار عادي من لون واحد. أو من قطعة قماش طويلة وذات شكل مستطيل تلفها على رأسها وخاصةً إذا كانت غير متزوجة.

١ ـ الثوب الطويل الخارجي والمفتوح من الأمام بشكل كامل، ويدعى ـ ثْشَّاطِكْ ـ وفي هذا الثوب الخارج تضع القرباطية ابنها الرضيع، أو المواد التي كانت قد جمعتها وهي تتجول بين البيوت في حارات هذه القرية أو تلك. وغالباً ما يكون لون هذا الثوب أسود. ويلبس هذا الثوب الخارجي النساء المتقدمات في السن في أيامنا هذه، ويمكن أن نقول بأن النساء المتزوجات هن اللواتي يلبسن هذا الثوب.

٢ ـ ثوب آخر تحته (تحت الثْشَّاطِكْ) طويل وفضفاض ولكن الفتحة فقط بقياس الصدر، ولون هذا الثوب أحياناً أخضر مزركش أو أزرق مزركش أو أصفر برتقالي مزركش.

٣ ـ السروال: تلبس المرأة القرباطية من عفرين السروال المزركش تحت الثوب الداخلي. وفي معظم الأحيان تكون زركشة ذات ألوان تميل إلى السواد أو اللون الأزرق. وللسروال جحْلان ينتهيان في الأسفل بفتحتين مزمومتين، حيث تشبه نهاية السروال عند المرأة نهاية البنطال عند العسكري عندما يضع له مطاطة فيكف بنطاله إلى الداخل. فيبدو السروال بنهايته مجموعاً. ويغطي السروال الطرفين السفليين عند المرأة حتى الكعبين. لدرجة أنه لا يظهر من عورتها شيء.

٤ ـ تلبس المرأة زنّاراً فوق الثوب الخارجي المزركش كما هو الحال في الصورة التالية:

فتاة قرباطية ـ عيُوش غيفو ـ بلباسها القرباطي الشعبي الجميل والمحتشم جداً،
ويبدو الزنّار على خصرها فوق ثوبها الجميل الأبيض المزركش بخيوط ذات لون ذهبي /١٩٨٧م/

٥ ـ تضع المرأة القرباطية على رأسها منديلاً أو سلكاً (شماخ أحمر أو أزرق أو أسود وأبيض). فبعد أن تثني المنديل على شكل مثلث متساوي الساقين، تضعه على رأسها وتضع رأس المثلث على ظهرها، وأن ذنب المثلث دوماً نحو الأسفل. وتوضع قاعدة المثلث على الرأس. ومن ثم تمسك طرفي المثلث وتلفهما حول عنقها بحيث الذنب الأيمن يؤخذ باتجاه اليسار والذنب الأيسر يؤخذ نحو اليمين وإلى الخلف، ومن ثم تقوم بعقد الطرفين عقدة واحدة من الخلف (أن المرأة القرباطية تتبشنق بالشماخ أو بالإشار المزركش كما كانت البنت الحورانية سابقاً عندما كانت تلبس الحطّة قبل أن تتزوج.

٦ ـ ترتدي المرأة القرباطية الأحذية البلاستيكية في البيت وتجدل المرأة القرباطية شعرها على شكل جديلتين غالباً ما تضعهما على صدرها من الأمام بعد ينسدلن على كتفيها. وأحياناً تجدل القرباطية شعرها على شكل جديلة واحدة تتسدل على صدرها، وتكاد تصل تلك الجديلة إلى ما تحت الركبتين. فشعر المرأة القرباطية إلى جانب كونه طويلاً، لكنه كثيفاً في نفس الوقت، ولونه أسود كالثعبان.

ـ المستوى التعليمي عند قرباط منطقة عفرين:

بالرغم من أن قرباط منطقة عفرين مسجلون في سجلات السجل المدني، لدرجة أن النساء والرجال فوق سن الثامنة عشرة من العمر يحملون بطاقة شخصية، نجد المستوى التعليمي عندهم متدنٍ جداً إذا لم نقل شبه معدوم. ويمكننا القول أن نسبة الذين يتعلّمون حتى الصف الخامس من الأطفال القُرْبَاطْ لا تزيد عن واحد بالمئة ١٪.

فعندما كنت أطرح على الآباء لماذا لا يذهب أطفالكم إلى المدارس، يكون جوابهم كما يلي:

إنت شايف نحن بالصيف ندور إلى مناطق كثيرة من القطر العربي السوري للعمل هناك والحصول على مقومات العيش، وهذا ما يضطرنا إلى الرحيل مع أطفالنا من مكان إلى آخر. إلا أن الواقع عكس ذلك، فبالرغم من أن الدولة تفتح المدارس، وتلزم الآباء بتعليم الأبناء، فإننا لا نجد رغبة عند جماعات القُرْبَاطْ لتعليم أبنائهم ويمكننا القول أن القُرْبَاطْ أميون.

من المسّم به أن الشعوب غير المتعلمة، لا تنقل تراثها من الآباء إلى الأبناء مع زيادة في الإبداع، وإنما العكس مع تناقص للصفات التراثية الخاصة بهم. بسبب عدم كتابة هذا التراث. وانتقاله عبر الأجيال عن طريق التلقين شفاهاً فكثيرٌ من مِلَلِ النَّوَرْ تكاد تكون قد نسيت لغتها النّورية: ضُوْم واري، لعدم معرفتهم القراءة والكتابة لتلك اللغة القرباطية التي تحكى ولا تكتب. فمن هذه المنطلق نجد أن بعض جماعات النَّوَرْ تتكلم الكردية مع تأثرها بالعادات والتراث الكردي نتيجة المعايشة الطويل للناطقين باللغة الكردية كما هو الحال عند نورْ المطاربة في منطقة الساحل العربي السوري وفي لبنان.

أما قرباط منطقة حلب وعفرين ومنبج فإنهم يتكلمون اللغة التركية الاستنبولية، والتي تختلف عن اللغة التركمانية التي يتكلم بها النَّوَرْ الريّاس في منطقة دير العصافير. فنتيجة لتكلم هؤلاء النَّوَرْ باللغة التركية فستكون عاداتهم وتقاليدهم متأثرة بالتراث التركي نتيجة المعايشة أما القُرْبَاطْ القاطنين في مدينة حلب، حيث تنتشر بينهم ظاهرة تعليم أطفالهم. وقد قال لي السيد داوور محمد جمعة القادرلار، والذي يقرأ ويكتب، وهو الآن يؤدي خدمة العلم بإزرع أن بين جماعات القُرْبَاطْ بحلب يوجد شباب متعلمون، ومنهم قد أنهى تعليمه الجامعي كطبيب للأسنان مثال السيد الطبيب ـ سليمان كلزي ـ الملقب أبو داوود، وهو أخ للسيدة شمسة أم السيد داهود بن محمد بن القادرلار المجند الذي التقيت به في الشيخ مسكين بحوران. ويسكن طبيب الأسنان سليمان كلزي في حي ـ كرم المُيسَّرْ ـ وعنده هاتف بحلب ورقمه ٤٦١٦٦٣.

ـ المستوى الصحي عند قرباط منطقة عفرين:

لا يهتم القُرْباطْ بنظافة أطفالهم، ولا حتى بنظافة أجسامهم وذلك في الفترة التي يتجولون خلالها ضاربين خيامهم أنّى شاؤوا ومتى شاؤوا في أي مكان من ريف القطر العربي السوري. والسبب بعدم اهتمامهم بنظافة أجسامهم لعدم توفر الماء الضروري لحاجاتهم اليومية من طبخ وغسيل وتغسيل وسباحة، إذ تجلب المرأة القرباطية الماء على رأسها من بيوت القرية التي ينزلون بجوارها.

وخلال زياراتي لهم في خيامهم لم أشاهد أوانٍ كبيرة لوضع الماء فيها، وإنما كنت أشاهد أوانٍ من التوتياء، لا تتسع الواحدة منها إلى أكثر من (٢٠ كغ ماء).

إن هذه الكمية من الماء لا تكفي إلا للشرب فقط. كما لمست عدم اهتمامهم بالنظافة من خلال كمية الصابون التي تصرفها العائلة الواحدة في الشهر الواحد والتي يتجاوز عدد أفرادها أكثر من عشرة أنفار.

ويتواجد الأطفال حول الخيام حفاة القدمين، ويرتدون اللباس الرث والوسخ والممزق، إلا أن بنية أجسامهم سليمة من الأمراض وأقوياء عضلياً، ويكاد القُرْيَاطْ لا يعرفون التداوي بالطريقة الشعبية باستثناء شراب البابونج واليانسون، الذي يعطى للأطفال من أجل أمراض الجهاز الهضمي. فإذا ما مرض طفل، فإن أهله يأخذونه إلى عند الطبيب لمداواته. وتسود عند القُرْيَاطْ المداواة بالكي، لكن هذه العادة آخذة بالانحسار تدريجياً.

كما أنني لم ألاحظ أشخاصاً ذوي أجسام سمينة سواء بين صفوف الرجال أو بين النسوة. وأن سبب عدم وجود هذه الظاهرة غير الصحية من وجهة نظرنا، عند القُرْيَاطْ يعود إلى نمط معيشتهم القائم على الحركة المستمرة، حيث لا يعرفون الكلل والملل وخاصة النساء منهم، وهذا ما يساعد على حرق الشحوم المتكدسة تحت البشرة أو في الإلية، وتحولها إلى طاقة حركية. وكما لم ألاحظ إصابتهم بمرض السكري، والسبب يكمن بالحركة الدائمة.

إن النساء القرياطيات غالباً ما يتصفن بقوام البشرة الأقرب إلى النحافة على العكس من النساء في المدينة أو في الأرياف، حيث نجد المرأة ذات جسم متخم بالطبقات الشحمية تحت بشرتها، وخاصةً بعد زواجها وإنجابها للأطفال. ويعود سبب السمنة عند النساء اللواتي يقبعن في منازلهن إلى عدم أو قلّة الحركة التي لا تساعد على حرق الشحوم وتحويلها من طاقة حرارية إلى طاقة حركية. وإلى كثرة تناول النشويات.

وتُعتبَر النحافة عند القُرْيَاطْ ظاهرة صحية سليمة، وخاصة عند النساء اللواتي يمضين الأيام وهن في تجوال تام، مع رجوعهن إلى منازلهن محملات بما حصلن عليه. إن المرأة النَّورية القرباطية في عملها الدؤوب الذي لا يعرف الملل ولا التعب لأشبه بالعاملات في خلية النحل اللواتي يذهبن في الصباح ولا يعدن إلا بعد جمعهن للرحيق المجني من أزهار كثيرة ومتنوعة.

كما أن المرأة النُورية القُرباطية محتشمة في تصرفاتها في بيتها، فهي لا تطلب من الشخص الجالس عندهم أي شيء، على عكس من المرأة عند مطارية العريضة وبقية مناطق الساحل العربي السوري ولبنان، اللواتي يطلبن من الضيف وخاصةً إذا كان للضيف مصلحةً له عندهم. وأن الزوج أو الابن لا يعترض زوجته عندما تطلب ثمن علبة دخان، أو ثمن سكاكر للأطفال.

إن المرأة القرباطية لا تتعاطى التدخين في البيت كما لاحظت ذلك، على عكس من المرأة عند جماعات النَوَرْ المطارية، حيث المرأة تدخن دون أي حرج من الزوج أو الأهل في البيت.

بالرغم من أن المرأة النورية القرباطية تُمضي الجزء الأعظم من النهار خارج خيمة زوجها وأطفالها لتجمع ما يمكن أن يعطيها إياه أصحاب البيوت التي تطرق الباب عليهم أثناء تجوالها بين أحياء القرية، فإنها تقوم بجلب الماء من البيوت التي يضربون خرابيشهم جانبها. وتقوم المرأة القرباطية أيضاً بتحضير الطعام في الخيمة بعد رجوعها إلى البيت.

والطبخ يكون على ببُور الكاز بواسطة طنجرة ذات منظر ليس مريح، ويشرب أفراد العائلة الشاي بكثرة. وأما التدخين فمعظم الرجال يدخنون، لدرجة أنه يمكننا القول أن الذكور الذين تفوق أعمارهم عن الخامسة عشر يدخنون. وأن الأب يعطي ابنه الدخان إذا لم يكن مع الابن دخان.

ويمكننا القول أن القُرباطْ وهم في وضعهم المتجول غير المستقر بدءاً من منتصف شهر نيسان وحتى نهاية فصل الخريف، يكون استهلاكهم قليلاً، والدليل على ذلك، أنني لم أشاهد في الخيمة الواحدة أكثر من تنكة ماء واحدة لكافة أفراد العائلة. فمن البديهي أن تكون النظافة ليس كما يجب أن تكون وخاصةً في مجال الاستحمام والغسيل. وأن العائلة التي يصل أحياناً عدد أفرادها إلى أكثر من (١٠) أشخاص يعيشون في ظل خيمة واحدة، إذا لم يكن أحد الأولاد الذكور متزوجاً. أما إذا كان أحد الأولاد الذكور متزوجاً فإنه يعيش وزوجته في خيمة مجاورة لخيمة أبيه. ولهذا السبب فإن الاستحمام في الخيمة ضمن هذا العدد الكبير شبه مستحيل، وخاصةً بالنسبة للمرأة التي تبقى طيلة النهار خارج بيتها. وعندما تعود المرأة فإن كافة أفراد العائلة يفرحون بمجيئها ويلتفون حولها. وهذا ما يحرمها الاغتسال ونظافة أطفالها وزوجها.

ـ الصفات السلالية لجماعات القُرْيَاطْ:

١ ـ يتصف القُرْيَاطْ بالبشرة السمراء الغامقة، وأحياناً بالبشرة السمراء الداكنة. والوجه عند النُّوَرْ عامةً ومن بينهم القُرْيَاطْ أقرب إلى الاستطالة منه إلى الاستدارة. كما أن الرأس عندهم ذو شكل متطاول مع بروز العظمة القذالية في عجز الجمجمة التي تتصف عند القُرْيَاطْ بارتفاع سقفها.

إن الأنف عند القُرْيَاطْ مرتفع وذو شكل طولاني، والشفاه تقريباً متوسطة الثخانة إذا لم تقل أنها اقرب إلى الشكل الرفيع. وتميل القامة عند النُّوَرْ القُرْيَاطْ بصورة عامة إلى ما فوق المعدل المتوسط لطول القامة، حيث يزيد طول القُرْيَاطْ عن ١٦٥ سم ونصف. ويتصف القُرْيَاطْ بعيون واسعة يتراوح لونها من اللون الأسود وحتى العسلي (لكن يوجد بينهم ذوي البشرة الشقراء والعيون الملونة).

والشعر عند القُرْيَاطْ جميل وكثيف في نفس الوقت: لون الشعر أسود داكن وذو ملمس ناعم وقليل التموج، لدرجة يكاد يكون مستقيماً. وتهتم المرأة القرياطية بشعرها، وتقوم بتجديل شعرها على شكل جديلتين. وغالباً ما تكون الجديلتين مسدولتين على صدر المرأة. أما البنات اللواتي دون سن الرابعة عشرة غالباً ما يجدلن شعرهن على شكل جديلة واحدة يسدلنها على الكتف من الأمام، لدرجة يصل طول الجديلة إلى ما تحت الركبة. في بعض الأحيان.

ويمتاز الشعر عند القُرْيَاطْ بكثافته مما يعطي للمرأة أنوثة أكثر وجمالاً جذاباً. وتمتاز الفتاة القرياطية أيضاً بنهديها البارزين إلى الأمام، مع خصر رفيع مما يعطي جسمها تناسقاً ورشاقة في نفس الوقت. وينبت الشعر على جسم الرجل في غالب الأحيان بشكل كثيف، ويمتاز النُّوَرْ عامةً ومن بينهم القُرْيَاطْ بتطويل شعر الشاربين عند الرجل.

أطفال من قرباط عفرين من عشيرة ـ غيفو ـ /١٩٨٨م/
حيث يبدو الشعر الأسود الناعم القليل التموج عند الفتاة والتي اسمها عيُوش.

ـ الديانة عند القرباط:

يدين القَرْباطْ بالديانة الإسلامية. ويقولون عن أنفسهم إذا ما سُئِلوا عن ديانتهم: أنهم مسلمون. ويتبعون الشريعة الإسلامية كقواعد ناظمة لحياتهم اليومية. ويقول القَرْباطْ أننا نصوم ونصلي ونحج. ولكن الذي لمسته أن الذين يصلّون منهم قليلين. ولا يتقيدون بالصيام لكن هذا لا يعني عدم وجود أناس لا يصلون ولا يصومون. فقد قدم للصلاة لوقت العصر من يوم الأحد الواقع في ١٧/رمضان، الموافق لـ ٢٠/٥/١٩٨٦. وأنا جالس في الخيمة السيد ـ خليل جمعة غيفو ـ الذي لا يتجاوز عمره الخامسة والثلاثين من العمر. وكان السيد خليل في ذلك اليوم صائماً بالرغم

من أنه بقي حتى الساعة الخامسة من بعد الظهر وهو يتجول على متن دراجته النارية في قرية زاكية بالقرب من بلدة سعسع إلى الغرب من منطقة غوطة دمشق الغربية، وهو يقوم بتركيب وتلبيس الأسنان.

كما أن السيد داهود بن محمد القادلاري يصلي ويصوم، وقد صلّى وأنا موجود في خيمة أحد أصدقائه عندما جاء لزيارتهم من معسكره الواقع في منطقة إزرع في حوران في الثامنة عشر من رمضان المصادف يوم الاثنين ١٩٨٦/٥/٢٦م. وأن الصيام بين النساء يمكنني أن أقول يكاد يكون شبه معدوم، لأن النساء تذهب في الصباح وحتى العصر إلى القرى المجاورة (قاصدةً باب الله الكريم) وهذا ما يجعل الصيام عليها ثقيلاً لما تتعرض له من تعب وعطش أثناء تجوالها المتعب كي تؤمن طعاماً لأفراد بيتها، وأن الغالبية العظمى من القُرَبَاطْ وخاصةً الكبار بالسن عندما يسمعون الآذان في الجامع، أو من خلال جهاز الراديو يفعلون ما يلي:

إذ يرفعون سبابة اليد اليمنى، ويتشهدون وبصوت عالٍ قائلين: الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فسألت السيد ـ داهود بن محمد القادرلار، لماذا يتشهد القرباطي أثناء سماعه للآذان فكان جوابه لي ما يلي: «لماذ أليس نحن مسلمون. فعلى المسلم إذا ذكر اسم الله أمامه من الآذان سواء كان في الجامع أو من أجهزة المذياع، أو التلفاز، أن يتشهّد، وإن لم يفعل ذلك فحرام عليه. حتى أنه إذا ذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم على الشخص أن يصلي ويقول ـ اللهم صلّي على سيدنا محمد ـ فإن لم يفعل ذلك فحرام عليه».

ـ طقوس دفن الموتى عند القرباط:

يتم دفن الموتى على الطريقة الإسلامية كما يلي:

عندما يعرف الشخص المريض أنّه يحتضر، يفرشون له فراشاً جهته شمال جنوب، ويضعون المريض عليه، وهو مستلقياً على ظهره. ويكون رأس المريض نحو الشمال ووجهه نحو القبلة، أما رجليه فتكونان ممدودتان نحو جهة القبلة.

توضع اليد اليمنى فوق اليسرى، وكلتا اليدين توضعان فوق الصدر.

يكون الناس حول المريض وإلى جانبهم الماء، حتى إذا طلب الماء ليشرب كانت الماء في متناول يدهم.

وغالباً ما تكون النساء تبكي ويزداد هذا البكاء إذا توفي المريض. فإذا كان المتوفي امرأة ولديها أطفال، يزداد نحيب النساء عليها وعلى أولادها اليتامى الذين سيعيشون من بعدها ذليلين.

يُغسَّل الميّت ويصلّى عليه حسب الشريعة الإسلامية، ومن ثم يُدفَن في القبر الذي حُفر وذلك حسب الشرع الإسلامي:

حيث يكون اتجاه القبر غرب شرق. وأن الميت يوضع في القبر على جنبه الأيمن ورأسه إلى جهة الغرب بحيث يكون وجهه نحو القبلة، واتجاه الرجلين نحو الشرق.
لكن الشيء الطريف الذي يتصف به النَّوَرْ عامةً ومن بينهم القُرْبَاطْ هو ما يلي:

إذا كان المتوفي رجلاً ومتزوجاً، يجب أن يُلف هذا الرجل بعدد من الأكفان تتساوى مع عدد زوجاته اللواتي قد تزوج منهن، واللواتي على قيد الحياة. فإذا كان الرجل المتوفي قد تزوج في حياته من ست نساء، فعلى أهل ذلك المتوفي أن يلفوا ميتهم بستة اكفان.

إذا كانت المتوفية امرأة ومتزوجة، في هذه الحالة يجب أن تلف بعدد من الأكفان تتساوى مع عدد الرجال الذين كانت قد تزوجت بهم. فإذا كانت قد تزوجت من رجلين غير زوجها الأخير الذي ماتت عنده، يجب أن تُلف بثلاثة أكفان ـ كَفَنَان عن زوجيها السابقين، سواء كانا على قيد الحياة أم توفيا، والكفن الثالث عن زوجها الأخير سواء مات أم لازال على قيد الحياة.

والشيء الطريف هنا: أن الزوج الأخير هو الذي يتوجب عليه شراء الأكفان لزوجته المتوفية حسب أعداد أزواجها السابقين مضافاً إليهم كفن عنه.

النَّوَرْ القرباط في منطقة حلب

يعيش النَّوَرْ في معظم أحياء مدينة حلب، حي الصاخور ـ حي باب النيرب ـ حي الأنصاري ـ حي الأشرفية ـ حي الشيخ مقصود، حيث يقيم السيد ـ حسين باشو ـ زعيم النَّوَرْ في حلب، وهو حفيد مصطفى باشو الذي كان يعيش في بلدة ـ كلس ـ داخل الأراضي التابعة لتركيا حالياً.

ففي حي النيرب يتواجد جماعة من النَّوَرْ القُرْبَاطْ، حيث يمتهنون صناعة الغرابيل، والدفوف والطبل، وصناعة الأوتار، من جلود الحيوانات التي كانت تفطس، ويقوم الرجال من هؤلاء بسلخها، لكن حالياً فهم يشترون الجلود من المسلخ ومن الأسواق، ليستخدموها في صناعة الأدوات المذكورة. ومعظم نور حي باب النيرب من القوادرة والملاحمة.

صورة للنَّوَرْ القُرْبَاطْ في حي باب النيرب وهم يتسوقون جلود الحيوانات

وتجدر الإشارة إلى أن معظم جماعات النَّوَرْ في حلب هم من النَّوَرْ القُرْبَاطْ، والباقي من المطاربة، وهناك نورْ في حلب يدعون أنفسهم أنهم أرناؤوط ـ حيث يمتهنون التنجيم وقراءة الطالع. وفتح المندل لمعرفة أمور الغيب للمستقبل. ويدعي هؤلاء أنهم شراكسة. لكن في الحقيقة أنهم نوَر عاشوا في الماضي في مناطق يعيش فيها الأرناؤوط.

وهناك في حلب نور من جماعة (العبدال)، حيث يشاركون جماعة الحجيات في التسامح في الظواهر الاجتماعية التي تخص العرض. ويقول النَّوَرْ القُرْبَاطْ في حلب: «أنّ العبدال هم مثابة خدم كانوا في الماضي للقرباط». ولا ندري مدى صحة ذلك.

أما النّورْ الذين يسكنون على طريق حلب هلُلك ـ فهم من عشيرة ـ أبو مسلم حجيّات. وهناك تجمّع للنَّورْ في قريتي هلُلك فوقاني، وهلُلك تحتاني. وهم من القُرْبَاطْ في معظمهم. ومن الطنجرلية، والحجيّات، والريّاس (عن السيد سليمان الكلزي، أبو داوود. والذي يسكن في حي القُرْبَاطْ).

ومن المناطق التي يقطن النَّورْ فيها بحلب (ظهرة عواد والأشرفية)، يقول السيد ـ سليمان الكلزي ـ حول المنطقة التي جاء منها النَّوَرْ القُرْبَاطْ في منطقة حلب: «أن النَّوَرْ القُرباطْ جاءوا من الهند، إلى منطقة جبال الكاريات، منذ زمن يزيد عن ١٥٠٠ عام سبقت على حد زعمه. وكانت النزاعات التي تحصل بين نَوَرْ القُرْبَاطْ في الهند، مخالفة للقوانين التي تسود هناك، مما أدى إلى إبعادهم إلى منطقة إيران ليقيموا الحفلات. ونتيجة لسوء معاملة الإيرانيين (الفرس) اضطروا إلى الهجرة إلى البلدان المجاورة: سوريا ـ الأردن ـ العراق ـ لبنان ـ فلسطين ـ ونتيجة لسوء المعاملة للنَّوَرْ القُرْبَاطْ في إيران. اضطروا إلى مزاولة أعمال سيئة مثل: الرقص ـ النهب ـ السرقة.

فعشيرة القوادرة: القادرلار ـ قد جاؤوا من الهند، إلى منطقة باب النيرب، ومن ثم توزعوا في كثير من المناطق.

ويسكن في كل من ظهرة عواد والأشرفية نَوَرْ من العشائر: القوادرة ـ الملاحمة ـ البرجولية ـ الصياغ. أما في منطقة محطة القطارات (الجانب الشرقي) يتواجد نَوَرْ يمارسون مهنة الرقص والغناء (حجيّات) من عشيرة (الهرامشة). ويعيش أفراد عشيرة القوادرة في حي الصاخور، إلى جانب عائلات من عشيرة الملاحمة والنواصرة. ويعيش في بستان الباشا نور قرباط من بيت ملحم وبيت جبر.

ـ النمط المعيشي للنور في منطقة حلب:

إن كافة أفراد عشائر النَّوَرْ، التي تعيش في منطقة ظهرة عواد، والأشرفية، والأنصاري، وإلى الشرق من محطة القطارات، وفي حي الصاخور، يعيشون في منازل ثابتة مبنية من الحجر الأبيض، ومخدَّمة بالماء والكهرباء. وتتوفر في بيوت هؤلاء كافة الأدوات والأجهزة الكهربائية، إلى جانب السجاد العجمي المستورد من إيران. وغالباً ما يدهنون جدران منازلهم بالألوان القاتمة (الأزرق ـ الرمادي ـ الأسود) وفي كل شرفة منزل توجد أرجوحة للأطفال.

ويمارس الشباب من عشائر النَّوَرْ، مهنة تركيب الأسنان، ويسافر الكثير منهم إلى معظم دول العالم وإلى معظم القارات بما فيها القارة الأفريقية والاسترالية. ويحب هؤلاء أكلة تسمى ـ الكبسة؛ الدجاج بالرز أو اللحم بالرز ـ (رَزْدَفِيْنْ)، وأكلة المَنْسَفْ. ويتناولون طعام المنسف. وهذه الأكلة الشعبية يحبها الناس في منطقة جنوب سوريا بالإضافة إلى قبائل البدو، ويتناولونها عن طريق الأيدي، وهم جالسون على الأرض، حيث يوضع الخروف بعد طبخه، وبعد أن يقطع يوضع على وجه المنسف المملوء بطبخ البرغل، ويوضع رأس الذبيحة في وسط المنسف، بحيث يكون فتحة الفكين لرأس الخروف نحو الأعلى. وهذا يدل على أن النَّوَرْ كانوا يلازمون عشائر البدو في حلّهم وترحالهم وخاصةً في مواسم الربيع، حيث موسم جز صوف الغنم، وبيع الخراف... لأن هذه العادة تسود عند البدو، وفي جنوب سوريا.

ـ لباس المرأة:

ترتدي المرأة النَّورية في حلب اللباس الطويل والفضفاض، فوق ألبستها الداخلية، ويدعى ذلك الثوب باللغة النَّورية (جب دومواري) تسمية ـ الزُّعبوط ـ (وتجدر الإشارة إلى أن هناك وجود عائلة في داريا، جنوب غرب دمشق، تحت اسم ـ زعبوط ـ ويُقال أنهم من نَوَرْ مصر). وتتراوح ألوان ـ الزعبوط ـ ما بين الزهري الغامق، واللون الأصفر، وترتدي تحت الزعبوط ثوب مفتوح يُدعى القمباز الطويل، والذي تكاد يعطي الكاحلين. وتغطي المرأة رأسها بقطعة من القماش الأسود تُدعى /المَلْفَعْ/ حيث تشده على رأسها بعصة من القماش، في حين تكون قطعة قماش الملفع الأسود اللون مسدولة على كتفيها وظهرها وعلى صدرها.

ـ اللغة عند نُور منطقة حلب:

يتكلم النَوَرْ في حلب بلغات متعددة منها: الكردية ـ التركية ـ التركمانية، إلى جانب اللغة العربية. لكن أفراد عشائر النَّوَرْ كافةً بحلب يعرفون اللغة النَّوَرية/ اللسان النوري (جَبْ دوموارِي) والتي يطلقون عليها تسمية لسان العصفورة، ومن أغانيهم الشعبية:

حلفت بسيد أكرودن مارضون أكبري ليه فاليز شقلي.

دركي اشتوره، سبي، رمز دوربو جلادور لنا لكرون سينيس لرزنادور.

الترجمة إلى العربية:

يا بنت القبيلة كفاية عذاب قتلتني بالعيون الزرق والشعر الأشقر.

يا طويلة حاجة تمشي، وتهزي بخصرك، جننتيني والله يا بنيّة في هزة صدرك.

وهناك أغنية شعبية يرددها مطربوهم تقول هذه الأغنية الهندية:

لوركينا طوالوكي ديناهم بلها بوكي.

ها سوكي حبيبي هاسوكي ماري.

هم ديسي بلكالوكي هو هو.

ناسونا ـ تاجندي ـ ينوكوسي هان بيوبيا.

لوركينا كالوكي.

الترجمة إلى العربية:

إن هناك لا فرق بين الأبيض والأسود، والحياة هي التي تعلم الإنسان قيمته.

ـ الديانة:

يقول السيد سليمان الكلزي في هذا الموضوع ما يلي:

ـ النَوَرْ القُرْباطْ يدينون بالإسلام.

ـ النَوَرْ الحجيات يدينون بالإسلام، لكن لا يعتقدون بتعاليم ذلك الدين.

ـ النَوَرْ الطنجرلية ـ مسلمون، وللإمام زين العابدين مكانة خاصة عندهم.

وإذا ما خطفت فتاة، لا يتم حل هذه الظاهرة الاجتماعية، إلا إذا جاء (الدَّاد)، **حيث هو** المسؤول الوحيد عن هذه الجماعة الطنجرلية، ويرتدي جُبّة سوداء، وقميص **زهري اللون**: يسود عند نَوَرْ حلب عادة الثأر بسبب بنائهم الاجتماعي ذي التنظيم

العشائري. وتجدر الإشارة أن لكل عشيرة /صيحة أو نداء خاص بها/، للاستغاثة، عندما يتعرض أحد أفراد العشيرة للخطر.

ومن عادات النَّوَرْ القُرْبَاطْ في حلب: أنهم يفرحون لولادة الصبي، ويحزنون لولادة البنت، وذلك على عكس من جماعات النَّوَرْ الذين يمارسون مهنة الطرب والرقص والغناء (الحجيات) لأن الفتاة مصدر رزق، وخاصةً إذا كانت جميلة، وأجادت الرقص وفنونه: ومن الطريف ذكر ما شاهدته أثناء بعض زياراتي الحقلية: أن الرجل إذا أراد أن يستحم في داخل خيمته، يضع ستاراً من القماش، أو حراماً، أو قطعة من الحصير، كي يستحم، بعد أن يضع أمامه وعاء فيه ماء ساخن، ووعاء فيه ماء بارد. ويوجد في فسحة البيوت التي تقيم بها النَّوَرْ في الأشرفية، وطلعة أبو الظهور، آبار لجمع مياه الأمطار، لاستخدامها صيفاً. ويوجد عند جماعات النَّوَرْ في حي الأشرفية - هاتف واحد - لمالكه السَّيد - سليمان الكلزي - ولا أحد يجرؤ على استعماله إلا لوقت الضروري القصوى.

- النَّوَرْ في منطقة - الأتارب - شمال مدينة حلب:

ينتشر هنا أفراد عشيرة - قارصلوا* - فقد كان أفراد هذه العشيرة في الماضي يمارسون مهنة صناعة الغرابيل بأنواعها، حيث كانوا يذبحون الحيوانات الهزيلة الكبيرة السن (الهرْشِةْ) بعد شرائها، ليحصلوا على جلودها بعد سلخها (الخيول، الحمير)، إلى جانب جلود الجيَفْ المَرْميّة في البرية. إن هؤلاء النور ينطوون تحت جماعة النور القرباط. وهناك جماعات من النَّوَرْ في - الأتارب - يمارسون مهنة الدق على الطبل، ويطلقون على أنفسهم تسمية - المطاربة - ويتعلم الأطفال الضرب عل الطبل منذ سن الخامسة، إذ يقومون بالضرب على أوانٍ من التَّنَكْ أو من البلاستيك، فما أن يكبروا حتى يتعلموا أصول الضرب على الطبل جيداً.

---

* - إن عشيرة القرباط - قارصلو - قد استمدت هذه التسمية من المكان الذي جاء اجدادهم منه في الماضي والذي يعرف -بمنطقة قارص - الواقعة الجنوب الشرقي من تركيا داخل بلاد السوفييت سابقاً.

أطفال عشيرة ـ قارصلو ـ يتدربون على الضرب على الطبل وهم دون سن العاشرة ـ الأتارب

ويمارس الرجال صناعة الغرابيل، الدف ـ الطبل، في حين الشباب يمارسون مهنة تركيب الأسنان. وفي الغالب يبقى الرجل في البيت لشرب القهوة المرّة، واللعب بالورق. وإن المرأة التي تعدّ عماد البيت، تقوم في التجوال بين أحياء القرى من أجل الشحادة وأن الزوج لا يسأل زوجته أين كنت؟، لكن شو جبت؟. وإن المرأة النَّورية في شمال حلب محوجة في الاستعطاء. وحسب اعترافات نور ـ الأتارب ـ أن المرأة ما بين سن /٢٥ ـ ٤٥/ تكون أكثر إنتاجاً في تجوالها وهي تشحد، حيث تجلب إلى بيتها أكبر كمية بشكل يومي. مما تشحده سواء كان من البرغل أو الزيت، أو الزيتون، أو الصابون. وعندما تصبح متقدمة في العمر تقلّ الكمية التي تحصل عليها من الشحادة والجدير

ذكره: أن هؤلاء النُّوَرْ، وكافة الأفراد من عشائر النُّوَرْ الأخرى لا يسمحون للفتيات غير المتزوجات بالتجوال من أجل الشحادة، لأن هذا بنظرهم عيبٌ وعار، بسبب عاداتهم، التي تحث على المحافظة على غشاء البكارة للفتاة، حتى يوم زفافها. وأحياناً تذهب الفتيات غير المتزوجات للتجوال من أجل الشحادة، ولكن ليس لوحدها، وإنما برفقة نساء متزوجات. وبصورة عامة تعد المرأة مصدر رزق لأفراد أسرتها، إضافةً إلى أنها تدير شؤون بيتها بشكل جيد، وخاصةً إذا كانت جميلة. أما بالنسبة إلى اللغة، فهم يتكلمون العربية والكردية واللغة النُّورية، حيث تتكلم كل عشيرة من هؤلاء النور ـ لغة القوم الذين عاش أجدادهم في الماضي بين ظهرانيهم.

ويتم الزواج بشكل مبكّر بالنسبة للبنت ما بين ١٤/ ـ ١٦/ عام، والشاب أيضاً نفس الشيء. وتتم مراسيم الخطبة والزواج عن طريق الأهل. وأن المهر يصل حالياً إلى ١٠٠٠٠٠ ل.س عام ١٩٨٨م إذا كانت الفتاة جميلة، وستمارس مهنة الشحادة في المستقبل. في حين أن المهر قليل للفتاة غير الجميلة والتي لا تجيد مهنة الشحادة. ويقبض والد الفتاة المهر كاملاً ولا يعطيها منه إلا القليل. ويتم الفرح من أجل العرس مدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث يتم الزفاف.

ويحصل الطلاق عند النُّوَرْ في منطقة ـ الأتارب. فإذا كانت الزوجة هي التي تريد ذلك! فإن المهر الذي دفعه زوجها يجب أن يُردّ كاملاً، أما إذا أراد الزوج ذلك فلا يُردّ المهر، وتأخذ المرأة كل ما في بيتها.

وأما طقوس دفن الموتى، فإنها تتم على الطريقة الإسلامية، وتقام المآتم لمدة أسبوع، حيث يتم تقديم الطعام لأهل المتوفى طيلة مدة المأتم. أما الأشخاص الذين يأتون من أماكن بعيدة، فإنهم يحضرون معهم الذبيحة والبرغل والسمن (السَّابقَة) وذلك تقديراً لأهل الميت، وتكفن المرأة المتوفاة بعدد من الأكفان يساوي عدد أزواجها الأحياء منهم والأموات، والأمر نفسه بالنسبة للرجل المتزوج والمتوفى، حيث يكفن بأكفان تساوي عدد زوجاته اللاتي تزوج منهن في حياته، الأموت منهن واللاتي على قيد الحياة.

ولوجيه العشيرة مكانة رفيعة في نفوس أفراد عشيرته، حيث هو المرجع القضائي لحل الخلافات فيما بينهم، لكن في وقتنا الحالي، ونتيجة لتغير الظروف

المعيشية والاجتماعية، لم يعد له تلك المكانة التي كان يتمتع بها في الماضي. ويأتي بعد رئيسي العشيرة (رب الأسرة) من حيث الصلاحيات السلطوية الممنوحة له (لأن النَورْ مجتمع أبوي).

أما السكن عند جماعات النور في منطقة - الأتارب - فهو حالياً من الاسمنت المسلح والحجر الكلسي، وأكثرها على شكل بناء ملموم (فيلا)، ومقسمة إلى غرف لكل منها وظيفة تؤديها: غرفة ضيوف - حمام - مطبخ - غرفة للعائلة.... إلخ. أما في السابق كانوا يعيشون في خرابيش من الجنفيص، حيث الفقر والجوع.

أما الجماعات غير المستقرة، فهي لا تزال في خرابيش وتنتقل حسب المواسم على ظهور الحمير. حيث يتنقلون على شكل قوافل. ويتم ترحالهم في مواسم الحصاد، وفي مواسم قطف الزيتون. من أجل الحصول على تلك المواد الغذائية. إلا أن هذه العادة في الانتقال على ظهور الحمير أخذه في الزول، حيث يتم الانتقال عن طريق سيارات الشحن الصغيرة.

- النَّوَرْ القرباط في منطقة الباب:

يوجد نزل لخرابيش النَورْ القرباط من عشيرة /القوادرة/ في منطقة الباب على طريق الراعي. وأن أفراد هذه العشيرة لا زالوا غير مستقرين، حيث يتنقلون على شكل جماعات صغيرة، ومن قرية إلى قرية، لدرجة أنهم يصلون إلى منطقة حوران، وخاصةً إلى منطقة نوى - الشيخ مسكين - صنمين - القنيّة الشيخ سعد – المزيريب في الصيف.

أما القرى التي ينتقل بينها أفراد عشيرة الملاحمة والتابعة لمنطقة حلب هي: بزاعة - السفلانية - الزرزور - البويهج - الكردية - العريمة - السعيدية - العوسجلي - الكندرية - شورغلى - الخريجة - طحنة.

وفي فصل الشتاء يعود أفراد عشيرة القوادرة، حيث هناك فسحة كبيرة على شكل دائرة محاطة بالأشجار، وعلى الطريق العام حيث يخيمون.

وتوجد عادة جيدة عند القوادرة، حيث يأخذون رأي الفتاة أثناء زواجها، علماً أنهم من النَورْ القُرْبَاط المتشددين في المحافظة على عرضهم، ويسود عندهم زواج البدل: متكرن - ويقال عنه أحياناً بكلمة - داقيش.

ويعزون سبب تنقلهم المستمر إلى شيخهم الكبير الذي يدعى جسّاس، حيث حلف عليهم بأن يسكنوا الخيام، وأن يبقوا متشردين. وتحافظ الفتاة على عذريتها حتى ليلة زفافها. وللقوادرة طقوس خاصة بهم في مراسيم الدفن لا حسب الطريقة الإسلامية:

١ - يبكي القوادرة المتوفى بحزن عميق مع الصراخ أو اللطم على الوجه، ويمزقون الثياب ويقصون شعورهم، شأنهم بذلك شأن كافة عشائر النور على اختلاف نحلهم المعيشية.

٢ - يتم غسل الميت من قبل رجل خاص يدعى /خوجة/، حيث يسكب على المتوفى إذا كان رجلاً سبع طاسات ماء، أما على المتوفى إذا كان امرأة، فإنه يسكب عليها ثلاث طاسات، وربما هذا يساعد على تكفير ذنوبه التي اقترفها مع زوجاته، لكون أنه لا يكفن بأكفان تساوي عدد زوجاته اللاتي تزوج منهن في حياته.

٣ - يكفن الرجل بكفن واحد، بالرغم من زواجه أكثر من مرة واحدة. أما المرأة فإنها تكفن بأكفان بعدد أزواجها، التي كانت قد تزوجتهم.

ويعمل الرجال الكبار في صنع الغرابيل، والخواتم، في حين يمارس الشباب مهنة تركيب الأسنان، أما الأطفال، فهم يمارسون مسح الأحذية، والشحادة في شوارع المدن.

- أما المرأة فإنها تمارس الشحادة، مع بيع الحاجات اليومية للنساء: خواتم - أبر خياطة - مسال - عكلة - مقاص - مرايا... إلخ.

وينشط الرجال والنساء في مواسم الحصاد، حيث يقومون بالتجوال بين المزارعين للحصول على عطاءات من القمح.

- أما اللباس لكل من المرأة والرجل هو نفس اللباس عند النَّوَرْ القُرْيَاطْ في منطقة عفرين، وقد سبق وتكلمنا عنه في مكان سابق من هذا الكتاب.

- وتعد الطبخة المكونة من لحم الثعلب أو الأرنب البري، بعد اصطيادهما من أطيب الأكلات وأفخرها. ولا تقدم للغرباء إلا إذا كانوا عزيزين عليهم (تسلق بالماء ويوضع عليها البهارات والتوابل).

ويربي القوادرة الحمير من أجل استخدامها في تنقلاتهم. وأن كافة القوادرة مسجلون في السجلات المدنية. ويخدمون العلم. لكن لا يوجد بينهم موظفون في أجهزة

الدولة، لعدم رغبتهم بذلك، وتفضيل الأعمال الحرّة، ويسافر الشباب إلى أوروبا، وإلى الأقطار العربية ويوجد إلى جانب القوادرة ـ على طريق الراعي ـ عدد من الخيام /٨/ لجماعة من النَّورْ القُرْباطْ يدعون بـ النعيم[١]. وأن لهم نفس النمط المعيشي لجماعة القوادرة. ويوجد في نفس التجمع المذكور بيتان من النَّوَرْ الطبالة، ولهم نفس النمط المعيشي للقوادرة. وتجدر الإشارة إلى أن الخيام التي يسكنون بها تضاء بالفانوس، واللّكس. وتجلب النسوة الماء الذي يحتاجونه على رؤوسهن من أجل الشرب، والغسول.

ـ النَّوَرْ في منطقة دير حافر: كاوليه (حجيات):

هناك تجمع للنَّور في ـ دير حافر ـ ويتكون من عدة عشائر: الكاوليه ـ القواسمة ـ الصوالحة ـ الجولان يتكلمون اللغة الكردية، أما الكاوليه[٢]، فيتكلمون اللغة الفارسية. أما بقية أفراد الجماعات النَّورية الأخرى في المخيم في دير حافر يتكلمون اللغة النَّورية (جُبْ دُومْواري) ـ لغة العصفورة ـ مع لغات أخرى مثل التركية أو الكردية.

ويعد عدد الأفراد ـ الذين يطلق عليهم ـ الكاولية هم الأكثر في دير حافر، حيث يزيدون على ستين خربوش، ويتنقلون حسب المواسم، وخاصةً في الصيف: إلى قرى محافظة حلب والرقة. ومن هذه القرى: السلوك ـ خربة الزرحمام التركمان ـ السَّحل الشرقي ـ السّحل الغربي. هذا كان في الماضي. أما حالياً فشبه مستقرين ويتكلم الكاولية إلى جانب اللغة القرباطية، اللغة الفارسية:

عربي	فارسي
الأب	بوى
الأم	مادري
الأخت	خاصري

---

١ - إن هذه التسمية التي تعود إلى قبيلة عربية مشهورة، للدلالة على أن بعضاً من جماعات النور كانت في الربيع تضرب خيامها إلى جانب مضارب البدو ليحصلوا على عطاياهم مقابل تقديم خدماتهم المادية والفنية، وبالتالية كنّوا أنفسهم بأسماء العشائر التي كانوا يرافقونها في ترحالها في بعض فصول السنة، وبخاصة فصل الربيع، حيث قصاص الغنم، والخراف، ومشتقات الألبان التي يحصلون عليها.

٢ - الكاولية: تعني باللغة الفارسية مغنو الشوارع الفقراء - إن هؤلاء النور قد اتخذوا هذه التسمية نتيجة عيش أجدادهم في الماضي في فارس، حيث اكتسبوا اللغة الفارسية من الناس المحيط بهم آنذاك، وأن إيران هي المحطة الأولى لعشائر النور التي هاجرت وجاءت من الهند، ومن إيران انطلقوا باتجاه بلاد ما بين النهرين، ثم إلى بلاد الشام، ومن ثم إلى مصر، ومن ثم إلى المغرب العربي وشمال أفريقيا.

الأخ	جاهري
البنت	دفترى
الابن	ميسري
الحمار	قره
الجمل	حشتر
البقرة	حشترله
زوج	يكيم
الزوجة	دنكواب

- يضفى النَّوَرْ الكاولية على الزواج صفة التقديس، ويتم عن طريق الأهل، ويدوم الفرح لمدة أسبوع كامل. وعلى أقارب العريس والأصدقاء تقديم الهدايا (غنم ـ سكر ـ أرز ـ تقود) على شكل نقوط. وهذا النقوط يعتبر ديناً على أهل العريس يتم سداده لأصحابه في المناسبات التي تليق بذلك. ويقدم أهل العريس الذبائح لإقراء المشاركين في الأعراس.

- ويسود بين الكاولية زواج البدل ويسود بينهم عادة الخطيفة، حيث يتفق الخاطف والمخطوفة على تحديد يوم يتركان فيه المخيم الموجودان فيه، ويذهبان إلى مكان آخر يختارانه. وبعد أيام يعود الخاطف إلى دياره، ويعطي لأهل الفتاة ـ مهراً ـ يسمى صلحة. وأما بالنسبة للمبلغ المقدم لأهل العروس يتمشى وقوة عائلة الخاطف والمخطوفة.

- وإذا ما تزوجت فتاة، وثبت أنها غير بكر، فإذا كان أهل العريس أقوياء فإنهم يستردون المهر الذي قدموه. وإذا كان أهل العريس ضعفاء يبقى المهر لأهل العروس، والعروس تعود إلى أهلها.

- وفي حالة الوفاة، فالرجل يكفن بكفن واحد. أما المرأة فتكفن بعدد أزواجها. وتبقى التعازي في خيمة المتوفي لمدة أسبوع، حيث تقدم السجاير، والقهوة المرة والشاي، وتقدم الذبائح للمعزين القادمين من مناطق بعيدة.

- ويمارس الرجال العزف على الآلات الموسيقية، ومرافقة النساء أثناء التجوال، حيث يقمن بالرقص والغناء. وكان الكاولية يتنقلون على ظهور الحمير، أما حالياً يتنقلون على ظهور السيارات. ويتم الرحيل عند جماعة الكاولية، في أوقات مختلفة من النهار.

- ومن الحيوانات التي يربيها الكاولية حالياً: الدجاج - كلاب السلوقي - الحجل - الحمير - الكلاب العادية. والآن لا يربون إلا الدجاج. بسبب أنه لم يبقى شيء يصطادونه كما يقولون، بسبب الصيد الجائر.

وأفراد الكاولية مسجلون في السجلات المدنية، ويخدمون العلم. ويحملون بطاقات سورية. وجوازات سفر، حيث يسافر الشباب إلى الخارج لفترات غير طويلة.

- اللباس:

ترتدي المرأة الشابة الملفع الاسود على رأسها وتلبس الفستان الطويل المزموم على الخصر والفضفاض في الأسفل. وتحت الفستان كسيرة طويلة وتضع في أنفها المثقوب حلي تدعى /الخزامة/ وفي الجانب الأيمن من الأنف.

اما المرأة العجوز ترتدي على رأسها ملفع أسود وشطفة. وترتدي على جسمها الزبون، وتحت الزبون تنورة طويلة، وتحت التنورة كسيرة طويلة، وسروال طويل، وغالبا ما يكون لباس العجوز من الألوان القاتمة الأسود أو البني أما الشابة من الألوان الزاهية الاحمر - الأصفر - البرتقالي - الأخضر. شأنهن بذلك شأن كافة عشائر النور بغض النظر عن اختلاف مللهمْ ونحلهُم.

امرأة من نور - دير حافر - بلباسها الشعبي الذي يشبه لباس المرأة في منطقة الحسكة
دلالة على التأثر والتكيف مع البيئة المحيطة بهم

إلى جانب النَّوَرْ الذين يعيشون في الخيام في دير حافر والذين يمتهنون الرقص والغناء طوال أيام السنة، وخاصةً في فصلي الربيع والصيف، حيث يذهبون إلى مضارب البدو، لاستعطائهم وإلى الحقول في مواسم الحصاد، في مناطق حلب والرقة، للحصول على القمح، هناك قسم من النَّوَرْ مستقرين في بلدة دير حافر من عشائر: الكريملية - القواسمة - الصوالحة، وكلهم من جماعات الحجيات التي تتعاطى الرقص والغناء.

لقد أفادني السيد - محمد حسين - من عشيرة الكريملية (من أكبر العشائر في بلاد الشام، ويعتز أفرادها بقوة عشيرتهم، حيث يقولون بتفاخر (إِحْنا الكْرِيملية عصاتنا رَطُلْ وأوقية، واللّي ما بِصَدِّق يطْلَعْ عَلَى الْبريّة).

ويعمل الرجال منهم في الشتاء بأعمال شتّى: تصليح السكاكين وجلخها، بيع الحاجات، للدكاكين) لكن المورد الأساسي عندهم فهو في موسم الربيع، حيث يذهبون ونساؤهم إلى مضارب البدو، حيث يقومون بالعزف على الأدوات الموسيقية من ربابة وطبل وزمر، في حين أن النساء الحجيات يرقصن ويتمايلن بأجسامهن الرشيقة القوام. عند شيوخ البدو ووجهائهم الميسورين أثناء الحفلات، من أجل الحصول على العطايا: من خراف وسمن - ومشتقات الألبان - والصوف.

سرايا - ريما حجيتان في وضعية رقص /من القواسمة - دير حافر - مستقرون/١٩٨٦م.

ريما إلى اليمين - سرايا إلى اليسار

وتعد مهنة الرقص والغناء المورد الأساسي للحصول على الرزق وهناك عدة نماذج للرقص: رقصة المصري ـ رقصة ولدة ـ رقصة نوسار ـ رقصة غزاوية. ويستعملون الربابة كأداة موسيقية شعبية محببة في الحفلات.

والجدير بالذكر أن المرأة عند هذه العشائر التي تمتهن الرقص والغناء لا تمارس الشحادة. ويتمتع أفرادها بمستوى معيشي جيد، أعلى من جماعات النَّوَرْ الأخرى التي لا تمارس نساؤها الرقص والغناء. وينعكس هذا على طعامهم، حيث في معظمه من المواد الغذائية /اللحوم ـ البيض ـ السردين/.

ويختار الشاب زوجته عند هذه الجماعة، على أساس مادي بعيد عن عاطفة الحب، حيث يفكر الشاب في الفتاة التي تجلب له مالاً أكثر، وإن النَّوَرْ من جماعة الحجيّات، هم أكثر النوَرْ تسامحاً في المسائل الاجتماعية التي تتعلق بالمرأة: كظاهرة الخطيفة. أو هروب امرأة متزوجة مع شخص نوري آخر، إذ يتم الصلح على ذلك دون حوادث تُذكر.

ـ النَّوَرْ في المنبج:

يعيش في منطقة منبج جماعات من النَّوَرْ تتباين في مهنها، وحتى إلى حدٍّ ما في العادات والتقاليد، وفي نظرتها إلى مجمل الحياة بصورة عامة، فهناك فئتان من النَوَرْ هما:

١ ـ النَوَرْ من عشيرتي القواسمة، والهرامشة، حيث يتعاطى هؤلاء مهنة الرقص والغناء، وتلبس المرأة اللباس الطويل والفضفاض، لكنه شفاف لإغراء الرجال أثناء الرقص والغناء، في حفلاتهن الليلية، وتعد النساء الحجيات من القواسمة، والهرامشة، من أجمل النساء عند جماعات النَّوَرْ. وهؤلاء غير مستقرين، وإنما متجولون في الربيع والصيف في قرى منطقة منبج، وفي الشتاء يذهبون إلى حلب، إذ يسكنون في بيوت مخدمة بالماء والكهرباء وذات نماذج حديثة. وألوان لباس المرأة عند الجماعة المذكورة (الحجيات) من الألوان الزاهية والنساء لا يمارسن مهنة الشحادة.

٢ ـ النَوَرْ من عشيرتي: القوادرة والملاحمة (قرباط)، حيث تمارس المرأة مهنة الشحادة. على وجبتين ـ الأولى في الصباح، والثانية في المساء. وترتدي المرأة من هذه

الجماعة اللباس الأسود، الذي يتمشى مع طبيعة مهنة التجول. وتبيع المرأة الحاجات التي كانت قد اشترتها: الدبابيس - الأبر - الكشاتبين - المرايا - المقصات - الكحل - العلكة - الحنّة، لكن هذه العادة آخذة في الانحسار تدريجياً.

ويقوم الرجال بصناعة الغرابيل بأنواعها بالنسبة للكبار، في حين الشباب يقومون بتركيب الأسنان. والجميع يحملون الجنسية السورية ويسافرون إلى خارج القطر وخاصةً إلى أوروبة، وأفريقيا، حيث يمارسون مهنة تركيب الأسنان كما يقولون. ولا يتزاوج هؤلاء النَّوَرْ مع جماعة الهرامشة، والقواسمة (الحجيات)، وأن كلا من الطرفين يتهم الآخر بصفات غير محببة بالنسبة له. (لقد تكلمنا حول الحجيات في مواضع سابقة من الكتاب، وعن القُرْبَاطْ وخاصة عند التحدث عن قرباط عفرين وتوابعها).

النَّوَرْ في مدينة إدلب

يسكن النَوَرْ في مدينة إدلب في الحي الشمالي الشرقي في حارة تعرف باسم ـ حارة النَوَرْ. ويبلغ عدد منازلهم بحدود سبعين بيتاً. وهذه المنازل مبنية من الاسمنت المسلح، ومخدمة بالماء والكهرباء، والتمديدات الصحية. إلا أن التجمع الرئيسي لجماعات النَّوَرْ يتمركز في مدينة سراقب. ومعظم هؤلاء النَّور، من جماعة تعرف بالطبالة.

كان الرجال في الماضي، يتخذون من الطبل والزمر المورد الأساسي في حياتهم اليومية. يحث يشاركون بموسيقاهم الصاخبة في المناسبات عند أهالي مدينة إدلب وضواحيها، مقابل أجور مادية ومن هذه المناسبات: ١ ـ عودة الحجاج. ٢ ـ الطهور. ٣ ـ حفلات الأعراس.

وكان الرجال يدورون على بيوت الحجاج بعد قدومهم، لتهنئتهم، وعقد حفلات الدق على الطبل والزرنايا، مما يؤدي إلى جمع أهل الحي، حيث يسكن هذا الحاج أو ذاك. مما يضطره إلى دفع مبلغ من المال كأجر رمزي لهم.

أما النساء فقد كنّ في الماضي يطفن بشوارع المدينة وأزقة القرى، وهن يحملن على ظهورهن أكياس معلقة بقطعة قماش على كتف المرأة، حيث يوجد فيه حاجيات نسائية كنّ يبعنها إلى النسوة من مدينة إدلب وقراها: كشاتبين ـ أبر ـ مسال ـ علكة ـ صمغ ـ عكلة عربي. وتنشط نساء النَّوَرْ صيفاً في موسم الحصاد، وفي نهاية الخريف وقت قطاف حبّ الزيتون: تذهب النسوة من النَّوَرْ إلى حقول الزيتون، حيث يطلبن الزيتون لمؤونة عيالهن أو لأفراد أسرتهن.

أما في موسم الحصاد فإن الرجال من النَّوَرْ، كانوا يذهبون إلى عند كبار المزارعين بحجة السلام عليهم ليأخذوا نصيبهم. ويقوم هؤلاء بالغناء على الربابة، حيث يكيلون المديح للشخص الذين قدموا إلى استعطائه ويطلق على هؤلاء الرجال تسمية التعلر. وأحياناً تكون معهم امرأة تأخذ بغناء المديح والرقص للشخص نفسه فيجد نفسه مجبراً على تكريمهم.

ويقول أهل مدينة إدلب: أن هؤلاء النَّوَرْ كرامتهم عزيزة عليهم، ويحافظون على عرضهم ويغارون عليه، وأن نسوتهم محتشمة في لباسهن.

ويأتي إلى مدينة إدلب ـ نَوَرْ ـ يسكنون في مدينة سراقب، وغالباً ما يخربشون (يضربون خيامهم) بالقرب من المطحنة، حيث يمارسون مهنة: صناعة الغرابيل ـ سكاكين من النوع الجيد وغالية الثمن لدرجة أن البعض من رجال إدلب يقومون ببيعها عن طريق عرضها في الشوارع في المدن والأرياف، وخاصةً في مدينة دمشق، على الرصيف في نهاية سوق اللحم العتيق من قسمه الشرقي، عند نهاية جسر الثورة من الجانب الغربي باتجاه ساحة المرجة. وينتمي أفراد هذه المجموعة من الصناع إلى عائلة: برهوم ـ رمضون، وهم من النَّور القرباط.

ـ نور قرية بَلْشُوْنْ (أصحاب طبل وزمر):

يسكن هؤلاء في قرية بلشون التابعة لناحية ـ إِحْسِمْ ـ في جبل الزاوية. وأن بيوتهم مخدمة بالماء والكهرباء. وهم أصحاب طبل وزمر، ويشاركون في فرقة إدلب الفنيّة للرقص واللعب بالسيف...

وأن نساء هذه المجموعة لا تمارس مهنة الشحادة، حيث يعملن بالأعمال الزراعية المأجورة. ويبلغ تعداد أفراد هذه الجماعة ـ ثمان عائلات، يقدر تعدادهم بـ /٨٠ شخص ونيف/ هذا في التسعينات من القرن الماضي.

ـ نور طلعة أبو الظهور (أصحاب طبل وزمر):

وتقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقي من - معرّة مِصْرين - وتبعد عنها مسافة /٤٥كم/ تقريباً، حيث تقع إلى الغرب من بلدة أبو الظهور وتبعد عنها مسافة /١,٥كم/. وينتمي أفراد هذه الجماعة إلى عشيرة ـ السلّوم ـ ويعيشون في خيام مستطيلة من الخيش وصفائح القصدير. وهم فقراء، حيث يتنقلون في المواسم على وسائل نقل تجرها الحمير والخيول ويطلقون عليها: الطنبر والعيربانة. ولكل من الطنبر، والعيربانة عجلتان فقط وكلاهما مصنوعتان من الخشب.

وتلبس المرأة اللباس الطويل والفضفاض، حيث يطلقون على الثوب الخارجي تسمية (المانطه). إذ يكون ضيق في الوسط عند الخصر، وواسع في الأسفل، ومكشكشكاً وخاصة الجزء الأمامي منه (على الصدر). وتضع المرأة على رأسها قطعة قماش من الحرير تدعى (الطون)، حيث تلف رأسها بكامله. وغالباً ما يكون لون غطاء الرأس الأبيض أو الأسود: فإذا كانت القطعة سوداء، يكون على الأغلب فيها لطخات ذات لون أحمر، أما البيضاء غالباً ما تكون سادة.

أما الرجل فيلبس القلابية والعقال والجاكيت، شأنهم شأن بقية رجال الشعب النَّوري.

ويسود بين هؤلاء النَّوَرْ - زواج البدل - تشاغيت - تشارغوت، وتعدد الزوجات. ويتم الزواج عن طريق أهل كل من الشاب والفتاة، وبعد الموافقة على الزواج، يتم تحديد المهر وبعدها تجري عملية الفرح لمدة ثلاثة أيام، حيث تدق الطبول ليجتمع الناس، ويقوم والدا العريس بذبح الخراف، ليأكل الناس الذين شاركوا في الفرح. وفي نهاية اليوم الثالث من الفرح، يتم زفاف العريس والعروس إلى خيمتهما التي خُصِّصت لهذه المناسبة، وغالباً ما تكون زاهية الألوان (أحمر وأزرق، أو أزرق وأصفر)، وتُعقد الدبكات المختلطة من الشباب والبنات، والمرفوقة بالرقص، والشباب يزفون العريس والبنات يزفُنَّ العروس. ويسود عند هؤلاء، عادة الثأر، شأنهم شأن بقية أفراد المجتمع النَّوري ذي البنية العشائرية.

ويحدث عندهم زواج الخطيفة، حيث تذهب الفتاة مع الشاب الذي تحبه، في حالة عدم موافقة أهلها على الزواج منه: وغالباً ما تحلّ هذه الظاهرة الاجتماعية بالتفاهم ودفع المال إلى والد الفتاة، لكن المبلغ أكبر من مبلغ المهر المتعارف عليه عندهم.

لكن تحدث أمور مؤسفة أحياناً في حالة مصادفة أخ الفتاة المخطوفة، أو أباها فغالباً ما يتم قتلها وقتل زوجها إذا ما كانا معاً، إذا تمكنا من ذلك. أما الأعمال التي يمارسها الرجال فهي على الأغلب الدق على الطبل والزمر (طبّالة)، حيث يتم استدعاءهم في مناسبات الأفراح - الطهور - الأعراس - العودة من الحج. وأما الشباب في أيامنا هذه، صاروا يمتهنون مهنة تركيب الأسنان: إذ يدورون وفي أيديهم محافظ من الجلد فيها العدّة التي يستعملونها من أجل ذلك، ويمتطون دراجات هوائية ونارية في تنقلهم بين القرى، وبين مضارب البدو في منطقة تدمر، حيث يحصلون على الزبدة واللبن والخراف..إلخ.

وهناك قسم من الرجال يقومون بصنع الأدوات الزراعية من جلود الحيوانات من غنم وماعز وبقر وخيول وحمير، ومن هذه الأدوات: الغربال (صانوط)؛ الغربال الواسع الثقوب المستخدم في تنظيف الحبوب الكبيرة الحجم مثل الحمص، والذي يعرف بمنطقة حوران بـ الكربال، في حين يسميه النَّور القرباط بـ المِسْرَدْ.

وهناك بعض الرجال يقومون بصنع السكاكين من الفولاذ، ويضعون لها قبضات من قرون الحيوانات أو العاج أو الغزال، والذي يحصلون عليه من سوق العطّارين بحلب.

أما ما يخص عمل النساء: يقمن بتربية الأطفال بالإضافة إلى التجوال في أحياء القرى، ويبعن الحاجات النسائية (المرايا الصغيرة ـ الأساور ـ الخواتم ـ أبر الخياطة اليدوية ـ علكة ـ سكاكين ـ حِنَّة) ويحملن هذه الحاجات في كيس على ظهورهن، مع شدّ حمالة هذه الكيس بيدي المرأة على جبهة الرأس أثناء تنقلها، ويحصلن على الخبز، والطحين والزيدة والبرغل والعدس... إلخ.

أما بالنسبة لتنقلاتهم الموسمية فهم يتنقلون في الصيف والربيع، على وسائلهم الخاصة من من الطنابر والعريينات[1] التي تجرها الخيول والحمير.

حيث يذهب أفراد هذه الجماعة من النَّوَرْ إلى البادية في فصل الربيع، ليحصلو على الخراف والسمن والجلود مقابل الحفلات التي يقيمونها بالقرب من مضارب وجهاء البدو، ويقومون أثناء الحفل بالدق على الطبل والزمر، وكيل المديح لشيخ القبيلة. ويحصلون على عدد جيد من الخراف وكمية كبيرة من الجلود في حفلات الأعراس.

وفي الصيف يتنقلون بين القرى لبيع الغرابيل والسكاكين. ويذهبون إلى الحقول أثناء الحصاد ليحصلوا على القمح والعدس.... إلخ.

وأما التعليم فمعدوم عندهم، وغير مسجلين في السجلات الرسمية. ويتكلم هؤلاء اللغة العربية إلى جانب لغة خليط من التركية والكردية ولغة النَّوَرْ ـ لسان الضوم واري_ وهذه أمثلة على ذلك:

مال ـ بيت، لغة نوريّة.

آف ـ ماء.

---

١ - العرينة: جمعها عرينات: وهي تصغير لكلمة عربانية المستعملة في بقية أنحاء ريف القطر، والتي تجرها الخيول.

نان ـ خبز، لغة كردية

ساكو ـ جاكيت، لغة نورية.

سملك ـ شماخ، لغة نورية.

برجميما ـ جوع، لغة نورية.

يهروم ـ شبع، لغة نورية.

وری وری ـ تعال ـ لغة كردية.

هری هری ـ اذهب ـ روح، لغة كردية.

لكنهم يعرفون اللغة النَّوَريّة، ولا يتكلمون فيها إلا فيما بينهم، ومع أنهم يتنكرون لها بعض الأحيان. ويسكن بعض أفراد هذه الجماعة في بيوت مبنية من التبن والطين، مزوَّدة بالكهرباء، لكنها ليست مزوَّدة بالماء، شأنهم بذلك شأن بقية سكان القرية ويسكن في قرية ـ أبو الظهور ـ نَوَرٌ ـ من جماعة السُّلوم. ويذهب معظم الرجال والنساء في نهاية الربيع إلى البادية في منطقة تدمر لجمع الفطر والكمأة وبيعها إلى التجار، الذين يصدرونها بدورهم إلى المدن بأسعار غالية، حيث يتراوح سعر الكيلو غرام في دمشق ما بين /٢٠٠ ـ ٢٥٠ ل.س/ وهو في ازدياد في كل عام حسب نوعيته هذا في عام ١٩٨٧م. وحالياً يصل ثمن كغ من الكمأة ـ قرابة ١٠٠٠ل.س إذا كان من النوع الجيد والمرغوب.

ويعيش في نفس المنطقة أفراد من عشيرة /البو مُسلّم/، الذين يدّعون أنهم من البدو الشوايا، ويقسّم هؤلاء النَّوَرْ إلى أربع جماعات وهي:

١ ـ عائلة المحيمش.

٢ ـ عائلة البومتيوث.

٣ ـ عائلة العزاوزة.

٤ ـ عائلة الشوامر.

يسكن هؤلاء النَّوَرْ في بيوت من الاسمنت المسلح، مخدمة بالكهرباء. ويذهب قسم من أطفالهم إلى المدرسة، وإن الوضع المادي لأفراد هذه الجماعة أفضل من مثيله عند جماعة السُّلوم.

يمارس الرجال الأعمال اليدوية في البناء والدهان. ويذهب البعض منهم إلى السعودية كعمّال بناء. أما النساء فقسم منهن يعمل في بيع (الحواجة) حسب تعبيرهن:

حيث يقمن ببيع الحاجات النسائية من أبر للخياطة وكشاتبين ومسال وأمشاط ومرايا ودبابيس وملاقط ومقصات... إلخ. مما يدل على أن هؤلاء من النَّوَرْ القُرْباطْ، حيث تمارس النساء القرباطيات مهنة بيع الحاجات النسائية على ظهورهن، في حين بقية النساء من جماعات النَّوَرْ الأخرى، تذهب للشحادة على باب الله الكريم، دون أن تأخذ معها شيئاً لبيعه.

تلبس المرأة ثوباً طويلاً غير مكشكش، وفضفاض، وتستر شعر رأسها بقطعة من القماش الأسود، يُطلق عليها اسم ـ عصبة.

وهناك جماعات من النَّوَرْ في بلدة خان شيخون ينتمون إلى عشيرة الهرامشة يمارسون مهنة الرقص والغناء، وأفراد هذه العشيرة منتشرون في معظم أنحاء بلاد الشام. ويعدّ الهرامشة من أكبر عشائر النَّوَرْ قاطبةً في بلاد الشام، وتمارس نساؤهم الرقص والغناء، ويتكلم أفراد هذه العشيرة إلى جانب لغتهم الأم ـ لغة العصفورة، كل من اللغة العربية، واللغة التركية.

ـ النَّوَرْ في منطقة سراقب:

يسكن في مدينة سراقب التابعة إدارياً إلى محافظة إدلب، والتي تقع على بعد /٢٠/ كم إلى الشمال الغربي من مدينة إدلب، مجموعة من النَّوَرْ يزيد عدد أفرادها عن /٨٠٠/ شخص ويمكننا القول أن العدد الإجمالي يتراوح ما بين /٨٠٠ ـ ١٠٠٠/ شخص. وينقسم النَّوَرْ في سراقب إلى فئتين كبيرتين، الأولى وتُدعى عشيرة ـ إيضالة ـ والتي يزيد عدد بيوت أفرادها عن /١٠٠/ بيت. وأما الفئة الثانية والتي يُطلَق عليها هناك اسم ـ الطبّالة ـ والتي يصل عدد بيوت أفراد هذه الفئة الأفقر مادياً من الفئة الأولى ما بين /٢٥ ـ ٣٠/ بيت، ويزيد عدد أفرادها عن /٣٠٠/ شخص. وبهذا يكون العدد الإجمالي للنَّوَر في مدينة سراقب يقارب /١٥٠٠/ شخص، وذلك في التسعينات من القرن الماضي.

عشيرة إيضالة: يزيد عدد عشيرة إيضالة عن /١٠٠/ شخص بصورة عامة وهم يسكنون في القسم الغربي من مدينة سراقب إلا أنّ هذه العشيرة تقسم إلى ثلاث فئات تختلف كل فئة عن الأخرى من خلال المهنة التي يزاولها أفراد كل منها. والفئات الثلاثة هي: ١ ـ رمضون. ٢ ـ بربور. ٣ ـ اسماعيل.

١ـ جماعة بني رمضون: يمارس الرجال صناعة وتركيب الأسنان، إلاّ أن هؤلاء النَّوَرْ في حالة سفر مستمرة إلى خارج القطر العربي السوري وخاصةً في فصل الصيف والخريف، إلى دول أوروبا الشرقية ذات النظام الاشتراكي سابقاً: تركيا ـ بلغاريا ـ رومانيا ـ تشيكوسلوفاكيا، ويلتقون هناك مع جماعات النَّوَرْ التي تعيش على أراضي الدول المذكورة، حيث يُطلق عليهم هناك تسمية /تسيغان ـ TSIGANES/، وكذلك يسافرون إلى فرنسا وإسبانيا وإيطاليا، حيث يطلق على النَّوَرْ الذين يعيشون هناك عدة تسميات تختلف من دولة لأخرى: جيتان في فرنسا، وأحياناً يُطلق عليهم اسم البوهيميين نسبة إلى منطقة بوهيميا في تشيكوسلوفاكيا، ويُقال لهم أحياناً Tsiganes. ويتراوح عدد النَّوَرْ في فرنسا ما بين /٨٠٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠٠/ شخص حسب إحصاءات السبعينيات من هذا القرن العشرين. وفي إيطاليا يُطلق على النُّوَرْ zingari. وفي إسبانيا يطلق على النَّوَرْ Gitano أو ـ الفلامنج، نسبةً إلى الأداة الموسيقية الراقصة والتي تدعى /الفلامنجو/.

والشيء الطريف أن هؤلاء النَّوَرْ يتفاهمون مع بعضهم عندما يلتقون على أرض أي دولة ما في أوروبا بمفردات لغوية تعود في أصولها إلى اللغات الهندية والتي تعتبر قريبة جداً إلى اللغة المسماة اللغة الأوردية التي يتكلم بها معظم سكان الهند وخاصة الجزء الشمالي منه. لأن لغة العصفورة ـ ضُوْم واري ـ التي هي اللغة الأم لكافة عشائر النَّور من بلاد الشام، والتي يحافظون عليها جميعاً ولكن بشكل نسبي. وهي قريبة إلى اللغة الأوردية التي يتكلم بها قسم كبير من سكان باكستان، وبعض المناطق في شمال ووسط الهند.

٢ ـ جماعة بربور: يطلق أحياناً تسمية /بني البربور/ على كافة النَّوَرْ من عشيرة /إيضالة/. ويعمل أفراد عائلة البربور في الحدادة وصناعة السكاكين. وينقسم بني البربور بدورهم إلى جماعتين: الأولى غير مستقرة: لا زالت تتخذ من الترحال نمطاً معيشياً لها، في حين تعيش الفئة الثانية حياة الاستقرار في منازل حديثة وذات أثاث عصري أيضاً.

٣ ـ جماعة بني اسماعيل: يعمل أفراد هذه العائلة في صناعة الغرابيل والكرابيل والمذراة إلى جانب صناعة الطبول والدفوف. إن الغالبية العظمى من هذه الفئة لا زالوا غير مستقرين يعيشون في الخيام ويتنقلون بشكل دائم في فصلي الصيف والخريف.

ومما يلفت الانتباه هو: أن عشيرة إيضالة تتكون من ثلاث جماعات متباينة في المهن التي يزاولونها: فعائلة الرمضون يمارس أفرادها مهنة تركيب الأسنان والسفر إلى الخارج، إلا أنهم في الماضي كانوا يمارسون صناعة الغرابيل، وأن عائلة بني إسماعيل، يمارس أفرادها صناعة الغرابيل، وهم بمهنتهم هذه يعتبروا نوراً من القرباط. أما جماعة بربور يمارسون مهنة الحدادة فهم يصنفون من النّور الصناع.

فكيف يكون هؤلاء معاً عشيرة واحدة. فالنور القرباط يحتقرون الجماعات الثابتة من النور اللاتي لا يشاركنهم بمهنة صناعة الغرابيل. فكيف تم ذلك؟ برأينا أن هذه الجماعات بالأساس هم من القرباط، ولكن مع مرور الزمن بعضهم بدأ يترك صناعة الغرابيل، وصاروا يمتهنون مهناً أخرى. ويترتب على هذا أنه، لا فرق بين القرباط وبين الفئات الأخرى من النور، وأن أي جماعة يمكن أن يغير أفرادها مهنتهم الأساسية تمشياً مع الظروف المحيطة به، كامتهان كافة أفراد عشائر النور مهنة تركيب الأسنان حالياً والتي لم تكن من المهن الأساسية، التي قد مارسها أجدادهم في موطنهم الأصلي في شبه القارة الهندية، قبل هجرتهم إلى خارجها في زمن غير معروف بدايته وأسباب هذه الهجرة.

- الزواج:

تتزوج الفتاة بمبلغ يتراوح ما بين /٤٠ - ٦٠ ألف ل.س/. والمهر يأخذه الأهل بالكامل فيما عدا البعض الذين يشترون أحياناً لابنتهم بمبلغ من المال لا يزيد عن العشرة آلاف على أكثر تقدير. كان هذا في التسعينات من القرن الماضي.

ويسبق الزواج الخطبة التي تتم عن طريق ذهاب أهل العريس أولاً إلى عند أهل العروس وبعد أن يتم الاتفاق على مبلغ المهر، وعلى موعد العرس يرسل الأهل (من قبل العريس) الوجهاء إلى عند أهل العروس وعند ذلك يتم تخفيض المبلغ الذي اتفق عليه أهل العريس مع أهل العروس، بحيث يقول والد العروس أنا فائت ١٠٠٠٠ ل.س كرامة لزيد أو لعمر من الناس.... وهكذا إلى أن يصل مبلغ المهر إلى المبلغ المتعارف عليه، والتي لا يمكن أن تقلّ عنه. وبعد دفع المهر يتم تقديم الحلويات حيث تكون في العادة غريبة - سكاكر، كما أن مدة الخطبة يجب أن لا تدوم أكثر من مدة أسبوع قبل

الزواج الفعلي. وتدوم مدة الاحتفال والتحضير للعرس ما يقرب أو يزيد عن الثلاث أيام، وخلال هذه المدة يأتي المدعوون إلى حضور غداء العرس الذي يحضِّره العريس قبل الزفاف ويستقبل المدعوين القادمين للمشاركة بمرافقة الموسيقى الصادرة من الطبَّال الذي يلعب على طبله. وأنّ كل الخراف التي يأتي بها المدعوون يجب أن تُذبَح وتُطبَخ وتقدم لأصحابها لأنه من العيب أن تبقى الخراف التي أحضرها المدعوون عند أهل العريس بعد عرسهم كي يستفيدوا منها، سواء عن طريق بيعها أو عن طريق ذبحها وطبخها. ويتألف الطعام الذي يتناوله الضيوف من مناسف الأرز والبرغل المكللة بلحم الخراف المطبوخ بالسمن العربي.

وهناك عادة عند النَّوَرْ في سراقب: على العريس أن لا يخرج من بيت أهله على الإطلاق بعد موعد الزفاف بيوم على الأقل، وبعد يأتي الشباب من أصدقائه ليأخذوه إلى الحمام. وبعد الاستحمام يقدم طعام الفطور كإعلان عن خاتمة الأفراح. ومعظم أفراحهم تكون في الشتاء لأن الجميع يكونون في بيوتهم بعد أن تعبوا من السفر خارج القطر أو التجوال داخل القطر من أجل جمع المال الذي يعيشون به شتاءً. وأن العرس في الشتاء يعطي فرصة أكبر لاجتماع أكبر عدد ممكن من النَّوَرْ للمشاركة في حفل العرس.

- تعدد الزوجات:

تنتشر على نطاق واسع ظاهرة تعدد الزوجات عند رجال عشيرة /إيضالة/ وخاصةً الأغنياء منهم وبالذات الذين يعملون في صناعة وتركيب الأسنان بسبب العمل المؤقت خارج القطر صيفاً. وقد سألنا أكثر من شخص لماذا تحبون الزواج أكثر من مرة؟ فكان الجواب: ماذا هي الحياة! أليست هي المتعة والبسط، الحمد لله مصاري في كتير ولماذا لا نتزوج ونتبسط.

إن الزواج عند هؤلاء النَّوَرْ وغيرهم من النَّوَرْ الأغنياء مثل النَّوَرْ في منطقة /القدم بدمشق/ والنَّوَرْ الهرامشة في منطقة التجارة بدمشق، والنَّوَرْ الموجودين في بعض أطراف مدينة حمص وبعض أحياء حلب ما هو إلا نوعاً من البسط والمتعة لا مسؤولية وعبئاً يلقى على كاهل الرجل الذي كتب عليه أن يشقى ويتعب ليطعم غيره /أولاده وزوجته/. ويسود عند هؤلاء النَّوَرْ زواج البدل /أي زواج المقايضة/ حيث يتفق رجلان كل منهما

عنده ولد وبنت بأن يعطي كل منهما ابنته زوجة لابن الآخر. وفي مثل هذا الزواج يقوم والد الفتاة بإعطائها مبلغاً من المال قدره /١٠٠٠٠/ ل.س/. وإذا ما حدث خلاف بين أحد الأزواج وزوجته وأقدم على طردها أو على طلاقها، فإن على الطرف الآخر أن يبادله بنفس الخطوة طرداً أو طلاقاً من أجل الحفاظ على أخته وإن كان متفقاً مع زوجته.

- زواج الخطيفة:

يحدث عند نَوَرْ سراقب زواج الخطيفة أيضاً شأنهم بذلك شأن بقية كافة جماعات النَّور في بلاد الشام. الذي ينتهي إما بالصلح أو بالقتل وإن طالت المدة التي لم يستطع بها أهل العروس المخطوفة الإمساك بالشاب الخاطف لابنتهم. فقد قال أحدهم إذا لم تتم الصلحة بين أهل البنت المخطوفة وبين أهل العريس الخاطف خلال مدة أقصاها عشر سنوات فالقتل أصبح واجباً على الأهل لكل من ابنتهم وزوجها الذي خطفها.

أما إذا كانت المخطوفة بنتاً بكراً ولا تعرف ذلك الشاب الذي كان قد خطفها دون رغبتها ومعرفتها السابقة، فالقتل هنا للخاطف إجبارياً ولا تجوز المساومة على ذلك. أما البنت فإنها لا تقتل لأنها أُرغِمَت رغم إرادتها على الهروب معه كُرْهاً لا برغبة منها.

- الوفاة:

إذا ما مات شخص خاصة إذا كان رجلاً فإن أهل الميت يبعثون خبراً إلى كافة الأقارب والأصدقاء حيث يأتي هؤلاء الناس على شكل معزين وكل واحد معه خروفاً. وعلى أهل المتوفى ذبح الخراف التي يأتي بها المعزون لأن العادة والعرف عند النَّوَرْ وعند كافة المجتمعات العشائرية وخاصةً المجتمع العربي يلتزم بتلك العادة. وإذا كان المتوفى رجلاً أو امرأة قد تزوج أكثر من مرة في حياته وقبل مماته فإنه يلف بعدد من الأكفان تساوي عدد الأزواج الذين تزوج منهم في حياته إذا كان رجلاً، وإذا كانت امرأة، فإنها تلف بأكفان يساوي عددها عدد الأزواج التي كانت قد تزوجت بهم في حياتها، وأن الزوج الأخير إذا ما كان على قيد الحياة بعد وفاة زوجته، مكلف بشراء الأكفان لأزواجها السابقين. أما إذا كان كافة الأزواج قد توفوا، فإن أولادها أو أخوتها إذا لم يكن لها أولاد، هم المكلفون بتحضير الأكفان وما يترتب على ذلك من طقوس الدفن، والأكثر حفاظاً على هذه العادة هي عائلة (بريور).

ـ الألعاب الشعبية عند هؤلاء النَّوَرْ:

يمارس هؤلاء الرقص على الطبل واللعب بالسيف في مباريات عنيفة وحادة وممتعة تتم فيما بينهم وخاصة في مناسبات الأفراح. ويمارس هؤلاء النَّوَرْ نفس الألعاب الشعبية التي يتسلى بها أهالي منطقة إدلب في أوقات فراغهم وفي مقدمة تلك الألعاب /لعبة الضناملو أو الضملو/. ومن الألعاب المسلية التي يمارسها هؤلاء النَّوَرْ هي المبارزة القاتلة بين طيور الديك التركي والتي غالباً ما تكون مقابل مبلغ من المال يتفق على كميته صاحب الديكين المتبارزين وأن هذه الكمية يأخذها صاحب الديك المنتصر، وغالباً ما تنتهي بموت أحد الديكين، والتي تؤدي بدورها إلى شجار بين صاحبيهما، قد تنتهي بإطلاق النار على بعضهما وعلى الأغلب يطلق النار صاحب الديك المهزوم والمقتول على صاحب الديك المنتصر. وهذه العادة تنتشر عند شعوب شبه القارة الهندية، حيث يحلو لهم الاستمتاع بمشاهدة الديكة وهي تتصارع بمناقيرها، وهم بذلك يشبهون الإسبان باستمتاعهم بمشاهدة مصارعة الثيران، التي تدمي القلب، والتي يجب أن يتم الحدّ من هذه المصارعات اللاأخلاقية بنظرنا.

ديك رومي أو ديك تركي من أجل المبارزة حيث تشترك في تربيته كافة جماعات النَّوَرْ على مختلف مهنم وتسمياتهم التي يطلقونها على أنفسهم /١٩٨٦م/

أما الطعام الذي يرغبونه أكثر من غيره هي أكلة المحاشي وخاصة محشي اليقطين، كما أنهم يتناولون المواد الحادّة بكثرة شأنهم بذلك شأن بقية السكان في منطقة إدلب. ومن الحلويات التي يحبونها أكلة تُدعى /المامونية/. وهي أكلة معمولة من سميد الذرة الصفراء والسكر والسمنة. كما أنهم يحبون الراحة التي يتناولونها مع السمن العربي.

وأما اللباس عند هؤلاء النَّوَرْ بالنسبة للرجل لا يختلف عن لباس الرجل في منطقة إدلب. ويكون هذا اللباس من /القلابية والجاكيت والعقال والقضاضة على الرأس/. أما لباس المرأة فإنه يتكوّن من لباس طويل على شكل ثوب خارجي يخب على الأرض وفي منطقة الجذع يكون ذلك الثوب مخصراً بالإضافة أن تلك الثياب ذات ألوان زاهية ومزركشة وتلبس المرأة أحياناً لباساً خارجياً فوق الثوب الطويل علة شكل عباءة مفتوحة من الأمام. وأحياناً خراطة طويلة وواسعة ومزمومة بشكل جيد على الخصر. وتلبس المرأة فوق الخراطة كنزة أو قميصاً مفتوحاً من الأمام مع كفت أطراف القميص أو الكنزة تحت الخراطة.

ـ التعليم:

إن المستوى التعليمي عند هؤلاء النَّوَرْ المستقرين في مدينة سراقب لا بأس به قياساً بالمستوى التعليمي للنَّوَرْ في مناطق أخرى من القطر العربي السوري. فأولاد هؤلاء النَّوَرْ يذهبون إلى المدارس الابتدائية لدرجة أن الكثير منهم قد حصل على الثانوية العامة، وأكمل دراسته في المعاهد المتوسطة. أما البنات فنادراً أن تنهي المرحلة الإعدادية، لأن الغالبية العظمى من الأهل لا يسمحون لبناتهم التعلم أكثر من المرحلة الابتدائية.

ـ اللغة التي يتكلم بها النَّوَرْ في سراقب:

يتكلم هؤلاء النَّوَرْ فيما بينهم /النورية أو اللغة القرباطية أو لغة الضوم واري/ إلى جانب إتقانهم اللغة العربية. ويعرفون اللغة الكردية واللغة التركية، أما الذين يسافرون إلى الخارج غالباً ما يعرفون التحدث بالفرنسية والإسبانية /يتكلمون ولا يقرؤون ولا يكتبون وخاصةً الكبار في العمر منهم.

وهذه بعض المفردات من اللغة التي يتحدثون بها، إلى جانب بعض الأرقام.

اللغة النَّورية	اللغة العربية	اللغة النَّورية	اللغة العربية
إيبا	الأب	بي أوكك	واحد ـ ١
آيدا	الأم	دوي	اثنان ـ ٢
بّار	الأخ	طران	ثلاث ـ ٣
صروتا	الكلب	شتار	اربعة ـ ٤
كير	حليب	بابخ	خمسة ـ ٥
جبنة	جبنة	شيش	ستة ـ ٦
واريموم	خطيبة	حافت	سبعة ـ ٧
باني	الماء	حاشت	ثمانية ـ ٨
مانا	الخبز	ناة	تسعة ـ ٩
لافتي كولدوي	بنت جميلة	دز	عشرة ـ ١٠
صو	مئة ـ ١٠٠	حازان	ألف ـ ١٠٠٠

وهناك أغنية شعبية يغنونها باللغة النَّوَريّة القرباطيّة: إلى جانب ترجمتها إلى العربية:

دُونْدُوي دُنْزورْ دُوُنْدوري صوتوا = لا آكل ولا أشرب.

دُنْدُورْ هُوتميا وَلاَ ثميا الله = غير أنني أتفرج والله.

صُوانُو دُنْدُورتا طما شوتميا = على سنونك الذهب.

ويروي نور عشيرة أيضالة عن مكان تواجدهم السابق قبل مجيئهم إلى سراقب: أن أجدادهم قد جاؤوا من منطقة لواء اسكندرون المحتل من قبل الأتراك والذي يعود انتماؤه الجغرافي والتاريخي إلى الوطن الأم القطر العربي السوري.... وقد كان يسكن أجداد هؤلاء النَّورْ في بلدة /الريحانية/ الواقعة بالقرب من منطقة حارم في محافظة إدلب. وأن هؤلاء النَّورْ صار لهم مدة من الزمن تزيد عن /٣٥/ عاماً في إدلب.

ـ **النور الطبالة**: يطلق على النَّورْ من الفئة الثانية والمستقرة في سراقب في جزئها الشرقي بالقرب من الخط العام حلب ـ حماة، تسمية /الطبّالة/ وذلك نسبةً إلى أداة الطبل التي تلعب جزءاً أساسياً في حياتهم اليومية. ويتراوح عدد هؤلاء النَّورْ من جماعة الطبّالة ما بين /٢٠٠ ـ ٤٠٠/ نسمة.

وقد جاء هؤلاء النَّوَرْ الطبالة من بلدة /الفوعة/ منذ ما يزيد عن خمسة عشر عاماً إلى منطقة سراقب حيث الانتقال الدائم من قرية إلى أخرى على ظهور الحمير في القرى التابعة لمدينة سراقب إلى أن تخلوا عن الترحال مستبدلين إياه بنمط معيشي جديد يقوم على الإقامة في بيوت ثابتة، إلا أن المهنة لدى هؤلاء النَّوَرْ ما زالت هي القرع على الطبل والعزف على المزمار. وتتكون هذه الفئة من النَّوَرْ من عائلتين: ١ ـ عائلة أو بني خضور. ٢ ـ بني البدوي.

والشيء الطريف أن هؤلاء النَّوَرْ بالرغم من عيشهم في منازل اسمنتية فيها الماء والكهرباء إلا أنهم ما زالوا يبنون الخيام إلى جانب بيوتهم من أجل الاستراحة بها وحتى النوم فيها، وقد شاهدت في صباح أحد أيام تشرين الثاني عام /١٩٨٦م/ رجلاً مسناً يشعل النار على موقدة قرب الخيمة كي يتدفأ من البرد وإلى جانبه أولاده الصغار الذين أحاطوا النار ليتدفأوا منه من البرد، إن هذه الظاهرة لدلالة أكيدة أن الإنسان لا يتخلى عمّا اكتسبه من نمطه العيشي، من نمطه المعيشي هذا إلى نمط معشبي مغاير، وبخاصة الانتقال من نمط معيشة الانتقال وعدم الاستقرار إلى نمط معيشي حضري ثابت ومستقر، وذلك بين عشية وضحاها، حيث تتغير الجوانب المادية إلا أن الجوانب المعنوية والشفافية تبقى لأجيال عدة حتى يتم التخلي عنها تدريجياً.. الخ.

ـ الأعمال التي يمارسها أفراد الطبالة:

يعمل الرجال في الضرب على الطبل في الأعراس لأن العادة في سراقب إلى الآن لا تزال تتخذ من الضرب على الطبل والعزف على المزمار من قبل النَّوَرْ الطبّالة من الأمور الأساسية في إنجاح حفلة العرس. لذا نجد الرجال يجسلون في بيوتهم مع الأطفال الصغار انتظاراً للدعوات المفرحة من قبل أهل منطقة سراقب من أجل المشاركة عن طريق الضرب على الطبل والعزف على المزمار.

أما النساء فإنها تذهب من الصباح الباكر وخاصةً في أيام مواسم قطاف الزيتون وعصره من أجل الاستعطاء، وتحمل المرأة بيدها صفيحة من البلاستيك كي تضع فيها زيت الزيتون الذي تشحده، وتحمل أيضاً كيساً كبيراً له علاقة على شكل جناد كي تضع فيه ما يمكن أن تشحده في ذلك النهار. وغالباً ما تخرج النساء على شكل

مجموعات كبيرة يصل عددها إلى أكثر من عشر نساء. وأما وقت الخروج من الخيمة صيفاً هو الساعة الخامسة والنصف صباحاً حيث يركبن في سيارات إلى منطقة جبل الزاوية أو إلى منطقة حماة أو منطقة المعرة من أجل الشحادة. ويصل حمّى النشاط الاستعطائي لدى النساء النَّوريّات من جماعة الطبالة في مواسم قطاف الزيتون وعصره.

وأنّ الزواج عند هؤلاء يكون مصحوباً بالضرب على الطبل والعزف على المزمار مع عقد حلقات الديكة التي يشارك بها الرجال والنساء من الطبالة فقط. ولا يدعوا الطبالة للمشاركة في أعراسهم أناساً من غيرهم، كما أنهم لا يزوجون من النَّوَرْ الأغنياء الذين يعيشون في الجزء الغربي من سراقب والذين يعرفون بتسمية /البربور/. ولا يتجاوز المهر عند الطبالة مبلغ /١٥/ ألف ليرة سوري. وأن ظاهرة تعدد الزوجات لديهم شبه معدومة وربما هذا عائد إلى فقرهم المادي. وإذا ما توفي واحد منهم يكفن بالطريقة الإسلامية ولا يكفنون الميت بأكفان يساوي عددها عدد الزوجات أو عدد الأزواج بالنسبة للمتوفي كما هو الحال عند النَّوَرْ من عشيرة /البربور/.

يرتدي الرجال القلابية والجاكيت ويلبس على رأسه القضاضة والعقال. أما المرأة فإنها ترتدي اللباس الطويل المزركش والفضفاض من الأسفل والمخصر في منطقة الخصر /الجذع/. وتلبس المرأة فوق الثوب الطويل ذي الألوان الزاهية رداء واسع على شكل عباءة يطلق عليها اسم /تشاطك/ من أجل حمل الأشياء التي يمكن أن تشحدها بعد أن يمتلئ الكيس الذي تحمله المرأة على كتفها على شكل جناد. أما الرأس فيربط بقطعة من القماش على شكل عصبة يطلق عليها باللهجة المحلية في منطقة سراقب /الهبرية/.

هؤلاء النَّوَرْ لا يسافرون إلى خارج القطر كما هو الحال عند جماعة نَوَرْ /البربور/ ولا يوجد بين الفئتين المذكورتين أي نوع من العلاقات ذات الطابع الاجتماعي.

- النَّوَرْ في منطقة جسر الشغور (أصحاب طبل وزمر):

تعيش مجموعة من النَّوَرْ التي تقرع الطبول والزمر في منطقة جسر الشغور، ويزيد عدد أفراد تلك المجموعات عن /١٥٠/ شخص في التسعينات من القرن الماضي، وهم موزعون في ثلاث أمكنة: مدينة جسر الشغور - إفريكة - قسطون. وقد جاءت هذه

المجموعة من النَّوَرْ /الرياس: المطارية/ من قرية الزربة التابعة إلى حلب وقد كان مجيئهم إلى منطقة جسر الشغور تقريباً في عام ١٩٥٤م. وبقي أفراد تلك الجماعات يعيشون في الخيام ويتنقلون في فصلي الصيف والخريف من قرية إلى أخرى في منطقة جسر الشغور. أما في الشتاء فكانوا يستقرون في مدينة جسر الشغور على شكل مخيم من الخيام المعمولة من أكياس الخيش. ويربي هؤلاء طيور الحجل حتى الآن. وفي عام ١٩٧٨ بدأت عائلات هؤلاء النَّوَرْ في الاستقرار بشكل دائم، تاركين النمط المعيشي القائم على التنقل والترحال حيث كانوا يتخذون من الحمير وسيلة أساسية لتنقلهم. وقد كانوا في الماضي يصنعون الطبل من جلود الخيول والحمير. ويتوزع أفراد هذه المجموعة في ثلاث مناطق:

في مدينة جسر الشغور - حيث يوجد ثلاث بيوت مليئة بالأطفال.

في قرية إفريكة، يوجد بيت الشيخ تركي وأولاده /صبحي - حمود - محمد - حسين - حسن وجمعة/.

في قرية /قسطون/ حيث يوجد بيتان. وذلك في التسعينات من القرن العشرين.

وينتمي نور منطقة جسر الشغور إلى بيت /ديبو/ وأن اسم جدهم الأول /حسن ديبو/. وحالياً يقال لهم بيت /الفحّام/. وأن السيد /تركي المحمود الحسين الفحام/ والمعروف بـ أبو صبحي هو شيخ أو كبير هذه العائلة.

ويسكن كافة هؤلاء النَّوَرْ في بيوت سكنية إسمنتية واسعة، ولكنهم يرتحلون صيفاً بالخيام التي غالباً ما ينصبونها في فصل الشتاء إلى جانب بيوتهم السكنية، لدرجة أنهم يفضلون الجلوس في تلك الخيام على البيوت المخدمة بالكهرباء والماء، ويتباهى هؤلاء عندما يُسألون: لماذا تتواجدون في الخيام وعندكم بيوت واسعة ومريحة وفيها متطلبات الحياة العصرية؟، وغالباً ما يكون جوابهم:

لا نستريح إلا في الخيام، والخيمة مسقط رأسنا. وأن كافة هؤلاء النَّوَرْ مسجلون في دائرة السجل المدني، وأن معظم أطفالهم يذهبون إلى المدرسة إلا أن المستوى التعليمي عندهم منخفض جداً ومن النادر إتمام المرحلة الابتدائية. ويتكلم هؤلاء النَّوَرْ اللغة الكردية إلى جانب اللغة التركية والعربية. كما أنهم على معرفة باللغة النورية الأم والتي يدعونها بـ لسان العصفورة - أو - ضوم واري.

وتعيش هذه الجماعة من النَّوَرْ حياة اجتماعية منغلقة على نفسها وخاصةً في ظاهرة الزواج حيث لا يتزوجون إلا من بعضهم ولا يزوجون بناتهم إلى شباب من سكان منطقة جسر الشغور. وأن الفتاة تزوج على رأي أهلها لأن الرأي الأول والأخير يعود لأهل البنت.

ويتم تزويج الفتاة من قبل أهلها مقابل مهر يتراوح ما بين /٢٠ ـ ٣٠/ ألف ليرة سورية. إذا كان الشاب من نفس عشيرة /الفحام/. وإذا كان العريس من عشيرة أخرى من النَّوَرْ يرتفع مبلغ المهر إلى ما يزيد عن /٧٥ ـ ١٠٠/ ألف ليرة سورية. وكمية المهر تتناسب مع درجة جمال البنت. وأن كافة المبلغ المدفوع كمهر للفتاة هو بمثابة ثمن لها يدفع إلى أهلها ولا تأخذ منه شيئاً. ويحدث عند هؤلاء النَّوَرْ زواج الخطيفة الذي ينتهي بالصلح مع دفع مبلغ يزيد عن /١٠٠/ ألف ليرة من أهل العريس لأهل العروس وذلك بعد تدخل وجهاء النَّوَرْ ووجهاء منطقة جسر الشغور. ويسود عند هؤلاء النَّوَرْ زوج البدل /فتاة مقابل فتاة/ إلى جانب ظاهرة تعدد الزوجات من أجل زيادة الثروة عند الرجل لأن المرأة تمارس الاستعطاء /الشحادة/ يومياً في أحياء القرى لمنطقة جسر الشغور بالرغم من كونهم يعيشون في بيوت فيها الكهرباء والماء وبقية الأدوات العصرية.

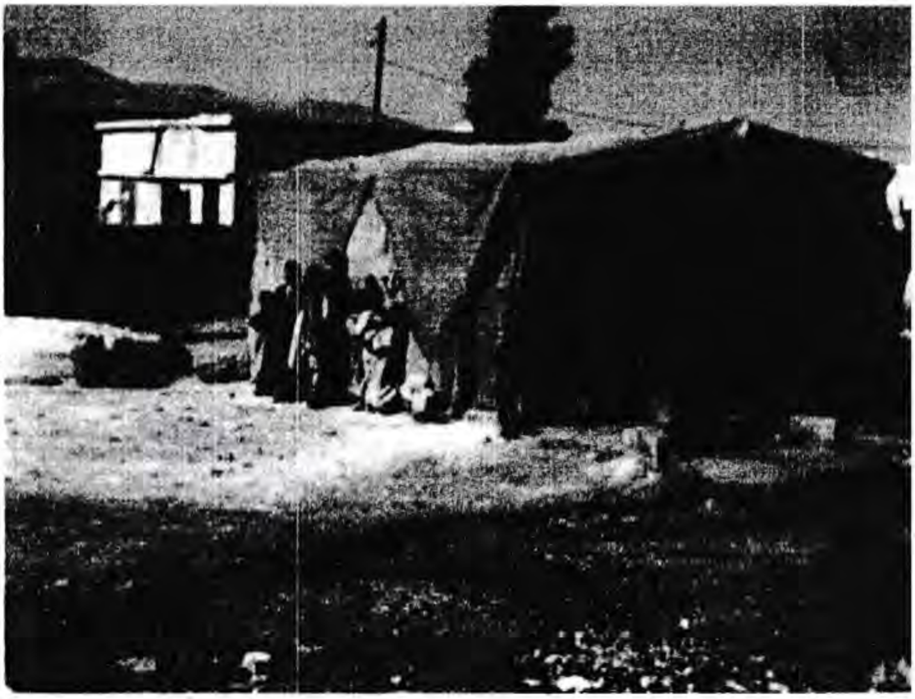

يبدو في الصورة /بيت من الاسمنت وإلى جانبه الخيمة

وغالباً ما يتم الاستراحة فيها وأحياناً بمثابة مستودع. قرية /إفريكة/ ١٩٨٦م.

ـ الأعمال التي يمارسها الرجل:

إن العمل الأساسي لرجال هذه الجماعة من النَّوَرْ هو: العزف على المزمار والطبل في أيام الأعراس والحفلات والمناسبات يدعون إلى إحيائها من قبل سكان المنطقة مقابل مبلغ من المال يتراوح ما بين /٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ل.س/. وأن المرأة في منطقة جسر الشغور لا تشارك الرجل في مهنةالضرب والعزف على الأدوات الموسيقية. وعلى ضوء ذلك يمكن تصنيف هؤلاء النَّوَرْ إلى جماعة النَّوَرْ التي تمارس مهنة الطرب والرياسة /مطارية: رياس/ كما هو الحال عند نَوَرْ دير العصافير في ريف دمشق.

ولكن يوجد بعض الشباب الذين يزاولون الأعمال المتعبة من أعمال بناء وأعمال موسمية زراعية.

أما المرأة فإنها تمارس مهنة الشحادة بالرغم من أنهم يتنكرون لمثل هذا السؤال عندما يوجه لهم لا بل ينفون مزاولة /الاستعطاء/ من قبل المراة النّورية في منطقة جسر الشغور. لكن الواقع هو عكس ذلك تماماً حيث المرأة تذهب يومياً لتتجول بين أحياء القرى المجاورة من أجل الاستعطاء من أجل الحصول على المواد التموينية /الزيت ـ البرغل ـ العدس ـ السكر... إلخ/. وينشط هؤلاء النَّوَرْ في فصل الصيف لجمع أكبر كمية ممكنة من محصول القمح عن طريق الشحادة وخير مثال على ذلك: أن الشيخ /تركي المحمود الحسين الفحام/ في وقت الموسم يأخذ كيساً فارغاً ويدور في بلدة أفريكة ليأخذ من كل فلاح كمية من القمح تعادل كيساً (شوالاً) لدرجة أنه يمكن أن يجمع مئة كيس من الحنطة في كل موسم. ويعود سبب سخاء هؤلاء الفلاحين في أعطياتهم إلى الشيخ /تركي المحمود الحسين/ أنهم دوماً يأتون إلى مضافته من أجل شرب القهوة المرّة. وأن السيد /تركي المحمود الحسين/ بدوره يحتفل بأعراس أهل القرية ويشاركهم أفراحهم بالطبل والزمر.

أولاد الشيخ /تركي المحمود حسن/ يضربون على الطبل (قرية إفريكة ـ جسر الشغور) ١٩٨٦م

اللباس: يرتدي الرجل المتوسط العمر اللباس العربي /القلابية والجاكيت والقضاضة أو الشماخ: المنديل وفوق القضاضة يرتدي الرجل العقال كغطاء للرأس/. أما الشباب منهم يرتدون اللباس العصري البنطال والقميص ولا يلبسون شيئاً على رؤوسهم شأنهم بذلك شأن كافة الشباب النَّوَرْ في القطر العربي السوري.

أما المرأة فإن لباسها طويل وفضفاض ومحتشم. كما أنها تلبس على رأسها منديلا. وترتدي المرأة سروالاً من القماش طويلاً يخب حتى كعبي القدمين. ويغلب على لباس المرأة اللباس ذي الألوان الزاهية: كاللون الأزرق ـ الأحمر ـ الأصفر وما بين تلك الألوان.

ـ ومن عادات هؤلاء النَّوَرْ:

الجلوس بشكل جماعي عند بعضهم البعض.

الزيارات المتبادلة فيما بينهم وباستمرار.

التكلم فيما بينهم بصوت عالٍ ومرتفع.

يتخانقون بكثرة ولكنهم يتصالحون بسرعة وكما يقول النَّوَرْ في مثلهم العام /جرح بين الأقارب سليم/.

لا يكفنون الميت بعدد زوجاته التي تزوج منهم. وكذلك المرأة التي كانت قد تزوجت في حياتها بأكثر من زوج، لا تكفن إلا بكفن واحد.

الـدين عنـدهم هـو الإسـلام، والشـيء الـذي لمسـته أن كافـة أفـراد عشـائر النـور بمختلف نحلهم ومللهم، يلتزمون بالختان (ختان الأطفـال الـذكور)، إلا أن ختـان الطفل قد يتأخر إلى سن ١٢ – ١٤ سنة في بعض الأحيان..

عائلة من النَّوَرْ من قرية /القسطون/، يجلس أفرادها في الخلاء أمام البيت والخيمة.

حيث تظهر أعمدتها الخشبية واضحة /١٩٨٦/م

الفصل الثالث

عشائر النّور في منطقتي الجزيرة والفرات

أ - النّور في منطقة الجزيرة:

١ - النّور في منطقة الحسكة.

٢ - النّور في منطقة المالكية.

٣ - النّور في منطقة القامشلي.

٤ - النّور في منطقة مُعَمّرْلِهْ.

ب - عشائر النّور في منطقة الفرات.

١ - النور في منطقة الرقة

٢ - النّور في منطقة: الميادين - العشارة - دير الزور.

النَّور في منطقة الجزيرة

إن الغالبية العظمى للنُّوَرْ في منطقة الجزيرة من الفئة التي تطلق على نفسها ـ المطاربة ـ ومفرد هذه الكلمة /مُطْرِبْ/، ويلفظ النَّوَرْ حرف ط مثل حرف /ت/.

وقد جاءت تسمية المطاربة من مهنتهم التي يمارسونها حيث الرقص والغناء والشوباش من قبل الناس والضرب على آلات الموسيقى التي تلازمهم في حياتهم اليومية والتي تتكون من: البزق ـ الربابة ـ الزرنايا ـ الطبل ـ صحون نحاسية، تُوضَع في أصابع الكف تستخدمها المرأة النَّوَرِيّة أثناء قيامها برقصاتهم النَّوَرِيّة الجميلة. ويُطلَق على تلك الصحون تسمية ـ الطقاشات.

ويشارك نَوَر الجزيرة في مهنتهم هذه النَّوَرْ المتواجدين في منطقة الساحل العربي السوري ونَوَرْ منطقة تل كلخ والعريضة. وأنّ هؤلاء بدورهم يطلقون على أنفسهم أيضاً كلمة ـ المطاربة ـ ولا يرضون عنها بديلاً وأن نعتهم بغيرها مثل تسمية ـ النَّوَرْ ـ أو ـ القُرْباطْ ـ يُعتبَر بمثابة إهانة لهم. إلا أن التسميات المحلية لنَوَرْ منطقة الجزيرة فهي تختلف من منطقة إلى أخرى ففي منطقة المالكية يسمون بالمطاربة، أما في منطقة عامودا غالباً ما يسمون بـ ـ القُرَج ـ أما في منطقة حلب غالباً ما يُطلَق عليهم ـ القرباط ـ أما في منطقة منبج فيطلقون عليهم عدة تسميات:

- القرباط: فئة من النَّور، يمارس أفرادها صناعة الغرابيل وتركيب الأسنان.
- المطاربة: فئة من النّور يمارس أفرادها الضرب على الطبل والبزق والزرنايا.
- الحجيات: فئة من النّور يمارس أفرادها الرقص والغناء.

إن غالبية عشائر النّور في منطقة الجزيرة، يتكلمون اللغة الكردية، إلى جانب كل من اللغة العربية، ولغتهم الأم ـ لغة ضوم واري: اللسان النوري، أو لسان العصفورة ـ كما يقولون ذلك(١).

---

* ـ نور الأكراد: تعني فئة من النَّوَرْ الذين يتكلمون اللغة الكردية نتيجة معايشتهم لأناس ينطقون بالكردية. وأن هؤلاء لا يمتون للأكراد بصلة قرابية لا باللغة ولا بالعادات ولا بالصفات.

النَّوَرْ في منطقة الحسكة

يعيش في مدينة الحسكة مجموعة من النَّوَرْ ينتمون إلى عشيرة - البغاري - و- جامو* - وتقبع بيوت هؤلاء على أطراف المدينة:

- يسكن أفراد عائلة (البغاري) في حي الناصرة على الطريق القديم: الحسكة - درباسية.

- ويسكن القسم الآخر من عائلة جامو في حي - تل حجر - على طريق الحسكة القامشلي. ويُطلق على هؤلاء النَّوَرْ تسمية - القرج - وعلى ما يبدو أنهم مطاربة؛ أصحاب طبل وزمر في الماضي وخاصةً أفراد عشيرة - جامو - حيث منها المطربين الذين يحيون الحفلات ويتكلم هؤلاء اللغة الكردية، إلى جانب العربية، ويقدمون القهوة العربية للضيوف.

وقد جاء أفراد هذه المجموعة من النَّوَرْ كما روى السيد /محمد يوسف البغاري/ من تركيا هرباً من الخدمة العسكرية في الجيش التركي، ولسوء الأحوال المعيشية هناك، ويقول أنهم عبروا الحدود باتجاه الأراضي السورية بشكل غير رسمي، وأنهم كانوا في البداية ولفترة طويلة يتنقلون بحميرهم من مكان إلى آخر في منطقة الحسكة، إلى أن استقروا في بيوت من القش والطين على أطراف المدينة بادئ الأمر، والآن يعيشون في بيوت إسمنتية مسلحة.

- الأعمال التي يمارسها نَوَرْ الحسكة:

يتعاطى الرجال بسبب استقرارهم منذ فترة من الزمن أعمالاً يدوية: تصليح الأحذية، ومسح الأحذية أمثال الأخوين: بشير جامو ومحمود. حيث يقولون: بدنا نوكل لقمتنا حلال أحسن ما نشحد. ومنهم من تعلم مهنة تركيب الأسنان مثل: عبد الرزاق

---

* - جامو: إن هذه التسمية تشير بوضوح لا لبس فيه، إلى مكان يقع بين الهند وباكستان والتي تعرف حالياً باسم /جامو وكشمير/ لدلالة واضحة على أصولهم الهندية لأن الكنية هنا تدل على المكان، الذي كانوا قد جاءوا منه.

جامو، حيث يتنقل بين القرى، إذ يأخذ مقابل تصليح كل سن أو تلبيسة بالفضة أو الذهب دجاجة أو ديك، والقسم الأعظم من النُّوَرْ الشباب يتعاطون الأعمال اليدوية الحرة (عمال بناء، عمال عاديين). وهناك من يقوم بتصليح الدراجات الهوائية (كان أبوهما جميل جامو) يمارس مهنة الدق على الطبل والزرنايا في الحفلات (مطرب).

ويعدّ أفراد عائلة جامو أحسن في أوضاعهم المادية من أفراد نَوَرْ البغاري. حيث يمارس أفراد جامو أعمالاً يدوية حرة، والغناء أمثال المطرب: زبير صالح ـ المطرب عقاب ـ حسين جامو ـ عبد الرزاق جميل)، حيث يحيون حفلات غنائية باللغة الكردية، ويزعم هؤلاء النور وغيرهم من النور الذين يتكلمون اللغة الكردية كما هو الحال النور الأكراد إلى الشرق من موقع كازية القدم في جنوب مدينة دمشق: أنهم أكراداً. ففي أحد زياراتي لحي النّور إلى الشرق من كازية القدم، تعرّضت لبهدلة من امرأة كانت تجلي على الأرض أمام بيتها، لا لشيء، وإنما لكوني سألتها أين حارة النّور. فكان جوابها بصوت عالٍ وبجلافة كالآتي وبلكنة غير سليمة: «إا وَرْزْ – أنتم النّور – إحنا أكراد». فاعتذرت منها، ومن ثم تسكعت في الحي من أجل التعرف عليه لأول مرة عام ١٩٧٦. لكن هؤلاء وغيرهم ممن يدعون كذباً أنهم أكراد، هم ليسوا بأكراد بل نور سكنوا بادئ الأمر في منطقة يتواجد فيها الأكراد، ولزمن طويل، ومن ثم قدموا إلى سورية بشكل وبآخر وعلى فترات زمنية متتالية، وإن التسمية التي يجب أن يسموا بها هؤلاء النور هي: نور الأكراد، فهم من الجماعات التي قدمت إلى بلادنا من شبه القارة الهندية.. الخ، وصار للبعض منهم فرق موسيقية لها أجهزة حديثة.

وهذا مقطع من أغانيهم باللغة الكردية:

أزفة كلة أقدم ناهلم كسك بجنه

جارك مشغوري كوراك جعقة وي رشهي بلك

وترجمتها إلى العربية:

أنا أسقي هذه الوردة لا أُخلي أحد يقطفها

ولقيت بنت بيضاء عيون سود حلوين

ـ النَّوَرْ في منطقة المالكية (المطارية):

يعيش في منطقة المالكية مجموعة من النَّوَرْ يزيد عدد أفرادها عن مئتي شخص. ويشكل هؤلاء ما يزيد عن سبع عشرة أسرة يتوزعون في مدينة المالكية والقرى المحيطة بها. وفيما يلي جدولاً بأسماء الأسر النَّوَريّة في المالكية حتى صيف عام ١٩٨٦:

	اسم رب الأسرة	اسم القرية التي يقطن بها	عدد أفراد الأسرة
١	يوسف علي	قرية كراتشوك	٨
٢	بو حبل علي	قرية كراتشوك	٤
٣	جميل علي	قرية كراتشوك	٥
٤	يحيى علي	قرية كراتشوك	٧
٥	يونس علي	قرية كراتشوك	٢
٦	يونس علي	قلعة الحصن	٢
٧	خليل درويش	قرية النوافية	١
٨	محي الدين درويش	قرية النوافية	١٠
٩	أحمد أصلان	خراب يشك	٨
١٠	عبد المجيد درويش	قرية معيدة	٣
١١	أحمد علاني	مدينة المالكية	٥
١٢	أحمد محمد	مدينة المالكية	٢
١٣	علي عبدي	مدينة المالكية	٤
١٤	محمد عبدو	مدينة المالكية	٧
١٥	جمال سعدون	مدينة المالكية	٣
١٦	عبد الجليل الفرحان	قرية معبدة	٩
١٧	موسى فرحان	قرية معبدة	٦

ـ التسمية:

يطلق على النَّوَرْ في منطقة المالكية من قبل سكان المنطقة هناك تسمية ـ المطاربة ـ ومفردها كلمة ـ مُطرِبْ، وهذه التسمية تتطابق مع مهنتهم التي يمارسونها في حياتهم اليومية من غناء وقرع الطبول والأبواق أثناء إحيائهم لحفلات الأعراس والطُّهُرْ والنُّذُرْ.

ولا يقبل النَّورْ في المالكية بتسمية أخرى غير كلمة ـ المطاربة ـ ويأنف هؤلاء المطاربة من كلمة النَّوَرْ لأن هذه الكلمة حسب مفهومهم تحمل في مضمونها معانٍ ذميمة. ويقول السيد ـ يوسف علي ـ أن إطلاق كلمة النَّوَرْ علينا نحن المطاربة تُعتَبر إهانة لنا، إلا أنهم في الواقع أحد جماعات النور الأساسية أينما وجدوا.

وينظر سكان منطقة المالكية إلى المطاربة النَّوَرْ نظرة فيها دونيّة وتصغير. وأن سبب هذه النظرة يعود إلى عدم ممارسة النَّوَرْ المطاربة أي مهنة غير الشحادة وقرع الطبول والأبواق والغناء أثناء إحيائهم للحفلات ذات المناسبات المختلفة.

ـ الآراء التي تدور حول أصولهم:

يسود رأيان متناقضان حول المنطقة التي قدم منها هؤلاء النَّوَرْ المطاربة حسب اعتقادهم وهما:

١ ـ يقول نَورْ منطقة المالكية أن موطنهم الأصلي الذي قدموا منه هو منطقة يطلقون عليها تسمية ـ زوزان ـ ويعنون به المنطقة التي تمثل المثلث الطوروسي التركي ـ الإيراني الروسي، إلا أن هذه المنطقة هي من المحطات التي توقف النور فيها طويلاً بعد خروجهم من الهند.

ويدّعي هؤلاء المطاربة أنّهم أكراد ولكن ليس لهم عشائر خاصة بهم كسائر العشائر التركية أو الكردية الموجودة في المنطقة وخاصةً في الجانب الإيراني والتركي.

إن هؤلاء النَّورْ لا يمتّون إلى الأكراد بأي صلة وإنما نتيجة لمعايشتهم الطويلة الزمن لأناس يتكلمون اللغة الكردية ولتأثرهم بهم. ويبدو ذلك الأثر واضحاً في اللغة اليومية التي يحكونها في حياتهم اليومية والمتمثلة في اللغة الكردية وقد تمّ ذلك على حساب لغتهم القومية النَّوَريّة أو اللغة الدّومرية والتي لا زالوا حتى الآن يحافظون على كثير من مفرداتها اللغوية من خلال محاكاة بعضهم البعض بتلك اللغة التي تشبه مستحاثة حيّة

لأنها تُحكى ولا تُكتب لعدم وجود حروف أبجدية لها وانعدام الضوابط اللغوية المكتوبة لها وهذا يعود إلى كونها تُنقَل شفاهاً من السلف إلى الخلف، ويدخل فيها مفردات كثيرة من لغات متعددة أبرزها: الفارسية – الأرمنية – اليونانية – التركية – التركمانية – العربية. وذلك نتيجة معايشتهم لشعوب عديدة من قوميات مختلفة أثناء مسيرة هجرتهم الطويلة التي انطلقت من شبه القارة الهندية، والتي استغرقت قروناً عديدة.

ولكن بصورة عامة فإن النَّوَرْ المطاربة في الجزيرة وبقية مناطق القطر العربي السوري من جهة، وبقية النَّوَرْ في الوطن العربي وبقية مناطق العالم ينتمون إلى الشعوب الهندوأوروبية أصولاً ولغة وعادات وتقاليد مع تأثر بعادات وتقاليد ولغات الشعوب التي عاشوا ويعيشون بين ظهرانيها إلى يومنا هذا. في الزمان والمكان.

٢ ـ أما الرأي الثاني حول المنطقة التي قدم منها هؤلاء النَّوَرْ يقوم على الخرافة والخيال الواسع غير القابل للتصديق. وأن هذا الرأي يقول:

بأن النَّوَرْ قد انحدروا من ذرية الشيطان المنحدرة من بني إسرائيل. يقول السيد ـ علي رمو ـ : لدى الملك سليمان بن الملك داوود عن بيته بعد مطاردة الشيطان له، دخل إبليس إلى غرفة سليمان الخاصة به وخلال بقائه في قصر سليمان استطاع الإبليس الذي جعل نفسه شبيهاً بسليمان، أن يتصل جنسياً بكل جواري القصر فحملن منه. ولما رأى وزير القصر وزوجة سليمان بأن تصرفات شبيه سليمان غير طبيعية، تآمروا عليه من باب التجربة، وهذا ما دفع إبليس أن يظهر على حقيقته ويهرب. ثم عاد سليمان بعد هروب الإبليس الذي قطع عليه باب العودة فرأى أن جواريه حاملات فغضب سليمان وقال أخرجوا هذه الجواري، فخرجت الجواري إلى الجبال المجاورة ووضعن أطفالهن. وأن الأطفال الذين حملت بهن جواري سليمان الشيطان آنذاك هم الأجداد للنَّوَرْ الحاليين المتشردين في كافة أصقاع الأرض.

- الزواج:

يتم الزواج بين أفراد جماعات النَّوَرْ المطاربة في المالكية في سن مبكر فالبنت تتزوج دون سن السابعة عشر من العمر. وأن الشاب غالباً ما يتزوج قبل الثامنة عشر من عمره ومن النادر أن يبقى عازباً إلى ما بعد الخدمة الإلزامية.

وأن الزواج عند المطاربة زواج مغلق يتم بين أفراد العشيرة الواحدة ـ Endogamy ـ حيث ابن العم يتزوج من ابنة عمه إذا كان له رغبة بذلك ولا يتزاوج نَوَرْ المالكية مع السكان المحليين بالرغم من اشتراكهم بالعقيدة الدينية الإسلامية، وذلك عائد إلى النظرة الدونية التي ينظرها كل طرف للطرف الآخر.

ـ ويسود عند النَّوَرْ المطاربة ظاهرة تعدد الزوجات. وأحياناً يكون هناك فارق كبير بين الزوج وبين الزوجة في العمر.

والشيء الطريف عند هؤلاء النَّوَرْ كغيرهم من فئات النَّوَرْ الأخرى أن الطلاق عندهم لا يؤدي إلى خصام وتباعد بين الرجل وأهل زوجته المطلقة وكأن هذه الأمور عادية، في حين أن الطلاق عند الإنسان العربي بغض النظر عن النمط المعيشي الذي يزاوله، يؤدي إلى خصام وفرقة شديدة بين الرجل وأهل زوجته، وحتى يؤدي إلى خصام بين أهل الرجل وأهل زوجته، وغالباً ما يؤدي الطلاق إلى شجار بين أهل الرجل وأهل الزوجة المطلقة.

ـ إن ظاهرة عدم تأثير طلاق الزوج لزوجته على علاقته مع أهلها لا توجد إلا عند الشعوب الهندأوروبية. ولربما الترحال وقلة العدد لهؤلاء النَّوَرْ هي التي جعلت ظاهرة الطلاق لا تأخذ أبعاداً سلبية. كما أن المرأة المطلقة لا يُنظَر إليها نظرة دونية من قبل جماعتها وإنما على العكس، حيث يكون زواجها ثانية لا يصطدم بعقبات وخاصةً من قبل الأهل أو من قبل أولاد العم. فالمرأة بعد الطلاق هي التي تقرر زواجها ممن يتقدم منها[1].

ويتم الزواج بعد خطبة الفتاة من وليّ أمرها. وبعد الخطبة يتم تجهيز الفتاة استعداداً لحفلة العرس ومن ثم تُقام أفراح الزواج التي غالباً ما تدوم مدة أسبوع.

وأن المهر عند نور المالكية لا يزال حتى يومنا هذا غير مرتفع بقيمته النقدية والتي لا تتجاوز الخمس آلاف ليرة سوري. ولربما قلة المهر هنا عائد إلى قلة الدخل الذي

---

١ - في الشيء الطريف أن الطلاق عند أهل منطقة ظفار حاصل بكثرة، ولا يؤدي هذا الطلاق إلى خلافات ونزاعات بين كل من أهل الزوج وأهل الزوجة، لدرجة تبقى العلاقات الاجتماعية على حالها، وإن الزوج المطلق يأتي إلى بيت زوجته المطلقة ويتحادث معها ومع [illegible] حول الأولاد الذي غالباً ما تصطحبهم الأم معها إلى بيت أهلها، وقد سألت أحد النساء المطلقات عندما كنت في صلالة ما بين ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٤م. كيف هذا؟ فقالت هذا شيء طبيعي فهو أبو أولادي، ويتزاورون إذا مرض أحد المطلقين، والمطلقة مرغوب الزواج منها، ودور [illegible] في زواجها الثاني لا يذكر فلها يعود الأمر كله حتى في المهر.

تحصل عليه أو تجنيه المرأة في حياتها اليومية وذلك على عكس من مناطق ثانية حيث يصل مهر الفتاة النّورية إلى ما يزيد عن مئة ألف ليرة سورية وخاصةً إذا كانت هذه الفتاة حسناء وذات صوت جميل وخصر ضامر وصدر ناهد تغوي الآخرين برقصاتها الجميلة الخفيفة الحركة حيث تتلوى برقصاتها كالأفعى المضغوط على رأسها بأداة من قبل إنسان ينوي قتلها. /١٩٨٨م/.

أما المهر في السابق عند نور المالكية فغالباً ما كان يتم أو يتكون من حمار يعطى إلى وليّ أمر الفتاة إذا كان بحاجة إلى ذلك وأحياناً كان يُقدَّم كلب صيد هدية لولي أمرها مقابل تزويجه لابنته أو أخته.

ـ مكانة المرأة:

تعتبر المرأة في نظر الرجل عند نور منطقة المالكية ربّة أسرة ومربيّة للأطفال لدى غياب الزوج، وتلقى المرأة كل الاحترام من قبل الرجل.

والمرأة بنظر نور منطقة المالكية ليست وسيلة لجمع المال كما هو سائد لدى النَّوَر في منطقة القامشلي فالرجل فيهم يرى بأنه من العيب أن تخرج زوجته وتمد يدها للناس متسولةً. والسبب في ذلك أن هؤلاء النَّوَرْ معروفون في المنطقة التي يسكنون فيها. فإن ما تسولت المرأة في رأيهم داخل المنطقة فإن ذلك يكون بمثابة عار للرجل ودليل على عدم قدرته على إعالة أسرته لذا فالرجل هو الذي يقدم كل ما يلزم لأسرته دون الاعتماد على المرأة.

إن عدم ذهاب المرأة للشحادة هو الذي جعل المهر قليلاً لا يتجاوز مبلغ الخمس آلاف ليرة سوري عند نور منطقة المالكية.

ـ الصفات السلالية:

يمتاز النَّوَرْ المطارية في منطقة المالكية بالبشرة السمراء التي تميل للسواد، والقامة النحيفة والمتوسطة الطول، والشعر الأسود الناعم والمستقيم القليل التموج، والأنوف المستقيمة على الغالب التي تميل إلى الاستطالة. ولون العيون عندهم غالباً سوداء عسلية، والرأس عند هؤلاء النَّوَرْ يميل إلى الاستطالة أي أن النسبة الرأسية تقل عن ٧٥٪

والشفاه متوسطة في ثخانتها، والوجه عندهم مستطيل. والجذع عندهم أقصر من الأطراف وهذه الصفات تجعلهم يدخلون في المجموعة السلالية البيضاء. وهم بذلك يشبهون سكان شبه الجزيرة الهندية: هنود باكستان تاميل.

- الجنسية والتعليم:

يحمل قسم من النَّوَرْ في المالكية الجنسية العربية السورية منذ إحصاء عام ١٩٦٢. ويتمتع هؤلاء بحقوق المواطنة كاملة فلهم ما لغيرهم وعليهم ما على غيرهم من حقوق وواجبات. لذا فإن الشباب منهم يؤدون الخدمة الإلزامية منذ عام ١٩٦٢. ونتيجة استقرارهم المتأخر فإننا نجد أن التعليم يكاد يكون محصوراً فقط بالمرحلة الابتدائية. ومن النادر أن يصل طفل نوري في مدينة المالكية إلى المرحلة الإعدادية.

لذا فإن المستوى التعليمي عندهم متدنٍ جداً وسبب ذلك عائد إلى عدم اهتمامهم بالتعليم من جهة، ولتعلقهم بالتعلم على العزف الموسيقي على الأدوات الموسيقية المُتاحة بين أيديهم. لذا نجد التعليم يكمن عندهم في اتقان العزف على الآلات الموسيقية - البزق - الزرنايا - الطبل... إلخ.

فإن الأب يقوم بتعليم أطفاله كيفية العزف الموسيقي وإتقانه لأن الآلة الموسيقية والعزف عليها لا تزالان المهنة الأساسية التي يمارسها النَّوَرْ في المالكية ويعيشون على دخلها.

- اللغة التي يتكلم بها النَّوَرْ المطاربة في المالكية:

يتكلم النَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية اللغة الكردية نتيجة لاكتسابهم اللغة المذكورة نتيجة معايشتهم العشائر الكردية في الماضي، فقد كان لكل شيخ عشيرة من الأكراد جماعة من النَّوَرْ المطاربة ترافقه في حلّه وترحاله.

لقد كانت جماعا النَّوَرْ في مرافقتها لعشائر الأكراد المتجولة التي تعيش على تربية الأغنام وذلك منذ فترة تعود بدايات القرن العشرين. وكان تجوال العشائر الكردية يتم ما بين الأراضي السورية والأراضي التركية دون أن يحاسبهم أحد من قبل السلطات السورية والتركية لكونهم جماعات رحَّل تعيش على تربية الماشية. وكانت عشائر الأكراد هذه تعيش في خيام من الشعر. أما النَّوَرْ المطاربة فقد كانوا على

شكل عدة أسر تعيش كل أسرة عند كل عشيرة كردية وبرفقتها في حلّها ترحالها. وهؤلاء النَّوَرْ دوماً كانوا يحملون آلاتهم الموسيقية معهم مثل: الطبل والزرنايا والبزق. وقد كان المسير للعشيرة الكردية أثناء رحيلها بمثابة عرس متحرك. وبعد أن يستقر أفراد العشيرة في منطقة ما أيضاً تبقى العائلات النّورية المرافقة والملازمة لهم في عملية قرع ونقر وعزف للدفوف والطبول والبزق وخاصةً في المساء والليالي المضيئة بنور القمر الفضي. وكان شيخ العشيرة الكردية يترتب عليه: أن يتحمل نفقات ما برفقته من مطاربة في مجال الغذاء واللباس. كما كان على رئيس العشيرة وأحياناً تأمين الحماية لهؤلاء المطاربة من أي اعتداء يمكن أن يتعرضون له.

إن هذه الملازمة المعيشية للنَّوَرْ المطاربة للعشائر الكردية البدوية التي كانت تعيش على تربية الماشية أدّى إلى اكتسابهم اللغة الكردية، وحتى العادات والتقاليد الكردية إلى حد ما. فالنَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية يشاركون الأكراد بعيدهم المسمى عيد ـ النيروز ـ لا بل يعتقد هؤلاء النَّوَرْ في منطقة المالكية أن هذا العيد هو عيدهم القومي. ووصلت عملية الانصهار لجماعات النَّوَرْ المطاربة أثناء عيشهم مع العشائر الكردية المرتحلة في السابق إلى درجة أن المطاربة في المالكية يقولون عن أنفسهم أنهم أكراد. ويظهر ذلك واضحاً وجلياً في الأعياد وخاصة عيد النيروز حيث نجد النَّوَرْ المطاربة في المالكية والقامشلي يرتدون اللباس الكردي القديم اعتقاداً وزعماً منهم أنهم أكراد وهم يدركون في قرارة أنفسهم بأنهم لا يمتّون للأكراد بصلة لا في السلالة ولا في التاريخ المشترك ولا في العرف والعادة. ولربما العقيدة الدينية هي التي جمعت بين الطرفين.

وبالرغم من ادّعاء النَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية أنهم أكراد، إلا أنهم لا يتزاوجون مع الأكراد حيث كل منهما يحتقر الطرف الآخر. وأن هذا خير شاهد على أنهم نورٌ، وليسوا بأكراد.

وأن الشيء الطريف يكمن فيما يلي كما يقول السيد /عبد المجيد درويش/ من نور قرية مَعْبَدَة بعد أن أقفلت الحدود السورية التركية في وجه العشائر الكردية المتنقلة استقر رؤساء تلك العشائر وسكنوا في بيوت ثابتة ومستقرة وتركت حياة الترحال أمثال الشيخ ـ نايف باشا ـ الذي استقر في بلدة قرتشوك، وأن النَّوَرْ المطاربة الذين كانوا بصحبته في حلّه وترحاله قد استقروا أيضاً إلى جانب أسيادهم. لكن

المهنة التي كان يمارسها المطاربة لم تتبدل فأصبحت تعتمد على إحياء حفلات الأعراس والزفاف والطهور والنذر لرئيس العشيرة وأتباعه.

وبعد صدور قانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٨ الذي قلّص الملكيات الكبيرة لرؤساء العشائر في الجزيرة أدى إلى تقليل المساحة من الأرض التابعة للشيخ رئيس العشيرة الكردية ولم يعد قادراً على تقديم الطعام واللباس والحماية للمطاربة الذين هم برفقته ورفقة عشيرته مما أدى هذا إلى تحلل النَّوَرْ المطاربة من الالتزام بالعشائر الكردية.

ـ نظرة النَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية إلى غيرهم:

ـ يصنِّف الناس في نظر النَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية إلى زمرتين: أحدهما كريمة سخية لأن أيدي أفراد هذه الزمرة مبسوطة عندما يكون النَّوَرْ على احتكاك مباشر معهم أثناء مزاولتهم مهنتهم الأساسية المتمثلة بالضرب والعزف على الآلات الموسيقية، والزمرة الثانية هم البخلاء الذي لا يعطون إلا القليل إذا ما دعي النَّوَرْ إلى إحياء الحفلات عندهم في المناسبات.

ـ ويعتقد النَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية أنهم صغيرين بنظر السكان المحليين الذي يعيشون بين ظهرانيهم لدرجة أنهم يجدون أنفسهم مأمورين من قبل أهل المنطقة كما قال ذلك السيد ـ أحمد أصلان، وأردف قائلاً: «إننا عندما نكون في حفلة، ونخلد للراحة قليلاً أثناء الاحتفال نجد الناس يأمروننا بالقيام، باالقول: /يا نور ألم ترتاحوا بعد، هل أنتم قادمون للجلوس أم للعزف/». وتمنى السيد أحمد أصلان أن يتوفر لهم مهنة أخرى ليتم خلاصهم من أوامر العباد.

إن إلحاح الناس على أعضاء الفرقة الموسيقية النوريّة بالعزف وعدم الجلوس بغية الاستراحة ليس ناجماً عن أوامر صادرة من أناس يكنُّون الدونيّة للنَّوَرْ المطاربة، إنما صادر بصيغة الأمر لأن عزفهم الموسيقي مأجوراً وغالباً ما يكون مرتفع القيمة في الليلة الواحدة حيث يزيد عن (٢٥٠٠٠) ل.س، لذا يحاول الناس قدر الإمكان عدم إعطاء الفرصة للراحة لأعضاء الفرقة الموسيقية كي تكون الدراهم الذاهبة إليهم بجدارة وتعب ومن جهة ثانية كلما كان العزف مستمراً كلما كان الناس في حركة دائمة من غناء ورقص ومرح. فإذا توقفت الفرقة الموسيقية عن العزف خيم السكون والهدوء على الحضور جميعاً.

أما قولهم لو أن مهنة أخرى لديهم يعيشون منها لتركوا العزف على الآلات الموسيقية، فإنه برأينا مغالطة وتجنّي على الحقيقة لأن الشخص النوري وخاصةً الرجل كما لمست من عملي الميداني بين تجمعاتهم في قطرنا العربي السوري لا يميل إلى العمل وخاصةً الأعمال التي تتطلب جهداً عضلياً لأن في ذلك إرهاق له وحتى هلاك حتى الموت. فقد سألت أكثر من شخص من الشباب النُّوَرْ لماذا لا تعملون في الفلاحة أو الحفريات أو في أعمال البناء، فكان جوابهم: **أن هذا عمل يميت الحمير**، لدرجة أن واحداً من نور عفرين يلقّب ـ أبو خليل ـ قد قال لي حرفياً: أن واحداً من البلد اشتغل في البناء ومات. لذا قول الرجال النُّوَرْ: «لو كانت لنا مهنة غير هذه المهنة لمارسناها فيه كذب وتزييف للواقع لأنهم لا يحبون العمل المتعب.

ـ النُّوَرْ والغناء:

إن الغناء رأس مال ثابت لدى كل رجل من النُّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية. فالرجل الذي لا يتقن الغناء أو لا يجيده لا يستطيع أن يشارك في الأفراح ليكسب قوت عياله. وإذا كان الشاب لا يستطيع الغناء يجد صعوبة في الزواج، لأن ذلك دلالة كافية بعدم قدرته على تأمين حاجات أسرته المادية بعد الزواج شأنه بذلك شأن الشاب الذي لا يتقن العزف على الآلات الموسيقية. فمن هذا المنطلق نجد أن الآباء يعلمون أبناءهم العزف والغناء منذ الصغر حتى يصبح هؤلاء في المستقبل كفؤاً للمشاركة بالأفراح لأن الغناء والعزف هما المصدر الوحيد الذي يعتاش منه نور المالكية، وفيما يلي قصيدتين يغنيها المغنّون النور بالأفراح وباللغة الكردية:

كُوفي كريْدَهْ هاتْ جويْدَهْ لبامِنْ رونِشتْ أم كتِنْ كيفي دَهْ.
أزْدِلْ مَزِيمْ أزدل هَسِنِمْ تَهجَرْ دِسَكِفيمْ جي إيرويَدْره.
كُودبي إيفارهْ دكي هوارَه باف بومارهْ كتي زَيْدهْ.
دِفي أزْوي بينمْ وي ناخا بنم كوبي جن بمينمْ دُهْالي زَيْده.
كُوفي كريْدهْ هات جويْدَهْ لبامِنْ رونِشْتْ أمْ كتِنْ كيفي ده.

الترجمة للعربية:

رَبَطَتْ الزِّينَة وقَدِمَتْ مِنْ هُنَاك فَجَلَسَتْ عِنْدي فأصابَنا الفَرحْ

بقلبٍ كبير وَقلبٍ قوي أمضيت طيلة اليوم معها

وعندما يأتي المساء فإنّها تَستَنْجِدُ لأنَّ أباها يقف في طريقها كالأفعي.

يجبُ أنْ أراها ولا أخدَعُها حتّى لو طال البُعْدُ بَيني وبين الزواج عشر سنوات.

ربطتْ الزّينة وقدِمَتْ مِنْ هُناك فَجَلَسَتْ عِنْدي فأصابَنا الفَرَحْ

الأغنية رقم (٢)

تهْ بُخديْك تهْ فينخازي أَفْ يامِنَهْ أَفْ يا مِنَهْ

افْ بوجنْدْ سَالْ لهيفياوي مَه لِهفيامِنَهْ

كلي خورْته تلوما جمه نكن كل تشته وُلو بري وَهْ هاتِنَهْ وَهْ هاتِنَهْ

دي ظالمة بافْ ظالمة نايِنْ لاي سَرمِنْ كِرْنَهْ فِهْ بَلايْ فهْ بَلاي

تهْ بْخديْك تهْ فينخازي أفْ يامِنَهْ أَفْ يا مِنَهْ

الترجمة للعربية:

أستحْلفُكَ بالله لا تَخْطُبْها ولا تَتَقرَّب إليها إنَّها لِي

مِنْ عدَّةِ سنواتٍ وأنا بانتظارها وَهِيَ بانتظارِي

أيُها الشَّبابُ لا تَلُوموني لَقَدْ فاتكم مِمَّا أعانيه اليوم /أي الحب/.

الأب والأم ظالِمان لا يَعُودان إلى رشدهما إنَّهما أوْصَلاني إلى ما وَصلْتُ إليه الآنْ

أستحْلفُكَ بالله لا تَخْطُبْها ولا تَتَقرَّب إليها إنَّها لِي

يبدو لي من خلال هذين الأغنيتين، أن الفتاة الكردية ترزح تحت إشراف قوي من أبيها ومن أمها. وأن الفتاة الكردية لا تعطى لمن تحب، إذا علم الأهل بذلك. ويزّوج الأكراد بناتهم دون الأخذ برأيهن، وأن هذا انعكس على البيئة الاجتماعية لجماعات النور التي في وسط البيئة الاجتماعية الثقافية الكردية.

وهذه التربية القاسية للفتاة، غالباً ما تجعل الفتاة تحب وتعشق الغناء، وتكون صادقة في مواعيدها التي قطعتها مع ذلك الشاب، الذي تحلم به ليكون فارس أحلامها.

وعلى ما يبدو أن الشباب من المطاربة نور الأكراد، قد يُقدمون على خطبة الفتاة وإن كانوا لا يعرفونها، وتتم الخطبة عن طريق الأهل فقط، فإذا ما عرف الشّاب أنّها تحب شخصاً آخر، فإنه يبتعد عنها، لأن ضميره يؤنبه على فعلته ذلك.

ـ النمط المعيشي عند جماعات النَّوَرْ المطارية في المالكية:

يعيش النَّوَرْ المطارية في المالكية وقراها: كراتشوك ـ قلعة الحصن ـ النوافية ـ خراب يشك ـ معبدة، في بيوت ثابتة مبنية من الطين ومسقوفة بالقش والقصب والطين. ويمارسون الضرب أو العزف على الآلات الموسيقية في فراغهم في الحفلات التي يحيونها عند أهالي المنطقة، وتُعتبَر مهنة العزف على الآلات الموسيقية المهنة الأساسية التي يعيشون من أجرها:

١ ـ الضرب على الأدوات الموسيقية:

يُعتبَر الرجل النّوري المطربي في المالكية وتوابعها هو العمود الأساسي في تأمين المورد المادي الذي تعيش عليه أفراد الأسرة، لأن المرأة عندهم ربّة بيت وظيفتها الاجتماعية تنحصر في تربية الأطفال وتحضير الطعام وتنظيف وتنجيد أثاث البيت.

وأن الأب يحصل على دخله المالي الذي يعيش عليه أفراد أسرته من خلال آلته الموسيقية التي يلعب عليها ويأتي في مقدمتها المزمار والطبل. وأن الرجل الذي لا يجيد العزف على الآلة الموسيقية يُعتبَر خسارة لا بل كارثة على أفراد أسرته لدرجة لا يستحب الزواج منه لأن مثل ذلك الشاب غير قادر في المستقبل على إعالة أسرته التي يصبح مسؤولاً عنها بعد زواجه.

لذا نجد الأب عند المطارية يعلم أولاده على الآلات الموسيقية: الزرنايا ـ البزق ـ الطبل ويهدف من وراء تعليم ابنه في الصغر العزف على الآلات الموسيقية إلى مايلي:

ـ أن يصبح الطفل مرتبطاً روحيّاً بتلك الأدوات التي تكون المصدر الأساسي للحصول على المال في حياتهم اليومية.

ـ كي يتقن الطفل الضرب على الآلات الموسيقية المتاحة بين أيديهم كي تكون أنغامه حلوة يستحب سماعها من أجل أن تكون بضاعة رائجة في المستقبل لدى الأوساط الشعبية أثناء إحياء المناسبات كأفراح: الزفاف ـ الطهور ـ النذر ـ التسريح من الخدمة الإلزامية ـ العودة من الحج ـ العودة من سفر طويل.

وعلى ضوء ما سبق نجد أن النَّوَرْ المطارية في المالكية يكونون فرقاً موسيقية لا تقل عن رجلين، حيث يقرع أحدهما على الطبل والآخر يعزف الألحان على الزرنايا.

وأن الفرقة تكون جاهزة لتلبية الدعوات لإحياء الحفلات بشكل دائم. فإذا ما أراد أحد من أهل المنطقة أن يزوج ولده عليه أن يذهب إلى النَّوَرْ المطاربة ليعطوا الحفلة الجو المفرح والمرح في آن واحد حيث الشباب يتمايلون في دبكاتهم ورقصاتهم على الألحان التي يعزفونها.

ويتراوح المبلغ الذي يتقضاه أفراد الفرقة الموسيقية طرداً مع المدة التي يقضونها في الحفلة وغالباً ما يكون المبلغ الذي يتقاضاه أفراد الفرقة يتراوح ما بين ٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ ل.س. ويتسّم المبلغ المذكور بين أفراد الفرقة بالتساوي بغض النظر عن العمل الذي يؤديه كل واحد منهم. ويتوقف دخل الفرد النوري المطربي على عدد الحفلات التي يشترك بها. ويمكننا القول أن الدخل الوسطي للفرد الواحد من أعضاء الفرقة الموسيقية يتراوح ما بين ١٣٠٠٠ ـ ١٤٠٠٠ل.س سنوياً. ١٩٩٠م، حسب قولهم لي.

مشهد لفرقة موسيقية أثناء عزفها على الطبل والزرنايا،
في حين الشابات والشباب يرقصون على أنغام الفرقة الموسيقية

وفي معظم الأحيان يكون أحد أعضاء الفرقة الموسيقية فتاة تقوم أثناء العزف الموسيقي بالرقص لتعطي الحفل بهجة ومرحاً وفرحاً أكبر ومتعة للمتفرجين. وهذا ما

يساعد في جعل عدد المشاركين بالحفل كبيراً من الجمهور المحلي رغبة منهم في التمتع بسماع الألحان الموسيقية والرقصات الخفيفة لأعضاء الفرقة الموسيقية من النَّوَرْ المطاربة. والتي تدغدغ العواطف وتلهب المشاعر وبخاصة الشباب منهم.

مشهد فرقة موسيقية ومن بين أعضائها فتاة مطربية تقوم بالرقص على إيقاع الموسيقى.

ويشارك مطاربة منطقة المالكية في العديد من المناسبات الخاصة كالزواج، والطهور، والنذر، والعودة من الحج أو التسريح من خدمة العلم وتكون مشاركتهم هنا مأجورة. وهناك مناسبات مجانية يشاركون بها، حيث توجه إليهم دعوات للمشاركة في الأعياد الوطنية: مثل عيد السابع عشر من نيسان، وعيد الثامن من آذار، وعيد ميلاد الحزب، وعيد السادس عشر من تشرين الأول.

حيث تتوجه الفرقة الموسيقية إلى مدينة المالكية مصطحبةً معها كل ما تمتلك من أدوات موسيقية، وتتقدم تلك الفرق أمام الجماهير المحتشدة في مسيراتهم في شوارع المدينة وهي تعزف على آلاتها الموسيقية مختلف الألحان.

ويشارك النَّوَرْ المطاربة في عيد النيروز المصادف في ٢١ آذار من كل عام وهم يرتدون اللباس الكردي القديم الفضفاض ظنّاً منهم أنهم يرجعون في أصولهم البشرية إلى الأكراد.

مشهد لفرقة موسيقية من النَّوَرْ المطاربة وهي تشارك بعيد النيروز /٢١/ آذار
باللباس الكردي الشعبي الفضفاض والقديم

ـ الشحادة (التسول):

إن ظاهرة الشحادة التي تمارسها المرأة النَّورية بصورة عامة غير موجودة عن نور المالكية سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً. ويعود السبب إلى عدم انتشار ظاهرة أو مهنة الشحادة عند المرأة النورية المطربانية في المالكية إلى الوضع الاجتماعي الذي كان سائداً في تلك المنطقة سابقاً. فقد كان النَّوَرْ هناك ينقسمون إلى عائلات أو مجموعات وكل مجموعة كانت تتبع عشيرة من العشائر الكردية المتنقلة التي كانت تعيش على تربية الماشية والتي كانت تضرب رحالها متى وأنى شاءت دون التقيد بالحدود الدولية. وكان ترحال العشيرة بمثابة عرس متحرك؛ حيث يقوم أفراد المطاربة الذين يعيشون بكنف العشيرة وشيخها بالقرع على الطبول مع العزف على الزرنايا. وبعد أن يحطّوا رحالهم ويضربون خيامهم يقوم النَّوَرْ بالعزف والرقص والغناء أمام بيت شيخ العشيرة وبشكل مستمر يكاد أن يكون الأمر يومياً. ويحيي هؤلاء النَّوَرْ مناسبات الزواج والطهور والنذر لأفراد العشيرة التي يلازمونها.

ومقابل ملازمة النَّوَرْ المطاربة للعشيرة الكردية ولشيخها كان لزاماً على شيخ العشيرة تأمين الطعام واللباس وتقديم الأمن والحماية لهؤلاء الجماعات من النَّوَرْ المطاربة. وكان شيخ العشيرة الكردية الذي عنده من هؤلاء النَّوَرْ يحظر عليهم الشحادة، لأن في ذلك عاراً له أمام العشائر الأخرى لأنه في حال سماحه بالشحادة دلالة قاطعة على عدم قدرته على تأمين الطعام والكساء لهم.

وبعد أن استقرت العشائر الكردية في كل من سورية وتركيا، وشيوخهم وطُبِّق قانون الإصلاح الزراعي في سورية، لم يعد النَّوَرْ المطاربة يلازمون العشائر الكردية والعشائر العربية البدوية بالرغم من الاستقرار لجانبهم في أكواخ من الطين والقش. وعند ذلك ظهرت الشحادة عند النَّوَرْ المطاربة في المالكية ولكن بشكل غير مباشر:

- يذهب الرجل النّوري المطرياني في فترة الحصاد إلى معارفه من الأغنياء، حيث يحصل على مطلبه دون أن يذكر ما يريد. وقد تكون الكمية المعطاة كيساً من القمح أو نصف الكيس، ويعتبرون ذلك زكاة عن مال الله.

- أثناء الولادة، إذا ما رزقت الأسرة بطفل ذكر يذهب الرجال إلى بيت الولادة فيعطى حلواناً مبلغ من المال لا يقل عن عشر ليرات سورية، وأحياناً يزيد عن مئة ليرة سوري إذا كان الرجل قد رزق طفلاً بعد ولادة زوجته المتكررة لعدد من البنات. أما إذا كان المولود أنثى فلا يذهبون إلى بيت الولادة. ولهذا فإن النَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية يحبون الطفل الذكر ويكرهون ولادة الإناث لأن في ذلك مورداً يعتاشون منه. ١٩٩٠م.

لذا فإن البعض من هؤلاء النَّوَرْ المطاربة بمثابة عدّادين دائمين، فإذا ما سألت أحدهم كم حادثة ولادة كانت في الشهر الماضي في القرية الفلانية فإنه يجيب بدقة عن عدد واقعات الولادة من الجنسين.

ويمكننا القول أن النَّوَرْ في منطقة المالكية فقراء قياساً بالنَّوَرْ في منطقة القامشلي وهذا يعود إلى اختلاف في نوعية العمل الذي يمارسه النَّوَرْ في كل من منطقة المالكية ومنطقة القامشلي. فنَوَرْ المالكية يمارسون الموسيقى في إحياء الحفلات بالإضافة إلى حلوانية لولادة الطفل الذكر مع الحصول على زكاة أو صدقة الموسم أثناء الحصاد. ولا يسافر نَوَرْ المالكية إلى خارج القطر العربي السوري كما هو الحال عند نَوَرْ منطقة القامشلي الذين يسافرون إلى السعودية وإلى اليمن وإلى ليبيا، حيث يمارسون الأعمال غير المشروعة هناك من سرقات، ونصب واحتيال:

ـ يذهب الرجل وزوجته إلى الكويت أو إلى السعودية فيعطي زوجته لأحد الأغنياء على أساس أنها أخته، فتبقى لديه فترة من الزمن حتى تأخذ ما لديه من مال ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً بالإضافة إلى عمل السرقة الذي تمارسه في بيت زوجها الجديد. وبعد ذلك ترجع إلى بيت زوجها الأول ومن ثم يعودان إلى سوريا بعد أن حققا ما يريدان. لذا من هذا المنطلق فإن السلطات السورية لا تعطِ للنَّوَرْ جوازات سفر قد كتب عليها السعودية واليمن ١٩٨٨م.

ـ في الصيف فإن نورْ القامشلي يعيشون في خيام من أكياس الجنفيص البالية، ويتنقلون من مكان إلى آخر. وقد أدّى هذا التنقل صيفاً للنَّوَرْ في منطقة القامشلي إلى اتّقان العديد من اللغات منها: الكردية ـ التركية ـ العربية ـ الآشورية بالإضافة إلى اللغة النَّورية التي يطلقون عليها اسم العصفورة أو اللغة الدومرية: (اللسان النوري).

ـ اللباس:

يتسم اللباس الشعبي عند النَّورْ المطاربة بالاتساع والطول سواء كان للرجل أم للمرأة. فالرجل المسن يرتدي غالباً: الجلابية الطويلة والفضفاضة ذات اللون الأبيض أو السكري في معظم الأحيان. ويرتدي تحت القلابية سروالاً من القماش الأبيض. ويلبس فوق القلابية جاكيت. أما غطاء الرأس غالباً ما يكون من منديل أو سلك أو قضاضة بيضاء وفوقها العقال. أما الشباب فإنهم يرتدون اللباس العصري والمكوّن من بنطال وقميص.

فرقة موسيقية بلباسها الشعبي ـ القلابية والقضاضة والعقال، في حين الشاب يرتدي النبطال والقميص

وغالباً ما يكون غطاء الرأس بالنسبة للرجل منديلاً أحمراً يُطلق عليه باللهجة المحلية في منطقة المالكية ـ الْجَمْدَانَة ـ وقد اتضح لي سبب التعلق بالجمدانة الحمراء كغطاء للرأس من خلال الحديث العام مع الكثير من النَّوَرْ في منطقة المالكية إلى ما يلي:

أن العناصر الكردية في شمال العراق وغير الموالية لسلطة الدولة في بغداد يرتدون الجمدانة الحمراء كدلالة على عدم رضاهم على الحكومة العراقية وأنهم منظمون في صفوف المقاومين للحكومة العراقية كدلالة على رغبتهم بالانفصال عن العراق. أما الرجال الذين يرتدون اللباس الأبيض أو الأسود كغطاء للرأس فهذا دلالة على أنهم موالين للحكومة وضد المقاومة الكردية. وعلى هذا فإن الذين يرتدون الجمدانة الحمراء من النَّوَرْ المطارية في منطقة المالكية فهم يميلون إلى القوات الكردية التي تتمرد على السلطة المركزية في بغداد. ١٩٨٧م.

ـ لباس المرأة:

يختلف اللباس عند المرأة حسب السن؛ فالمرأة المسنة تلتزم بالْقَطْع الفضفاض (القلابية) ومحرمة سميكة ذات ألوان مختلفة تضعها على رأسها وتربط المرأة فوق القطع محرمة يطلق الزنار.

أما الفتاة الشابة فإنها تفضل التنورة الشفافة والمحرمة الشفافة أيضاً.

ـ السكن:

يعيش النَّوَرْ المطارية في منطقة المالكية في بيوت ثابتة ومستقرة مبنية من الطين والقش ومسقوفة بالقش والقصب والطين. الغرف غالباً ما تكون صغيرة المساحة وذات شكل يميل إلى الشكل المربع والسقف ليس مرتفعاً إذ لا يتجاوز الثلاثة أمتار. وغالباً ما يُطرش البيت من الداخل بالكلس الأبيض. ولا يعيش نور المالكية في الخيام في فصل الصيف ولا يتنقلون من مكان إلى آخر كما هو الحال عند نور منطقة القامشلي.

وكان النَّوَرْ المطارية في منطقة المالكية شأنهم شأن غيرهم من النَّوَرْ يعتمدون في حياتهم اليومية على حيوان الحمار الصبور. حيث كان بمثابة السفينة البرية الملازمة للنّور في حلّهم وفي ترحالهم كما هو الحال سابقاً عند العرب حيث كان الجمل

سفينتهم التي يتنقلون على ظهرها من مكان إلى آخر لدرجة أنه أُطلق على الجمل اسم ـ سفينة الصحراء ـ إجلالاً للخدمات التي كان يقدمها للعرب البدو آنذاك.

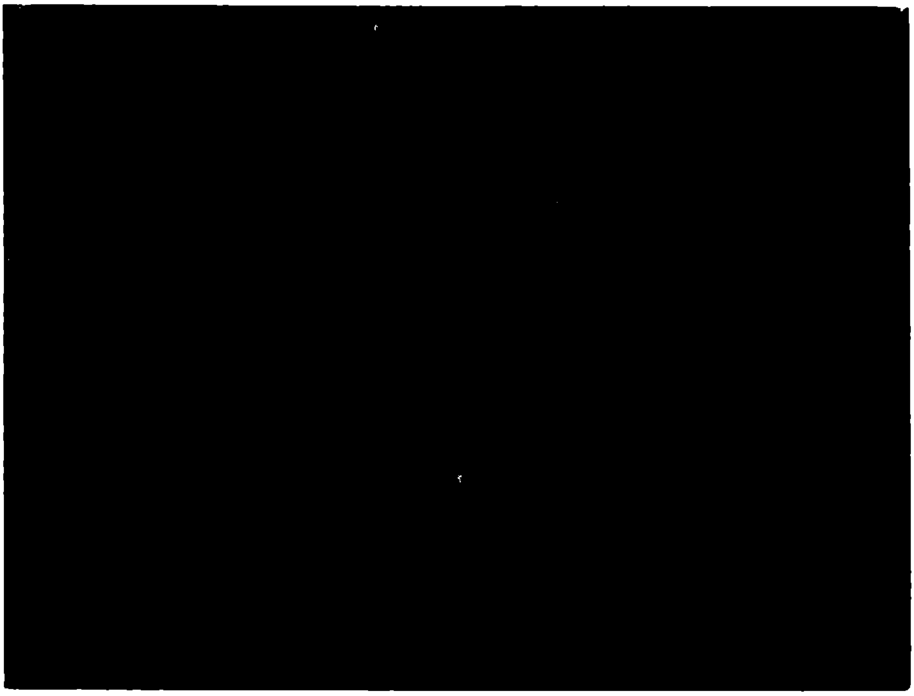

بيت من الطين والقش لأسرة من النَّوَرْ المطارية في منطقة المالكية
ويبدو أمامها الصديق الصبور للنَّور، والذي كان يستخدم وسيلة في الانتقال

أما الآن لم يعد الحمار يتماشى مع روح العصر، لذا نجد الرجل النوري ينتقل من مكان إلى آخر على ظهر دراجة ناريّة من نوع ـ يامها ـ نظراً لسرعتها ولقلة مصروفها من المحروقات. وأن الفرد النّوري في المالكية الذي لا يملك دراجة ناريّة كالرجل الكسيح الذي لا يقدر على المشي، أما الحمار فصار وسيلة لنقل الماء إلى البيوت، لنقل الحبوب من الحقل إلى البيت، ونقل الطحين من المطحنة إلى البيت.

ولا زال الحمار يلقى الاحترام والتقدير من النَّوَرْ نظراً لخدماته الجليلة التي كان قد قدمها لهم في السابق عندما كان سفينتهم التي لا يستطيعون الانتقال إلا على ظهرها هم وما عندهم من متاع. ١٩٨٨م.

- تربية الكلاب:

يهتم النَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية شأنهم شأن بقية فئات النَّوَرْ وبغض النظر عن المهنة التي يمارسونها أنّى شاءوا بتربية كلاب الصيد من نوع - السلوقي - وكلب البُوجي.

السلوقي: يربيه النَّوَرْ في المالكية لصيد الحيوانات السريعة العدو مثل الأرنب والغزال والثعلب.

ويتمتع كلب السلوقي بمكانة جيدة عندهم، حيث يوضع في غرفة خاصة به، ويقدم له الطعام يومياً وفي الأوقات المحددة صباحاً وظهراً ومساءاً وعلى أكمل وجه. وإذا تماطل كلب السلوقي في المهمة الملقاة عليه أثناء عملية الصيد فإنه يقتل من قبل صاحبه لأنه لا يستحق العودة مع صاحبه إلى البيت.

أما كلب البوجي فأهميته تأتي بالمرتبة الثانية بعد كلب - السلوقي - ويستخدم - البوجي - في صيد الحيوانات كالنيص والغريري... إلخ. وأنّ البوجي أبطأ حركة من السلوقي ولكن على ما يبدو أن حاسة الشم عنده أقوى من مثيلتها عند كلب السلوقي.

- تربية الطيور:

يهتم النَّوَرْ المطاربة في المالكية بتربية طيور الحجل والدجاج الرومي صاحب العنق الطويل فطير الحجل محبب لدى كافة النَّوَرْ على اختلاف نحلهم. ويعيش هذا الطير جنباً إلى جنب مع أفراد الأسرة في الخيمة إذا كانوا متنقلين، أو في غرف البيت إذا كانوا مستقرين وهذا ما شاهدته أيضاً عند النَّوَرْ في منطقة السيدة زينب وعند النَّوَرْ في منطقة الشيخ مسكين. فطير الحجل يعتبر هو المؤنس الحقيقي للأسرة التي تملكه إذا أجاد المطاردة والصيد. وإذا لم يتقن طير الحجل الصيد والمبارزة فلا قيمة مادية تذكر له. فطير الحجل الذي يتقن المطاردة والصيد والمبارزة يصل ثمنه إلى ثلاثة آلاف ل.س. أما إذا كان لا يتقن ذلك فلا يزيد ثمنه عن ٢٠٠ ل.س. وحالياً تضاءل وجود طير الحجل عند النَّوَرْ في منطقة المالكية بسبب صعوبة الحصول عليه نظراً لإغلاق الحدود التركية العراقية المجاورة لمنطقة المالكية حيث كان النَّوَرْ يذهبون إلى هناك لاصطياد هذا الطير الجميل. وغالباً ما يوضع الذكر في قفص لوحده كي يبقى دوماً في حالة تعبئة كاملة من أجل المطاردة والمبارزة.

يهتم المطاربة في منطقة المالكية بتربية الدجاج الرومي، ويُخَصُّ ذكر الدجاج الرومي برعاية خاصة فهو المبارز الممتع بالنسبة للنَّور. وغالباً ما تتم المراهنات بين أصحاب تلك الديوك. وتتم المبارزة مرة في العام ويحضر تلك المبارزة كافة النَّوَرْ في هذه القرية أو تلك. وصاحب الديك المنتصر يحظى بالشرط المتفق عليه ويقوم بنفس الوقت بذبح ديك خصمه المهزوم في المبارزة أمام ديكه المنتصر.

نموذج من الديوك التي يهتم بها النَّوَرْ من أجل المبارزة حيث العنق الطويل والمنقار القاسي والحاد

ومن الطيور التي يهتم بها النَّورُ طائر الحمام الذي يصطحبونه في ترحالهم حيث يضعونه في صناديق خشبية ويضعونه في نفس الخيمة التي يعيشون داخلها. وفي حالة الاستقرار فإن الحمام يعيش في صناديق خشبية يضعه أصحابه في واجهات المنازل كما هو الحال في الصورة التالية:

بيت لأحد العائلات في بلدة كرانشوك حيث يبدو الحمام على سطحه

ومـن المهـن الـتي يمارسـها النَّـوَرْ المطاربـة في منطقـة المالكيـة هـي صـناعة الآلات الموسيقية وإصلاحها وضبطها وخاصةً في أوقات الفراغ كي لا يضيعون وقتهم سدىً وغالباً ما يقوم النَّوَرْ بالعزف على الآلات الموسيقية في أوقات الفراغ من أجل إتقان العزف عليها. ويقومون أيضاً بتأليف الأغاني وتلحينها كي تكون جاهزة أثناء دعواتهم للمشاركة في حفلات الفرح.

ومن المهن التي يمارسونها مهنة الصيد بصحبة الكلب السلوقي للتخلص من حياة الملل عندما لا توجد دعوات يشاركون بها. ويقوم النَّوَرْ في المالكية بتبادل الزيارات فيما بينهم للاطمئنان على صحة بعضهم البعض، لأن إلحاق الأذى بأحد منهم، هو إلحاق الأذى بكافة أفراد هذه الجماعة النورية أو تلك أينما كانوا. ويمكننا أن نقول أن النَّوَرْ يشكلون جماعات شديدة الصلة بين بعضها البعض، وأن أفراد كل جماعة تربطهم وشائج اجتماعية قوية جداً فالتجمع النَّوري أشبه ببيت العنكبوت فإذا ما قدم إليه غريب هبّوا جميعاً لدفع ما يمكن أن يحدث لأحدهم من قبل الغريب القادم الذي يشكّل قدومه إلى تجمعهم وجساً وريبة في قلوب أفراد ذلك التجمع صغاراً وكباراً دون استثناء.

ـ الأكلات الشعبية عند نَوَرْ المالكية:

تكاد تكون الأكلات الشعبية التي يفضلها النَّوَرْ المطاربة في منطقة المالكية هي نفس الأكلات الشعبية في المنطقة، ومن أهمها: شوربة العدس ـ اللبن ـ البرغل المطبوخ مع اللحم. وهناك أكلة عامة تتكون من طبقة من الخبز وطبقة فوقها من اللحم وهكذا. وتعرف هذه الآلة بـ ـ الهفيت ـ في حين تسمى في منطقة المالكية الثرود، وهي أكلة دسمة. وبصورة عامة يحب النوري الطعام الدسم بسبب مشاركته في مناسبات الأفراح حيث الطعام الدسم بشكل دائم.

والنوري في بيته كريماً، ويود أن يشاركه كل الناس بكرمه في بيوتهم.

فأينما يتواجد النورْ نجد الطعام الشعبي لديهم والمفضل هو نفس طعام المنطقة التي يتواجدون بها بشكل دائم.

وعلى ضوء ما سبق فإن النَّورْ، بصورة عامة، ليس لديهم طعام شعبي خاص بهم دون غيرهم كي يمتازوا به عن الأناس الذين يعيشون بين ظهرانيهم. إلا أنهم يرغبون وبشدة الحوادّ في طعامهم، مثل: الفليفلة الحارة – الشطّة، إضافة إلى البصل الأخضر والطرخون، والنعناع، كمقبلات أثناء تناول الطعام، حيث اللبن الرائب موجود على موائدهم في أغلب الأحيان، كما لمست ذلك خلال العمل الميداني الذي عانيت صعوباته المادية والمعنوية أثناء جمع المادة الخام.

النَّوَرْ في منطقة القامشلي

- التسمية المحلية:

إن النَّوَرْ في منطقة القامشلي ينعتون أنفسهم أيضاً بكلمة المطاربة، وهي مشتقة كما مرّ معنا في فصول سابقة من الفعل الثلاثي - طَرِبَ - وأن المصدر لهذه الكلمة هي - طَرَبْ - وأن مفرد كلمة المطاربة هي - مُطْرِبْ - وقد انتقلت هذه الكلمة من اللغة العربية إلى اللغة الكردية نتيجة للتأثير المتبادل بين المتكلمين باللغتين المذكورتين وذلك نتيجة للعيش المشترك معاً ولفترة طويلة وفي منطقة محددة في الماضي.

وقد أخذت الكلمة العربية - مُطرِبْ - باللغة الكردية نفس المعنى العربي الأصلي والذي يعني - الشخص الذي يمارس الغناء الشجي الذي يبعث النشوة، والإحساس المرهف في خوالج السامع.

أما التسمية المحلية التي يطلقها سكان منطقة القامشلي على النَّوَرْ المطاربة هي كلمة - القَرَجْ - ويدّعي نور منطقة القامشلي أنهم ينتمون إلى قبيلة - البقّارة - ويفتخرون بنسبهم إليها وذلك حسب قول السيد - الشيخ نايف - وأن قبيلة - البقّارة - هي أحد القبائل التركية المتواجدة في المنطقة الخاضعة لتركيا.

- المنطقة التي قدم منها النَّوَرْ المطاربة إلى منطقة القامشلي:

يقول السيد نايف شيخ النَّوَرْ في منطقة القامشلي عندما وجهنا إليه السؤال المتضمن اسم المنطقة التي قدم منها أفراد جماعته ما يلي:

«إن نور منطقة القامشلي قد قدموا من منطقة في تركيا يُطلَق عليها اسم - جبل مازي - هروباً من الاضطهاد التركي للنَّوَرْ هناك». وقد أردف الشيخ نايف قائلاً حول نفس الجواب «أن النَّوَرْ في منطقة جبل مازي بتركيا كانوا قد هربوا إلى سوريا خوفاً من الخدمة الإلزامية في الجيش التركي آنذاك بالإضافة إلى المعاملة القاسية التي كان يلقاها الإنسان النَّوَري من قبل المواطنين الأتراك أنفسهم».

- التوزع الجغرافي للنَّوَرْ في منطقة القامشلي:

يقول الشيخ نايف أن النَّورْ قد انتشروا بعد مجيئهم من تركيا في كل من مدينة القامشلي والقرى التابعة لها بصورة عامة. إلا أن القسم الأكبر من نَوَرْ منطقة القامشلي يتواجدون في مدينة القامشلي بالذات، حيث يتمركزون في تجمعين رئيسيين هما:

١- التجمع الأول يقع في الحي الشرقي من مدينة القامشلي والمحاذي في نفس الوقت للحي المعروف بـ حي قدوربك.

٢- التجمع الثاني يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة القامشلي وقد أُطلق على هذا الحي اسم ـ حي النَّوَرْ نسبةً إلى النَّوَرْ الذي يسكنون فيه.

وتتصف بيوت النَّوَرْ بالتواضع لكونها مبنية من اللبن والقش، إذ يتكون البيت في أغلب الأحيان من غرفة أو غرفتين على أكثر تقدير. ولا يعطي نَوَرْ القامشلي أهمية إلى بيوتهم، لأن سكناهم فيها يقتصر على فصل الشتاء فقط والذي يعتبر سِجْناً لهم لكونه يحدّ من تنقلاتهم بين القرى وذلك حسب قول كبيرهم الشيخ نايف.

ويتواجد النَّورْ إلى جانب مدينة القامشلي في المناطق التالية التابعة إلى مدينة القامشلي: يوجد قسم صغير في ناحية عامودا ـ وفي ناحية الدرباسية ـ وفي ناحية تل حميس ـ ويوجد عدد قليل من النَّوَرْ في جبل سنجار، وهناك تجمع للنَّوَرْ المطارية لا بأس به في منطقة المالكية.

إن النَّورْ في الأماكن المذكورة التابعة لمنطقة القامشلي لا يشكّلون أحياءً خاصة بهم سواء كان في الدرباسية أو في تل حميس أو في عاموداً. ويبدو أن نَوَرْ منطقة القامشلي بصورة عامة يرتبطون ببعضهم بروابط متينة ويبدو ذلك من خلال واقعات الزواج التي تحصل فيما بينهم إلى جانب الزيارات التي يقومون بها لبعضهم البعض، هذا بالإضافة إلى التعاون والتعاضد وقت الشدائد فيما بينهم.

- الزواج:

يتزوج النّور المطاربة في القامشلي في سن مبكرة، شأنهم شأن بقية فئات النّور الأخرى، أينما كانت منطقة تواجدهم الجغرافية.

فالفتاة غالباً ما يتم زواجها في سن مبكر ما بين الثالثة عشر والرابعة عشر من عمرها. كما أن الشاب في الأغلب يتزوج قبل الثامنة عشر من عمره، وتأكيداً لذلك فقد التقيت بالكثير من الشباب النَّوَرْ الذين يخدمون العلم وهم متزوجون وآباء لطفلين أو ثلاثة أطفال، ومما لمسته في عملي الميداني لجمع المعلومات عن جماعات النَّوَرْ في القطر العربي السوري أن النَّوَرْ يحبون الأطفال كثيراً ويبدي كلّ من الأب والأم عاطفة كبيرة جداً اتجاه أطفالهم وخاصةً في سن الرضاعة.

وتتم الخطوبة للفتاة التي وقع اختيار الشاب عليها، بأن يأتي أهل الشاب إلى عند أهل الفتاة ويطلبون يدها فإذاتمت عملية الخطبة بالإيجاب يتفق الطرفان على تحديد المهر. وغالباً ما يكون المهر مرتفعاً لدرجة قد وصل في صيف عام ١٩٨٦ إلى ٤٥ ألف ليرة سوري. وبعد الخطبة يقوم أهل العروس بشراء بعض الحاجيات البيتية لها كي تضعها في غرفتها (الحصيرة - الفرشة - وغالباً تكون من الاسفنج ولحاف وبعض أواني الطبخ وبيور الكاز) ويذهب المهر بالكامل إلى والد الفتاة أو إلى ولي أمرها.

أما إذا لم تعط الفتاة لمن تحب فإن ظاهرة الخطيفة حاصلة فعلاً في هذه الحالة. إذ يتفق الشاب مع الفتاة التي يحبها بأن يتزوجان دون علم ودراية أهليهما بصورة عامة ودون دراية أهل العروس بصورة خاصة. ومما يسهِّل عملية الخطيفة عند النَّوَرْ هو: أن الفتاة تذهب يومياً من الصباح وحتى المساء لتجلب الطعام والحاجات الضرورية لحياتها اليومية دون أن يسأل عنها أحد إلا في المساء يسألون هل جاءت وماذا أحضرت معها كما أن الفتاة في غيابها عن أهلها طيلة النهار تملك الحرية الكاملة، فهي قادرة أن تتصرف كما يحلو لها شريطة أن لا يراها أحد من أفراد جماعتها لأن معرفتهم بذلك يقودها إلى القتل لأن العرض عندهم لا يساوم عليه.

وبعد أن يذهب الشاب مع الفتاة التي يحبها لمدة تزيد عن الأسبوع أو الأسبوعين يذهب شيخ العشيرة الذي ينتمي إليها الخاطف إلى أهل الفتاة المخطوفة ويتم الصلح بدفع مهر أكبر من المهر المعتاد في حالة الزواج العادي لدرجة يصل أحياناً إلى الضعف وبعد أن يدفع أهل الشاب المبلغ إلى أهل العروس يعود العريس وعروسه إلى أهلهما وتُقام لهما حفلة زواج في معظم الأحيان. أما إذا لم يقدم أهل العريس على مصالحة أهل العروس خلال فترة أقصاها ثلاث سنوات بعد عملية الخطف فإن أهل الفتاة يبدؤون

بالتربص بالعريس الذي خطف ابنتهم لقتله. فإذا ما وقع حبله لدلوهم أهدروا دمه. وعلى أهل الخطيفة في هذه الحالة أن يقتلوا ابنتهم أيضاً كي لا يطالب أهل العريس المقتول بدمه. وفي حال عدم تمكن أهل العروس من الوصول إلى العريس الذي خطف ابنتهم بالذات، فإنهم يلاحقون أي فرد من أقارب الشاب الخاطف من أجل قتله بدلاً من العريس لأن دمه بديل عن دم الخاطف.

وما قيام النَّوَرْ بمثل هذا التصرف إلا دليلاً قاطعاً على نواة بنيتهم الاجتماعية التي تتمحور حول العصبية القبلية. وأن قتل القريب بدلاً من قريبه بالدم ما هو إلا ركن من أركان ظاهرة الثأر الاجتماعية القبلية، السلبية في تبعاتها الاجتماعية.

ومن المعروف عن النَّوَرْ المطاربة في منطقة القامشلي أنهم لا يتزوجون إلا من بعضهم ولا يزوجون بناتهم لأناس لا يمتّون للنَّوَرْ بصلة. كما أن أهل منطقة القامشلي لا يزوجون بناتهم للنَّورْ حتى وإن وقعن في شرَكِ الحب مع شباب النَّوَرْ لأن في ذلك عيب واحتقار لهم من بقية سكان منطقة القامشلي.

- ومن عادات النَّورْ المطاربة في منطقة القامشلي أثناء الزواج أن يقوم العريس في ليلة الدخلة بضرب عروسه ونهرها وذلك إثباتاً لرجولته أمامها من جهة، وليحد من سلطة المرأة في المستقبل، وذلك تماشياً لاعتقاد يسود بينهم وهو أن على العريس أن يفرض شخصيته على عروسه من اليوم الأول.

وأعتقد أن محاولة بسط سيطرة العريس على العروس من اليوم الأول لزواجهما ليست خاصة بالنَّورْ، فعند العرب يسود مثل حول تلك الظاهرة الاجتماعية ـ اقطع رأس القط من أول يوم[1] ـ وأن الهدف من ذلك: إيهام العروس بعنفوان زوجها وأنه قاس لا يرحم إذا أخطأت:

وعندما يؤتى بالعروس إلى بيت العريس بعد الزفاف يدخلون العريس على العروس فعندما يصبح على بعد نصف متر من عروسه يدزونه عليها فيقوم بالضغط على قدمها

---

[1] يعبر تلك المثل عن ظاهرة اجتماعية مؤداها: أن السلطة يجب أن تكون بيد الرجل وأن رب البيت هو الأول والأخير في حسم القضايا البيتية. وأن الزوجة يجب أن تخضع لسلطة زوجها وأن تعمل حسب توجيهاته. ويعود سبب تلك الظاهرة أن المرأة كانت وما زالت في معظمها لا تعمل وإنما قعيدة البيت وهذا ما يقلل من سلطتها في البيت، في حين الرجل هو الذي يعمل ويأتي بالمال والطعام إلى البيت وهذا ما يعزز مكانته السلطوية بين أفراد الأسرة.

بواسطة قدمه الأيمن دلالة وتأكيداً أن الرجل صاحب الكلمة المطلقة في البيت (لكن هذه العادة آخذة بالتلاشي).

إن النَّوَرْ في منطقة القامشلي يرون الزواج السعيد هو الذي يقوم على الحب وأن الزواج الفاشل وغير السعيد هو الذي لا يقوم على الحب المتبادل بين الفتاة والشاب. وأن غناءهم الشعبي يثبت ذلك وبوضوح لا غبار عليه. وعلى الأغلب فإن الفتاة النّورية في منطقة القامشلي عندها الحرية الكافية لاختيار الشاب المناسب كشريك لحياتها. لذا نجد البيت الذي يوجد بنات فيه بمثابة ملجأ للشباب النَّوَرْ من نفس العشيرة التي ينتمي إليها صاحب البيت وولي أمر تلك الفتيات.

إلا أن الشيء الذي يقف عائقاً أمام الفتاة النّورية بقدرتها على اختيار الشاب المناسب لها كزوج هو سنّها الصغير الذي لا يسمح لها بالقدرة على التفكير العقلاني لاختيار الشاب الأكفأ كزوج، لأن النَّوَرْ يزوجون بناتهم في سن مبكرة جداً يتراوح ما بين ١٣ ـ ١٥ سنة فقط. لذا على الشاب في هذه الحالة أن يُؤمِّن أم العروس لجانبه كي يضمن موافقة الفتاة، وأن الفتاة النّوريّة بحد ذاتها عندها القدرة الكافية لجذب الشباب إليها عن طريق صفات تمتاز بها كاللباقة في الحديث وخفة دمها واستعدادها للمزح والتنكيت. وتمتاز الفتاة النّورية ببشرتها السمراء الجذابة وشعرها الأسود كالثعبان. وهذا ما يؤكده غناء نَوَري في منطقة عامودا حيث حبيب يناجي حبيبته قائلاً في اللغة الكردية:

ازبتر لهفنايم تجاري كونه ماجك ندمن جليعا
بورته وش وك شفا طاري ماته ازم أوكر كه وان سيفا
كج هبون بيدر جهزاري متخزتي جته بيغهَ
بشتينه ديبو دينكاري تأزكرم وكاله بريغهَ
كج هبون بيدر جهزاري كي دل فاندي شدة بيغهَ
ازشته دخيدم تزانه جيكو لجمن تبريهايه
تنادم ما له جيهانه رابجوكه بمركهابه
نفيد شبو رامو سانه مه شته دحوست ته ندايه

ترجمة هذه الأغنية ذات المضمون العميق والحزين والمتضمنة عتاباً ملؤه المرارة والسقم من قبل الحبيب لحبيبته:

لا أصالحك أبداً يا حبيبتي إذا لم تعطني قبلة من شفتيك

شعرك الأسود كأنه ظلام الليل وأنا مثل ذلك الذئب الذي يبحث في ظلام الليل

لقد كان هناك فتيات كثيرات مع ذلك أنني لم أختر أحد غيرك

لقد جعلت مني شيخاً هرماً بعد أن عرفتك

لقد كان فتيات كثيرات مع ذلك لم يأخذ أحداً قلبي غيرك

إنني أزعل منك يا حبيبتي لأنني أحبك

إنني بمال الدنيا وما عليها أيتها الصغيرة لا أعطيك

لا تزعلي من أجل قبلة لقد طلبت منك مراراً ولم تردْ.

فإلى جانب الغزل المرهف الذي يوجهه الشاب النوري إلى عشيقته فإنه يكشف بكل وضوح عفة الحب عند النّوَرْ وثقة الفتاة بنفسها وعدم تفريطها بشرفها حتى مع من تحب. وربما هذه العفة من قبل الفتاة في حبها وهي فتاة بكر، لخوفها فيما إذا وقعت في شرك الحب وأرخصت نفسها لمن تحب فأعطته كل ما عندها ومن ثم لم يتزوجها فإن حسابها يكون القتل دون رحمة من قبل أهلها بعد فضح سرّها.

إن النّوَرْ في منطقة القامشلي ينظرون إلى الزواج نظرة احترام وتقدير إذا كان الحب أرضية له وعلى العكس فإنهم يحتقرون كل زواج لا يتخذ من الحب المتبادل بين الشاب وبين الفتاة المتزوجين قاعدة له.

وقد عبر النّوَرْ عن أحاسيسهم الصادقة اتجاه الحب الصادق والذي يجب أن يكون مرتكزاً لواقعة الزواج بين الشاب وبين الفتاة في بيئتهم الاجتماعية التي تتكون من علاقة اجتماعية متشابكة يتحدد من خلالها موقع كل فرد من أفراد تلك الجماعة التي تتخذ من مضمون تلك البنية الاجتماعية سنّة يسير عليها أفراد تلك الجماعة في حياتهم اليومية. وأن أحسن تعبير عن الإحساس المرهف عند الحبيب اتجاه حبيبته هو ما نجده في غناء النّوَرْ الشعبي في منطقة القامشلي والمنطوق باللغة الكردية بصورة عامة مع خليط من كلمات تركية أو عربية الأصل أحياناً مع كلمات من اللغة النّورية الأم

التي يتكلم بها المتقدمون بالعمر ويعرف الصغار الكثير من مفرداتها. ومن الأغاني المعبرة عن الحب والإخلاص للحبيب الأغنية التالية التي تقول:

دربه لمخه برا إذ برنداره بتم من بأيشه هما كواذا الجمتبم

نشرمه إذ بمرم جدرده أفينه لمن بكيجه برا إذ مري بجنا تبم

اذكر وكيشم ما كيعيه بحالمن لياذ برتيشم ته أكريردا ديمن

ري أوريواني تف جبر من هاتته كرتن بسيحنه كو هرسبه لتبزم

دل سودان تف مانه كريدايه أي ديه اسي بكونه هرم

أي بلبل من شدره كوثه خو داين سمر بخك بكونه هرم

براقد بكنه زواجك بيدل إي دل إذ دل برينم

ترجمة هذه الأغنية ذات المضمون العاطفي الرفيع إلى العربية كالآتي:

اجرحيني مهما استطعت ما دام الجرح من يديك

ليس من العيب أن أموت بسبب حبك

لقد أصبحت لا أفقه شيئاً، ألمْ تنظر بحالي وحالك

لقد ربط القلب والعقل عندي ألا ترحميني بحبك

أيها القلب المجروح لا تتألم من جرحك

ما دام القلب واحد والجرح مشترك

أيها البلبل الجميل كم قلت لك

لا تزر بستاناً خالياً من الورود لتظهر حبك

أيها القلب المجروح تألم مادام الألم من أجلك

أيها القلب لقد رفضت الزواج بدون حب فهذا هو عذابك

أيها القلب المجروح عذبني كيفما شئت من أجل حبك

فإنني أحتقر الزواج بدون حب واحترام عذابك

أيها القلب لقد احتقرت أولئك الذين تزوجوا بدون حب وأنا معك

أما فيما يتعلق بالزواج التعددي من قبل الرجل ـ Polygamies ـ عند نَوَرْ القامشلي فإنه يكاد شبه نادر، وإذا ما وجد فهو قليل جداً ولا يوجد بعصمة الرجل أكثر من زوجتين في معظم الأحوال. ويعود سبب هذه الظاهرة حسب توقعاتنا إلى ارتفاع المهر

عندهم والذي يفوق الأربعين ألف وأن هذا المبلغ كبير جداً بالنسبة لدخل الرجل المحدود جداً هناك. وفي الأعراس الخاصة بهم يقوم النَّوَرْ في منطقة القامشلي بممارسة الغناء والرقص برغبة واندفاع لدرجة يرى فيهم الناظر بلابل تشدو وترقص لتنقل البهجة والسرور في قلوبهم وقلوب المتفرجين. ففي الأعراس كما ذكر سكان منطقة القامشلي. إن النَّوَرْ يقومون بالرقص والغناء رجالاً ونساءً بشكل جماعي. كما أنهم يدبكون نساءً ورجالاً معاً دون تمييز. وفي الأعراس تتزين الفتيات بلباس قشيب يغلب عليه الألوان المزركشة الفاقعة. وتسود أعراس النَّوَرْ الحرية المطلقة في أداء الرقص والغناء والدبكة دون أن يحد من فرحتهم أي قيود تكبل من حريتهم. وأن المشاهد لأعراس النَّوَرْ يشعر بالراحة النفسية ويرى بأم عينه عدم التصنع في الحركات التي يؤدونها سواء من قبل الرجال أم من قبل النساء. ويغلب على غنائهم النغم الحلو والمضمون العاطفي الخفيف والعذب.

وهذه أغنية عاطفية رقيقة يغنونها في الأعراس:

شف روجه إذ لهيفيا تمه ته دلي همي كركل غمه

وره لادكه إذ لهيفيا تمه قربان حياران بجماتمه

دردة أفينه دردك بركرانه دروك برزورة نينة درمانة

ايه كونينه أوبيه نزانه وره لاوكه إذ لهيفياتمه

روكي من صورة شرنكه كوله جعفمن رشه جبحرة كلاة

وره لاوكه إذ لهيفياتمه قربان حياران بجناتمه

ده ديمن همي كر كل غطه

الترجمة إلى العربية:

لقد انتظرتك طويلاً يا حبيبتي

لقد ولعت قلبي بانتظارك

ألم تعرف يا حبيبي أن الحب صعباً لا يحتمل الانتظار

ولكن عذراً يا حبيبتي لا يعرف الناس بقيمة الحب إلا الذين وقعوا فيه

لأن الحب مرض لا شفاء منه

لقد انتظرتك طويلاً يا حبيبتي

تعالي فداوني أنت الطبيب وأنت الحبيبة

تعال انظر يا حبيبي لقد أصبح خدي أحمراً كلون الورود

وصارت عيوني كعيون الغزال وصار صدري بستاناً من الورود

تعالي يا حبيبتي لقد انتظرتك طويلاً

- الطلاق عند نَوَرْ القامشلي:

إن نَوَرْ القامشلي لا يختلفون عن النَّوَرْ في بقية مناطق بلاد الشام، وحتى في بقية أقطار الوطن العربي وفي بقية المناطق الأخرى من العالم. فهم شعب مزواج وليس مطلاق. فالطلاق عند النَّوَرْ حالة نادرة الوقوع لكون المرأة في البيت ذات كلمة مسموعة بسبب مكانتها المادية العالية التي تتمتع بها والناجمة عن الشحادة التي تمارسها المرأة يومياً في حياتها الزوجية. وهذا ما يجعل المرأة المسؤول التمويني الأول عن أطفالها وحتى عن زوجها. وكما يقول الشيخ نايف لا يستطيع الرجل ضرب زوجته أو طلاقها وهذا ما يجعل السيطرة في البيت عند النَّوَرْ في منطقة القامشلي وغيرها من المناطق بيد المرأة إلى حدٍّ كبير.

وفي حال حدوث الطلاق فإن المرأة المطلقة كما اتضح من أحاديث الكثير من الرجال النَّوَرْ في مناطق مختلفة من القطر العربي السوري، تصبح مرغوبة لدى رجال عشيرتها لدرجة كبيرة.

وتفسير مثل هذا الموقف لديهم عائد إلى أن المرأة هي التي كانت قد طلبت الطلاق من زوجها لأنها تعتبر نفسها أفضل منه، وأنه لا يليق بأن يكون زوجاً لها. والمرأة في هذه الحالة تكون حرة في اتخاذها قراراً جديداً ترتبط من خلاله بزوج جديد وأن مهرها تأخذه هي في هذه الحالة وتعطيه لأولادها إذا كان لها أولاد من زوجها الذي طلقته، وذلك في حالة كونهم كباراً أما إذا كانوا صغاراً فإنها تعطي المبلغ لمن يهتم برعايتهم أو تحتفظ به لهم ريثما يكبروا.

ـ نظرة النَّوَرْ إلى غيرهم من سكان منطقة القامشلي:

ينظر النَّورْ في منطقة القامشلي إلى غيرهم نظرة دونية ذات طابع لا يخلو من التعصب العنصري إذا جاز لنا ذلك. فالنَّورْ يعتبرون أنفسهم أسمى وأفضل من كافة السكان الذين لا ينتمون بأصولهم إلى النَّوَرْ بما فيهم السكان الأكراد الذين يزعمون أن لهم صلة القربى بهم. فالنَّوَرْ في منطقة القامشلي لا يزوجون بناتهم إلى الأكراد في المنطقة التي يتواجدون فيها ويعتبرون ذلك عاراً عليهم بالرغم من أن النَّوَرْ يتكلمون اللغة الكردية. كما أن السكان الأكراد لا يزوجون بناتهم للنّور ولا يأخذون من البنات النّوريات زوجات لهم.

إن في هذه الظاهرة الاجتماعية لخير دليل قاطع على زيف وكذب النَّوَرْ في منطقة القامشلي بأنهم أكراد. أما نظرة السكان إليهم فهي نظرة دونية بسبب سلوكيتهم المنحرفة في الشحادة والرقص وما يتبع ذلك... إلخ.

ـ الوفاة وطقوسها:

إن لحادثة الوفاة عند النَّوَرْ في منطقة القامشلي وقعاً أليماً في نفوسهم، حيث ينتاب الجماعة المنقوصة الصراخ والعويل والبكاء الشديد والمصحوب بالصياح مع لطم للوجه والخدش له عن طريق أظافر اليد بالنسبة للنساء. وتقوم النساء أيضاً بشَدُّ شعرهن مع ضرب للرأس بوساطة الكف. وأحياناً ما تقوم النسوة بذر التراب أو الرماد (السكن) على الرأس إذا كان المتوفى عزيزاً عليها مثل الأخ أو الابن أو الأب.

ففي صيف عام ١٩٨٦ خلال زياراتي الميدانية للنّور في منطقة القدم بجنوب مدينة دمشق شاهدت منظراً من قبل فتاة من العشرين من عمرها قد توفيت والدتها حيث كانت تلطم وجهها وتخدشه بواسطة أظافر يدها لدرجة أن الدم كان يسيل من خديها، في اليوم الثالث من الوفاة ذهبت إلى دار المتوفية للأخذ بالخاطر كالمعتاد كي أستطيع التقرب منهم إلا أن الذي حصل عكس ما كنت أتوقع: فقد سَلَّمْتُ عليهم جميعاً مترحمنا على روح المتوفى وأسقوني القهوة لكن دون أن يكترث بي أحد من الحضور حتى الشخص نفسه الذي يدعى ـ أبو زهير ـ وهو مختار النَّوَرْ في منطقة القدم، لم يرحب بي، الذين يزعمون لأنفسهم زوراً وكذباً أنهم أكراد ويرفضون رفضاً قاطعاً

كلمة النَّوَرْ، إلا أن الواقع أنهم - نَوَرْ الأكراد - (هم نور ولكن يتكلمون اللغة الكردية لأسباب تاريخية جغرافية) وما يحدث عند النَّوَرْ في منطقة القدم يحدث عند النَّوَرْ في منطقة القامشلي كما روى لي ذلك الشيخ نايف كبير النَّوَرْ في المنطقة المذكورة.

أما طقوس دفن الموتى كما روى لي السيد نايف لا تختلف عن الطقوس الدينية عند الأناس من السكان المحليين لكونهم يدينون بالديانة الإسلامية.

- يتم غسل الميت ومن ثم تكفينه بكفن أبيض اللون ومن ثم يواري جثمانه في مقابر المسلمين بعد أن يصلى عليه الجنازة، ويوضع الميت في القبر على جنبه الأيمن ورأسه إلى الغرب ورجليه إلى الشرق ووجه الميت نحو القبلة ولا يكفنون الميت بعدد زيجاته قبل وفاته.

- الولادات:

إن التزايد السكاني عند جماعات النَّوَرْ بصورة عامة مرتفع في نسبته ويزيد بدوره عن ٤٪ ومما لمسته أن النَّوَرْ شعب ولود ويحبون الأطفال كثيراً. والمرأة عندهم تبقى منجباً للأطفال مادام عمرها الإحيائي يسمح لها بذلك دون أي ضجر أو تأفف من الوالد أو الوالدة حتى وإن كان الرجل زوجاً لأكثر من امرأة في نفس الوقت.

يفرح النَّوَرْ في منطقة القامشلي بولادة الطفل الجديد وخاصةً إذا كان ذكراً على حد قول الشيخ نايف لأن في المولود الذكر زيادة في قوة أفراد العشيرة التي ينتمي إليها الطفل الوليد. فالنّور مجتمع عشائري وأن المجتمعات العشائرية تتباهى بعدد رجالها الذين يشكلون السياج المنيع لها اتجاه كل من تسول له نفسه النيل من كرامة أفرادها الذين ينتمون إلى تلك العشيرة برباط الدم.

كما لا يمكن أن نخفي فرح النَّوَرْ عند ولادة الطفل الأنثى لأن المرأة هي العمود الأساسي في النمط المعيشي للجماعات النّورية بغض النظر عن أماكن تواجدها ودون النظر إلى التسميات المحلية التي تطلق عليهم من قبل السكان المحليين الذين يعيشون بين ظهرانيهم. كما أن البنت إلى جانب مكانتها التموينية في البيت عند أبيها قبل زواجها، فهي تؤمن له مبلغاً من المال كمهر لها مقابل تزويجها في المستقبل. فمن هذا المنطلق تلقى الطفلة الأنثى عند ولادتها ترحاباً من قبل أهلها.

النمط المعيشي عند نَوَرْ منطقة القامشلي: ١٩٨٨م.

يعيش نَورْ منطقة القامشلي حياة نصف مستقرة، فهم ثابتون في الشتاء في بيوت متواضعة صغيرة المساحة دون أن يهتموا بها لا في الشكل ولا في المضمون بسبب شعورهم غير الطيب اتجاهها لكونها تحد من حركتهم طيلة تواجدهم الشتوي. لذا فهي بمثابة سجن لهم كما تحدّث الشيخ نايف. وفي الصيف يحملون أمتعتهم وخيامهم على حميرهم وخيولهم التي تجر العربات ذات العجلات الأربع. ومن ثم يبدأ فصل التنقل من قرية إلى أخرى كي يحصلوا على نصيبهم من القوت ومقومات الحياة عن طريق المرأة التي تقوم بممارسة الشحادة من الصباح وحتى المساء، في حين يقوم الرجال بصنع الغرابيل أو بممارسة مهنة ـ درانزير: تلبيس الأسنان برقائق معدنية سواء كانت من معدني النحاس أو البلاتين الأبيض. وأحياناً يضعون جسوراً كتعويض للأسنان الساقطة عند الأشخاص أصحاب الأسنان غير السليمة. ومن المهن التي يمارسها الرجال مهنة صيد طيور الحجل بواسطة كلاب السلاقي. ويمكننا القول أن نَوَرْ منطقة القامشلي ينتابهم الحزن والكآبة مع حلول فصل الشتاء لأنهم سيعيشون طيلة فصل الأمطار وهم رهناء لأربعة جدران لعدم قدرتهم على التنقل أما مع إطلالة فصل الصيف فإن الشعور بالمرح يسيطر عليهم، وتدب في أوصالهم الحيوية والنشاط فيقومون بحزم أمتعتهم وخيامهم ووضعها على عرباتهم التي تجرها الخيول إلى حيث يريدون.

ـ السكن عند النَّوَرْ المطاربة (القرج) في القامشلي:

إن غالبية النَّوَرْ في منطقة القامشلي لم يستقروا بشكل نهائي حتى يومنا هذا إلا القلة الضئيلة التي لا تكاد تذكر قد استقرت بشكل دائم بعد أن تحسنت أوضاعهم المادية لدرجة أنهم صاروا يملكون الشقق السكنية الجيدة والمركبات السياحية الحديثة. يتكوّن البيت الذي يسكن فيه الشخص النَّوري وأفراد أسرته سواء كان في مدينة القامشلي بالذات أو في الأماكن السكنية الأخرى التابعة للقامشلي

مثل: الدرباسية ـ عامودا ـ تل حميس ـ جبل سنجار ـ أو في منطقة المالكية، من بيت طيني متواضع ذو شكل طولاني مسقوف بالخشب والقصب والطين. وأن ارتفاع منازلهم أقل من ثلاثة أمتار. وغالباً ما يكون للمنزل شباك واحد فقط، ويقع ذلك الشباك إلى يمين أو يسار باب الغرفة.

وأن سبب تكوين جدران المنزل من الطين والقش يعود إلى طبيعة المنطقة التضريسية الخالية من الحجارة على سطحها. وأن عملية بناء المنازل من التراب المجبول بالتبن والماء إلا صورة من صور التكيف والتلاؤم التي استطاع الإنسان من خلالها التأثير في الطبيعة من خلال مستواه الثقافي الذي بين يديه. فالطبيعة هنا قدمت الإمكانيات المادية وأن الإنسان استغل تلك الإمكانيات لصالحه عن طريق المستوى الثقافي الذي وصلت إليه ثقافته المادية.

فالإنسان بمنطقة القامشلي في تكيفه مع بيئته الطبيعية في بناء منزله مشابه لتكيف الإنسان الساكن في منطقة إدلب وبعض المناطق التابعة إلى حلب حيث بنوا بيوتهم بدورهم من التراب الممزوج بالقش بواسطة الماء. إلا أن شكل البيت هنا يكون على الأغلب شبيهاً بالقبة.

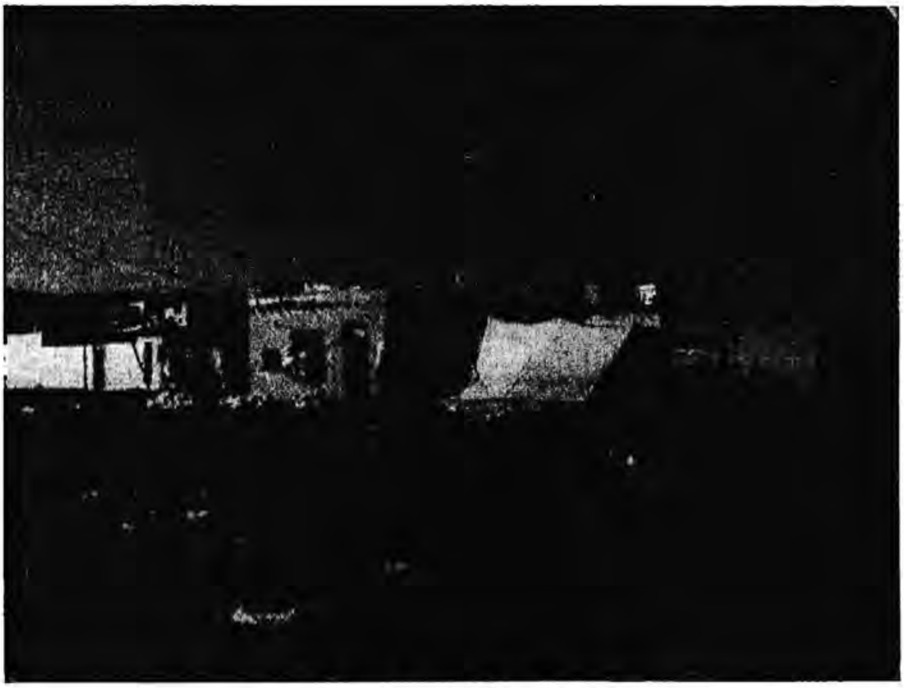

نماذج لبيوت النُّوَرْ الطينية في مدينة القامشلي

وإلى جانب المنزل الطيني نجد في بعض الحالات انتصاب الخيمة إلى جانبه لكونها تتمشى مع سلوكيتهم التي تميل إلى الحرية في الحركة، وتنفر من المكوث طويلاً بين الأربع جدران لأن في ذلك تكبيلاً لنفسيتهم وشعورهم وحركتهم الاجتماعية والمعيشية.

وغالبا ما يتكون المنزل من غرفة واحدة أو من غرفتين على أكثر تقدير، ويبدو من الصورة التالية أن منازلهم منارة بالكهرباء وأن البعض من أصحاب تلك المنازل يملكون أجهزة الرائي. /١٩٨٦م/.

ـ اللباس الشعبي عند النَّوَرْ في منطقة القامشلي:

لباس الرجل: يرتدي الرجل النَّوري في منطقة القامشلي ـ القلابية ـ وفوق القلابية يرتدي الجاكيت ويتكوَّن غطاء الرأس عندهم من الحطة أو المنديل أو القضاضة ويوضع فوق الغطاء المذكور العقال المصنوع من شعر الماعز.

أما الشباب فإنهم يرتدون اللباس الأوروبي العصري الذي غزا الشعوب المتخلفة ومن ـها الوطن العربي وذلك كجزء لضياع الشخصية الوطنية وزعزعة ثقة الفرد في العالم ـخلف بعاداته وتقاليده التي تشده دوماً نحو الشخصية المتماسكة غير القابلة للذوبان ـ تيارات الحضارة الغربية كلقمة سائغة لا تحتاج إلى لَوْكٍ من أجل مضغها، ويتكون ـك اللباس من البنطال والقميص.. الخ.

لباس المرأة: في الغالب تبقى المرأة أكثر قدرة من الرجل في محافظتها على لباسها ـبي التقليدي في خضم اللباس العصري للمرأة الأوروبية الذي يسري بين نساء العالم ـ سريان النار في الهشيم. وأن سبب قدرة المرأة في المحافظة على لباسها الشعبي ـها أكثر خضوعاً للعادات والتقاليد الموروثة عند أفراد جماعتها التي تنتمي إليها ـعياً وإحيائياً. لذا نجد المرأة الشابة إلى حدٍ ما شبه متحررة من اللباس الشعبي ـي للمرأة النوريّة في منطقة القامشلي، في حين نجد النساء المتقدمات بالسن ـ اللباس الطويل والفضفاض والذي يسمى ـ الزبون ـ باللهجة المحلية عند سكان ـ أو ـ الخفتان ـ عند النَّوَرْ.

ـ الفتاة الشابة فغالباً ما تلبس ثوباً طويلاً وفضفاضاً من الأسفل ومخصر في ـ ـه فتحة في مقدمة العنق وحتى الجزء الأسفل من الصدر. وغالباً ما يتكون

لباس المرأة النّورية من الألوان الفاقعة مثل الأحمر والأزرق والأسود والأصفر والوردي، وكلها تمتاز بالشكل المنقط والتي تتكون من أكثر من لونين في أغلب الأحيان.

وتلبس المرأة النّورية في منطقة القامشلي ـ السروال تحت الزيون أو الخفتان، إذا كانت متزوجة ومتقدمة بالسن أو شابة على حد سواء. وتضع المرأة على رأسها كغطاء قطعة قماش رهيفة تلفها على رأسها وعلى عنقها في نفس الوقت. ويكون غطاء الرأس إما من لون واحد أو متعدد الألوان في آن واحد.

امرأة من نَوَرْ منطقة القامشلي بلباسها الشعبي الذي يدعى ـ الخفتان ـ
وعلى رأسها غطاء من القماش الأحمر اللون ويبدو السروال تحت الخفتان

إن اللباس الشعبي والتقليدي عند المرأة النّورية وخاصةً ما يدعى بـ ـ الخفتان ـ شبيه تماماً باللباس التقليدي الشعبي الذي تلبسه المرأة الكردية المتقدمة بالعمر حيث ترتدي ثوباً من القماش الطويل والفضفاض وترتدي فوق الثوب الطويل قطعة من القماش تلفّها على كتفيها وتربط طرفي تلك القطعة في أسفل ومنتصف المنطقة الواصلة بين الكتفين مما يعطي للكتفين والذراعين من الخلف الشكل المنتفخ. كما أن لبس السروال تحت الخفتان من قبل المرأة النّورية المتقدمة بالسن أو تحت الثوب الطويل والمزركش بالألوان الفاقعة بالنسبة للشابة ما هو إلا تأثرٌ واضح بالسكان المحليين من الأكراد الذين يدينون بالديانة الإسلامية حيث اللباس الطويل والفضفاض والمحتشم لدى نسائهم.

ومن عادة النَّورْ أينما كانوا أنهم لا يمكثون في القرية الواحدة طويلاً من الوقت كي لا يتأفف منهم أهلها لأن في إطالة المكوث تناقص في الكمية التي يشحدنها النساء. ويتعرض النَّورُ أثناء التجوال إلى معاملة قاسية أحياناً من قبل بعض الأشخاص بهدف ثنيهم عن عادة الشحادة من جهة وحثهم على العمل للحصول على الرزق بشكل شريف من جهة ثانية، لكن ذلك يحتاج إلى وقت طويل حتى يتم فيه انحسار عادة من العادات، وذلك من خلال تغيير نمطهم المعيشي المتنقل إلى نمط معيشي يقوم على الاستقرار.

- العمل الذي يمارسه الرجل النوري في منطقة القامشلي:

يكاد الرجل النَّوري بصورة عامة غير مسؤول عن تأمين المواد التموينية لأن تلك المهمة مناطة بالمرأة فقط. وأن ما يمكن أن يجمعه الرجل في يومه من مال مقابل العمل الذي قام به ما هو إلا رديف لما جمعته المرأة في يومها وليس أساس.

يمارس الرجل النوري في منطقة القامشلي كغيره من الرجال من أبناء جلدته مهنة الصيد الليلي منه والنهاري على حد سواء، وذلك بمساعدة الكلابّ الخاصة لهذه المهمة مثل كلب السلوقي والبوجي... وأهم الحيونات التي يفتخرون بصيدها يأتي النيص - الأرنب - الثعلب - الفريري - الغزال إن وُجِدَ. وأما هواية صيد طيور الحجل فهي المتعة التي ما فوقها متعة بالنسبة للرجل النوري لأن في طير الحجل كما يعتقدون تكمن قوة الرجل العضلية وذلك من خلال مبارزة طيور الحجل مع بعضها عن طريق أصحابها.

- صيد طير الحجل:

يطلق **النَّورْ في منطقة القامشلي على طير الحجل تسمية - كو - وأن الفصل الذي يمارسون فيه هوايتهم لصيده هو فصل الشتاء ويتم ذلك في منطقة جبل عبد العزيز. ويقوم الرجال فقط بممارسة هواية صيد هذا الطائر المحبب إلى قلوب كافة فئات النَّوَرْ من النساء. ويبيعون الذكر من طير الحجل والذي اصطيد مؤخراً بمبلغ لا يتجاوز - [illegible] ل.س - لأن هذا الطير لا يجيد الصيد ولا يجيد المبارزة بعد. وبعد أن يعلمون هذا الطير فن الصيد وفن المبارزة يرتفع ثمنه إلى ما يزيد عن ٣٠٠٠ ل.س. كما أن ذكر الحجل بالنسبة للبيت النوري هو بمثابة ساعة المنبه التي تدق جرسها بين وقت وآخر وخاصة في الصباح الباكر.**

ومن الهوايات المفضلة عند النَّورْ التمتع بمنظر القتال الذي يحتدم بين ذكور طائر الحجل لدى وضع اثنان مع بعضهما، وقد ذكر لي أكثر من رجل من رجال النَّوَرْ في

منطقة القامشلي وغيرها ما يلي: «أن الرجال من النَّوَرْ يعتبرون أن شخصيتهم ممثلة في ديوكهم أثناء المبارزة. وأن الرجل صاحب ذكر الحجل المغلوب في المبارزة يعتبر نفسه مغلوباً أيضاً. وأحياناً ما تنتهي المبارزة بين ذكور الحجل بشجار بين الرجال الذين يملكون تلك الطيور التي دفعت وحرضت لإدماء أجسامها عن طريق مناقير بعضها البعض القوية». ولقد ذكر الشيخ نايف حادثة حول شجار الرجال بعد نهاية المبارزة بين الذكور من الحجل التي يملكونها هذه القصة الطريفة والمؤسفة في نفس الوقت:

«جرى قبل عشرة سنوات مبارزة بين ذكرين من الحجل العائدين في ملكيتهما إلى شخصين كانا قد اتفقا على دفع ديكيهما من الحجل للمبارزة، وأثناء المبارزة ووصول الديكين على بعضهما في ساحة إثبات القدرة قام صاحب أحد الديكين بضرب ديكه بحصوة صغيرة بهدف دفع وتحريض ديكه على الانقضاض على الديك الآخر الخصم. لكن صاحب الديك الثاني اعتبر تلك الفعلة بمثابة تحريض من أجل قتل ديكه من ديك الحجل الآخر، مما أدى به إلى مشاجرة مع زميله وكانت حصيلة الشجار أن واحداً منهم قد قتل الآخر. حصل هذا عام ١٩٧٦م.

أما الحيوانات الأخرى مثل الأرنب والثعلب وابن آوى فإنهم يصطادونها عن طريق حيوان كلب السلوقي السريع العدو.

يبدو في الصورة ـ كلب السلوقي ـ أمام خيام ومنازل الطين المتواضعة والعائدة للنّور في مدينة القامشلي

ـ المرأة وعادة الشحادة:

تُعتبر المرأة عند الجماعات النَورية العنصر الرئيسي في الأسرة، حيث يقع على عاتقها تأمين الطعام واللباس والشراب لها ولكافة أفراد أسرتها بما فيهم زوجها. فالمرأة النَوريّة تسعى طيلة النهار من الصباح وحتى المساء، وهي تتجول بين بيوت هذه القرية وتلك لتحصل على الأشياء الضرورية لأفراد أسرتها دون تحديد. وأشبه ما تكون المرأة النَورية في سعيها اليومي والدؤوب دون أن تعرف التعب ولا الملل فهي كالنحلة العاملة التي لا يهنأ لها بال إلا أن تقدم ذاتها ضحية وهي في رحلتها اليومية كي تجمع الرحيق من الأزهار لتطعم نفسها وتطعم غيرها من اليرقات والملكة وحاشيتها. فالمرأة النوريَة في منطقة القامشلي تقوم بتجوالها يومياً بين القرى ولكن يصل هذا التجوال ذروته صيفاً وخاصة في موسم الحصاد لتجمع أكبر كمية ممكنة من المال والطعام والأشياء العينية حتى ...دية منها. فالمرأة النورية لا تخرج من البيت التي طرقت بابه إلا بعد أن تحصل على ...يبها من قبل أصحاب ذلك البيت. وتحمل المرأة ـ الكشت[1] ـ التي حصلت عليه في ...يس يكون معلقاً على كتفها الأيمن بصورة عامة على شكل جناد[2].

تتصف المرأة النورية في منطقة القامشلي على حد تعبير السكان بقدرتها على ...ول على ـ كشت[3] ـ من أي بيت تدخل إليه بفضل حديثها الحلو والممتع، عن ... تلاعبها بالألفاظ ذات المضمون العاطفي: فهي بكلماتها الرقيقة تتلاعب بعواطف ...ربات البيوت اللواتي يُشحّذنَ المرأة النورية وذلك حسنة عن زوجها أو أولادها ... منهم خاصة، هذا من جهة، وكي يحفظ لها الله أولادها وزوجها من أي أذى ... أن يقودهم إلى الضرر.

...ل الناس في منطقة القامشلي أن المرأة النورية إذا ما فشلت بالحصول على ـ ... ـ تنقلب إلى إنسانة قاسية بسلوكها وكلامها اتجاه صاحبة البيت التي لم

---

[1] ...ي تحصل عليه المرأة من البيوت أثناء تجوالها، يطلقون عليه ـكشت ـ.

[2] ...و الكيس الموضوع على الكتف بشكل جناد كلمة ـطورك ـ وغالباً ما يكون مصنوعاً من القماش المتين وأحياناً يكون ...ي.

[3] ...و الشيء العيني، أو النقدي الذي تستطيع المرأة النورية الحصول عليه عندما تطرق باب منزل ما من قبل ساكنيه. ولا يعتبر ... حقاً شرعياً لهم عليهم استعادة جزء منه من الناس غير النور.

تعطها حسنة عنها وعن أولادها. ولا تخرج من الدار إلا إذا أخذت شيئاً من أصحابه ولو أدى ذلك إلى حد الشجار معهم.

وتأخذ المرأة النورية معها طفلها الصغير سواء كان رضيعاً أم أكبر لتحصل على نصيب أكبر من الشحادة فهي تطالب بحصتها وحصة الطفل الذي تحمله على ظهرها أو تقوده بيدها، ويُطلق نَوَرْ القامشلي على الطفل الذي تحمله أمه على ظهرها في تجوالها لقب ـ الدوقو ـ (لا علاقة لها بالكلمة الجرمانية ـ دَوْق ـ والمواد التي يشحدونها هي كافة المواد التموينية من لباس وأحذية وطعام ومحروقات وزيت وسمن....إلخ، ولا تخرج مفلسةً من الدار التي دخلت إليها.

ويقول أهالي القامشلي أن النَّوَرْ هناك غالباً ما يستخدمون بشكل جيد الفتيات الجميلات في ظاهرة التجوال لكي تجمع أكبر قدر ممكن من الأشياء ـ كِشْت.

ـ يمارس الرجل النوري في منطقة القامشلي مهنة صنع الغرابيل والمقاطف القمّاحِيَّة والشَّعَّارِيَّة. إلى جانب صنع الغرابيل الصغيرة (الغربيلة) والتي يطلق عليها في منطقة القامشلي ـ المناخل ـ ويمارس هذه المهنة بصورة عامة الرجال المتقدمون في السن فقط فيؤمنون الجلود من المسالخ الحكومية في كل من الحسكة أو في القامشلي أو من حلب بصورة عامة نظرة لوفرة الجلود هناك:

يقوم الرجل النوري بتقطيع الجلد بعد تجفيفه وتنظيفه إلى خيطان جلدية لا يتجاوز عرضها الثلاث مم، يُطلق على هذه الشرائح بالعربية ـ سَرْيُد ـ وبلغة الدومرية (النَّوَرْ) يُدعى ـ دُوْوَالْ ـ وقد قال لي شيخ طاعن في السن: أن النَّوَرْ الغرابلية كانوا في منطقة القامشلي سابقاً يحصلون على جلود الحيوانات من أجل صنع غرابيل ومقاطف وكرابيل ومناخل عن طريق سلخهم للحيوانات الفاطسة كالحمير والخيول والبقر، وقال أحياناً يشترون الدابة الضعيفة الهزيلة التي لا أمل منها فيذبحونها ويسلخونها ليأخذوا جلدها. وقد لاحظت مثل هذه الحالات كثيراً في حوران وخاصةً في منطقة ـ نوى ـ صيفاً وأنا طفل، حيوانات من حمير وخيول خارج البلدة فاطسة لكن جلدها مسلوخ عنها. فسألت والدتي الحاجة مريم رحمة الله عليها آنذاك لماذا هذا الحيوان مسلوخ جلده فكانت إجابتها «سلخها النَّوَرْ حتى يساوون من جلدها غرابيل ومقاطف كي نستعملها في البيدر».

ـ مهنة تلبيس الأسنان ـ دران زير ـ :

يمارس معظم الشباب النُّوَرْ ـ القرج ـ في منطقة القامشلي مهنة تلبيس الأسنان المريضة عند السكان المحليين برقائق معدنية من نحاس وبلاتين أو ذهب. إلا أن الذهب أصبح غير متوفر بسبب ارتفاع ثمنه مما جعلهم يقتصرون على شراء معدني النحاس والبلاتين، في حين إذا كان مع الشخص الذي يريد تلبيس أسنانه رقائق الذهب، فإن الرجل النوري في هذه الحالة يقوم بتلبيس الأسنان المعطوبة مقابل أجر يده فقط.

هناك قسم ضئيل من الشباب النُّوَرْ في القامشلي قد ارتبطوا مع الدولة بوظائف بسيطة معظمها خدمية. والذي وصلت إليه من خلال الأسئلة التي كنت أطرحها على الشباب، لماذا لا تعملون بمشاريع تابعة للدولة، كان جوابهم ما يلي: لا نقرأ ولا نكتب وإن الأجار الذي سنأخذه من الدولة لا يكفي.

وأنّ الأطفال الصغار حتى سن الرابعة عشر من العمر لا يعملون شيئاً وإنما يلعبون حول المنازل والخيام، في حين يقوم البعض منهم بممارسة مسح الأحذية في بعض شوارع مدينة القامشلي.

وظاهرة بقاء الأطفال في البيت دون عمل فقط مقصورة على الذكور منهم دون البنات حيث يذهبن مع أمهاتهن أو مع أخواتهن من أجل الحصول على ـ كشت ـ عن طريق الشحادة.

ـ وسيلة الانتقال:

يستخدم نَوَرْ منطقة القامشلي في تنقلهم بين القرى العربات ذات العجلات الأربع التي تجرها البغال والخيول، في حين كانوا سابقاً يستخدمون ظهور الحمير التي كانوا يربونها من أجل ذلك الغرض. لذا نجد حالياً أن اهتمام النَّوَرْ بتربية الحمار قد انحصر أمام تربية الخيول من أجل الجر بفضل إيجابياتها: كالسرعة في الحركة والقدرة على الجر للأحمال الثقيلة، حيث العائلة ومتاعها وكلابها يجلسون إلى جانب أمتعتهم وخيمتهم في العربة التي يجرها البغل أو الحصان ولمسافات بعيدة دون أن يؤدي ذلك إلى إرهاقهم كما لو كان رحيلهم على ظهور الحمير.

يبدو في الصورة أمام منازل النَّوَرْ عربة ذات أربع عجلات تجرها البغال أو الخيول يستخدمها - النَّوَرْ - حالياً في تنقلاتهم في منطقة القامشلي السهلية المسالك ١٩٨٦م

ومن الطريف أن الحيوية والنشاط تسري بين صفوف النَّوَرْ مع بداية فصل الصيف تخلصاً من سجنهم الشتوي الذي انقضى دون حراك وكأنهم في حالة سبات اجتماعي وروحي ومادي هذا من جهة، ومن جهة ثانية سعياً في الحصول على الطعام والشراب واللباس الذي ستجمعه النسوة من تجوالهن بين بيوت القرى التي يجوبونها بالتناوب، بالإضافة إلى الحصول على نصيبهم من موسم حصاد القمح في تلك المنطقة.

- الأطعمة المفضلة لدى النَّوَرْ في القامشلي:

إن الشيء الطريف في مجال الأطعمة المفضلة لدى النَّوَرْ في منطقة القامشلي كما قال أكثر من شخص من النَّوَرْ المتواجدين في مختلف مناطق القطر العربي السوري: أن الطعام الطيب لدى النَّوَرْ هو الطعام الذي تجلبه النسوة أثناء تجوالهن اليومي لأنه يأتي بدون تعب بالمقارنة مع الطعام الذي يعدونه في منازلهم إذا كانوا مستقرين أو في خيامهم إذا لم يستقروا بعد.

لكن يمكن القول بصور عامة أن نَوَرْ منطقة القامشلي كافة يحبون الطعام الحاد لدرجة كبيرة، فهم يتناولون البصل والثوم والفليفلة في طعامهم اليومي بشكل مفرط كما ذكر لي من قبل أشخاص من سكان القامشلي. كما أنهم يقولون ذلك عندما يسألون عن الطعام الحاد ومدى طيبته. ويحب النَّوَرْ في منطقة القامشلي تناول المقالي بصورة عامة (البطاطا - الباذنجان - الفليفلة - البندورة) ومن الأطعمة المحببة لديهم - العدس - الذي يُدعى بلغتهم - نيسك - وخاصة في فصل الشتاء ويقدم النَّوَرْ في القامشلي للمرأة النفسة (الولادة) دبس العنب المسخن على النار قليلاً والمخلوط مع السمن العربي ان وُجد أو مع الدهن وذلك اعتقاداً منهم أنه يعوض لها الدم المنزوف أثناء الولادة.

ومن الطريف أن النَّوَرْ يأكلون قليلاً ولا يملؤون بطونهم، وإلى جانب ذلك هم في حركة مستمرة مما يجعلهم ذوي قامة نحيفة بعيدة عن البدانة وحتى بين صفوف النساء. لذا نجد النوريات ممشوقات القامة غير بدينات دوماً.

- الأمراض التي يعانون منها والتداوي منها بالطب الشعبي:

تعيش جماعة النَّوَرْ في القامشلي في بيئة اجتماعية واقتصادية وثقافية متخلفة بسبب الجهل والفقر المتفشي بين صفوفهم. وأن هذه الوضعية تنعكس على وضعهم الصحي بصورة عامة. ويسود أو ينتشر بين صفوفهم الأمراض المعدية بسبب الطعام المتباين في النوع وكيفية الطبخ والمخلوط معاً لكونه يجمعونه جمعاً في إناء واحد من منازل متعددة. لذا دوماً يبقى طبيخ النَّوَرْ مكركباً - إذا جاز لنا التعبير - على هذا يسود مثل شعبي - مثل طبيخ النَّوَرْ - دلالة على وضع أطعمة مع بعضها بدون انسجام. وأن تناول مثل هذا الطعام المتنوع يؤدي إلى إرباك للمعدة ولعصاراتها الهاضمة وهذا ما يجعل تفشي أمراض المعدة كالقرحة بين صفوفهم مرتفعة في نسبتها فقد اجتمعت بأكثر من رجل من نور عفرين ونور العريضة في شهر رمضان من عام ١٩٨٦، وهم فاطرون بحجة أنهم مريضون بمرض القرحة. فالهدف هنا ليس السرد من أجل تبرير الإفطار ولكن الهدف هو ضرب أمثلة على تفشي مرض القرحة بين صفوفهم، وما قولهم أنهم مفطرون بسبب المرض ما هو إلا نوع من الكذب الذي يتقنون آداءه ونسجه مما يجعل السامع لهم أنه يقتنع بكل ما يقوله الرجل النوري أو المرأة النورية بأنه صحيح.

ومـن الأمـراض الـتي تسـود بـين نَـوَرْ القامشـلي ولا زالـوا يـداونوها بالطـب الشّعبي ما يلي:

١ ـ آلام البطن المرفوقة بإسهال:

يأتون بثمار نبات الخرنوب (الحصحصوك)، حيث يطحنون الثمر فقط ويجعلونه على شكل طحين، ومن ثم تذويب ذلك المسحوق بالماء حتى يصبح على شكل شراب طبي ويتم إعطاؤه للشخص المصاب بالإسهال على شكل شراب عن طريق الفم فيتوقف الإسهال وتسكن آلام البطن على حد قولهم.

٢ ـ أمراض: الصدر ـ الرشح ـ السعال:

يستخدم النَّوَرْ في القامشلي نبات البابونج الذي يدعونه ـ كياسيفك ـ في علاج الأمراض الصدرية كالسعال والزكام. وأن نبات البابونج دوماً موجود في منازل النَّوَرْ في القامشلي لدرجة أن أي شخص إذا كان بحاجة إلى بابونج عليه بمنازل النَّوَرْ فإنه سيعثر على ضالته.

٣ ـ مرض ـ أبو صفار ـ أو ـ اليرقان:

يعتبر النَّوَرْ في القامشلي أنفسهم أنهم أخصائيون في مداواة مرض اليرقان الذي يطلق عليه في القامشلي بمرض ـ الصفار ـ وقد وصل القول بأحدهم أن المصاب بهذا المرض لا يمكن أن يشفى إلا على يد الخبيرين بمداواة هذا المرض من النَّوَرْ، وتتم المداواة من هذا المرض على الشكل التالي:

ـ يقوم الشخص النوري الخبير بعلاج ـ الصفار ـ بجرح أحد الشرايين الموجودة في الجانب الأنسي لصيوان الأذن، فيسيل على إثر ذلك سائل يميل إلى الاصفرار. ويتم وصف طعام للمريض كي يساعده على الشفاء يأتي في مقدمتها ـ العسل، إضافة إلى تناول شراب نبات يدعى حسب لغتهم في القامشلي ـ كشوت ـ يمكن الحصول عليه من الأشخاص الذين يتاجرون بالنباتات الطبية.

ويتم تحضير ذلك الشراب الطبي كما يلي: يؤتى بكمية من نبات ـ كشوت ـ ومن ثم يجب أن ينقع ـ كشوت ـ في الماء. وبعد ذلك يجب أن يبقى النقيع مدة ٢٤ ساعة على السطح في وعاء وتحت نجوم السماء.

وبعد أن تنقضي مدة الأربع وعشرين ساعة يبدأ المريض بتناول الشراب الحاصل حسب توجيهات المداوي.

ولنجاح التداوي كي يشفى المريض يجب أن تتم عملية جرح خلف صيوان الأذن في يوم الأربعاء فقط دون بقية أيام الأسبوع. كما يجب أن يكون المداوي صائماً ذلك اليوم.

لذا يدّعي النوري الذي يداوي الناس من هذا المرض أنه دوماً في حالة صيام لكل يوم أربعاء من أيام الأسبوع.

٤ ـ هناك مرض يعتقدون بوقوعه بين صفوفهم وخاصةً بين الأطفال الجميلين بصورة خاصة ويُدعى هذا المرض بـ ـ ضربة عين ـ أو ـ صيبة عين.

إن الاعتقاد بالإصابة بهذا المرض لا يسود بين صفوف النَّوَرْ في منطقة القامشلي، وإنما يسود بين صفوف السكان المحليين أيضاً شأنهم بذلك شأن معظم سكان المناطق في وطننا العربي.

إلا أن الطريف عند النَّوَرْ في القامشلي أنهم يحاولون عدم وقوع مثل هذا المرض بين أطفالهم مسبقاً وذلك كنوع من أنواع الطب الشعبي الوقائي وذلك على الشكل التالي:

ـ يوضع على جبهة الطفل إشارة ضرب من الشحوار الأسود وشريطة أن تكون العملية نافعة تصد أذى عين الناظر إليه عنه، أن يقوم بوضع الشحوار على جبهة الطفل إنسان معين ومعترف به ومشهود له بنجاح وضع الشحوار من قبله على جبهة الأطفال فإنهم لا يتعرضون لضربة العين. وإذا أقدم إنسان ما، على وضع الشحوار على جبهة الطفل فإن العملية لن تكون مجدية. ولدرء الإصابة بضربة العين عند الأطفال تلجأ أمهاتهم بوضع خرز أزرق مع كف من الخرز الأزرق وفي راحة الكف رسمة عين وهذه منتشرة في معظم المناطق في وطننا العربي.

٥ ـ تسود بين صفوف النَّوَرْ في منطقة القامشلي ظاهرة ـ **فصد جلد الظهر** ـ عند الأطفال فيما إذا تعرض واحدٌ منهم إلى حادثة تسمم ما ويتم الفصد أو التشطيب بشفرة وبرفق على ظهر الطفل وذلك من قبل إنسان خبير بذلك مقابل أجر عيني من المواد التموينية.

إلا أن ظاهرة الفصد هذه معروفة عند العرب البدو سابقاً بما فيهم الفلاحين. ويتم التشطيب سنوياً لكافة الأشخاص وخاصةً للشباب وللرجال وحتى الأطفال. وهذه

الظاهرة ظاهرة سليمة وصحية لأنها تؤدي إلى نزف كمية من الدم عند الشخص لتكون بمثابة عمل منشط لدورته الدموية لهذا العام. وما الفصد إلا عملية شبيهة لعملية التبرع بالدم بالنسبة للشخص في يومنا هذا لتنشيط الدورة الدموية.

وهناك تجمّع للنور ـ القرج ـ في حي العنبرية بمدينة القامشلي. ويزيد عدد بيوت هذا التجمع على ٧ بيوت ينتمي أفراده إلى كنية تدعى /البولدية/. ومن هؤلاء: رمضان البولدية (أبو فرحان) ـ معروف علي أشرف البولدية (أبو معروف) ـ سمير البولدية ـ سعدون البولدية ـ محيى الدين البولدية. وأن كبير هذه العائلة هو السيد: علي البولدية (أبو معروف). ولهم قريب يقال له أبو صالح يسكن حالياً في عين غزال إلى الشرق من بلدة السبينة الواقعة إلى الجنوب من مدينة دمشق.

كان هؤلاء وما زالوا يمارسون صناعة الغرابيل والطبل والدف من جلود الحيوانات الميتة في الماضي وحالياً يشترونها من المسالخ الخاصة أو من المسالخ العامة العائدة إلى الدولة. وأن أفراد هذه العائلة مسجلون في السجل المدني لمدينة القامشلي. وكانوا في الماضي يسافرون إلى العراق وإيران. وحالياً يسافرون إلى أوروبا وبعض الأقطار العربية. يتكلم هؤلاء اللسان الكردي واللسان النّوري: ضوم واري Dom Wari وهم من النور القرباط.

ـ المستوى التعليمي:

إن المستوى التعليمي عند نَوَرْ القامشلي متدن جداً لدرجة تفشي الأمية وبشكل مخيف بين الجنسين صغاراً كانوا أم كباراً وخاصةً بين النساء حيث تصل نسبة الأميّة إلى ما يزيد عن ٩٥٪ وقد لاحظت أن الأطفال الصغار الذين هم في سن التعليم الإلزامي لا يذهبون إلى المدارس من أجل التعليم بالرغم من توفرها وقربها من أماكن تواجدهم. وإنما العكس نجد الأطفال يتسكعون في الشوارع دون أن يتعلموا مهنة يعيشون منها باستثناء الفتيات الصغار اللواتي يلازمن أمهاتهن وأخواتهن الأكبر منهن في الرحلة اليومية بين أحياء القرى للحصول على نصيبهن الذي يُدعى ـ كشت ـ .

أما عن سبب انتشار الأمية بشكل مخيف بين صفوفهم عندما كنّ نطرح عليهم ذلك السؤال كان الجواب كما يلي:

لقد أجاب البعض منهم أن سبب انتشار الأمية بين صفوفهم يعود إلى عدم تسجيلهم في دوائر النفوس. وقد ادّعى البعض منهم أن ما يزيد عن ٧٥٪ من نَوَرْ منطقة القامشلي غير مسجلين في السجلات المدنية وأن ذلك لا يسمح لهم ببعث أبنائهم إلى المدارس. ويزعم النَورْ هناك أنهم غير مقتنعين بتعليم أبنائهم المرحلة الابتدائية. ويردفون القول أن الطفل ينهي المرحلة الابتدائية دون أن يعرف كتابة اسمه بشكل صحيح لذا فإننا لا نرسل أولادنا إلى المدارس.

إلا أن السبب الأول والأخير في انتشار الأمية بين صفوفهم هو نمط معيشتهم القائم على الانتقال من قرية إلى أخرى وذلك بدءاً من فصل الصيف وحتى نهاية فصل الخريف مما يحول في إرسال أولادهم إلى التعليم.

أما سبب عدم تسجيل القسم الأعظم من النَّوَرْ في منطقة القامشلي في التسجيلات المدنية يعود إلى أنهم دخلوا أراضي القطر العربي السوري مؤخراً من تركيا بشكل غير مشروع. إضافة إلى زعمهم أنهم أكراداً.

وقد لاحظت بشكل مباشر عند نَوَرْ القامشلي المسجلين منهم في السجلات المدنية يسجلون واقعات الولادة للإناث بشكل دقيق للحصول على البطاقة التموينية. في حين لا يسجلون كل الأولاد الذكور أثناء الولادة كي لا يذهبون إلى خدمة العلم. كما لاحظت أن الشباب النَّوَرْ لا يحبون التطوع في صفوف القوات المسلحة. ولا يحبون حتى العمل في سلك الدولة لأن هذا يحدُّ من حريتهم في الانتقال الذي يتجسد في سلوكيتهم اليومية.

النَّوَرْ في قرية ـ مْعَمَّرْلِه ـ (عامودا)

يتواجد في قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ التابعة لناحية عامودا ما يزيد عن العشرين بيتاً من النَّوَرْ. وتعتبر هذه القرية المركز السكني الوحيد الذي يعيش فيه النَّوَرْ في ناحية عامودا، وهي تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من مركز الناحية. وأن هذه الجماعة من النَّوَرْ المطاربة. الذين يمتهن أفرادها: قرع الطبل ـ والعزف على البزق ـ الزرنايا ـ الربابة.

ويطلق النَّوَرْ في قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ على أنفسهم تسمية ـ المطاربة ـ في حين يطلق عليهم السكان في المنطقة تسمية ـ القرج ـ وهم بهذه التسميات يشتركون مع النَّوَرْ في منطقة الحسكة بصورة عامة، وقد تكلمنا عن تسمية القرج في الفصل الأول.

ـ المنطقة التي قدم منها نَوَرْ قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ :

يقول نور هذه القرية أنهم قد قدموا من منطقة جبل ـ مازي ـ بتركيا نتيجة لاضطهاد السلطات التركية لهم. ولنَوَرْ ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ علاقات قربى مع نَوَرْ منطقة القامشلي وتوابعها ويدّعي نور ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ ونَوَرْ منطقة القامشلي بأنهم ينتمون إلى قبيلة كردية معروفة تُدعى ـ البغّارة ـ إن هؤلاء النَّوَرْ سواء في القامشلي أم في قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ لا يمتّون بأي صلة إلى الأرومة الكردية وإنما كان هؤلاء يعيشون في السابق في منطقة يقطنها الأكراد ولفترة طويلة لدرجة أنّهم تأثروا بالشخصية الكردية بكل من اللغة والتراث الشعبي. ومما ساهم في زيادة تأثر النَّوَرْ باللغة الكردية والتراث الروحي الكردي هو عيشهم على شكل جماعات تحت كنف رؤساء العشائر الكردية الأغنياء، حيث كانوا يلازمونهم في حلّهم وترحالهم من أجل مزاولة الغناء والرقص بغية إدخال النشوة والبهجة في نفوس شيخ القبيلة وبقية رجال عشيرته كما أنهم يقومون على خدمة المختار كتحضير القهوة وتقديمها للضيوف، عندما كانوا في الماضي يتنقلون بحرية في الأراضي التركية والأراضي السورية قبل إغرق الحدود وضبطها بين الدولتين وبخاصة ما قبل الاستقلال عام ١٩٤٦م.

ومقابل الخدمات التي يقدمها النَّوَرْ إلى رؤساء العشائر سواء كانوا أكراداً أم أتركاً أم عرباً يحصلون على الحماية الكاملة من هؤلاء الشيوخ ورجالهم من أي أذى يمكن أن يتعرضوا له. كما أن شيخ العشيرة يقدم لهم الطعام والشراب واللباس ولا يسمح لأحد من رجاله بالتطاول على أحد من أفراد الجماعة النورية التي تعيش في كنف ذلك الشيخ وبسبب العلاقة غير الجيدة بين الأكراد في تركيا وبين السلطات التركية انسلخت الجماعات النورية التي كانت تعيش في كنف رؤساء العشائر الكردية في تركيا، ونتيجة لهذا الانسلاخ قدم قسم من النَّوَرْ الذين عاشوا في كنف أكراد تركيا إلى سوريا.

وعلى ضوء ما سبق يدعي هؤلاء النَّوَرْ أنهم أكراد ولكن في الحقيقة هم ـ نَوَرُ الأكراد ـ وهم يدركون ذلك ويعترفون بقرارة أنفسهم. وأن نعتهم لأنفسه بالأكراد حتى يتخلَصُوا من كلمة ـ النَّوَرْ ـ التي لا يرغبون سماعها لأن في هذه التسمية ـ النَّوَرْ ـ انتقاص من كرامتهم كما يقولون. وقد قال لي أكثر من شخص من رجال النَّوَرْ الموضوعيين وفي مقدمتهم السيد أبو خالد من نور السيدة زينب منطقة الجورة، أن النَّوَرْ مكروهين من الناس الذين يعيشون بين ظهرانيهم أنّى وُجدوا بسبب الرقص والغناء والشحادة. وقد قال لي أيضاً رجل من نور الكريملية في السيدة زينب، أنّه من فينة حظنا سمّونا بالنَّوَرْ. ولا زال نور الجزيرة حتى الآن يذهبون إلى رؤساء العشائر في القرى أثناء تنقلاتهم في الصيف حتى يعيشون في كنفهم وَيَحْظَوْنَ على العطايا منهم لقاء الغناء والرقص والشوباش القائم على المديح لرئيس هذه العشيرة أو تلك. وهم بهذه الحالة يعودون إلي مشتاهم وهم يحملون المواد الغذائية من مشتقات الألبان إلى جانب الصوف والخراف التي كانوا قد حصلوا عليها بدل مديحهم وبسطهم لرؤساء العشائر الوجهاء فيها. /عام ١٩٨٦م/

وقد قدم النَّوَرْ إلى قرية ـ مُعَمْرْلِهْ ـ كما ذكروا منذ أكثر من عشرين سنة. علماً ستة بيوت من النَّوَرْ قد انتفعوا بقانون الإصلاح الزراعي الذي صدر أيام الوحدة بين القطرين السوري والمصري عام ١٩٥٨. وهذا ما يؤكد وجود نور في المنطقة قبل الفترة المذكورة، وأن هؤلاء النَّوَرْ المستفيدين من قانون الإصلاح الزراعي مسجلون في

السجلات المدنية. لذا فإن المسجلين من نور قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ يخدمون الخدمة الإلزامية ويذهب أطفالهم إلى المدرسة الابتدائية التي بنيت في تلك القرية.

ومن الطريف أن عائلات النُّوَرْ في قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ والمسجلون في دوائر النفوس غالباً ما يكتمون أبناءهم الذكور بعد الولادة كي لا يخدمون الخدمة الإلزامية في صفوف القوات المسلحة. وقد قال لي شخص مسن أنهم عندما هربوا من تركيا سابقاً كان خوفاً من الانخراط في الجيش التركي ، إضافة إلى الظلم والجور الذي يمارسه الأتراك عليهم.

ـ الزواج:

إن ظاهرة الزواج عند نور قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ لا تختلف عن مثيلاتها عند بقية النُّوَرْ أنّى كانوا في أنحاء القطر العربي، حيث تتم في سن مبكرة وخاصةً للفتاة. ويتم تزويج الفتاة ما بين ١٣ ـ ١٥ سنة من العمر. أما الشاب فيتم زواجه قطعاً دون سن العشرين من العمر. وقد ذكر لي أحد الأشخاص أن ثلاث فتيات قد تزوجن في الأعوام الماضية وهن في الثالثة عشر من عمرهن.

كما أن الزواج عند أهل قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ زواج داخلي ـ Endogamy ـ يتم بين أفراد العشيرة الواحدة ولا توجد واقعات زواج في قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ قد تمّت ما بين النُّوَرْ وغيرهم من السكان المحليين سواء كانوا عرباً أم أكراداً.

وتتمتع الفتاة النورية بالحرية الكاملة باختيار شريك حياتها لكن صغر سنّها أثناء الزواج غالباً ما يجعلها غير قادرة على الاختيار الصحيح. وفي مثل هذه الحالة فإن الأم هي التي تختار العريس لابنتها لأن قول الأم حاسم وغير قابل للنقاش في مثل هذه المواضيع بالإضافة إلى المكانة العالية التي تتمتع بها المرأة النورية في منزلها.

لذا من أراد الزواج من فتاة ما عليه أن يؤمن أمها إلى جانبه. لدرجة أن سكان قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ يقولون: «إذا أردت الزواج من فتاة نورية من هذه القرية ما عليك إلا أن تضرب صحبة مع أمها وبالتالي فإن الزواج من تلك الفتاة التي وقع عليها الاختيار صار في حكم المؤكد».

ويحدث زواج الخطيفة أحياناً عندما لا تُعطى الفتاة للشاب الذي أحبته واختارته زوجاً لها ، ففي مثل هذه الحالة تذهب الفتاة مع الشاب الذي أحبته وبعد مدة من الزمن

لا تتجاوز الشهرين يتم الصلح بين أهل العريسين بالطرق السلمية. وغالباً ما يدفع الشاب المهر مضاعفاً في حالات الخطيفة.

وتجدر الإشارة إلى أن كافة النَّوَرْ بصرف النظر عن المهنة التي يزاولونها تحافظ عندهم الفتاة قبل زواجها على غشاء البكارة الذي لا تفرط به إلا لزوجها في ليلة عرسها. ويكمن السبب في محافظة الفتاة قبل زواجها على غشاء بكارتها إلى المصير الأسود الذي تتعرض له فيما إذا انكشف أمرها قبل زواجها أو في ليلة زفافها حيث القتل حتى الموت.

فإذا لم يقدم أهل الفتاة التي فَرَّطَتْ بشرفها قبل زواجها على قتلها، فإنهم يُحْتَقَرُونَ من بقية النَّوَرْ في منطقتهم لأن النَّوَرِي قد حصر شرفه في عِرْضِهِ وخاصة قبل الزواج بالنسبة للفتاة البكر. وأن هذه العادة هي من السمات البارزة التي تتمتع بها المجتمعات البشرية التي تعيش ضمن سياج العصبية القبلية وما ينجم عن ذلك من عادات يجب المحافظة عليها كي لا يدنس شرف هذه القبيلة أو تلك.

والمهر في قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ مرتفعاً إذ يصل إلى مبلغ الخمسين ألف ليرة سوري، في حين المهر المتعارف عليه عند سكان المنطقة المحيطة بهم يتراوح ما بين ٢٥ ـ ٣٠ ألف ليرة سورية، وأن كافة المبلغ المدفوع لوالد الفتاة يذهب لجيبه دون أن يعطي ابنته شيئاً يُذكر من مهرها. ويقول سكان منطقة عامودا أن النَّوَرْ في قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ يفرحون بولادة الأنثى أكثر من الذكر بسبب المردود المادي الذي تجلبه لأهلها قبل زواجها من عملية الشحادة ومن المهر الذي يحصل عليه أهلها لقاء زواجها.

د ـ النمط المعيشي:

إن نور قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ شبه مستقرين في قريتهم طيلة أيام الأسبوع باستثناء فصل الصيف حيث يعتبر الموسم الذي تذهب فيه المرأة النورية بالتجوال بين القرى في منطقة عامودا للحصول على نصيبها من القمح والشعير أيام الحصاد. أما الرجال فإنهم يمارسون مهنة تلبيس الأسنان إلى جانب إحياء الحفلات الموسمية في مناسبات الأفراح عند السكان المحليين من غير النَّوَرْ.

ـ الأعمال التي يقوم بها الرجل:

أ ـ إن الرجل النوري في قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ لا يحب العمل في الزراعة أو في الأعمال الأخرى التي تحتاج إلى جهد عضلي كبير. فالبرغم من وجود ست عائلات قد استفادت من قانون الإصلاح الزراعي فإنهم لا يمارسون الفلاحة، وإنما يؤجرون تلك الأراضي المخصصة لهم لغيرهم من سكان المنطقة مقابل كمية معينة من الموسم.

يوجد بيتان فقط من نور ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ يمارس أفرادهما الزراعة البعلية ـ العدس ـ الشعير والقمح، في حين بقية العائلات يمارس رجالها الأعمال الحرة الآتية:

١ ـ تلبيس الأسنان ـ دران زير.

يمارس الشبات مهنة تلبيس الأسنان بمعدن الذهب أو الفضة أو النحاس. ويتقن أهل ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ تلك المهنة لدرجة أن سكان القرى الأخرى في منطقة عامودا يأتون إلى عندهم لمداواة أسنانهم التي قد أصابه التلف. ويقوم الشاب الذي يمارس عمل تلبيس الأسنان بالانتقال من قرية إلى أخرى من أجل العمل بواسطة دراجة نارية، في حين كان سابقاً يقوم بالتجوال على ظهر الحمار.

٢ ـ إحياء الحفلات الموسيقية والغنائية:

يهتم نور ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ بالغناء والرقص، ويتقنون عملهم الفني هذا بشكل جيد لدرجة أن السكان في منطقة عامودا يعتمدون في أفراحهم المختلفة على نور ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ في إحيائها مقابل مبلغ من المال تتزايد كميته مع مرور الأيام.

وتوجد في قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ فرقتان موسيقيتان مهمتها إحياء الحفلات في مناسبات الأفراح:

ـ الفرقة الأولى برئاسة ـ محمد سليم ـ الذي يلقب بـ مُتْرِبْ. ويعزف رئيس الفرقة على العود، في حين يوجد رجل آخر معه يدق على الطبل، ويمتاز المطرب محمد سليم بصوته الجميل والمحبب من قبل الجمهور.

ـ الفرقة الثانية برئاسة السيد حسين وتملك هذه الفرقة طبلاً ومزماراً ولا تملك مكبراً للصوت كما هو الحال في الفرقة الأولى. وهذا ما يجعل الفرقة الأولى أوفر حظاً في إحيائها للحفلات لما تتمتع به ميزات فنية أفضل من الفرقة التي يرئسها السيد حسين الذي يدق على الطبل. عام ١٩٨٧م.

ويجيد النُوَرْ في بلدة - مَعَمْرْلِهْ - مهنة الرقص والغناء. فقد قال أحد الأشخاص من البلدة المذكورة حول الطرب ومزاياه ما يلي: لقد جعلنا الفرح يغمر هذه المنطقة بعد أن كانوا لا يعرفون قيمة الفرح والغناء الذي ينعش القلب والروح معاً. ومن أغانيهم العاطفية التي يغنونها في الأفراح الأغنية لشاعر النُوَرْ المعروف «سعيد يوسف» والتي يغنيها على ذكر الفتاة التي كان يحبها. وهذه هي الأغنية:

بو إيفار وله جوافا لاوكه دم هرن ماله

بارا بو له دكه خنافا شيرنيه دليمن دلاله

ولمن بكرن دي أوبافا از حستيمة شبوكره خاله

فا ازهرم بشه سلافه بنجه إزجومه باله

بودرنك شف له بو طاري جارك دي تكاره مينبيه

لمن أوته خوناف وباري أخ شدوده في افينه

وباف لمخه برا بنياري وديامن درداهلينه

از هرم مالخة بكباري سبفته كسمه نينه

وترجمتها إلى العربية:

لقد أصبح الوقت مساءً فلنذهب يا حبيبي

لقد هب علينا النسيم العليل وابتل جسمنا بالندى فهيّا يا حبيبي

سيبحث عني والدي ووالدتي لأنني مخطوبة لابن خالي فهيّا يا حبيبي

سأذهب فلا تخبر أحداً عني يا حبيبي وابعث إلي السلام يا حبيبي

لقد أصبح الليل مظلماً وبإمكانك أن تراني غداً يا حبيبي

لقد أمطرت السماء علينا وامتزج حبنا فلنذهب يا حبيبي

سيعاقبني أبي وسيتهمني أخي وستتحمل أمي فقط أمي مصائبي يا حبيبي

سأذهب إلى البيت بكبرياء ولن يملك قلبي أحداً غيرك يا حبيبي

يبدو من الأغنية أن الفتاة النَورية تملك الحرية الكافية من أجل اختيار الشخص التي ترى فيه الصفات التي تحبها كشريك لها إلا أنها خاضعة لرقابة شديدة من قبل أهلها وأخوتها الذين يحاسبونها على تصرفاتها اليومية فيما إذا أخطأت وخاصةً إذا كان الخطأ يمس كرامة وشرف أهلها فإن ذلك سيوردها إلى القتل المحتوم على أيدي

أخيها أو حتى على أيدي أبيها لأن في هذا القتل غسل للعار الذي لحق بهم. ونفهم من الأغنية أيضاً أن أم الفتاة دوماً هي الجناح الذي يغطي ويحمي البنت من الظلم الذي يمكن أن يحل بها من أبيها أو من أخيها.

ـ العمل الذي تمارسه المرأة النورية في ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ :

أن المرأة النورية في قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ لا تمارس مهنة التجوال من أجل الشحادة إلا في موسم الحصاد فقط. ففي موسم الحصاد تتجول النساء النوريات بين القرى التابعة لناحية عامودا بشكل نشيط وحثيث لتحصل على أكبر كمية من الحنطة أو الشعير والعدس. وتتصف المرأة النورية كما ذكر البعض من أهالي عامودا باللباقة واللطافة وهي تمارس مهنة الشحادة كي تجذب إليها الشخص الذي طرقت بابه للحصول على الحنطة أو الشعير وأحياناً يذهبن إلى الحقول حيث الحصادات الآلية تقوم بجمع المحصول. وتأخذ المرأة ابنتها الصغيرة إذا كانت متزوجة، أو أختها الصغيرة إذا كانت عازبة لتحصل على حصتها أيضاً من القمح أو الشعير أثناء تجوالها بين أزقة القرى المتناثرة في المنطقة. وقد قال السيد معصوم علي الذي ساهم معي في جمع المعلومات عن نور تلك المنطقة: أن الفتاة النورية تطالب بحصتها وحصة أختها الصغيرة التي معها أيضاً وإذا لم تعط، فإنها تلجأ في كثير من الأحيان إلى العراك في سبيل الحصول على حصة أختها الصغيرة.

فتاتان من نور ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ يتجولان في قرية من قرى ناحية عامودا للحصول على نصيبهما من الحبوب

ويهتم أهل قرية ـ مُعَمَّرْلة ـ في تربية الحيوانات من أغنام وماعز من أجل حليبها وبأعداد قليلة لتلبية الاستهلاك المحلي لهم فقط. ويقومون بتربية الدجاج للحصول على بيضه لدرجة أن هذه القرية أصبحت مركزاً لبيع البيض البلدي إلى سكان القرى المجاورة. ومن البديهي أن الذي يهتم بتربية الحيوانات هن النساء فقط.

ويهتم نور ـ مُعمّرْلة ـ في تربية حيوان الحمار الذي ما زال يمثل المطية الوحيدة للركوب لديهم في حلهم وفي ترحالهم لذا فإننا نجد في كل بيت حمار أو أكثر. /١٩٨٧م/.

ـ اللباس:

ـ **لباس الرجل:** يلبس الرجال المتوسطون في العمر الجلابية الطويلة والفضفاضة والتي يغلب عليها اللون الأزرق ومشتقاته. ويرتدي الرجل على رأسه المنديل (السلك أو الشماخ) الذي يغلب عليه اللون الأحمر. ويضعون فوق الشماخ العقال. ويلبسون فوق الجلابية جاكيت يغلب عليها اللون الأزرق أو القريب منه.

أما الشباب فإنهم يلبسون اللباس الأوروبي العصري والمكون من بنطال وقميص دون أن يضعوا غطاءً على رؤوسهم.

ـ **لباس المرأة:** ترتدي المرأة في قرية ـ مُعَمَّرْلة ـ اللباس الطويل والفضفاض والمحتشم وتغلب الألوان الفاقعة على لباس المرأة بصورة عامة. وترتدي المرأة النورية قطعة من القماش الملون كغطاء للرأس إلا أن جزءاً كبيراً من شعرها يكون ظاهراً. وأن عنق المرأة غالباً ما يكون دون غطاء (المِدْلَعْ). ويكون اللباس الطويل الخارجي مخصراً في الوسط كما في الصورة التالية:

امرأة نورية من قرية ـ مُعَمَّرْلة ـ وإلى جانبها طفلتها بلباسها الشعبي

ـ الأكلات الشعبية:

يوجد عند نور عامودا والقامشلي أكلة شعبية محببة لديهم يطلقون عليها ـ أفّسيرك ـ ويعني بالعربية ـ الفتّة ـ ولا تزال هذه الأكلة موجودة حتى الآن.

وتتكون أكلة الفتة من مغلي الثوم والملح والمضاف إليه كمية من الدهن، ومن ثم يوضع هذا المغلي على الخبز اليابس والمقطع والموضوع في إناء. فيحصلون عندئذ على وجبة غذائية ساخنة. وهناك أكلة ثانية تدعى ـ تلي شوتي ـ وتعني بالعربية ـ الأصابع المحروقة ـ وتقدم هذه الأكلة للمرأة بعد الولادة. وتتكون هذه الأكلة من الدبس المسخن مع قليل من الدهن أو السمن العربي إذا وُجد. ولا زالت هذه الأكلة تقدم للمرأة حتى يومنا هذا. فإن هذه الأكلة تعطي المرأة الولّادة الطاقة الحرارية إلى جانب النشاط والحيوية كما أنها تساعد على إيقاف النزيف. ويعتقد النَّوَرْ أن هذه الأكلة تعوض الولاّدة قليلاً من الدم الذي كانت قد فقدته.

ويمكننا القول أن هاتين الأكلتين الشعبيتين خاصتين بالنور في كافة أنحاء القطر العربي السوري.

ـ السكن في قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ :

يسكن النَّوَرْ في ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ في بيوت قد بنيت من التراب المجبول بالقش والمشغول على شكل قطع طينية مستطيلة الشكل يطلق عليها ـ اللّبِنْ. ويكون البيت ذو شكل مستطيل وله سطح مستوٍ مسقوف بالخشب والقش.

بيوت قرية ـ مْعَمَّرْلِهْ ـ الطينية

ويتكون البيت من غرفتين أو أكثر. ويوجد في جانب البيت ـ قُنّ ـ للدجاج وزريبة ـ أو دُنّ) للحيوانات التي يربونها من أجل حليبها وسمنها. وبيوت قرية ـ مُعَمَّرْلِهْ ـ غير منوَّرة بالكهرباء. وتبدو القرية متواضعة جداً مما يقودنا إلى الحالة المادية الفقيرة لسكانها لكونهم لا يذهبون إلى خارج القطر للحصول على المال كما هو الحال عند نور مدينة دمشق أو حلب أو نور مدينة حمص.

وتمتاز البيوت الطينية هذه بأنها دافئة شتاءً وباردة صيفاً بسبب قلة ناقلية الطين للحرارة. وتقوم قرية ـ مُعَمُرْلِهْ ـ على تبة مرتفعة قليلاً من الأرض المحيطة بها. /١٩٨٧م/.

ـ الأمراض وطرق التداوي منها:

يتعرض النَّوَرْ في منطقة عامودا إلى نفس الأمراض التي يصاب بها بقية أهالي عامودا والقامشلي، وتكثر بين صفوف النَّوَرْ أمراض جهاز الهضم بسبب الطعام المتنوع الذي تشحده النسوة في تجوالهن وخاصة في فصل الصيف. ويعالج النَّوَرْ هنا بعض الأمراض بتعاطي الدواء الشعبي الذي يحضرونه بأيديهم فعلى سبيل المثال:

ـ الإسهال والزنطاريا: يستخدمون مغلي مسحوق ثمار نبات الخرنوب والذي يدعى بـ الحصحصوك، أو يعطى ذلك المسحوق على شكل سفوف عن طريق الفم.

ـ يعالج الأطفال الرضع المصابون بالتهابات جلدية وخاصةً في منطقة الفخذين الداخلية عن طريق رش تراب نظيف من تراب المنطقة بعد غربلته على مكان الالتهاب بدلاً من وضع البودرة الطبية المخصصة للالتهابات الجلدية عند الأطفال.

إن معالجة التهاب الجلد عن الأطفال الرضع عن طريق رش التراب كانت مستخدمة في كثير من ريف قطرنا وفي منطقة حوران كانت المرأة الحورانية لعشرين سنة خلت وأكثر تضع التراب المجلوب من الأرض البعيدة (السَّهْل)عن مركز السكن بعد أن تقوم بغربلته. وقد أثبت ذلك التراب نجاعته في القضاء على التهابات الفخذين الداخلية عند الأطفال والذي يدعى (الصماط ويقولون إن الطفل متصمط. ونجد أن أهل حوران عندما يدعون الطفل بسوء يقولون له ـ والله وسمطة والله تسمط بطنك) ١٩٨٧م.

ـ وإذا بكى طفل صغير بكاءً شديداً يتوقعون أنه مصاب بالتسمم ويعالجونه بالطريقة التالية:

- يقومون بجرح ظهر الطفل عن طريق شفر حادة بعد أن يتم تحديد المكان الذي يجب شطبه من أجل أن يسيل الدم الفاسد منه (إن هذه الطريقة مستعملة عند العرب من القدم وتدعى ـ الفصد).

- إذا جرح شخص ونزف منه دم كثير يعالجونه بوضع رماد قطعة قطعة قماش بعد حرقها على مكان الجرح فإن النزيف يتوقف بالفعل. وسبب ذلك التوقف يعود إلى كون الرماد بمثابة مادة قلوية.

إن طريقة وضع الرماد على مكان الجرح كانت مستعملة في كافة ريف قطرنا لإيقاف النزيف. فإنني أذكر جيداً وأنا طفل صغير عندما ننجرح نأتي برماد الفرن (التنّور) ونضعه على مكان الجرح لإيقاف النزيف.

ـ الألعاب الشعبية:

يحب الأطفال النَّوَرْ اللعب وبصوت مرتفع فإذا ما دخل شخص غريب على قرية ـ مْعَمّرْلِهْ ـ يشعر بأنه دخل إلى عالم جديد لا همّ له إلا اللعب لتقطيع الوقت. حيث يتجمع الأطفال والشباب في ساحة القرية أو على طرفها لممارسة ألعابهم الشعبية وكأنهم تجمع لا عمل لهم إلا اللهو والمرح. ومن أهم الألعاب الشعبية التي يمارسونها ما يلي:

١ ـ لعبة القاجة، ٢ ـ لعبة بابوتان، ٣ ـ لعبة بالتوشته، ٤ ـ لعبة هنسكليكة.

١ ـ لعبة قاجه:

١ ـ يتجمع عدداً من الأطفال وفي يد كل واحد منهم حجراً صغيراً شبه مكور ومتوسط الحجم؛

٢ ـ ثم يأتون بقطعة حجرية صغيرة ومكورة يسهل دحرجتها عند ضربها من قبل الأطفال بالقطع الحجرية التي في أيديهم.

٣ ـ يضعون القطعة الحجرية الصغيرة في دائرة صغيرة لا يزيد قطرها عن عشرين سم.

٤ ـ يقف أحد الأطفال على بعد عشرة أمتار تقريباً من الدائرة التي وضع الحجر على سطحها. ويكون الأطفال جميعاً على نسق. أما الطفل الذي أوكلت إليه مهمة حراسة الحجرة الصغيرة بعد أن وقع عليه العدد الأخير أثناء العد وهو رقم (٥٠).

يبدأ الأطفال بقذف الحجارة التي بأيديهم كل على حدة. إن الطفل الحارس للحجرة الصغيرة مهمته جلب الحجرة الصغيرة ووضعها في مكانها إذا أصابها أحد من الأطفال بالحجرة التي في يده. فإذا حاول الطفل الذي أصاب بحجره الحجر الصغير الموضوع في الدائرة المذكورة سابقاً الوصول إلى حجره وجلبه ثانية إلى مكان الحيز الذي منه يبدأ الضرب دون أن يلمسه الحارس فله الحق عندئذ الضرب ثانية. أما إذا استطاع الحارس أن يأتي بالحجر الصغير ووضعه في مكانه وملاحقة الطفل الذي أصابها بحجره قبل أن يصل إلى مكان ـ الحيز ـ فسيصبح عليه الدور في حراسة الحجر الصغير ويقولون صارت أُمُّهُ.

إن هذه اللعبة موجودة في كثير من مناطق الريف بقطرنا العربي السوري وتدعى في منطقة حوران بلعبة ـ الدُوش ـ مع اختلاف بسيط فبدلاً من أن توضع الحجرة الصغيرة في دائرة قطرها عشرون سم فإنها توضع في حفرة تدعى ـ البيش، وكنا نلعبها ونحن صغار.

٢ ـ لعبة البابوتان:

تدعى هذه اللعبة في مناطق القطر العربي السوري لعبة ـ النطّة ـ أو ـ اسْبرْكا ـ يزاول هذه اللعبة الشباب فقط دون الأطفال لعدم مقدرتهم العضلية والجسمية على مزاولتها وهي كالآتي:

١ ـ ينقسم الشباب إلى فريقين بالتساوي. ومن ثم يقف أحد الفريقين وراء بعضهما على شكل رتل أحادي في حين يصطف أعضاء الفريق الثاني وكل منهم حانٍ لظهره وواضعاً يديه على ركبتيه ووراء بعضهما البعض وبانتظام.

٢ ـ يبدأ أعضاء الفريق الواقف على شكل رتل بالقفز فوق ظهور أعضاء الفريق الثاني. ويكون القفز إفرادياً وبالتسلسل. وأن كل فرد من الفريق الذي سيقوم بالقفز سيقفز فوق ظهور الفريق الثاني وبالتسلسل حتى يقفز كل أفراد الفريق الثاني. وأثناء القفز يضع الشخص القافز راحة كفيه على ظهر الشاب الحاني لظهره وهكذا... ويغني كل واحد أثناء القفز الأغنية التالية:

بابوتان خش بابوتان

ازجومه نواله جرك.أو جيفان

سيه بيره دو دكلان.

الترجمة إلى العربية كما يلي:

لعبتي ما أحسنها لعبتي ما أروعها

إن لم تطعني سأكسرها وظهرك سأكسرها.

٣ ـ يبدأ الفريق المنحني الظهور برفع أكتافهم تدريجياً حتى يقف كل واحد منهم بشكل كامل وهذا يعيق بدوره عملية القفز لأعضاء الفريق الآخر، حيث يبدأ أعضاؤه بالسقوط دون أن يستطيع أحدهم القفز. وبعد هذا تتقلب الآية عكسياً حيث يصطف الفريق الذي كان دوره القفز ويحني كل واحد ظهره ليقفز أعضاء الفريق الثاني من فوق ظهورهم.

٣ ـ لعبة بالتوشته:

تدعى هذه اللعبة ـ المخباية ـ أو ـ التخباية ـ . وتتم هذه اللعبة بين مجموعة من الأطفال، حيث يقومون بتعصيب عيني أحد الأطفال (أو يغمض عينيه بشكل تلقائي) في حين يذهب بقية الأطفال ليختبئوا فإذا عرف أحد منهم بعد أن يفتح عينيه فإن ذلك الطفل الذي عرف من قبل الطفل المغمض العينين يصبح عليه الدور بتعصيب عينيه أو إغماضها.

٤ ـ لعبة هنكليكة:

يطلق على هذه اللعبة في منطقة حوران ـ الخويتمة ـ (أي لعبة الخاتم). ويزاول هذه اللعبة الشباب فقط وفي فصل الشتاء بالتحديد عندما يجتمعون حول المدفأة. وحتى تستكمل يجب أن يكون العدد الإجمالي للشباب الذين سيلعبون أكثر من ستة أشخاص، وأن يكون العدد زوجياً. ومن ثم ينقسم الشباب إلى مجموعتين متساويتين بعدد أفرادها. ويجلس هؤلاء على شكل حلقة تقريباً. وبعدئذ يؤتى بخاتم ويأخذه أحد أفراد هاتين المجموعتين. وتقوم المجموعة التي صار الخاتم بيدها بتخبئته في أيدي أو لباس أعضائها خفيةً دون أن يرى ذلك أفراد المجموعة الثانية. وبعد أن تتم عملية تخبئة الخاتم يظهرون أيديهم من فوق قطعة القماش الذين كانوا قد غطّوا أيديهم به. وعند ذلك يبدأ

أعضاء الفريق الثاني محاولة معرفة الشخص الحامل للخاتم فإذا ما عرفوه يحل دورهم عندئذ في تخبئة الخاتم بدلاً من المجموعة الأولى.

وتجدر الإشارة إلى أن أعضاء المجموعة التي تحاول معرفة حامل الخاتم من أفراد المجموعة الأخرى يتشاورون قبل أن يقرروا مع من الخاتم موجود. فإذا حصل أحد الفريقين على ثلاث نقاط من أصل خمس مرات يحاولون فيها معرفة الحامل للخاتم لكلا الفريقين يعتبر هو الرابح. أما الذي لا يحصل على ثلاث نقاط من أصل خمس يعتبر خاسراً ووجب عليه دفع الشرط الذي كانوا قد اتفقوا عليه قبل بدء اللعب. ويقول أحد الأشخاص الذي سألناه عن الشرط وطبيعته أن الشرط في معظم الأحيان إما أن يكون من الفواكه أو دجاجة من أجل تناولها في اليوم الثاني كغداء أو عشاء عند أفراد الطرف المغلوب.

- تجمع النور في قرية - صرين (التابعة لعين عرب):

يعيش في قرية - صرين - التابعة لمنطقة عين العرب، والتي تقع إلى الشرق من مجرى نهر الفرات، ما يزيد عن عشرين مسكناً ثابتاً من النَّوَرْ والمعروفين باسم - عباديل صرين - ويعيش هؤلاء في بيوت مخدمة بالماء والكهرباء. /١٩٨٧م/

ويمارس رجال من نور العباديل مهنة الدق على الطبل والزمر، في الحفلات، المقصورة على الرجال فقط أما النساء فهي في البيت حيث لا يخرجن ولا يشحدن.

وفي مواسم الحصاد، يذهب الرجال من نور العباديل إلى الحقول، وعلى ظهور الحمير وعليها خروج كبيرة. وعندما يصل النَّوَرْ إلى الحقل يبادرون صاحب الحقل [illegible] /القوة يا آغا/ فيسارع صاحب الحقل ويعطيهم حزماً من القمح، حيث يضعونه في الخرج، ويذهبون إلى القرية ليدقوا سنابل القمح بالعصي ليحصلوا على القمح.

ويذهب الرجال أيضاً في مواسم القطن لاستعطاء المزارعين، حيث يعطونهم القطن، ليصنعوا منه فرشات أو يبيعونه.

ويتجول النَّوَرْ العباديل في القرى التالية (القصتق - الملحة - بجاغ - فحمار - تل أفندي [illegible] - دالي حسن - مغربتين - صهاريج - المروح - بير العبيد - رأس العين - إقراط [illegible] - صرين شمالي - صرين قبلي - قرة قوزاغ).

وأن نور ـ صرين ـ يختلطون بسكان القرى المذكورة، لكن لا يتصاهرون معهم. وبالرغم من استقرار هؤلاء النَّوَرْ ما زال حتى يومنا هذا، يوجد في كل بيت حمار، كي يؤمنوا حاجاتهم عليه. ويدين هؤلاء بالدين الإسلامي، حيث يصومون ويصلون، ومنهم شيخ اسمه الشيخ ـ بركل ـ ولا يسافر أفراد هذه العشيرة إلى خارج القطر، ويعمل شبابهم عمالاً عاديين.

ـ نور قرية الدافية (تابع لعين العرب):

يعيش في قرية الدافية، الواقعة إلى الشرق من قرية ـ صرين ـ نور ويعرف هؤلاء بتسمية ـ عباديل شيحان، حيث يعيشون في بيوت ثابتة لكنها غير مخدمة بالماء والكهرباء. ويمارس أفراد هذه الجماعة الزراعة البعلية منها والمروية (قمح ـ شعير ـ قطن ـ سمسم ـ بندورة ـ خضار). ويمتلكون جرارات زراعية. ويبلغ عدد عباديل شيحان ما يزيد عن ٢٠ بيت. وترتدي المرأة نفس اللباس للمرأة الكردية في القرية المذكورة، حيث تضع على رأسها ـ الطرطور ـ ولا يتزاوج العبدال مع أهالي قرية الدافية، ولا يسافرون إلى الخارج.

النَّوَرْ في منطقة الرقة (الحجيات)

يعيش في منطقة الرقة وتوابعها عدد لا بأس من العائلات النورية: الزليخات - القواسمة - الدقادقة - تلفظ القاف بالقاف الحوارنية ق= غ. ويبلغ تعداد هذه العائلات المذكورة مجتمعة ما بين ٤٠ - ٤٥ منزلاً. وتنتمي العائلات المذكورة إلى عشيرة كبيرة تعرف بين أفراد المجتمع النوري بعشيرة - التمارزة - والتي يمارس أفرادها الغناء والرقص والطبل والزمر. وتُعرف عشيرة التمارزة حسب الكار الذي يمارسه أفرادها رجالاً ونساءً - الحجيات شأنهم في ذلك شأن العشائر النورية التالية: الهرامشة - الكريملية - البسوني. ومن العائلات النورية التي تنتمي إلى عشيرة التمارزة كل من العائلات التالية: الصوالحة - البشايرة (وأن سعيد باشا وأخيه كريم باشا وأخيهما المطرب المعروف بالإذاعة الأردنية باسم عبدو موسى هم من وجهاء النَّوَرْ البشايرة في الأردن) المصاطفة - العودات. وتنتشر كافة العائلات النورية التي عددناها في القطر الأردني الشقيق إلى جانب الكثير من العشائر النورية الأخرى.

إن كل أفراد عشائر النَّوَرْ المتواجدين في منطقة الرقة وتوابعها ساكنون في بيوت ثابتة ولا يتعاطون إلا الفن من رقص وغناء وعزف.

ويتواجد في منطقة الرقة أيضاً جماعات ثانية من عشائر النَّوَرْ والتي تختلف عن العشائر الأولى في الكار أو المهنة التي يزاولها أفرادها ويعرف أفراد تلك الجماعة تسمية - القرباط. وأن هؤلاء غير مستقرين في منطقة الرقة وإنما يأتون إليها في فصل الصيف والخريف. وفي فصل الشتاء غالباً ما يذهبون إلى مدينة حلب وتوابعها من أجل المشتى إلا أن النساء يومياً تأتي من حلب إلى الرقة من أجل الاستعطاء أو الشحادة مع بيع أدوات مثل الإبر والكشاتبين والمسال والأمشاط وعلك البطم...إلخ. في حين يقوم الرجال بصنع الغرابيل والدفوف والدربكات والشباب منهم يزاولون مهنة تركيب الأسنان. والشيء الطريف أنه لا يوجد علاقات تزاوج بين الفئتين المذكورتين من النَّوَرْ لاختلاف المهنة فيما بينهما لأن الزواج عند عشائر النَّوَرْ زواج غالباً ما يتخذ طابعاً

اجتماعياً ملازماً لنوع المهنة أو الكار الذي يزاوله أهل الشاب أو الشابة. ومن العشائر النورية التي تعرف بالقرياط والتي يتواجد أفرادها في منطقة الرقة كل من: النواصرة ـ القوادرة ـ القادرلار ـ الملاحمة ـ البرجولي ـ أو ـ البرجلي ـ التشولان أو ـ الكولان شريطة أن تُلفظ الكاف بالكاف الحوارنية /حيث حرف الكاف يكون مدغوماً مع حرفي الجيم والشين/.

ـ الصفات السلالية:

يتصف النَّوَرْ في الرقة بالصفات السلالية التالية: البشرة السمراء والقامة النحيفة والصدر الناهد بالنسبة للفتاة. كما أن أجسام هؤلاء النَّوَرْ تتصف بالتناسق والرشاقة. وأن الأطراف أطول من الجذع. والوجه أقرب إلى الاستطالة منه إلى الاستدارة. والشفاه وسط في ثخانتها، والأنف إلى حد ما طويل وممتلئ أحياناً، العيون تتراوح ما بين اللون الأسود واللون العسلي أحياناً. وتعلو العيون حواجب يكسوها الشعر الأسود والكثيف وهذا ما يضفي جمالاً على المرء وخاصةً إذا كانت أنثى. سقف الجمجمة مرتفع بسبب شكل العظمة الصدغية الأقرب إلى الاستدارة منه إلى الاستطالة، والجبهة مرتفعة وشبه قائمة. وأن الشعر أسود وكثيف على الرأس وناعم ومن النوع السبط القليل التموج. وينبت الشعر على الجسم وعلى منطقة الوجه وتحت الإبطين والعانة بشكل كثيف. ويطلق الرجل في معظم الأحيان شاربيه ولكن بشكل معتدل على عكس من النَّوَرْ الطنجرلية في منطقة القدم بدمشق و في منطقة حلب.

رجل من النَّوَرْ الحجيات لمنطقة الرقة / تبدو فيه السمات السلالية الأصلية الخاصة بالنَّور عام ١٩٨٦م

ـ التوزع الجغرافي لعشائر النَّوَرْ:

عشيرة الزليخات: يوجد سبع منازل في حي البدو الواقع في الجزء الشمالي من مدينة الرقة. ويوجد ثلاثة بيوت في الجانب الغربي من محطة القطار. وأن عشرة بيوت في حي الوهب أو منطقة الوهب في مدينة الثورة (الطبقة سابقاً). ويوجد خمس بيوت أو منازل من عشيرة الزليخات عند نبع عين العروس في منطقة تل أبيض التابعة إلى محافظة الرقة.

عشيرة القواسمة: ينتشر أفراد هذه العشيرة في منطقة مدينة الرقة فقط: فهناك ثلاثة منازل في حي الرميلة الواقع في الجزء الشمالي من مدينة الرقة. وأن هناك أربعة منازل في أقصى جهة الشمال من الرقة بالقرب من معمل السكر. ويوجد خمس منازل في حي الوهب في مدينة الثورة.

عشيرة الدقادقة: يتروح عدد منازل عشيرة الدقادقة ما بين /٧ ـ ١٠ منازل/. ويتوزع أفراد عائلة الدقادقة في نفس الأماكن التي يتواجد فيها أفراد عشيرة القواسمة.

ـ البنية الاجتماعية عند نور منطقة الرقة:

ينتظم نور الرقة كغيرهم من النَّوَرْ في المناطق الأخرى من القطر العربي السوري وبقية أقطار الوطن العربي في تنظيم اجتماعي تحكمه علاقات اجتماعية ذات صبغة قبلية يتحدد من خلالها موقع الفرد حسب العمر وحسب الجنس ذكر أم أنثى من ذلك التنظيم. ويتصف التنظيم القبلي بشدة وطأته على نفسية الفرد الخاضع له لدرجة أن سلوكية الفرد مرتبطة في تنظيمه الاجتماعي القبلي وأن إبعاد الفرد عن تنظيمه القبلي يعتبر بمثابة عقوبة قاسية عليه لا يفوقها قساوة إلا عقوبة الموت له. ويتكون التنظيم الاجتماعي من مجموعة من الأسر التي ترتبط مع بعضها إما برباط القرابة الدموية أو عن طريق الاحتماء بالعشيرة الكبيرة من قبل عشيرة صغيرة من أجل حماية الذات وتحصيل الحق لأفرادها فيما إذا وقعوا في خلافات مع أفراد عشائر أخرى وما أكثر هذه الخلافات بين العشائر النورية والتي تصل إلى حالة القتل لأتفه الأسباب. ويقف في قمة الهرم للتنظيم الاجتماعي القبلي شيخ العشيرة أو كبيرها الذي تتوفر فيه الصفات التالية: الغنى ـ الكرم ـ الشهامة ـ الحلم. وغالباً ما تنتقل المشيخة بشكل اعتيادي من الأب إلى الابن الأكبر بعد وفاة الأب. وقد كان الشيخ في الماضي هو الذي يقوم بحل

الخلافات الداخلية بين أفراد العشيرة لدرجة إذا ما أراد أحد أن يزوج ابنه عليه بالذهاب إلى بيت المختار أو الشيخ كي يقوم بمهمة الوساطة بين أهل الشاب وبين أهل الشابة. ويقوم الشيخ بتمثيل أفراد عشيرته عند العشائر النورية الأخرى وخاصةً في حل المشاكل التي يتسع نطاقها الاجتماعي كي يشمل أكثر من عشيرة كما هو الحال في حالات زواج الخطيفة المتعارف عليه عند النَّوَرْ.

- الزواج:

يتم الزواج عند النَّوَرْ في منطقة الرقة عن طريق خطبة يد الفتاة من أهلها من قبل أهل الشاب الذي أراد له هذه الفتاة بالذات كشريكة لحياته لأسباب غالباً ما يقدرها أهله. وكما لمست فإن الزواج في معظمه عند كل عشيرة يكون من نوع الزواج الداخلي Endogamy، بمعنى أن الزواج يتم بين أفراد العشيرة الواحدة بالدرجة الأولى، وبالدرجة الثانية يتم بين أفراد العشائر النورية الثلاث والتي تعرف في منطقة الرقة بالحجيات: القواسمة ـ الزليخات ـ الدقادقة. ويسمى هذا النوع من الزواج بالزواج الخارجي: زواج الشاب أو الشابة من شخص لا ينتمي إلى عشيرته أو عشيرتها ويعرف هذا النوع من الزواج بـ Exogamy. والمهر يختلف حسب درجة قرابة العروس من العريس وفي كل الأحوال لا يقل عن الأربعين ألف ليرة سورية، في حالة كون العريس والعروس من عشيرة واحدة. وفي حالة كون العريس والعروس من عشيرتين مختلفتين يصل المهر إلى مبلغ المئة ألف ليرة سورية. ويزداد مبلغ المهر المدفوع لأهل الفتاة كثمن لها حسب درجة جمالها وحلاوة صوتها وإتقانها لفن الرقص، فإذا ما كانت المواصفات المذكورة متوفرة بالفتاة بصفة إيجابية فإن مهرها يزيد عن مبلغ المئة ألف ليرة سورية لأنها في هذه الحالة تنطبق عليها صفة الحجية، إذ تُعتبر الحجية هي مورد الرزق لأهلها وهي التي يمكن أن توصلهم إلى درجة معينة لذا من هذا المنطلق يجب أن يكون مهرها مرتفعاً*.

◆ - الحجية: هي الفتاة الحسناء الممشوقة القوام والجميلة، والتي تجيد الغناء بصوت جميل، والتي تجيد الرقص، وجمع - حجية - حجيات. ومن هنا جاءت تسمية العشائر النورية في بلاد الشام التي تمتهن نساؤها الغناء والرقص بتسمية الحجيات منها: الكريلية - البرامشة - الزليخات - القواسمة - الدقادقة - البشايرة - الصوالحة - المصاطفة - العودات.

فالفتاة الجميلة ذات القوام الممشوق والجسم المتناسق وصاحبة الصوت الجميل والابتسامة الحلوة مهما كان مهرها غالياً عند عشائر النَّوَرْ التي تمتهن فيها النساء الرقص والغناء مثل: التمارزة ـ الهرامشة ـ الكريملية، فإنها قادرة على تحصيل مبلغ مهرها في مدة أقل من سنة بعد زواجها عن طريق إحيائها للحفلات الغنائية الراقصة.

ولا يعطي النَّورْ من جماعات /الحجيات/ بناتهم إلى عشائر النَّوَرْ المعروفة بالقرباط لا لاختلاف بالكار فيما بينها وإنما لاعتقاد يسود أن القرباط جماعة قساة ولا يتمشون مع روح العصر وذلك كما ينظر إليهم النَّوَرْ. كما أن القرباط لا يأخذون ولا يعطون إلى عشائر النَّورْ في منطقة الرقة ولا في أي مكان آخر من القطر انطلاقاً من نظرتهم إلى النَّورْ: أن النَّورْ من غير القرباط العرض عندهم غير عزيز عليهم لكون النَّوَرْ يسمحون لنسائهم الغناء والرقص والسفر لوحدها... من أجل جمع المال، وبالتالي فإن كلاً من الفئتين المتباينتين بالمهنة التي يزاولها أفراد كل جماعة منهما ينعت بالدونية.

الحسناء سعاد بين شيخ عشيرة الزليخات /المهر يزيد عن المئة ألف ليرة سورية
لكونها حجية من جهة ولكونها بنت الشيخ من جهة أخرى
الرقة محطة القطار ١٩٨٦م

وتجدر الملاحظة أن المهر يكون مرتفعاً عند جماعات النَّوَرْ في حالة كون والد الفتاة شيخاً للعشيرة التي ينتمي إليها أو غنياً.

ويسود عند النَّوَرْ في منطقة الرقة الزيجات التالية: زواج البدل ـ زواج الخطيفة ـ الزواج التعددي.

ـ زواج البدل:

يتم هذا النوع من الزواج عن طريق مقايضة فتاة بفتاة وذلك بعد أن يتفق شابان من خلال أهليهما بأن يزوج كل منهما أخته للآخر. ويحدث في مثل هذا الزواج بأن يدفع شقيق الفتاة غير الجميلة مبلغاً من المال يتفق عليه علاوة على أخته مقابل زواجه من أخت الشاب الآخر والأكثر جمالاً.

وإذا ما نجم خلاف بين أحد زوجين وكان من نتيجته طرد أحد الزوجين لزوجته، فإن الزوج الآخر يجد نفسه مجبراً على طرد زوجته كإجراء تضامني مع أخته التي طردها زوجها من بيته.

ـ زواج الخطيفة:

إن زواج الخطيفة حاصل عند جماعات النَّوَرْ وبكثرة لأسباب متعددة ومنها:

ـ عدم موافقة الأهل على زواج ابنتهم من الشاب الذي تحبه إذا ما علموا ذلك.

ـ لعدم وجود علاقات زواج بين عشيرتي الشابين (عندما يكون كل منهما من عشيرة مختلفة، وفيما بينهما ثارات قديمة ذات طابع دموي).

ـ عند وجود اختلاف في مهنة أهل الشاب وبين مهنة أهل الفتاة التي أحبها، حيث يقف الأهل لكل من الشاب والشابة ضد زواجهما مثال: كأن يحب شاب من عشائر النَّوَرْ القرباط شابة من عشائر النَّوَرْ بغض النظر عن المهنة التي يمارسها أهل تلك الفتاة.

وبعد أن يخطف الشاب الفتاة التي يحبها يرحل بعيداً عن أهله ويلجأ إلى عشيرة ثالثة حيث يندفع وجهاء تلك العشيرة المستجار بها إلى التوسط بين عشيرتي الشاب والشابة لإصلاح ذات البين بينهما. وإذا ما تمت الوساطة من قبل وجهاء عشائر النَّوَرْ إيجاباً فإن أهل العريس يدفعون المهر مضاعفاً بالنسبة للمهر الاعتيادي المتعارف عليه عند تلك العشائر مع تقديم الطعام والذبائح للوساطة على إثر ذلك الخلاف الاجتماعي الطابع.

وأحياناً لا يقبل والد الفتاة المخطوفة المال مقابل ابنته المخطوفة وإنما يطلب الزواج من أخت الخاطف وإن كان فارق السن بين الطرفين كبيراً فإن ذلك يحصل دون أي معارضة من أهل الشاب الخاطف.

ـ الزواج التعددي:

لازال يسود عند نور منطقة الرقة زواج الرجل بأكثر من امرأة إلى الآن حيث نجد أن الرجل يتزوج على زوجته لا لشيء سوى أنه عشق امرأة جديدة على زوجته وأن النَّوَر غارقون حتى آذانهم بالحب، حيث يعتقدون أن الحياة قائمة بدون حب، لا بل الحب عندهم متجدد. فكان في الماضي يحصل الزواج التعددي من الرجل بغية الحصول على المال وتأمين الحاجات التموينية بشكل أفضل. فالرجل الذي عنده زوجتان تكون حالته المادية أفضل من الزوج الذي عنده زوجة واحدة وهكذا. والشيء الطريف أن الرجل النوري قادر على الجمع بين الزوجتين في دار واحدة وحتى في خيمة واحدة أحياناً، فقد شاهدت رجلاً من النَّوَرْ الذين يعيشون في بلدة نوى بحوران رجلاً يعيش مع زوجتين تحت خيمة واحدة صغيرة قد قسمها إلى نصفين بواسطة شرشف كي يكون مستوراً عن الزوجة الثانية التي تنام مع أطفالها في الجانب الآخر من الخيمة دون أن يحدث أي خلاف يذكر من قبل الزوجتين.

وتدوم الأفراح عند النَّوَرْ في منطقة الرقة لمدة أسبوع كامل قبل الزفاف وفي اليوم السابع تزف العروس إلى بيت الزوجية مصحوبةً بالغناء والزغاريد. وفي الماضي كانت العروس كما قال الشيخ السيد مختار عشيرة الزليخات: كانت العروس تركب على حمار وفي بعض الأحيان على ـ الكديش ـ إذا كان مثل هذا الحيوان متوفراً، وكانت النسوة والبنات يرقصن ويزغردن ويصدحن الأغاني الحلوة حتى إدخال العروس إلى الخيمة التي أعدت خصيصاً للزواج.

ويقوم أهل العريس بتقديم النقوط من الدراهم في يوم الزفاف بعد الغداء، وعندما يقدم أحد الحضور يكون هناك شخص يصيح بأعلى صوته قائلاً: شوباش إلى السيد فلان فقد دفع ٥٠٠ ل.س مع خروف مثلاً، وغالباً ما يكون شخصاً آخر يسجل الأسماء بسرعة وإلى جانب كل اسم ما تبرع به، لأن النقوط هذا قرض ودين على العريس يجب

إرجاعه إلى أصحابه في مناسبات الفرح كالزواج أو الطهور. والشخص النوري مشهور بكرمه فإنه لا يرجع المبلغ الذي أهدي إليه فقط لصاحبه عندما يفرح وإنما يتم إرجاع المبلغ مضافاً إليه أحياناً مبلغاً جديداً يساوي ضعف المبلغ الأول. ويستغل هذه الناحية أصحاب ومعارف الشخص النوري صاحب الفرح ومن غير النُّوَرْ في تقديم الهدايا له طمعاً في أن يرجع المبلغ الذي أهدوه إلى صديقهم النّوري أضعافاً مضاعفة وهذا ما لمسته في منطقة القدم في الجزء الجنوبي من دمشق أيضاً حيث يوجد هناك نور وأناس من مناطق مختلفة من القطر العربي السوري، فإذا ما تزوج شاب من عند السكان النُّوَرْ انهال الجيران من غير النُّوَرْ في تقديم الهدايا طمعاً بالهدية التي ستُهدى إليهم في المستقبل وقد قال لي عن هذه الظاهرة السيد راجي الحسين من عرب بلدة العشّة والذي يسكن هناك ويعمل مع جيرانه من النُّوَرْ كما ورد سابقاً.

وعلى الفتاة من نور منطقة الرقة أن تحافظ على غشاء بكارتها على الرغم من مهنة الرقص والغناء التي تمارسها قبل زواجها. وإذا ما تزوجت فتاة وتبين أنها ليس بكراً فإن العريس في أغلب الأحيان يطلب إرجاع قسم من المهر الذي كان قد دفعه إلى أهلها وقد يصل ذلك المبلغ إلى نصف المهر. والشيء الذي لمسته أن النُّوَرْ الحجيات في منطقة الرقة ليسوا متزمتين اتجاه غشاء البكارة والمحافظة عليه كما هو الحال عند نور منطقة حلب ونور منطقة حمص وحتى نور منطقة دمشق، حيث تنتهي مثل تلك الحوادث في قتل الفتاة إذا تبين أنها ليست بكراً كما هو الحال عند القرباط وبصورة خاصة. وربما يعود سبب عدم تشدد الأهل اتجاه ابنتهم التي لم تحافظ على عذريتها قبل زواجها إلى طبيعة المهنة التي يزاولها النُّوَرْ في منطقة الرقة الزليخات ـ القواسمة ـ الدقادقة، والتي تتطلب الجلوس والمسامرة مع الرجال الذين جاءوا للاستماع إلى الغناء ولمشاهدة الحجيات وهن يتمايلن بقامتهن المشوقة حيث تتلوى الحجية بجسدها أمام الحضور كما تتلوى الأفعى أثناء تألمها من الضرب عندما تكون محصورة في مكان ما من قبل إنسان أجهز عليها لقتلها.

وقد قال لي أكثر من شخص من منطقة الرقة أن صاحب البيت من النُّوَرْ الحجيات عندما يأتي إلى عنده شاب يسأله عن الهدف من مجيئه كما يلي: ـ جاي تُقرْوِصْ ولاّ تِسْمَعْ نَغَمْ ـ والسبب في طرح مثل ذلك السؤال يعود إلى اختلاف كمية المبلغ الذي

سيدفعه ذلك الشخص فإذا كان قد جاء كي يجلس إلى جانب الحجية كي يدغدغها فإن المبلغ يكون أكبر مما لو أنه قد جاء كي يسمع نغم فقط. ويكون المبلغ أكبر مما سبق إذا جاء الشخص من أجل القَرْوَصَةِ والنّغم معاً.

مما سبق نجد الأمر طبيعياً إذا لم يشدد النَّوَرْ في الرقة على الفتاة بأن تحافظ على غشاء بكارتها لأن مهنتها كحجية قبل زواجها غالباً ما يوقعها في مطبّات اجتماعية تفقد الفتاة الحجيّة خلالها غشاء بكارتها ولكن لقاء مبلغ من المال كبيراً جداً.

حسناء في غاية الجمال في السابعة عشر من عمرها
من منطقة الجزء الشمالي من مدينة الرقة ١٩٨٦م

أما بالنسبة للطلاق فإنّه نادر الوقوع بين صفوف النَّوَرْ بصورة عامة، بما فيهم النَّوَرْ في منطقة الرقة. ولا يحدث الطلاق إلا إذا ضُبطَت الزوجة بجرم الخيانة الزوجية بشكل مباشر. وإن ما لمسته بالإضافة إلى ما قاله أهل الرقة، أن المرأة المتزوجة قد تعمل ما ترغب به مقابل المال، وزوجها يعمل ممهداً لذلك. ويمكننا القول إن النَّوَرْ يشكلون جماعة بشرية ذات تنظيم اجتماعي يقوم على تعدد الزوجات مع نبذ الطلاق. وهذا يقودنا إلى القول الآتي: إنّ النَّوَرْ مجتمع مزواج يرفض الطلاق.

- مكانة الرجل:

تشكل المرأة عند النَّوَرْ في منطقة الرقة المورد الأساسي لدخل الأسرة أما الرجل فلا عمل له إلا مرافقة زوجته أو ابنته الحجية في إحياء الحفلات، كعازف على الربابة أو الزّمر. وإنّ للرجل كلمته المسموعة، ولا يتم شيء في البيت إلا بموافقته. وربما كانت المكانة الجيدة للرّجل في بيته بالرغم من أنه لا يشكل المورد المادي لأفراد أسرته، آتية من خوف المرأة النّورية من الطلاق من قبل زوجها، لأن في طلاقها إنقاص لقيمتها الاجتماعية بين أفراد عشيرتها وعشائر النَّوَرْ الأخرى، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يعود إلى عدم وجود الرغبة بين الرجال في الزواج من النساء المطلقات برغبة أزواجهن.

وبغض النظر عن المكانة الأفضل للرجل عند نور الرقة، نجد أن للمرأة كيانها الاجتماعي المرموق في نطاق أسرتها، لا بل لها دور كبير في حل المعضلات التي يتعرض لها أفراد أسرتها، وذلك على خلاف وضع المرأة عند جماعة النَّوَرْ القرياط، حيث تمارس عليها ضغوط قاسية سواء في بيتها أم في خارج بيتها، ليس من زوجها وإخوتها فقط، وإنما من قبل أي رجل من أفراد عشيرتها، وخاصة في قضايا العِرْض؛ إذ يحق لأي شخص من عشيرة المرأة القرياطية، أن يقدم على قتلها إذا ضُبطت مع الشخص بالجرم المشهود، دون أن يترتب على القاتل أي مسؤولية من قبل أهلها.

رجل من نَوَرْ منطقة الرقة يقوم بصنع ربابة من التتك. ١٩٨٦م

- طقوس دفن الموتى:

يتم دفن الموتى كما قال السيد أبو قاسم حسب الشريعة الإسلامية. إلا أنّ كمية الماء التي يغسل الميت بها إذا كان رجلاً أكبر من كمية الماء التي تغسل بها المرأة:

- يغسل الرجل الميت بسبع كيلات (طاسات) من الماء الساخن، أما المرأة فتغسل بثلاث طاسات ماء.

- يكفن الرجل الميت بعد غسله بكفن واحد من القماش الأبيض، حتى ولو سبق له زواج أكثر من امرأة.

- تكفن المرأة بأكفان يساوي عددها عدد الرجال الذين تزوجت منهم في حياتها.

- بعد أن يكفن الميت. يُنقل إلى المقبرة حملاً على الأكتاف، دون أن يصلّى عليه صلاة الجنازة. وبعد دفن الميت ينصبون خيمة (بيت من الشعر) من أجل استقبال

المعزين، كما يقوم أهل الميت بذبح الذبائح (الخراف) من أجل تقديم الطعام للضيوف المعزين، بالإضافة إلى تقديم القهوة المرة والتبغ. وتدوم مدة التعزية سبعة أيام، وبعد استكمالها يتم هدم الخيمة التي بنيت خصيصاً لاستقبال المعزين.

- وتجدر الإشارة إلى أن حادثة الوفاة، تُستقبل بالصراخ والعويل من قبل الجميع، بالإضافة إلى اللطم على الخدود وتخديشها بالأظافر حتى يسيل الدم منها بغزارة، وأحياناً تمزق المرأة ثيابها إذا كان الميت عزيزاً عليها، مثل: ابنها أو زوجها أو أخيها، وتقوم المرأة بنثر التراب على رأسها.

والطريف عند نور الرقة أنه عندما تحدث وفاة في بيت ما، يقومون برقصات حزينة مصحوبة بموسيقى حزينة ومعبرة بشكل جيد عن فداحة المصاب الذي حلَّ بهم. وتقوم المرأة بقص شعرها كتعبير عن شدة حزنها على فقيدها.

ويدين النَّوَرْ في منطقة الرقة بالدين الإسلامي، إلا أنهم غير ملتزمين بتعاليمه. وقد قال لي بعضهم مثل السيد أبو سليم وأبو قاسم: «إننا نصوم رمضان في النهار وحجيات في الليل. إننا إسلام وإن العمل الذي نقوم به من رقص وغناء وعزف لا علاقة له بالدين».

- النَّوَرْ في منطقة الرقة:

تعدُّ اللغة ظاهرة اجتماعية يكتسبها الفرد من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وإن تعدد البيئات الاجتماعية التي عاش فيها النَّوَرْ ويعيشون فيها حالياً، خلال تاريخهم الطويل القائم على الترحال والتشتت ساهم في ضياعهم لتاريخهم، كما ساهم في ضياعهم لمعرفة أصولهم البشرية والجغرافية وحتى الاجتماعية، لولا بعض العادات التي لازالوا يتمسكون بها، والتي ميَّزتهم عن بقية السكان المحليين، في أي منطقة يتواجدون فيها من العالم.

ومن اللغات التي يعرفها النَّوَرْ في القطر العربي السوري: اللسان التركي - اللسان الفارسي - اللسان الكردي - اللسان التركماني - اللسان العربي. وذلك حسب البيئات الاجتماعية التي عاش فيها أسلاف النَّوَرْ الحاليين في مناطق وسط آسيا، حيث تعيش الشعوب التي تتكلم بلغات تنتمي إلى العائلة اللغوية الطورانية والعائلة اللغوية الفارسية، والتي تعتبر اللغة الكردية واحدة منها.

أما اللغة التي يتكلم بها النَّوَرْ في الرقة /الزليخات ـ الدقادقة ـ القواسمة/ فهي اللغة النَّورية أو لغة ـ الضوم ـ DOM. وهي إحدى اللغات التي تنتشر في شمال شبه جزيرة الهند. وتُعتبر لغة الأوردي أقرب إلى لغة الضّوم من بقية اللغات التي تسود بين سكان وسط وشمال الهند، حيث يُعرف ذلك القسم من الهند بتسمية ـ الهندستان.

وهذه بعض المفردات من لغة الضوم التي يتكلم بها النَّوَرْ في الرقة:

العربية	اللسان النوري (ضوم واري)
لحم:	ماسي
رز:	ابرنج
طعام:	قبس
خبز:	مانا
دجاج:	تشماري
غنم:	بكراه
الحصان:	غروا
الخالة:	بيبي
القهوة:	تِحْلا
شومي:	جبس
شمام:	بطيخ
الكلب:	سنوطا
الأنف:	نك
المحفظة:	خرجك
عظم:	خزك
البقرة:	غرور
الأرنب:	كنونردي
برغل:	برغلن
الأب:	أباه
الأم:	أيداه

الولد:	فروم
البنت:	لافتي
الزوج:	مستون
الزوجة:	جورو
الجد:	مامر
عدس:	مَجّي
البندورة:	اللهوهري
حليب:	كير
الأخ:	بّار
السروال:	كيلاة
اللحام:	بورا

وبصورة عامة إن لغة الضوم التي يطلق النَّوَرْ عليها لسان العصفورة، بغض النظر عن تسمياتهم التي يعرفون بها مثل: القرباط ـ النّور ـ المطاربة ـ الحجيات ـ الصّناع.. الخ، يدخل في مفرداتها بعض الكلمات ذات الأصول المختلفة، مثل: الهندية، الفارسية، التركية، الأرمنية، اليونانية، العربية. وما هذا الخليط اللغوي المتباين في أصوله السلالية واللغوية والتاريخية والجغرافية التي عاش النَّوَرْ فيها بعد خروجهم من شمال الهند على شكل موجات، تفصل بينها فترات زمنية.

وإلى جانب اللغة العربية ولسان الضوم النّوري، يتكلم النَّوَرْ في الرقة باللسان التركي فيما بينهم أيضاً.

ـ الأعمال التي يزاولها النَّوَرْ في منطقة الرقة:

كان وما زال الحجيات في منطقة الرقة، يزاولون مهنة الرقص والغناء والعزف على العود والزمر والضرب على الطبل. وكانت وما زالت المرأة الحسناء الرشيقة القوام ذات الصوت الجميل، مصدر الثروة عند العشائر التي كانت وما زالت تعيش في المنطقة المذكورة: الزليخات ـ القواسمة ـ الدقادقة. فقد كانوا في الماضي يقصدون شيوخ القبائل البدوية التي ترعى الماشية: مثل: شيوخ ووجهاء عشيرة شمّر وعشيرة ولدعلي

وعشيرة الحديدين وعشيرة بني خالد، من أجل الحصول على عطاءاتهم من منتجاتهم الحيوانية: الخراف ـ السمن ـ الصوف ـ اللبن ـ بأنواعه: الكشك ـ الجبن ـ الزبدة.

وتبدأ رحلة التنقلات عند نور الرقة بدءاً من نهاية شهر نيسان، حيث كانوا وما زالوا يحملون آلاتهم الموسيقية من طبل وزمر وعود وصنجات ودف وربابة وبصحبتهم نساؤهم الحجيات، اللواتي يجدن الرقص والغناء وإطلاق صيحات الشوباش، للتلاعب بأعصاب الأغنياء البدو وشيوخهم، وخاصةً من خلال الرقصات الرشيقة، حيث تتلوى الحجية بخصرها أما شيخ القبيلة البدوية المحروم من تلك المناظر، مع الجلوس أحياناً في أحضان الوجهاء والأغنياء من الحاضرين في الحفلة الساهرة، التي تقام في بيت الشَعر أو أمامه، عند ذلك الشيخ الذي اهتز طرباً وانتشى من تمايل الخصر الجميل في حضانه. مما يدفعه هذا إلى إغداق العطايا على جماعة الحجية من خراف وسمن وطعام ورعاية تامة مرفوقة بالحماية الكاملة. وبعد أن ينال النَّوَرْ العطاء من هذا الشيخ الوجيه، يذهبون إلى وجيه آخر لمدحه كي يكون العطاء جزيلاً. وهكذا يبقى النَّوَرْ الحجيات طيلة الفترة الممتدة من أيار وحتى تشرين، وهم برفقة مضارب عشائر البدو. أحياناً كانت تلازم مجموعة من النَّوَرْ الحجيات شيخ العشيرة البدوية الغني طيلة فترة الصيف والخريف، ليعيش متمتعاً بالنغم الحلو والصوت الجميل وضم القامة الرشيقة ذات الصدر الناهد إليه. وفي المقابل يقدم هذا الشيخ الطعام والشراب والحماية لهم، ويغدق عليهم النعم، عندما يحل فصل البرد، ويعودون إلى مشتاهم على أطراف التجمعات السكنية لمدينة الرقة وقراها. ونتيجة الملازمة الطويلة لعشائر البدو، نجد الكثير منهم يقول: **«نحن عرب عشاير مثلنا مثلكم، كنا نرحل ونعيش في البادية».**

وحالياً لا زال النَّورْ الحجيّات في منطقة الرقة، ما أن يحلّ فصل الخريف حتى يحزمون أمتعتهم وخيامهم الصيفية الخفيفة وآلاتهم الموسيقية، قاصدين شيوخ البدو في القرى المحيطة لمدينة الرقة: بشركراك ـ عين عيسى ـ القنطري ـ الزيدي ـ جسر ... ـ حمام التركمان ـ بندر خان ـ حكيروا. لإحياء الحفلات الغنائية الراقصة الساهرة في الأماكن المذكورة، ومع حلول فصل البرد في منتصف تشرين الثاني، ... إلى أماكن مشتاهم سواء في مدينة الرقة أو القرى المحيطة بها/عام ١٩٨٧م/.

وقد كان هؤلاء النَّوَرْ يتنقلون على الحمير التي يركبونها، بعد وضع خيمهم وأمتعتهم على ظهورها. وكانوا يرحلون على شكل قافلة يزيد عدد الحمير فيها أحياناً عن العشرين حماراً. كما كنت أشاهد ذلك في الستينات من القرن العشرين. فقد كان يملك صاحب كل خيمة، ما بين ١ ـ ٣ حمير، وذلك حسب حالته المادية وعدد أفراد عائلته. وكانت النساء تؤمن التبن والشعير لهذه الحيوانات عن طريق الشحادة. أما الآن فإن تنقلاتهم تتم عن طريق سيارات شاحنة من النوع الصغير أو الوسط، حيث تشترك مجموعة من الأسر على استئجار سياة شحن لانتقال بها بشكل جماعي.

وفي فصل الشتاء لا يعمل الرجال أي عمل سوى مرافقة نسائهم الحجيات اللواتي يُدعون من أجل إحياء الحفلات الراقصة الغنائية على إيقاع العزف على العود والربابة والنقر على الدف وأحياناً مع القرع على الطبل من قبل الرجال. وعندما لا تكونْ عندهم حفلات يجلسون في بيوتهم، من أجل شرب القهوة والشاي والدخان. واستقبال الضيوف، وهناك الكثير من الرجال الذين يبذرون أموالهم في سماع النغم الحلو، إلى جانب التمتع بالرقصات الجميلة للحجيات في بيوتهن. ولذا نجد الكثير من شباب منطقة الرقة يُسْرِفُونَ أموالهم على زيارة الحجيات من أجل التنفيس عن أنفسهم، لكونهم يعيشون حياة قبلية، تجعل اللقاء بّين الشباب والفتاة أمراً مستحيلاً. زيادةً على أن مبلغ المهر يرتفع أحياناً عن المئة ألف ليرة سورية عند أهالي منطقة الرقة. وأن معظم النّور الحجيات في أيامنا هذه قد ارتحلوا إلى الكبيرة، لإحياء الحفلات الساهرة في دور الملاهي والرقص، وبخاصة في منطقة: حلب ـ حمص ـ حماة ـ دمشق.

ـ ومن الأعمال التي يمارسها النُّورْ في منطقة الرقة، صيد الحيوانات البرية في المواسم، مثل: الأرانب والحجل، حيث يضعون حجلاً ذكراً مربوطاً إلى جانب الشبكة وبمجرد أن يطلق الحجل الذكر أنغامه الحلوة، تأتي إليه طيور الحجل البري الموجودة في نفس المكان فإذا ما اقتربت الطيور من الشبكة، شدّ الصياد الشبكة بخيط يمسكه بيده فيقع الحجل أسيراً في الشبكة. ويصطادون النيّص عن طريق كلاب الصيد /البوجي/.

ـ أما الأطفال عند النُّوَرْ في منطقة الرقة فقد كانوا وما زالوا يقومون بمسح الأحذية في الشوارع، وبشكل خاص في مدينة الرقة، إلاّ أنه بدا واضحاً في السنوات الأخيرة، كما قال لي بعض معلمي الابتدائي في مدينة الرقة، أنّ عدد الأطفال الذين يعملون في

مسح الأحذية في الشوارع قد قلّ بسبب التشديد من قبل السلطة في تطبيق قانون التعليم الإلزامي في المرحلة الابتدائية. مع الأخذ بعين الاعتبار أن النَّوَرْ جميعاً في منطقة الرقة مسجلون في السجلات المدنية لمدينة الرقة وتوابعها، وهذا ما يسهل على أجهزة الأمن الداخلي ملاحقة أهالي الأطفال الذين هم في سن المرحلة الابتدائية ولم يلتحقوا بها.

وأحيانا نجد بعض الأطفال من النَّوَرْ الحجيات ومن الجنسين يدورون في الشوارع، حيث الأماكن المزدحمة بالمارة من أجل الشحادة /١٩٨٦م/.

- المسكن:

يسكن جميع النَّوَرْ في منطقة الرقة في بيوت ثابتة مبنية من الاسمنت، ومخدَّمة بالماء والكهرباء ومؤثثة بأثاث جميل ونظيف كالسجاد وفرشات الصوف، إلى جانب الأدوات الكهربائية مثل: المذياع والتلفاز والمسجلة.

وبالرغم من سكنهم في بيوت ثابتة إلا أنهم لا يستغنون عن الخيام بصورة عامة. حيث حتى أنهم يقضون معظم ساعات النهار فيها، لا بل نجد المسنين ينامون فيها. وعندما يسألون. لماذا تجلسون في الخيمة وعندكم البيوت الاسمنتية المؤثثة والمريحة؟ يكون جوابهم على الفور: «إننا لا نستطيع أن نترك الخيمة، ففيها وُلدنا وفيها عاش آباؤنا». **ويتابعون القول: «إننا لا نطيق الجلوس في البيوت بين أربعة حيطان، فهي بمثابة السجن لنا».**

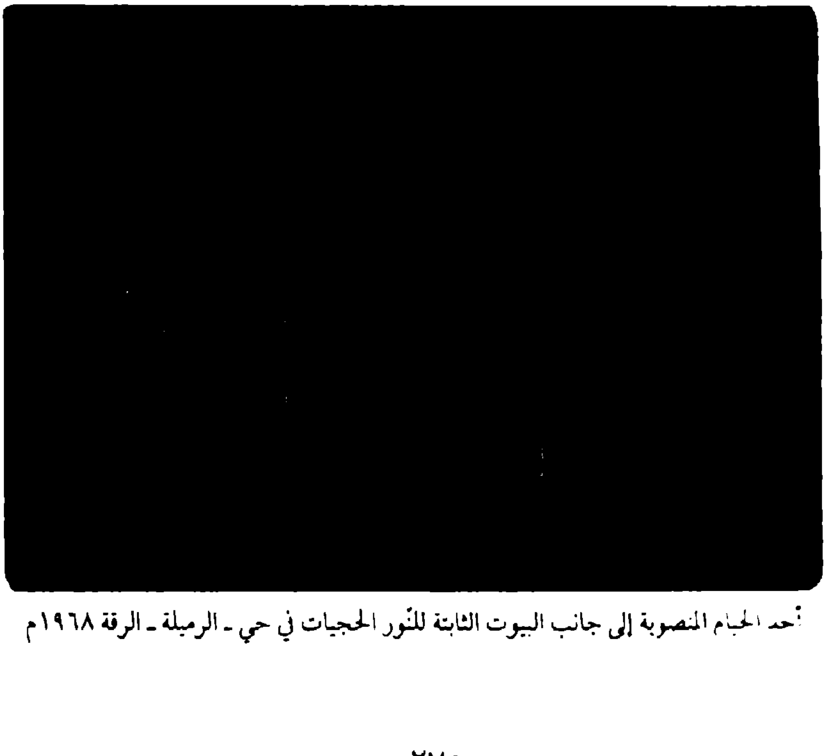

أحد الخيام المنصوبة إلى جانب البيوت الثابتة للنَّور الحجيات في حي - الرميلة - الرقة ١٩٦٨م

إن مثل هذا الشعور الذي يحس به الشخص النُّوري اتجاه الخيمة، بعد أن ينتقل إلى السكنى في بيت ثابت داخل أربعة جدران، هو شعور حقيقي وصادق، ويترجم اختلاف السلوك البشري في حال انتقال الإنسان من نمط معيشي ما إلى نمط معيشي آخر جديد يغايره تماماً. فمن السهولة بمكان أن يترك الإنسان المرتحل الخيمة التي كانت تلازمه طوال حياته، لكن من الصعوبة التخلي عن عاداته وتقاليده، وحتى مشاعره التي نشأت وتكونت في فترة زمنية طويلة، وخلال تعايشه مع حالة الانتقال والترحال. وكي يتخلى الإنسان المرتحل عن سلوكه الذي نشأ في النمط المعيشي غير المستقر، يحتاج إلى فترة زمنية طويلة ليتأقلم مع حياة الاستقرار الجديدة، وحجز الحرية حسب رأيه. لأن الثقافة الروحية والاجتماعية، يكتسبها الإنسان من البيئة الاجتماعية والروحية التي يعيش فيها، فتتأصل في سلوكه، وتؤثر في تصرفاته اليومية اتجاه الآخرين الذين يحيطون به. وإن التخلي عن تلك العادات والتقاليد التي اكتسبها المرء من السلف في خضم البيئة الاجتماعية والروحية التي وُلِد وعاش فيها في زمن قصير، يكون بمثابة طعنة قاسية له في صميم شخصيته الاجتماعية، التي تكونت مكوناتها أو مقوماتها بدءاً من مناغاة أمه له، وهو يرضع من ثديها وحتى يكبر. وتؤكد العلوم الإنسانية ذلك: أن السنوات العشر الأولى من حياة الطفل، هي الفترة الزمنية الحاسمة في تكوين مقومات شخصيته الاجتماعية.

- اللباس:

يرتدي الرجل من نور الرقة: القلابية والجاكيت. ويلبس على رأسه القضاضة أو الشماخ، دون أن يضع فوقها العقال كما هو واضح في الصورة التالية:

رجل من النَّوَرْ الحجيات مع بعض أفراد أسرته الرقة ـ الكورنيش عام ١٩٨٦م

والشيء الطريف عند نور منطقة الرقة، أن الرجل يلبس القضاضة أو الشماخ بطريقة تختلف عن بقية النَوَرْ في مناطق القطر العربي السوري: نور حمص ـ نور منطقة دمشق وغوطتها ـ نور منطقة حوران ـ نور الساحل.

يثني الرجل الشماخ على شكل مثلث متساوي الساقين، ثم يضعه على رأسه بحيث تكون قاعدته فوق العظم الجبهي للرأس. في حين يكون رأس المثلث مسدولاً على الظهر، وبعدها يمسك رأس القاعدة ويشدها إلى خلف العين، وبعدئذ يسدل الساق الأيمن للمثلث على الكتف الأيسر، بحيث تكون نهاية الساق منسدلة على الجانب الأيسر للصدر، ويكون الساق الأيسر للمثلث منسدلاً من الكتف الأيمن باتجاه الأسفل من الجانب الأيمن للصدر. ويشارك النَّوَرْ القرباط في حلب والذين يقضون معظم أشهر السنة في منطقة الرقة، النَوَرَ الحجيات في الرقة في طريقة وضع القضاضة أو الشماخ على الرأس بالنسبة للرجل. والصورة التالية توضح ذلك بشكل جيد.

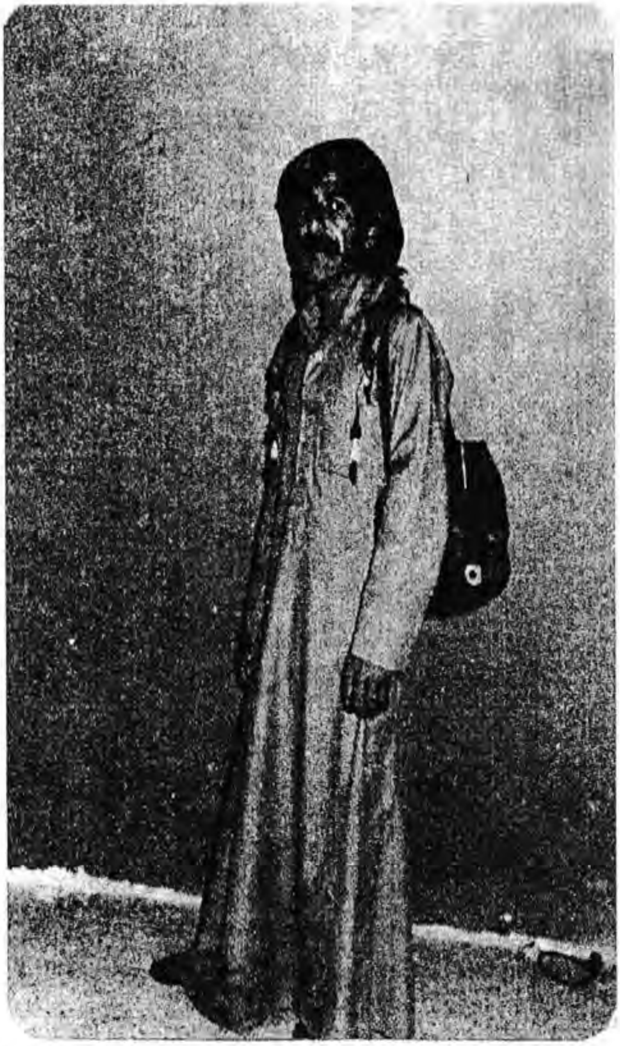

شاب من النَّوَرْ القرباط في منطقة الرقة وطريقة وضع الشماخ على رأسه عام ١٩٨٦م

لباس المرأة عند النَّوَرْ الحجيّات:

على ما يبدو أن لباس المرأة النّورية الحجيّة، كان في الماضي شبيهاً بلباس المرأة في منطقة الرقة، حيث الثوب الطويل الواسع شبه المزموم على الخصر، عن طريق محزم وكانت المرأة تلف رأسها بقطعة من القماش الملون بالأسود والأحمر، وتعرف باسم ـ الهبرية ـ ولباس الرأس كاملاً ومحتشماً، بحيث لا يظهر شيء من شعر المرأة والصورة التالية توضح ذلك:

امرأة من النَّوَرْ الحجيّات في لباسها الشعبي الشبيه بلباس المرأة المعتاد في منطقة الرقة عام ١٩٨٦م

والشيء الطريف أن النّور قادرون على التكيف، ولكن ببطء مع التراث الشعبي ـكان المناطق التي يتواجدون فيها، وخاصة في الفترة الأخيرة من هذا القرن /فترة ـستينيات/. حيث بدأت المرأة بالتكيف التدريجي مع لباس المرأة في المنطقة التي ـكنون فيها. وتعدُّ هذه الظاهرة بادرة نحو الابتعاد عن التراث الشعبي لجماعات ـنور ونقطة بداية للانصهار مع المجتمعات البشرية التي يعيشون بينها. فالمرأة النّورية ـي ترتدي لباس المرأة الشعبي في منطقة الرقة، يجعلها أقرب إلى المرأة الرقّاوية من ـ ويبعد عنها حالة الاغتراب عن السكان الذين تعيش فيما بينهم من أهالي الرقة.

ـلف المرأة الشابة رأسها أحياناً، بقطعة من القماش الأسود الشفّاف والغالي الثمن، ـ جزء من مقدمة شعر رأسها ظاهر ومكشوف. وقد لمست أن النَّوَرْ الحجيات ـعامة وحجيات الرقة بصورة خاصة لا يتشددن في ستر شعر رؤوسهن، وذلك على ـقية فئات النّورْ الأخرى بغض النظر عن طبيعة عمل أفرادها /طبالين - صناع - ـ حدادين - غرابلية/. لدرجة أن المرأة يمكن أن تجلس في منزلها ومع الغرباء، دون

أن تضع على رأسها غطاء يستر شعرها وعنقها. وتلبس المرأة الشابة أيضاً الثوب الطويل الذي يشبه القلابية، والمخصر في منطقة الجذع والواسع والفضفاض في الأسفل، وغالباً ما يكون لون قماش الثوب من الألوان الزاهية، وخاصةً إذا كانت الشابة عازبة لم تتزوج بعد. وترتدي المرأة السروال الطويل تحت الثوب الخارجي الذي ترتديه فوق ملابسها الداخلية. وأن المرأة المرضع، ترضع طفلها من ثديها وصدرها مكشوف دون أن تعتبر ذلك عيباً، ولا ترى في ذلك حرجاً أمام الغرباء. لأن الثدي برأي النّور ليس للإثارة الجنسية، وإنما هو نصيب الطفل الرضيع. والصورة التالية توضح ذلك.

امرأة شابة من النُّورْ الحجيات في منطقة محطة القطار تبدو حاسرة الرأس ـ الرقة ـ ١٩٨٦م

ـ الأكلات التي يحبها النُّورْ الحجيات:

على ما يبدو أن النُّوَرْ في منطقة الرقة، قد تكيفوا مع الطعام الشعبي المحبب من قبل سكان المنطقة المذكورة. ومن الأكلات التي يحبها النُّوَرْ هي أكلة ـ الثَّريد ـ في حين إذا ذهبنا إلى النُّوَرْ الذين اتخذوا من المنطقة الجنوبية من سوريا مكاناً لتنقلاتهم ومشتىً لهم في نفس الوقت، أن الأكلة الشعبية التي يحبونها هي أكلة ـ المنسف ـ وهو طعام مكوَّن من البرغل المطبوخ مع اللبن والسمن العربي، بالإضافة إلى لحم الخروف المطبوخ باللبن، والموضوع على وجه المنسف بشكل كامل دون أن يقتطع منه شيء، مع وضع رأس الذبيحة المطبوخ في وسط المنسف، كدلالة على إكرام الضيف وكبر

منزلته عند المُعَرِّبْ (المضيف) وإن النَّوَرْ في هذه الحالة قد تكيفوا مع الطعام المتعارف عليه شعبياً في منطقة جنوب سوريا.

ويتناول النَوَرْ في الرقة شراب القهوة بشكل كبير ودائم، شأنهم في ذلك شأن كافة جماعات النَّوَرْ في منطقة بلاد الشام والوطن العربي. ويحب النَّوَرْ الشاي كثيراً، والأكثر منه تدخين لفائف التبغ، حيث نجد النساء والرجال على مستوى واحد في استهلاك كميات كبيرة من التبغ في اليوم الواحد، إذا ما قلنا أن المرأة تكاد تدخن أكثر من الرجل. فإذا ما دخلنا إلى خيمة أو بيت لجماعات النَّوَرْ، باستثناء النَّوَرْ القرباط، لوجدنا الخيمة أو البيتِ بمثابة قهوة للاستمتاع بالشاي والدخان والقهوة المرة.

ويحب النَّوَرْ تناول لحم حيوان النيص ولحم حيوان الأرنب أثناء صيدهما. فإذا ما سألنا رجلاً من النَّوَرْ يمارس أو مارس الصيد ما هو أطيب لحم يا هذا؟ فإنه يجيبنا مباشرة: هو لحم حيوان النيص والقنفذ.

- الوشم:

كانت المرأة من النَّوَرْ في الرقة كبقية نساء جماعات النور الأخرى تقوم بوشم وجهها ويديها كظاهرة جمالية محببة فيها من قبل الرجل. إلا أن هذه الظاهرة قد تلاشت حالياً، لأن الجيل الجديد من البنات الشابات يعتبرن الوشم عادة سيئة تقلل من جمال المرأة. ومن البديهي أن تتغير نظرة المرأة عن الوشم، كنتيجة طبيعية لازدياد الوعي بين صفوف الناس نتيجة لوجود أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة: كالتلفاز والمذياع. كما أن الفضل يعود إلى انتشار التعليم بين السكان المحليين في الرقة، بما في ذلك جماعات النَّوَرْ الحجيات، حيث يذهب معظم الأطفال إلى المدارس بالإضافة إلى أن الذهاب إلى الجندية يزيد من وعي الشاب وآفاق نظرته إلى الحياة.

- النَّوَرْ القرباط:

يتواجد في سوار مدينة الرقة عدد قليل من خيام النَّوَرْ القرباط، الذين يأتون من حلب وريفها موسمياً من أجل العمل والاستعطاء في ريف منطقة الرقة. وإن معظم الذين يأتون إلى منطقة الرقة هم من عشيرتي: النواصرة ـ التشولان، القرباطيتين، والتي يتواجد أفرادهما في مدينة حلب وريفها.

وإن هؤلاء القرباط كانوا وما زالوا يمارسون صناعة الغرابيل والكرابيل من جلود الحمير والحيوانات الأخرى، بالإضافة إلى الدفوف التي تسمى في منطقة الرقة بالإيقاعات. ويعمل الشباب حالياً في تركيب الأسنان، إذ يضع الشاب أدواته التي يحتاجها في محفظة يحملها على كتفه، كي يسهل عليه التجوال بين القرى المتناثرة على جانبي الفرات، من أجل ممارسة مهنته ويتقاضى مقابل ذلك مبلغاً من المال. وغالباً ما يكون الزبائن من المسنين من أفراد العشائر البدوية غير المستقرة أو أنصاف المستقرة. حيث المستوى المتدني من الوعي، كما هو واضح في الصورة التالية:

يبدو في الصورة شاب من القرباط يعاين أسنان أحد الرجال البدو في ريف مدينة الرقة - ١٩٨٦م

أما المرأة القرباطية فإنها تمارس الشحادة والتبصير والتنجيم، بالإضافة إلى بيع بعض الحاجات الخفيفة التي تحملها في كيس على ظهرها أثناء تجوالها بين القرى وأحياء المدن، مثل: الأبر - الأمشاط - علك البطم - أساور وقلائد من أجل الأطفال.

ويأتي القرباط إلى منطقة الرقة في السيارات الشاحنة التي يستأجرونها بشكل جماعي، في حين كانوا في السابق يستخدمون الحمير أثناء قدومهم إلى منطقة الرقة وإلى بقية القطر العربي السوري.

وتلبس المرأة على رأسها عصبة من القماش، بعد أن تلف رأسها وعنقها بقطعة من القماش الأسود الذي يعرف بتسمية الشمبر أو الملفح. وترتدي المرأة ثوباً طويلاً وفضفاضاً

من الأسفل. ولهذا الثوب فتحة تتخذ من حرف سبعة نموذجاً لها. وتلبس المرأة فوق الثوب الطويل عباءة من القماش ذات أكمام طويلة، ومفتوحة من الأمام، والتي تعرف في منطقة شمال سوريا وشرقها بتسمية ـ الزبون(١)، وعند النَّوَرْ في منطقة حوران بتسمية ـ الصايا ـ وفي منطقة حمص والساحل بتسمية الشقبان. ويسمى الزبون في اللغة النورية /لغة الضوم/ بتسمية /تشاطك/. وفي منطقة المالكية: الخفتان. وتضع المرأة طفلها إذا كانت مرضعاً وما تشحده في هذا الزبون بعد أن تتخذ منه شكلاً يشبه الكيس.

أسرة من قرباط حلب من عشيرة ـ الملاحمة

حيث تبدو المرأة العجوز على اليسار بلباسها الشعبي الذي تكلمنا عنه ١٩٨٦م

أما الرجل القرباطي فإنه يرتدي القلابية والجاكيت من فوقها أحياناً. ويضع على رأسه القضاضة أو الشماخ والتي يسمونها في منطقة الرقة ـ الجمدانة. وتجدر الإشارة إلى أن قرباط حلب بما فيهم النواصرة، والتشولان، مسجلون في السجلات المدنية، ويؤدي أبناؤهم الخدمة الإلزامية. كما أن أطفالهم يذهبون إلى المدارس، ما عدا بعضهم ممن يذهبون إلى الشوارع لممارسة مهنة مسح الأحذية في مدينة الرقة وفي مدينة حلب بعد أن يعودوا إلى مشتاهم.

(١) الزبون ـ التشاطك ـ الخفتان ـ الصايا ـ الشقبان ـ هي جميعاً مسميات لرداء واحد تلبسه المرأة النورية فوق ملابسها.

طفل من القرباط يعمل ماسح أحذية في مدينة الثورة ١٩٨٦م

ويمارس الرجال المسنون من القرباط الشحادة في منطقة الرقة، وبشكل خاص في مدينة الثورة. حيث تتواجد حوالي عشر خيام من قرباط عشيرة التشولان في حي الوهب. كما أن هناك بعض النساء القرباطيات التي تأتي صباحاً من حلب من أجل الشحادة في منطقة الرقة، وتعود في المساء إلى حلب.

أما بالنسبة للزواج: فإن القرباط لا يتزوجون إلا من بعضهم، ولا يزوجون بناتهم لغيرهم من النَّوَرْ، إلا إذا حدث ذلك خطيفة دون رغبة الأهل، وغالباً ما تلقى مثل هذه الفتاة مصيرها القاتم المتمثل بالقتل. أما إذا خطفت شاباً من النَّوَرْ القرباط لكان الأمر يصبح بسيطاً حيث يمكن أن تتم المصالحة مقابل دفع مبلغ من المال يزيد عن المبلغ الحقيقي والاعتيادي للمهر بحدود الثلاث مرات.

ويتكلم القرباط فيما بينهم باللغة النورية القرباطية /لغة الضوم/ ويطلقون عليها لغة العصفورة أيضاً، شأنهم في ذلك شأن بقية عشائر النَّوَرْ الأخرى من غير القرباط. ويُعدُّ القرباط أكثر فئات النَّوَرْ جميعاً ودون استثناء محافظةً على التراث النّوري القديم، بما في ذلك التحدث فيما بينهم باللسان النّوري /الضومي/. ويعدُّ القرباط أشد الفئات محافظةً على نسائهم، وهن أمام أعينهم. أما عندما تذهب المرأة إلى

التجوال في أحياء القرية فلا رقيب عليها إلا وعيها وضميرها وتقديرها للموقف من كافة جوانبه المادية والمعنوية.

ـ القرباط في منطقة الميادين والعشارة ودير الزور (صنّاع الغرابيل):

تعيش مجموعة من النَّوَرْ القرباط في محافظة دير الزور، في كل الميادين والعشارة يتراوح عددهم ما بين ٢٥٠ ـ ٣٠٠ نسمة، وتزيد عندهم نسبة الذكور على نسبة الإناث بحدود ٤٪. ويمكننا تعميم هذه الظاهرة على القرباط بصورة عامة.

ويبلغ عدد قرباط الميادين بحدود (١٥٠) نسمة، وقد جاؤوا من قرية باب النيرب التابعة لمدينة حلب.

ويعود سبب استقرار هؤلاء القرباط في منطقة الميادين، كما يقولون إلى الطابع العشائري الذي يربط أفراد هؤلاء المنطقة ببعضهم من جهة، ولسهولة العيش بينهم مع [illegible] تلك المنطقة وترامي أطرافها من جهة أخرى. إلا أن السبب كما أعتقد يعود إلى [illegible] المعيشي السائد في تلك المنطقة والقائم على تربية الماشية. بالإضافة إلى السمعة [illegible] لمشايخ أو وجهاء العشائر البدوية في الماضي المتصفة بإكرام الفرق النَّورية التي كانت تقصدهم.

ومن الأسباب التي دعت هؤلاء القرباط إلى المجيء من منطقة حلب إلى منطقة [illegible] الزور: هو توفر فرص عمل أكثر للمهن التي يمارسونها، وفي مقدمتها صنع [illegible] وما يشابهها من أدوات زراعية أخرى، لأن المنطقة تعتمد إلى جانب تربية [illegible] على زراعة الخضراوات والحبوب. كما وتشكل منطقة جيدة للعمل في مهنة [illegible] الأسنان الصناعية وتلبيسها، والتي يمارسها الشباب منهم، وذلك بسبب قلة [illegible] الأسنان في هذه المنطقة، وخاصة في الريف ذي القرى المتباعدة، وبين عشائر [illegible] ل. ولما يكنه السكان المحليين من شفقة كبيرة لهؤلاء القرباط الذين [illegible] تركيب الأسنان، لإتقانهم مهنتهم وبشكل أفضل من أطباء الأسنان [illegible] الذين يأخذون أجوراً فاحشة عن تعويض الأسنان الطبيعية الساقطة [illegible] تأخذه القرباطي.

[illegible] العائلات التي تسكن في منطقة الميادين:

١- عشيرة البوعيسى.

٢- عشيرة الجبّور.

٣- عشيرة النواصرة.

٤- عشيرة القوادرة.

٥- عشيرة الجنيدات

٦- عشيرة الطبالة (ويتواجد أفراد هذه العشيرة بصورة عامة في الأردن، أفرادها الذكور يعملون في صناعة الطبل).

أما العشائر القرياطية في بلدة العشارة فهي تتألف من ثلاث عشائر:

١ ـ عشيرة الجنيدات ـ عشيرة الطبالة ـ ٣ ـ هناك عائلة ثالثة هي ـ التشولان

وقد جاء القرياط في بلدة العشّارة من بلدة منبج التابعة لمدينة حلب.

ويعدُّ القرياط في منطقة العشارة أقارب لقرياط بلدة الميادين. إذ يعدُّ قرياط الميادين والعشارة بنفس الوقت أقارب بالدم لكافة القرياط الساكنين في منطقة ريف حلب «منبج ـ باب النيرب ـ الباب ـ جندرس ـ عفرين ـ إعزاز»، وفي مدينة حلب بالذات التي يتواجد في كثير من أحيائها جماعات القرياط «حي ظهرة عواد ـ الأوزاعي ـ الأنصاري ـ حي الكلاسة ـ محطة القطار... إلخ». ويعدُّ تجمع القرياط في حلب التجمع الأكبر في سوريا «الحيدرية ـ جبل سيده ـ هلَّك فوقاني وتحتاني». ويُعتبر شيخ عشائر القرياط في منطقة الميادين السيد علي الترميني.

ويوجد بين قرياط منطقة الميادين ثلاث عائلات تدّعي لنفسها الأصول الكردية. إلا أنّ هذا الأمر غير صحيح. وإن هؤلاء بمثابة ـ نور الأكراد ـ أي أنهم جماعات من النَّوَرْ عاشت فترة طويلة بين جماعات الأكراد، فتعلموا منهم اللسان الكردي لكنهم بطبيعة الحال من رؤوس النَّوَرْ. كما يقول السيد عبدو والرمضان الأحمد (من نور الهرامشة).

وتبين لي أن كل العائلات القرياطية في منطقة الميادين والعشارة مسجلة في السجلات المدنية. وتحمل البطاقات الشخصية الجديدة إصدار ما بعد ١٩٨٢م. وبناءً على ما سبق فإن قرياط منطقة الميادين لهم حقوق المواطن الكاملة وعليهم واجبات المواطن مثل خدمة العلم.

ـ البنية الاجتماعية عند قرباط الميادين والعشارة:

يرتبط أفراد العشائر القرباطية في منطقة الميادين والعشارة بوشائج القربى القائمة على العصبية القبلية التي تتخذ من الدم العامل الوحيد الذي يربط بين أفرادها. وإن ما يترتب على نظام العصبية القبلية السائد بينهم، لا يختلف عما يترتب على نفس نظام القرابة العشائري عند القرباط، في الجزء الشمالي من القطر العربي السوري، (منطقة ريف حلب ومدينة حلب). وأن العادات والتقاليد لدى قرباط الميادين والعشارة لا تختلف عن مثيلتها عند قرباط شمال سوريا.

ـ الأسرة:

تتكون الأسرة من الزوج والزوجة وأولادهما. وتعدُّ الأسرة الخلية الاقتصادية الاجتماعية في التجمعات القرباطية. ويرتبط الفرد بأسرته الصغيرة أولاً، وعشيرته التي تنتمي إليها أسرته ثانياً. وترتبط العشائر القرباطية في القطر العربي السوري حول المضمون الاجتماعي والروحي والثقافي والأصولي الذي تحمله كلمة ـ القرباط ـ Akrat. وذلك نسبةً إلى جبال الكاربات في أوروبا والتي تمتد من الجنوب والجنوب الشرقي وإلى الشمال والشمال الغربي، والمحصورة بين خطي طول ٣٠ ـ ٢٠ شرق غرينتش. وبين خطي عرض ٥٠° ـ ٤٥° شمال خط الاستواء، وهي الحد الفاصل بين أوروبا الشرقية. وبين أوروبا الغربية. / وجهة نظر خاصة بي كمؤلف/

ويتمتع الأب بسلطة كبيرة في بيته إذ يتربع في قمة الهرم. على الرغم من أن للمرأة دوراً أساسياً في تأمين المواد التموينية إلى أفراد أسرتها.

ـ الزواج:

إن الزواج عند القرباط في منطقة الميادين والعشارة، يعتمد على العصبية القبلية ...ت، فغالباً ما يتم الزواج داخل العشيرة الواحدة (زواج داخلي)، Endogamies. ... الزواج ما بين عشيرة أو أخرى، إلا إذا حدث ذلك عن طريق الخطيفة المتعارف ...ـزْ عامة. وذلك لأسباب تكمن في بنيتهم الاجتماعية. ويسود زواج ابن العم من ... لابن العم الحق بأن يتزوج من ابنة عمه إذا كان له أو لأهله رغبة فيها.

وإذا كانت الفتاة لا ترغب بالزواج من ابن عمها، وابن عمها لا يرغب بالزواج منها في نفس الوقت، وتقدم الشخص الذي يحبها للزواج منها (عشيقها)، عليه أن يدفع لابن عمها مبلغاً من المال كرشوة لكي يسمح لها بالزواج منها. وإذا لم يدفع العشيق مبلغاً من المال لابن عمها، فإنه يقف عثرة في طريق زواجهما. وقد تزوج الفتاة من ابن خالها، أو من ابن خالتها، أو من ابن عمتها شريطة أن لا يكون لها ابن عم يرغب الزواج منها. وإذا وُجد شاب من أقرباء أبيها يرغب بالزواج منها، فإنها لا تزوج لأقاربها من طرف أمها.

وقد التقيت بالسيد ـ علي الترميني ـ شيخ القرباط في منطقة الميادين وطرحت عليه السؤال التالي:

هل تستطيع البنت الزواج ممن تحب؟ فكان الجواب على الشكل التالي:

«في عرفنا يجب أن تتزوج البنت بالدرجة الأولى من ابن عمها إذا رغب وتقدم لطلب يدها، أما إذا طلبها ابن عمها ليتزوجها، وقابلت طلبه بالرفض فيحق له في هذه الحالة إهدار دمها (ذبحها). والنَّوَرْ عامة والقرباط خاصة معروفون بقساوة قلوبهم في مثل هذه الأمور».

وفي حالة عدم وجود الرغبة من ابن العم بالزواج من ابنة عمه، فإنها تتزوج من الشخص الذي يتقدم منها. ويتم الزواج عن طريق خطبة أهل العريس للفتاة التي يرغبون تزويج ابنهم منها، وذلك بطلب يدها من أهلها. فإذا ما وافق الأهل يتم تحديد مبلغ المهر. وتتم الخطبة غالباً عن طريق وجيه عشيرة الشاب وشيخ القرباط في المنطقة. لأن الشيخ هو الحكم بين جماعات القرباط في منطقة الميادين والعشارة، وهو الذي يحل الخلافات إذا نشبت بين أفراد جماعته.

وغالباً ما تبدأ الخطبة بذهاب أم الشاب ومعها بعض النسوة إلى أم العروس التي وقع الاختيار عليها، فإذا ما وافقت الأم بشكل مبدئي على تزويج ابنتها، يبعث أهل الشاب عدد من الرجال برفقة وجيه العشيرة إلى أهلها وتتم الخطوبة. ويتراوح المهر عندهم ما بين ٣٠ ـ ٤٠ ألف ل.س للغريب أما المهر بين الأقارب وخاصةً بين أبناء العمومة، لا يتجاوز عشرة آلاف ليرة سورية/ ١٩٨٧م/

ويختلف المبلغ الذي يأخذه والد العروس أو وليّ أمرها من مجموع المهر المدفوع له من قبل أهل خطيبها. وأن اختلاف كمية المبلغ الذي يأخذه ولي أمرها غالباً ما يتمشى مع

حالته المادية، فكلما كان الأب فقيراً اقتطع من مهرها مبلغاً أكبر، وتشتري العروس بما تبقى من مهرها ما تحتاج إليه في عرسها. وأحياناً يأخذ والد العروس المهر بكامله ولا يعطها منه شيئاً. وقد قال الشيخ علي الترميني «إن الآباء الميسورين لا يأخذون من مهر بناتهم شيئاً».

وتأخذ العروس معها لبيت زوجها بعض الأشياء مثل: اللباس الخاص بعرسها مثل الفرش والأغطية ومحبس من الذهب وأحياناً أساور من الذهب.

ويتم زفاف العروس بالسيارات التي تطوف شوارع بلدة العشارة الرئيسية. وإذا لم يتمكن العريس من استخدام السيارات لزفاف عروسه، تزف العروس عن طريق الخيول. وغالباً ما تستمر الأفراح لمدة عشرة أيام أو أكثر. أما قرباط الميادين فلا يستخدمون السيارات في زفاف عروسهم، وربما يعود ذلك إلى ضعف حالتهم المادية.

والقرباط كرماء مبذرون في أعراسهم، حيث ينحرون الذبائح ويقدمون الأرز اللحم المطبوخ على شكل مناسف. وفي أفراحهم يدعون أقربائهم من القرباط، إلى جانب سكان الميادين والعشارة لمشاركتهم أفراحهم. ويأتي القرباط بالفرق الموسيقية الغنائية (الحجيات) من منطقة منبج ومنطقة حلب وقراها، لإحياء حفلاتهم.

وإذا كانت حالة أهل العريس المادية ضعيفة. فإن أقرباءه يساعدونه في تأمين نفقات الأفراح. ومن عادات قرباط هذه المنطقة أن يدعو أهل العروس ابنتهم وعريسها مع أهله، لتناول طعام الغذاء أو العشاء، وذلك بعد الانتهاء من حفلة العرس ويعطي أهل العروس ابنتهم مبلغاً من المال يتراوح ما بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ ل.س بمثابة نقوط لها عام ١٩٨٧م.

أما العمر المناسب للزواج عند قرباط الميادين والعشارة فهو سن الثامنة عشر سواء كان ذلك للشباب والبنات.

وتسود عند هؤلاء القرباط ظاهرة تعدد الزوجات، شأنهم بذلك شأن بقية جماعات النَّوَر في القطر العربي السوري على اختلاف تسمياتهم وأماكن تواجدهم. بسبب حبهم الشديد للأطفال، ورغبتهم في زيادة النسل، إضافةً إلى توقهم للعمل والكد. لكن السبب الأساسي الكامن وراء هذه الظاهرة، هو سبب اقتصادي تتمتع به المرأة النَّورية بصورة عامة من مكانة اقتصادية في بيتها، بفضل مهنة التسول التي تقوم بها يومياً.

وتعيش الزوجات في أغلب الأحيان إلى جانب بعضهن، ولكل زوجة منهن خيمة خاصة بها وبأولادها. ويندر أن تعيش زوجتا الرجل في خيمة واحدة، وإذا ما حدث ذلك فإن الأمر طبيعي لديهم. وتتقاسم الزوجتان الأعمال البيتية المترتبة عليهما. وعلى الأغلب تكون الزوجة الثانية أقلّ عمراً من زوجها بكثير. وقد يصل الفرق بينهما إلى ثلاثين عاماً أو أكثر. وفي العرف الاجتماعي عند جماعات النَّوَرْ على اختلاف نحلهم لا يجوز أن تكون الزوجة أكبر من الزوج بأي شكل من الأشكال.

ومن عاداتهم أيضاً أن المرأة الثيب (التي كانت قد تزوجت وتركت زوجها بسبب أو لآخر) تملك قرار زواجها بيدها، حيث لا يبقى لقريبها أي سلطة عشائرية يفرضها عليها أثناء زواجها الثاني.

- حالات الطلاق:

إن هذه الفئة كغيرها من فئات النَّوَرْ الأخرى لا تحب الطلاق، ولا يلجأ إليه الزوج إلا عند الخيانة الزوجية فقط، هذا إذا لم يتم قتلها مباشرة عند ضبطها بالجرم المشهود. وذلك لأن أغلى ما يملك الإنسان النّوري شرفه وبخاصة القرباط منهم.

- زواج الخطيفة:

يحدث الخطف أحياناً نتيجة رفض أهل الشاب أو أهل الفتاة زواج ابنتهما ممن تحب، مما يجعل الشاب مضطراً للزواج بهذه الطريقة، ودون الحصول على موافقة أحد.

وغالباً ما تنتهي هذه الحادثة بالطرق السلمية، وذلك بدفع مهر مضاعف لأهل العروس من قبل الخاطف يسمى (شرفية) وتقدر كمية المبلغ المدفوع أحد شيوخ العشائر العربية المتواجدة في هذه المنطقة حصراً الذي يتفق عليه كحكم بين أهل الخاطف وبين أهل المخطوف. ولا يجوز أن يكون الشيخ الحكم من القرباط. وبعد أن يتم الاتفاق على المبلغ (المهر المضاعف)، يُعقد القران بشكل شرعي، وبحضور الشيخ العربي الذي احتكموا إليه. أما إذا لم يتمكن الخاطف من دفع المبلغ المقرر، فلا يستطيع العودة إلى أهله لأن مصيره مهدد بالخطر، من قبل أهل العروس المخطوفة.

وأحياناً تنتهي حوادث الخطيفة بقتل الخاطف والمخطوفة، وذلك إذا لم تتم المصالحة بين أهل الشاب والفتاة، ودفع شرفية لهم.

ويسود عند القرباط في الميادين والعشارة كغيرهم زواج البدل. وقد تكلمنا عن هذه الظاهرة الاجتماعية أثناء حديثنا عن القرباط في منطقة عفرين وتوابعها.

- الإرث:

ويقول السيد علي الترميني شيخ النَّوَرْ في منطقة الميادين: إن القرباط يعطون البنت من ميراث أبيها المتوفى، حسب الشرع الإسلامي الذي ينص «وللذكر مثل حظ الانثيين». أمّا مدى مصداقية هذا القول فمن الصعوبة بمكان التحقق منه بشكل مباشر. ويزد الأمر تعقيداً إذا علمنا أن الفتاة تُباع من قبل أهلها بيعاً كالدابة حتى أنها لا تستشار في اختيار شريك حياتها، على الرغم أن المرأة القرباطية تعدّ المورد الأساسي لجلب الطعام إلى بيت زوجها.

- الوفاة وطقوس دفن الموتى:

تتم طقوس دفن الموتى عند القرباط وفقاً للشريعة الإسلامية، كما أجابوني أثناء استفساري حول هذه الظاهرة، لأنهم يعتنقون الإسلام ديناً لهم، شأنهم بذلك شأن الخضم البشري المسلم الذي يحيط بهم، سواء في منطقة دير الزور، أو في منطقة تواجدهم الأساسية في منطقة حلب ومنبج وتوابعهما. ومن عاداتهم المتبعة في حوادث الوفاة ما يلي:

١ - يغسل الميت ومن ثم يكفّن، فإذا كان المتوفى رجلاً متزوجاً يجب أن يكفّن بعدد من الأكفان يساوي عدد النساء اللواتي تزوج منهن في حياته.

أما المرأة المتوفية، كما قال الشيخ علي الترميني، فإنها لا تخضع لهذا العرف الاجتماعي. حيث تُكفّن بكفن واحد، حتى لو سبق لها الزواج بأكثر من رجل في حياتها علماً بأنّ القرباط في منطقة عفرين، يكفّنون الميت بعدد من الأكفان يساوي عدد الزيجات التي كان قد تزوجها، سواء كان الميت ذكراً أم أنثى. ويشارك بهذه الظاهرة المطاربة في منطقة العريضة وتوابعها.

٢ ـ بعد لف الميت بالكفن يُوضع في تابوت خشبي (النعش) ويُحمل على الأكتاف إلى المقبرة التي سيوارى بها جثمانه. وغالباً ما يكون للنّور مكان مخصص في المقبرة العامة، سواء في العشارة أو في منطقة الميادين. وتكون اتجاه القبور ـ شرق غرب ـ حيث يوضع المتوفى على جنبه الأيمن، ورأسه نحو الغرب، وجهة وجهه نحو الجنوب (القبلة).

٣ ـ وتقبل التعزية بعد الوفاة لمدة أسبوع، يقدم أهل الميت القهوة المرة والشاي والدخان للمعزين. ويقول الشخص المعزّي عند مصافحة أهل الميت «يسلم دينك أو سلامة رأسك». ويحمل القادمون معهم كميات من الأرز أو القهوة أو التبغ، وأحياناً الذبائح إذا كانت العلاقة قوية ووطيدة مع أهل الميت. ويقوم القرباط في منطقة العشارة والميادين بتوزيع الصدقات من المال أو الطعام على روح الميت إذا كان الأهل ميسوري الحال.

وغالباً ما يوزع الطعام كل يوم خميس على روح الميت للجيران وللفقراء، سواء كانوا من القرباط أو من سكان العشارة من غير القرباط. علماً أن علاقتهم مع غيرهم من سكان العشارة أو الميادين تكاد تكون شبه محدودة جداً، إلا أنهم يلبّون الدعوات في المناسبات العامة إذا ما دُعيوا من قبل السكان المحليين.

ـ الأسماء عند القرباط في الميادين والعشارة:

بما أن القرباط يدينون بالدين الإسلامي، ويعيشون في منطقة سكانها من العرب، فإننا نجد الأسماء عندهم كلّها أسماء عربية محضة:

ففي منطقة الميادين يسمون الأسماء التالية: حسن ـ حسين ـ جمعة ـ علي ـ محمد ـ فياض ـ خليل ـ سليم ـ علاوي ـ عبدو ـ يسرى ـ زهيه ـ رفعة ـ مدينة ـ فاطمة ـ عائشة ـ خديجة ـ بدرة.

أما في منطقة العشارة فيسمون الأسماء التالية: ياسر ـ تيسير ـ تفاحة ـ جواهر ـ عدنان ـ زهية ـ سلوى ـ وهناك اسم خاص بهم يُدعى بـ غّولي. ويعني باللغة القرباطية الوردة، إلا أن هذا الاسم هو تركي الأصل، فوزير خارجية تركيا الحالي اسمه عبدالله غول.

ويمكننا أن نقول أن القرباط في منطقة العشارة أكثر صراحةً وصدقاً في تعاملهم مع الآخرين من القرباط في الميادين. كما أن القرباط في العشارة أكثر تجاوباً مع

الأسئلة التي كانت تطرح عليهم أثناء جمع المعلومات الحقلية عن عاداتهم وتقاليدهم وعن نمطهم المعيشي. كما أنهم أكثر تقبلاً لالتقاط صور لهم ولنسائهم. وذلك على العكس من قرباط الميادين. ويدل هذا الاختلاف في سلوكية قرباط العشارة عن سلوكية قرباط الميادين، على اختلاف المنطقة التي قدموا منها.

فالتجمع الأول جاء أفراده من منطقة منبج، التي يعيش بها النَّوَرْ الحجيّات الذين يحتكون بغيرهم من السكان المحليين، وخاصةً الوجهاء من رؤساء العشائر؛ لأن الأخيرين يقدمون العطاءات السخية مقبل حفلات الغناء والرقص التي يقيمونها.

أما قرباط الميادين فقد جاؤوا من منطقة حلب التي يسكن فيها القرباط الغرابلية المتقوقعون على أنفسهم، وهذه الفئة من القرباط من أكثر الفئات تزمتاً وتشدداً قرباطيتهم، وأقساهم قلباً على المرأة إذا فعلت شيئاً يسيء إلى شرفهم، حيث يعدوّن رقص المرأة مع رجل آخر في الحفلات من أجل المال عار كبير عليهم. ويتواجد هؤلاء القرباط حالياً في منطقة عفرين.

. اللغة:

يجيد القرباط في الميادين والعشارة التكلم باللغات التالية: اللغة التركية ـ اللغة الكردية ـ اللغة العربية ـ اللغة النَّورية (لغة الدوم واري). أما سبب إتقانهم التركية تعود إلى المنطقة التي جاؤوا منها حيث الحدود التركية. أما اللغة الكردية فقد ـوهـا لأنهم كانوا يعيشون بين أناس يتكلمون اللغة الكردية. أما بالنسبة للغة العربية فلأنها اللغة القومية للمنطقة التي يتواجدون فيها.

لكن هناك لغة رابعة يتكلم بها القرباط يطلقون عليها ـ لغة العصفورة ـ وقد ـوها بهذا الاسم لرقتها كما يزعمون. وأن هذه اللغة هي اللغة القرباطية الأم (اللسان ـ) والتي يعرفها كافة جماعات النَّوَرْ على اختلاف نحلهم. وقد تكلمنا عنها في سابقة. وتعرف بالمسميات التالية: اللسان النَّوري: ضوم واري ـ أو دُوم واري.

ـخر القرباط في الميادين والعشارة بانتمائهم القرباطي. ويأنفون نعتهم بكلمة ـ شأنهم بذلك شأن كافة القرباط في القطر العربي السوري، حيث يكنون ـ والاحتقار للنَّوَرْ الذين اعتمدوا في نمط حياتهم اليومي على عمل النساء، اللواتي

اتخذن من الرقص والغناء وإطلاق صيحات الشوباش مهنة أساسية يعيشون منها. كما أنهم لا يزوجون بناتهم للنَّوَرْ الذين اتخذوا من الطرب مصدراً أساسياً لرزقهم. ولا يتزوجون من النساء النّوريات لأن هذا عار عليهم. وفي نفس الوقت لا يقبل النَّوَرْ الزواج أو التزويج من جماعات القرباط، لأن مشاكلهم كثيرة حسب ادّعاء النَّوَرْ.

ـ عادة الفأل وقراءة الطالع:

من خلال الأسئلة التي كنت أطرحها على قرباط الميادين والعشارة حول قراءة الطالع لمست أنهم لا يؤمنون بمثل هذه الخرافات. إلا أنّ سكان العشارة والميادين، شاهدوا النساء القرباطيات وهنَّ يمارسن هذه المهنة وخاصةً بين النساء غير المتعلمات، وتعدُّ هذه المهنة مصدراً من مصادر الرزق سابقاً عند كافة الجماعات النّورية بما فيهم القرباط.

يتفاءل القرباط بحكة اليد اليمنى أو اليد اليسرى.

إن حكة اليد اليسرى تعني لهم أن صديقاً غائباً سيأتي وسيسلمون عليه.

إن حكة اليد اليمنى تعني لهم أنهم سيرزقون مالاً

إن طنين الأذن دليل شرٍّ سيقع داخل الأسرة.

إذا رفَّ جفْنُ العين اليمنى، فإن ذلك إشارة للحصول على الرزق.

إذا جاء ضيف إليهم وخلع حذاءه وجاءت أحدهما فوق الأخرى، فإن ذلك الشخص قد جاء لمدة قصيرة، ولن يطيل الإقامة عندهم.

إن اعتقاد القرباط بمثل هذه الجوانب الروحية في سلوكهم اليومي قد لمست معظمها لدى السكان العرب في منطقة العشارة والميادين، وبقية المناطق من القطر العربي السوري. وبالتالي لا يمكننا أن نقول: إن الاعتقاد بمثل تلك الجوانب الروحية هي صفة ملازمة للقرباط في منطقة الميادين والعشارة دون غيرهم.

ـ النمط المعيشي عند القرباط في الميادين والعشارة:

لا يزال حتى الآن قرباط الميادين والعشارة يعيشون في الخيام المصنوعة من أكياس القنب البالية، والقائمة على التنقل من مكان إلى آخر سعياً وراء لقمة العيش. فبعض من قرباط منطقة الميادين والعشارة يعودون شتاءً إلى منطقتهم الأولى (منبج ـ حلب)، وبعض منهم، وهم الأكثر، يقضون شتاءهم في خيامهم على أطراف الميادين والعشارة

والبوكمال. وإلى الآن لم يبدأ قرباط المنطقة المذكورة بعملية الاستقرار في أبنية ثابتة، كما هو الحال عند القرباط في منطقة حلب وعفرين ومنطقة منبج. وإن فتحة الخيمة عند جماعات القرباط دوماً تتخذ جهة شروق الشمس قبلةً لها، في حين تكون منطقة الغروب في خلف الخيمة. ويكون امتداد الخيمة دوماً من الشمال إلى الجنوب. والجانب الشرقي هو المفتوح فقط، في حين الجوانب الرئيسية الثلاثة الأخرى مغلقة بصورة عامة. هذا إذا ما كانت مستطيلة الشكل.

ويمكن للشخص الذي فقد القدرة على تحديد الجهات الأربعة، أن يهتدي إليها بفضل وضعية انتصاب الخيمة عند جماعات النَّوَرْ بصورة عامة.

ويحصل هؤلاء القرباط على قوتهم اليومي من مورد المهنة التي يمارسونها، والتي تختلف من الرجل إلى المرأة:

١ ـ يمارس الرجال مهناً متعددة أهمها: مهنة تركيب وتلبيس الأسنان الصناعية، صناعة الغرابيل، صناعة الطبل والدف، مسح الأحذية من قبل الأطفال. وهناك مهنة الشحادة من قبل النساء، وأحياناً من قبل الرجال والأطفال الذكور في أيام الأعياد.

١) صناعة الغرابيل: تعدُّ صناعة الغرابيل وبقية الأدوات الزراعية المستخدمة في فصل الحبوب عن القش، من الأعمال اليدوية الملازمة للجماعات النورية القرباطية.

رجل متقدم في السن من قرباط الميادين يزاول مهنة صناعة الغرابيل بالطريقة اليدوية

فقد كانوا يحصلون في السابق على جلود الحيوانات اللازمة لصنع (السريد) عن طريق سلخ جلود الحيوانات الفاطسة التي يرميها أصحابها خارج قراهم. وأحياناً يقوم القرياطي بشراء الحيوان الهزيل بأسعار زهيدة جداً، ثم يقوم بذبحه وسلخه للحصول على جلده. ولا تزال هذه العادة موجودة ولكن بشكل قليل جداً. فقد صار القرياطي يذهب إلى المسلخ القريب من موقع تجمعهم لشراء الجلود منه لاستخدامها في صناعة الغرابيل والكرابيل والطبل...إلخ.

ويزاول هذه المهنة في وقتنا الحالي فقط المتقدمون بالسن، الذين لا يزالون يحافظون على مهنة آبائهم وأجدادهم الأساسية، والتي يتناقلونها من السلف إلى الخلف دون أن يعدّلوا أو يضيفوا شيئاً عليها.

- مهنة تركيب وتلبيس الأسنان الصناعية:

تعدُّ هذه المهنة الخفيفة صفة ملازمة للنَّوَرْ عامةً، بغض النظر عن انتماءاتهم العشائرية المختلفة في تسمياتها من منطقة إلى أخرى.

ومهنة تركيب الأسنان حسب أقوالهم، هي مهنة آبائهم وأجدادهم مع العلم أن بعض الأشخاص من النَّوَرْ مثل السيد عبدو الرمضان الأحمد من النَّوَرْ التابعين إلى عشيرة الهرامشة قد أكدَّ لي: أن مهنة الأسنان وتركيبها، قد تعلّمها بادئ الأمر القرباط في منطقة حلب في بداية القرن العشرين تقريباً، عن طريق اقتباس فن هذه المهنة من الأشخاص الذين كانوا قد تعلموها عن طريق الدراسة. وبعد ذلك انتقلت تلك المهنة إلى معظم القرباط في سوريا ومن ثم إلى بقية العشائر النّورية الأخرى في سوريا.

وإن هذه المهنة، تتمشى والنّمط المعيشي عند جماعات النّور الذي كان ومازال إلى حدٍّ ما قائماً على الترحال والتنقل من مكان وإلى آخر. ويقوم الرجل الذي يمارس هذه المهنة بالتجوال بين أحياء القرى، وهو يصيح بأعلى صوته بما معناه «من يريد تركيب أو تلبيس أسنان». ويضع أدواته التي يستعملها في محفظة يحملها بيده. ففي السابق كان يتجول مشياً على الأقدام، أو على ظهر الحمار، أما حالياً فغالباً ما يتجول على ظهر درّاجته النارية.

ويصل دخل الفرد الذي يمارس مهنة تركيب وتلبيس الأسنان إلى ما يزيد عن ٦٠٠٠ ل.س سنوياً عام ١٩٨٦م. وغالباً ما يتم تلبيس الأسنان بالمعادن التالية: النحاس - البلاتين

والذهب. ويختلف الأجر الذي يتقاضاه الممتهن لتركيب الأسنان حسب نوعية المعدن المستخدم في تلبيس السن. فقد كان في الماضي يحمل القرباطي ذهباً في جيبه لتلبيس الأسنان. أما حالياً فنادراً ما نجده يحمل صفائح رقيقة من الذهب لارتفاع أسعاره الخيالية. لذا نجد المواطن المحتاج لتلبيس السن هو الذي يقدم الذهب بدوره، وأن القرباطي يقوم بالتلبيس مقابل أجر يصل إلى (٥٠ ل.س) مقابل تلبيس السن الواحد. هذا حتى عام ١٩٨٦م.

شاب من قرباط تجمع الميادين، يقوم بالتحضير لتركيب سن صناعي مكان سن طبيعي كان قد سقط من فم أحد المواطنين في منطقة الميادين

كما أن تلبيس السن بصفائح البلاتين يكون أرخص من تلبيسه بصفائح الذهب. وتلبيس السن بصفائح من البلاتين الأبيض تكون أغلى من تلبيسه بصفائح النحاس الأصفر أو الأبيض.

الصانع يقوم بتركيب السن الصناعي بفم الشاب الذي كان قد فقد أحد أسنانه

- مسح الأحذية:

إن مسح الأحذية من الأعمال التي يمارسها الأطفال القرباط في المراكز السكنية التي يتواجدون بها. ويشارك الأطفال القرباط بهذه المهنة كافة أطفال النَّوَرْ على اختلاف مناطق تواجدهم، سواء كان ذلك في منطقة الساحل، أو في منطقة حمص أو حماه، أو في منطقة حلب، أو في منطقة دمشق.

- القرباط وظاهرة الشحادة في منطقة الميادين:

تمارس النساء القرباطيات بدون استثناء مهنة الشحادة، لتأمين الطعام والمال واللباس لها ولأعضاء أسرتها، غير أن القرباط في الميادين ينفون وينكرون ظاهرة الشحادة بين صفوفهم فيما إذا سألهم أحد عن ذلك. ويقول القرباط في الميادين إن الذين يشحدون هم من عائلة التشولان القرباطية. ويشارك المرأة في الشحادة، الأطفال الذكور والإناث أيضاً، وفي أيام الأعياد الدينية (رمضان والأضحى) وطيلة شهر رمضان، يقوم الرجال وخاصة المتقدمون بالسن بالتجوال بين أزقة القرى على باب الله الكريم، كي يحصلوا على الصدقات وزكاة الفطر من السكان المحليين في المنطقة المذكورة.

وعندما يسألهم أحد: لماذا تتنقلون بشكل مستمر من قرية إلى أخرى، طيلة الصيف والخريف والربيع؟ يجيبون بما يلي:

«بعد أن يعطي أهل القرية الشحاد أول مرة وثاني مرة وثالث مرة ويصبح معروفاً من قبلهم، فإنه يخجل من نفسه ويشعر بالحرج لأنه صار معروفاً لسكان القرية. وعند ذلك سيتعرض للطرد من قبل أصحاب الدار التي طرق بابها» وبناءً على ما سبق فإن القرباط والنَّوَرْ عامة في حالة تنقلهم بين القرى لا يطيلون المكوث بجانب هذه القرية أو تلك، وخاصةً إذا كانت القرية صغيرة. لكنني لمست وشاهدت بأمّ عيني ما يلي:

عندما ينزل القرباط أو من يطلق على أنفسهم النَّوَرْ بجانب قرية ما، تتجول نساؤهم وأطفالهم في أحياء القرية التي نزلوا بجانبها بادئ الأمر، وبعد يومين أو ثلاثة ينتقلون للشحادة في القرى المجاورة، وذلك عن طريق السيارات العامة التي تقوم بنقل الركاب بين قرى المنطقة. وقد تبتعد المرأة النَّورية أحياناً ما يزيد عن (٣٠) كم عن المكان الذي ينصبون به خيامهم.

أما المواد التي تطلبها المرأة القرباطية في الميادين والعشارة على الأغلب «البرغل والطحين والزيت والصابون والطعام أحياناً». ويشحد القرباط من البدو الصوف واللبن ومشتقاته وخاصة في أيام الربيع، ويعترف القرباط بأن الشحادة لا تحتاج إلى رأس مال، كما أنها لا تحتاج إلى جهد عضلي يبذله كما لو كان يعمل بالزراعة أو الأعمال المجهدة الأخرى (الحفريات أعمال البناء). وحسب رأي النَّوَرْ عامةً أن الشحادة هي أفضل طريقة للعيش المريح، لأنهم يعتبرون العمل متعباً للإنسان، وإنهم غير قادرين على ممارسته لأن في ذلك إرهاقاً لأجسامهم.

ومن العادات المتّبعة عند القرباط في منطقة الميادين والعشارة كما يدّعي السكان المحليون - سرقة الأطفال الصغار من أطراف القرية القريبة من مضارب خيامهم، من أجل سلب ثياب وحلي هؤلاء الأطفال، ومن ثم يتركون الطفل وشأنه. لكنّ هذه العادة، كما يقول السكان المحليون قد انقرضت حالياً ولم يعد القرباط يمارسونها، لأنها لم تعد تتمشى مع روح العصر الذي نعيش فيه من جهة، ولأن سكان المنطقة أصبحوا يعرفون جيداً أن حوادث سرقة الأطفال الصغار تتم من قبل القرباط من جهة أخرى، وهذا العمل ليس في مصلحتهم. وازدادت الأمور تعقيداً بعد أن أصبح القرباط مسجلين في دوائر السجل المدني، لأنهم صاروا خاضعين خضوعاً تاماً للعقوبات القانونية التي تترتب على من يفعل ذلك، ولأن يد القضاء تطال مرتكبي هذه الحوادث لذا تنكروا لها وابتعدوا عن مكان وقوعها.

لا يمارس القرباط في منطقة الميادين والعشارة مهنة الرقص والغناء (الطرب) لأن ذلك من أفعال النَّوَرْ برأيهم. ويسمعون الغناء من أشرطة المسجلات فقط. ومن الألوان الغنائية المحببة لديهم - العتابا - المدائح الدينية. أما إذا أرادوا أن يحتفلوا بمناسبات [illegible] والأعراس فإنهم يستقدمون فرق الحجيات من منبج وحلب.

[illegible] هؤلاء القرباط يزاولون تربية كلاب - السلوقي - و - البوجي - من أجل [illegible] الصيد عن طريقهما.

ـ اللباس عند القرباط في الميادين والعشارة:

يمتاز اللباس النوري بصورة عامة بأنه فضفاض وطويل. وأن هذا النموذج من اللباس يساعد في مرونة الحركة، ويتناسب بشكل جيد مع حركتهم المستمرة في التنقل والتجوال لكل من الرجال والنساء على السواء.

ـ **لباس الرجل:** يرتدي الرجل القرباطي حالياً القلابية الطويلة والفضفاضة وذات اللون الأبيض في معظم الأحيان. أما لباس الرأس فيتكون من القضاضة البيضاء والعقال، وأحياناً يتكون من الشماخ ذي اللون الأحمر. ويرتدي الرجل فوق القلابية جاكيت عادي. ويرتدي الرجال الكبار في السن السروال ذي الفرج الواسع. والذي يساعد على مرونة الحركة أثناء ممارسة عمل صنع الغرابيل...إلخ.

مجموعة من القرباط الميادين بلباسهم الشعبي أمام خيامهم
حيث يبدو الرجل المسن وهو مرتدياً السروال

ويرتدي الأطفال أيضاً القلابية، في حين يرتدي الأطفال الصغار من الإناث التنورة الطويلة وغالباً تكون منْ القماش الملون.

- لباس المرأة:

إن لباس المرأة القرباطية غالباً ما يكون متشابهاً من حيث الاتساع والطول، والميل الى الألوان القريبة من اللون الأسود والأزرق بالنسبة للمرأة المتزوجة والمتقدمة بالعمر، في حين يميل لباس الفتيات الشابات إلى الألوان الفاقعة كالأحمر والأبيض، مع وضع غطاء على الرأس. ويتكون لباس المرأة من قطعة واحدة على شكل تنورة طويلة تجر أطرافها على الأرض، مع تخصيرة في الوسط. وتضع الشابة على رأسها قطعة قماش سوداء رهيفة بحيث يكون طرفها نازلاً على ظهرها إلى ما تحت الإلية؟

ويتكون النموذج الثاني من لباس المرأة من ١ - تنورة واسعة وفضفاضة مزمومة على خصر المرأة بواسطة حزام من المطاط. ٢ - وتلبس تنورة في الأسفل وكنزة من الأعلى بحيث يوضع الجزء الأسفل من الكنزة داخل التنورة. وأحياناً تلبس المرأة القرباطية بدلاً من الكنزة ثوبا طويلاً وتلبس التنورة فوق الثوب المذكور.

مما يعطي الثوب الطويل شكل الكنزة. ٣ - وتضع على رأسها قطعة قماش سوداء رهيفة يطلق عليها - الملفع - ، ويكون الملفع* فوق الكتفين وعلى الصدر وعلى الظهر وذلك بعد أن يلف الرأس به. ٤ - وهناك قطعة قماش سوداء تلفها المرأة على رأسها فوق الملفع على شكل عصبة تحيط برأسها. وأحياناً تحيط المرأة خصرها بقطعة قماش على شكل زنار لأن في ذلك سهولة للحركة.

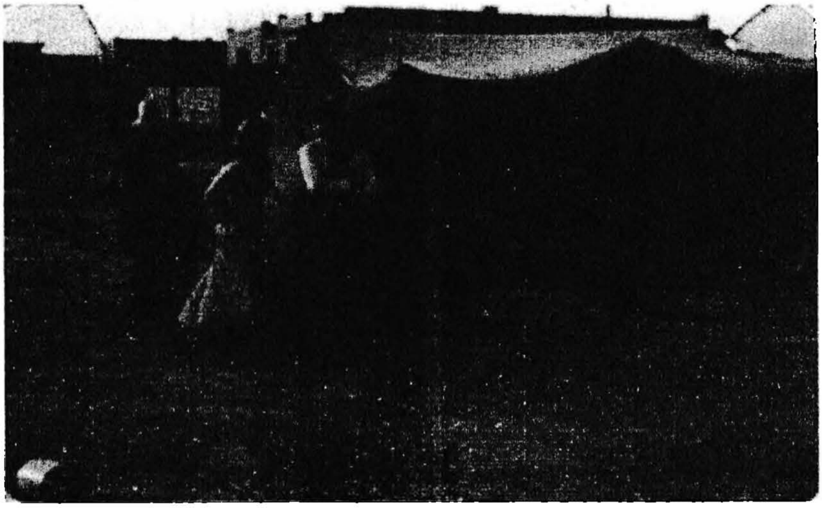

نساء وفتيات من قرباط الميادين في لباسهن الشعبي أمام إحدى الخيام

---

* الملفع: قطعة قماش أسود ناعم الملمس. منها يكون شفاف ومنها ما هو غير شفاف. إلى جانب المرأة النّورية - تلبس في كل من: تدمر - منطقة إدلب - منطقة حوران في الماضي هذا دلالة على تأثر المرأة النّورية بناس المنطقة التي يعيشون فيها.

أما الشباب فهم يرتدون اللباس الحالي والذي يتكون من البنطال والقميص. وفي أغلب الأحيان فإنهم يرتدون الطقم المكوَّن من جاكيت وبنطال، شأنهم بذلك شأن شباب النَّوَرْ في كافة أنحاء القطر العربي السوري وأقطار الوطن العربي. وقد دخل البنطال إلى سوريا حسب أقوال المتقدمين بالسن مع دخول القوات الأوروبية إلى الوطن العربي (نهاية القرن التاسع عشر).

ـ السكن:

لا زال القرباط في منطقة الميادين يعيشون بالخيام المعمولة وأكياس القنب البالية في معظم الأحيان. وهناك البعض الآخر يسكنون في شوادر من الكتان ذات شكل مستطيل في الغالب، أو ذات شكل دائري أحياناً أخرى. وما يقال عن قرباط الميادين يقال عن قرباط بلدة العشار والبوكمال.

بعض الخيام التي يعيش فيها القرباط في بلدة العشارة

وحتى صيف عام ١٩٨٦م ظل القرباط في منطقة الميادين والعشارة يعيشون حياة التنقّل والترحال، ولم يستقروا في بناء ثابت وربما يعود ذلك إلى الحالة المادية الضعيفة التي لا تسمح لهم بشراء الأرض لبناء دور سكن عليها. وأتوقع أنهم سيقومون بالاستقرار وبناء الدور السكنية بدلاً من الخيام بعد أن تتحسن حالتهم المادية. ومما لاحظته أن قرباط تلك المنطقة لا يسافرون إلى خارج القطر العربي السوري بحثاً عن المال. كما يفعل قرباط حلب ونَوَرْ منطقة حمص، ومنطقة السيدة زينب ومنطقة القدم والحجر الأسود بمدينة دمشق، حيث البناء الإسمنتي المسلح والمتعدد الطوابق والمؤثث بكافة الوسائل الحياتية العصرية.

وفي فصل الشتاء يتوقف قرباط الميادين والعشارة عن التنقل بين القرى التابعة لمحافظة دير الزور. وإن جزءاً منهم يعودون إلى المنطقة التي جاؤوا منها (منبج أو منطقة القرى القريبة من حلب) كي يقضوا فصل الشتاء فيها. إلاّ أن الغالبية العظمى من هؤلاء القرباط يرجعون إلى العشارة أو الميادين ويقضون فصل الشتاء في خيامهم التي يضربون أوتادها بالأراضي القريبة من القرية، وغالباً ما تكون في مساحات واسعة من الأرض غير مستغلة لا في البناء ولا في الزراعة.

وفي معظم السنوات يجدد القرباط الخيام التي يعيشون فيها. ويبقى الرجل النوري في خيمته طيلة فصل الشتاء ولا يخرج منها إلا في الحالات الضرورية، في حين أن المرأة تخرج بشكل يومي إلى القرى، كي تعود محملة بالطعام والصابون والطحين والزيت.

ويتم الرحيل عند قرباط منطقة العشارة والميادين عن طريق الدراجات النارية ذات العجلات الثلاث (الطريزينة). وأحياناً عن طريق السيارات الصغيرة، في حين لا يزال بعضهم يقتنون الحمير التي تستخدم لحمل الخيام مع متاعهم الخفيف والنساء المرضعات وأطفالهن. وغالباً ما يمارس الرجال أثناء تواجدهم في الخيام طيلة أيام النهار الألعاب المسلية مثل: الورق ـ المنقلة ـ طاولة الزهر. في حين يتسلّى الأطفال ببناء بيوت من الطين إلى جانب اللعب بالكرة وأقواس النشاب التي يعملونها من الخشب والمطاط. والنقّيفة التي يصيدون بها العصافير.

ولا يوجد للنَوَرْ على اختلاف نحلهم أكلات شعبية خاصة بهم دون غيرهم، وإنما هي نفس الأكلات الشعبية المألوفة لدى سكان المنطقة التي يعيشون بين ظهرانيهم.

ففي منطقة دير الزور نجد الأكلات الشعبية عند القرباط، هي نفس الأكلات الشعبية لابن الفرات والتي تتكون من البامياء - الثرود - المحشي - البرغل.

شباب من القرباط بيلدة العشارة بلباسهم الشعبي

وأمامهم الصندوق الخشبي الذي يُدعى المنقلة مع أدوات القهوة المرة (البكرج).

- المستوى التعليمي:

إن المستوى التعليمي يكاد يكون معدوماً، بالرغم من تسجيلهم في سجلات دوائر النفوس الرسمية وخضوعهم لإلزامية التعليم الابتدائي. حيث نجد بعض الأطفال يذهبون إلى المدارس الابتدائية وقليل منهم من يحصل على شهادة التعليم الابتدائية. ويعود سبب المستوى التعليمي المنخفض بين صفوفهم، ١ - إلى عدم استقرارهم في بناء ثابت يرتبطون به طوال أيام السنة. ٢ - ميول الأطفال إلى ممارسة مهنة مسح الأحذية في شوارع المدينة، ومن ثم تعلم مهنة تركيب وتلبيس الأسنان الصناعية.

على الرغم من تدني المستوى الصحي لديهم، إلا أنّ الوفيات عندهم قليلة. وبما أن القرباط لا يؤمنون بظاهرة تحديد النسل، نجدهم يتكاثرون بسرعة حتى أن الزيادة عندهم تزيد عن ٤٠٪. ويزداد الطين بلّة إذ عرفنا أنهم يحبون الأطفال كثيراً، وهذا ما يجعل ظاهرة تعدد الزوجات عند الرجل الواحد متفشية بين صفوفهم، فهذا السيد علي الترميني شيخ القرباط في الميادين والذي يساهم بحل كافة مشاكلهم الاجتماعية، بما في ذلك إقامة التعازي في مضافته (خيمته) عندما أهل المتوفي غير قادرين على القيام بنفقات التعزية المترتبة عليهم أثناء وفاة أحدهم، متزوجاً من امرأتين وعنده من الأطفال ثلاثة عشر طفلاً، تسعة منهم من الذكور، وأربعة من الإناث.

وقد لمست أيضاً عند القرباط بصورة عامة ومن بينهم قرباط الميادين والعشارة، أن عدد الذكور يفوق عدد الإناث بين صفوفهم، إلى جانب عدم وجود البنات العُنَّس اللواتي لم يتزوجن.

ـ النَّوَرْ في دير الزور (القرباط):

يتواجد في دير الزور، مجموعة من النَّوَرْ، في مكان يقع على الضفة اليسرى من نهر الفرات. وبالغرب من الجسر الذي يربط مركز المدينة بالطريقة المؤدية إلى الحسكة. وغالبا ما يأتي هؤلاء من منطقة حلب، وخاصةً من حي الأشرفية. وهناك تجمّع آخر للنَّور يقع قرب المنطقة الصناعية، ما بين دير الزور والميادين. ويقيم هؤلاء خرابيشهم على أراضي للدولة، وليست معدّة للبناء في الوقت الحالي (١٩٨٩م)، لعدم دخولها في مخطط المدينة.

وينتمي النَّورْ في التجمع الأول إلى عشيرتي القوادرة والنواصرة، ولهؤلاء بيوت من الاسمنت المسلح والمخدمة بالماء والكهرباء بحلب.

ويسود بينهم زواج البدل، والزواج التعددي من قبل الرجل. ولا ينظر إلى العمر بالنسبة للفتاة، حيث تعطى فتاة في مقتبل العمر /١٥ ـ ١٦/ عاماً إلى رجل تجاوز الستين عاماً. والمهر يتراوح حالياً ما بين /٤٠ ـ ٩٠ ألف ليرة سورية/ حسب جمال الفتاة وحسب مكانة أهلها بين النَّوَرْ، وخاصةً إذا كانوا من أهل الجاه كشيخ العشيرة. وتتم طريقة الزواج بواسطة الأهل. وتقدم للعريس الهدايا من الأقارب والأصدقاء/ ١٩٨٦م/.

وفي حالات الوفاة يُكفن الزوج بأكفان تساوي عدد زوجاته، أما المرأة فلا تُكفن إلا بكفن واحد: بغض النظر عن عدد أزواجها. وتدوم التعزية سبعة أيام، ويردد المعزون الجملة التالية «يسلم الدين والإيمان»، وتُتلى الآيات من القرآن الكريم عن طريق شرطة الكاسيت. أو يقوم بتلاوة القرآن رجل دين.

وتلبس المرأة اللباس الطويل والأسود، وتغطي رأسها بوشاح أبيض اللون. ويتنقل هؤلاء عن طريق السيارات والدراجات النارية. ويمارسون قراءة الفال والكشف عن المستقبل من قبل الرجال وذلك عن طريق المسابح، حيث شاهدت هؤلاء الرجال في قرية الكشمة، والتي تبعد عن دير الزور، بحدود ٧٠ كم. ويطلقون على أنفسهم

تسمية (القرباط). ومن أكلاتهم المفضلة أكلة الثريد (الثرود) ـ باميـاء مع لحمة. ويتعاطون شرب الكحول.

وكانوا وما يزالون يصنعون الأدوات الزراعية:

الصانونط: غربال فتحاته كبيرة (كربال).

حالول: غربال فتحاته متوسطة (مقطف قماحي وشعّاري).

غريول: غربال فتحاته صغيرة.

ـ نَوَرْ موقع مَعدان قديم:

يوجد تجمّع للنَّوَرْ بحدود /٥٠ خربوشاً/ في مكان يقع على الطريق العام الذاهب من دير الزور إلى الشمال الغربي باتجاه الرقة، حيث نزل النَّوَرْ بين معدان عتيقة ومعدان جديدة. وهم من النور القرباط /١٩٨٦م/ وينطبق عليهم ما قلناه على قرباط الميادين والعشارة.

الأدوات التي يستخدمونها بصنع الأدوات الزراعية:

١- **الكرطالو:** أداة خشنة يتم تحضير الجلود عليها

٢- **الكمانوت:** عبارة عن عصا بطول متر، يشدّ بها حبل من الطرفين، وتستخدم في تحضير الجلود وتقطيعه إلى خيوط: تسريد، وباللغة الضومية أي النورية: دُووال. والجدير بالذكر ـ أن كلمة ـ شريط ـ أو سلك بالإنكليزية ـ هي ثْوال.

٣- **الميجك:** المخرز.

الفصل الرابع

عشائر النَّوَرْ ALNAWAR في منطقة حمص وتوابعها :

عشائر النَّور في منطقة تل كلخ والعريضة.

١. مفهوم تسمية المطارية.

٢. البنية الاجتماعية.

٣. النمط المعيشي.

٤. اللغة.

عشائر النور في مدينة حمص وضواحيها:

١. النَّور في حي مساكن المعلمين.

٢. النَّوَرْ في جورة العرايس الشماس ـ البياضة ـ بابا عمر ـ القصير.

٣. النَّوَرْ في منطقة الشمسية.

٤. النَّوَرْ في منطقة الحواش.

عشائر النَّوَرْ في منطقة تل كلخ والعريضة

يعرف معظم النَورْ في منطقة حمص بتسمية ـ المطاربة ـ باستثناء بعض العشائر النَورية في حمص. ويعيش النَورْ المطاربة في معظم المناطق الشمالية والشرقية والوسطى والساحلية: اللاذقية ـ الحفة وخاصةً في قرية مجبيلا ـ بانياس ـ جبلة ـ طرطوس ـ صافيتا ـ بلدة متراس ـ منطقة تل كلخ ـ العريضة ـ جسر القمار.

كما أنّ هناك نور يطلقون على أنفسهم مطاربة أيضاً في منطقة المالكية والقرى التابعة لها ، إلا أن عددهم لا يتجاوز العشرين بيتاً. ويوجد نور مطاربة في بلدة ـ عامودا ـ من محافظة الحسكة ، ويسمون في منطقة الحسكة تسمية محلية تدعى ـ القرج ـ وفي بعض الأحيان يسمونهم مُطْرِبْ ومن كلمة المُطْرِبْ تشتق كلمة ـ المطاربة ـ ومعظم المطاربة في منطقة عامودا يسكنون في قرية تسمى ـ مَعْمَرْلَهْ ـ لدرجة أن كافة سكانها دون استثناء من النَورْ المطاربة ، باستثناء أربعة بيوت ليسوا من النَّوَرْ المطاربة. كما يوجد نور مطاربة في منطقة القامشلي، حيث يتوزعون في المناطق التالية: الدرباسية ـ تل حميس. ويوجد نور من جماعة المطاربة في جبل سنجار.

ويعرف هؤلاء النَورْ المطاربة في كل من منطقتي الحسكة والقامشلي بالإصطلاح المحلي ـ قرَجْ ـ ويرتبط المطاربة في مناطق القامشلي والحسكة وجبل سنجار بعلاقات متينة بما في ذلك واقعات الزواج فيما بينهم.

ـ مفهوم تسمية المطاربة:

إن كلمة المطاربة مشتقة من كلمة ـ مُطْرِبْ ـ التي بدورها مشتقة من الفعل الثلاثي ـ طرب ـ وتعني انتشى الشخص روحياً عند سماعه الغناء من إنسان يجيده أداءاً وإيقاعاً وبالتالي نقول عن ذلك الشخص أنّه ـ طَرْبان. وتُلفظ كلمة مُطْرِبْ عند جماعات النَّوَرْ التي تسمى مطاربة كالآتي ـ مِتْرِبْ ـ وكذلك الأمر يمكن أن نشتق من الفعل الرباعي المتعدي ـ أطْرب ـ لذا نقول لقد أطربنا المغنى، أو أن المغني صاحب الصوت الجميل

والأداء الجيد قد أطرب السامعين. وفي كلا الحالتين فإن الذي يغني جيداً، ويستطيع أن يؤثر في أحاسيس الجمهور الذي يستمع إلى غنائه، ويحرك أحاسيسه فإن هذا الشخص جدير أن نسميه مطرباً. وعلى هذا فإن المطاربة هم أهل الغناء والطرب والبسط والكيف، فهم ينشدون كالبلابل في أيام الربيع، ويتمايلون أثناء سماعهم اللحن والصوت العذب يمنةً ويسرى كتعبير سريع عن أثر الغناء في أحاسيسهم. ويمكننا القول أن المطاربة بصورة عامة يلحقون الطَبْل والزّمر.

وقد قال لي السيد عبدو الرمضان الأحمد:

أن النَّوَرْ المطاربة من اليوم الذي خلقهم الله فيه، وهم يدقون الطبل والزمر. كما أنهم يعلمون أولادهم منذ الصغر الغناء والرقص، لأن الرقص والغناء والدق على الطبل والزمر يعتبر العامل الأساسي في البنية الاقتصادية عندهم. ومن الأعمال التي يمارسها المطاربة، المتاجرة بالخيل والحمير طلباً للربح. ومن خلال جلوسي إلى السيد شريف الظاهر أبو محمد من مواليد صافيتا ١٩٢٩ والساكن في قرية الدبوسية التابعة لبلدة العريضة (منطقة تل كلخ): أن الرجال الكبار من المطاربة في كافة منطقة الساحل وجبالها، لا زالوا حتى اليوم يتاجرون بالخيول والحمير يبيعونها إلى الفلاحين في مناطق تواجدهم وذلك في أيام المواسم الزراعية (الحراثة ـ الحصاد) هذا في عام ١٩٨٧م.

ويمتاز المطاربة في منطقة حمص الساحل كما في بقية المناطق الأخرى من القطر العربي السوري بالصفات التالية التي يمتازون بها عن النَّوَرْ القرباط القاطنين منطقة حلب وعفرين ومنبج والميادين من محافظة دير الزور: ألا وهي:

١ ـ إن النَّوَرْ المطاربة أَلْيَنْ في سلوكيتهم من النَّوَرْ القرباط، وأكثر مرحاً وبشاشةً.

٢ ـ إن الاختلاط بهم أسهل من الاختلاط بالقرباط من قبل الشخص الغريب عن ملّتهم.

٣ ـ المطاربة أقل تعصباً لأنفسهم من تعصب القرباط لأنفسهم.

٤ ـ المطاربة يشكّلون عشائر منغلقة على بعضها، لكن انغلاق المطاربة على أنفسهم أقل من انغلاق القرباط على أنفسهم.

٥ - المطاربة جميعاً يتكلمون اللغة الكردية دون استثناء في حين معرفتهم باللغة القرباطية الأم ضعيفة قياساً بقرباط عفرين وحلب وبقية المناطق الأخرى من القطر العربي السوري. وهي لغة كافة عشائر النَّور: اللسان النوري: ضوم واري.

٦ ـ المطاربة أصحاب غناء وطرب. ومن الأدوات المحببة لديهم الطبل ـ الدف ـ الزمر، وحالياً يوجد من يضرب على العود.

٧ ـ المرأة عند جماعات النَّوَرْ المطاربة تكاد تكون هي ربّة البيت، وهذا يعود إلى وضعها الاقتصادي الأقوى من الرجل. فالمرأة تذهب في الصباح حتى العصر لتعاطي الأسباب على باب الله الكريم من البيوت في القرى وأحيائها. بالإضافة إلى عملها الآخر في الرقص والغناء ليلاً في حفلات الأعراس، أو الطهور، أو النذر، أو في مناسبات الأعياد، والرجوع من الحج.

ـ البنية الاجتماعية للنور المطارنة:

تعيش جماعات المطاربة في القطر العربي السوري حياة قبلية شبه مغلقة، حيث يرتبط أفراد هذه الجماعات بعضهم مع بعض بعلاقات قبلية تعتمد على القرابة الدموية حسب خط الأب. ويدّعي المطاربة جميعاً أنهم أقارب بالدم، بالرغم من انقسامهم إلى عشائر لا ترتبط ببعضها بأي عامل من عوامل العصبية القبلية. فالرباط القبلي يربط فقط أفراد العائلة الواحدة (العشيرة) فقط. ومن أهم العائلات أو العشائر في منطقة تل كلخ وتوابعها هي كالآتي: وذلك حسب ما قالوه لي عام ١٩٨٧م:

عشيرة ـ العجيجرة ـ يتواجد أفرادها في العريضة، ويبلغ تعدادهم ما يزيد عن(١٤) بيتاً. ويقدر عدد أفراد هذه العشيرة ما بين ١٣٠ ـ ١٥٠ شخص. ونذكر من هذه العشيرة أسماء أصحاب البيوت التالية:

شريف لولي ـ أبو محمد ـ وعدد أفراد أسرته يزيد عن ١٠ أفراد.

سليم مصطفى ـ أبو فرحان ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن ١٠ أنفار أيضاً.

محمد جميل مصطفى ـ أبو جميل ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن ١٠ أنفار (مات)

محمد جميل مصطفى ـ أبو جميل ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن ١٠ أنفار (على قيد الحياة).

حميد رشود ـ أبو نواف ـ عدد أفراد أسرته يزيدون عن (٩) أنفار.

حسن فياض ـ أبو حسني ـ وعدد أفراد أسرته (٦) أشخاص.

رشيد علي ـ أبو علي ـ وعدد أفراد أسرته (١٠) أشخاص.

محمود سعدو ـ أبو عصام ـ وعدد أفراد أسرته (١٠) أشخاص.

محمود حلوة - أبو مظهر - وعدد أفراد أسرته (٧) أفرد.

حمود علي - أبو عساف - وعدد أفراد أسرته (٩) أشخاص.

تركي حلوة، وعدد أفراد أسرته ١٠ أفراد ومتزوج امرأتين.

محمد علي - أبو خالدية - وعدد أفراد أسرته (٥) أفراد، زوجته من مطارية بلدة بانياس.

حسون رشيد - أبو رياض - وعدد أفراد أسرته (٨) أشخاص.

عشيرة جمّوع:

يعيش أفراد هذه العشيرة في بلدة العريضة، وهم أقلّ عدداً من عشيرة العجيجرة، فلا يتجاوز عددهم العشرة بيوت. ويمكن تقدير عددهم بحدود ٧٠ إلى ٨٠ شخصاً. ومن بيوت الجمّوع ما يلي:

جميل جمعة وعدد أفراد أسرته (٩) أنفار.

أحمد جمعة - أبو سمير - وعدد أفراد أسرته (١٠) أنفار.

بشير جمعة - أبو نظير - وعدد أفراد أسرته (٩) أنفار.

عبد الله جمعة - أبو تركي - وعدد أفراد أسرته يزيد عن (١٤) شخص.

خضور جمعة - أبو شريف - ويزيد عدد أفراد أسرته عن (٥) أشخاص.

محمد جميل - أبو منير - ويزيد عدد أفراد أسرته عن (١٣) شخص.

عشيرة دَحُّو:

لا يزيد عددهم عن الخمسين شخصاً، ويتواجدون في نفس بلدة الغريضة، وتربط بينهم وبين بيت - العجيجرة - وشائج من طرف النساء (قرابة كرشة). ومن عائلاتهم:

شحود دحّو - أبو خضر - وعدد أفراد أسرته (٣) أشخاص.

كريم دحّو - أبو طلال - وعدد أفراد أسرته (٤) أشخاص.

أحمد دحّو - أبو خضر - وعدد أفراد أسرته (١٣) شخص.

محمد ديب - أبو مظهر - وعدد أفراد أسرته (١٠) أشخاص.

عشيرة الظاهر:

يتواجد أفراد هذه العشيرة في منطقة ـ دبوسية ـ وفي بلدة ـ حسر القمار ـ أما في بلدة العريضة بالذات فتواجد هذه العائلة قليل يكاد لا يُذكر:

بيت الظاهر في الدبوسية: يبلغ عدد أفراد هذه العائلة في بلدة الدبوسية بحدود ١٠٠ شخص. موزعون إلى عشرة أُسر تقريباً:

شريف الظاهر ـ أبو محمد ـ ويزيد عدد أفراد آسرته عن (١٦) شخص. لأن له ولدان متزوجان من أولاده وعندهما أطفال بدورهما.

أحمد إبراهيم الظاهر ـ أبو إبراهيم ـ وعدد أفراد أسرته (١٠) أفراد.

وهيب محمد ظاهر ـ أبو تامر ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن (١٠) أفراد.

حسن إبراهيم الظاهر ـ أبو حاتم ـ وعدد أفراد أسرته (٥) أشخاص.

ناصر إبراهيم الظاهر ـ أبو رامي ـ وعدد أفراد أسرته (٥) أشخاص.

فهيم إبراهيم الظاهر ـ أبو زياد ـ وعدد أفراد أسرته (٦) أشخاص.

نظير محمد ظاهر ـ أبو سمير ـ وعدد أفراد أسرته (٣) أشخاص.

كمال محمد ظاهر ـ أبو نظير ـ ؟؟؟؟؟.

مالك جدّوع ظاهر وعدد أفراد أسرته (٤) أشخاص.

بيت ظاهر في بلدة ـ جسر القمار ـ :

يزيد عدد بيوت عشيرة ظاهر في قرية ـ جسر القمار ـ الواقعة إلى الشرق من العريضة عن ثمانية بيوت. ويزيد تعدادهم عن ٩٠ شخصاً.

محمد سعيد ظاهر ـ أبو حكمت ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن عن (١٥) شخصاً.

نديم سعيد ظاهر ـ أبو هيثم ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن (١٢) شخصاً.

جمال ظاهر الظاهر ـ أبو مطر ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن (٨) أشخاص.

محمد سعيد ظاهر ـ أبو سميح ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن (٧) أشخاص.

مطر جمال الظاهر ـ أبو وليد ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن (٩) أشخاص.

وحيد جمال الظاهر ـ أبو ياسر ـ ويزيد عدد أفراد أسرته عن (١٠) أشخاص.

حكمت محمد ظاهر ـ أبو ممدوح ـ وعدد أفراد أسرته (٨) أشخاص.

سمير محمد ظاهر وعدد أفراد أسرته (٤) أشخاص.

ويوجد لعشيرة الظاهر في الدبوسية وجسر القمار أقارب في بلدة صافيتا، يبلغ عدد بيوتهم (٩) بيوت، في حين يتراوح عدد أفرادهم ما بين ٧ ـ ٨٠ شخصاً.

رشيد حسن الظاهر ـ أبو حسن ـ وعدد أفراد أسرته (٩) أشخاص.

وحيد حسن الظاهر ـ أبو عبدو ـ وعدد أفراد أسرته (١٠) أشخاص.

عزت حسن ظاهر ـ أبو فايز ـ وعدد أفراد أسرته (٨) أشخاص.

عبود وحيد ظاهر ـ أبو ماجد ـ وعدد أفراد أسرته (٧) أشخاص.

عدنان وحيد ظاهر ـ أبو وليد ـ وعدد أفراد أسرته (٨) أشخاص.

حمود وحيد ظاهر ـ أبو وحيد ـ وعدد أفراد أسرته (٦) أشخاص.

جمال وحيد حسن الظاهر ـ أبو فريال ـ وعدد أفراد أسرته (٥) أشخاص.

كمال وحيد ظاهر ـ أبو جمال ـ وعدد أفراد أسرته (٥) أشخاص.

عشيرة بيت عثمان في بلدة العريضة:

تعدُّ عشيرة ـ عثمان ـ من أكبر عشائر النَّوَرْ المطاربة في منطقة العريضة، حيث يبلغ عدد بيوت هذه العشيرة ما يزيد عن الخمسين بيتاً. ويصل عدد أفرادها إلى ما يزيد عن (٤٠٠) شخص ما بين رجل وامرأة. ويعتبر أفراد بيت خضّور في العريضة أقارب بالدم لعائلة عثمان. ويعدُّ السيد ـ حسن عثمان ـ الملقّب بـ أبو شريف وجيه عائلة عثمان. ومن البيوت التابعة لعشيرة عثمان في العريضة على سبيل المثال:

فريد عثمان ـ أبو بسام.

جميل عثمان ـ أبو نواف.

حسن عثمان ـ أبو شريف.

محمد خضور ـ أبو وحيد.

خالد إبراهيم خضور ـ أبو نواف.

محمد علي خضور ـ أبو عثمان.

شريف علي ـ أبو محمد.

إبراهيم عثمان سليمان ـ أبومروان (١٣)

ويوجد في صافيتا أقارب بالدم لبيت عثمان يقال لهم بيت سليمان، ومنهم: شريف نايف سليمان - فرج سليمان - شحود سليمان - حمود سليمان.

عائلة بيت عِزُّو:

يسكن أفراد هذه العائلة في مزرعة تسمى محلياً - مزرعة السكينة - ولا يتجاوز عددهم الخمس بيوت. ويمارس هؤلاء المطاربة إلى جانب الغناء والرقص والطرب، الزراعة. إذ يستأجرون الأرض من أصحابها، ويزرعونها، ويدفعون أجرتها نصف ما حصلوا عليه من غلّتها.

وإن كل أفراد بيت عزّو مستقرون في بيوت ثابتة فيها الكهرباء والكماليات المختلفة، التي أصبحت ضرورية للحياة مثل: التلفاز - الغسّالة - البرّاد. إلى جانب بقية الأدوات الكهربائية الأخرى. ولا تزال نساؤهم إلى الآن تمارس الشحادة، كشأن بقية النساء النّوريات عند مختلف الملل، التي ينحدرون منها. وكما قال لي السيد عبدو الرمضان الأحمد أبو عبد الرزاق بالحرف الواحد: **«لا يغشك قولهم، فكل النَّوَرْ يشحدون بدون استثناء، وإن قال بعضهم نحن لا نسمح لنسائنا أن يشحدن».**

ويمارس النّورْ جميعاً عادة الترحال القديمة قبل أن يستقروا في فصل الصيف والخريف، وذلك إلى خارج المناطق التي استقروا بها، من أجل العمل في مهنة صنع الغرابيل - الدفوف - الرياس - الطبل....، وإحياء الحفلات الغنائية لمن يدعوهم إلى المناسبات المختلفة، مثل الأعراس - الطهور - أيام الأعياد - أيام الرجوع من الحج. كما أن المرأة تقوم بممارسة مهنتها الأساسية وهي جمع المال والمواد التموينية عن طريق الشحادة المرفوقة أحياناً بالسرقة الخفيفة.

- الأسرة:

تعدّ الأسرة الخلية الأساسية التي يتكون منها المجتمع القبلي عند النَّوَرْ المطاربة أينما كانوا وعند كافة عشائر النَّور ALnauar. وتتكون الأسرة من الزوج والزوجة وأطفالهما. وقد كان الرجل سابقاً يتزوج أكثر من امرأة واحدة. لكن هذه العادة تلاشت إلى حد ما، كنتجية طبيعية للظروف المادية المتغيرة غير الثابتة، والتي بدأت تثقل كاهل الفرد بشدة وطأتها المادية في حياته اليومية.

وتُعدُّ الأسرة النّورية عامةً ومن بينها الأسرة ـ المطربانية ـ خصبة كثيرة الإنتاج البشري، لدرجة أنّ المتوسط العددي لأفراد الأسرة عند المطاربة يزيد عن (٨) أشخاص. ولا توجد في فكر الفرد المطرباني فكرة الحد من النّسل، بغض النظر عن جنس الفرد رجلاً كان أم امرأة. ويعدُّ الأب ربُّ البيت، وكلمته هي المسموعة. ولكن على ما يبدو أن مكانة الأب في الأسرة المطربانية ليست قوية، كما هو الحال عند جماعات القرباط، وإنما مهزوزة. وتعود الأسباب الكامنة وراء ضعف مكانة الرجل وقوة مكانة المرأة إلى الدخل المادي الذي تحصل المرأة من الشحادة، ومن الرقص والغناء الذي تمارسه في الحفلات المختلفة التي تُدعى إليها ضمن فرق، وتتكون الفرقة الواحدة من عدد من الأشخاص لا يقل عن أربعة عناصر.

فالمرأة ترقص وتغني وتطلق صيحات الشّوباش أمام الشخص الميسور الحال، مع حركات إيقاعية، كهزّ الخصر والنكوص بالرأس إلى الوراء باتجاه الشخص الذي تصيح الشوباش من أجله، وعندئذٍ يندفع ذلك الرجل متحمساً ويضع في فمها أو في صدرها قطعاً نقدية يصل قيمتها أحياناً إلى ٥٠٠ ل.س. إن هذا الواقع الاجتماعي للمرأة في الأسرة النّورية من جماعات المطاربة، هو الذي يمكّنها من فرض شخصيتها في بيتها، وعلى كافة أفراد أسرتها، بما في ذلك زوجها إذا كانت متزوجة. وإذا كانت تلك الراقصة المغنية لا تزال عازبة تكون كلمتها مسموعة عند أهلها، وعندما تطلب للزواج يكون مهرها غالياً كما يقولون. ويتناسب المبلغ المدفوع كمهر للفتاة طرداً مع جمالها وجودة صوتها، ومع تمكّنها من تلك المهنة. والنساء اللواتي يقمن بإحياء الحفلات يشربن المشروبات الروحية، وعندهن القدرة الكافية الممزوجة باللباقة واللطافة على كسب ودّ الرجال الذين أقيمت الحفلة على شرفهم ويُطلق على المرأة التي تغني وترقص في هذه الحالة كلمة ـ الحجيّة ـ لأنها تُقبِّل وتُحتَضَن أمام زوجها من قبل ذلك الشخص الغني، الذي يدرُّ عليها الأموال بسخاء. وأن كل هذا يحدث أمام زوجها ويكون راضٍ عن ذلك ما دام الهدف الحصول على الدراهم من الأغنياء.

وتعدُّ المرأة المطربانية بعد زواجها امرأة خصبة ولودة، حتى يصل عدد أفراد أسرتها إلى أكثر من (١١) شخصاً. وهذه النسبة العالية من التوالد، تجعل الجماعات المطّربانية في منطقة العريضة والساحل على شكل مجمتع شاب، إن جاز لنا ذلك،

حيث القاعدة العريضة التي يتكون منها الأطفال تكون في الأسفل الهرم أما قمة الهرم فهي صغيرة جداً وتتكون من النساء والرجال المتقدمين بالعمر. كما أن المرأة بدورها تحب الإنجاب ولا يفكّر النَّوَرْ عامةً بغض النظر عن مللهم التي ينتمون إليها بالحد من النسل، بالرغم من ضيق العيش الذي تعاني منه عائلات كثيرة منهم.

أما علاقة أفراد الأسرة فيما بينهم، فهي متماسكة ومتينة لكن ليس بقوة التماسك والسيطرة التي يفرضها الأب عند القرياط على أفراد أسرته. لذا نجد أفراد الأسرة متعاطفين مع بعضهم ويتألمون لآلام بعضهم. وإذا ما أصاب أحدهم مكروه من قبل إنسان غريب، هبّوا جميعاً لنجدته صغارٌ وكباراً. وإذا ما استطاعوا الوصول إلى الشخص الذي اعتدى على قريبهم، فإنهم لا يدخرون جهداً بالقصاص منه، وربما قادهم تصرفهم إلى قتل ذلك الشخص.

وتقابل ولادة البنت عندهم بشكل عادي، دون أن يظهر انزعاج على ملامحهم، وأحياناً تفرح بعض الأسر لولادة البنت إذا جاءت بعد عدد من الذكور، وخاصةً الأسر التي تعيش من دخل البنت الذي تحصل عليه من الرقص والغناء. لكنّ الشيء الذي لمسته من أقوال النساء المرضعات عند مطاربة منطقة العريضة أنهم يحبون الذكور، ولا يحبون ولادة الإناث. ومن البديهي أن يفكروا بهذه الطريقة، لأنهم مجتمع قبلي يعتمد في جاهه وتحصيل حقوقه على الرجال. لذا نجد المرأة تتفاخر بعدد أفراد قبيلتها من الذكور إذا كان كبيراً، فعلى سبيل المثال: إن كنّة السيد ـ شريف الظاهر ـ كانت موجودة أثناء جلوسي في بيت أهل زوجها، وسمعتها تتفاخر بكثرة الرجال عند أقاربها بالدم. وقد سألتها لمن تفرحون أكثر، هل لولادة البنت أم لولادة الذكر؟ فقالت لي بالحرف الواحد: «نحن نفرح ونحب ولادة الولد الذكر أكثر من ولادة البنت» ثم عقبت قائلة: «نحن لا نحب ولادة البنات» فسألت عندئذٍ، لماذا لا تحبون ولادة البنت؟ فقالت لي بالحرف الواحد: « البنت غداً تتزوج وتروح إلى بيت زوجها».

وبناءً على ما تقدم، أقول:

إن العصبية القبلية التي تقوم هيبتها وجاهها على كاهل الرجل، وليس على كاهل المرأة، متأصلة في نفوسهم لأنهم يعتبرون كثرة الرجال في العشيرة عامل راحة

لأفرادها، لأنهم يفرضون ما يريدون بالقوة، إذا ما صار خلاف بينهم وبين عشيرة ثانية تنتمي بدورها إلى المطارية.

كما أن المرأة النّورية عند جماعات المطارية تتمتع بحرية أكثر، قياساً بالمرأة عند النَّوَرْ القرباط في منطقة عفرين وحلب، وقد شاهدت نساء يحملن الدخان (التبغ) في جيوبهن ويضيفن أزواجهن وأولادهن. كما أن المرأة المطريانية تطلب من الشخص الجالس إليها ثمن علبة دخان، إذا ما كان ذلك الشخص مطموعاً به يقدم لهم شيئاً كهدية أثناء مجيئه. وعلى العكس فإذا دخل الضيف إلى عندهم ومعه هدايا لهم كالدخان والحلوى للأطفال، فإنهم يفرحون ويبتهجون به ولا يرتابون منه، ويحاولون تفهم ما يريد منهم، ويلقى عند ذلك أذناً صاغية ومسموعة منهم. وهذا ما حصل معي عندما ذهبت إليهم أول مرة، دخلت إلى بيت السيد شريف الظاهر، فقد كانوا جميعاً متوجسين مني، ولكن في المرة الثانية عندما أخذت معي دخاناً وكيساً من الحلوى للأطفال، بدت ملامح الرضى والارتياح على وجوههم وعلى ألسنتهم.

وقد لمست من خلال الأسئلة التي طرحتها بشأن زواج البنت، لمعرفة وضعها الاجتماعي في البيت تبين لي ما يلي:

إن البنت في البيت هي صديقة أمّها قبل أن تكون ابنتها وذلك عندما تكبر وتصبح شابة. والبنت تحكي لأمها كافة أسرارها، في حين تقدم الأم لابنتها النّصح في تدبر أمورها الخاصة والعامة. كما أن الشاب يحكي لأمه معظم مشاكله وخاصةً العاطفية منها. وإن الأم لها الباع الطويل في عملية زواج ابنتها. وزواج ابنها. فقول الأم في البنت هو المسموع عند أولادها أكثر من سماع كلام الأم عند القرباط من قبل أولادها، حيث تبدو المرأة القرباطية أكثر خضوعاً للرجل سواء كان زوجها، أو ابنها، أو أخيها.

- الزواج:

يتم الزواج الشرعي عند النور المطارية على الطريقة الإسلامية، وأنّهُ المؤسسة الوحيدة والسليمة التي يتكاثر النَّوَرْ بكافة مللهم بما فيهم المطارية من خلالها، وإن الشذوذ عن هذه القاعدة في المؤسسة الزواجية من قبل البنت أو الشاب، يعرضهما إلى ضغوط اجتماعية، غالباً ما تكون مرفوقة بالعنف الذي يقود إلى القتل. أو كما يقولون

إلى الذبح. إلا أن ظاهرة ذبح الفتاة التي فقدت عذريتها قبل زواجها عند المطاربة أخف وطأةً على معنويات أهلها. بينما يكون ذلك أشد وطأةً عند القرياط، حيث الشرف لا يساوم عليه أبداً. وإن كان ذلك قاسياً عليهم عند إنزال عقوبة القتل بابنتهم التي انحرفت عن العرف الاجتماعي المتّبع لديهم.

وغالباً ما يتم الزواج عند المطاربة بشكل مبكر بالنسبة لكل من الشاب والفتاة، وخاصةً الفتاة حيث تُزوَّج أحياناً من السنة الثانية عشرة، أو الثالثة عشرة من عمرها. أما الشاب فقد يصل عمره أحياناً إلى الخامسة والعشرين حالياً. لكنّ سن الزواج المتعارف عليه بالنسبة للشاب عندهم، هو قبل ذهابه إلى خدمة العلم، أي ما بعد الخامسة عشر من العمر.

ويعزي النَّوَرْ المطاربة زواج ابنتهم في سن مبكرة، كي لا تذهب شريدة (خطيفة) لما ينتج عن ذلك من مضاعفات اجتماعية ذات طابع سلبي على أهل كل من البنت والشاب في آن واحد.

فالسيدة ـ صبرية ـ من مطاربة العريضة، تمارس الرقص والغناء في الحفلات على شكل فرقة من بينهم أحد أقاربها السيد ـ مشهور ـ الذي يدق على البُزُقْ، قد زوَّجت معظم بناتها وهن في سن البلوغ الجنسي تقريباً، وذلك بدءاً من سن العاشرة وما فوق. والسبب برأي السيدة صبرية التي تزوج بناتها مبكراً، يكمن بما يلي:

خوفاً من أن تذهب البنت تشريداً، تُخطف ممن ترغب وتحب، دون أن يكون لأهلها علم بذلك (خطيفة).

وحسب ادعاء السيدة صبرية، حتى لا تمارس الزواج خفية عن أهلها بعد أن تكبر، وقبل أن تتزوج.

إن دلّت هذهْ الأسباب للزواج المبكر عند مطاربة العريضة وبقية مطاربة الساحل، إنما تدل على أن المرأة تتمتع بقسط من الحرية في حياتها الاجتماعية قبل زواجها وبعد زواجها، وذلك على عكس من الوضع الاجتماعي للمرأة القرياطية التي تكاد تكون محرومة من هذه الحرية. وبالتالي فإن المطاربة يعيشون في بحر العصبية القبلية لكنه أقلّ كثافةً بعصبيته من القرياط بالنظرة الخاصة نحو العِرْض.

ويسود في البنية الاجتماعية عند المطاربة ـ الزواج التعددي من قبل الرجل، حيث يمكن أن يجمع في عصمته أربع نساء على الطريقة الإسلامية. ومن أهم أسباب تعدد الزوجات من قبل الرجل:

١ ـ إذا كانت الزوجة عقيمة غير منجبة.

٢ ـ إذا كانت الزوجة أماً لبنات ولم تلد ذكوراً لزوجها.

٣ ـ إذا توفي الزوج وبقي أولاده عند زوجته، في هذه الحال يتزوج أخ الزوج المتوفي من أرملته كي يعتني بأولادها، وإن كان ذلك الرجل متزوجاً. لكن زواج الأرملة مقروناً برغبتها.

٤ ـ إذا وقع الرجل المتزوج بحب فتاة وضاجعها، فهو مجبراً على الزواج منها وإلا تعرض للقتل هو وهي من قبل أهلها.

٥ ـ وقد يتزوج النّوري بصورة عامة ومن بينهم المطاربة بأكثر من امرأة، كي يجلبن له مورداً أكثر فيما لو كان زوجاً لامرأة واحدة. فالمرأة النّورية بصورة عامة هي التي تؤمن الطعام في النهار لأسرتها، لدرجة أنهم يطلقون على المرأة ـ اصطلاح ـ إنها الفلاحة في البيت (هذا تأكيد على الجهد والتعب الذي تبذله المرأة، وهي تقوم بجمع ما يعطى إليها من قبل الناس الذين تتجول بين بيوتهم في هذه القرية أو تلك. وأن النُّوَرْ يشبهون المرأة عندهم بالرجل الفلاح الذي يُضْنيه التعب وهو يحرث أرضه، ويجمع الغلال منها).

والمرأة الكسول التي تجمع المال والطعام أثناء تجوالها بكميات قليلة غالباً ما تكون مكانتها أدنى من المرأة القادرة على جمع الطعام والمال بكميات أكبر، حتى أن الزواج منها لا يكون مرغوباً به من قبل الشباب.

الفتاة عند المطاربة والزواج:

١ ـ كانت الفتاة سابقاً تزوَّج حسب رغبة أهلها، دون أن يكون لها علم ومعرفة ورغبة بالرجل المتقدم للزواج منها. وقد كان الأهل سابقاً وحالياً يخضعون للإغراءات المادية في زواج ابنتهم. فابن العم له الأفضلية والأحقية بالزواج من ابنة عمه. وإلى الآن لا يزال ابن العم إذا تقدم للزواج من ابنة عمه فإنها تعطى له وإذا لم يكن لها رغبة به.

٢ ـ إذا تقدم شابان للزواج من هذه الفتاة أو تلك، فكان أحدهما ابن عمها، والآخر غريباً وحتى إذا كان من نفس عشيرة أبيها فإنها تعطى لابن عمها، وإن كانت تحب الشاب الغريب.

٣ ـ إذا لم يكن أحد من أبناء العمومة للبنت المطريانية له رغبة بالزواج منها، فإنها تعطى لأي رجل غريب يتقدم منها دون أن يكون هناك معارضة من أفراد أقاربها من الدرجة الأولى.

٤ ـ أما إذا كان للبنت رغبة بابن عمها، ولابن عمها رغبة بها، فإن الأهل يعطونها إياه ويكونون راضين عن ذلك ومرتاحين لهذا الزواج القائم على الرغبة من الطرفين.

٥ ـ إذا تزوجت بنت باكر لشخص ما، بغض النظر عن درجة قرابته الدموية لها، وتبين له بعد مضاجعته لها في ليلة زفافهما أنها ليست باكر فإن حل المشكلة هذه يتم كما يلي:

- إذا كان للعريس رغبة بعروسه غير الباكر، وذلك بعد إعلام كل من أهلها وأهله بهذا الموضوع، يتوجب على أهل العروس ردّ نصف المهر إلى العريس.

- أما إذا لم يكن عند العريس رغبة بعروسه التي اتضحت له بأنها غير باكر، بسبب مضاجعتها شخصاً آخر قبل زواجه منها، فيتوجب في هذه الحالة على أهل العروس إرجاع كافة المبلغ الذي دفعه العريس لأبيها. أما اللباس الذي كان قد اشتراه العريس للعروس فإنه يبقى مع العروس. وفي هذه الحالة يتصرف أهل العروس كما يلي:

١ ـ يأتون بابنتهم إلى عندهم.

٢ ـ يقوم الأهل بالاستفسار من البنت عن الشخص الذي كان قد نام معها وأزال غشاء بكارتها. وفي هذه الحالة حتى لا تكذب البنت على أهلها، وتفتري على شخص ما ليس له علاقة بالأمر، فإن الأهل يقومون بقتلها وضربها ضرباً مبرحاً، وأحياناً يقومون بحلق شعر ابنتهم. فإذا ما تأكدوا بشكل قاطع منها أن الرجل الذي ضاجعها دون علم أهلها هو

فلان من الناس؛ عند ذلك يبعث الأهل إلى ذلك الرجل كي يلتزم بالبنت، وأن يدفع شرفية لأهلها تصل إلى ضعف المهر في أغلب الأحيان.

٣ ـ على الرجل الفاعل بالبنت أن يتزوج منها رسمياً حتى وإن كانت تلك البنت التي كان قد ضاجعها مشلولة، أو عمياء، أو عاجزاً... إلخ. في حالة إنكار ذلك الرجل أنه هو الذي فضّ غشار بكارتها، ولم يرض بالزواج منها يحدث ما يلي:

يقوم أهل الفتاة بذبح الرجل الذي كان قد نام مع ابنتهم. أما في حالة عدم تمكّن أهل البنت من اللحاق وقتل الشاب الذي ضاجع ابنتهم، فإنهم في هذه الحالة يقتلون أي شخص يمكن أن يصلوا إليه، وإن كانت درجته قرابته بالشاب الفاعل بعيدة. وغالباً في مثل هذه الحوادث الاجتماعية المؤسفة ما تشعل نار العصبية القبلية بين عشيرتي الشاب والبنت، ويذهب العديد من الرجال ضحايا لعادة الثأر هذه.

٤ ـ أما إذا تزوجت الفتاة، ومن ثم كرهها زوجها فردّها إلى أهلها، فإن الحكم بهذه الحالة لا يرجع أهل المرأة المهر لزوجها الكاره ولو شيئاً يسيراً، فكل المهر يبقى عند أهل المرأة، ويتم فكّها منه (طلاقها).

٥ ـ كما يحق للمرأة التي ضاجعها زوجها من الخلف طلب الطلاق من زوجها، وأن أهل المرأة بهذه الحالة لا يرجعون ولا درهماً لزوجها الشاذ.

٦ ـ إذا تزوج شخص من فتاة باكر ولم يستطع مضاجعتها، فإن تلك الفتاة ترجع إلى أهلها مباشرةً بعد أسبوع، وحد أقصى لا يتجاوز الشهرين، وبعد ذلك تعود الفتاة إلى بيت أهلها. وفي هذه الحالة لا يرجع إلى زوجها أي شيء من المهر ويتم طلاقها.

٧ ـ إذا توفي زوج المرأة وعندها أولاد، فإن أهلها لا يجبرونها على الزواج ثانية، إلا أنهم يستشيرونها بالزواج إذا كان عندها رغبة. أما إذا لم تكن عندها رغبة بالزواج فإن أحداً لا يستطيع إجبارها على ذلك.

- **زواج الخطيفة:**

يحدث عند النَّوَرْ المطاربة الزواج غير مَمْهورٍ بموافقة أهل الفتاة، حيث تذهب للتزوج ممن تحب وترغب دون علم أهلها وإن كلّفها ذلك حياتها. وغالباً ما تكمن أسباب الخطيفة بالبنية الاجتماعية القبلية للمطاربة النَّوَرْ:

١ - إن عدم إعطاء البنت لمن تحب عند جماعات المطاربة، يعتبر السبب الرئيسي في وجود ظاهرة الخطف عند النَّوَرْ بصورة عامة.

٢ - إن إكراه بنت العم الزواج من ابن عمّها، دون أن يكون له رغبة بذلك، يعتبر أيضاً عاملاً هاماً في وجود ظاهرة الخطف عند المجتمع القبلي بصورة عامة ومن هذه المجتمعات القبلية النَّوَرْ بكافة مللهم ونحلهم.

٣ - ومن الأسباب التي تساهم في نشوء الخطيفة عند النَّوَرْ بغض النظر عن مللهم ونحلهم، هو تزويج البنت الصغيرة العمر لرجل متقدم في بالسن نتيجة الإغراءات المادية التي يقدمها لأهلها، الذين يبيعون ابنتهم كما تباع الدابّة في سوق الحيوانات.

إن في مثل هذا الزواج غير المتكافئ لا في العمر ولا في الجانب التفكيري بين الزوجة الشابة من جهة وبين الزوج المتقدم بالسن من جهة ثانية تكون الهوة سحيقة بين الزوجين روحياً وإحيائياً. إذ لا يستطيع الزوج العجوز القيام بواجباته الزوجية تجاه زوجته الشابة، وهذا ما يدفع الزوجة الشابة إلى البحث عن شاب من عمرها يروي لها غريزتها الجنسية، وهي محقّة في ذلك، حيث البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها هي التي تحمل مثل هذه الأفعال الشرعية وغير الممهورة برضى المجتمع.

- **حكم الخطيفة عند المطاربة النَّوَرْ:**

إذا ما خطفت بنت من النَّوَرْ المطاربة شاباً سواء كان من أفراد عشيرتها، أو من عشيرة أخرى غير عشيرتها، فإن العريس ملزم بهذه الحالة بما يلي:

- يتوجب على العريس الخاطف أن يدفع إلى أهل العروس ضعف المهر المتعارف عليه في العرف العشائري عند النَّوَرْ المطاربة.

- إذا لم يدفع العريس الخاطف الشرفية لأهل البنت التي كان قد خطفها، والتي تصل إلى ما يزيد عن ضعفي المهر. فإن أهل البنت يجدون أنفسهم عشائرياً مجبرين على قتل ابنتهم. وأن النُّوَرْ المطاربة والنُّوَرْ بصورة عامة معروفين بقساوة القلب في مثل هذه الأمور، حيث لا يسمحون لعاطفتهم أن تقف في وجههم كوازع يؤنبهم على فعلتهم القاسية:

فإذا تم قتل الفتاة المخطوفة من قبل أهلها، صار من الواجب عليهم قتل زوجها الذي خطفها إذا استطاعوا أن يصلوا إليه، أما إذا لم يستطع أحد من أهلها الوصول إليه (الزوج الخاطف) فسيجدون أنفسهم مضطرين إلى قتل أي شخص من أقارب الشاب الخاطف. وعلى إثر ذلك تبدأ حوادث الثأر بين العشيرتين المتنازعتين. لكن أمور الخطيفة حسب ما روى لي أكثر من شخص من النُّوَرْ المطاربة غالباً ما تحلُّ عن طريق المفاوضات السلمية التي يقوم بها وجهاء المطاربة بصورة عامة إذا ما استعصى الأمر على أصحاب المشكلة المباشرين.

- أما إذا كانت المرأة الخاطفة متزوجة ولا تزال على عصمة زوجها، فالمهر يجب أن يدفع مضاعفاً بعد الصلح مع أهلها من قبل زوجها الجديد. كما أن الأهل بدورهم يدفعون ما كانوا قد أخذوه على صلحة ابنتهم الخاطفة، ليعطوه إلى زوجها الذي تركته. ولا يأخذ الأهل من الشرفية هذه التي أخذوها من زوجها الجديد أي شيء من المهر، إلا إذا كان زوجها القديم موافقاً على ذلك.

- المهر:

إن كافة العشائر النّورية من ملّة المطاربة يزوجون بناتهم مقابل كمية من المال يأخذونها لأنفسهم، دون أن يعطوا البنت أي شيء من مهرها، والمهر المأخوذ من ابن العم يكون أقل تقريباً بحدود عشرة آلاف ليرة سورية من المهر الذي يدفعه الشاب الغريب لأهل الفتاة التي وقع اختياره عليها كشريكة حياة له.

ويقول المطاربة عندما يسألون عن المهر: أنهم يزوجون البنت مقابل المهر الذي يتم الاتفاق عليه، ويراعون ابن العم دوماً أكثر من الغريب. والذي لاحظته أن الفتاة بزواجها تكاد تشبه الدّابّة عندما يبيعها صاحبها. ويبلغ المهر حالياً بين الأقارب من

العشيرة الواحدة (١٥) ألف ل.س. أما إذا كانت الفتاة قد زوجت من رجل لا ينتمي إلى عشيرتها. فإن المهر يتراوح ما بين ٢٠ ـ ٢٥ ألف ل.س. عام١٩٨٧م.

كما أن زواج المرأة الأرملة، أو المرأة الثيب غالباً ما يكون مقابل مهراً أرخص من المهر الذي يأخذه الأهل فيما لو كانت ابنتهم عازبة وباكر، كما أن المهر يختلف حسب عمل البنت بعد زواجها: إذا كانت البنت بعد زواجها ستقعد في البيت ولا تذهب للشحادة فإن مهرها في هذه الحالة أقل من ١٠ آلاف ليرة سورية، أما إذا كان الزوج يريد من عروسه مستقبلاً أن تخرج من البيت لتشحد فإن مهرها في هذه الحالة يزيد الضعف عن المهر الذي يطلبه والد الفتاة من الشخص الذي تقدمَ لخطبة ابنته ويريد أن تكون زوجته فقط للطبخ والغسيل والاهتمام بأطفالها مستقبلاً.

ومنذ بداية الحديث يسأل وليّ أمر الفتاة الخاطب السؤال التالي: هل تريد أن تبقى زوجتك في المستقبل بعد الزواج متفرغة فقط لأمور بيتها، أم أنك تريدها دَوّارَة لتشحد؟ وعلى ضوء الجواب الذي يتكلم به الخاطب يتحدد المهر بين أهل كل من الشاب والشابة.

وقد قال لي السيد ـ شريف ظاهر ـ أبو محمد من نَوَرْ قريْة دبوسية: أن المهر كان سابقاً على زمن يزيد عن ٥٠ عاماً يتراوح ما بين ٤ ـ ٥ نيرة ذهب حميدي (النيرات الذهبية التي سكبت تخليداً للسلطان العثماني عبد الحميد).

وعندما ارتاح السيد شريف ظاهر بحديثه إليَّ حول المهر الذي يدفعه الشاب لأهل الفتاة، قال لي: لقد تزوجت أم محمد هذه واسمها ـ مهدية ـ مقابل /٤/ نيرات حميدي. وعلى زمن جدي أردف قائلاً السيد أبو محمد كانت البنت تزوج بطبل أو بزمر، أو بقديش(١) أو بحمار إذا كان والدا البنت بحاجة أو بمبلغ زهيد جداً من المال، لأن الناس آنذاك لم يكن بين أيديهم عملة كما هو الحال في أيامنا هذه.

والشيء الطريف الذي لمسته من خلال حديثي للسيد أبو محمد وأولاده أن المهر يقسم إلى قسمين عندهم: متقدم ويترواح من ٢٠ ـ ٢٥ ألف ل.س، ومبلغ متأخر قدره ـ ١٠ ـ آلاف ليرة سورية بغض النظر عن الفتاة إذا كانت جميلة أم لا. أما منذ فترة تزيد عن عشرين عاماً كما روى لي أن المبلغ المتقدم كان ١٠٠ ل.س، والمبلغ المتأخر ١٠٠ ل.س. هذه المقابلة تمت صيف عام ١٩٨٧م.

---

(١) - القديش: هو الذكر من الخيل، والذي يستخدم في الفلاحة والجر. وغالباً ما يكون مخصياً: (عضو الذكورة لديه مجبوب).

ويسود عند النَّوَرْ عادة ـ ردَّة الرجل ـ حيث تزور العروس وعريسها بعد انتهاء الأسبوع الأول من عرسهما بيت أهلها. وأن أهل العروس في هذه الحالة يعطون ابنتهم مبلغاً يتراوح من ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ل.س. عام ١٩٨٧م.

وقد كان الأهل في السابق لا يعطون ابنتهم عندما تزورهم بعد أسبوعها الأول سوى مبلغ لا يتجاوز /٣٠/ ل.س/.

ـ الطلاق:

يمكننا أن نصف النَّوَرْ جميعاً أنهم مزواجين وليسوا مطلاقين. وبما أن النَّوَرْ عامةً يعتنقون الديانة الإسلامية، فمن البديهي أن يكون سائداً في بنيتهم الاجتماعية ظاهرة الطلاق، عندما يتعذر على الشريكين الاستمرار بحياة الزوجية معاً. إلا أنّ ظاهرة الطلاق تكاد شبه معدومة عند النَّوَرْ، وإذا ما حصل ذلك فإنه يتم حسب قرار يتخذه أفراد العشيرة معاً شريطة أن يوافق كل من الزوج والزوجة على هذا الأمر.

وفي حالة إقدام الرجل المتزوج على الزواج مرة ثانية، فالمرأة هنا مخيَّرة:

١ ـ إما أن تنهي علاقتها مع زوجها نهائياً عن طريق الطلاق.

٢ ـ أو ترضى بأن تبقى على عصمة زوجها ولو تزوج عليها زوجها مرة أو أكثر. وفي غالب الأحيان ترضى المرأة النّورية بقدرها وهي راضية عن زواج زوجها من غيرها ثانية. عند ذلك تعيش المرأة القديمة وأطفالها في خيمة واحدة، في حين زوجها وامرأته الجديدة في خيمة أخرى لوحدهما، لكن تبقى الخيمتان بجوار بعضهما في النزل. وإذا كان النّوري يسكن في دار حجرية أو إسمنتية (مستقر) فإنه يجمع كافة نسائه بدار واحدة، ولكن لكل امرأة وأطفالها غرفة خاصة بها.

ـ زواج البدل ـ تشاغورن:

يسود عند النَّوَرْ عامة ومن بينهم المطاربة زواج البدل، أو زواج الداقيش[1] كما يقولون ويسمون زواج الداقيش بلسانهم المطرياني ـ تشاغورن.

---

١ - الداقيش: كلمة مشتقة من فعل داقش: بادل. والداقيش هو تبادل عيني بين شيئين، من مادة واحدة، أو تبادل بين حيوانين من نوع واحد، أو من نوعين مختلفين، والشيء يقال عن تبادل الأخوات عند الزواج.

١ ـ ما فهمته من خلال جلوسي وحديثي إلى كثير من الرجال المطاربة أنه في زواج البدل لا يدفع أي من أخوة العروسين أية زيادة للطرف الآخر لكون أخته أقل جمالاً من البنت التي سيتزوج منها، وإنما بنت مقابل بنت مهما كان درجة الجمال بينهما متفاوتة، وهذا عكس ما هو جار في زواج البدل عند جماعات القرياط، حيث أخا البنت الأقل جمالاً يدفع زيادة على أخته لأخي البنت التي سيتزوج منها مقابل إعطاء أخته غير الجميلة لأخيها (شقيق الجميلة).

٢ ـ وإذا ما كانت أحد البديلتين غير مرتاحة مع زوجها، في حين كانت البديلة الثانية مرتاحة مع زوجها، فعلى زوج الثانية أن يدفع لأهل الأولى غير المرتاحة مهراً كاملاً فيما إذا تمّ الطلاق بناءاً على طلب تلك الزوجة التعبانة في حياتها مع زوجها.

٣ ـ إذا ما توفيت أحد البديلتين، فإن زوج البديلة التي على قيد الحياة ليس مجبراً على دفع مبلغ معين لأهل المرأة المتوفية، مقابل بقاء بديلتها (زوجته) عنده. وكما يقولون في هذه الحالة فإن زوج البديلة التي لا تزال على قيد الحياة يدفع لأهل زوجته مبلغاً معيناً ليس محدداً، وإنما ـ شوفة خاطر.

٤ ـ يسود عند المطاربة في واقعات الزواج عادة يقولون عنها ـ ردّة رِجْل ـ : بعد انتهاء أسبوع العرس، تزور البنت أهلها هي وزوجها، فيعطونها مبلغاً لا يزيد عن ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ل.س. وعلى البديلة لهذه العروس التي أعطاها أهلها ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ل.س أن يعطيها أهلها نفس المبلغ، لأنهما داقيش.

ـ طقوس الدفن:

إن طقوس الدفن عند النَّوَرْ بما فيهم المطاربة تتم حسب الشرع الإسلامي: فأثناء الاحتضار يمدَّد الشخص على ظهره ورأسه نحو الشمال، بحيث يكون وجهه نحو القبلة. وتكون رجْلي المحتضر باتجاه الجنوب. وتوضع يداه فوق بعضهما وعلى صدره، بحيث تكون اليمنى فوق اليسرى. فإذا ما مات الشخص فإن الحاضرين يقومون بتسكير فمه، وتغميض عينيه. وبعد ذلك يُغسل الميت ويحمل بالنعش إلى المقبرة. وفي المقبرة يدفن بقبر أُعِدَّ له تكون وجهته غرب شرق، ورأس الميت يوضع في جهة الغرب، ورجلا الميت نحو جهة الشرق. ويكون الميت موضوعاً على جنبه الأيمن بحيث يكون وجهه نحو القبلة.

وغالباً ما يضع النَّوَرْ ميتهم في مقبرة المسلمين من سكان القرية المتواجدين فيها صيفاً وغالباً ما يكون في طرف المقبرة، لأن الميت غريب عن أهل البلدة. وبعد الوفاة يرحل أهل الميت إلى قرية ثانية. ولا تسود بين النَّوَرْ المطاربة ظاهرة التعزية؛ الأخذ بالخاطر، وبالتالي فلا يفرذون خيمة للاستقبال. وقد قال أحدهم، إذا كان قوله صحيحاً ما يلي:

أن المطاربة قبل أن يستقروا في بيوت ثابتة، إذا ما مات عندهم شخص كانوا يدفنوه في أرضية خيمته وبعد ذلك يرحلون مباشرة.

وقد سألتهم عن سبب الرحيل، فكان الجواب: حتى لا يحل الأذى بنا ثانية كما أننا لا نرتاح للميت ولا لمنظره. والنَّوَرْ بهذه الحالة يشبهون كافة المجتماعات البشرية التي تعيش حياة الترحال إذ تدفن ميتها، ومباشرةً تتركه وترحل حتى لا تلحقهم روحه المخيفة التي يمكن أن تنزل الأذى بهم. ومن شدة خوفهم من روح الميت كانوا أثناء الرحيل يغيرون ملابسهم وحتى أسماءهم حتى تضلّهم روح المتوفى. وحتى الآن الجماعات البدوية المرتحلة، عندما يموت شخص منهم يدفنوه ويرحلون مباشرة، وحتى أنهم يضعون على قبره كومة من الحجارة حتى لا تلحقهم روح المتوفى فتؤذيهم.

إن هذه العادة التي لا تزال باقية آثارها حتى الآن بالرحيل بعد الوفاة ما هي إلا بقايا لاعتقادات دينية سابقة تدعى عبادة الأرواح ـ Animism ـ حيث الاعتقاد أن الإنسان يتكون من جسد وروح، فالجسد يبلى والروح تبقى هائمة على وجهها. والروح بدورها إما أن تكون خيرة وإما أن تكون شريرة، وغالباً هذه الصفة تلازم الأعمال الدنيوية التي كان قد فعلها الشخص المتوفى.... ولا تزال بقايا هذه الاعتقادات حتى يومنا هذا، فإذا ما كان شخص نائم فلا نُقْعِدَهُ إلا بعد أن نسمّي عليه وخاصةً إذا كان صغيراً كي لا يصاب بأذى: أما الواقع فإن هذه عادة قديمة، كأن لا يُقْعِدَ الأهلُ الشخص النائم بسرعة حتى لا تظلّ روحه التي كانت قد تركته جثة دون روح عندما ترجع إلى جسده.

ـ ومن طقوس دفن الموتى عند المطاربة ما يلي:

من العادات المتّبعة عند كافة جماعات النَّوَرْ دون استثناء أثناء حدوث حالة وفاة عندهم:

١ ـ يقومون بالبكاء والصياح والضرب واللطم على الوجه وغالباً ما تخدش المرأة وجهها حتى يسيل الدم منه وكأنه شُطب بأداة حادة.

٢ ـ تسود عند المطاربة عادة ـ وضع الميت رجلاً كان أم أنثى بأكفان يساوي عددها عدد الأزواج الذي كان قد تزوج منها في حياته قبل أن يموت.

فإذا كان المتوفي رجلاً، فسيشتري له أهله أكفاناً بعدد زوجاته اللواتي كان قد تزوج منهن: الأحياء منهن والأموات، مثلاً: إذا كان الرجل قد تزوج ست نساء فرضاً، ٤ نساء منهن قد متن، وثلاث نساء ما زلن على قيد الحياة، يتوجب على هذا الرجل المتوفي وضعه في سبعة أكفان.

٣ ـ إذا كان الرجل لم يتزوج إلا امرأة واحدة، فيوضع كفن واحد في هذه الحالة.

٤ ـ إذا كانت المتوفية امرأة، فإنها توضع بأكفان يساوي عدد الأزواج الذين كانت قد تزوجت منهم. وأن الطريف في هذا الموضوع أن الأكفان يشتريها لها زوجها الأخير، كفن له وأكفان عن بقية الأزواج الذين كانت قد تزوجت بهم من قبله. أما الأزواج، ما قبل الأخير، إذا كانوا على قيد الحياة أو بعضهم، أو أنهم ماتوا جميعاً، فهم غير ملزمين بشراء الأكفان لتلك الزوجة عن أنفسهم.

٥ ـ إذا كانت المرأة المتوفية، قد تزوجت من رجل واحد، فإنها توضع في كفن واحد فقط.

٦ ـ وتسود عند النَّوَرْ على اختلاف مللهم عادة الاحتفال بالميت إذا كان عازباً سواء كان بنتاً أم شاباً، حيث يغنون ويضربون بالطبل والزمر أثناء تشييع جنازته. أما الأهل فمن البديهي أن ينتابهم البكاء على ابنهم أو على ابنتهم المتوفية. ويطلق المطاربة أيضاً عيارات نارية أثناء تشييع العازب أو العازبة إلى المثوى الأخير عند الوفاة.

٧ ـ يقومون بإبعاد لباس الميت عن أماكن تواجدهم، سواء كان ذلك في النزل المؤقت أو في المناطق المستقرين فيها بشكل ثابت. وفي نفس النهار يقومون بطبخ الرز واللحم على شكل منسف كعشاء للميت، وغالباً الأطفال الصغار هم الذين يأكلون ذلك الطعام المعد خصيصاً من أجل المتوفي.

٨ ـ يقوم كافة الناس في النزل الذي حدثت فيه الوفاة بالرحيل في اليوم الثاني من الوفاة مخافةً من الميت ومن المكان الذي حدثت فيه الوفاة.

إن عادة الرحيل بعد الوفاة يشترك بها النَّوَرْ مع بقية الشعوب المرتحلة التي يسود عندها اعتقاد أن روح الميت التي انفصلت عن الجثة بعد الوفاة لديها القدرة على إنزال الأذى بهم. وقد قال لي بعض الأشخاص من النَّوَرْ ما يلي:

«كان سابقاً إذا مات شخص من النَّوَرْ وهم متواجدون في منطقة ما، قاموا بغسل ذلك الميت ودفنه في نفس خيمته التي تم غسله بها على الطريقة الإسلامية. ومن ثم بعد ذلك يرحلون إلى مكان جديد حيث أذى المتوفى لهم يصبح بعيد المنال».

- ومن أحكام عرفهم الاجتماعي:

١ - إذا قتلت امرأة متزوجة ما، على يد رجل، فإن هذا الرجل عليه دفع - جزية: ديّة - من المال تزيد عن ٥٠ ألف ل.س لأولادها وزوجها. ولا يدفع مبلغ الجزية إلى أهل المرأة بغض النظر عن مرتبة القرابة عندهم. وبصورة عامة فإن - الدّيَّة - عند النَّور المطارية حسب عرفهم الاجتماعي بالنسبة للمرأة أكثر من ديَّةِ الرجل. وسبب إعطاء الدّيَّة لأولاد المرأة المقتولة، لكون المرأة هي التي تعمل وتجلب الطعام واللباس لأولادها ولزوجها عن طريق الشحادة (قالت لي هذا الكلام - أم محمد - زوجة السيد شريف الظاهر من مواليد صافيتا ١٩٢٩، والساكنان في بلدة الدبوسية بالعريضة).

٢ - إذا كانت المقتولة بنتاً عازبة ولم تتزوج، تدفع ديتها بهذه الحالة لأبيها وإخوتها، لأنها هي التي تشحد وتطعم إخوتها وأهلها إلى جانب أمها.

٣ - أما إذا أقدمت امرأة متزوجة على قتل نفسها في بيت زوجها بطريقة أو بأخرى (سم - حرق - طعن بالسكين... إلخ)، فإن أهل تلك المرأة المنتحرة في غالب الأحيان لا يطالبون زوجها بأية غرامة مادية مهما كان السبب، حتى وإن كانت تلك المرأة قد اختلفت مع زوجها وضربها في نفس الوقت، وعلى إثر ذلك أقدمت على قتل نفسها، فإن الأهل لا يطالبون الزوج بأية تعويضات مالية. ويعتقد النَّوَرْ بما فيهم المطارية بعرف اجتماعي مفاده، ما يلي:

١ - إذا كانت هذه المرأة التي قتلت نفسها في بيت زوجها غير مرتاحة عند زوجها فعليها أن تصبر على زوجها مهما كان قاسياً عليها. أما في حالة عدم قدرتها على التحمل، فعليها أن تذهب إلى بيت أهلها وتقول لهم عن وضعها غير المحتمل عند زوجها.

عنـد ذلـك الأهـل يخلصـونها مـن زوجهـا عـن طريـق الطـلاق، إذا لم تعـد عنـدها رغبـة بالرجوع إلى زوجها ثانية.

واختصار القول تـذهب المرأة التي انتحرت مهمـا كـان سبب ذلك، كمـا يقولـون، من كيْسِها.

ـ الديانة عند المطاربة في العريضة والساحل:

إن المطاربة كبقية الملل الأخرى من النَّوَرْ يـدينون بالـدين الإسـلامي. وأنهـم يصـومون ويصلون ويحجون البيت، كما يقولون ذلك والله أعلم.

لكن الذي لمسته من خلال لقاءاتي بهم خلال شهر رمضان من عام ١٩٨٦ أنهم لا يصومون ولا يصلُّون نساءً ورجالاً وأطفالاً، ولكـن شـاهدت رجـلاً متقدماً بالسـن نائمـاً تحت خيمته وقالوا لي أنـه صـائم فـلا يفطـر، فـلا تزعجـوه. ويمكننـا القـول أن المطاربـة أقـل تمسـكاً بتعـاليم الـدين الإسـلامي (الصـلاة ـ الصـوم ـ الحـج ـ الزكـاة) مـن النَّـوَرْ القربـاط بصـورة عامـة. لكـنني شـاهدت المطاربـة وخاصـةً الرجـال الكبـار بـالعمر يتشـاهدون (أشـهد أن لا إلـه إلا الله) أثنـاء سمـاعهم لـلأذان مـن مـآذن البلـد الـتي ينزلـون بخيامهم بالقرب من الأماكن السكنية لتلك القرية.

وبصور عامة فإن المطاربة النَّوَرْ المتواجدين في القطـر العربـي السـوري أقـل تمسـكاً بالـدين مـن القربـاط، كمـا أنهـم أكثـر تحـرراً مـن القيـود الاجتماعيـة الـتي يفرضـها المجتمـع النوري على المرأة، وهـذا مـا يجعـل صـلاحية الأب عنـد المطاربـة في النَّـزل شبه محدودة على عكس من وضع الرجل عند القرباط. حيث يتمتع بالصلاحية المطلقة.

ويؤمن النَّوَرْ المطاربـة كغيرهـم مـن الفئـات الأخـرى مـن النَّوَرْ بقـدرة العـين الحاسـدة على إنزال الأذى بالآخرين، وهـذا مـا يجعلهم يؤمنون بقـوة التمـائم كخـرز تقـي حاملها من الأذى. وغالباً ما يكون هذا الخرز من الخرز الأزرق وتوضع بعنق الطفل.

النمط المعيشي عند النوَر المطاربة:

إن النَّوَرْ المطاربة في كافة مناطق تواجدهم من القطر العربي السوري يعيشون في أماكن سكنية ثابتة. وتعتبر منطقة الساحل العربي السوري ومنطقة لبنان من أكثر الأماكن الأخرى يتواجد فيها المطاربة في أيام الشتاء.

أما منذ نهاية شهر نيسان وحتى بداية كانون الأول، فإن هؤلاء النَّوَرْ يتركون بيوتهم السكنية ليتجولوا في بقية مناطق القطر العربي السوري، لتعاطي أسباب المعيشة القائمة على الشحادة من قبل النساء، وعلى إحياء الحفلات من رقص وغناء ودبكة على شكل فرق يشترك فيها الرجل والمرأة على السواء، ودون أن تكون هناك كوابح اجتماعية تقف في وجه المرأة في ممارستها لمهنة الرقص والغناء والشوباش لاستدرار عطف الميسورين لما يسمعونه من تمجيد لهم من خلال لسان المرأة التي ترقص وتغني، والمتصفة بلسانها اللبق، وقدرتها على كسب ودّ ذلك الشخص الغني الذي وقع في شباك الشوباش. ويعمل الرجل في تركيب الأسنان الصناعية وتلبيسها. ومختصر القول أن الغناء والرقص والشحادة وتركيب الأسنان جميعاً تشكل العمود الفقري للبنية الاقتصادية عند النَّوَرْ المطاربة المطاربة في منطقة تل كلخ وفي منطقة حمص عامة.

طفلان شقيقان يتيمان من الأم، أولاد محمد شريف الظاهر

من نَوَرْ ـ دبوسية ـ ونفوس صافيتا

- **تربية الحيوانات:**

١. كان النَّورْ المطاربة في منطقة تل كلخ والساحل والمالكية والقامشلي وفي منطقة منبج والميادين سابقاً، يقومون بتربية الخيول الهزيلة ذات البنية العضلية الواهنة، وكانوا يربون أيضاً الحمير بنفس الوقت، حيث كان الحمار يعتبر الصديق الصبور للشخص النوري ومتاعبه اليومية.

كان المطرباني يشتري - القديش - أو - القديشة[١] - في نهاية فصل الخريف من الفلاحين بعد أن استخدموها في جني المحصول من نقل ودراس. وفي مثل هذا الوقت من السنة تكون الخيول هزيلة، فيشتريها المطاربة بأسعار رخيصة. ويقوم الرجل المطرباني بالاعتناء بذلك الحيوان وإطعامه عن طريق التبن والعلف الذي كانت تشحده المرأة النورية المطربانية في الساحل وجباله، من السكان الفلاحين. وما أن ينتهي فصل الشتاء ويبدأ الربيع، يذهب النَّورْ بتلك الخيول الضعيفة إلى المناطق المعشبة على ضفاف الأنهار والأودية والسيول. فما أن يبدأ موسم الحصاد، وإذا بالخيول قد صحّت، فيبيعها النوري المطرباني من جديد إلى الفلاح وبأسعار غالية، مستغلاً حاجة الفلاح لهذا الحيوان في موسم الحصاد.

وعندما يأتي الفلاح لشراء حيوان - القديش - من النّوري يسأله: هل يدرس هذا القديش (هل متعوّد على جر اللوح الخشبي المسمى بالنورج)، فيكون جواب النّوري: نعم، يدرس.

وفي بداية فصل الشتاء أيضاً يبيع النّوري الخيول التي كان قد اشتراها واعتنى بها، للفلاح من أجل حراثة الأرض: فيسأل الفلاح في الساحل هل يحرث هذا القديش، فيكون جواب صاحبه، نعم يحرث.

إلا أنّ النّورْ كانوا يغشّون الفلاحين أثناء بيعهم لهذا الحيوان كما يلي:

أحياناً هذا الحيوان يكون غير معتاد على جر عود الحراثة، أو غير معتاد على جر النورج أو غير معتاد على جر العربة، فيلجأ النّوري بهذه الحالة إلى شطب مقدمة رقبة القديش بشكل خفيف بالشفرة أو سكين حادة، ومن ثم يضع على الجرح أحد المواد التالية: بارود - فلفل - أو حامض الغينيك. لذا عندما يوضع القديش من قبل الشاري

---

* - القديشة: هي أنثى الخيل، التي تستخدم في الفلاحة، والذكر هو القديش.

تحت التجربة في جرّه لعود الحرث، أو للوح الدراس (النورج)، أو العربة، نجده يجري بسرعة لدرجة أنه يجعل الفلاح الشاري متشوقاً لأخذه إلى بيته ليستخدمه.

لكن الذي يحدث أن هذا القديش بعد أن يبطل مفعول المواد الموضوعة على الجروح برقبته التي كانت قد شطبت بالشفرة، أو بالسكين، يبدأ بعدم رضائه على جرّ الشيء الذي اشتراه الفلاح من أجله.

وما يقال عن أعمال الغش في بيع الخيول للفلاحين يقال عن حيوان الحمار في نفس الوقت. وقد حدثني بعض الأشخاص قد عاشروا النَّوَرْ حول وسائل الغش في المتاجرة بالخيل والحمير من قبل النَّوَرْ ما يلي:

١ ـ يؤتى بالفلفل المسحوق ويضعه النّوري المطرباني في دبر الحمار أو القديش، الذي قاده صاحبه إلى سواق الدّواب المتعارف عليه في هذه المنطقة أو تلك. فعلى إثر ذلك يبقى الحيوان يتحرك بسرعة دون أن يضرب أو ينخش بمنخاش، وعندما يرى الفلاح هذا الحيوان وسرعته يعجب به ويشتريه بأسعار غالية[1].

ومازال المطاربة في الساحل يتاجرون بهذه الحيونات للحصول على الربح، وخاصةً الرجال الكبار بالعمر كما قال لي السيد شريف الظاهر من الدبوسية. وعرفت من أكثر شخص أن النَّوَرْ المطاربة قد خلقهم الله وهم يَدقون الطبل والزمر ويتاجرون بالخيل، وبالإضافة إلى المتاجرة بالحمير والخيول، كان النَّوَرْ المطاربة يقومون بذبح الحيوانات الهزيلة المريضة غير القابلة للشفاء، من ثم يقومون بسلخ جلودها للاستفادة منها في صنع الأدوات الموسيقية التالية: الطبل ـ الدف ـ الطبلية ـ الخشخيشة ـ الربابة.

وتصنع الربابة من جلد الماعز فقط، ويمكن أن تصنع من جلد الغنم، إلا أنه من الأفضل أن تصنع من جلد الماعز لكونه يعطي صوتاً موسيقياً أفضل من أي جلد آخر. ويصنع الدف أيضاً من جلد الماعز والغنم. أما بالنسبة للطبل فإنه يصنع من جلد البقر. وإذا لم يتوفر البقر فيمكن صنعه من جلد ذكر الماعز الكبير العمر والذي يُدعى (تيس). ومن العائلات النّورية المعروفة بصنع الربابة في سوريا حالياً ـ عائلة الراشد ـ التي تسكن في منطقة السيدة زينب مثال السيد نظمي الراشد عام ١٩٨٧م.

---

١ - كما أنهم يستخدمون صبغ شعر الحمار ونفخه قبل بيعه كي يظهر الحمار ممتلأة بطنه بالطعام، عن طريق أداة نافخة في دبْرِه (مخرجه الخلفي).

وكان المطاربة النَوَرْ سابقاً يقومون بسلخ الخيول والحمير التي قد فطست ورماها أصحابها خارج قريتهم وإن كان هذا الحيوان قد صار له فاطساً مدة من الزمن. وكثيراً ما كانت تحدث مشاجرات بين الرجال إذا رأوا حصاناً أو حماراً قد فطس، حول الأحقية لمن تكون في سلخ جلد هذه الجثة أو الجيفة.

ويهتم النَورْ المطاربة بتربية الكلاب التي تستخدم في الصيد مثل كلب البوجي والسلق والكلب العادي المستخدَم في الحراسة ولكن بشكل شبه نادر قياساً بأعداد كلاب البوجي والسلاقيات.

ففي القديم كان المطاربة يربون الكلاب والبوجي والسلق ولا تزال هذه العادة عندهم حتى يومنا هذا.

فإذا ما ذهبنا إلى بيوتهم السكنية في مدن وقرى الساحل، سنجد في كل بيت أكثر من كلب واحد من كل سلالة. والطريف أن هذه الحيوانات يحملونها معهم في تجوالهم الصيفي الخريفي في بقية مناطق الريف العربي السوري. ففي السابق كانت الجراء الصغيرة تحمل على ظهور الحمير التي كانت تستخدم كوسيلة لتنقلاتهم، إلى جانب النساء والمسنين والأطفال الصغار. أما الكلاب الكبيرة فإنها كانت تجري وراء قافلة المطاربة أثناء تنقلاتهم.

أما الآن فقد اختلفت الوضع، حيث ينتقلون من قرية إلى أخرى، ومن منطقة إلى أخرى على ظهور السيارات التي يحملون عليها أمتعتهم وكلابهم، وخيامهم، وهم بدورهم يجلسون فوق المتاع المنقول اللازم لحياتهم اليومية. ويوجد في بعض الأحيان أن العائلة النَورية المطربانية غالباً ما تكون لديها وسيلة النقل الخاصة بها مثل السيارات الشاحنة الصغيرة أو حتى العربات السياحية التي تلاحظ أحياناً أمام خيامهم. ونتيجة لاستخدام السيارة في التنقلات عند جماعات النَوَرْ ومن بينهم المطاربة، انحسرت عادة تربية الحمير والخيول، التي كانت تستخدم كوسيلة مواصلات لديهم سابقاً لفترة لا تزيد عن عشرين عاماز فقد كان يشاهد الشخص الذي يمر من أمام نزل المطاربة صيفاً في منطقة تل كلخ وبقية المناطق السورية ومنها حوران، العديد من حيوانات الحمير وبعض الخيول، لدرجة يصل عدد الحمير أمام كل خيمة إلى خمسة حمير.

والشيء الطريف أن النَّوَرْ بكافة مللهم لا يستخدمون الحمار في عملية الشحادة (التسول) التي تزاولها المرأة عندهم مشياً على الأقدام. كما أن الرجل الذي يقوم ببيع الطبل والدف، والطبلية لم يكن يستخدم الحمار كوسيلة يركبها، ويبيع ما كان قد صنعه، وإنما يحمل تلك الآلات الموسيقية على كتفه ويدور في القرية مشياً على الأقدام. ومثل هذه الحالات مألوفة في سوق الحميدية بمدينة دمشق.

٣ـ كما لاحظت أن الأطفال المطاربة لمنطقة تل كلخ غالباً ما يزاولون تربية الحمام في البيت الثابت وفي الخيمة المتحركة المنقولة. ومن خلال أسئلتي لهم عن سبب تربية طير الحمام من قبل الصغار: أن هذه لا تزيد عن كونها مجرد هواية يتسلّى بها الأطفال. والشيء الغريب أن طير الحمام هذا غالباً ما يبقى داخل الخيمة ولا يطير إلى خارجها علماً أن ريش أجنحتها غير مقصوص. أما أعداد هذه الطيور في الخيمة الواحدة لا يتجاوز الزوجين فقط، على عكس من الفلاحين الذين يربون الحمام في بيوتهم وعلى أسطحتها لتناول فراخها، أو لبيع تلك الفراخ (الزغاليل التي يتناولها المرضى وخاصة بعد العمليات الجراحية). ويقول النَّوَرْ أن تربية الحمام لديهم ليست قديمة العهد، لدرجة أنهم يقولون بأنهم لم يكن يعرفوها في الماضي.

ـ مهنة الصيد:

إن الكلاب التي يربيها النّوري المطرياني يستخدمها في عملية الصيد كلاً حسب سلالتها:

١. كلب البوجي: يستخدمه الرجل النوري المطرياني في صيد الحيوانات مثل: النيص والغريري والثعلب. وغالباً ما تتم عملية الصيد ليلاً في المناطق الوعرة (شتاءً في منطقة وعر حمص وجبال الساحل. أما في الصيف، يذهبون وكلابهم إلى المناطق المجاورة الوعرة الواقعة في المنطقة التي رحلوا إليها ونزلوا بها فعلى سبيل المثال:

عندما يأتي النَّوَرْ المطاربة من منطقة الساحل صيفاً إلى منطقة حوران، فإنهم يمارسون مهنة الصيد هذه في منطقة وعر اللجاة، وفي المناطق الوعرة الواقعة في هضبة الجولان.

ومن الحيوانات التي يصيدها المطارية ليلاً بواسطة كلابهم - حيوان القنفذ، الذي يحبون لحمه إلى جانب استخدامه كدواء شعبي من أجلْ معالجة المصابين بأمراض المفاصل، وبقية الأمراض العصبية.

ويستطيع البوجي معرفة الوكر الذي تختبئ به تلك الحيوانات عن طريق حاسة شمها القوية، التي تقودها إلى أوكار تلك الحيوانات، ومن ثم تقوم بإخراجها منها. ويبقى حيوان البوجي ماسكاً الحيوان الذي يستطيع مسكه حتى يأتي صاحبه عليه، حتى يأخذه منه. ويصل ثمن الكلب البوجي الواحد الجيد في الصيد كما يقولون إلى ما يزيد ٧ - ٨ ألف ليرة سورية في عام ١٩٨٧م.

٢. حيوان السَّلَقْ: أسرع في الجري من كلب البوجي، لكنه أرخص بثمنه الذي لا يزيد عن ١٥٠٠٠ ل.س، إذا كان ذلك الكلب جيداً وعنده الخبرة والقدرة على الصيد. أما الحيوانات التي يصطادها السلق، فهي غير الحيوانات التي يصطادها البوجي. فيغلب على الحيوانات التي يناط اصطيادها إلى كلب السلق من النوع السريع العدو مثل: الغزال - الأرنب، وطير الفرّي الذي يصطاد في النهار.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحيوانات قد تضاءل عددها في معظم مناطق القطر العربي السوري لدرجة أن قسماً قد وصل إلى حافة الانقراض التام نتيجة للصيد الاعتباطي غير المنظم والبعيد عن إشراف الدولة وعن لجان المحافظة على البيئة. فهؤلاء الصيادون ليسوا إلا أناس مدمِّرين للبيئة حيث يقومون بقتل الحيوانات البرية بغض النظر عن عمرها، وعن فترة تكاثرها، وبغض النظر أن هذا الحيوان مشرفاً على الانقراض أم لا.

ومن بين الطيور التي يربيها النَّوَرْ المطاربة الديوك التركية، التي يطلقون عليها أحياناً الديوكْ التركية من أجل القتال فيما بينها. لكن اهتمام النَّوَرْ المطاربة بهذه الطيور أقلّ من الاهتمام الذي يلاقيه عند النَّوَرْ من عشيرة الهرامشة.

أما ظاهرة تربية طيور الحجل لم ألاحظها عند المطاربة النَّوَرْ، ويعود سبب ذلك إلى عدم رغبتهم بتربية هذه الطيور بعد سؤالي لهم عن ذلك. لكن السيد زيدان الكردي الذي يحمل بطاقة شخصية من السجل المدني في ناحية الشيخ مسكين، الذي ما زال يهتم بتربية طيور الحجل حتى يومنا هذا، كان قد أفصح لي أن هذه

العادة قديمة عند النَّوَرْ، علماً أنه قال لي أننا عرب ننتمي إلى قبيلة بني مرّة حسب ادعائه غير الصحيح علمياً، لأن النَّوَرْ كافةً من الشعوب الهندو أوروبية سلالياً ولغوياً، وقد تكلمنا عن ذلك سابقاً.

الديوك التركية التي يهتم بها النَّوَرْ المطاربة

في منطقة تل كلخ (العريضة ـ الدبوسية ـ جسر القمار)

ـ مهنة تركيب الأسنان:

لم يكن النَّوَرْ المطاربة في الماضي يهتمون بمهنة تركيب الأسنان الصناعية وتلبيسها. وأن كل الدلائل تشير أن هذه المهنة لم يتعلمها الرجال المطاربة إلا مؤخراً، فقبل خمسين عاماً (بدايات القرن العشرين) لم يكن النَّوَرْ يعرفون هذه المهنة بصورة عامة باستثناء النَّوَرْ القرباط في شمال سوريا.

ويمكننا القول حتى اليوم لا تزال هذه المهنة غير واسعة الانتشار بين صفوف شباب النَّوَرْ المطاربة، قياساً بانتشارها الأوسع بين الشباب النَّوَرْ القرباط، الذين يتمركزون في الجزء الشمالي من القطر العربي السوري.

ـ الرجل المطرباني وصناعة الجلود:

١ ـ كان المطاربة سابقاً يقومون بصناعة الغرابيل والكرابيل والمذراة كأدوات زراعية يعملها من الخشب وجلود حيوان الحمار والقديش، والتي كانوا يبيعونها للفلاحين في منقطة الساحل وشريطه السهلي. لكن هذه المهنة قد تلاشت عند المطاربة بسبب عدم حاجة الفلاح إلى مثل تلك الأداة لتغير الظروف الموضوعية من اقتصادية وتقنية وثقافية في منطقة جبال الساحل وشريطه السهلي. لكن المطاربة في منطقة صافيتا، وفي بلدة متراس التابعة لها ما زالوا يقومون بصناعة مثل تلك الأدوات الزراعية حتى يومنا، وذلك على عكس من النَّوَرْ المطاربة في منطقة العريضة الذين صاروا يمارسون مهنة التهريب، وبيع المواد المهربة من ألبسة جاهزة، أو دخان، أو أدوات كهربائية، وهذا بدوره ساهم في انحسار مهنة صنع الأدوات الزراعية التي ما زالت قائمة حتى يومنا هذا عند أقاربهم في صافيتا، وإلى حدٍ ما عند مطاربة العريضة. وتقوم المرأة عند المطاربة بمساعدة زوجها في عملية صنع الأدوات الزراعية، أو في صنع أدوات الموسيقى.

٢ ــ أما صناعة الأدوات الأخرى من الجلود الحيوانية المتعارف عليها (الخيل والحمير)، والخشب مثل: الدف، والربابة، والطبل، والطبلية، والخشخيشة، لا تزال قائمة في منطقة العريضة حتى أيامنا هذه. ويحصل النَّوَرْ المطاربة في منطقة العريضة على الجلود لصنع تلك الأدوات من المسلخ سواء في حمص أو في مدينة دمشق حيث يشترون الكيلوغرام من الجلد بمبلغ يتراوح ٨ ــ ١٠ ل.س. وقد قال السيد ـ **شريف الظاهر ـ من مطاربة بلدة الدبوسية ما يلي: لا نزال نحن المطاربة في منطقة العريضة وتوابعها حتى يومنا هذا نقوم بذبح الحمار أو القديش الهزيل بعد شرائه من صاحبه للحصول على جلد لصنع الدف ـ الطبل ـ الربابة ـ الطبلية...إلخ. وأن السبب برأيه بمزاولتهم عملية الحصول على جلود تلك الحيوانات مباشرة بأنفسهم لأنها اقل تكاليفاً فيما لو اشتروا الجلود التي يحتاجونها من المسلخ.**

ويعتبر الدف من أهم الأدوات الموسيقية الإيقاعية التي يستخدمها النَّوَرْ المطاربة في منطقة العريضة ومناطق الساحل، في حفلاتهم الراقصة التي يحيونها من خلال فرق

موسيقية غنائية يشكلونها فيما بينهم، ومن عدد من الأشخاص كل منهم يؤدي عملاً إيقاعياً أو موسيقياً أو حركياً، بشكل تكون كل الحركات التي يقوم بها أعضاء الفرقة منسجمة مع بعضها، وغير متنافرة.

ومن بين استعمالات الطبل عند النَّوَرْ المطاربة سابقاً في حياتهم اليومية: أنهم كانوا يضعونه صباحاً تحت الشمس، وذلك في اليوم الذي سيرحلون خلال نهاره. فيبقى الطبل تحت الشمس، ومن لحظة إلى أخرى يقوم صاحبه بضرب ضربات خفيفة عليه لمعرفة حرارة الشمس من خلال الضرب على ذلك الطبل، فإذا ما صار الصوت الصادر من الطبل بعد ضربه من قبل صاحبه جيداً، عند ذلك يشرعون بالرحيل، حيث الشمس قد ارتفعت إلى كبد السماء مع ارتفاع الحرارة وأشعتها.

شباب من المطاربة في العريضة يدبكون على إيقاع الطبل،
والسيدة صبرية تقوم بالرقص أمام خيمتهم في العريضة ١٩٨٧م

- الفن والطرب:

يمارس النَّوَرْ المطاربة في منطقة العريضة وتوابعها مهنة الغناء والرقص والعزف على الأدوات الموسيقية التي تتكون كما ذكرنا سابقاً من: الطبل - الدف - الطبلية - الخشخيشة - الربابة - البزق (الزمر)، وصار النَّوَرْ أيضاً يضربون على العود، لكن صوت الطبل والبزق هو المحبب إلى نفسية الإنسان النَّوري المطرباني أينما كان وخاصةً في وطننا العربي.

ويكون المطاربة فرقاً موسيقية يتكون أعضاؤها من الرجال والنساء. وأن لكل واحد من أعضاء الفرقة دوراً يقوم به، حيث يكون عمل كافة أعضاء تلك الفرقة الغنائية التي يكونوها متناسقاً في الحركة والإيقاع، مما يعطي للفرقة النَّورية طابعها الخاص بها المتصف بالمرح المصحوب بالنشوة لكافة أفرادها وهم يقومون بعملهم الموسيقي الجماعي المتكامل، نتيجة لتفاعلهم الحقيقي مع اللحن والحركة والصوت الجميل، وغالباً ما يسند إلى الرجال من كل فرقة غنائية عند المطاربة المهام التالية: الضرب على الطبل - النقر على الدف - النقر على الطبلية - النقر على الخشخيشة - العزف على البزق (الزمر) - العزف على الربابة مع قول الشاعر غناءً تمشياً مع اللحن المعزوف من الربابة وغالباً ما يكون عازف الربابة هو الذي يغني القصيد في آن واحد. ويسند إلى المرأة الرقص مع الضرب على أدوات موسيقية يمسكنها بأصابعهن بواسطة خيط من المطاط يُشدُّ على الإصبع، وتُدعى تلك الأداة الموسيقية المصنوعة من النحاس (الطُّقاشات)، والمزينة بسلاسل رفيعة من حلقات نحاسية. وهذا ما يعطي للرقصة النَّورية هيبة ووقعاً في نفس سامعها، لدرجة يصبح خاضعاً لمؤثرات داخلية يتفاعل من خلالها مع ذلك النغم الحلو لدرجة التمايل وهز الرقْلة والغناء دون أن يشعر بذلك. وتقوم المرأة إلى جانب الرقص والغناء بإطلاق صيحات الشوباش التي تمدح فيها صاحب الدعوة، أو الرجال الحضور وخاصةً إذا عرف هذا الرجل أو ذاك غنياً. ويتم معرفة هذا الرجل أو ذاك غنيّاً عن طريق هندامه[1]. ويصبح الأمر مفضوحاً لديهم أكثر إذا كان إلى جانب سيارته الخاصة به. ومقابل المديح الذي تطلقه الراقصة المغنية المطربانية ثناء على هذا الرجل أو

---

[1] - الهنام: اللباس.

ذاك، فإنها تحصل على هدايا نقدية فورية يضعها الرجل الذي تمدحه عن طريق الشوباش، بفم النّورية أو بصدرها عندما ترقص وتتمايل أمامه مع نكوص إلى الخلف بحيث تشكل بجسمها زاوية قائمة. أو حرف L مقلوب بحيث يكون رأسها قرب صدر الرجل الذي هاهت له بالشوباش. ويكون وجهها وصدرها إلى الأعلى وبشكل شبه أفقي، وعلى إثر هذا الموقف المحرج له من قبل الحضور يندفع ويضع نقوداً في فم تلك المرأة الراقصة، أو يضع تلك القطعة الموسيقية في عبّها، وغالباً ما يقوم ذلك الرجل ببوس تلك المرأة على خدها عندما يضع لها الشوباش في فمها أو في صدرها دلالةً على احترامها، ودون أن يزعل أقاربها في الفرقة الموسيقية التي يعملون بها سويةً.

ويأخذ أعضاء الفرقة الموسيقية أجار إحيائهم هذه الحفلة أو تلك ما بين ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ل.س في الليلة الواحدة، ويزداد هذا المبلغ إذا عرف رئيس الفرقة أن الشخص الداعي لهذه الفرقة كي تقيم حفلة عنده أنه رجل غني.

ويراعي رئيس الفرقة في توزيعه أجار الحفل الذي كان قد تقاضاه مبدأ المساواة العادل، بغض النظر عن العمل المسند لهذا العضو أو ذاك من الفرقة، وبغض النظر عن الجنس أيضاً رجلاً كان أم امرأة، فالكل متساوون في الأجر: فإذا كان الأجر ٢٠٠٠ ل.س، وعدد أعضاء الفرقة ٤ أشخاص، فإن نصيب كل واحد منهم سيكون ٥٠٠ ل.س عام١٩٨٧م.

وعندما يتم الاتفاق بين الشخص الداعي للفرقة النّورية المطربانية كي تحيي الحفلة عنده، وبين رئيس الفرقة يراعى ما يلي:

١ ـ إذا كانت الفلوس التي ستجمعها النّورية المطربانية الراقصة ستذهب إلى الفرقة سيكون الأجار المدفوع للفرقة قليلاً.

٢ ـ أما إذا كانت الفلوس التي ستجمعها الراقصة من الشوباش ستذهب إلى صاحب الدعوة، سيكون أجار الحفلة مرتفعاً. كما أن المرأة النّورية ستقلل من مهاهاه الشوباش، وهذا ماهو حاصل في الملاهي الليلية.

٣ ـ أما إذا تم الاتفاق على أن تكون الفلوس التي ستجمعها المرأة الراقصة من الشوباش سيتم تقاسمها مناصفةً بين الفرقة وبين صاحب الدعوة، عند ذلك سيكون أجار الفرقة لإقامة الحفل وسطاً في مقداره بين المبلغين السابقين وشرط كل منهما.

أما المبلغ الذي ستجمعه المرأة النَّورية من الشوباش، فغالباً ما يتم توزيعه بين كافة أعضاء الفرقة بالتساوي مع إعطاء المرأة الراقصة زيادة قليلة مراعاة لشعورها.

السيد مشهور وهو يعزف على آلة البزق (الزمر)

مع فرقته الموسيقية في منطقة العريضة

ـ ظاهرة التسول: «الشحادة»:

إلى جانب ظاهرة الرقص والغناء الذي تمارسه المرأة المطربانية أثناء إحياء الحفلات الغنائية من خلال فرق موسيقية يشكلونها المطاربة من بينهم، فإنها تقوم بممارسة مهنة دائمة وثابتة منذ القديم. وإلى الآن ألا وهي مهنة الشحادة:

تخرج النساء المطربانيات في منطقة العريضة منذ الصباح الباكر وحتى العصر إلى مراكز القرى المجاورة قاصدات باب الله الكريم كما يقولون. وتطوف المرأة المطربانية مشيا على الأقدام بين أحياء القرى التي تذهب إليها، وهي متنقلة من بيت إلى آخر.

وغالباً ما تتم الشحادة من قبل النساء النَّوريات على شكل جماعي أو ثنائي وهو الأغلب. إذ كل امرأتين يطوفان معاً بين بيوت القرية اللواتي قصدنها. فبعد أن يطرقن باب الدار على أصحابها غالباً ما يدخلن إلى داخل الدار وفي أيدي كل منهما سطلاً أو دلوا من البلاستيك لوضع الزيت الذي تجمعه النَّورية في النهار. وتطلبان من صاحبة الدار

التي دخلنها: الزيت ـ الصابون ـ السكر ـ الأرز ـ الشاي ـ القهوة. وتعرف المرأة المطربانية بعنادها المرفوق بعد الخروج من الدار إلا إذا حصلت على ما تريد من المرأة صاحبة الدار. فإذا أفلست من الحصول على شيء من إلحاحها على المرأة التي في الدار التي دخلتا إليها يطلبان رغيف خبز لكل منهما حتى لا يخرجان فارغتي اليدين. وأحياناً تطلب المرأة النّورية الطعام لتأكل إذا لم تجد عليها صاحبة الدار بشيء وهذا قليل الحدوث.

وتتبع المرأة المطربانية طرقاً شتّى مع المرأة التي تجلس في دارها التي دخلت إليها كشحادة، من هذه الطرق طرق ذات طابع نفسي، ومنها ذات طابع خادع يقوم على الحيلة الغدر.

١ ـ تقوم المرأة المطربانية باستدرار عطف النساء المتواجدات في دورهن كي يكون العطاء لها سخياً من قبل تلك النساء، من خلال التلاعب بأحاسيس المرأة صاحبة البيت لدرجة الإجهاش بالبكاء مثلاً:

تقول النّورية لصاحبة الدار بعد أن تعلم وضع أصحاب تلك الدار مسبقاً عن طريق الأطفال الصغار الذين غالباً ما يلعبون أمام الدور (ماذا يعمل صاحب الدار ـ مسافر أم هنا ـ متوفي أم على قيد الحياة ـ هل لصاحبة الدار ولد في السجن ـ هل لصاحبة الدار ولد مريض ـ هل لها ولد مسافر...إلخ) بعدئذ تقول لصاحبة الدار مثلاً:

إنشاء الله يرجع لك ابنك الغائب بالسلامة مثلاً.

الله يرجع لك زوجك بالسلامة.

الله يشفي لك زوجك أو ولدك المريض، أو الله يطلع لك ولدك أو زوجك من السجن.

الله يرحم ابنك المتوفي ـ اللة يخلّي لك صاحب بيتك.

٢ ـ ومن الطرق المتّبعة من قبل المرأة المطربانية في ابتزاز صاحبة الدار التي دخلت إليه:

١ ـ التبصير بالكف، ٢ ـ التبصير عن طريق الودع:

وفي حالة التبصير هذه غالباً ما تكون في العملية امرأتان نوريّتان مطربانيتان. أحدهما تبدأ بضرب الحصى أو قراءة الكف لمعرفة الطالع لصاحبة البيت، في حين تكون النّورية الثانية لجانبها تقوم بالاستفسار من الأطفال الصغار عن وضع صاحبة البيت الجالسة معهما، وفي نفس الوقت تقوم المرأة التي حصلت على وضع أهل الدار من

الأطفال بترجمة ذلك إلى اللغة التي تتكلم بها المطريانيتان (وغالباً اللسان الكردي). فعند مواجهة المرأة النورية لصاحبة الدار بالحقائق التي تعيش بها تقوم بإعطائها بسخاء إلا أن المرأة النورية ترى أن الأجار قليل جداً.

٣ ـ من الطرق التي تستخدمها المرأة المطربانية في ظاهرة الشحادة ما يلي:

تدخل إلى الدار الواحدة امرأتان مطربانيتان أحدهما تقوم بعملية إلهاء صاحبة الدار بالحديث، في حين الأخرى تقوم بسرقة ما يمكن أن تحصل عليه من خفيف الوزن غالِ الثمن. وبعد أن تنتهي عملية السرقة، تقوم السارقة بالتحدث مع زميلتها الأخرى وباللسان المطرباني (الكردي)، فيخرجان من الدار، ويبتعدان عن الحارة كلها التي سرقتا منها.

فإذا كان الشيء المسروق غالي الثمن مثل: سوارة من الذهب ـ طوق من الذهب....إلخ. فإن المرأتان المطربانيتان يغادران القرية بأسرع وقت ممكن، حتى إذا ما عرفت صاحبة البيت الشيء الذي سُرق من عندها، لا تستطيع اللحاق بهما.

ومنذ ما يزيد عن ٣٠ عاماً في الخمسينات من القرن العشرين، كانت النساء المطربانيات يشحدن الخبز ـ القمح ـ الشعير ـ التبن، من أجل الحمير التي يرحلون عليها وتكون موجودة حول خيام نزلهم ـ الطعام المطبوخ، حيث في يد كل امرأة كان دلواً تجمع فيه الطعام المتنوع في آن واحد وخاصةً في المساء (حيث كان آنذاك معظم العشاء عند الحوارنة إما طبيخ مجدرة أو طبيخ بلبن، مليحية ـ طبخ برغل مع بندورة...إلخ)، لدرجة أن هناك مثلاً عند أهل حوران عندما تكون الأكلة معجوقة ويدخل فيها أكثر من صنف واحد ـ مثل طبيخ النَّوَرْ ـ ومعظم النَّوَرْ كانوا وما زالوا يأتون إلى حوران في نهاية الربيع ويبقون طيلة الصيف والخريف لحضور موسم البيادر. وإلى الآن ما زال النَّوَرْ المطاربة المستقرين في منطقة الساحل إضافة إلى قرباط عفرين يأتون إلى حوران في الصيف والخريف.

وتتعبر المرأة النَّورية المطربانية من خلال الأعمال التي تقوم بها: من غناء ورقص في إحياء الحفلات الغنائية، إلى جانب العمل البيتي في تدبير شؤون أطفالها، وتقوم بممارسة الشحادة أيضاً، بأنها الركن الأساسي في البيت عند المطاربة. ونتيجةً لفعاليتها في النمط المعيشي عند المطاربة أعطتها مكانة هامة تفوق مكانة الرجل في

أكثر الأحيان. فالمرأة النّورية هي الفلاحة في البيت على حد تعبير نور العريضة، لأنها هي التي تنهض بأعباء أفراد العائلة وجني الطعام لهم. لذا كثيراً ما نجد في كثير من بيوت النَّوَرْ المطاربة أن المرأة فيها تتمتع بمكانة جيدة، وخاصةً إذا كانت جميلة وصوتها رقيق في الغناء، مما يجعل منها ثروة مادية كبيرة لبيتها.

إذ أنّ وضع المرأة النّورية المطربانية المادي بين أفراد أسرتها يجعل منها هي الآمر والناهي وصاحبة الكلمة المسموعة والنافذة لكونها اليد المنتجة بالنسبة لعائلتها. أما الأب في كثير من الأحيان لا حول له ولا قوة، وخاصةً إذا كان غير قادر على المشاركة بالحفلات الموسيقية. ففي مثل هذه الحالة فإن المرأة المطربانية تكاد تكون شبه حرّة في سلوكيتها الخاصة في خيمتها وأمام زوجها، فهي تستقبل الضيف الغني في البيت وتغني وترقص له، وتطلق صيحات الشوباش كثناء على ذلك الرجل لابتزازه مادياً. وتجلس المرأة النّورية آنذاك إلى جانب الرجل الغني المطموع به، ويضمها إلى صدره ويقبلها وزوجها راضٍ عن ذلك ولربما يتفق ذلك الرجل مع النّورية ليضاجعها مقابل دفع مبلغ معين فيما بعد. وبهذا فإن المرأة عند المطاربة مطلقة الحرية في تصرفاتها لما تجلبه من دراهم، على عكس من المرأة النّورية القرباطية الأقل في جلب المال، والتي نجدها مقيدة في حريتها داخل بيتها وخاضعة خضوعاً كاملاً له. أما في خارج البيت عندما تذهب للشحادة على باب الله الكريم فلا يمنع تلك المرأة من ممارسة الأعمال الجنسية أي شيء سوى رغبتها في ممارسة ذلك أم لا، وغالباً ما تتعرض لإغراءات مادية، فتجد نفسها منقادة لممارسة الأعمال الجنسية مع رجال خارج بيتها شريطة أن لا يعلم أهلها بذلك مطلقاً. وبصورة عامة فإن المرأة القرباطية أكثر حشمةً من المرأة النّورية المطربانية في البيت وخارج البيت.

وعندما تخرج المرأة المطربانية إلى القرى القريبة من مكان نزل جماعتها، فإنها تذهب على باب الله الكريم دون أن تأخذ معها شيئاً تبيعه مثل: الكحل ـ الأمشاط ـ الأبر ـ المسال ـ المروحة ـ قلائد الخرز....إلخ كما هو الحال عند المرأة القرباطية التي تأخذ تلك الأدوات عند خروجها لتعاطي الأسباب.

وتضع المرأة المطربانية ما تحصل عليه أثناء طوافها بين أحياء القرية من قبل سكانها في كيس تضعه على كتفها، وإذا ما سألنا المرأة المطربانية لماذا هذه العادة التي يمارسهن يجاوبنا على النحو التالي، كتبرير لظاهرة الشحادة لديهن: **«أن الزير ركّبنا على الحمار، وقالوا حطوا العليقة على أكتافكم، وقولوا من مال الله»**[1].

ويعتقد المطاربة النَّوَرْ أيضاً أن مهنة الفلاحة قد أُجبر الناس عليها من قبل جساس، فيقولون بهذا الصدد ما يلي:: «أنَ جسّاس مسَّكَمْ المنساس»[2].

امرأة من النَّوَرْ المطارية في بلدة ـ الدبوسية ـ العريضة

- هـ المقصود الزير سالم الذي أمر النور كما يزعمون كذباً بأن يبقوا متنقلين على ظهور الحمير.

- أداة من الخشب أسطوانية الشكل إلى حد ما، طولها يزيد عن المترين والنصف. ويكون بطرف المنساس مسمار من الحديد قد غمسه صحه ليقوم بوخز الثور به كي يحثّه على الحرث عندما يتعب الثور. أما الطرف الآخر لا شيء فيه من المنساس، حيث يحركه الحرّاث بيده.

ـ المستوى الصحي عند المطارية:

يتمتع النُّوَرْ المطارية بصورة عامة بصحة جيدة، مع لياقة بدنية. ولا نشاهد بين جماعات النُّوَرْ نساءً كانوا أم رجالاً من ذوي الأجسام الممتلئة بالشحوم والمترهلة، وربما يعود سبب ذلك إلى الحركة المستمرة التي يزاولونها في حياتهم اليومية، وبشكل خاص النساء منهم اللواتي يشبهن العاملات في خلايا النحل، لذا نجد أجسام النساء المطريانيات تتمتع بالرشاقة واللياقة البدنية بالرغم من تقدمهن بالعمر، على عكس المرأة الباركة في البيت سواء في الريف أم في المدينة حيث الحركة المعدومة، والطعام الكثير وخاصةً النشويات منه، مما يجعل المرأة وخاصةً بعد زواجها وإنجابها الأطفال قد تحوّلت إلى كتلة مكوّرة من الشحوم، وهذا ما يجعل جسمها ثقيل الوزن مترهلاً بعيداً عن التناسق واللياقة البدنية، ويزداد الأمر بشاعةً إذا كانت المرأة قصيرة، حيث يصبح طولها وعرضها واحداً. وغالباً النساء ما يتباهين بسمنة أبدانهن كدلالة على راحتهن في بيوت أزواجهن وتوفر الطعام الجيد عنده. وتقول النسوة لبعضهن إذا كانت إحداهن سمينة والله لقمة زوجك مَرِيَّة عليك.

إن النساء والرجال المطارية في فصل الصيف والخريف أثناء تجوالهم في مناطق الريف قليلاً ما يغسلون أجسامهم، لعدم توفر الماء، ولعدم توفر مكان للاغتسال وخاصةً للمرأة التي تبقى طيلة النهار كالنحلة العاملة في عملية متحركة مستمرة لجلب الطعام لأفراد عائلتها.

والأطفال نجدهم شبه عراة لارتدائهم الألبسة القديمة المهترئة التي كانت قد شحدتها المرأة أثناء تسولها. كما أنّ الأطفال دون العاشرة من العمر تجدهم دوماً حفاة القدمين وأن بشرتهم السمراء الجذابة تجدها مغطاة بطبقة من الوسخ، ومع ذلك تجدهم أصحّاء البدن قويي البنية.

وعندما يمرض الطفل غالباً ما يؤخذ إلى عند الطبيب لمعالجته، ولكن بعد أن تسوء حالته الصحية كثيراً. وتضع المرأة في مقدمة شعر رأس الطفل خرز أزرق اللون مع قطعة خرزية على شكل راحة كف اليد ذات لون أزرق، وذلك لإبعاد الأذى عن طفلها

من أعين الحاسدين إذا ما شاهدوا الطفل. وتقوم المرأة المطربانية بوضع الحجاب[1] في لباس طفلها الخارجي معقلة إياه بشكال وذلك كحرز كي يبقى ابنها لها سليماً ومعافاً حسب اعتقادهم.

وتضع المرأة الشابة أيضاً في عنقها قلائد الخرز ذات اللون الأزرق في معظم الأحيان وفي هذه القلادة تكون خرزة كبسة (كي يبقى زوجها يمارس معها الجنس وبرغبة) وخرزة الحليب (التي تجعل المرأة مدرارة في حليبها على طفلها)، وخرزة المحبة كي تبقى غالية على زوجها....إلخ، وتشعوذ بعض النساء حول قدرة الخرز على التهام السكر وبخاصة ماتسمى منها - خرزة المحبة أوالغلاة - حيث يؤجرنها إلى النساء.

- المستوى التعليمي:

بالرغم من أن النَوَرْ المطاربة في منطقة العريضة البالغ عددهم بحدود ٨٠٠ - ٩٠٠ شخص مسجلون بسجلات النفوس ما عدا القلّة القليلة منهم، فهم لا يذهبون إلى المدارس، وإذا ما حدث ذلك فإن النسبة ضئيلة جداً لا تزيد عن ١٠٪ من الأطفال دون سن العاشرة. وأن سبب عدم بعث الآباء أبناءهم إلى المدارس: ممارسة الأولاد مهنة التهريب في ذلك المكان الحدودي بين سوريا ولبنان، حيث يهربون الدخان - اللباس - الأدوات الكهربائية وإلى جانب المتاجرة بتلك المواد المهربة أيضاً.

وأن أطفال النُورْ المطاربة في منطقة العريضة لا يعرفون التعب نهائياً، حيث طوال النهار يصعدون السيارات القادمة من طرطوس، والسيارات الذاهبة إلى طرطوس واللاذقية وهم يحملون علب الدخان الأجنبي في ظهورهم وتحت ألبستهم الخارجية. ولا يوجد في منطقة العريضة طفل نوري قد حصل على الإعدادية حتى الآن. أما الذكور الذين هم فوق سن السادسة عشرة فهم جميعاً أميون لا يقرؤون ولا يكتبون. أما الإناث فكلهن أميّات ولا تذهب الطفلة الأنثى إلى المدرسة بالرغم من إلزامية التعليم للمرحلة الابتدائية حتى عام ١٩٨٨م.

---

١ - الحجاب: هو نوع الكلام يكتب على ورقة طولانية، ثم تلف على شكل مثلث صغير (حجاب) ومن ثم يوضع في قطع قماش ويخاط عليه، ويثبت في ملابس الطفل الخارجية وخاصة في الجزء الأمامي من الصدر، وأحياناً تكون الكتابة آيات قرآنية "سورة المعوذات".

ـ اللباس عند المطارية في منطقة العريضة:

ـ **لباس الرجل:** غالباً ما يكون لباس الرجل في منطقة العريضة وحتى في الساحل كما يلي: السروال ذي اللون الأسود أو الأبيض. ويكون للسروال دكة من القماش كي يُشدُّ السروال إلى خصر الرجل، وغالباً ما يكون السروال ذو فرج فضفاض وواسع ونازل إلى الأسفل بين ساقي الرجل النّوري المطرباني. أما فتحة كل من الحجلين فغالباً ما تكون ضيقة على شكل أسطوانة. ويلبس النّوري على جسمه القميص فوق السروال. ويلبس فوق القميص لباساً طويلاً مفتوحاً من الأمام يطلق عليه (القمباز). ويلبس النّوري فوق القمباز الحزام المطاطي أو الجلدي. ويلبس فوق القمباز جاكيته.

أما لباس الرأس عند نَوَرْ العريضة أو الساحل غالباً ما يتكون من منديل أو حطّة سوداء وعقال أسود غليظ وهم بلباسهم المنديل الأسود والعقال الأسود قد تأثروا بلباس الرجل الفلاح في منطقة حمص ووادي النصارة، والمناطق الجبلية من ريفنا في الساحل.

أما لباس الشباب عاديّاً يتكون من بنطال وقميص، ولا يضع على رأسه شيئاً. ويلبس الشاب النّوري الطقم الأجنبي مع ربطة العنق، ويتصف الشاب المطرباني بتناسق جسمع ولياقته البدنية وبشرة سمراء جذابة.

وما لاحظته أن الأطفال الصغار الرضّع يكفلون بكفال مع وضع أيديهم تحت الكفال، ومن ثم يقمط الطفل بحزام حول الكفال، شأنهم بذلك شأن الطفل عند القرباط، شأن الشعوب الشرقية ومن بينهم الشعب العربي.

ـ **لباس المرأة:** غالباً ما يتكوّن لباس المرأة المتزوجة من قطعتين: قميص أو كنزة إلى جانب تنورة على شكب خراطة تشد على خصر المرأة بواسطة قطعة مطاطية. وتضع المرأة النّورية الجزء الأسفل من قميصها أو كنزتها داخل الخراطة. وتلبس المرأة المطربانية على كتفيها ورأسها الملفع الأسود (الشنبر) ويكون فوق ملابسها جميعاً. وتشد المرأة الشنبر على رأسها بواسطة قطعة قماش سوداء غالباً ما يُطلق عليها العصبة.

وعندما تذهب المرأة إلى القرى المجاورة للشحادة غالباً ما ترتدي لباساً آخر على شكل عباءة سوداء تضع فيه ما تحصل عليه بعد أن تعقد نهايته السفليتين حول صدرها. وإذا كانت المرأة مرضعاً، فإنها تضع ابنها أيضاً في هذا اللباس الخارجي وغالباً ما يكون رأس الطفل نحو كتفها الأيسر كي ترضعه من تلك الفتحة التي تركتها، أو تحل لباسها كي ترضعه جيداً.

وتقوم المرأة بخياطة الجزء الذي يكون ملاصقاً للظهر بشكل طولاني حيث تضع في الجانب الأيمن منه الشيء الذي تجمعه، أما في الجانب الأيسر فإنها تضع طفلها اذا كانت مرضعاً.

وإلى جانب الحلي من خرز وقلائد وأساور معدنية من النحاس أو التوتياء في السابق كانت تضع التمائم في عنقها.

ـ مهنة الوشم على الجسم:

وكانت المرأة النورية المطربانية إلى جانب مهنة الشحادة والغناء والرقص، تمارس عادة دق الوشم على الجسم من أجل الحصول على منظر جميل. والوشم غالباً ما يكون على الوجه: على الجبهة على شكل مثلث قاعدته إلى أسفل الجبهة باتجاه الحاجبين. وعلى اللحية والشفة السفلى حتى الجزء السفلي من عظمة الوجنتين.

وكانت النساء الفلاحات يقمن بتزيين وجوهن بدق أوجههن عن طريق الوشم من قبل النّوريات كما هو الحال في الصورة التالية:

تبدو السيدة الحاجّة مريم الرفاعي والدة مؤلف الكتاب فلاحة من حوران من بلدة نوى، وإلى جانبها حفيديها خالد وميسون حيث يبدو الوشم ظاهراً على وجهها

وكانت المرأة النورية المطربانية والقرباطية على السواء يمارسن مهنة دقة الوشم لهن ولغيرهن من النساء في ريف قطرنا العربي السوري، وبين نساء جماعات البدو الرحل سواء المتواجدين منهم في الريف، أو في مناطق البادية.

وكان الوشم سابقاً بالنسبة للمرأة وحتى الرجل بمثابة ظاهرة جمالية تتفنن المرأة النّورية بنقشه على أجسام الذين يحبون وشم أنفسهم:

- تقوم النّورية بوشم وجه المرأة في الجبهة ـ اللحية ـ عضمة الوجنة.

- وشم ذو أشكال هندسية على صدر المرأة حتى ثدييها واليدين حتى المرفقين والرجلين حتى الركبتين، وحتى في منطقة العانة، حيث يكون الوشم على شكل شاب يؤدي التحية.. الخ.

- وشم على أجسام الشباب على شكل رسومات هندسية متقنة منها صور حيوانية، ومنها سيوف وأهِلّة وصلبان ونجوم.

ـ كتابة الاسم والكنية واسم من تحب على ذراع الشاب.

وكان الوشم يستخدم من قبل الفلاحين والبدو لمعالجة آلام المفاصل والرضوض، لذا نجد كثيراً من الناس موشومين على ركبهم، أو على مفاصل اليد، أو على مفاصل الأصابع، وعلى مفاصل القدم. وكان الإنسان الضعيف البصر، أو الشخص الذي رأسه يؤلمه يقوم بوشم الجبهة بشكل أفقي، وأحياناً يتم الوشم خلف عظمة حجرة العين من الجانب الوحشي كعلاج لضعف البصر.

ويمكننا القول أن كافة النساء في الأرياف والبوادي إن لم نقل معظمهن منذ مئة عام سبقت كنّ يفضلّن وشم أوجههن بأشكال مختلفة. وأن قسماً كبيراً من النسوة الشابات آنذاك كن يقمن بوشم مساحات كبيرة من أجسامهن كزينة محببة لنفوس أهلنا في الريف، وعند أهل البداوة سابقاً.

ـ كيفية الوشم:

كانت تأتي المرأة النورية بحزمة من الأبر يبلغ عددهن سبع أبر. ومن ثم يؤتى بحبر أزرق غالباً ما يكون مغلياً مع مادة مثبتة للألوان تدعى ـ الشّبْ ـ . وبعد ذلك تبدأ المرأة النورية بغمس رؤوس الأبر السبع بالسائل الأزرق (الحبر)، ووخز المكان الذي تريد

المرأة أو الرجل وشمه من الجسم. وبالرغم من الألم الذي يتم أثناء عملية الوخز وبعدها، كانت الفتاة تجلس أمام المرأة النورية وهي تقوم بوخزها وقلبها عامر بالفرح والصبر على تحمل الألم أثناء الوشم وبعده، وحالياً صار الوشم يتم بطرق شبه آلية ومريحة وهو كثير الإنتشار في أوربا.

- اللغة:

يتكلم النَّوَرْ في منطقة الساحل العربي السوري، وفي جبال الساحل بما في ذلك النَورْ في منطقة تل كلخ وتوابعها، اللغة الكردية فيما بينهم. لكن تلك اللغة المحكية فيما بينهم متأثرة باللغة العربية، وحسب اعتقاد النَّوَرْ المطاربة أن هذه اللغة خاصة بهم دون غيرهم. ويُطلق النَّوَرْ المطاربة على هذه اللغة التي يقولون عنها أنّها مخففة (خفيفة) إلى جانب اللغة الأم التي تعرف باللسان النوري (ضوم واري) ولكن أقل إتقاناً لها من النور القرباط.

وهذه كلمات من اللغة الكردية التي يتكلمونها ويطلقون عليها العصفورة أحياناً:

أب	بافيم
أم	دييم
أخ	بريم
أخت	خشكم
خال	خاليما
خالة	خاليتم

إن كلمتي خاليما، وخاليتم كما هو واضح لدينا كلمتان محرفتان من اللغة العربية. مما يؤكد تأثر اللغة الكردية المحكية بين النَّوَرْ المطاربة في منطقة الساحل وجباله (العصفورة) باللغة العربية نتيجة لتواجد هؤلاء النَّوَرْ مؤخراً بين السكان المحليين الذين يتكلمون اللغة العربية.

كلمات بالكردية العصفورة، ويقابلها المعنى بالعربي:

تشافيم	عين
بوزيم	أنف

سَيمِنْ	يد
بينج	كف
بيمن	الرجل
سريم	الرأس
غُوْيم	؟؟؟
دان	السن
دفيم	فم
آف	ماء
نان	خبز
باي	الهواء
ماصت	لبن
رون	السمن
شير	الحليب
تشّاتخّة	طعام
ماكر	الحمار
مال	الخيمة
حنا	الحرمة
زاروا	ولد
كوكر	ديك
طوق	حمام
كوتشك	كلب
ديليكا	كلبة
إيقر	نار (تُلفظ القاف حسب لهجة أهل حوران).
تشكيفا	عمود البيت (يُلفَظ حرف الشين والكاف مدغمين مع بعضهما كلفظة حرف ك باللهجة البدوية)

جمل بلغة العصفورة:

زارو بدوخا آف   الولد يريد الماء ليشرب   - بالعربية

زارو: ولد.

بدوخا: يريد أن يشرب.

آف: الماء.

كريم تشابخه غيرمي   ابني يريد أن يأكل الطعام   - بالعربية

كريم: ابني.

تشابخه: طعام.

غيرمي: يأكل.

تشينا نافيتا   ما اسمك؟   - بالعربية

نيكا خارن زاروي تشابخه   حطي طعام للولد ليأكل   - بالعربية

ومن أفعال الحركة بلغة العصفورة الممزيج من الكردي والتركي والقرباطي والعربي:

ورْ - أو - وراه: تعال.

هرْ أو هره: روح.

وبصورة عامة فإن اللغة التي يتكلم بها النَّوَرْ المطاربة فيما بينهم بالقطر العربي السوري هي اللغة الكردية المتأثرة بالتركية والعربية معاً وبمفردات من اللغة الأم لكافة النوَر - لغة ضوم واري - وهي قريبة من اللغة الأوردية.

ويعود سبب التأثر هذا إلى كون هذه الشعوب الثلاثة: الكردية - التركية - العربية، يدينون جميعاً بدين واحد هو الدين الإسلامي وكتابهم الديني المقدس هو القرآن الكريم «إننا أنزلناه قرآناً عربياً».

كما أن تجاور الأكراد والأتراك إلى جانب بعضهما يجعل اللغتين التركية والكردية يؤثران على بعضهما في تبادل المفردات فيما بينهما.

ومن الأسباب التي دعت النَّوَرْ المطاربة التحدث فيما بينهم باللغة الكردية المتأثرة بالتركية إلى حد كبير ما يلي:

يعود إلى فترة المعايشة الطويلة لأجداد هؤلاء النَّوَرْ قديماً بين أناس يتكلمون اللغة الكردية، وعلى أرض واحدة ولفترة زمنية طويلة. ويغلب الظن أن قدماء المطاربة عاشوا في المناطق الشرقية من تركيا والمجاورة للأراضي الخاضعة للسلطة الإيرانية شرقاً حيث يتكلم الناس هناك اللغة الكردية.

ومن خلال دراستي الميدانية للمطاربة في منطقة العريضة بصورة خاصة، وبقية المناطق الأخرى في الساحل والقامشلي، نجد أن هذه الملّة من النَّوَرْ التي تمتهن الطرب كمورد أساسي تعيش منه، قد نسيت لغتها الأم (اللغة النّورية) ولا يعرفون منها إلا القليل من مفرداتها، على عكس من القرباط الذين ما زالوا متمسكين بها، ويتحدثون بها فيما بينهم بالرغم من معرفتهم للتركية والكردية والعربية وبطلاقة غريبة. ويعتبر القرباط كما يقول غالبية الرجال الذين التقيت معهم، أنهم من رؤوس النَّوَرْ.

شابان من النَّوَرْ المطاربة في منطقة العريضة يلعبان على أداتيهما الموسيقيتين الربابة والطبلة

عشائر النَّوَر في مدينة حمص وضواحيها

تعيش في مدينة حمص وضواحيها العديد من العشائر النّورية المختلفة في المهن التي يمارسها رجال كل منها. ويتراوح عدد أفراد العشائر النّورية في حمص ما يزيد عن الستة آلاف نسمة. وهم موزعون على المناطق التالية:

١ ـ حي مساكن الملعمين بجزأيه الشرقي والغربي ويسكن هناك: الطروطات، حيث تنقسم تلك العشيرة إلى الأفخاذ: (المصطفى ـ الجمل ـ القمل) وهناك عشيرة السناكرة: الحدادين، وعشيرة النصملّية، وعشيرة الغربلجية حيث يطلق عليهم من قبل نور حمص لقب (خالتْ كيًّا).

٢ ـ جورة العرايس: الصياغ ـ الهرامشة ـ الملحم ـ إسبر ـ الخضر.

٣ ـ حي الشماس: كنجو العلي ـ الجنيدات ـ الخضر.

٤ ـ حي البياضية: الصياغ ـ البرجولية.

٥ ـ بلدة القصير: الجنيدات ـ العبدال ـ عشيرة نايف الجمل.

٦ ـ العبطال: في منطقة باب عمرو.

٧ ـ بيت عزو: في بلدة الشمسية.

٨ ـ إسبر ـ خضور: في بلدة الحواش

وهناك عدد من البيوت (٢ ـ ٣) من بيت الشوندر يعيشون في حي المساكن /حسن علي وأخيه وأولادهما/. أما بقية عائلة الشوندر فهم مستقرون في حي الدويلعة دخانية إلى الشرق من مدينة دمشق. ويتراوح عدد بيوتهم في ذلك المخيم ما يزيد عن /٤٠ خيمة/. وبهذا يكون عددهم الإجمالي ما يزيد عن /٣٠٠/ شخص في دمشق وحمص.

إن كافة أفراد العشائر النّورية المذكورة يعيشون في بيوت حديثة موصول إليها الماء والكهرباء. وأن معظم الأطفال يذهبون إلى المدارس، إلا أن المستوى التعليمي عندهم متدنٍ جداً بالرغم من تشجيع الدولة لنشر التعليم في كل الأماكن من القطر العربي السوري وخاصةً المرحلة الابتدائية التي تعتبر إلزامية لكافة الأطفال

لا بل أن الأهل يلاحقون من قبل السلطة فيما إذا ترك الطفل ذكراً أم أنثى المدرسة الابتدائية وحتى الإعدادية.

ـ النَّوَرْ في حي مساكن المعلمين:

يسكن في حي المعلمين في حمص مجموعة من / النَّوَرْ/ يزيد عددهم عن الألف نسمة. وقد بدأ الاستقرار في هذا الحي من قبل جماعات النَّوَرْ بدءاً من عام ١٩٦٤م. وقد كان السيد أبو عادل مصطفى الطروطات هو أول من بنى بيتاً هناك.

١. الطروطات. ٢. السناكرة أو الحدادين كما هو متعارف عليهم بين النَّوَرْ بصورة عامة. وغالباً ما تلفظ الكاف حرف ـ غ ـ أو قافاً حورانية /سناغرة/. ويتراوح عدد بيوت هذه العشيرة ما بين /٣٠ ـ ٤٠ بيت/ ويزيد عدد أفراد تلك العشيرة عن /٢٠٠ شخص/. وهناك عشيرة ثالثة تعرف بتسمية /نُصْ مِلّه/ ويزيد عددهم عن /١٠٠ نسمة/.

١ ـ الطروطات:

تنقسم هذه العشيرة إلى ثلاثة أفخاذ وهي /المصطفى ـ الجمل ـ القمل/. ويتراوح عدد بيوت هذه العشيرة ما يزيد عن /١٠٠/ بيت. وتُعتبر عشيرة الطروطات أكبر العشائر النّورية في منطقة حمص. ولا يوجد طروطات في حلب أو في أي مكان آخر من القطر العربي السوري. ويوجد عدد من العائلات التابعة لعشيرة الطروطات في دير بعلبله. كان الرجال من هذه العشيرة في الماضي يمارسون مهنة الصناعة، كانوا يعملون: الأساور ـ الخواتم ـ الخلاخيل ـ الأقراط، التي توضع في إليّة الأذن، الرّميمة والشّناف اللذين يوضعان في الأنف من أجل الزينة، ولا تزال آثار هذه العادة مستعملة في الريف من قبل النساء. وإلى الآن ما يزال الرجال المتقدمون بالسن يقومون بصناعة الخواتم والأساور بكميات كبيرة، حيث يتم بيع هذه الخواتم بالجملة إلى بائعي تلك الحلي في منطقة وسط مدينة /الحميدية ـ الجابية/. وأحياناً كما قال /جمعة المصطفى/ من عشيرة الطروطات والمتواجد في الدويلعة ـ الدخانية/ يأتي التاجر بالمواد الأولية وهنا والدي يقوم بصناعة تلك الخواتم مقابل مبلغ محدد من المال.

أما الشباب من عشيرة الطروطات في وقتنا الحالي فقد تعلموا مهنة جديدة تخالف مهنة آبائهم وأجدادهم التي كانت صناعة الخواتم والأساور، وأن هذه المهنة الجديدة

هي تركيب وتلبيس الأسنان التي تشكل المورد الأساسي لحياتهم المعيشية. وأن مختار عشيرة الطروطات حالياً هو السيد /عبد العزيز مصطفى، أبو هادي/. ومن الصفات التي يجب أن تتوفر في الشخص كي يكون شيخاً: الكرم - قهوجي - حلّال مشاكل ولا ينحاز لأحد. ولقد كانت النساء في الماضي تدور على باب الله الكريم من أجل تامين المواد الغذائية للأسرة وخاصةً عندما كانوا رُحَّلاً قبل مدة تزيد عن العشرين عاماً في الستينات من القرن العشرين على الأقل. أما الآن فإن المرأة لا تزاول مهنة الشحادة لكون الرجل هو الذي يعمل ويؤمن طعام البيت. أما إذا كانت الأسرة محرومة من الدخل فإن المرأة على الغالب حتى الآن فإنها تذهب للاستعطاء بشكل غير مباشر عن طريق بيع أدوات من قبلها بين أحياء القرى /الأبر - المسال - الأمشاط - الحنّاء - الخرز - المسابح/.

٢ - عشيرة الغَربلجيّة:

يتراوح عدد بيوت هذه العشيرة من النَّوَرْ في منطقة حي مساكن المعلمين بحمص ما بين /٣٠ - ٣٥/ بيتاً. ويُطلق على أفراد هذه العشيرة لقب /حَالِتْ كَيًّا/. وقد كان رجال هذه العشيرة منذ القدم وما زالوا يقومون بصناعة الغرابيل /حيث يصل ثمن الغربال الواحد إلى ما يقارب ٣٠٠ ل.س/، وتباع هذه الأدوات الزراعية في القرى التابعة لمدينة حمص من قبل الرجال الذين يحملونها على ظهورهم ويدورون بين الأحياء لتلك القرى أو في أحياء مدينة حمص حيث تباع لأصحاب المحامص والموالح. ويسكن هؤلاء في بيوت حديثة موصول إليها الماء والكهرباء. وأن الأدوات الكهربائية العصرية الضرورية للحياة اليومية موجودة في بيوت /الطروطات؛ الغربلجية/.

ولا تزال نساء هذه العشيرة تذهب من الصباح الباكر وحتى الظهيرة إلى القرى المجاورة إلى أحياء مدينة حمص من أجل الشحادة. ولا تأخذ المرأة معها شيئاً لتبيعه وإنما تذهب على باب الله الكريم. وتمتاز هذه العشيرة بالارتحال صيفاً حيث تترك العائلات بيوتها وتحزم أمتعتها مع خيام الخيش خفيفة الوزن، من أجل العمل وتأمين المواد الغذائية. ويبقى أفراد هذه العشيرة في ارتحال وتنقل مستمرين حتى نهاية فصل الخريف. وفي بداية ميول الجو نحو البرودة وحلول فصل الشتاء تعود تلك العائلات إلى بيوتها في حي مساكن المعلمين بحمص لقضاء فصل الشتاء.

٣ ـ عشيرة السناكرة[1]:

يتواجد أفراد هذه العشيرة في الجزء الشرقي من حي مساكن المعلمين في حمص. ويتراوح عدد بيوت هذه العشيرة ما بين /٣٠ ـ ٤٠/ بيتاً. ويمارس الرجال من عشيرة السناكر مهنة الحدادة أو السَنْكَرة. ومن الأدوات التي كان أفراد السناكرة يصنعونها في الماضي الخناجر والشباري والسكاكين البيتية والمسالَ والخُوُص[2] التي كانت تستعمل من قبل النساء في الريف من أجل اقتلاع النباتات إلتي تؤكل مثل: العكوب /السلبين/ ـ الخبيزة ـ الرشاد ـ الهندباء ـ القريصعنّة. وما زال رجال عشيرة السناكرة يمارسون مهنة الحدادة ومن بين الأدوات التي يصنعونها حتى الآن: السكاكين البيتية ـ حفارات الكوسا والباذنجان ـ المقصات التي تستخدم في قص الصفائح المعدنية التي يستخدمها الشخص النّوري الذي يمتهن تلبيس وتركيب الأسنان. وأن نساء هذه العشيرة كانت وما زالت تمارس مهنة الشحادة سواء بشكل غير مباشرة عن طريق بيع/الخوص: السكاكين ـ حفارات الكوسا أو بشكل مباشر دون أن تبيع المرأة شيئاً. كما أن المرأة من عشيرة السناكره التي يعيش أفرادها في حي /الست زينب/ في مدينة دمشق تمارس مهنة /الشحادة/ شأنها بذلك شأن النساء من عشائر: الصيامات ـ الشعارنة التي تسكن في الحجر الأسود، وأن قسماً من نور الصيامات ليسكنون في حي الشاغور بدمشق.

ويسكن هؤلاء جميعاً /السناكرة/ في بيوت ثابتة موصول لها الماء والكهرباء بالإضافة إلى الأثاث الحديث: تلفاز ـ مسجلات ـ مذياع ـ غسالة ـ براد.

٤ ـ عشيرة نَصْ مِلّه:

يعيش أفراد هذه العشيرة في الجزء الشرقي من حي /مساكن المعلمين في حمص/ ويتراوح عددهم ما بين ١٢ ـ ١٤ بيتاً. ويمكن أن يصل عددهم الإجمالي بما يزيد عن المئة شخص تقريباً. يمارس هؤلاء حالياً مهنة تلبيس وتركيب الأسنان. أما في السابق فقد كان الرجال من عشيرة /نص مله/ دقاقين ربابة مع الغناء عليها /قواصيد أي

---

١ - السناكرة: ربما أنها مشتقة من فعل سنكر حيث يقال في حوران عندما يكون النهار حار والهواء ساكن: الدنيا سنكرت.

٢ - الخوص: نوع من السكاكين الطويلة والقاسية والتي تصنع من الحديد.

شعار/. وأن المرأة بدورها كانت تغني عندما زوجها يبدأ بالدق على الربابة. فالسيد رشيد العلي كان يدق على الربابة وزوجته تقوم بالغناء والرقص أي كانت حجية. وأن شيخهم في حي المساكن هو السيد رشيد العرك المعروف بـ أبو غازي. يسكن أفراد عشيرة /النص مله/ في بيوت ثابتة أسمنية وموصول إليهاالماء والكهرباء.

٥ ـ عشيرة الشوندر:

كان أفراد هذه العشيرة يسكنون في حمص /حي مساكن المعلمين/. إلا أن أفراد عشيرة الشوندر قد رحلوا منذ مدة تزيد عن الأربع سنوات /منذ ١٩٨٥م/ إلى مدينة دمشق وضربوا خيامهم في حي الدويلعة ـ الدخانية على طريق: الدويلعة ـ المليحة وذلك على أثر خلافات دموية نشبت بين عشيرة الطروطات وعشيرة الشوندر. لكنه بقي في حي مساكن المعلمين بحمص عدد من العائلات من عشيرة الشوندر يتراوح عددها /٤ ـ ٦/.

كان يمارس أفراد عشيرة الشوندر في الماضي مهنة /الصياغة/ أساور ـ خواتم ـ خلاخيل ـ أقراط... إلخ. وما زال المتقدمون بالعمر يزاولون تلك المهنة. أما الشباب حالياً من عشيرة الشوندر فقد تعلموا مهنة تركيب وتلبيس الأسنان.

والمرأة من عشيرة الشوندر في الماضي كانت تقوم بمهنة الشحادة وبصورة خاصة قبل أن يبدؤوا العيش في بيوت ثابتة. وحالياً لا زالت تمارس هذه المهنة /الشحادة/ ولكن على نطاق أقل عما كانت عليه في السابق.

ويقول السيد عادل مصطفى الطروطات أن بيت /شوندر/ هم أولاد عم وأقرباء بالدم لعشيرة الطروطات ولكنهم انفصلوا عن الطروطات إثر خلاف أو صدام دموي وقع بين العشيرتين. كما أن عشيرة /غنجو/ كما يقول السيد عادل مصطفى الطروطات هم أقارب بالدم مع عشيرة الطروطات. وبهذا تكون عشيرة الطروطات في حمص تتكون من /مصطفى ـ الجمل ـ القمل ـ الشوندر ـ الغنجو/.

ـ الزواج:

يتصف نور منطقة حي المساكن بحمص بتعدد الزوجات من قبل الرجل. وأن المهر يدفع للأب ويأخذه بكامله ثمناً لابنته ولا يعطيها إلا مبلغاً زهيداً لا يزيد عن /٢٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ل.س/ من المبلغ البالغ /٢٥ ألف ل.س/. ويتم الزواج عن طريق الخطبة للفتاة من أهلها من قبل أهل الشاب الذي أراد أهله أن يزوجوه. في العام ١٩٨٧م:

١ ـ يسود عند نور المساكن الزواج المبكر حيث تتزوج الفتاة ما بين سن ١٢ ـ ١٤ عام.

٢ ـ الفتاة أثناء زواجها لا يؤخذ رأيها من قبل أهلها. وإنما تزوج حسب رأي الأهل والعكس إذا ما عرف الأهل أن ابنتهم تحب إنساناً ما فإن أهلها لا يعطوها إلى ذلك الشاب الذي يحبها وتحبه.

٣ ـ إن العشائر المذكورة والتي تعيش في حي المساكن تتزاوج من بعضها البعض لأنهم كما تقول السيد /أم سيفو/ كلنا من شكل واحد أي أصحاب مهنة واحدة.

٤ ـ إن العشائر المذكورة /الطروطات ـ السناكرة ـ الغريلجية ـ الشوندر ـ نص مله/ لا يتزاوجون من عشيرة /الهرامشة/ لأن هذه العشيرة ليست من شكلهم كما قالت السيدة أم سيفو وأم خليل /زلخة زوجة عادل مصطفى/ والسبب في عدم التزواج بين الهرامشة وبين تلك العشائر يعود إلى السبب التالي كما يقول أفراد تلك العشائر المذكورة عن /الهرامشة/ أننا لا نعرفهم ولا بيعرفونا وأن العرض عندهم رخيص مثل عشيرة /التمارزة ـ الكريميلة/ هذه العشائر النساء عندهم حجيات.

٥ ـ المرأة عند الطروطات ـ الشوندر ـ الغريلجية ـ نص مله، لا تدخن وخاصةً إذا كانت شابة لأن ذلك عيب وعار عليها وتنعت بأنها مرأة فلتانة. وتدخن بعض النسوة لكن العدد قليل جداً من الطروطات عندما يصبح عمرها أكثر من /٤٠ ـ ٥٠ عاماً/. وهذا على خلاف المرأة عند الهرامشة حيث الفتاة تدخن وإن لم تتزوج بعد. ويمكن القول أن كافة النساء الهرموشيات تدخن.

٦ ــ مهنة الهرامشة تختلف عن مهنة عشيرة الطروطات، الهرامشة مغنون وراقصات وحجيات، في حين الطروطات صيّاغ ويعملون بتركيب الأسنان والمرأة لا تخرج من البيت ولا تغني ولا ترقص لأن هذا عيب. وقد لمست أن خيام عشيرة الطروطات في الدويلعة كباس ـ الدويلعة الدخانية في دمشق. وفي بيوت الطروطات في حمص في حي المساكن خالية من الأدوات الموسيقية: البزق ـ الطبل ـ الربابة، من خلال ذلك يمكن أن نفهم أن الزواج بين عشائر النُّوَرْ، زواج بين الجماعات التي تتشابه في المهنة التي يمارسها أفراد تلك العشائر أو الجماعات المهنية. فقد لمست أن كافة الأناس الذين يزاولون مهنة واحدة إلى حد ما يعتبرون أنفسهم جماعة بشرية واحدة يمكن أن يحدث الاختلاط بين أفرادها.

ـ اللباس:

إن لباس الرجل عند كافة عشائر النَّوَرْ في حي المساكن يتكون من: القمباز وفوقها الساكو: الصدرية وعلى الرأس العقال والفضفاضة. ويرتدي الرجل الجاكيت فوق القمباز. ويلبس الرجل تحت القمباز السروال الطويل الأبيض. أما الشباب فيلبسون البنطال والقميص ولكن في أيام الراحة يلبس الشاب: القلابية ومن فوقها ساكو. وغالبا الألوان المحببة للقلابية في الشتاء اللون البني الفاتح أو اللون الأخضر الزيتي. وتسمى القلابية باللغة النَّورية /شيْلَخ/.

أما المرأة فقد كانت تلبس الثوب الطويل من القماش والذي يدعى /كيلاه/ وتلبس المرأة تحت الثوب سروالاً طويلاً من القماش يطلق عليه /تشانيوه/. وتلبس فوق الثوب الطويل العباءة المفتوحة ذات الأردان الطويلة وخاصة النساء الكبيرات في العمر عندما يذهبن للعمل أو للشحادة سابقاً ويدعى /تشاطك/. ويتكون لباس الرأس من ـ الشنبر أو الملفع ـ والذي يطلق عليه ـ كتان ـ ويلف الملفع على الرأس وحول العنق مثل المرأة الحورانية أو الإدلبية أو المرأة البدوية. ويشد الملفع على الرأس بواسطة إشار مزخرف بطوى على شكل عصيبة يربط بها الرأس بشكل عصاب دائري ويطلق عليه /شطفة/.

السيد أم سيفو بلباسها الشعبي القديم من عشيرة الطروطات - حي المساكن ـ للمعلمين بحمص وإلى جانبها المؤلف الدكتور عبد الله الجباوي – أستاذ الأنتروبولوجيا بجامعة دمشق ١٩٨٧م.

أما لباس المرأة حالياً فقط طرأ عليه تغيير طفيف في غطاء الرأس فقط، فبدلاً من أن تضع المرأة على رأسها الشنبر /كتان/ والعصبة /الشطفة/ صارت تلبس إشاراً فقط على رأسها /بَنِي/. وصارت الفتاة تلبس خراطة وفوقها كنزة أو قميص ولكن شريطة أن تلبس تحت الخراطة سروالاً /تشانيوه/. ولا يزال إلى الآن السروال مزموماً بمطاطة عند كعبي القدمين ومن الجهة الداخلية بالنسبة للسروال. وتقول السيدة أم سيفو أن الخراطة وفوقها الكنزة أو القميص مرغوبة من قبل النَّوَرْ الذين يتكلمون اللغة الكردية فيما بينهم.

السيدة أم سيفو بلباسها النَّوري القديم وإلى جانبها كنتها باللباس الدارج حالياً
لدى الشابات من نور عشيرة /الطروطات/ حي المساكن للمعلمين ـ حمص ١٩٨٨م

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المرأة النّورية من عشيرة الطروطات كانت في الماضي تمارس مهنة الوشم على الوجه وعلى الصدر والساقين وعلى الذراعين كنوع من أنواع الزينة. فقد قالت أم سيفو أن الوشم كان يتم على الشكل التالي:

١ - يؤتى بمرارة حيوان لا على التعيين.

٢ - يؤتى بشحوار السراج.

٣ - يمزج الشحوار مع سائل المرارة حتى يصبح بشكل مزيج يشبه الغجينة المرقة.

٤ - يؤتى بثلاث أبر وتربط على شكل حزمة بواسطة خيط. ومن ثم تطهر تلك الأبر عن طريق تعريضها للنار

٥ - تبدأ المرأة النّورية بغمس حزمة الأبر بسائل الشحوار مع المرارة ومن ثم يتم وخز الأبر المغطوطة بالسائل المذكور.

وخلال ١٠ - ١٥ يوم يشفى الشخص الموشوم برؤوس الأبر ويظهر الدق على وجهه باللون الأزرق. وقد قالت السيدة أم سيفو أن عشيرة الطروطات كانوا يقومون بوشم الشباب عن طريق الوشم على مقدمة أرنبة الأنف وعلى الخد الأيمن للشاب نفسه /على شكل نقطة كبيرة/ كدلالة على أن هذا الشاب ينتمي إلى عشيرة الطروطات إلا أن هذه العادة قد بطلت وأن الفتيات حالياً من الثلاثين وأقل غير موشومات.

ومن الأعمال التي كان يمارسها رجال عشيرة /الطّروطات/ الصيد ليلاً بواسطة الكلاب /البوجي/ في المناطق الجبلية لمنطقة حمص من أجل صيد حيوان /النيص/وحيوان الغريري. ولم يهتم الطروطات بتربية طيور الحجل، أما تربية الديك الرومي لم تكن منتشرة عندهم لا في الماضي ولا في الحاضر وإذا كان هناك تربية لهذا الطير حالياً فهي على نطاق ضيق جداً.

ثانياً: النَّوَرْ في جورة العرايس: الشماس - البياضة - القصير - بابا عمرو:

يسكن في منطقة جورة العرايس التي تشكل الجزء الجنوبي من مدينة حمص أعداد كبيرة من النَّوَرْ تنتمي إلى عشائر مختلفة في المهنة وفي النسب. ومن أهم تلك العشائر النّورية: عشيرة الهرامشة - عشيرة الصياغ - عشيرة الملحم - عشيرة إسبر - عشيرة الخضر - البرجولية - العبدال - العبطال - كنجو العلي.

١ ـ عشيرة الهرامشة: إخوة سلمى.

تعتبر عشيرة الهرامشة من أكبر العشائر النّورية بصورة عامة من حيث العدد في القطر العربي السوري. وتتواجد عائلات هذه العشيرة بصورة أساسية في منطقة دمشق /حي التجارة ـ عدرا ـ وهناك بعض العائلات الفقيرة تضرب خيامها صيفاً في بلدة الشيخ مسكين في حوران، وهناك قسم كبير يعيش في منطقة حلب وبصورة خاصة إلى الشرق من محطة القطار. أما القسم الكبير من هذه العشيرة يتواجدون في حي جورة العرايس في حمص. وهناك عدد لا بأس به في كل من: بابا عمر ـ دير بعلبة ـ الشماس ـ القصير، ويبلغ تعداد النَّوَرْ الهرامشة في القطر العربي السوري ما يزيد عن /١٥٠/ بيتاً/ وبهذا يكون العدد الإجمالي لهذه العشيرة ما يزيد عن /٢٠٠/ نسمة، إلا أن الغالبية العظمى من النَّوَرْ الهرامشة متواجدون في منطقة حمص حيث يزيد عدد البيوت هنا عن /٨٠ بيتاً/. أي ما يزيد عن /١٢٠٠/ نسمة. أما النَّوَرْ الهرامشة في مدينة دمشق وفي مدينة بعلبك اللبنانية هم من فخذ يدعى دعيبس. ويقولون أن هناك نور هرامشة منتشرون في منطقة الجزيرة شمالاً. ويلقب الهرامشة من قبل النَّوَرْ بـ إخوة سلمى.

يمارس أفراد هذه العشيرة أينما كانوا الطبل والزمر من قبل الرجال والمصحوب بالغناء والرقص من قبل النساء وهذا ما يعطيهم لقب /الحجّيات/ بين العشائر النّورية الأخرى. ويسكن النَّوَرْ الهرامشة في مدينة حمص في أبنية سكنية حديثة فخمة ومجهزة بكافة المتطلبات الحياتية المعاصرة نتيجة للدخل المادي المرتفع الذي تحصل عليه الأسرة من خلال الغناء والرقص في إحياء الحفلات وأن الصورة التالية تؤكد ذلك.

ويصل المهر عند الهرامشة إلى ما يزيد عن /٤٠٠/ ألف ليرة سورية. فهناك الحجية ـ هيام شحادة ـ من جورة العرايس وصل مهرها إلى ٤٠٠٠٠٠ ل.س عام١٩٨٦م[1].

وتُعتبر الحالة المادية لأفراد عشيرة الهرامشة هي الأحسن بين جميع عشائر النَّوَرْ الأخرى. ويوجد عند النَّوَرْ الهرامشة ظاهرة تعدد الزوجات. وتوجد ظاهرة زواج البدل

---

١ - هيام شحادة: هي فتاة حسناء جميل، ممشوقة القوام، تجيد الرقص والغناء بمهارة عالية، فإذا غنّت أطربت، وإذا رقصت تمايلت بجسدها كوردة جورية يتغزل بها نسيم الصباح.

وزواج الخطيفة الذي أما أن ينتهي بالصلح أو بقتل الفتاة الخاطفة. والمهر مرتفع عند الهرامشة لدرجة أنه يصل إلى أكثر من ٣٠٠٠٠٠ ل.س مقابل الفتاة الجميلة ذات الصوت الجميل /الحجية/ لأن مثل هذه الفتاة تقوم بإحياء الحفلات الغنائية الراقصة مقابل أجور مرتفعة. وأن عمل سنة من الزمن في أحد الملاهي تجمع تلك الفتاة المبلغ الكبير الذي دفع كمهر لها. (عام ١٩٨٦).

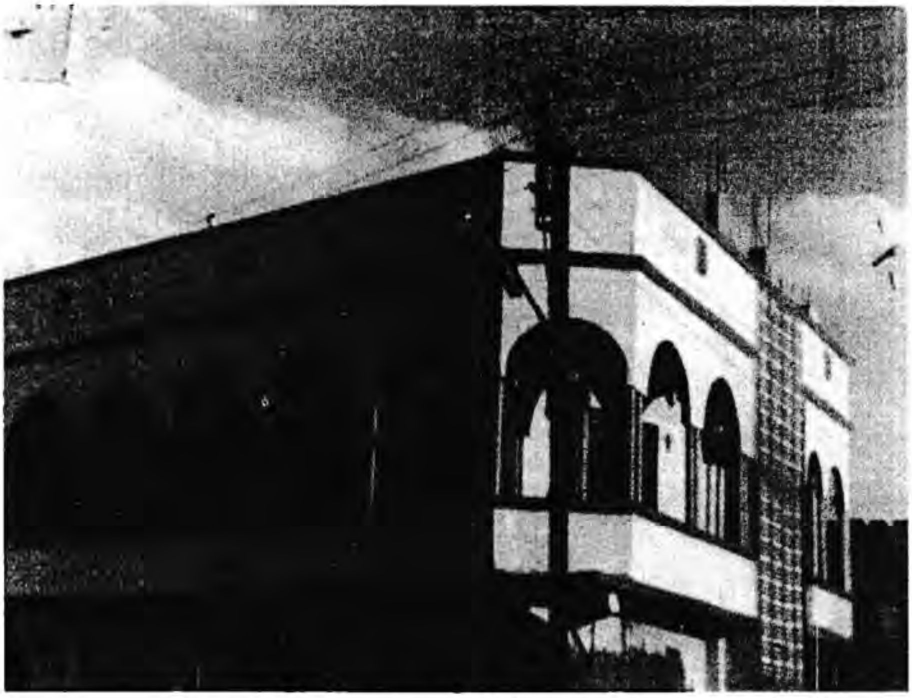

بناء لأحد الأشخاص من النَّوَرْ الهرامشة /جورة العرايس/ ١٩٨٦م

والشيء الطريف أن العشائر التي تمارس مهنة الغناء والموسيقى في منطقة حمص قد اقتسمت القرى فيما بينها كمجال للعمل من أجل إحياء الحفلات ولا يجوز لهذه الجماعة أن تذهب إلى القرى المخصصة إلى جماعة غيرها لإحياء الحفلات. وتكون الأدوات الموسيقية /طبل - زمر - بزق - ربابة/ وتجدر الإشارة أن أمير البزق في القطر العربي السوري هو من الهرامشة واسمه /الأمير / ويسكن في حي التجارة في دمشق.

وإذا ما توفي رجل فإنه يغسل ويلبس لباساً جديداً ومن ثم يلف بأكفان يساوي عددها عدد زوجاته اللاتي كان قد تزوج منهن في حياته وقبل مماته. أما المرأة فإنها تكفن بكفن واحد بعد موتها بغض النظر عن عدد الزيجات التي تزوجتها في حياتها. ويدين الهرامشة في الدين الاسلامي وهناك البعض منهم من يتقيد بتعاليم الدين

الإسلامي من صوم وصلاة فقط عندما تتقدم به الأيام. وكان الهرامشة في الماضي عندما كانوا غير مستقرين إذا مات واحد منهم يرحلون مباشرة بعد إتمام طقوس الدفن لأن الموت شيء مخيف بالنسبة لهم.

أما اللباس: فيرتدي الرجل الكبير والمتوسط في العمر القلابية أو القمباز والعقال والقضاضة على الرأس بالإضافة إلى ارتداء الجاكيت فوق القلابية. ويرتدي الشباب اللباس العصري من بنطال وقميص... إلخ.

وترتدي المرأة اللباس الطويل والمحتشم والمشغول من القماش الغالي الثمن والزاهي الألوان. ومن الألوان التي تحبها المرأة الهرموشية اللون الأحمر واللون الأصفر واللون الأخضر. والثوب الخارجي دوماً كما قلنا طويل وفضفاض في الجزء الأسفل منه. كما أن ذلك الثوب مخصراً عند منطقة الجذع.

وترتدي المرأة على رأسها قطعة من القماش الأسود والرهيف /الشفاف/ والذي يطلق عليه تسمية الملفع بحيث يكون جزء من هذا الملفع فوق فتحة الثوب من الأمام وحتى أسفل الصدر. وتلبس المرأة أيضاً فوق الملفع قطعة من القماش سوداء ناعمة ورقيقة من أجل تثبيت الملفع على الرأس وتدعى هذه القطعة /العُصْبَة أو القَمْطَة/. ويختلف اللباس في جودته وثمنه حسب الحالة المادية لأهل المرأة بصورة عامة.

امرأة من /الهرامشة في القصير/ ميسورة الحال، وتظهر في لباسها الشعبي الأنيق /١٩٨٦م/

ويتكلم أفراد عشيرة الهرامشة فيما بينهم باللغة التركية ذات اللهجة الاستنبولية كما يقول السيد عبدو الرمضان الأحمد الذي ينتمي إلى عشيرة الهرامشة. وقد اكتسب النَّوَرْ من عشيرة الهرامشة اللغة التركية من خلال الفترة التي أقاموها طويلاً في المناطق التي يتكلم سكانها فيما بينهم باللغة التركية. وبعد مجيء أفراد تلك العشيرة /الهرامشة/ وغيرها من العشائر النَّورية التي تتكلم اللغة التركية إلى بلاد الشام أتقنوا اللغة العربية أيضاً.

ومما يجدر ذكره أن كافة أفراد الهرامشة المتوسطين بالعمر والكبار منهم يعرفون اللغة النَّورية والتحدث بها والتي يقولون عنها لغة /الضوم/. وأن كافة أفراد عشيرة الهرامشة في القطر العربي السوري مسجلون في النفوس.

ومن الألعاب الشعبية التي يمارسونها /لعبة المبارزة بالعصا ـ لعبة كسر الزند/ المكاسرة بالأيادي/ لمعرفة من هو الأقوى من الشابين المتصارعين.

ـ بعض مفردات من اللغة التركية التي يتحدثون بها:

خبز	جورك
ماء	أسطو
كلب	إيت
بنت	قظ
جميلة	ختلو
أخت	باجم
أم	أنم
أب	بيم
أخ	قردش
أكل الولد الخبز	يدي أوغلن جوركي
هذه فتاة جملية	يوقظ كوزال ـ قز جوكازل

٢ ـ عشيرة /بيت إسبر/:

إن أفراد هذه العشيرة مستقرون في حي جورة العرايس بحمص منذ أكثر من ثلاثين عاماً. ويزيد عدد بيت إسْبر /عن ٣٠٠ شخص/ والكل يسكنون في بيوت إسمنتية حديثة مُمدَّد إليها الماء والكهرباء بالإضافة إلى المجاري الصحية /المصارف الصحية/.

يسود عند عشيرة إسبر تعدد الزوجات وزواج البدل وزواج الخطيفة الذي ينتهي إما بالصلح حيث يدفع الخاطف مهراً مضاعفاً إلى والد العروس كعقاب له على فعلته، أو ينتهي زواج الخطف بالقتل. والفتاة تباع بيعاً من قبل أهلها مقبل مبلغ من المال يزيد عن /٥٠ ألف ليرة سوري/. ويقولون أن الفتاة حالياً تشارك باختيار زوجها فلها الحق بالرفض والقبول عندما يتقدّم منها إحدى الشباب عام ١٩٨٦م.

ويسود عند هذه العشيرة زواج الأقارب من الدرجة الأولى كغيرهم من عشائر النَّوَرْ /زواج أولاد الإخوة من بعضهم/. ولباسهم لا يختلف عن لباس عشيرة الهرامشة. ويمارس هؤلاء الطبل والزمر أي ريّاس أو مطاربة أما المرأة فإنها لا تشارك في إحياء الحفلات من رقص وغناء. وحالياً القسم الكبير من هذه العشيرة يمارسون أعمالاً حرة، وأعمالاً مأجورة. وهناك البعض من الشباب يتعلمون لدرجة أنهم وصلوا المرحلة الجامعية. ويعتبر البعض أن بيت إسبر هو جزء من عشيرة الهرامشة.

ويتكلم هؤلاء فيما بينهم باللغة النورية: لغة الضوم. ومن الأطعمة التي يحبونها: الشوربة بالرز ـ الشبرك ـ أكلة السبع دول. وأما الأطعمة التي تقدم إلى الولادة فهي: شوربة الرز مع السمن والدجاج. والنَّوَرْ بصورة عامة يحبون لحوم الدجاج. ويطعم الطفل الصغيرة الوليد: دبس ـ سمن ـ رز. ويحب النَّوَرْ من عشيرة إسبر في طعامهم المواد الحادة والبهارات (فليفلة ـ فلفل... إلخ). ولهذه العشيرة أقارب في منطقة /الحواش/ إلى الغرب من مدينة حمص. وأما المرأة حالياً لا تمارس مهنة الشحادة إلا النساء المحتاجات اللواتي ليس عندهن دخل نهائياً. وكذلك الأمر فإن الهرموشيات حالياً لا يشحدن وإنما يرقصن في إحياء السهرات في الملاهي وفي الدعوات الخاصة. وأن المهر عند عشيرة إسبر مرتفعاً حيث بلغ مهر الحجية ـ خالدة إسبر ـ إلى مبلغ /٥٠٠ ألف ليرة سورية/. وغالباً ما يكون الرجال المتقدمون لخطبة الحجيات رجال من دول الخليج السعودية ومن عشائر البدو في الجزيرة مثل عشيرة ـ بني خالدعام ١٩٨٦م.

٣ـ عشيرة الصياغ:

يبلغ عدد أفراد هذه العشيرة بحدود ١٥٠ شخص كانوا قد استقروا في حي جورة العرايس بحمص منذ أكثر من ١٥ عاماً وهم يسكنون في بيوت إسمنتية حديثة مخدمة بالماء والكهرباء والمصارف الصحية. وأن كافة عشيرة /الصياغ/ مسجلة في السجلات المدنية.

كان أفراد هذه العشيرة في الماضي يمارسون صناعة الخواتم والخلاخيل والأساور والأقراط من معدني الفصة والنحاس (كان يُقال للنحاس سابقاً ـ الصفرة) ومن التوتياء، وأحياناً من الذهب. ويوجد هناك بحدود /١٠٠/ شخص/ من عشيرة الصياغ في حي البياضة. ويرتبط الصياغ في جورة العرايس مع الصياغ في البياضة برباط القرابة والدم.

ويسود عند النَّوَرْ /الصياغ/ الزواج التعددي من قبل الرجل، ويوجد عندهم زواج الخطيفة وزواج البدل شأنهم في بذلك شأن بقية العشائر النّورية الأخرى سواء كان في حمص أو في مناطق ثانية في القطر. ويتراوح المهر عندهم ما بين /٣٠٠٠٠ ـ ٤٠٠٠٠ ل.س/. والمهر عندهم بمثابة ثمن للفتاة التي تُباع بيعاً ولا تأخذ من مهرها شيئاً. وأن نسبة التعليم عندهم منخفضة ومن النادر أن يصل الولد الذكر في دراسته إلى المرحلة الثانويةعام ١٩٨٦م.

وأن اللغة التي يتكلم بها أفراد عشيرة /الصياغ/ هي لغة ـ الضوم ـ أي اللغة النّورية الأم.

وهذه بعض المفردات من لغتهم النّورية:

خبز	مانا
ماء	باني
كلب	سروطا
لبن	ماسط
فتاة	لافتي
جميلة	طرني
أب	إيب
أخ	بار

أم	أيدا
أخت	بينور
فتاة جملية	طرني لافني
أكل الولد الخبز	فييرا منا جيجق

إن اللهجة النّورية عند عشيرة الصباغ وعشيرة الهرامشة متأثرة كثيراً باللغة التركية وهذا عائد إلى طول تواجد تلك العشائر النّورية في المناطق التركية في الماضي قبل أن تنتقل تلك القبائل إلى الأراضي العربية.

ومن الأدوية الشعبية عند النَّوَرْ في حمص:

١ ـ يعالج مرض /الرمد/ بمزج مرارة طائر الحجل مع الشبّة المطحونة بشكل ناعم، وتتم المعالجة عن طريق تكحيل عين المريض بالمزيج.

٢ ـ تعالج الجروح الشديدة بوضع البصل فوقها بعد أن يرش عليها مسحوق الجلد الناشف.

٣ ـ آلام البطن: تعالج بدهن منطقة البطن بالزيت إلى جانب إعطاء المريض كأس شاي من الزيت كي يشربه (زيت الزيتون).

٤ ـ آلام الرأس: تعالج بشطب الرأس بشطبات حادة بالشفرة ومن ثم يتم وضع الثوم والملح المدقوقين مع بعضهما فوق الجروح.

٥ ـ فكشة الرجل /الْفَكَكْ/ يعالج بالدق عليه بالأبر التي تغمّس بمزيج من شحار وسنا السراج ومرارة حيوان الغنم.

٦ ـ الحروق: تعالج برش سوس شجر التين فوقها.

٧ ـ الرمد: يعالج عن طريق حليب الأم إذا كان المريض طفلاً، أو غسل العين بكمادات مغطوطة بمغلي الشاي بدون سكر.

٨ ـ الحروق: تعالج بوضع اللبن أو الرماد أو البطاطا.

٩ ـ الحروق: تعالج بحرق عظام النيص ومن ثم تسحق، ويُرشُّ المسحوق فوق الحروق.

١٠ ـ آلام البطن: تعالج بشراب مغلي نبات الشيح أو مغلي نبات الكمون والنعنع والبابونج، أو شراب مغلي الزعتر، أو تناول شراب نبات الميرمية.

١١ ـ آلام الرأس: وضع لبخة من العجين والملح والثوم على الجبهة ومن ثم شد الرأس بعصاب يحيط بالرأس على شكل عصبة.

١٢ ـ آلام الأذن: تعالج عند الأطفال بوضع نقاط من الزيت الممزوج بحليب الأم في أذن الطفل المريض.

١٣ ـ وجع الأضراس: يتم العلاج بوضع ثوم وملح على الضرس الذي يؤلم المريض.

١٤ ـ آلام الرأس: تناول شراب محلول السكر وملح الليمون.

١٥ ـ الرمد: يعالج برقائق من البندورة + عصير الليمون.

١٦ ـ آلام الأذن: تقطير الزيت فيها بعد تسخينه قليلاً.

١٧ ـ وجع الضرس: يعالج بوضع معجون من ورق الزيتون والملح.

١٨ ـ حالات التسمم: إعطاء الشخص الشارب للسم /محلولاً من الماء والملح/ يساعد على الإقياء.

وإلى الآن تمارس النساء والأطفال من عشيرة /الصايغ/ مهنة الشحادة وبشكل يومي بالرغم من أن هؤلاء يتمتعون بمستو معيشي لا بأس به ولكن كما قلنا في أكثر من مكان في هذا الكتاب: أن الشحادة عند النَّوَرْ لا تنم عن حاجة، وإنما ترجمة لعادة قد نمت وترعرعت في أحضان نمط معيشي يقوم على الترحال، حيث الرجل لا عمل له سوى الجلوس في الخيمة وشرب القهوة والدخان رامياً الهموم التموينية لأسرته في رقبة زوجته أو زوجاته لأنه كلما كان الرجل عنده زوجات أكثر كلما كانت حالته المادية أفضل.

٤ ـ عشيرة الملحم:

إن أفراد هذه العشيرة قد استقروا في حي الجورة بحمص منذ أكثر من ثلاثين عاماً. ويسكن أفراد هذه العشيرة في بيوت مخدمة بالماء والكهرباء والصرف الصحي. ويسود عندهم الزواج المبكر والزواج القائم على البدل، وزواج الخطيفة. وتعدد الزوجات محبب لدى هذه الفئة. ويصل مهر المرأة إلى /٥٠ ألف ليرة سوري/ ويعود المهر إلى الأب. ويتكلم هؤلاء فيما بينهم باللغة النورية /لغة الضوم/. من الأعمال التي يمارسها الرجل الأعمال اليدوية مثل: الدهان ـ الأعمال المأجورة وهم أقرب إلى النور القرباط.

ولباس المرأة أو الرجل لا يختلف عن لباس بقية النَّوَرْ الذين يعيشون في /جورة العرايس بحمص/. وتمارس المرأة من عشيرة ـ ملحم ـ عادة الاستعطاء والشحادة ويشاركها في مهنتها هذه الأطفال الصغار.

٥ ـ عشير نايف الجمل:

يتواجد أفراد تلك العشيرة في بلدة القصير التابعة إلى مدينة حمص. وقد استقر قسم من هذه العشيرة في القصير منذ أكثر من /١٥ عاماً/. وهم مسجلون في دوائر النفوس، يحبون تعدد الزوجات. والزواج يتم في عمر مبكر يتراوح ما بين /١٣ ـ ١٥/ للفتاة، ومن ١٥ ـ ١٨ بالنسبة للشباب. ويسود بينهم زواج البدل وزواج الخطيفة. وأن الفتاة تحافظ على عذريتها حتى ليلة زفافها، والمرأة التي تزني تطلق من زوجها وتزوج إلى غير عشيرتها إلى أي رجل وتبقى طيلة حياتها لا ترى أهلها. وزواج الخطيفة إذا لم يتم المصالحة من أجله. يطالب أهل البنت بابنتهم، وبعد أن يستردوها يزوجونها لرجل آخر وتبقى منفية بعيداً عن عشيرتها، وهم أقرب إلى النور ـ الصياغ ـ او السناكرة.

كان يمارس أفراد هذه العشيرة سابقاً مهنة الصياغة من خواتم وأساور وخلاخيل وأقراط... إلخ. ولا زال الرجال المتقدمون بالعمر يمارسون تلك المهنة، أما الشباب فقد تعلموا مهنة تركيب الأسنان وتلبيسها. وتمارس نساء هذه العشيرة /الشحادة/.

وهناك قسماً من عشيرة /نايف الجمل/ لا زالوا يعيشون حياة التنقل والترحال. وتجدر الإشارة أن نساء هذه العشيرة تأخذ معها بعض الأدوات الخفيفة: أبر ـ كشاتبين ـ شكلات للشعر ـ أدوات تسلية للأطفال ـ حنّاء ـ الخرز.... إلخ. وتأخذ مقابل تلك الأشياء المواد التموينية: السكر ـ الأرز ـ البرغل ـ الزيت ـ السمنة ـ اللباس ـ النقود. وتحمل المرأة ما تبيعه بواسطة السلال.

ويعتنق أفراد هذه العشيرة الدين الإسلامي، ويتم دفن الميت حسب الشريعة الإسلامية إلا أن الرجل يكفن بعدد من الأكفان تساوي بعددها عدد الزوجات اللواتي كان قد تزوج منهن في حياته. في حين المرأة لا تكفن إلا بكفن واحد بعد موتها، بغض عن عدد الرجال الذين كانت قد تزوجت منهم في حياتها. أما الألعاب الشعبية التي يمارسها أفراد هذه العشيرة: المبارزة بالعصا ـ لي الساعد بين الشباب، ومعظم أفراد هذه العشيرة أميون لانعدام ظاهرة التعليم فيما بينهم وبشكل خاص

بين الذين لا زالوا يعيشون بالخيام وغير مستقرين. أما اللغة التي يتكلمها أفراد عشيرة نايف الجمل هي لغة الضوم النّورية.

فتاة من عشيرة /نايف الجمل/ بلباسها الجميل المزركش بالألوان الزاهية تقف أمام خيمتها وشعرها الأسود الذي يشبه الثعبان ينساب حول خديها الذين لفحتهما أشعة الشمس فأكسبت بشرتها لونها الأسمر الجذاب (حمص ـ القصير). ١٩٨٦م

٦ ـ عشيرة الخضر:

يسكن أفراد هذه العشيرة /الخضر/ في حي جورة العرايس، وفي حي الشماس. ويقولون أن لهم أقارب يعيشون في كل من النبك وفي دمشق في كل من حي الصالحية والأكراد. وقد استقر هؤلاء النّورُ في جورة العرايس وفي الشماس منذ أكثر من /١٥/ عاما/. ويوجد أقارب لهم في منطقة الحواش. ويمارس أفراد هذه العشيرة مهنة الضرب على الطبل والعزف على الزمر والبزق والعود. ويشارك أفراد هذه العشيرة مع نسائهم في إحياء الحفلات الغنائية الراقصة حيث ترقص المرأة وتغني على أنغام البزق والزمر وقرع الطبل. ويحصل أفراد عشيرة الخضر على دخلهم الجيد في فصل الصيف عن طريق الدعوات التي توجه لهم من سكان المنطقة المحيطة ببلدة القصير وفي القصير ذاتها، لمشاركتهم بأفراحهم مقابل مبالغ معينة من المال يتم الاتفاق عليها؛ وهم أقرب إلى جماعات النوّر الطبالة.

تلبس المرأة الثوب الطويل من القماش الزاهي الألوان، وترتدي تحت الثوب الطويل سروالاً من القماش، وغالباً ما يكون السروال مكشكشاً من الأسفل فوق كعبي الرِجْلين. ويحب أفراد هذه العشيرة تناول الخضار المطبوخة: السلق - الخبيزة - الجرجير - رشاد - فطر. وكان يقدَّم إلى الولادة طعاماً من: الحريرة والدبس. ومن الألعاب الشعبية عند الأطفال: لعبة المبارزة بالعصا، واللعب على الطبل، والزمر من أجل التعلم عليهما. ويمكننا القول: إن عشيرة الخضر /حجيّات/. ويتكلم أفراد هذه العشيرة اللغة الكردية فيما بينهم، إلى جانب المعرفة الكاملة باللغة النّورية./الضوم/. ويتقن أفراد هذه العشيرة اللغة العربية، ويجيدون الغناء باللغة العربية وليس بالكردية وهذه بعض المفردات من اللغة التي يتكلمون بها:

خبز	نان
ماء	أف
كلب	قوجك
بنت	كج
أخ	يرتم
أخت	خوشكين
أم	ديمن
أب	باقم

وفي حالات الوفاة يُكفَّن الميت بعدد الزيجات التي كان قد تزوجها في حياته سواء كان رجلاً أم امرأة:

١ - إذا توفي رجل وكان متزوجاً أربع زوجات أو أكثر، فإنه سيكفَّن بأربعة أكفان بحيث يكون كفن واحد لكل امرأة قد تزوجها.

٢ - إذا كانت الميت امرأة، فإن تلك المرأة ستكفَّن بعدد من الأكفان تساوي عدد الأزواج التي كانت قد تزوجت منهم في حياتها. وحسب رأي جماعات النَّوَرْ: إن الكفن هو ستر للمرأة وللرجل بعد موتهما، وخاصةً إذا كان الميت متزوجاً أكثر من مرة، وأن الحزن على الميت عندهم شديد، والفرح عندهم من صميم أعماقهم.

٧ ـ عشيرة كنجو العلي:

لا يزيد عدد أفراد هذه العائلة عن الخمسين شخصاً وهم مسجلون في النفوس وبالرغم من ذلك فإن نسبة التعليم عندهم منخفضة. ويتزوج أفراد /كنجو العلي/ في سن مبكرة. ولا يحبذون ظاهرة تعدد الزوجات. ويسود عند أفراد هذه العشيرة زواج البدل وزواج الخطيفة. وأن العرف والعادة حول الزواج وأشكاله تكاد تكون واحدة عند جميع عشائر النَّوَرْ على اختلاف مهنهم ونمطهم المعيشي. ويتكلم أفراد عشيرة /كنجو العلي/ بلغة الضوم /أي اللغة النَّوريّة/ مع الإتقان الكامل للغة العربية. ويلعب الأطفال لعبة المبارزة بالعصا، ولعبة لي الأيدي.

يرتدي الرجل المتوسط بالعمر الجلابية ويرتدي فوق القلابية لباساً على شكل جاكيت يطلق عليه /الدّامر/ وغالباً ما ينتشر هذا الزي من اللباس عند العرب البدو في منطقة شرق حمص والجزيرة شمالاً. ويرتدي الرجل على رأسه القضاضة البيضاء والعقال أو المنديل /الشماخ والعقال/.

أما المرأة فإنها ترتدي ثوباً طويلاً من القماش المزركش. ويكون ذلك الثوب واسعاً من الأسفل ومخصراً عند الجذع، وليس لهذا الثوب فتحة من الأمام ما بين العنق والصدر على شكل حرف ـ V ـ وإنما فتحة الثوب هنا على شكل دائرة تحيط بالعنق بشكل جيد. وتلبس المرأة سروالاً طويلاً تحت الثوب الطويل وتضع المرأة من عشيرة /كنجو العلي/ على رأسها قطعة من القماش الأسود من نوع /حطّة/ سوداء ليست شفافة وأطراف هذه الحطة عليها خط ملون يميل إلى اللون البني المائل إلى الصفرة. وتلبس فوق الحطّة منديلاً ملوناً على شكل طفخة وعقدة هذه الطفخة إلى الوراء والصورة التالية توضح ذلك:

عائلة من نور /كنجو العلي/ في حي الشماس ـ حمص/
يبدو اللباس الشعبي التقليدي عند كل من المرأة والرجل ١٩٨٦ م

ويكفن أفراد عشيرة /كنجو العلي/ الميت بكفن واحد سواء كان متزوجاً مرة واحدة أم أكثر بغض النظر إذا كان المتوفى رجلاً أم أنثى.

٨ـ عشيرة العبدال:

يبلغ عدد أفراد العبدال في بلدة القصير ما بين /٤٠ ـ ٥٠/ نسمة، وأفراد هذه العائلة مسجلون في دوائر السجل المدني. وتتواجد عشيرة العبدال بصورة أساسية في منطقة حلب حيث يزيد تعداد بيوتها هناك على /١٠٠ ـ ١٢٠/ بيتاً.

يعمل الرجل بصورة عامة في مهنة /الطبل والزمر/ وبيع أوراق اليانصيب إلى جانب بعض الأعمال الحرة والمأجورة. وتقوم المرأة في جمع المواد البلاستيكية من الشوارع بمساعدة أطفالها من أجل الحصول على النقود عن طريق بيع تلك المواد البلاستيكية المهترئة، وهم بنمطهم المعيشي أقرب إلى جماعات النوّر الطبالة.

يحب أفراد عشيرة العبدال ظاهرة تعدد الزوجات والفتاة تزوج مقابل مبلغ من المال يتراوح ما بين /٢٠ ـ ٢٥/ ألف ليرة سورية. ويقولون أن الفتاة تشارك برأيها في اختيار

زوجها. ويوجد عند هذه العشيرة زواج البدل وزواج الخطيفة. وأن المهر للفتاة الخاطفة يكون مضاعفاً إذا ما تم الصلح بين أهل الخاطف وبين أهل المخطوفة. وفي حالة عدم حصول الصلح بين أهل كل من الشاب والفتاة يمكن أن يقود ذلك إلى قتل الفتاة من قبل أهلها. وأن المرأة الزانية تزوج للفاعل أو يطردونها إلى خارج العشيرة بشكل أو بآخر. وعلى الأغلب تزوج من أي شخص وإن كان غير نوري. وأن المهر في كافة الأحوال يذهب إلى والد الفتاة ولا يعطها منه شيء.

عائلة من عشيرة /العبدال/ حيث المرأة تبدو بلباسها التقليدي ١٩٨٦

ويتكون لباس المرأة من ثوب طويل وفضفاض في الجزء الأسفل منه في حين يكون ذلك الثوب في منطقة الجذع شبه مخصر. كما أن المرأة تحزم وسطها بزنار غالباً ما يكون من القماش المجدول أو المفتول مع جعل طرفي الزنار متدليين نحو الأسفل وعلى الجانب الأيمن. وتلبس المرأة سروالا طويلاً من الثوب الطويل. أما على الرأس فإنها تلف رأسها وعنقها وحتى جزء من كتفها بوشاح من القماش الغالي الثمن والزاهي الألوان

وغالباً ما يكون لون الوشاح متناسقاً مع لون الثوب الطويل. وأما لباس الرجل فهو من الفلابية والجاكيت والقضاضة والعقال. أما الشباب فلباسهم هو نفس اللباس المعاصر عند كافة الناس.

ومن الأدوات الموسيقية الموجودة في بيوتهم: الطبل والزمر والبزق. ويحب أفراد عشيرة العبدال المواد الحادة مثل: الفليفلة والفلفل والبهارات.... إلخ ،وهم أقرب على جماعلت «النور الطبالة».

ولا زالت عائلات /العبدال/ تعيش حياة التنقل والترحال إلا أن المشتى بشكل دائم يكون في بلدة القصير. ويتكلم أفراد تلك العشيرة فيما بينهم اللغة التركية ، إلا أن الكبار من هذه العشيرة يعرفون لغة الضوم ولكن بشكل ضعيف ، ويجيد العبدال التحدث باللغة العربية. وبالرغم أنهم مسجلون بالنفوس إلا أنهم غير متعلمين.

٩ - عشيرة البرجولية:

يسكن أفراد عشيرة /البرجولية/ الذين يزيد عددهم عن /١٠٠/ شخص، في حي البياضة ، في بيوت إسمنتية مخدّمة بالماء والكهرباء. إلا أن أفراد هذه العشيرة يتركون بيوتهم في فصلي الربيع والصيف ويتنقلون بين القرى الواقعة حول منطقة حمص، إذ يبيعوا ما صنعوه من أدوات زراعية /الغرابيل - الكرابيل - المذراة/. وفي الفترة الأخيرة صار الشباب يمارسون مهنة تركيب وتلبيس الأسنان، التي تدر عليهم دخلاً جيداً ، وخاصةً في خارج القطر /السنغال - مالي - الجزائر - المغرب - الكمرون - تونس/ ، ويسافرون إلى الأردن وإلى الدول الأوروبية. ويطالب أفراد هذه العشيرة بالسماح لهم بالسفر إلى السعودية وإلى اليمن.

ويحب أفراد هذه العشيرة ظاهرة تعدد الزوجات، وزواج البدل، كما وينتشر بينهم زواج الخطيفة الذي ينتهي بقتل الفتاة المخطوفة أو بالصلح ودفع المهر مضاعفاً إلى والد العروس. وتُذبح المرأة الزانية حسب عرفهم حتى من قبل زوجها مباشرة.

أما المرأة فإنها كانت في الماضي تمارس الشحادة وما زالت إلى الآن، حيث تخرج للشحادة على باب الله الكريم وتبيع بعض الأشياء التي تشتريها للنساء في القرى وتحمل تلك الأشياء بالسلل.

ويتكلم أفراد عشيرة البرجولية اللغة النورية /الضوم/، إلى جانب اللغة العربية. كما أن الرجال يتحدثون بالإنكليزية وأحياناً بالفرنسية /الرجال الذين يسافرون خارج القطر/. وجميع هؤلاء أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، بالرغم من أنهم مسجلون بالدوائر المدنية للسجل المدني.

وعند الوفاة يتم غسل الميت، فإذا كان رجلاً، فإنه يكفن بأكفان تساوي عدد النساء اللاتي تزوجهن في حياته. أما المرأة فإنها تكفن بكفن واحد مهما كان عدد الذين تزوجت منهم في حياتها. ولباس الرجل والمرأة إلى حد ما هو نفس لباس المرأة النورية في حي البياضة: الثوب الطويل والعباءة من فوقه /تشاطك/ والملفع الأسود على الرأس وفوقه العصبة السوداء. وهم اقرب إلى جماعة القرباط.

امرأة من النَّوَرْ /حي البياضة/ بلباسها الشعبي.

١٠ ـ عشيرة العبطال:

يعيش في منطقة /بابا عمرو/ عدد من أفراد عشيرة تدعى /العبطال/، لا يتجاوز عددهم /١٥٠/ نسمة/. وهؤلاء مسجلون في دوائر النفوس ولهم أقارب في منطقة حلب بأعداد كبيرة، يزيد عدد مساكنها عن /٢٠٠٠ خيمة/.

إن العبطال في منطقة بابا عمرو غير مستقرين في بناء ثابت، وإنما يعيشون في الخيام، وينتقلون من مكان إلى آخر طيلة أيام الصيف والخريف، إلا أن المشتى بشكل دائم في حي /بابا عمرو/. أفراد هذه العشيرة أميون بكاملهم دون استثناء. ويمارس الرجل أعمالاً حرة مثل بيع ورق اليانصيب والأعمال المأجورة، في حين تمارس المرأة مهنة الشحادة برفقة أطفالها.

امرأة حسناء من /العبطال/ بلباسها التقليدي
تبدو جالسة إلى جانب خيمتها /بابا عمرو ـ حمص ١٩٨٦م

ويتكلم أفراد العبطال فيما بينهم باللغة التركية إلى جانب إتقانهم اللغة العربية، مع معرفة قليلة بمفردات اللغة النّورية: الضوم واري أو لسان العصفورة.

ويتكون لباس المرأة من ثوب طويل من القماش الناعم الملمس والزاهي الألوان. ويوجد للثوب فتحة من الأعلى على شكل قبة تأخذ شكل حرف سبعة - V - وتلبس المرأة تحت الثوب الخارجي الطويل سروالاً طويلاً. وتلفّ على رأسها قطعة من القماش الأسود. غالباً ما تكون رقيقة غير سميكة ولها الشكل المستطيل، وليس المربع كما هو الحال في الصورة السابقة. أما الرجل فإنه يرتدي القلابية والجاكيت والقضاضة والعقال على رأسه. ويحب العبطال في طعامهم المواد الحادة مثل: الفليفلة - البهارات - الفلفل.

١١ - عشيرة الجنيدات:

يعيشون في حي /الشماس/ ويتراوح عددهم ما بين /٣٠ - ٤٠ شخصاً/. كلّهم مسجلون في دوائر السجل المدني. إلا أن الأطفال لا يذهبون إلى المدرسة. وما زال أفراد هذه العشيرة في ترحال مستمر طوال أيام السنة إلا في فصل الشتاء فهم يخيمون في حي الشماس. كانوا يمارسون في الماضي صناعة الغرابيل والكرابيل، كما هو الحال عند أفراد عشيرة الجنيدات في منطقة الميادين ودير الزور. أما الجنيدات في منطقة حمص فهم أصحاب طبل وزمر في الماضي، وإلى الآن توجد تلك الآلات الموسيقية في خيامهم /الطبل - الزمر - البزق/. لكن الرجال والشباب حالياً على الأغلب يمارسون مهنة تركيب وتلبيس الأسنان. ويتكلم أفراد عشيرة الجنيدات باللغة النّورية /الضوم/ إلى جانب التكلم باللغة العربية. ويتألف لباس الرجل من القلابية ومن القضاضة والعقال. ولباس المرأة من ثوب طويل من القماش الزاهي الألوان /الأحمر - الأخضر - الأصفر... إلخ/. ولهذا الثوب فتحة على شكل قبّة تتخذ رقم - ٧ - وترتدي تحت ذلك الثوب قميصاً أو كنزة لها قبة عالية. وتلبس على رأسها المنديل: الإشار الزاهي، بحيث تلفه على رأسها وتمارس النساء من عشيرة الجنيدات الشحادة يومياً من أجل تأمين المواد الغذائية لأفراد أسرتها، وأن هذه العشيرة من النّور القرباط.

- النَّوَرْ في منطقة الشميسة:

تقع قرية الشميسة /في منطقة تل كلخ/ على الطريق الواصل ما بين بلدة الحواش وبين بلدة العريضة. وإلى الجنوب من قرية ـ شميسة ـ توجد منطقة تدعى ـ السكينة ـ حيث يقيم هناك مجموعة من النَّوَرْ في بيوت ثابتة مبنية من الاسمنت وإلى جانبها بعض الخيام في نفس الوقت. وتدعى هذه المجموعة من النَّوَرْ بـ ـ بيت عزو ـ ويطلق هؤلاء النَّوَرْ على أنفسهم تسمية ـ الرياس ـ وهم أقرب إلى المطاربة وكان يسكن أفراد بيت عزو في الماضي في بلدة تُدعى /الباروحة/. وفيما بعد ترك بيت /عزو/ الباروحة ورحلوا إلى كل من قريتي: الزارة والشمسية. ومنذ وقت طويل وهذه العائلة تنتقل في ريف منطقة تل كلخ على ظهور الحمير إلى أن بدؤوا في الاستقرار في القريتين المذكورتين.

وقد استقر في بلدة /الزّارة/ السيد عزو الفياض العزو وأولاده ولهم في هذه القرية فترة طويلة من الزمن.

أما في قرية ـ شمسية ـ فقد استقرت العائلات التالية: إبراهيم علي العزو ـ مصطفى محمد العزو ـ حسين سعيد العزو. وفي عام ١٩٦٨ رحل السيد عزو فياض العزو إلى بلدة الشمسية حيث أبناء عمومته من بيت عزو تاركاً بلدة /الزارة/. وفي هذه الفترة انتقل قسم من بيت عزو إلى قضاء /عكار/ في لبنان، واستقروا في قرية تُدعى /حِلْبة/ وما زالوا هناك حتى الآن.

ويبلغ العدد الإجمالي لبيت عزو عدداً يتراوح ما بين /١٧٠ ـ ٢٠٠/ شخص:

١. عزو الفياض العزو ـ خمسة بيوت وعددهم /٤٠ شخص تقريباً/. وهؤلاء لا يحملون الجنسية العربية السورية حتى الآن. وعندما يريد أحدهم أن يسافر يأخذ بطاقة تعريف من المختار والشرطة في المنطقة المذكورة /الشمسية/. وهم يرغبون بالحصول على الجنسية العربية.

٢. إبراهيم علي العزو، تتكون هذه العائلة من خمس بيوت عددهم ما بين /٣٦ ـ ٤٠/ شخص. هؤلاء يحملون البطاقات الشخصية كمواطنين عرب سوريين.

٣. عائلة مصطفى محمد العزو، تتكون هذه العائلة من خمسة بيوت عددهم من /٤٠ ـ ٥٠/ شخص. ويحمل هؤلاء الجنسية السورية.

٤. حسين سعدو العزو، تتكون هذه العائلة من بيت عزو على يمين الطريق الممتد من ـ السكينة ـ حتى قرية الشمسية. وتُدعى هذه المنطقة باسم /امندرج/ وتقع في الطرف الغربي من سهل البقيعة.

الزواج:

كان وما زال الزواج بين جماعات النَّوَرْ المتواجدين في سورية وبقية بلاد الشام، يمر بمرحلة الخطوبة، حيث يذهب أهل العريس إلى عند أهل الفتاة التي اختارها وابنهم كزوجة له. وفي بيت الأهل يتم الاتفاق على كمية المهر وموعد الزفاف بعد موافقة أهل الفتاة ابنتهم من الشابْ الذي جاء أهله من أجله.

كان المهر في الماضي بسيطاً لا يزيد عن /١٠٠٠ل.س/، في حين وصل هذا المبلغ الآن إلى ما يزيد عن /٢٥/ ألف ليرة سورية. والمهر هنا يذهب قسم منه إلى أهل الفتاة في حين بالجزء الباقي وهو الأقل يتم شراء بعض الأدوات والأثاث الضرورية إلى البيت عام ١٩٨٦م.

وفي ليلة الزفاف إذا ما تبين للعريس أن عروسه ليست باكراً يقوم بإخبار أهله الذين بدورهم يخبرون أهل العروس. على الفور يأتي والد العروس مع بعض الأشخاص إلى عند أهل العريس للتشاور في الأمر من أجل حل تلك المشكلة:

١ ـ إذا رغب العريس الإبقاء على عروسه، يتوجب على أهل العروس في هذه الحالة إرجاع نصف مبلغ المهر الذي دفع إلى والد العروس إلى أهل العريس.

٢ ـ قد يؤدي عدم حفاظ العروس على عذريتها إلى قتلها من قبل أهلها عندما يعلمون بذلك ولا يرضى العريس إبقاء عروسه غير الباكر عنده.

٣ ـ أما الوقت المناسب للزواج كان في الماضي هو فصل الشتاء لنور عشيرة عزو عندما كانوا يعيشون عيشة الترحال والتنقل من مكان إلى آخر. وأن السبب في حدوث واقعات الزواج في الشتاء هو مكوث جماعات النَّوَرْ في هذه القرية أو تلك طيلة فصل الشتاء من جهة، ولكون فترة الشتاء هي الوقت المناسب الذي يجتمع فيه أفراد العشيرة الأصدقاء بعد ترحال طالت أيامه طوال /الصيف والخريف/ حيث يكون النشاط في التنقل عند النَّورْ على أشده للحصول على موارد للعيش.

أما في أيامنا هذه بعد أن استقروا لم يعد فصل الشتاء هو الفصل المفضّل للاحتفال بأفراح الأعراس عند جماعات النُّوَرْ من بيت عزو.

٤ ـ ويسود عند عشيرة /عزو/ الزواج التعددي من قبل الرجل حيث يجمع في عصمته أكثر من امرأة واحدة لأنهم لا يحبون الأطفال وإكثار النسل.

ولا زال يسود بين النُّوَرْ من بيت عزو زواج يُدعى /زواج البدل أو زواج المقايضة/، فتاة مقابل فتاة بعد أن يتفق أهل العريسين بتزويج ابنتهما للشاب الآخر الذي سوف يتزوج ابنهم أخته. وكما ولا يزال يسود عندهم زواج الأقارب العم كما كان في السابق.

زواج الخطيفة: إذا ما أقدم شاب على خطف فتاة ما، سواء كانت قريبته بالدم أم لا، فإن على أهله في هذه الحالة دفع مبلغ من المال لأهل تلك الفتاة يساوي ضعف مبلغ المهر المتعارف عليه عند تلك العشيرة من النُّوَرْ. هذا ويتم ذلك إذا أفلحت جهود الوساطة بين طرفي المشكلة بالطرق السلمية.

أما إذا رفض أهل البنت حل المشكلة مباشرةً بعد عملية الخطف، فخلال عامين من زمن الخطف تتحلل جذور المشكلة ويقبل الأهل الوساطة، ويأخذ والد العروس المبلغ المدفوع من قل أهل العريس لنفسه دون أن يعطي ابنته شيئاً منه. ويقوم أهل العريس وأهل العروس بتبادل الزيارات مع الوجهاء الذين قاموا بالوساطة فيما بينهم، ويتخلل تلك الزيارات نحر الخراف وتحضير الطعام وإقامة الدعوات.

ويُدفن الميت على الطريقة الإسلامية، وذلك بعد أن يكفّن بكفن واحد فقط..

ويتكلم أفراد بيت عزو فيما بينهم اللغة التركمانية القريبة من اللغة التركية. وهم بذلك يشاركون نَوَرْ دير العصافير ونَوَرْ عشيرة الطنجرلية ونور عشيرة الهرامشة بالتكلم باللغة التركمانية.

إلا أنّ أفراد بيت عزو كبقية النُّوَرْ في الساحل وفي الداخل يعرفون اللغة النّورية.

ويتكلم هؤلاء اللغة العربية بطلاقة، إلى جانب اللغة التركملية (التركمانية).

ويسمي هؤلاء النَّوَرْ أنفسهم /ريّاس/ ولا يرضون تسمية أنفسهم نَوَرْ أو قرباطاً، والجدير بالذكر: أن مهنة الريّاس، هي المهنة الحقيقية والأصلية للنُّوَرْ في العالم منذ القدم، وحتى الآن، إلى جانب ترويض الحيوانات والمتاجرة بها وممارسة الأعمال اليدوية كالصياغة، والحدادة، وصناعة الغرابيل وبقية الأدوات الزراعية.

الأعمال التي يزاولها كل من الرجل والمرأة:

كان يمارس الرجل من عائلة بيت عزو الأعمال اليدوية الجلدية، حيث كان يقوم بصناعة الطبل من جلود الحيوانات وصناعة الربابة والدف، كما أنهم يقومون بصناعة الشبابة من القصب وتدعى في تلك المنطقة /القشّة/.

كما كان الرجل يقوم بعملية الاستعطاء /الشحادة/ في أيام المواسم الزراعية. فقد كان رجال بيت عزو وغيرهم يركبون الحمير والبغال وحتى الخيول ليتجولوا بين الحقول وبين البيادر. وكانت /الشحادة/ تتم كما يلي:

يقف الرجل النوري على ظهر حماره ويبدأ بالعزف على المزمار أمام الشغيلة. فيقوم صاحب الحقل ويعطي الرجل النوري كمية من الزرع وما تجود به نفسه /غِمْرُ أو غمرين أو أكثر/ أو كمية من العرانيس من نبات الذرة البيضاء أو الصفراء.

وفي وقتنا الحالي فإن الرجل والطفل يمارس تهريب: أدوات كهربائية ـ دخان ـ علب محارم.... كل شيء يمكن تهريبه من لبنان إلى سوريا. وغالباً ما نجد الأطفال والشباب من نور تلك المنطقة يتعلقون بالسيارات الذاهبة من وإلى مدن الساحل وظهورهم ملأى بالمهربات وخاصة الدخان الأجنبي من أجل بيعها إلى المسافرين. ويمارس نور بيت عزو كغيرهم من نور منطقة تل كلخ زراعة الخضروات المروية في فصل الصيف إلى جانب البيوت البلاستيكية كعمل مأجور أو استئجار من أصحابها، في حين ممارسة التهريب تكون في الشتاء.

كما أن النورْ من عشيرة عزو يزاولون مهنة الطبل والزمر في إحياء الحفلات لدى أهالي قرى المنطقة في كل من: الزارة ـ الشمسية، ففي الأعراس دوماً يدعى السيد عزو الملقب بالريس والملقب بأبو فياض. حيث يقوم /عزو الريس بالعزف على المزمار، في حين يقوم أحد أبنائه بالقرع على الطبل (فياض ـ محمود). إن هذه المهنة الموسيقية التي يمارسها النورْ تصمهم بكلمة /الرياس/ كما هو الحال عند نور بلدة دير عصافير مثل الريس /أبو زهير/ وأخيه /الريس أبو فيصل/.

أما السيد حسين عزو وأبنائه وبناته فقد كانوا يحيون حفلات غنائية راقصة، حيث الأبناء يعزفون على الآلات الموسيقية، في حين البنات يرقصن ويصدحن بأصواتهن جميلة. ومن البنات اللاتي اشتهرت بالغناء والرقص /بديعة ـ نظيرة/. وبعد أن تزوجتا

توقفت عملية إحياء الحفلات الغنائية الراقصة. كما أن الشباب قد تعلم البعض منهم قيادة الجرارات الزراعية إلى جانب العمل في مهنة التهريب.

إن الحفلات الموسيقية التي يقوم بها الرجال والنساء من النَّوَرْ من أجل الموسيقى والرقص والغناء، هي مهنة شائعة عند فئة النَّوَرْ يدعون الحجيات وخير مثال على هذه الفئة كل من: عشيرة الهرامشة وعشيرة الكريميلية وعشيرة التمارزة. ويُعتبر السيد /عزو الريس/ أبو فياض، الشخص المحبوب في قرية /الزارة/ من أجل إحياء الحفلات أيام الفرح كما أن سكان البلدة قد اعتادوا على قرع طبلة وصوت مزماره.

إن الذي خلصت إليه كنتيجة هو ما يلي:

أن النَّوَرْ الذي يدّعون أنهم تركمان أو أتراك (نور التركمان أو نور الأتراك)، هم الذين يمارسون في القطر العربي السوري وفي لبنان مهنة /الرياس/ و/الحجيات/ بصورة عامة.

إن الذين يتكلمون اللغة التركية أو التركمانية لا يمارسون مهنة التجارة والسفر إلى الخارج بصورة أقل من بقية فئات النور الأخرى، كالقرباط، أو الذين يتكلمون الكردية، وإذا ما سافروا فإنهم يسافرون على شكل كورث موسيقي غنائي، ويسافر أهل الفتاة التي تغني عند سفرها للخارج فقط كمرافقين.

أما الذين يزعمون لأنفسهم أنهم أكراد فإنهم لا يمارسون تلك المهنة الموسيقية /الريس/ أو مهنة الغناء والرقص من قبل النساء /الحجيات/.

عمل المرأة: إن المرأة عند نور /بيت عزو/ تقوم بممارسة مهنة الشحادة تلك المهنة الأساسية لكافة نساء النَّوَرْ كما يقول السيد /عبدو الرمضان الأحمد الملقب بأبو عبدو الرزاق/ وبالحرف الواحد: لا يغُشُّكْ قولهم فكل النَّوَرْ يشحدون بدون استثناء وإن قالوا بأننا لا نسمح لنسائنا أن يشحدن. فطوال أيام السنة المرأة النَّوَرية من بيت عزو تقوم بممارسة الشحادة من أجل جمع المواد التموينية عن طريق الشحادة المصحوبة بسرقات خفيفة من قبل المرأة إذا ما خلا لها الجو في البيت الذي دخلت إليه للاستعطاء.

ويسكن أفراد بيت عزو في بيوت سكنية موصل إليها الماء والكهرباء. ويحتوي البيت على كافة الأدوات الكهربائية /تلفاز - غسالة - مسجلة - مذياع... أفران غاز/ إلى جانب الأثاث الجيد من سجاد وبسط وأواني مطبخية. وبالرغم من أن هؤلاء النَّوَرْ

مستقرون في بيوت ثابتة ومجهزة بمتطلبات الحياة العصرية، وبالرغم من أنهم يمارسون الزراعة واستئجار الحقول من قبل أصحابها مناصفةً بالنسبة إلى الحصول فإن المرأة عندهم لا تزال تشحد إلى يومنا هذا وإن أنكروا ذلك لمن يتحدثون إليه.

- النَّوَرْ في قرية الحواش:

تقع قرية الحواش إلى الغرب من مدينة حمص بمسافة تقدر بأربعين كم. وأن النَّوَرْ الذين يعيشون في منطقة الحواش يتجولون ضيفاً في المنطقة الواقعة إلى الغرب من مدينة حمص إلا أن منطقة المشتى الخاص بهم تمتد من بلدة الحواش وحتى بلدة الشمسة.

وينتمي النَّوَرْ الذين يعيشون في منطقة الحواش إلى عشيرتين، يمارس رجال كل منهما مهنة الضرب على الطبل والعزف على الزمر، وهم بهذا يدخلون تحت جماعة النَّوَرْ المطاربة أو الرياس حيث الضرب على الطبل من قبل الرجل يشكل العمود الفقري لنمط معيشتهم اليومي. وأن هاتين العشيرتين هما: عشيرة بيت إسبر، ٢ ـ عشيرة بيت خضور.

عشيرة إسبر:

ويعتبر بيت إسبر جزء من عشيرة الهرامشة /حجيّات/.

يبلغ عدد أفراد عشيرة إسبر ما يقارب المئة وخمسين نسمة /١٥٠ نسمة/. ويطلق أفراد هذه العشيرة على أنفسهم تسمية /مطاربة أو رياس/ شأنهم بذلك شأن كافة العشائر النَّورية في منطقة الساحل ومنطقة غرب حمص. وهناك بيت إسبر في جورة العرايس بحمص وكذلك في الاراضي اللبنانية. الزواج غالباً ما يتم في سن مبكرة لكل من الشاب والشابة. وقد كان في الماضي أهل الفتاة يزوجونها من أي شخص هم يريدوه دون أن يؤخذ رأي تلك الفتاة. أما حالياً فقد صار الأهل يستشيرون البنت عند زواجها وإلى حد ما صارت تشارك برأيها باختيار شريك حياتها. وأن الفتاة تباع بيعاً مقابل كمية من المال يدعى /المهر أو السياق/ يأخذه والد العروس لنفسه ولقد وصل مبلغ المهر في أيامنا هذه إلى /٥٠٠٠٠ ل.س/ والمهر يتناسب طرداً بكميته مع جمال البنت. ويكون المهر أقل في كميته إذا كان الزوج ابن عم الفتاة أو إذا كانت غير جميلة.

ويسود عند عشيرة إسبر الزواج القائم على المقايضة /المبادلة/ فتاة مقابل فتاة. كما يسود زواج الخطيفة في حالة عدم موافقة الأهل على زواج فتاة من شاب نوري تحبه. فإذا ما خطفت الفتاة تبدأ الوساطة من قبل أهل الخاطف إلى أهل البنت المخطوفة من أجل هذه المشكلة، وغالباً ما تنتهي جهود الوساطة بأن يدفع أهل العريس المهر مضاعفاً لأهل العروس. وبصورة عامة أي خطيفة لا يمكن أن تنتهي مهما طال زمن ذلك إما بالمصالحة أو بقتل الفتاة من قبل أهلها. ويسود عند هؤلاء النَّوَرْ ظاهرة تعدد الزوجات من قبل الرجل حباً في البسط وإكثار النسل حيث نجد أن عدد أفراد العائلة الواحدة يزيد في غالب الأحيان عن العشرة /١٢ شخصاً/. وأغلى مهر عند نور /الحواش/ يدفع للبنت إذا كانت حجية، لأن الفتاة التي تغني وترقص تعتبر بمثابة مورد رزق لأهلها ولزوجها فيما بعد /تعد إنساناً منتجاً تتحسن حالة الأهل من خلالها/.

- طقوس دفن الموتى:

بعد التأكد من وفاة الشخص يتم غسله بالماء الساخن والصابون ومن ثم تلبيس ذلك الميت بلباس جديد لم يلبسه من قبل، ومن ثم يتم تكفينه بأكفان من القماش الأبيض النظيف تساوي في عددها عدد الزوجات التي كان قد تزوج منهن في حياته قبل مماته. أما إذا كانت المتوفية امرأة متزوجة فإنها تكفن بكفن واحد بغض النظر عن عدد الأزواج التي تزوجت منهم في حياتها قبل أن تموت.

وتلبس المرأة اللباس الأسود أو القاتم تعبيراً عن حزنهم على المتوفى. ويقبل أهل المتوفى التعازي في خيامهم حيث يحضرون القهوة المرة من أجل تضييف المعزين بالفقيد. والميت يدفن في القبر فوق التراب مباشرة دون أن يوضع في تابوت من الخشب كما هو الحال عند سكان منطقة الحواش حيث يوضع الميت بصندوق خشبي داخل القبر.

أما المستوى التعليمي عند نور منطقة الحواش معدوم لدرجة أن الجميع أميون كباراً كانوا أم صغاراً بسبب عدم وجود سجلات نفوس لهم في دوائر السجل المدني حتى الآن. ويترتب على عدم تسجيلهم في دوائر النفوس، أنهم لا يؤدون خدمة العلم. ولا يذهب أطفالهم إلى المدارس، ولا يسافرون إلى خارج القطر، لأن ذلك يحتاج إلى جواز سفر وتأشيرة خروج رسمية. أما الانتقال من منطقة إلى أخرى فإن الشخص من هؤلاء النَّوَرْ يأخذون بطاقة تعريف من مختار الحواش يستدل من خلالها أنه /نوري غير مسجل في دوائر النفوس/.

ـ الأعمال التي يمارسها الرجال:

يقوم الرجل من عشيرة إسبر بالضرب على الطبل والعزف على الزمر في إحياء حفلات الأفراح التي يدعون إليها من قبل سكان المنطقة /حفلات الأعراس/ ويصل أجر الحفلة الواحدة في الليلة الواحدة إلى مبلغ يتراوح من /٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ل.س/. أما الآن فهناك القسم الأعظم من نور الحواش يقومون بالأعمال اليومية المأجورة بمبلغ /٦٠ ـ ٧٠ل.س/. عند السكان لمنطقة الأحواش مثل: حفر البناء وأعمال البناء بصورة عامة ـ عزق الأراضي من أجل الزراعة ـ رعي المواشي... إلخ في عام ١٩٨٦م.

أما المرأة النورية من عشيرة إسبر وحتى من عشيرة خضور فقد كانت تقوم بممارسة الشحادة من القرى المحيطة بهم في الصيف والشتاء وخاصةً منذ أكثر من عشر سنوات عندما كان الرجال يعملون فقط صيفاً بالطبل والزمر في حين بقية أيام السنة يبقى الرجل في البيت يشرب القهوة إلى جانب الدخان.

أما الآن فإن المرأة صارت تهتم بأمور بيتها أكثر من الماضي بسبب خروج الرجل يومياً من الخيمة من أجل العمل كي يحصل على المال الذي يمكن من خلاله أن يقدم لأسرته متطلبات الحياة اليومية. لكن المرأة لا زالت تمارس الشحادة وخاصةً في الصيف ولكن على نطاق ضيق جداً عندما لا يكون عندها رجل يقدم لها ولأطفالها ما يحتاجونه من طعام وشراب ولباس. وأن الضرب على الطبل والعزف على الزمر صار مقصوراً على أعراسهم فقط. والشيء الطريف أن المرأة النورية في منطقة الحواش صارت تعتني بتربية الأبقار من أجل الحصول على الحليب واللبن كطعام يومي لهم. وتعتبر هذه الظاهرة ذات طابع إيجابي نحو زوال كل عادة سيئة كانت موجودة عندهم بسبب النمط المعيشي القائم على الترحال وعدم الاستقرار وما يرافقه من إراقة لماء الوجه يومياً من قبل المرأة لتأمين طعام لأفراد أسرتها.

ـ السكن:

يسكن نور منطقة الحواش في خيام مصنوعة من الخيش أو من قماش الكتان الجيد على شكل شوادر غير نفوذة للماء ولا للبرد كما هو الحال في الصورة التالية:

مخيم للنَّوَرْ من عشيرة /إسبر/ في الطرف الجنوبي الشرقي من بلدة / الحواش/ ١٩٨٦م.

ويقدر عدد الخيام العائد إلى عشيرة /إسبر/ حوالي العشرين خيمة /٢٠ خيمة/ منتشرة على مساحة كبيرة حيث نجد كل ٣ ـ ٤ خيم بمثابة نزل واحد /مخيم واحد/. وتتكون الأدوات في الخيمة من: حصير ـ بابور غاز، ولا يوجد في خيامهم كهرباء، إنهم يضيئون الخيام عن طريق اللوكس الذي يعمل على الكاز. وتجلب النساء الماء على رؤوسهن من البيوت المجاورة لأهل القرية، وأحياناً يجلبون الماء الجارية شتاءً بعد هطول الأمطار. يوقدون داخل الخيمة الحطب في /الحوش: كانون/.

ولا زال هؤلاء النَّوَرْ يجلسون في خيامهم شتاءً حول المواقد متبادلين الأحاديث الحلوة المتعة مع سماع الحكايات الشيقة من المتقدمين بالسن وعلى الأخص من العجائز المتقدمات بالعمر. وأن القهوة المرة دوماً تقدم للجالسين لأنهم على رغبة منها. والذي لمسته أنه في كل بيت يوجد المهباج والمحماسة والدلال من أجل تحضير القهوة.

ـ اللباس:

يرتدي الرجال الكبار والمتوسطين في العمر: القلابية /شيلح/ وفق الشيلح يرتدي الرجل صدرية تدعى /اكو/ وعلى الرأس العقال والقضاضة البيضاء أو الشماخ. أما

الشباب فيلبسون البنطال والقميص. وترتدي المرأة ثوباً طويلاً يخب حتى القدمين وفضفاضاً في الجزء الأسفل منه لكنه مخصر عند الجذع. وتلبس المرأة على رأسها قطعة من القماش الأسود الرهيف يطلق عليه /الشنبر/ أو /الملفع/. وفوق الملفع ترتدي قطعة من القماش تشد بها الملفع على رأسها وتسمى /الحطّة/ وأحياناً تسمى /القمطة/. أما المرأة الشابة فترتدي لباساً لا يختلف عن لباس المرأة الريفية حالياً من قلابية طويلة لها فتحة من الأمام تدعى /القبة/ وتضع على رأسها قطعة من القماش الملون ويدعى /إشارا/ تلف بها شعر رأسها. أما لباس الكبار بصورة عامة يتكون من /القمباز/.

عائلة من النَّوَرْ المطارية من عشيرة إسبر من بلدة الحواش ١٩٨٦م

ويرتدي الرجل فوق القمباز حزاماً من الجلد. وعلى الرأس يلبس الرجل أيضاً الفضاضة والعقال. ويعتبر القمباز والحزام الجلدي فوقه إلى جانب غطاء الرأس المذكور هو اللباس التقليدي للرجل النّوري عندما يدعى لإحياء الحفلات من خلال قرعه على الطبل ومن الآلات الموسيقية التي تتواجد في خيامهم: الطبل ـ البزق ـ الربابة ـ العود.

ومن الحيوانات التي يربونها هؤلاء النّوَرْ /كلاب البوجي ـ السلوقي ـ الجعاري/.

كما أنهم يقومون بتربية الدجاج من أجل البيض واللحم.

وأما الألعاب الشعبية التي يلعبها الأطفال فهي: اللعب والمبارزة بالعصا ـ لوي الساعد ـ حبة طي الأيدي.

٢ ـ عشيرة بيت خضور:

بتواجد أفراد هذه العشيرة في منطقة الحواش منذ أكثر من مئة عام. ويتراوح عدد هذه العشيرة ما بين ٣٠٠ ـ ٣٥٠ نسمة بصورة عامة بما في ذلك أقاربهم الموجودين في /حمص ـ جورة العرايس/. أما عدد بيت خضور في منطقة الحواش يتراوح ما بين /٧٠ ـ ١٠٠ نسمة عام ١٩٨٨م.

يتزاوج أفراد هذه العشيرة من بعضهم ومن العشيرة الثانية /إسبر/ والمهر يتراوح ما بين /٣٠٠٠٠ ـ ٤٠٠٠٠ل.س/ وغالباً ما يتم الزواج في فصل الشتاء لكونهم متواجدين دون عمل إلا فيما ندر عندما يدعون إلى حفلات عرس أو فرح عند سكان منطقة الحوش. إن أفراد هذه العشيرة صيفاً يرتحلون إلى قرية /عمّار/ ويحصل هؤلاء النّوَرْ على أموال كثيرة مقابل أتعابهم إذ يصل دخل تلك العشيرة صيفاً إلى ما يزيد /١٥٠٠٠٠ ل.س/. وأن سبب جمع المال بتلك الكمية أن سكان /عمار/ معظمهم مغتربون يأتون صيفاً إلى قريتهم للراحة ولإتمام حفلات الزواج. وقد قال أحد هؤلاء النّوَرْ: لا تمضي ليلة في تلك القرية إلا وتسمع صوت الطبل والمزمار وصوت النوريات وهنّ يصدحن بألحانهم الجميلة /الحجيات/. ويتصف سكان قرية /عمار/ بحبهم للغناء النّوري ورقص الحجيات. ويتم نثر الفلوس على الضارب بالطبل وعلى الحجية /فما أن يعلو صوت الحجية على أنغام الطبل والزمر حتى تكاد تغطي النقود الأرض من حول الحجية/ وأن كافة النقود التي توضع حول الحجية عن طريق الشوباش تذهب إلى الفرقة الموسيقية التي يقودها المطربي أو ما يعرف باسم /الريّس/.

ومن خلال هذه الحفلات يجمعون أموالاً كثيرة يشترون بها بيوتاً فالسيد /ديبو خضور/ قد اشترى بيتاً له في حمص من خلال عمله في الغناء والقرع على الطبل والمزمار لأن صاحب الصوت الحلو والعازف الجيد عند النّوَرْ المطاربة أو الطبالة غالباً ما يكون ميسور الحال مادياً.

وبعد انتهاء فصلي الصيف والخريف يترك النّوَرْ الطبالة من عشيرة /خضور/ قرية عمّار ليعودوا إلى مشتاهم الدائم والمفضل في أطراف بلدة الحواش حيث الرجل يجلس في خيمته لشرب القهوة والدخان مع تعاطي المشروبات الروحية في وجبة العشاء أحياناً. أما المرأة فإنها تشرب في المناسبات وخاصة الحجيات منهن وذلك تمشياً مع طبيعة عملهن.

وتمارس المرأة من عشيرة /الخضور/ مهنة الاستعطاء /الشحادة/ طيلة فصل الشتاء والصيف وذلك بشكل دائم على مدار السنة بالرغم من أنهن لسن بحاجة إلى هذه المهنة التي تفقد الإنسان كرامته إلا أنها بنظرهم مهنة يجب أن تمارس بالرغم من احتقارهم لها كما يبدو من حديثهم عندما يسألون عن الشحادة. وقد قالت إحدى النساء من بيت خضور هذه الطرفة حول الشحادة:

«في قديم الزمان كانت حسناء جميلة من النَّوَرْ، قد تزوجت من رجل غني ليس بحاجة إلى أن تذهب إلى القرى وتدور كي تشحد. وقد منع ذلك الرجل زوجته من ممارسة الشحادة التي انغرست في سلوكها اليومي قبل الزواج. وبالفعل امتثلت تلك الزوجة وهي مكرهة بترك الشحادة، إلا أن زوجها ذات يوم قد دخل إلى بيته وإذا بزوجته الشابة تقف عند أحد الطاقات في جدران ذلك البيت بعد أن وضعت بها قطعة من الخبز. وكانت تلك الشابة تطلب من تلك الطاقة بأن تحسن إليها. وكأنها إنسان تقف أمامه وهي تتعاطاه ـ «يا طاقة إعطيني برقاقا»[1].

وقد كان عقاب تلك الزوجة من قبل زوجها هو الطلاق مباشرةً لكونها لم تستطع التخلي عن الشحادة ذات الصفات السيئة. ومن البديهي أن الإنسان إذا تعود على شيء لا يستطيع التخلي عنه بسهولة وبسرعة. فالإنسان يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن من أجل تناسي ما تعود عليه تدريجياً فكيف إذا يمكن التخلي عن نمط معيشي قائم بذاته قد تعود عليه الإنسان طيلة حياته من خلال أجيال متعاقبة ولفترة زمنية طويلة إن في ذلك صعوبة كبيرة ووطأة شديدة على النفس فتحول الإنسان من نمط معيشي إلى آخر لا يمكن أن يتم بين ليلة وضحاها مادياً. أما في الجانب الاجتماعي فإنه يحتاج إلى زمن طويل حتى تحل العادات الجديدة المرافقة للنمط المعيشي الجديد محل العلاقات الاجتماعية والعادات القديمة للنمط المعيشي القديم، فالنورية هنا انتقلت من نمط معيشي يقوم على الانتقال والشحادة، والعيش في الخيم وبشكل مفاجئ إلى العيش في نمط معيشي جديد يقوم على الاستقرار والعمل المنزلي والجلوس بين أربعة حيطان.

---

(1) برقاقاً: أكلة شعبية، تتكون من العجين ولحم الدجاج والبصل، حيث يوضع العجين على شكل طبقات في صينية وفوق كل طبقة يوضع لحم الدجاج مع بصل مفروم ومحموس بالزيت.

- اللغة:

يتكلم النَّوَرْ المطارية في منطقة الحواش التابعة إلى حمص فيما بينهم باللغة الكردية التي كانوا قد اكتسبوها في الماضي من سكان المنطقة التي كانوا قد تواجدوا فيها قبل أن يأتوا إلى القطر العربي السوري. ويتكلم هؤلاء أيضاً اللغة النورية أو لغة العصفورة /الضوم واري/ الخليط من العربية والكردية والفارسية والتركية والهندية. وتتصف عشيرة بيت خضور بعدم تعدد الزوجات إذ من النادر أن يطلق رجل زوجته ويشهد بذلك سكان بلدة الحواش أيضاً على ذلك.

والمشكلة الصعبة التي يعاني منها / النَّوَرْ من عائلة خضور/ هي نفس المشكلة التي يعاني منها النَّوَرْ جيرانهم من عشيرة إسبر وهي عدم تسجيلهم في السجلات المدنية وهذا يحرمهم من البطاقات التموينية ومن السفر إلى الخارج ويحرمهم أيضاً من بعث أطفالهم إلى المدارس. ونتيجة لعدم ذهاب الأطفال إلى المدارس فإن الأمية تنتشر فيما بينهم صغاراً وكباراً من النساء والرجال. وإذا ما أراد أحد منهم أن يسافر إلى مكان داخل القطر عليه أن يأخذ شهادة مختارة ممهورة من قبل مخفر الشرطة في بلدة الحواش عام ١٩٨٦م.

أما فيما يتعلق بطقوس دفن الموتى فإن الميت عند عائلة خضور يغسل ومن ثم يلبس لباساً جديداً ومن ثم يكفن بعدد الزيجات التي كان قد تزوجها في حياته. وأن المرأة المتوفاة تكفن بأكفان تساوي عدد أزواجها التي تزوجت منهم، أما عشيرة /إسبر/ فإنها تكفن الزوج فقط بعدد زوجاته الذي كان قد تزوج منهن في حياته، أما المرأة فإنها تكفن إلا بكفن واحد مهما كان عدد الرجال الذين قد تزوجت منهم في حياتها.

ويشترك النَّوَرْ من عشيرة /خضور/ مع النَّوَرْ من عشيرة /إسبر/ في دفن الموتى مباشرة في القبر حيث يوضع على أرضية القبر التي تتكون من التراب. وهم بهذه العادة لا يشاركون سكان منطقة الحواش الذين يضعون الميت في القبر داخل صندوق خشبي /تابوت/. وأن سبب الاختلاف هذا يعود إلى اعتناق السكان في بلدة الحوش الدين المسيحي في حين النَّوَرْ جميعاً يدينون بالإسلام بصورة عامة.

ومن عادات هؤلاء النَّوَرْ أنهم يشهرون قبور موتاهم عن طريق وضع حجارة على حواف القبر فوق سطح التربة مع وضع سنّادتين متعامدتين مع مستوى سطح الأرض بحيث تكون واحدة منهما في الطرف الغربي من القبر والأخرى تكون في الطرف الشرقي من القبر. (السِنَّادية: قطعة من الحجر على شكل مستطيل لا يتجاوز طولها /٧٠سم/ وتوضع تلك القطعة الحجرية واقفة على أحد ضلعيها القصيرين، الصغيرين كما قلنا على أحد طرفي القبر المتجه من الشرق إلى الغرب. أما وضع الميت في القبر يكون الرأس نحو الغرب والرجلين نحو الشرق بعد أن يوضع الميت على جنبه الأيمن وبهذا يكون وجهه مستقبلاً القبلة (نحو الجنوب).

أما الألعاب الشعبية فهي على الغالب نفسها التي يمارسها سكان المنطقة: اللعب في ورق الشدة - تعليم الصغار - بالضرب على الطبل والعزف على الزمر، ومن آلات الطرب عندهم: الطبل - المزمار /الزمر/ - العود - البزق. التدريب على الغناء من قبل الفتيات وخاصة الجميلات منهن صاحبات الصوت الجميل أيضاً.

ومن العادات عند عائلة /بيت خضور/: عادة شرب الكحوليات وفي مقدمتها /العرق - الويسكي/ وقد اعتادوا على شرب الكحوليات نتيجة لقيامهم في إحياء الحفلات. ويقول أحد الرجال من بيت خضور: «يستطيع النّوري أن يعطي كل ما عنده من غناء وطرب إذا ما شرب الكحول وخاصة العرق منه والذي يدعونه /ماطا/.

ومن الحيوانات التي يربونها: الجعاري - السلوقي - البوجي /كلاب/. يربون الدجاج من أجل البيض والديوك المصرية والهندية من أجل لحومها. وكانوا في الماضي يربون الحمير من أجل الارتحال أما حالياً فإنهم يرتحلون عن طريق السيارات التي يستأجرونها لذلك الغرض.

الفصل الخامس

النَّوَرْ في منطقة الساحل

١ ـ النَور في منطقة اللاذقية:

ـ النَّوَرْ في اللاذقية: قرباط.

ـ النَور في ـ بلدتي: منجيلا والهنادي: مطاربة.

٢ ـ النَّوَرْ في منطقة جبلة: قرباط.

٣ ـ النَّوَرْ في منطقة بانياس: مطاربة.

٤ ـ النَّوَرْ في منطقة صافيتا: مطاربة.

٥ ـ النَّوَرْ في منطقة طرطوس: قرباط.

٦ ـ النَّوَر في منطقة مشتى الحلو.

٧ ـ النَّوَر في منطقة لبنان.

النور في منطقة اللاذقية

- النَّوَرْ في مدينة اللاذقية - قرباط:

يتواجد عدد كبير من العائلات النورية في مدينة اللاذقية وخاصةً في الأطراف المحيطة بها. ويطلق هؤلاء النَّوَرْ على أنفسهم تسمية - القرباط - ويصل عدد خيام هذه الفئة من النَّوَرْ إلى أكثر من /١٠٠ خيمة/. ويتوزع هؤلاء القرباط في ثلاث مواقع تحيط بمدينة اللاذقية. وهذه المواقع هي: موقع وطى البسليس - موقع يقع إلى الشرق من معمل المحولات الكهربائية وإلى الجنوب من حي الرمل الجنوبي قرب معسكرات طلائع البعث - وهناك نور قرباط يسكنون في بيوت ثابتة في كل من حي: علي الجمال - قنيص، وهؤلاء لا يعترفون بأصلهم، وهناك عائلة تسكن في مدينة اللاذقية قرب شعبة التجنيد ومن هؤلاء /فريد عبد الله النوتي/ حيث يتنكر لأصله النَّوري، حيث أجابني عندما اجتمعت به عند أخيه علي عبد الله النوتي، الذي كان يعيش في المعضمية في خيمة. وذلك مساء يوم الأحد ١٩٨٦/١/١٨م «ما في شي اسمه نَوَر».

يقع مخيم - وطى البسليس - بالقرب من المنطقة الصناعية الواقعة إلى الشرق من مدينة اللاذقية وقد جاء هؤلاء النَّور القرباط عام ١٩٧٢م من الأراضي اللبنانية. ويتكون أفراد مخيم /وطى البسليس/ من عشيرة واحدة تدعى عشيرة - العنطوز. وأن قسماً من قرباط عشيرة العنطوز قد اشتروا أراضي زراعية قرب قرية - العمرونية - الواقعة على النهر الكبير الشمالي، حيث يمارسون الزراعة المروية. كما أنهم تركوا النمط المعيشي القائم على الارتحال بعد أن بنوا منازل لهم بالقرب من القرية المذكورة وهم إلى حد ما أخذوا في الذوبان الاجتماعي مع البيئة الاجتماعية المحيطة بهم باستثناء ظاهرة الزواج التي تتم فقط بينهم مع الحفاظ على مفردات لغتهم القرباطية أثناء التحدث فيما بينهم.

- البيئة الاجتماعية لأفراد عشيرة العنطوز.

ينتظم النَّوَرْ القرباط في مخيم - وطى البسليس - في مؤسسات اجتماعية ترتبط فيما بينهم برباط العصبية القبلية القائم على عادات وتقاليد يلتزم بها الفرد في سلوكيته اليومية طيلة حياته جاعلة منه إنساناً لا تكتمل شخصيته الاجتماعية إلا في نطاق القبيلة التي ينتمي إليها لدرجة يصل تأثير تلك المؤسسة الاجتماعية الكبيرة أنه إذا ما تم إبعاد أحد أفرادها كان بمثابة الحكم عليه بالموت المؤكد.

وأنّ الزواج عند القرباط من عشيرة العنطوز محصور فقط بين أفرادها فقط. ويمكن أن يتزوج الشاب من فتاة من جماعات القرباط التي تعيش في مكان آخر في منطقة اللاذقية أو في منطقة مدينة جبلة. إلا أن القرباط لا يتزاوجون مع النَّوَرْ الذين يطلق عليهم تسمية المطارية أو الذين يطلق عليهم الحجّيات، أو الريّاس – أو المبيضون... إلخ.

وتبدأ أول خطوة في الزواج بخطبة الفتاة التي أرادتها هذه العائلة أو تلك لابنها الشاب الذي تريد تزويجه.

يذهب أهل الشاب إلى عند أهل الفتاة التي وقع اختيارهم عليها من أجل طلب يدها، فإذا ما وافق أهل الفتاة على زواج ابنتهم يبدؤون بالتفاوض على كمية المهر الذي يجب أن يدفع لأهل الفتاة كثمن لابنتهم. وتتناسب كمية مبلغ المهر طردا مع جمال الفتاة، فكلما كانت الفتاة جميلة فإنها تزوج بمهر غال تصل قيمته إلى ما يزيد عن /٤٠ ألف ليرة سوري/. وعلى العكس تقل كمية المهر كلما كانت الفتاة غير جميلة. ويدفع المهر بكامله إلى والد العروس ولا يعطي للعروس إلا مبلغاً زهيداً لا يزيد عن /٥٠٠٠ ل.س/ في أحسن الأحوال عام ١٩٨٧م.

يتم الاحتفال مدة يومين قبل موعد الزفاف حيث تقام الدبكات والرقصات على أنغام فرقة الطبل والزمر التي يؤتى بها من عند النَّوَرْ الذين يُدعون بالطبالين أو الرياس مقابل مبلغ من المال يصل إلى ما يزيد عن /٥٠٠٠ ل.س/. وترتدي العروس في يوم زفافها ثوباً أبيض موشّى بالخيوط ذات الألوان الفضية والذهبية يتم شراؤه من قبل العريس. وبعد أن تُزف العروس من خيمة أهلها إلى عند أهل عريسها يكون هؤلاء قد جهزوا

بدورهم خيمة ذات ألوان زاهية للعروسين. وغالباً ما تكون تلك الخيمة على بعد عدة أمتار من خيمة والدي العريس.

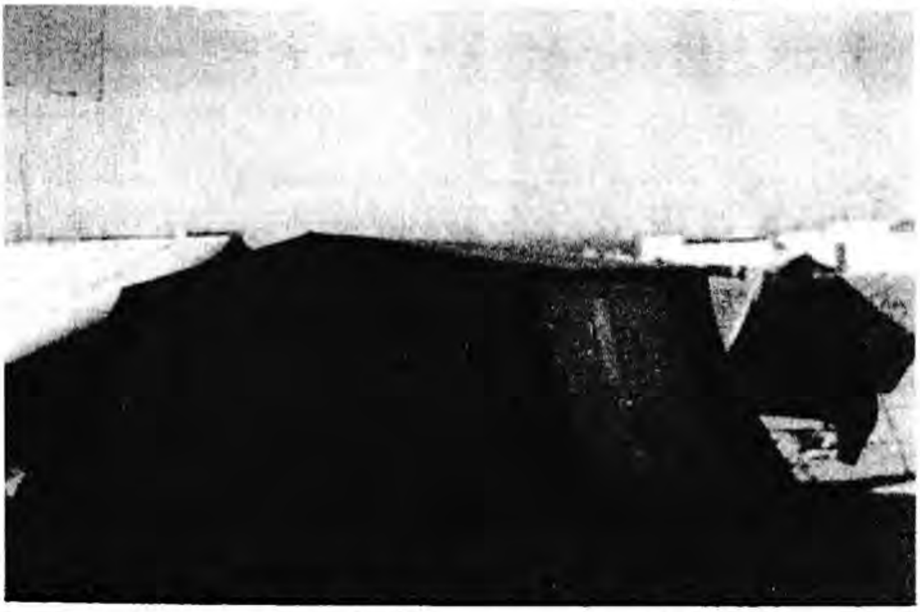

الخيمة ذات الألوان الزاهية التي تبنى خصيصاً من أجل زواج العروسين ١٩٨٦م

والشيء الذي لمسته عند قرباط منطقة اللاذقية وحتى عند قرباط منطقة الساحل بصورة عامة. أنهم أكثر واقعية وأكثر ليناً في علاقاتهم الاجتماعية التي تربطهم ببعضهم البعض من قرباط منطقة حلب الأكثر جلافة وقسوة وتمسكاً بالعادات والتقاليد الاجتماعية القديمة وعلى الأخص التي تتعلق في موقع المرأة في العشيرة وموقعها في إمكانية اختيار شريك حياتها عندما تُزوَّج. فالبنت عند قرباط اللاذقية يؤخذ برأيها في الشاب الذي يتقدم للزواج منها. وأن الدليل على ميل الأهل في تزويج ابنتهم من الشاب الذي تريده زوجاً لها هو قلة حدوث زواج الخطيفة عند قرباط منطقة الساحل. لقد تضاءل عدد واقعات زواج الخطيفة لإدراك القرباط في منطقة اللاذقية أن تزويج البنت من إنسان لا ترغبه سيؤدي إلى متاعب اجتماعية ومادية لهم في المستقبل فيما إذا تطور الخلاف بين الزوجة والزوج وأخذ جوانب اجتماعية جديدة ذات الطابع السلبي (كحدوث الخيانة الزوجية من قبل المرأة، أو حدوث زواج ثانٍ للزوجة بشكل غير شرعي /الخطيفة/ من رجل آخر وهي لا تزال على عصمة زوجها الذي زوجها إليه أهلها كرهاً عنها).

كما أن زواج الخطيفة بصورة عامة عند قرياط اللاذقية والساحل بصورة عامة أقل حدوثاً مما هو عليه عند قرياط منطقة حلب، ويعود السبب كما قلنا إلى إعطاء البنت قسطاً من حريتها الاجتماعية إلى حدٍّ ما في اختيار شريك حياتها، ومع ذلك تحدث واقعات الزواج من نموذج الخطيفة عندما يقف الأهل عائقاً في زواجها من الشاب الذي تحبه. وإذا ما حدث زواج الخطيفة فغالباً ما تنتهي تلك المشكلة الاجتماعية بين طرفي الخلاف، بين أهل الشاب وبين أهل الفتاة، بشكل سلمي عن طريق المصالحة ودفع المهر مضاعفاً من قبل أهل العريس إلى أهل العروس بفضل الجهود التي تبذل من قبل وجهاء القرياط في منطقة اللاذقية وتوابعها.

وتسود عند قرياط منطقة اللاذقية ظاهرة تعدد الزوجات من قبل الرجل ولكن بشكل أقل مما هو عليه عند القرياط المتواجدين في منطقة حلب وشمال شرق القطر العربي السوري /منطقة الجزيرة/. ويعود سبب تضاؤل ظاهرة تعدد الزوجات إلى عوامل متعددة أهمها:

١) ارتفاع مستوى المعيشة بسبب الظروف الحياتية اليومية التي صارت أكثر صعوبة وتعقيداً من الماضي.

٢) وأما العامل الهام في تضاؤل الزواج التعددي هو زيادة الوعي الاجتماعي عند قرياط اللاذقية بسبب احتكاكهم بالبيئة الاجتماعية لسكان منطقة الساحل والبعيدة عن العصبية القبلية والتي تعطي للفتاة الحق الكامل في اختيار شريك حياتها مقارنةً مع البيئة الاجتماعية لسكان منطقة الداخل حيث العصبية القبلية التي تحرم المرأة الكثير من مقومات شخصيتها الاجتماعية والإنسانية. إلا أن مثل هذه الظواهر الاجتماعية أخذت بالانحسار في أيامنا هذه بسبب الوعي الاجتماعي الآخذ في النمو بسبب التعليم، وتأثير أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة وبسبب الرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي السمحة.

وأن الفتاة عند القرياط في /اللاذقية/ تحافظ على عذريتها حتى ليلة زفافها. شأنها في ذلك شأن كافة الفتيات لكافة جماعات النّور. وإذا ما تبين أن العروس لسيت بكراً يتم ما يلي:

١ -يُعلم العريس أهله، وعند ذلك يذهب أهل العريس لإعلام أهل العروس.

٢ -يأتي أهل العروس إلى عند أهل العريس من أجل التفاوض وحل المشكلة. فإذا قبل العريس أن يستر على عروسه وأراد بقاءها عنده توجب على أهل العروس إرجاع نصف المبلغ من المهر الذي دفع لهم ثمناً لابنتهم إلى أهل العريس. وإذا لم يرضى العريس ببقاء عروسه غير البكر عنده يتم ما يلي:

- يأخذ أهل العروس ابنتهم إلى عندهم.
- يتم إرجاع المهر كاملاً إلى أهل العريس بعد اقتطاع مبلغ من المال يطلق عليه /شرفية/.
- يتم الحوار مع البنت حتى تفصح عن الرجل الذي كان قد نام معها في السابق وفض غشاء بكارتها. وإذا ما أفصحت الفتاة عن الفاعل معها فإنه يحدث ما يلي:
  - إما أن تقتل من قبل أهلها. ويترتب على قتلها مطاردة الرجل الفاعل معها من أجل قتله.
  - أن يلزم الرجل الفاعل بالفتاة بعد أن يدفع مبلغاً من المال يفوق كميته المهر العادي المتعارف عليه بين هؤلاء القرباط بمقدار ثلاثة أضعاف. وفي مثل هذه الحالات تبعد الفتاة والفاعل معها بعيداً عن مخيم العشيرة التي تنتمي إليها الفتاة لفترة من الزمن دون أن يكون لها أي علاقة مع أهلها، وتكاد هذه الظاهرة قاسم مشترك بين كافة العشائر، بغض النظر عن تباين مللهم ونحلهم المعيشية، وذلك في كافة مناطق بلاد الشام.

ويلعب وجيه العشيرة عند القرباط في منطقة اللاذقية دوراً هاماً في حلّ المشاكل الاجتماعية بين أفراد جماعته ويساعده في ذلك الرجال والنساء المتقدمون في السن من تلك العشيرة أو في ذلك المخيم. كما أن وجيه العشيرة أو كبير المخيم هو الذي يمثل عشيرته لدى العشائر القرباطية الأخرى في حل المشاكل التي يتسع نطاقها لتشمل أكثر من عشيرة واحدة مما يتوجب التدخل لحلها من قبل رؤساء العشائر القرباطية في المنطقة ووجهائها الكبار في السن.

وتتصف الأسرة عند القرباط بكبرها وكثرة الأطفال فيها. وأن أفراد الأسرة الواحدة متماسكين فيما بينهم تجمعهم مع بعضهم علاقات ذات طابع مشبع بالحنان والعاطفة وإنكار للذات. وأن الأسرة القرباطية هي أسرة أبوية ينتمي الأبناء إلى خط

الأب الذي يعبر الشخص الأول في الأسرة حيث السلطة والامتثال من قبل بقية أفراد أسرته. والأسرة من النموذج الممتد Patranomys.

كما أن كافة أفراد المخيم يرتبطون مع بعضهم بعلاقات وصلات اجتماعية جيدة حيث الاحترام المتبادل وتبادل الزيارات والسهرات عند بعضهم البعض وبشكل يومي. وإذا ما تعرض أحد أفراد المخيم إلى إزعاج خارجي هبَّ جميع أفراد المخيم صغاراً وكباراً إلى جانب قريبهم وجارهم في المخيم من أجل نصرته. وأن أفراد النزل دوماً ينظرون إلى الغريب نظرة شك وحذر فما أن يدخل شخص غريب إلى المخيم سرعان ما ترى الأطفال والرجال والنساء تحلقوا حوله لمعرفة مجيئه.

ويخشى القرباط الموت ويقابل الموت عندهم بالصراخ والعويل ولطم الخدود وتخديشها مع تمزيق للثياب من قبل النساء. ويعم الحزن كافة أفراد المخيم لفترة تطول أو تقصر حسب المكانة الاجتماعية للمتوفى من جهة وحسب العمر من جهة ثانية. فإذا ما كان الميت وجيهاً كلما طالت فترة الحداد عليه. وكلما كان الميت متقدماً في السن قصرت فترة الحداد عليه. وأطول ما تكون فترة الحداد في حالة وفاة رجل شاب أو امرأة شابة. وأن الشخص المتقدم بالسن يقولون بشأنه عند الوفاة أنه قد أكل عمره وبالتالي لا داعي للحزن عليه طويلاً.

وترتدي النساء اللباس الأسود أو اللون المائل إلى الألوان القاتمة حداداً على الميت، في حين يترك الرجال لحاهم بدون حلاقة حتى تنتهي مدة الحداد المتعارف عليها عندهم والتي يمكن أن تصل إلى شهر عند أقارب الميت أو إلى أكثر من ذلك عند أولاد وأشقاء الميت.

ويتم دفن الميت وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية، حيث يصلى عليه بعد غسله من قبل رجال الدين في مدينة اللاذقية. ويدفن القرباط موتاهم في المقابر العائدة للمسلمين. وعلى الأغلب يتم دفن الميت إذا كان رجلاً بعد تكفينه بعدد من الأكفان تساوي في عددها عدد الزوجات اللاتي كان قد تزوج منهن في حياته قبل أن يموت. وأما في حالة كون الميت امرأة فإنها تكفن بكفن واحد فقط بغض النظر عن عدد الزيجات التي كانت قد تزوجتها قبل أن تموت.

فتاة شابة من القرباط ترتدي اللباس الأسود حداداً على أحد أقاربها الذي توفي ١٩٨٦م

- النمط المعيشي:

يتخذ القرباط في منطقة اللاذقية من الارتحال وعدم الاستقرار في بيوت ثابتة نمطاً معيشيا لا يعرف للاستقرار طعماً باستثناء فصل الشتاء البارد، حيث يتجمعون في أماكن تعودوا على قضاء الشتاء بها على شكل مخيمات كبيرة.

ويرتحل القرباط صيفاً بين القرى التابعة لمحافظة اللاذقية بصورة عامة وإلى ريف منطقة جبلة بصورة خاصة ليتجولوا بين أحياء المدينة - جبلة - وفي أحياء القرى التابعة لها. ومع حلول فصل الشتاء فإن قرباط منطقة اللاذقية وخاصةً قرباط مخيم - وطى السيلس - . يعودون إلى مخيمهم الآنف الذكر.

- النمط المعيشي عند أفراد عشيرة /العنطوز/:

لا زال إلى الآن قسم من قرباط بيت العنطوز يمارسون مهنة صناعة الأدوات اللازمة لفصل الحبوب عن التبن مثل: الكربال - المقطف - الغربال - المذراة. وكان القرباط يستخدمون جلود الحيوانات الميتة بعد سلخها من أجل تحويل الجلد إلى شرائح رفيعة من

الجلد كي يحبك بها أرضية الغربال أو المقطف أو الكربال عن طريق إدخال تلك الشرائح الجلدية بواسطة مسلة طويلة لها نهاية حادة ومعقوفة في ثقوب الإطار الخشبي المراد تحويله إلى /غربال ـ كربال ـ مقطف/. ويقوم هؤلاء النَّوَرْ القرباط بشراء الجلود الحيوانات المذبوحة من المسلخ أو من عند اللحّامة في المنطقة من أجل تحويلها إلى شرائح رفيعة تدعى بالعربية /السّريد/، وفي اللغة القرباطية تدعى /وال/.

وهناك جزء من رجال ذلك المخيم /وطى البسيليس/ يمارسون صناعة السكاكين التي تستخدم في المطبخ إلى جانب صنع الأدوات اللازمة للزراعة مثل: الحاشوشة: منجل صغير، المنجل، المرجوب: حاشوشة ذات أسنان حادة ـ السكة الحديدية التي توضع في مقدمة القطعة الخشبية التي تدخل في التربة بعد جرها من قبل الحيوانات وتدعى /الدُّكَر/.

ويمارس الأطفال حتى سن الخامسة عشر من العمر عمل مسح الأحذية في شوارع مدينة اللاذقية. ويتواجد هؤلاء الأطفال مع صناديقهم الخشبية التي يضعون فيها الأشياء اللازمة لمسح الأحذية فيها. وغالباً ما يكون للصندوق الخشبي عُلاّقةٌ من الجلد أونطاق من الكتان مثبتة من طرفيها في جانبي الصندوق كي يتم حمله من قبل الطفل على شكل جناد يضعه في كتفه.

أما النساء القرباطيات من مخيم ـ وطى البسيليس ـ فإنهن يمارسن مهنة الشحادة بشكل غير مباشر، حيث تذهب تلك النسوة منذ الصباح إلى القرى المحيطة باللاذقية شتاءً وهن يحملن الأدوات التي كان قد صنعها رجالهن في خيامهم من أجل بيع تلك الأشياء في القرى المحيطة بمدينة اللاذقية. وتمارس المرأة القرباطية مهنة الكشف عن الطالع بواسطة التنجيم /التبصير/ مستخدمةً من أجل ذلك الأصداف الحلزونية الصغيرة مقابل مبلغ من المال. وتعتبر البنات المراهقات وغير المتزوجات من الجماهير العريضة المشجِّعة لمهنة التنجيم من قبل القرباطيات. فالفتاة تتشوق لكشف طالعها من قبل النّورية: الكشف عن مستقبلها وخاصة في زواجها من فتى أحلامها في القريب العاجل. ومن الجماهير الغارقة ببحر التبصير من قبل النوريات تلك النساء المتزوجات بصورة عامة لمعرفة ما إذا كانت المرأة الحامل ستضع طفلاً ذكراً أم أنثى، أو لمعرفة زوجها، إذا كان يحبها أم لا، وهل زوجها سيتزوج عليها. ومن التوافقات لمعرفة الطالع

من قبل النورية في الريف والمدينة المرأة العاقر غير المنجبة حيث تصغي لما تقوله لها المرأة القرباطية بخشوع وإمعان. وتأمّل لما ستنطق بهذا الخصوص.

وهناك البعض من نساء المخيم المذكور أعلاه يمارسن الشحادة بشكل غير مباشر. حيث تحمل المرأة معها صفائح من البلاستيك لوضع الزيت فيها. كما أنها تشحد الرز ـ السكر ـ الصابون ـ الزيتون ـ البرغل.

أما النساء المتقدمات بالسن فإنهن يجلسن في الخيام من أجل رعاية الأطفال الصغار الذين هم في أعمار تجاوزت سن الرضاعة، حيث المرأة النورية ترضع طفلها من صدرها لفترة زمنية تستمر حتى ولادة طفل جديد آخر.

ويبقى في الخيام إلى جانب النساء الكبيرات بالعمر الفتيات اللاتي هن في سن المراهقة أو الفتيات غير المتزوجات من أجل شراء ما يلزم لأفراد الأسرة من حاجيات وأن السبب في عدم ذهاب البنات العذارى إلى خارج المخيم لممارسة الشحادة خوفاً عليهن من قيام علاقة مع شاب يذهب فيها غشاء بكارتها لأنه إذا ما حدث ذلك عار على أهل الفتاة لا يمكن غسله إلا بقتل الفتاة التي تعرضت لذلك وجعل دمها يسيل على جسدها وتُدفن تلك الفتاة بدون أن تُغسل /لأن العار لا يمحوه إلا الدم/. حسب العرف والعادة والتقليد عند كافة جماعات النور بغض النظر عن مللهم ونحلهم ومكان تواجدهم، ويعتبر النور القرباط هم الأكثر تمسكاً بهذه العادة الاجتماعية.. إلخ

ـ اللباس:

يرتدي الرجل الكبير في السن من القرباط في منطقة اللاذقية القلابية الطويلة والجاكيت من فوقها. ويلبس الرجل على رأسه القضاضة على رأسه دون أن يلبس فوقها العقال. ويتصف النُّوَرْ في منطقة الساحل بتربية الشوارب من قبل الرجال. ويلبس الرجل السروال من القماش الرقيق تحت القلابية. أما الشباب فإنهم يرتدون اللباس العصري من بنطال وقميص دون أن يكون هناك غطاء للرأس.

أما المرأة فإن لباسها طويل وفضفاض ومحتشم ويعطي المرأة مرونة في الحركة. وغالباً ما يتكون لباس المرأة من القماش ذي الألوان الزاهية مثل: اللون الأحمر، واللون الأخضر والوردي والأزرق والأصفر.

رجل كبير بالسن من مخيم /وطى البسيليس/ بلباسه التقليدي. ١٩٨٦م

ويتكون لباس المرأة من ثوب طويل يخب حتى القدمين وواسع في القسم الأسفل منه مما يسهل حركة الجلوس بأشكالها المختلفة لدى المرأة بصورة عامة. ولهذا الثوب الطويل فتحة على شكل قبة حتى أسفل الصدر على شكل حرف ـ V ـ وغالباً ما يكون ذلك الثوب مخصراً على جسم المرأة في منطقة منتصف الجذع. وترتدي المرأة تحت الثوب سروالاً طويلاً من القماش مزموم حول الزنار الحوضي بواسطة خيط من المطاط المغلف بخيط من القطن.

امرأة من قرباط عشيرة ـ عنطوز ـ بلباسها الطويل والخيط من القماش ذي الألوان الفاقعة /اللاذقية/ ١٩٨٦م

أما لباس القدمين فغالباً ما تمشي المرأة والأطفال داخل المخيم حفاة. وأحياناً تلبس في قدميها الأحذية المطاطية /الشاحوطة/ التي تشبه النعل لكنها من المطاط.

وترتدي المرأة بصورة عامة سواء كانت عازبة أم متزوجة غطاءاً على رأسها يختلف في ألوانه لدرجة أنني لم ألحظ أن هناك لوناً واحداً لذلك الغطاء. فأحياناً يكون من القماش الأبيض وأحياناً من القماش الملون مع جعل طرفي ذلك الغطاء بعد عقدهما إلى الأسفل ومن الجهة الأمامية على الصدر كما هو واضح ذلك في الصورة التالية:

غطاء الرأس عند نساء /العنطوز/ ١٩٨٦م

أما اللباس القديم للمرأة النورية من قرباط منطقة اللاذقية فهو على الشكل التالي:

يتكون لباس المرأة من ثوب طويل يخب حتى القدمين له قبة على شكل سبعة مفتوحة نحو الأمام وعلى الصدر فقط. وتنطبق مواصفات ذلك الثوب سواء بالتفصيل أو في الألوان على المواصفات لنفس الثوب الذي تلبسه المرأة الشابة حالياً. وتلبس المرأة المتقدمة بالسن وحتى المتوسطة، فوق الثوب الطويل رداءاً طويلاً على شكل عباءة يطلق

عليه بالقرياطية /تشاطك/. ولهذه العباءة الطويلة أكمام طويلة حتى الرسغين. وتلبس المرأة تلك العباءة عندما تخرج من أجل الاستعطاء حيث تضع ما تشحده في تلك العباءة على ظهرها بعد ثنيه إلى الأعلى وربط طرفيه السفليين فوق الأبط الأيمن. وتضع المرأة القرياطية طفلها الرضيع فيه إلى جانب ما يمكن أن تشحده في جولتها بين أحياء القرى. ويطلق على هذا الرداء في منطقة الساحل تسمية /الشقبان/.

وتلبس المرأة النورية الكبيرة بالعمر ملفعاً أسوداً تلف به رأسها وعنقها بشكل جيد إلا أنها تترك خصلتان من شعرها على شكل ذوابتين كل منهما تغطي الجانب الوحشي من أحد العينين. ويكون القسم الأكبر من مساحة الملفع منسدلاً على منطقة الصدر والكتفين والظهر لدرجة أن الجزء الخلفي من الملفع الذي يغطي الظهر يصل إلى ما تحت الإلية /منطقة العجز/. وتحزم المرأة رأسها بقطعة من القماش بعد أن تطويها عدة طيات بحيث يكون الجزء الواسع يغطي الجبهة، في حين يعقد طرفي الإشار أو قطعة القماش في أسفل العظمة القذالية للجمجمة والصورة التالية توضح ذلك.

امرأة من قرباط ـ العنطوز ـ
في زي المرأة القديم والذي ما زال حتى الآن. اللاذقية ١٩٨٦م

- السكن:

يعيش القرباط في منطقة اللاذقية كما قلنا في الخيام طيلة أيام السنة. إلا أن الخيمة في فصل الشتاء غالباً ما يضعون لها بطانة داخلية، إما من البلاستيك أو من القماش المتين والكتيم الذي لا يسمح بنفاذ الماء إلى الأسفل. كما أن سقف الخيمة الذي يتخذ من الجملون شكلاً لا يسمح بدوره بتسرب الماء الساقطة من السماء النفاذ إلى داخل الخيمة. والخيمة دوما تفتح من الجانب الأيمن من الجهة الأمامية التي تتخذ جهة الشرق اتجاهاً لها طوال أيام السنة. وغالباً ما ترصف الخيمة من الداخل ويفرش بها قليلاً من الأسمنت المجبول بالرمل الناعم. ودوماً يكون في الزاوية الشمالية الشرقية من أرضية الخيمة فتحة على شكل مصرف الماء الغسيل والطبخ والاغتسال. وتفرش أرضية الخيمة بالحصر البلاستيكية والبسط والبطانيات. ويتكون أثاث الخيمة من فراش من الإسفنج موضوعاً في صدر الخيمة إلى جانب بعض البسط والمخدات. ويغلب على لون قماش الأثاث داخل الخيمة الألوان الفاقعة. ولا يوجد في هذه الخيام الماء ولا الكهرباء وإنما يجلب الأطفال والنساء الماء من مساحات بعيدة عن الخيام. وإلى جانب الفراش هناك أباريق الشاي، وبابور الكاز والغاز. وفي كل خيمة نجد سطلاً مكشوفاً من أحد جانبيه المربعي الشكل ليكون بمثابة موقدة يوضع فيها الحطب الذي يجمع من أجل التدفئة. وينشر القرباط لباسهم بعد الغسيل على حبال خيامهم التي تتشابك مع بعضها تشابك العلاقات الاجتماعية داخل العشيرة الواحدة التي يرتبط أفرادها برباط القرابة المتينة.

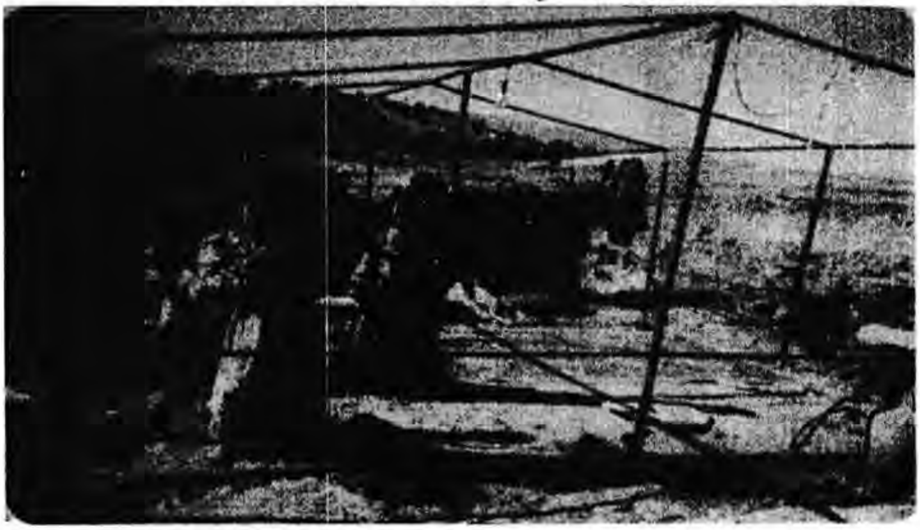

أثاث الخيمة داخل الخيمة بعد أن نُزع القماش

وبقي الهيكل الذي يتكون من مجموعة من الأعمدة المشدودة إلى بعضها/١٩٨٦م/

كان القرباط سابقاً يتنقلون من مكان إلى آخر على ظهور حميرهم التي كانوا يربونها لأجل ذلك الغرض. أما الآن فهم ينتقلون من مكان إلى آخر بواسطة السيارات التي يستأجرونها كما هو واضح في الصورة التالية:

رحيل للنّور بواسطة السيارات بدلاً من الحمير في الماضي - ١٩٨٦م

المستوى التعليمي:

إن التعليم عند قرباط /العنطوز/ معدوم تماماً بسبب ترحالهم المستمر وعدم استقرارهم في مكان ثابت طوال أيام السنة. ولا يعمل الرجال من قرباط اللاذقية في مؤسسات الدولة علماً أن جميعهم مسجلون في السجلات المدنية لمنطقة اللاذقية. ويخدم القرباط في الجيش العربي السوري الخدمة الإلزامية إلا أنهم لا يسمحون لأبنائهم التطوع في صفوف القوات المسلحة. ويسود عند هؤلاء القرباط قناعة مفادها: أن العمل في وظائف داخل المؤسسات التابعة للدولة لا تحسن من ظروفهم المعاشية، لذا نجدهم ينصرفون نحو العمل في مهن حرّة.

المستوى الصحي:

بالرغم من عدم وجود النظافة لدى النَّوَرْ القرباط المرتحلين لعدم توفر الشروط اللازمة لذلك إلا أنهم سليمي الجسم قويو البنية، لدرجة أن أطفالهم شبه عراة وحفاة طوال أيام السنة لكنهم بالرغم من ذلك يتمتعون بصحة جيدة.

كما أنني لمست من خلال زياراتي الميدانية للقرباط في اللاذقية أنهم أصحاب أجسام رشيقة متناسقة بعيدة عن السمنة، وما يرافقها من ترهل في البشرة وبشكل خاص عند النساء بعد الحمل والولادة. وربما يعود السبب في كون أجسامهم رشيقة إلى الحركة المستمرة للفرد داخل وخارج الخيمة طيلة النهار وكل داخل إدارة العمل المحددة له سواء كان رجلاً أم امرأة. وربما أن قلة الطعام الذي يتناوله الفرد القرباطي في النهار هو الذي يجعل الجسم عندهم رشيقاً. كما أن قلة تناولهم للمواد اللحمية تساعدهم على العيش مدة أطول فهناك الكثير من النَّوَرْ يتجاوزون السبعين من العمر وهم في حيوية ونشاط جيد.

ويغلب على قرباط اللاذقية البشرة السمراء والوجه ذي الشكل المتطاول والغالبية منهم أصحاب رؤوس متطاولة أيضاً. ولهم عيون ذات لون عسلي أو أسود يميل إلى اللون البني. والشعر غزير على الجسم عند الرجل الذي غالباً ما يهتم بشعر شاربيه. والشعر على الرأس أسود. وأحياناً خرنوبي ذا شكل مستقيم وملمس ناعم تجدله المرأة على شكل ظفرتين ظفيرتين وتربطهما في نهايتيهما ببعضهما البعض ومن ثم تجعلهما تنسدلان على الظهر. والقامة نحيفة ونسبة الأطراف إلى الجذع طويلة.

ويقع المكان الثاني الذي يقيم فيه النَّوَرْ في مدينة اللاذقية يقع إلى الشرق من معمل المحولات الكهربائية بمسافة مئتي متر. وقد أتى هؤلاء النَّوَرْ المطارية من منطقة سراقب منذ فترة تزيد عن العشرين عاماً. وقد جاء هؤلاء النَّوَرْ إلى سراقب من منطقة الريحانية/ التابعة إلى لواء اسكندرون المحتل من قبل الدولة التركية. ويبلغ عدد خيام هذه الفئة من النَّوَرْ العشرين خيمة...

يعمل أفراد هذه الجماعة في الضرب على الطبل على الزمر من قبل الرجال عندما يدعون لإحياء الحفلات في المناسبات المفرحة عند السكان سواء كانوا من اللاذقية أم من ريفها المحيط بهم والذين يتنقلون بين قراه طيلة فصلي الصيف والخريف.

وتقوم نساء هذه المجموعة التي يطلق عليها /الطبالين أو الرياس/ بممارسة الشحادة يومياً وبشكل مستمر حيث يشحد: الزيت ـ السكر ـ البرغل ـ الصابون ـ الزيتون ـ العدس ـ الملابس ـ الخبز ـ الشاي...

ويقع المكان الثالث الذي يتواجد فيه نَوَرْ في منطق اللاذقية يقع إلى الجنوب من حي الرمل الجنوبي الواقع قرب موقع معسكرات طلائع البعث. ويبلغ عدد خيام هذا المخيم من النَّوَرْ القرباط ما بين /٢٠ ـ ٢٥/ خيمة. يعمل الرجال من هذه الجماعة في صناعة وتركيب الأسنان. ويتجول الشباب حاملين حقائب في أيديهم مليئة بالأدوات التي يستخدمونها في عملهم اليومي المتعلق بمهنة الأسنان. كما أن نساء هذه المجموعة من القرباط التي تسكن في الخيام تتسول طيلة أيام العام. وما يتعلق باللباس والعادات والتقاليد فهم لا يختلفون عن جماعة القرباط الذين يخيمون في موقع /وطى البسيليس/.

مخيم للنَّوَرْ القرباط في منطقة مدينة اللاذقية ١٩٨٦ م

وهناك جماعة من النَّوَرْ القرباط يعيشون في بيوت حديثة ومؤثثة بأثاث حديث نظيف. وأن الأدوات الموجودة داخل بيوت هؤلاء النَّوَرْ المستقرين غير موجودة عند غيرهم من سكان مدينة اللاذقية ويتوزع هؤلاء القرباط في كل من حي /علي الجمال - حي

قنيص/. ويعمل الرجال منهم في مهنة تركيب وتلبيس الأسنان ويصل دخل الرجل الذي يمارس المهنة المذكورة إلى ما يزيد عن /٢٠٠٠ ل.س/ في الشهر وتعمل نساء هذه الجماعة كربات بيوت فقط. وترتدي تلك النسوة اللباس الأنيق والنظيف لدرجة يفوق بجودته لباس السكان من غير النَّوَرْ الذي يحيطون بهم. ويمتاز أفراد القرباط في حي علي - الجمال، وحي قنيص بالروح الاجتماعية القائمة على المشاركة الكاملة لجيرانهم في المناسبات السارة والحزينة. ويتزاور هؤلاء مع جيرانهم من غير القرباط ١٩٨٧م.

النَّوَرْ في منطقة: منجيلا ـ والهنادي (مطاربة)

يوجد في منطقة اللاذقية ما يزيد عن /٣٥/ بيتاً من النَّوَرْ الذين يدعون أنفسهم /ريُاساً ـ أو مطاربة/. ويتراوح عددهم ما بين ٢٥٠ نسمة إلى ٣٠٠ نسمة، وتوجد الغالبية العظمى من هؤلاء النَّوَرْ المطاربة في قرية /منجيلا/ قضاء الحفة، حيث يوجد هناك ما بين ١٣ ـ ١٥ بيتاً ثابتاً للمطاربة، وأن القسم الباقي من النَّوَرْ المطاربة يعيشون في قرية /الهنادي/ ويتروح عددهم ٨٠ ـ ١٠٠ شخص. عام ١٩٨٨م.

وينتمي هؤلاء النَّوَرْ في كل من /منجيلا الواقعة على /١٢/كم عن اللاذقية باتجاه بلدة الحفة ـ الهنادي الواقعة على بعد ٨ كم إلى الجنوب من مدينة اللاذقية إلى عشيرة واحدة تدعى /عشيرة فهد علي/ وهناك بيت مرعي ما بين /٧ ـ ٨ أسر/ وأن البعض من أسر بيت مرعي قد استقرت في بناء ثابت وأن البعض الآخر لا زال يعيش في الخيم التي غالباً ما تبنى على شكل ألواح. ويوجد في بلدة المعضمية التابعة لمدينة دمشق عائلة من بيت مرعي تعرف /عائلة أبو منذر أو أبو بسام/ ويتكون أفراد هذه الأسرة من /١٢/ نسمة وأن السيد منذر يخدم في القوات المسلحة كمجند. إن هؤلاء النَّوَرْ موجودون في منطقة الحفة منذ فترة تزيد عن /٧٠ سبعين عاماً/. حيث كانوا يعيشون في الخيام ويرتحلون من مكان إلى حياة الارتحال منذ عشر سنوات تقريباً. حيث الغالبية منهم اشترت أراضي في بلدة /منجبلا/ وعمّروا مساكن لهم واستقروا هناك، في حين استقر القسم الباقي منهم في بلدة /الهنادي/.

يعيش هؤلاء المطاربة في مساكن ثابتة مبنية من الاسمنت المسلح، ومخدّمة بالماء والكهرباء والهاتف. ويتزواج هؤلاء المطاربة من بعضهم فقط، فلا يزوجون بناتهم لغير أفراد عشيرتهم ولا يتزوج شبابهم إلى من بنات عشيرتهم حصراً. ولا توجد علاقة اجتماعية ما بين هؤلاء النَّوَرْ المطاربة وبين النَّوَرْ القرباط في منطقة اللاذقية حتى أنهم لا يحبون بعضهم، وتحاول كل فئة منهم أن تظهر نفسها على أنها الأفضل والأحسن وتصف الأخرى بالسوء:

١ -القرباط يقولون عن المطاربة إنهم جماعة متخلفين غير واعيين اجتماعياً لأنهم لا يسافرون إلى أوروبا، على عكس النَّوَرْ القرباط الذين يسافرون كثيراً. ويتهم القرباط المطاربة بأن شرفهم ليس عزيزاً عليهم.

٢ -أما النّورْ المطاربة بدورهم فإنهم يهزؤون من النَّوَرْ القرباط، لأنهم ما زالوا يعيشون عيشة الترحال، ويقولون عنهم: إنَّ القرباط جماعة لازالوا غُشَمَة متخلفين لا يعرفون معنى الحياة وطعم العيش المستقر الهادئ. كما ويقولون عنهم (أنهم غلاظ وأجلاف وقساة في التعامل خلال الحياة اليومية، وهذا بالفعل حاصل ولمسته بشكل محسوس عند القرباط. وخلاصة القول إن كلاً من القرباط والمطاربة ينظرون إلى بعضهم نظرة دونية فيها نوع من الازدراء.

ويبدو أن مطاربة اللاذقية يبدون جانباً ألين في عملية الزواج للفتاة من حيث المهر الذي غالباً ما يكون متناسباً حسب درجة الجمال التي تتمتع بها تلك الفتاة. وكما قال أبو ياسر أن المهر يتمشى وإمكانيات العريس المادية. وأن هناك مقدماً، وهناك مؤخراً بالنسبة للزواج. وزواج الخطفية حاصل لديهم لكنه لا ينتهي بحوادث قتل كما قال السيد أبو ياسر إلا في بعض الأحيان عندما لا يحاول أهل العريس الخاطف حل تلك المشكلة الاجتماعية عن طريق إرسال الوجهاء من عشائر النَّوَرْ إلى عند أهل الفتاة المخطوفة للتشاور سلمياً فإذا ما أثمرت تلك الجهود فإن المهر هنا يكون مضاعفاً.

لا يزوجون بناتهم للغرباء عنهم ولو دفع الشاب الغريب على حد قول أبو ياسر /مال السعودية/ ويسود عند المطاربة زواج المقايضة أو البدل /الداغيش/ وفي مثل هذا الزواج لا يكون مهر وإنما بنت مقابل بنت. والفتاة لا تستشار حول زواجها من هذا الشاب أو ذاك كما يقول أهلها.

ولدى هؤلاء النّورْ فرقاً للطبل والزمر تدعى إلى إحياء حفلات الأفراح في كل من حي /الهنادي ـ منجيلا/ بالإضافة إلى القرى الأخرى. ويحصلون مقابل الحفلة الواحدة والليلة الواحدة على مبلغ يتراوح ما بين /٢٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ل.س/. ويتوازع أعضاء الفرقة فيما بينهم بالتساوي. في عام ١٩٨٨م.

وعدد رجال الفرقة يكون ٤ أشخاص كي يتناوبون على قرع الطبل والفرق والعزف والزمر. ولا تشارك المرأة المطربانية بتلك الفرق الموسيقية فهي مقصورة على الرجال دون النساء.

أبو ياسر يعزف على الزمر في بيته وفي الحفلات التي يدعون لإحيائها من قبل سكان منطقة الحفة وتوابعها /١٩٨٦م/

ولقد كان المطاربة في الماضي وما زالوا يقومون بصناعة /الطبل ـ الربابة/ لكن حالياً أصبحت تلك المهنة لا تمارس إلا من قبل المتقدمين بالسن فقط لا بل صار من بين الأدوات الموسيقية التي يعزفون عليها كما شاهدت /آلة العود ذات الأوتار/ والتي تتشابه مع الأداة الوترية الخاصة بالنَّوَرْ التي تدعى البزق وأحياناً /الطنبورة/.

وأن هناك مثل شعبي طريف في منطقة /سلمية/ يقولونه كدلالة على الحالة المادية الفقيرة لهذا الشخص أو ذاك /والله أطفر من طنبورة/. إن المثل بمثابة مستحاثة أنتربولوجية حية حيث يعبر عن وضع اجتماعي مادي فقير لمن كان يعزف على هذه

الأداة من أجل الحصول على المادة آنذاك من السكان المحليين. وأن النَّوَرْ في بادئ الأمر كانوا شعّاراً أو قواصيد يرافقون العشائر البدوية في حلها وترحالها من أجل الحصول على مورد رزق لهم من خلال الأعطيات العينية التي كان يعطيها البدوي للنّوري عندما كان يمدحه ويعزف له على آلته الموسيقية الطنبورة (يحصل النّوري على الخراف وعلى السمن خلال حفلات الشوباش. وقد قال لي أحد الأشخاص أن الحجية كان لا تقبل الخروف أثناء الشوباش إلا إذا كان قادراً على إركاب طفل عمره يزيد عن عشر سنوات والدوران به سبع دورات حتى تقبل طمعاً بالمال الأكثر أثناء البيع. وكان قسم من سكان منجبلا في الماضي وبالذات /بيت الحسين/ يمارسون اللعب على الحبل المشدود وهذه المهنة تجعلهم - بهلوانيون. وأن السيدة /حسنة بنت حسين كانت تلعب على الحبل قبل زواجها من عبدو الرمضان الأحمد الذي كان يعيش في جسر الشغور في طفولته وحالياً يعيش في بلدة الشيخ مسكين وأولاده.

إلا أن حسنة قد تركته وطفلها. وقد لعبت حسنة آخر مرة على الحبل قبل زواجها بيوم واحد من عبدو الرمضان الأحمد في بلدة /افريكة/ التابعة إلى جسر الشغور. وأن إخوة /حسنة/ هم: محمود الحسين - زريف الحسين - جمعة الحسين، وهؤلاء حالياً يعملون بالدق على الطبل والعزف على الزمر. وكما قال السيد عبدو الرمضان الأحمد إن محمود الحسين ما كان أشطر منه واحد بالدق على الزمر. وينتمي جمعة وأولاده إلى بيت حزيق. والشيء الطريف أن مطاربة اللاذقية لا يتزوجون ثانية كما ادّعى أبو ياسر إلا إذا كان هناك سبب وجيه مثل حالات: العقم عند المرأة - الخيانة الزوجية من قبل المرأة إذا تم التأكد من ذلك حيث يحدث الطلاق من قبل زوجها. فإذا كان هذا الادعاء صحيحاً، فربما نتيجة تأثرهم بعناصر البيئة الاجتماعية المحيطة بهم، حيث الزواج ثانية يكاد شبه معدوم.

ويدين المطاربة بالإسلام ولكن الذي لمسته منهم أثناء زياراتي الميدانية لهم والتي صادفت شهر رمضان من عام ١٩٨٦ م. أنهم لا يتقيدون بالصوم وعندما يسأل الرجل النوري لماذا هو مفطر فإنه يجيب عن سبب إفطاره وأحياناً يتكلم عن سبب إفطاره دون سؤال محاولاً تبرير ذلك بالكلام الكاذب المصحوب بحجة واهية لدرجة لا يستطيع السامع من غير النَّوَرْ كشف هذا الكلام الكاذب (لا تآخذني أنا مفطر والله خيّو أنا

ساويت عملية قرحة في المستشفى من ١٥ يوم) وهو يكون متنقلاً بخيمته أكثر من مرة في هذه المدة القصيرة. أما المطاربة المستقرين في بيوت ثابتة إلى حدٍ ما يطبقون تعاليم الدين الإسلامي في الصلاة من قبل الكبار في العمر إلى جانب الصوم ولربما مهنتهم الطبل والزمر لها دور في ذلك إلى جانب أثر البيئة الاجتماعية التي تحيط بهم لا تتقيد بالصوم وبالصلاة كما يجب أن يكون ذلك. ويمكن القول أن النُّوَرْ بكافة فئاتهم يتظاهرون في الدين وهم لا يعرفون منه إلا القليل ولا يطبقون من تعاليمه إلا القليل.

فقد قال أحد المطاربة في بلدة /منجيلا/ أنهم لا يفتحون التلفاز لأنه يفسد الأخلاق وطعام هؤلاء المطاربة عاديٍ لكنهم يتناولون /الفليفلة التازة أو المكبوسة/ مع الطعام وخاصةً مع طبيخ البرغل بكميات كبيرة لدرجة أن الشخص الواحد من الرجال يمكن أن يأكل كمية تزيد عن ٥٠٠ غ كما ادعى /أبو ياسر/ ذلك لنفسه أثناء الحديث معه. والجدير بالذكر أن **قبائل البانجاراز في شمال الهند يستخدمون الفليفلة بطعامهم بكثرة لدرجة أنهم يعتبرونها تساهم في إطالة العمر للإنسان**. ومم يلاحظ أن النُّوَرْ المطاربة يحبون تعاطي المشروبات الروحية وخاصةً في وقت طعام العشاء وأن المرأة إلى حدٍ ما مهضومة الحقوق لديهم بالرغم من العمل الذي تقوم به من تربية للأطفال والتجول طيلة النهار من الصباح وحتى العصر بين أحياء القرى المجاورة للاستعطاء /الشحادة/. وأحياناً تستخدم المرأة المطربانية ظاهرة التنجيم وقراءة الطالع للنساء عندما تطلب منهن شيئاً ما سواء كان طعاماً أو دراهماً. وتعتبر النساء اللواتي لا ينجبن واللواتي لا يعش لهن أولاد واللواتي لا يعشن حياة استقرار مع أزواجهن، إلى جانب الفتيات الحالمات بالزواج والعاشقات هن مثابة الجمهور المفضل لدى المرأة النّورية أثناء دورانها وهي تشحد حيث تكشف لهن عن المستقبل من خلال كلمات منمقة تقولها.

كما أن المرأة المطربانية تأخذ أحياناً معها ملاعق - شكالات - أبر - دبابيس - لعب أطفال تبيعها إلى النساء والأطفال وهي تتجول بين أحياء القرى من دار إلى دار. وأن البعض من النساء المطربانيات يذهبن إلى الشارع ويبدأن بالتسول من أجل تأمين الطعام لأولادهن.

ويتكلم النُّوَرْ المطاربة في اللاذقية فيما بينهم باللغة الكردية إلى جانب اللغة العربية، ويقول السيد أبو وليد: أن النُّوَرْ في اللاذقية يتلكمون بالعربية فقط، في حين

التحدث بالكردية يتم عندما يوجد أناس عرب في حالة كون الكلام الذي يدور بينهم فيه نوع من السرية. وأن الأمية متفشية بين هؤلاء النَّوَرْ المطاربة. وأن معرفتهم باللسان النَّوري تكاد تكون ضعيفة وبخاصة عند الصغار بالسن.

- النَّوَرْ المطاربة في بلدة الحفة:

يعيش في أطراف بلدة - الحفّة - التابعة إلى مدينة اللاذقية مجموعة من النَّوَرْ المطاربة الذين يمتهنون الطبل والزمر، حيث يزيد عدد خيامها عن /١٤ خيمة/، ينتمي معظم أفرادها إلى بيت يدعى خضور /ويعرف بين مطاربة اللاذقية ببيت حنش/. وأن كافة بيت خضور في - الحفة - يعيشون في الخيام باستثناء السيد محمود حسين خضور والمعروف بـ أبو نجدت، يسكن في بيت ثابت مبني من الاسمنت المسلح في بلدة الحفة. وأن اسم ذلك الشخص هو: محمود عبد الله /أبو الزين/ هذا عام ١٩٨٨م.

ويتكلم بيت خضور اللسان الكردي فيما بينهم شأنهم بذلك شأن كافة النَّوَرْ المطاربة في الساحل وفي منطقة القامشلي والمالكية. ويعرف النَّوَرْ المطاربة جميعاً وبدون استثناء اللسان النَّوري /الضوم/. كما أن كافة النَّوَرْ المطاربة يتقنون التحدث بالعربية، وأن غناءهم كله بالعربية عندما يدعون إلى إحياء الحفلات والأفراح. وتغلب عليهم لهجة أهل الساحل شأنهم بذلك شأن النَّوَرْ في أي منطقة يتواجدون فيها حيث يتقنون لهجة الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه.

النَّوَرْ في مدينة جبلة (قرباط) : عام ١٩٨٦م.

يوجد في مدينة جبلة /حي النقعة/ الواقع إلى الشمال الشرقي من الملعب البلدي مخيم لمجموعة من النَّوَرْ يزيد عدد الخيام فيه عن الأربعين خيمة. ويطلق هؤلاء النَّوَرْ على أنفسهم تسمية قرباط. وقد جاء هؤلاء القرباط من بلدة سراقب منذ أكثر من عشرين عاماً. ويقول هؤلاء القرباط أنهم قد جاؤوا إلى سراقب من تركيا. وبعد التأكد من المنطقة التي جاؤوا منها من تركيا اتضح لي أنهم قد جاؤوا من منطقة لواء اسكندرون العربية الذي يخضع للاحتلال العثماني التركي. وقد كان آباؤهم يخيمون في بلدة اسمها الريحانية في فصل الشتاء بينما ينتقلون في الصيف وفي الخريف في أراضي منطقة اللواء العربي في الأراضي التركية.

ومن العائلات القرباطية التي تسكن في حي النقعة من مدينة جبلة: عائلة الشريطح - الأحمد - محمد خير - أبو غازي - عائلة أبو محمد.

- البنية الاجتماعية للنور القرباط في جبلة:

إن القرباط بصورة عامة هم أشد فئات النَّوَرْ تمسكاً وتعصباً للعادات والتقاليد النَّورية القديمة إذا ما قارناهم مع الفئة الثانية من النَّوَرْ والذين يسمّون /بالنَّوَرْ المطارية أو الرياس أو الطبالين/ في منطقة الساحل العربي السوري ومنطقة لبنان ومنطقة حمص، أو القرج في المنطقة الشمالية الشرقية /الجزيرة/ من سوريا أو النَّوَرْ في حوران والأردن أو النّور الكاولية /كاولي/ في الغالبية العظمى في العراق، والصُّلب في السعودية والشرشنية في دول الخليج العربي والصلبي في الكويت، والحلب في السودان.

وتعتبر المرأة بصورة عامة عند كافة فئات النَّوَرْ دون استثناء خاضعة خضوعاً كاملاً للعادات والتقاليد الاجتماعية للمجتمع النَّوري قياساً بالرجل كما أن حياة المرأة النَّورية بصورة عامة تكاد شبه معدومة في نسيج العلاقات الاجتماعية داخل الخيمة وفي المخيم الذي تعيش فيه وأهلها، حيث الكلمة الأولى والأخيرة للرجل. والشيء الذي

لمسته في زياراتي الميدانية: أن الرجال والنساء عند النَّوَرْ سواء أكانوا مستقرين أو مرتحلين مفصولين عن بعض لدرجة أن الطعام عندما يقدم ويكون هناك رجل غريب عندهم يأكل الرجال أولاً ومن ثم النساء (علماً أن الجميع يكونون في خيمة واحدة) أو كل من النساء والرجال يأكلون على حدة حيث الأطفال دوماً إلى جانب النساء. والنَّوَرْ الذين يطلقون على أنفسهم، أكراداً /أي الذين يتكلمون اللغة الكردية/ فهم كثيرو الكلام وبصوت مرتفع وبدون انتظام عندما يقدم الطعام وبصورة خاصة النَّوَرْ الأكراد الذين مازالوا مرتحلين /في حالة ترحال دائمة/.

وأن الشيء الملموس لمن هو على اطلاع على البنية الاجتماعية عند جماعات النَّوَرْ: أن النَّورْ القرباط في منطقة الساحل ولبنان أكثر ليناً من النَّوَرْ القرباط في المناطق الاجتماعية من القطر العربي /حلب وتوابعها/ اتجاه العلاقات القائمة ما بين الشخص القرباطي من جهة وبين المؤسسات الاجتماعية التي تنتظم من خلالها سلوكية ذلك الفرد في الحياة اليومية.

فالفتاة القرباطية من قرباط الساحل في كل من جبلة واللاذقية تشارك إلى حد ما في اختيار الشاب الذي سيكون زوجاً لها في المستقبل. أو على الأقل يؤخذ رأيها. إذا ما تقدم لها أحد الشباب، في حين تزوج الفتاة عند قرباط حلب وخاصةً في منطقة عفرين دون أن يؤخذ رأيها فإذا ما قال الوالد نعم لأهل الشاب الذي تقدم لطلب يد ابنته فإن الزواج يتم وإن لم يكن هناك رغبة في ذلك عند البنت.

وتزوج الفتاة عند قرباط الساحل مقابل مهر يكثر أو ينقص حسب الدرجة الجمالية لتلك الفتاة. يقول السيد بركات شريطح من قرباط جبلة: إن المهر عند القرباط في جبلة يزداد كلما كانت البنت جميلة وينقص ذلك المهر كلما كانت البنت غير جميلة. يأخذ الوالد المهر كاملاً لنفسه ولا يعطي ابنته إلا ما تجود به نفسه. كما أن تحديد المهر يرتبط مع الوضع المادي عند أهل العريسين فإذا ما كانت البنت من أسرة غنية أو ابنة لمختار (أي رئيس العشيرة) فإن المهر في هذه الحالة سيكون كبيراً. ويقول السيد بركات شريطح: أن القرباط في الساحل أكثر وعياً من النَّوَرْ المطاربة في الساحل بشكل خاص فيما يتعلق بوضع المرأة بصورة عامة وهذا حاصل فعلاً من خلال الواقع الذي لمسته وسبب ذلك يعود برأينا:

١ -القرباط في سفر دائم إلى خارج القطر العربي سواء كان إلى الدول الأوروبية أو الآسيوية أو الأمريكية، في حين جماعات النُّوَرْ المطاربة في الساحل لا يسافرون إلى خارج القطر، حيث المرأة تشارك في الحياة الاقتصادية والاجتماعية مثل الرجل.

٢ -التأثر بالبيئة الاجتماعية لسكان منطقة الساحل بصورة عامة وهذا بنظري هو الأهم. وأن هذا التأثر الذي ساهم في زيادة الوعي الاجتماعي عند النُّوَرْ في الساحل عامة. وأن الفضل كل الفضل في الميل إلى التسامح عند القرباط في جبلة وبقية منطقة الساحل وعند المطاربة أيضاً اتجاه ما يحدث من خَرْق لبعض الأعراف والتقاليد الاجتماعية عند النُّوَرْ في الساحل يعود برأينا إلى:

إلى عدم وجود علاقات اجتماعية عند السكان في المنطقة الساحلية وفي لبنان ذات طابع قبلي، وذلك على عكس من البنية الاجتماعية لسكان الغالبية العظمى للمناطق الداخلية في القطر العربي السوري حيث العصبية القبلية تكبل الكثير من حرية الفرد لا بل أحياناً أن الشخص المنتمي إلى عشيرة صغيرة تُهْضَم حقوقه هو وعشيرته من قبل العشائر الكبرى لمجرد أن تلك العشائر أكثر عدداً برجالها.

- طقوس دفن الموتى:

ينظر القرباط في جبلة نظرة مليئة بالرعب والخوف والحزن اتجاه الميت لدرجة أنهم يرهبون الوفاة، ويتم غسل الميت وتكفينه حسب الطريقة الإسلامية ويصلون عليه صلاة الجنازة قبل دفنه. وعند السؤال عن عدد الأكفان بالنسبة للشخص المتوفي إذا كان متزوجاً بغض النظر إذا كان رجلاً أم امرأة كان الجواب: أنهم يكفنونه بكفن واحد بصرف النظر عن عدد الأزواج أو الزوجات في حياة الإنسان المتوفي. إن في هذا القول شكٌ كبير، لأن القرباط كافة، يكفنون الميت بعدد أكفان زيجاته وبخاصة إذا كان المتوفى امرأة.

وترتدي النسوة اللباس الأسود في فترة الحداد، وبخاصة أثناء زيارتهن لقبر المتوفي وتكون فترة الحداد أطول أو أقصر على ضوء مكانة الشخص الميت وعمره؛ فإذا كان الميت شاباً كانت فترة الحداد عليه أطول أما إذا كان متقدماً بالسن فلا يحدّون عليه كثيراً لاعتقادهم بفكرة مفادها /أن الإنسان الكبير بالعمر عندما يموت قد أكل عمره/.

وفي الأعياد يزورن موتاهم بباقات الورود /الريحان أو الآس/ وهم بهذه العادة متأثرين بعادة زيارة الموتى بالورد عند أهل الساحل وخاصة إذا كان الميت لا زال حديث الوفاة /السنة الأولى من وفاته/.

امرأتان في لباسهن الأسود الطويل والمحتشم أمام مخيم القرباط في مدينة جبلة /لباس الحزن ١٩٨٦م/
كان عندهم حادث وفاة لرجل متوسط العمر.

ويعتبر القرباط مجتمعاً قبلياً حيث لا زالت عادة الأخذ بالثأر سائدة لدى قرباط منطقة اللاذقية وجبلة. وليس شرطاً أن يتم قتل القاتل من قبل أهل المقتول، وإنما يتم قتل أي شخص يمت بصلة قربى بالدم للقاتل الذي لم يستطيعوا الوصول إليه كظاهرة سداد مقابل الشخص المقتول في المفهوم العشائري البعيد عن الأخلاقية الانسانية. وأن ظاهرة الثأر موجودة بصورة عامة في المناطق الداخلية من القطر العربي السوري باستثناء منطقة الساحل التي تخلصت من تلك المؤسسة الاجتماعية غير العادلة، والظالمة اجتماعياً.

ـ النمط المعيشي:

يعيش قرباط منطقة جبلة حياة متنقلة وغير مستقرة، مما يعرقل انتشار التعليم بين أبنائهم بالرغم من أنهم جميعاً مسجلون في السجلات المدنية، وأن القسم الأكبر منهم يحملون بطاقات سفر دولية يستخدمونها من أجل السفر إلى أوروبا أو إلى بقية أقطار الوطن العربي.

ويسكن هؤلاء القرباط في الخيام كما ذكرنا سابقاً. ففي الصيف يتنقلون بين قرى الريف لمنطقة جبلة وتوابعها بحثاً عن العمل وتأمين الموارد المالية لتأمين حاجاتهم. ومن البديهي أن تخرج المرأة خارج بيتها من أجل الاستعطاء /الشحادة/ في الصيف أثناء الترحال، وفي فصل الشتاء يتجمعون في أماكن عامة غير مستعملة كي يضربوا بها خيامهم على شكل مخيمات طيلة فصل الشتاء والربيع. عام ١٩٨٧م.

مخيم لجماعة النَّوَرْ القرباط في /حي النقعة/ إلى الشمال الشرقي من الملعب البلدي في مدينة جبلة /١٩٨٦م/

إن هؤلاء القرباط محرومون من الماء والكهرباء في خيامهم. لكن الذي شاهدته أن الغالبية منهم توجد في خيامهم المولدات الكهربائية من أجل الإنارة ليلاً ومن أجل تشغيل أجهزة /الرائي/ المهربة عندهم. ويحصلون على الماء من البيوت القريبة منهم

حيث تحمل نساء القرباط الماء على رؤوسهن أو في أيديهن بواسطة صفائح من البلاستيك ذات فتحات صغيرة لها أغطية يتم سدّها بها عن طريق المسننات الحلزونية.

ـ الأعمال التي يمارسها الرجال:

يزاول الرجل القرباطي في منطقة جبلة وفي بقية أنحاء القطر العربي السوري مهنة تركيب وتلبيس الأسنان بصفائح معدنية رقيقة من /الذهب ـ الفضة ـ البلاتين الأبيض/. أما في الماضي فقد كان القرباط في جبلة يمارسون صناعة الغرابيل والكرابيل والمذارة... إلخ.

ويضطر القرباط في اللاذقية وفي جبلة إلى السفر إلى خارج القطر بحثاً عن العمل بواسطة مهنة /تركيب وتلبيس الأسنان/ وخاصةً إلى /إسبانيا ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ البرتغال/ ويسافرون إلى بقية أجزاء الوطن العربي حيث المردود المادي لممارسة مهنتهم هناك. كما ادّعوا ذلك لأنفسهم..؟

أما الأطفال الصغار من القرباط لا يذهبون إلى المدارس وهذا ما يدفعهم إلى مزاولة الأعمال اليدوية مثل: مسح الأحذية في الشوارع أو بيع بعض المواد المهربة مثل: المسكة، العلكة، الدخان، الدربكة، ويكثر هؤلاء الأطفال في المرافق العامة للمدينة مثل: مواقف السيارات العامة (الكراجات) ـ وأمام الفنادق ـ أمام الأماكن الأثرية.

مجموعة من الأطفال يمارسون عمل /مسح الأحذية/ في شوارع مدينة جبلة /١٩٨٦م/

أما العمل الذي كان يمارسه الرجل القرياطي في الماضي ولفترة لا تزيد عن /١٥/ عام مضت هي مهنة صناعة الغرابيل ـ الكرابيل ـ المذارة.... إلى جانب بقية الأدوات الزراعية التي كان يحتاجها الفلاح في البيادر أثناء مزاولة عمل دراسة القش من أجل فصل التبن عن الحب.

ويمكننا القول أنه إلى الآن الكبار في السن من القرياط في منطقة الساحل لا زالوا يقومون بصناعة الأدوات الزراعية المذكورة بعد أن صاروا يحصلون على الجلد من المسالخ العامة للدولة وهذا ما لاحظته بنفسي أثناء الزيارات الميدانية لجمع المعلومات الأولية عن أحوالهم المعيشية والاجتماعية والصحية والتعليمية.

ـ عمل المرأة:

تقوم المرأة بتربية الأطفال إلى جانب تحضير الطعام والخروج من أجل الاستعطاء /الشحادة/ ولكن بشكل أخف عما كان في الماضي ويعود هذا إلى زيادة في دخل الرجل مع زيادة الأعباء التي صارت مترتبة عليه اتجاه أفراد عائلته، فالرجل صار يؤمن بقرارة نفسه أن عليه واجباً اجتماعياً اتجاه أفراد أسرته. ومن أجل القيام بالواجب الاجتماعي المذكور من قبل رب الأسرة صار الرجل يجد نفسه مضطراً بأن يعمل يومياً لتأمين متطلبات الحياتية لأفراد أسرته.

أما بالنسبة لظاهرة التعليم عند القرياط في الساحل تكاد تكون شبه معدومة بالرغم من أنهم مسجلون في السجلات المدنية ويساعدهم على زيادة نسبة التعليم بين أطفالهم التعليم الإلزامي بالنسبة للمرحلة الابتدائية في القطر العربي السوري.

ويعود السبب إلى عدم انتشار التعليم بين صفوفهم إلى النمط المعيشي غير المستقر المعتمد على الترحال من قرية إلى أخرى، وإلى عدم قناعتهم بفائدة التعليم، وإمكانية تحسين مستواهم المعاشي، إضافة إلى حجز قسط من حريتهم.

عدد من الأطفال الصغار من النَّوَرْ القرباط في مدينة جبلة أمام أحد الخيام وعلى يمينهم تلميذ في الصف الثاني يجيد اللغة العربية التي يتعلم بها ويجيد في نفس الوقت التحدث باللغة النّورية : القرباطية.

ـ اللغة عند القرباط:

ان اللغة التي يتلكم بها القرباط في منطقتي اللاذقية وجبلة فيما بينهم هي اللغة القرباطية أي اللغة الأم للنورْ والتي يطلقون عليها اللسان النّوري /ضَّوم واري في اللغة القرباطية النّورية/. وبالتالي يمكن أن نسمي اللغة الأم للشعب النوري باللغة /الضّومية/ لأن كلمة /ضَوم/ تعني نوري باللغة النّورية ويلفظها العرب على النحو التالي /دُومْ/. حتى ان هناك أغنية شعبية في حوران يغنيها الأطفال يقولون فيها /عَالدّوم عيني عالدّوم واللّي اجْوزتْ اليوم صارت حُبْلى وزَعْلانة/. لربما أن كلمة /الدّوم/ في الأغنية تعني الشخص النّوري. ويؤكد ذلك مضمون الأغنية التي تشير إلى سلوكية مفعمة بالعصبية والمزاج السريع الغضب والقائم على كثرة الخلافات وسهولة نشوبها بين المتحدثين أو بين الجالسين معاً عند جماعات النّوَرْ بغض النظر عن الانتماء المهني لهم.

كما يوجد في المنطقة الجنوبية من سوريا /حوران/ تعبير لغوي عامي يشير مضمونه إلى عدم وجود أناس في البرية عندما يكون الإنسان في الخلاء لوحده إما

للعمل أو ذاهباً إلى قرية ثانية /والله ما في الدّومري/ أو /والله ما كان هناك الدّومري/ إن كلمة الدومري هي نفس لفظة كلمة /ضَوّم وَارِي/ وتعني الإنسان النوري.

إن وجود مثل هذا القول في المنطقة الجنوبية من سوريا ما هو إلا ترجمة لظاهرة الترحال عند جماعات النُّوَرْ في وقت الظهيرة عندما لا يوجد أحد من الفلاحين خارج قريته هروباً من شدة الحر. كي يؤكد الشخص الذي كان خارج قريته أنه لم يكن في المنطقة من البرية التي كان فيها آنذاك أي شخص ما عندما يسأل هل كان هناك أحد أو هل رأيت أحد فيجيب: /والله ما كان الدّومري هناك، أو والله ما كان هناك صَافِرْ النّار/. ومما يجدر ذكره: أن هناك عائلة في مدينة دمشق تُكنّى بعائلة (الدومري)[1].

وتتكون اللغة القرباطية النورية من مفردات تدخل فيها المفردات العربية والفارسية وأحياناً التركية واليونانية لكن القسم الأعظم من تلك المفردات تتكون من لغات شمال الهند وفي مقدمتها لغة جماعة يقال لهم هناك / الدُّوم ـ DOM/ وتشترك مع اللغة الأوردية التي يتكلم بها القسم الشمالي من الهند الذي يُدعى بـ /هندستان/:

وهذه بعض الكلمات من تلك اللغة الضومية:

بنت جميلة:	طرنيه ستوري ويقولون أيضاً لا فتي أبُخيزي.
أنا ذاهب للعمل:	كاميم كاموه.
أنا سآكل:	كاغا ميم
أن سأنام:	كاسفت يوم.
أم:	ليدا.
أخ:	بّار.
أخت:	بن.
أب:	كيبا.
كلب:	سنوطا.
باني:	ماء.
بنت:	لافتي.

١ - هذه المعلومة عن السيد عدنان درويش من بلدة سقبا – ريف دمشق.

خيمة:	اكري.
بيت إسمنتي مسلح:	عماروه بزي.

ويتكلم هؤلاء القرباط إلى جانب لغتهم الأم اللغة الكردية واللغة التركية إلى جانب اللغة العربية وأن الذين يسافرون إلى أوروبا يعرفون التحدث باللغة الفرنسية أو الإنكليزية.

ـ النَّوَرْ في مدينة بانياس /مطاربة/:

يعيش في منطقة بانياس الساحل مجموعة من النَّوَرْ يطلقون على أنفسهم تسمية /مطاربة/. وينقسم هؤلاء إلى عائلات يتجاوز عددها الست عائلات وهي: بيت حسو ـ حمادي ـ خضور ـ عميش ـ درويش، وتُعتبر عائلة بيت الأخرس هي أكبر العائلات النَّوَرية في مدينة بانياس وأطرافها إذ يزيد عدد خيامها عن /٢٥/ خيمة، ويلي بيت الأخرس في العدد بيت خضور وعدد خيامهم تزيد عن /١٨/ خيمة، ومن ثم بيت حسو وعدد خيامه /٩/ خيام، وكذلك بيت عميش /٩/ خيام، ويمكن أن نقول أن عائلة درويش هي الأصغر من حيث العدد هي وعائلة حمادي حيث لا يتجاوز عدد خيام كل منهما عن ست خيم فقط. ويمكن أن يقدر عدد أفراد تلك العائلات النَّورية في بانياس ما يزيد عن /٧٠٠ شخص/ بصورة إجمالية.

إن جميع عائلات النَّوَرْ المذكورة لا زالت تمارس مهنة /الطبل والزمر/ بصورة رئيسية إلى جانب مهن أخرى ذات جهد عضلي مثل: حمل الأثقال ـ العمل المأجور في جني المحصول إلى جانب الاستعطاء /الشحادة/ من قبل المرأة. كما أن هناك البعض من تلك العائلات تزاول مهنة تركيب الأسنان. كما أن هؤلاء النَّوَرْ لا زالوا يعيشون في الخيام حيث الارتحال والتنقل صيفاً بين قرى منطقة بانياس باستثناء جزء ضئيل منهم قد استقر في بيوت إسمنتية في /حي رأس النبع/ الواقع إلى الجنوب الشرقي من بانياس /شرق الفرن الآلي/ مثل: أبو عمر حميدوش، الشيخ درويش الملقب بـ ـ أبو أحمد ـ يملك بيتاً في حي رأس النبع ولكن على الطريق العام بانياس طرطوس، كما أن السيد أحمد بن الشيخ يملك بيتاً إسمنتياً إلى جانب والده.

أما المناطق التي تتواجد فيها خيام النُّوَرْ في بانياس بصورة عامة وخاصة في فصل الشتاء هي:

١ - منطقة سوق الهال الواقع في الجزء الجنوبي من مدينة بانياس. ويسكن هنا عائلات: حسّو - عميش - الأخرس - الكريدش.

٢ - المحطة الحرارية الواقعة إلى الجنوب من مدينة بانياس، حيث يضرب النور المطارية خيامهم إلى الشرق من تلك المحطة الحرارية المولدة للكهرباء.

٣ - منطقة /رأس النبع/ يتواجد هناك عائلات حميدوش- درويش.

إن هؤلاء النُّوَرْ ليسوا جميعاً مسجلين بالتسجيلات المدنية:

١ - عائلة: خضور - حمادي - الدرويش، هؤلاء كلهم مسجلون في السجلات المدنية التابعة لمنطقة بانياس الساحل.

٢ - أما عائلات: حسو - عميش - الأخرس - حميدوش، نجد البعض منهم مسجل في سجلات النفوس والبعض الآخر غير مسجل في النفوس. وإذا ما أراد أحدهم السفر أو الانتقال إلى خارج مدينة بانياس عليه أن يرجع إلى المختار من أحياء مدينة بانياس ليأخذه كإثبات خطي أنه من نور مدينة بانياس وعلى الإثبات مهر المختار والشرطة المدنية في نفس الوقت.

ويترتب على عدم تسجيل هؤلاء في السجلات المدنية حرمان الأطفال من حقهم في التعليم الابتدائي بالإضافة إنهم محرومون من البطاقات التموينية، كما لا يحق لهؤلاء السفر إلى خارج القطر العربي السوري لعدم إمكانية حصولهم على جوازات سفر. وأن الشيء الذي يترتب على عدم التسجيل في السجلات المدنية بشكل رسمي عدم إمكانية المغادرة إلى الخارج من أجل العمل والحصول على دخل أفضل كما هو الحال عند من يملك جوازات سفر يتم بواسطتها السفر إلى الخارج.

الزواج عند النُّور المطارية في منطقة بانياس: ١٩٨٩م

يتم الزواج عند النُّوَرْ في منطقة بانياس عن طريق خطبة الفتاة من أهلها من قبل الشاب المعجب بها فإذا ما تمت موافقة الأهل على تزويج ابنتهم يتفاوض الطرفان على تحديد مبلغ المهر الذي يتراوح ما بين /٢٠ - ٢٥/ ألف ليرة سورية يدفعه أهل العريس

كثمن للعروس، وقد يصل المهر إلى /٤٠/ ألف ليرة سورية حسب جمال الفتاة. وقد قال أحدهم أن المهر في الماضي كان يتراوح ما بين ٣ ـ ٥ نيرات ذهب وأحياناً حماراً أو طبل وبعض الجلود إذا كان والد العروس بحاجة إليها.

والزواج عند مطاربة /بانياس/ كما قالوا يبدأ بسن الثامنة عشرة من العمر بالنسبة للشاب. أما بالنسبة للفتاة يبدأ من سن السادسة عشرة من العمر. إلا أننا نجد بعض الحالات حيث يكون الزواج قد وقع في عمر أصغر مما ذكرنا وخاصةً الفتاة.

أما إذا كان الولد وحيداً لأبيه فإن الأهل هنا يزوجون ابنهم منذ سن الخامسة عشر من العمر أملاً في مجيء أطفال يعوضون لهم ما لم يتحقق للأهل من إنجاب أولاد أو ذكور وهم في سن الإنجاب /الإخصاب/[1]. وفي معظم الأحيان أن الفتاة النورية لا يؤخذ رأيها من قبل أهلها عند تزويجها من هذا الشاب أو من ذلك، ولا تزال هذه العادة موجودة عند عشيرة /الأخرس/ حيث تتزوج البنت حسب رأي أهلها وليس حسب رأيها.

لكن لا يمنع من حدوث حالات زواج تتم حسب رغبة البنت حيث تعطى لمن تحبه إذا ما تقدم لها ذلك الشخص الذي يعيش خياله في قلبها.

وللزواج ضوابط تتحدد من خلال البنية الاجتماعية للنور بصورة عامة تكاد تكون مشتركة عند كافة فئات النَّوَرْ بغض النظر عن العمل الذي يمارسونه:

١ -الفتاة غير المتزوجة مطالبةٌ بالحفاظ على غشاء البكارة حتى ليلة زفافها. وقد حصرت كافة فئات النَّوَرْ شرفها وكرامتها في ذلك الجزء من جسد المرأة شأنهم بذلك شأن كافة المجتمعات البشرية ذات البنى الاجتماعية التي تتخذ من العصبية القبلية أرضية صلبة في تحديد العلاقات الاجتماعية ما بين أفراد هذه الجماعة من جهة وما بين أفراد تلك الجماعة ككل مع أفراد الجماعات الأخرى. وإذا تبين للعريس أن عروسه غير باكر يحدث ما يلي:

١) إما أن يعلم أهله بذلك وهؤلاء بدورهم يعلمون أهل العروس، فإذا ما أراد العريس إبقاء عروسه عنده على عيبها الاجتماعي حسب عرضهم، يتوجب على أهل العروس إرجاع نصف المهر إلى العريس.

---

(١) الخصوبة عند المرأة تتحدد ما بين العمر ١٥ سنة وحتى ٤٥ سنة، وبالتالي فإن كافة النساء ذات الأعمار ما بين ١٥ – ٤٥ سنة هن يشكلن فاعلية الخصوبة لأي جماعة بشرية.

٢) إذا لم يرد العريس إبقاء عروسه عنده، فإنها ترجع إلى عند أهلها، وعلى الأهل في مثل هذه الحالة إرجاع المهر كاملاً إلى العريس، ويمكن للعريس في مثل هذه الحالة أن يطلب أخت العروس الباكر من أهلها إذا ما وافقت تلك الفتاة الزواج من عريس أختها غير الباكر، كما أن الأهل في مثل هذه الحالة يرون من حق العريس الطبيعي أن يتزوج من ابنتهم الباكر إذا كان هناك بنات لدى أهل العروس.

٣) يحدث أحياناً قتل العروس غير الباكر من قبل أهلها /لأن العار لا يمحوه إلا الدم/ كما يؤمن النَّوَرْ بذلك دون استثناء أي ملّة منهم، لكن للحقيقة يجب القول:

أنه من النادر جداً أن تتزوج فتاة وهي غير باكر لأنها تعرف أن الموت حليفها في هذه الحالة فهي تحرص كل الحرص على المحافظة على غشاء البكارة حتى الزواج. وبعد الزواج يمكن أن تتصرف كما تريد عندما تترك خيمة زوجها من أجل الاستعطاء بين أحياء القرى والمدن.

كما يوجد زواج الخطيفة بين /المطارية في بانياس/ وأن الأهل على استعداد أن يقتلوا العريس والعروس إذا ما استطاعوا اللحاق بهم عندما يغادران من أجل اللحاق غير الشرعي، وحسب العرف العشائري عند جماعات النَّوَرْ أن أي رجل من أقارب البنت الخاطفة يحق له قتلها وقتل من ذهبت معه من أجل الخطيفة دون أن يحاسبه أحد وخاصةً أهل الخاطف وإن قُتل ابنهم.

ولكن الذي يحدث حالياً في حالات زواج الخطيفة أن الرجال الطيبين من وجهاء النَّوَرْ يعملون وبإخلاص من أجل حل تلك المشكلة سلمياً. وإذا ما كللت جهودهم بالنجاح يتم دفع المهر مضاعفاً أو أكثر من قبل أهل الخاطف.

أما قرار القتل للفتاة الخاطفة لا يقدم عليه إلا والدها، فهو الذي له الحق أن يقتل ابنته اتجاه فعلتها بعدم المحافظة على بكارتها، أو هو الذي يصفح ويقبل حل المشكلة بالمال وإذا ما قرر الأب قتل ابنته الخاطفة التي جلبت له العار على الفور يقوم الابن الأكبر بقتلها.

وأن البنت الخاطفة والمقتولة لا تغسل ولا تلف بالكفن وإنما تدفن على الفور بالقبر بعد أن تحمل على الأكف من قبل أفراد عشيرتها التي تنتسب لها بالدم. وهم يهتفون بصيحات القتل لمن تقوم في تلك الأعمال. وقد قال البعض أن أم الفتاة

المقتولة غالباً ما تشجع على قتلها، لا بل تطلق صيحات الفرح والزغاريد عندما تسمع بنبأ قتلها. وأن عدم غسيل المقتولة في مثل هذه الحالة قبل دفنها اعتقاداً منهم أن الدم الذي سال من جسدها بعد قتلها سواء بالرصاص أم بالخنجر هو الذي غسل عار الجسد الذي ارتكبته قبل زواجها وهي باكراً عند أهلها.

٣ - إذا خطفت امرأة متزوجة من عند زوجها يحدث ما يلي:

- يحق لذلك الزوج إرجاع زوجته إليه وأن أهل تلك المرأة يساعدونه على ذلك، وهنا العملية تتوقف على رغبة الزوج الأول في إرجاع زوجته الخاطفة إليه.

- أما إذا لم يرد إرجاع زوجته الخاطفة إليه يترتب على الأهل دفع المهر الذي كانوا قد أخذوه منه عند خطبتها منهم وذلك بشكل كامل غير منقوص. وأن الأهل في هذه الحالة يطالبون الرجل الخاطف بدفع المهر المضاعف إذا لم تحدث عملية قتل لتلك المرأة الخاطفة من قبل أهلها.

٤ - الفتاة الباكر التي تتزوج ويتضح لزوجها أنها غير باكر لا يتم قتلها من قبل أهلها إلا بعد معرفة الرجل الذي نام معها وفضّ غشاء بكارتها بغية مطالبة عشيرته بحقهم العشائري الذي يقود إلى قتل الجاني مع تلك الفتاة. ويسود عند نور بانياس زواج البدل أي زواج الداقيش/ فتاة مقابل فتاة. وفي مثل هذه الحالة لا يدفع المهر بسبب عملية المقايضة التي تمت بين أهل الفتاتين.

فتاة حسناء من عائلة /درويش/ قد دفع مهرها /٤٠ ألف ليرة سورية لأهلها/ ١٩٨٦م

ويتكلم النَّوَرْ في منطقة بانياس فيما بينهم باللغة الكردية الخليط من التركية والعربية وبعض المفردات الهندية. وقد اكتسب هؤلاء النَّوَرْ اللغة الكردية لأن أجدادهم عاشوا في الماضي في منطقة يتواجد فيها أناس محليون يتكلمون اللغة الكردية. كما أنهم يعرفون اللغة النَّوَرية/الضومية: العصفورة/ حسب تعبيرهم لكن بشكل نسبي فالكبار يعرفونها بشكل جيد على عكس الأجيال الصغيرة التي لا تعرف مخزوناً كبيراً من مفردات تلك اللغة /الضومية/.

ويعتنق نور الساحل وخاصةً نور منطقة بانياس الديانة الإسلامية، ويقول هؤلاء النَّوَرْ أنهم يصومون ويحجون البيت ويصلون. كما أن سكان المنطقة في بانياس يشهدون للنور بأن هناك البعض منهم يصلي وفي شهر رمضان يصومون جميعاً الصغار والكبار. أما أنهم يؤدون فريضة الحج فربما يذهب البعض من أجل المتاجرة ومزاولة بعض الأعمال المهنية أثناء فترة الحج في العربية السعودية.

والشيء الملاحظ عند نور بانياس أنهم لا يشتمون بلسانهم /الله ـ محمد ـ الدين/ ويعتبرون ذلك عملاً منكراً يجب الابتعاد عنه. وقد لاحظت هذه الظاهرة عند كافة فئات النَّوَرْ في كافة المناطق من سوريا (يكرهون الشتائم ذات الطابع الديني) لا بل يحلفون بالله وبالقرآن إلا أن كلمة القرآن يلفظونها /القُرْعَان/.

ونجد البعض من نور بانياس لا يصلون ولا يصومون وحتى ولا يعتقدون بشيء اسمه ديانة مثال: السيد جميل الكريدش (لماذا نصوم حتى تجوع بطوننا) ولا يحجون بصورة إلا ما ندر، وأن النور يلتزمون بختان الذكور.

ـ النمط المعيشي للنَّور في منطقة بانياس:

إن العمل الذي يمارسه الرجل من نور منطقة بانياس يختلف حسب العشيرة التي ينتمي إليها:

١ -إن أفراد عشيرتي /خضور ـ حمادي/ يعملون حالياً في تلبيس الأسنان، وأنهم يحصلون المواد الأولية من أجل ممارسة تلك المهنة من خارج القطر العربي السوري وخاصة من الدول الأوروبية لأنها ذات قيمة أرخص /فرنسا ـ بريطانيا/. وأن المرأة في هاتين العشيرتين لا تمارس مهنة الاستعطاء أو الشحادة كما قال الرجال، لكن الكثير من الرجال النَّوَرْ قد أكدّوا: أن كافة النساء عند النَّوَرْ يشحدن وإن تظاهروا بأن نساءهم لا تشحد.

وقد جاء أفراد عائلتي /خضور ـ حمادي/ من بلدة /سراقب/ التابعة إلى إدلب وذلك منذ /١٥/ عاماً ومنذ تلك الفترة وهم يعيشون في منطقة بانياس، وأن النساء من عشيرتي /خضور وحمادي/ لا تمارس مهنة الرقص والغناء.

٢ -أما الرجال من العائلات: الأخرس ـ حسو ـ عميش، وخاصةً الشباب منهم فهم يزاولون العمل العضلي المتعب: العمل في معامل البلوك ـ ممارسة العتالة (حمل الأحمال الثقيلة) ـ العمل في معامل بواري المدافئ. وفي حمل صناديق الخضار والفواكة. وقد كان هؤلاء في الماضي يعملون في نسج السلال والحصر وصناعة خيم القش.

ويزاول بعض الرجال من تلك العشائر السابقة وبمساعدة نسائهم صناعة الغرابيل ـ السكاكين ومحافر الكوسا والباذنجان، وتمارس نساء هذه العشائر الثلاثة مهنة الاستعطاء اليومية /الشحادة/. فالمرأة النورية تذهب في الصباح إلى القرى المحيطة في بانياس للتجول بين أحيائها (طيرو ـ بارمايا) من أجل بيع الأدوات التي صنعت في الخيام من قبلها ومن قبل رجالهن. وتأخذ المرأة النورية في عملية البيع تلك الأدوات: الرز ـ البرغل ـ السكر ـ الزيت ـ الزيتون.

أما أطفال عائلات /الأخرس ـ حسو ـ حمادي ـ عميش/ فإنهم يرتدون الملابس الوسخة والممزقة ويجوبون شوارع بانياس من أجل الاستعطاء /الشحادة/ كما أن القسم الأكبر يقوم بمسح الأحذية. وأحياناً يقوم الطفل باصطناع عاهة مصطنعة في جسمه من أجل كسب عطف الناس من أجل الزيادة في الاستعطاء /الشحادة/.

طفل نوري: يمتهن مسح الأحذية

أما بالنسبة لعائلة /دوريش/ فالعمل الأساسي عندهم ينحصر في إحياء الحفلات في المناسبات التي يُدعون إليها مقابل مبلغ من المال يصل ما بين ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ل.س مقابل الحفلة الواحدة وفي ليلة واحدة فقط. ١٩٨٧م

والأدوات التي يعزف عليها أفراد عائلة دوريش هي: البزق ـ الطبل ـ العود، وأن الرجال من عائلة درويش كانوا ومازالوا يقومون بصناعة الطبل من جلود الأغنام ولكن إذا كان الطبل مصنوع من جلد البقر يكون أفضل من حيث الصوت الذي يعطيه أعلى وأن إيقاعه أفضل أثناء القرع عليه. ويمكن أن يكون الطبل المصنوع من جلد البقر عملياً لفترة أطول فيما لو كان مصنوعاً من جلد الماعز أو الغنم.

وتمارس المرأة من عائلة درويش الرقص والغناء ليلاً برفقة الرجل الذي يقرع الطبل ويعزف على البزق أو العود. ويطلق على هذه النساء تسمية /حَجِّية/ من قبل أفراد عائلة درويش. كما أن المرأة من العائلة المذكورة لا تمارس الاستعطاء لأنها فقط ترقص وتغني ولكن هذا لا يمنع الاستعطاء إذا كان الوضع مناسباً لذلك.

إن كبير عائلة /الدرويش/ هو /السيد درويش: الشيخ درويش/ وهو مسجل في السجلات المدنية هو وأولاده حيث ابنه /أحمد/ قد حصل على الثانوية العامة في حين أن له ابنة تعمل /معلمة مدرسة ابتدائي/.

ـ **اللباس:**

ترتدي المرأة من /نور بانياس/ الثوب الطويل من القماش الزاهي. كما أن هذا الثوب مخصَّراً عند منطقة الجذع. وترتدي تحته /السروال/ من القماش أو من قماش النايلو، في حين أنها ترتدي على رأسها الإشار المتناسق بلونه مع لون الثوب الذي ترتديه فوق لباسها الداخلي. ويصل الأمر في تذوق المرأة في اللباس بأن يكون حذاءها من نفس لون الثوب الخارجي الذي ترتديه.

كما وتلبس المرأة النورية في بانياس الخراطة: الفستان الطويل والفضفاض لدرجة أنه يخب حتى القدمين وترتدي المرأة فوق الخراطة كنزة أو قميصاً تضع نهايته السفلى داخل الخراطة المربوطة على الجذع بواسطة دكة من المطاط في معظم الأحيان.

شابة مع أطفالها تقف ضاحكة أمام خيمتها وهي زوجة السيد أحمد بن الشيخ درويش /١٩٨٦/
حيث اللباس الطويل الفضفاض والمتناسق الألوان /بانياس - حي رأس النبع/

أما لباس الرجل المتقدم بالعمر فيتكون من قلابية طويلة غالباً ما يكون لونها أبيض. ويرتدي فوقها الجاكيت في الوقت نفسه يلبس الرجل القضاضة البيضاء التي يلفها على رأسه دون أن يرتدي العقال من فوق القضاضة كما هو في الصورة التالية:

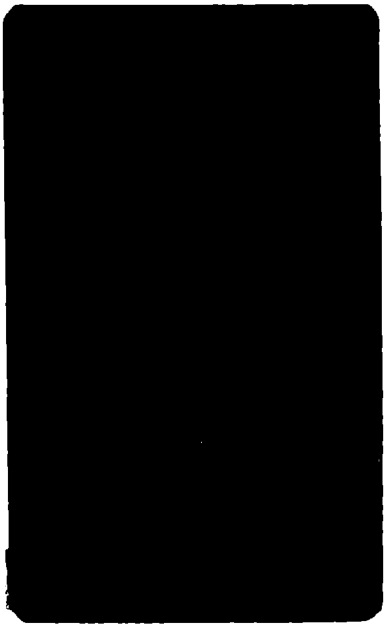

السيد /الشيخ درويش/ رئيس عشيرة الدرويش في بانياس بلباسه التقليدي /١٩٨٦م/ بانياس.

ـ السكن:

تعيش الغالبية العظمى من نور مدينة بانياس الساحل في بيوت من الخيش يطلق عليها الخيمة. إلا أن هناك البعض وهم قلة يعيشون في بيوت إسمنتية منذ فترة زمنية ليست بعيدة لا تزيد عن /الخمس سنوات حتى العشر سنوات/.

ويختلف أثاث البيت عند نور بانياس عن أثاث الخيمة. فأثاث الخيمة يتكون من أثاث بسيط مع أدوات منزلية بسيطة في النوع والكم بسبب عدم الاستقرار ومزاولة الترحال صيفاً وفي الخريف في منطقة الساحل.

ويتكون أثاث الخيمة من: الفرشات الإسفنجية ـ البطانيات ـ المخدات ـ الأواني النحاسية من صحون وطناجر وأباريق شاي وبابور كاز، وتفرش الأرضية بالحرامات والبسط أحياناً. وفي الشتاء يضعون فيها المدافئ التي تُوقد بالحطب، وأحياناً يكون في الخيمة أجهزة التلفاز التي تعمل على البطارية. لكن الذي لمسته أنه لا وجود بين أثاث الفراش /لُحُفْ/ جمع لحاف، من أجل الغطاء ليلاً أثناء النوم، وإنما هناك بطانيات.

صورة لأثاث خيمة من الداخل

حيث يبدو الفراش مرتباً في القسم الصدراني من الخيمة /بانياس ١٩٨٦م/

والشيء الذي لاحظته خلال تجوالي بين عشائر النَّوَرْ الرحل في سوريا أن الخيمة عندهم كانت دوما تُفتح من زاويتها اليمنى فقط سواء كان ذلك في الصيف أم في الشتاء. عندما لا تكون الخيمة شادراً بل أنهم /مثل بقية جماعات النَّوَرْ/ هم الذين قد قاموا بشغلها.

أما بالنسبة لأثاث المنزل الثابت والمبني من الاسمنت حيث الماء والكهرباء ممدة اليه. ففي مثل هذه الحالة فإن كافة الأدوات العصرية الضرورية للحياة اليومية /الغسالة - البراد - التلفاز - المذياع/ كلها موجودة في البيت.

إلا أن أثاث الفراش يكاد يكون متشابهاً في كل من الخيمة والمنزل الثابت حيث فرشات الإسفنج والمخدات والبطانيات وعدم وجود الأغطية التي تسمى /اللحاف/. وإذا ما وُجد لحاف في الفراش المرتب في صدر البيت أو في صدر الخيمة فإنه يكون مع وجه خارجي كي يبقى اللحاف نفسه نظيفاً فإذا ما وسخ الوجه ينزع ويغسل ومن ثم يلبس أو يلحف اللحاف من جديد.

ويتم تأمين الماء إلى الخيام بصورة عامة عن طريق نقلها بصفائح بلاستيكية تحملها النسوة على رؤوسهن من البيوت السكنية المجاورة. وتُستخدم الماء من أجل الشرب والغسيل والاستحمام.

يبدو في الصورة /شابة من نور بانياس/ بلباسها التقليدي المتناسق الألوان وهي تحمل الماء على رأسها بواسطة صفيحة بلاستيكية إلى خيمتها /بانياس ١٩٨٦م/

يكاد يكون معدوماً بسبب النمط المعيشي القائم على الترحال. لذا نجد الأطفال طوال النهار يلعبون حول الخيام وهم حفاة القدمين وملابس بسيطة، ومع ذلك نجد أن بُنْيَتهم قويّة ولا يمرضون وكأن صار لديهم مناعة ضد البرد وضد الحر وضد الأوساخ.

عدد من الأطفال يلعبون حول الخيام وهم حفاة القدمين

ويبدو في الصورة: أن الغسيل ينشر على الحبال المتشابكة بين الخيام

وهم طيلة النهار يلعبون حول خرابيش مخيمهم، حفاة وشبه عراة، حيث الصخب والصراخ، والتوجّس من كل شخص غريب يقترب منهم، أو يقترب من خرابيشهم.

النَّوَرْ في منطقة صافيتا (مطاربة)

يتواجد عدد لا بأس به من النَّوَرْ في منطقة صافيتا، وينتمي نور مَنطقة صافيتا في غالبيتهم إلى عشيرة تدعى العجيجرة. وتعتبر قبيلة العجيجرة من أكبر عشائر النَّوَرْ المستقرين منهم والمتنقلين في منطقة صافيتا والعريضة وتل كلخ. ويرتبط نوَر تلك المنطقة برباط القرابة الدموية والاجتماعية (التي تقوم عن طريق المصاهرة). وإلى جانب قبيلة العجيجرة يوجد قبائل نورية أقل عدداً من الأولى من بينها عشيرة الظاهر - عشيرة الحداد. وتُعتبر قرية - المتراس - التابعة لبلدة صافيتا المركز الكبير لتجمع النَّوَرْ في منطقة صافيتا.

ويطلق غالبية النَّوَرْ في منطقة الساحل بصورة عامة بما فيهم نور صافيتا على أنفسهم تسمية - المطاربة - ويفتخر نور الساحل بهذه التسمية لدرجة أنهم يرفضون تسميتهم بالنَّوَرْ. كما أن مطاربة الساحل يرفضون أن يكونوا أقارب للنَّوَرْ في منطقة حلب والذين يطلقون على أنفسهم تسمية - قرباط - . ويأنف نور المطاربة من إقامة أي علاقة مع النَّوَرْ القرباط لأنهم يعتبرون القرباط كثيري المشاكل وأن سلوكيتهم غير جيدة. وأن النَّوَرْ القرباط بدورهم يأنفون أن يكونوا مطاربة أو نوراً لأي في ذلك انتقاصاً من كرامتهم. ونتيجة للنظرة غير الجيدة التي ينظرها كل من النَّوَرْ المطاربة والنَّوَرْ القرباط إلى بعضهم، فإنه لا توجد أي علاقة اجتماعية فيما بينهم لدرجة أنهم لا يتزاوجون فيما بينهم. وربما هذا يعود إلى البناء الاجتماعي في شبه القارة الهندية، حيث ينقسم المجتمع هناك إلى قبائل تقوم على التراتب المهني.

- الزواج:

يتم الزواج عند كافة عشائر النَّور بغض النظر عن مسمياتهم عن طريق الخطبة ومن ثم حفلة الزفاف والمصحوبتين بالأفراح المترعة بالغناء والرقص وقرع الطبول. وغالباً ما يكون الزواج محصوراً بين أفراد العشيرة الواحدة ويدعى مثل هذا الزواج بـ - الزواج

الداخلي Endogamys ـ . وقليلاً ما يزوج النَّوَري ابنته لشاب من عشيرة ثانية. ويسود بين نور صافيتا زواج البدل. فعندما يتفق أهل شابين وعند كل منهما فتاة لتزويجهم من بعضهم البعض فإنه يتوجب على أهل الفتاة الأقل جمالاً دفع مبلغ من المال علاوةً على ابنتهم التي سيبدل بها ابنهم إلى أهل الفتاة التي سيتزوج منها. وتختلف كمية المبلغ حسب المرتبة الجمالية لإحدى الفتاتين عن الأخرى.

وإذا ما حدث خلاف بين امرأة وزوجها من زواج البدل، فإن ذلك الخلاف ينعكس على علاقة الزوجة البديلة الثانية وزوجها، وفي مثل هذه الحالات يحدث ما يلي:

١ - إذا أراد الزوج الآخر المتفق مع زوجته والتي هي أخت للزوج الآخر التي تزوج بأخت زوجها (بديلتها) عليه أن يدفع مهراً كاملاً إلى أخ زوجته شريطة أن يرضى أهلها عن ذلك. أما في حال عدم رضى الأهل بقاء ابنتهم عند زوجها المتفقة معه، فعلى الأخير أن يطلق زوجته وإن كانت زوجته تحبه وهو يحبها ومتفقان على الحياة معاً.

٢ - إذا توفيت إحدى الزوجتين البديلتين فإنه يتوجب على أخ الزوجة المتوفاة دفع مهر كامل إلى أرمل أخته المتوفاة. وتسود هذه العادة عند كافة المجتمعات التي تتحكم العصبية القبلية في علاقاتها اليومية.

ويلعب رئيس العشيرة عند نور صافيتا دوراً هاماً في حياتهم الاجتماعية، حيث يقوم بحل الخلافات التي تحصل بين أفراد العشيرة أو بين أفراد النُّزْل[1] الواحد. ويقوم رئيس العشيرة عند النَّوَرْ في منطقة صافيتا بمثابة القاضي والمشرع لدرجة لا يجوز الطعن بقراره الذي كان قد اتخذه. وأن رئيس العشيرة، هو الذي يقوم بحل المشكلات التي تعترض العشيرة مع بقية العشائر النَّورية الأخرى.

وتنتقل المشيخة بين عشائر النَّوَرْ من الأب إلى الابن دون أي اعتراض من أي فرد من أفراد العشيرة. وأن الابن الأكبر إذا كان سليماً هو الذي يَحُلُّ محل أبيه في المشيخة فإذا لم يكن سليماً فالابن الأصغر. أما في حالة عدم وجود أبناء كبار عن الشيخ عن وفاته فإن أخ الشيخ الأكبر هو الذي سيصبح شيخاً أو مختاراً أو رئيساً للعشيرة.

---

١ - هو المكان الذي يضرب النَّوَرْ المتنقلين خيامهم على أرضه. وتكون الخيام فيه قريبة من بعضها البعض. كما أن أفراد النّزل الواحد ليسوا جميعاً أقارب بالدم. وأنهم ليسوا جميعاً من مهنة واحدة. وذلك على عكس من العرب البدو، حيث يكون أفراد الفريق من عشيرة واحدة وأقارب بالدم - وبيوت الشعر تكون متباعدة عن بعضها البعض، حيث تصل المسافة أكثر من ٥٠٠ متر.

ومما لاحظناه أن الفرد في العشيرة عند نور صافيتا مسؤول عن سلوكيته أمام رب الأسرة التي ينتمي إليها من جهة وأمام رئيس العشيرة من جهة ثانية.

وتتكون الأسرة من الأب وزوجته أو زوجاته إذا كان متزوجاً من أكثر من امرأة واحدة وأولادهما. ويتعاون أفراد الأسرة مع بعضهم من أجل تأمين الحاجيات الضرورية لهم في حياتهم اليومية. فكل فرد من أفراد الأسرة يعمل بدوره ضمن نطاق العمل المخصص له دون أن يحيد عنه فالشحادة على سبيل المثال هي فريضة ملقاة على كاهل المرأة النورية طيلة حياتها ما دامت قادرة على الحركة.

ويعتبر الرجل عند نور صافيتا هو الرأس الأكبر في الأسرة، ومن بعده تأتي زوجته في إدارة أعمال الأسرة وخاصةً في الأمور التي تتعلق بزواج بناتها فإن كلمة الأم هي الحاسمة في هذا المجال.

- الولادات:

إن النّوَرْ بصورة عامة من الجماعات البشرية التي تتكاثر بوتيرة مرتفعة لدرجة أنها تزيد عن نسبة ٤٪ ويحب النّوَرْ في صافيتا كغيرهم من نور المناطق الثانية من قطرنا الأولاد لدرجة الشغف بهم.

وتقوم امرأة نورية في مساعدة المرأة الحامل أثناء الولادة يسمونها ـ الداية[1] ـ . وتستدعى الداية النّورية حتى ولو كانت تقوم في نزل نوري غير النزل الذي تعيش فيه المرأة التي هي في حالة مخاض. وبعد الولادة تحيط الأسرة المولود الجديد بالعناية التامة ضمن حدود الإمكانيات المتاحة بين أفراد تلك الأسرة.

وقد قال لي أكثر من شخص من سكان منطقة صافيتا:

أن النّوَرْ عندهم يفرحون بولادة الأنثى أكثر من فرحتهم بولادة طفل الذكر. وربما يعود سبب الفرح بولادة الأنثى إلى الدور الذي تلعبه الفتاة في المجال المادي لأسرتها قبل زواجها، وأثناء زواجها حيث المهر يذهب بكامله إلى والدها أو إلى ولي أمرها. والشيء الطريف أن المرأة النورية الولادة لا تلزم نفسها بالبقاء بالفراش أكثر من ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع تحمل ابنها على ظهرها بواسطة ثوب طويل ترتديه فوق لباسها ومفتوح

• - لفظة فارسية الأصل وتعني المرأة التي تساعد المرأة الحامل أثناء المخاض.

من الأمام. وغالباً ما يكون على شكل عباءة تستخدمه للأعمال الطارئة من أجل الحمل فقد كانت المرأة سابقاً تحمل به التبن الذي تشحده للحمير التي توجد عند زوجها، في حين يكون الطعام في وعاء خاص. أما المواد غير الصالحة للأكل مباشرة فإنها تحملها بكيس تضعه على كتفها على شكل جناد طويل.

كما أن نسبة الوفيات بين جماعات النَّوَرْ قد قلّت عن السابق وخاصةً بين صفوف الأطفال. ويعود الفضل بذلك إلى معالجة الأطفال المرضى في العيادات الطبية وذلك أسوةً ببقية المواطنين في منطقة صافيتا. ويتأثر النَّوَرْ كثيراً بحوادث الوفاة لدرجة نجدهم يبكون ويصرخون ويلطمون على وجوههم مع وضع التراب أو الرماد على الرأس من قبل النساء.

فبعد الوفاة يغسل الميت ويلف بقطعة قماش وينقل الميت بعد ذلك إلى أقرب مقبرة للمسلمين بالنسبة إلى موقع النزل الذي تضرب خيامهم عليه. وقد قال لي شخص أن دفن الميت عند نور صافيتا يتم دون إقامة الصلاة عليه ودون تلاوة القرآن. والشيء الطريف أن الحداد يسود كافة أنحاء النزل أما في حالة كان المتوفي طفلاً صغيراً فإنهم يحفرون له حفرة في أحد زوايا النزل. في كلا الحالتين فإن النَّوَرْ يرحلون من مخيمهم (النزل) ليضربوا خيامهم في مكان جديد بعيداً عن المكان الذي حدثت فيه وفاة أحد أفراد جماعتهم[1].

- الديانة:

يدعي النَّوَرْ المطارية في منطقة صافيتا والعريضة وتل كلخ أنهم يدينون بالدين الإسلامي، إلا أنهم لا يطبقون تعاليم ذلك الدين. فهم لا يصلون الصلاة في أوقاتها ولا يصومون ولا يحجون البيت، لا بل نجد أن الكثير منهم يتعاطى المشروبات الروحية.

---

١ - ليس النَّوَرْ وحدهم اللذين يرحلون من مكان الوفاة، وإنما يشاركهم بهذه الخاصية كافة الجماعات البشرية التي تعتمد على الانتقال المستمر في نمطهم المعيشي. وإن هذه الظاهرة تعود إلى معتقدات دينية قديمة كانت تسود عند الإنسان البدائي ألا وهي عبادة الأرواح animism حيث كانوا يعتقدون أن روح المتوفى ستجلب للذين على قيد الحياة الشر إذا ما بقوا في مكان الوفاة. لذا فإن الجماعة التي حدثت عندهم الوفاة مكانهم ولو كانت الوفاة مساءً. ويقومون بتغيير ملابسهم وتغيير أسمائهم حتى لا تهتدي إليهم روح الميت وهي تلاحقهم. وخوفاً من لحاق روح الميت بهم كان البدو سابقاً يضعون كومة من الحجارة

لقد اجتمعت بصيف عام ١٩٨٦ وفي شهر رمضان بالذات بأكثر من رجل نوري من نور صافيتا والعريضة وهم مفطرون. وأن جميعهم كان يشرح لي سبب إفطاره دون أن أسأله عن ذلك حيث قال لي أكثر من شخص: **أن معدته توجعه وأنه قد عمل عملية في معدته منذ فترة ليست بعيدة ولولا ذلك فإنه ما افطر. إلا أن الواقع عكس ذلك تماماً ـ فهو معافى من كافة الأمراض ولكنه لا يصوم لعدم إيمانه بمبادئ الدين الإسلامي.**

لقد قال لي السيد ـ سمعان بولس ـ من سكان منطقة صافيتا عن مدى إيمان نور صافيتا بتعاليم الدين الإسلامي ما يلي: أنه التقى بأكثر من رجل من نور صافيتا ومن مستويات مختلفة من أعمارهم. وأن الكل قد أكدوا له أن الدين هو المعاملة وأن الإنسان يقاس بعمله فقط. وقد أردف قائلاً الشاب بولس سمعان قوله قائلاً: ورغم ذلك فإنهم لا يحرصون كثيراً على سمعتهم ونوعية أعمالهم.

أما النَّوَرْ الذين استقروا ببيوت ثابتة بعد أن تركوا النمط القائم على التنقل والترحال نجدهم أكثر تطبيقاً لتعاليم الدين الإسلامي من صلاة وصوم من أبناء أرومتهم الذي لا زالوا يرتحلون من مكان إلى آخر.

ـ النمط المعيشي للنور في منطقة صافيتا:

يمكننا أن نقسم النَّور في منطقة صافيتا حسب نمط معيشتهم إلى نموذجين أحدهما قد استقر منذ فترة تزيد عن خمسة عشر عاماً والنموذج الثاني لا زال أتباعه يعيشون حياة التنقل والترحال في معظم فصول السنة (الخريف ـ الصيف ـ وقسم من فصل الربيع).

١ -**النَّور المستقرون:** لقد استقر قسم لا بأس به من نور صافيتا في بلدة ـ المتراس ـ بعد أن حصلوا على الجنسية السورية. وقد كان لهذا الاستقرار الأثر الأكبر في تغيير نمط معيشتهم القديم القائم على التنقل والشحادة من قبل المرأة. لقد صار نَور المتراس المستقرين ينشدون مصادر العمل الشريفة. فإن الكثير منهم يمارسون التجارة بالحيوانات التي تستخدم في الزراعة مثل الخيل والحمير والبغال. كما أنهم يتاجرون بالحاصلات الزراعية كالتبغ مثلاً أحد أهم الحاصلات الزراعية لمنطقة صافيتا والعريضة.

ويقوم نور بلدة المتراس المستقرين بتربية الحيوانات كالأبقار والأغنام وذلك من أجل الاستفادة من ألبانها. كما أنهم أتقنوا صناعة السجاد التي كانوا قد تعلموها من أهل صافيتا ومن أهل المتراس بالذات. لذا نجد الشخص النوري الذي امتهن صناعة السجاد قد بنى نولاً للحياكة في منزله ليعمل به وأفراد أسرته. وتعطي مهنة صناعة السجاد مردوداً كبيراً من المال لكل من يمتهنها. ويعمل نور المتراس في ورشات البناء والحفريات وفي معاصر الزيتون. وتدر الأعمال الأخيرة عليهم أموالاً وفيرة في خلال فترة زمنية قصيرة. كما أن المرأة النورية في بلدة المتراس قد تركت مهنة الشحادة بشكل نهائي، حيث أصبحت تشارك زوجها بالعمل الذي يمارسه من جهة، وصارت تقعد في البيت فقط لتعتني بأطفالها.

ومن الأمور الجديدة التي طرأت على حياة النَّوَرْ في قرية ـ المتراس ـ بعد أن استقروا أنهم صاروا يبعثون أطفالهم إلى المدارس الابتدائية والإعدادية. وهناك قسم لا بأس به من شباب النَّوَرْ في المتراس قد انخرطوا في صفوف القوات المسلحة كمتطوعين. كما أنهم صاروا يعملون في دوائر الدولة وفقاً للشهادات التعليمية التي يحملونها. لكن يمكن القول أن معظم الشباب النَّوَرْ في المتراس يكتفون بالحصول على الإعدادية فقط. وبالرغم من هذا المستوى التعليمي غير المرضي فإن ذلك يعتبر خطوة جيدة في مجال التعليم. ويمتلك البعض من نور ـ المتراس ـ مواهب فنية بالرقص والغناء والعزف على الأدوات الموسيقية لدرجة أنهم يشاركون بإحياء الحفلات الموسيقية والغنائية في المناسبات الوطنية والقومية بتكليف من المنظمات الشعبية هناك وذلك مقابل مبالغ من المال لا بأس بها.

وخلاصة القول أن النَّوَرْ الذين استقروا في منطقة صافيتا لا يختلفون حالياً عن بقية السكان المحليين في المنطقة سواء كان في العمل أو في اللباس أو في السكن باستثناء ميولهم الجارف نحو الغناء والرقص بشكل يلفت النظر بالنسبة للإنسان الباحث فيما إذا تقصى هذه الظاهرة بين سكان قرية ـ المتراس ـ بنفسه من أجل الوقوف عن كثب كي يتعرف على الدور الإيجابي الذي لعبته ظاهرة الاستقرار عند نور قرية المتراس.

٢ ـ النَّوَرْ المتنقلون: تعتمد جماعات النَّوَرْ التي تعيش حياة التنقل والترحال على ظاهرة الشحادة التي تمارسها المرأة بصورة دائمة وعلى ظاهرة التسول المؤقتة التي يمارسها الرجال والشباب في المواسم الزراعية وخاصةً في موسم قطاف الزيتون.

ـ المرأة وظاهرة الشحادة:

تمارس النساء النوريات في منطقة صافيتا مهنة الشحادة بشكل دائم يومياً. فالمرأة تخرج من الصباح ولا تعود إلا في المساء بعد أن تكون قد جمعت كمية من المواد الغذائية العينية إلى جانب اللباس والنقود. وتحمل النسوة وهن يتجولن في أزقة قرى منطقة صافيتا سطولاً من البلاستيك أو من التنك (كعلب الحليب الفارغة) من أجل وضع الزيت الذي تشحده المرأة في نهارها. ويبلغ ثمن هذه الكمية من الزيت التي تحصل عليها المرأة النورية في موسم عصر الزيتون بما يزيد عن مئة وخمسين ليرة سورية وأكثر. وإلى جانب الزيت الخبز والطعام المطبوخ منه وغير المطبوخ. كما تشحد المرأة النورية أثناء تجوالها الصابون والطحين والبرغل والعدس. عام ١٩٨٩.

وتخرج النسوة على شكل جماعات في الصباح، حيث كل ٤ أو ٥ نساء يذهبن معاً وإلى قرية واحدة. أما إذا كانت القرية أو البلدة التي سيذهبن إليها فيها الصباح كبيرة فإنهن ينقسمن إلى مجموعات وكل مجموعة تأخذ حارة محددة من تلك البلدة. وتستخدم النساء النوريات في عملية الشحادة أساليب تقوم على الغش والخداع وأحياناً لا تخلو من عمليات السرقة إذا استطعن إلى ذلك سبيلا.

ومن أساليب الخداع والغش المتبعة عند النساء النوريات ما يلي:

قراءة الكف ـ قراءة المستقبل عن طريق ضرب عدد من الصدف الحلزونية يقال لهذه الطريقة (الحظ). وأحياناً لا يكون مع المرأة النورية صدف الحلزون فإنها في هذه الحالة تقوم بعملية ـ الحظ ـ بواسطة عدد من الحصيات التي لا يتجاوز عددهن السبع حصوات.

وفي عملية الحظ (التبصير هذه) على الأغلب تكون امرأتان، حيث الأولى تسأل الأطفال وصاحبة الدار عن أوضاع صاحب بيتها الاجتماعية والمادية وتقوم هذه المرأة بدورها بترجمة ذلك القول باللغة التي يتكلمانها وهي لغة العصفورة للمرأة التي ستقوم بعملية التبصير وبهذه الطريقة يكون كلامها صحيحاً فتصدق صاحبة البيت وتغدق بدورها العطية على النورية البصّارة.

ويحدث أحياناً أن المرأة النورية التي تقوم بالتبصير لصاحبة البيت هو في نفسه إلهاء لها أيضاً، في حين أن المرأة النورية الأخرى تقوم بالبحث بين أثاث المنزل علّها تعثر على شيء خفيف وغالي الثمن لتسرقه.

وتتصف المرأة النورية في منطقة صافيتا بالعناد أثناء تجوالها وهي تشحد لكي تحصل على نصيبها من الزيت أو الدراهم أو الطحين... إلخ. ويقول سكان صافيتا أن المرأة النورية عندما تطرق باباً لا تخرج فارغة اليدين منه ولو أنها حصلت على قطعة صابون أو رغيف خبز أو علبة كبريت.

وفي أيام قطاف الزيتون يصل النَّوَرْ المتنقلون إلى أوج نشاطهم وهم يتنقلون بين الحقول رجالاً ونساءً للحصول على الزيتون وعلى الزيت عند عصره. ويصل دخل النَّوَرْ في موسم قطاف الزيتون إلى أعلى نسبة مادية لهم. فالزيت والزيتون يشكلان أكثر من ٩٠٪ من قيمة المواد التي يشحدونها في فصل الصيف والخريف. والمرأة النورية في صافيتا لا تلزم نفسها في البقاء قابعة في خيمتها بعد أن تلد أكثر من ثلاثة أيام، حيث تستأنف ظاهرة الشحادة بدءاً من اليوم الرابع. وتحمل المرأة في هذه الحالة رضيعها وعلى ظهرها بعد أن تلفه في الثوب الطويل والأسود اللون والمفتوح من الأمام بشكل كامل، وهو ما أشبه ما يكون بالعباءة. ويكون له فتحتان بعد أن تقلب الطرف السفلي من ذلك الثوب إلى الأعلى وعلى ظهرها، فالطفل تضعه في الجانب الأيسر؛ بحيث يكون رأس الطفل في الجانب الأيسر لوالدته كي تسهل عليها عملية إرضاعه. أما الفتحة اليمنى تضع بها ما يمكن أن تجمعه بعد أن تملأ الكيس الذي تحمله على كتفها. وربما أن يكون الثوب مخاطاً في وسطه كي يكون الطفل مفصولاً عن الأشياء التي تضعها في الجهة اليمنى من الثوب.

وأن لباس الرجل النوري في منطقة صافيتا والعريضة يكاد يختلف عن لباس الرجل الفلاح في المنقطة المذكورة، حيث يرتدي الجلابية الطويلة والفضفاضة ذات الألوان الأزرق والبني ومشتقاتهما. ويرتدي فوق الجلابية الجاكيت عادة. ويلبس الرجل المتقدم والمتوسط العمر الكوفية التي غالباً ما يكون لونها أسود والعقال عليها كالسوار على المعصم. ويرتدي الرجل السروال عادةً تحت القلابية. ويغلب على السروال اللون الأبيض لكونه يتكون من قماش أرق وأنعم من القماش الذي تخاط منه الجلابية.

ويرتدي الرجل النوري الحذاء في رجله مع لبس جرابات في قدميه في الصيف والشتاء وخاصةً عندما يترك خيمته أو بيته إلى مكان آخر في القرية.

أما الشباب فيرتدون اللباس الحالي المكون من بنطال وقميص وحذاء في القدمين. أما الرأس فعلى الأغلب يكون عند الشباب بلا غطاء. وإذا ما لبسوا على رؤوسهم أثناء العمل فإنهم يلبسون الشماخ (المنديل) دون أن يضعوا فوقه عقالاً.

- لباس المرأة عند نور صافيتا:

إن لباس المرأة النورية يكاد يكون مميزاً وشبه مشترك في شكله الخارجي عند كافة النَوَرْ بدون استثناء. فالمرأة المتوسطة العمر تلبس الخراطة الطويلة والواسعة من الأسفل، في حين تكون مربوطة على الخصر بواسطة المطاط. ويكون بصورة عامة أكثر من جيبة كبيرة في الخراطة كي تضع فيها الأشياء الهامة التي يمكن أن تحصل عليها وهي في عملية تجوالها (الشحادة)، كما لاحظت أن للخراطة جيباً متوسطة في كبرها تقع في الجانب الخلفي للخراطة حيث تبدو الجيبة فوق فقرات الظهر القطنية وفقرات العصعص. وترتدي المرأة فوق الخراطة في أغلب الأحيان كنزة ذات أكمام دون أن يكون لها جيوب وفي معظم الأحيان تكون الكنزة تغطي العنق (ذات قبة). ولا تهتم المرأة النورية في تناسق الألوان في لباسها. وتلف المرأة النورية في منطقة صافيتا رأسها بقطعة من القماش الأسود الذي يطلق عليه (الملفع) وتثبت الملفع الملفوف على رأسها بواسطة قطعة قماش إما أن تكون محرمة مزخرفة أو قطعة قماش ذات لون واحد على شكل طرحة صغيرة. ويكون الملفع ظاهراً على ظهرها وعلى صدرها ويغطي أكتافها. وعندما تذهب إلى الشحادة فإن المرأة النورية تلبس رداءاً أسود طويل ومفتوح من الأمام بحيث يمكنها من وضع المتاع في الجزء الخلفي الذي يستر فقارها :(عجزها) ورجليها بعد أن تربط طرفيه على أحد كتفيها. أو أنها تمسكه بواسطة جبهتها وبمساعدة يديها هذا إذا كان الحمل على ظهرها ثقيلاً. وعندما تكون المرأة النورية مرضعاً فإنها تلف الرضيع به وتحمله على ظهرها بعد أن تترك له فتحة من أحد الجهات وغالباً من الجانب الأيسر. أما لباس الفتيات الشابات فعلى الغالب ما تتكون من ثوب طويل من القماش الفاقع الألوان ويكون هذا الثوب مخصراً

جداً وواسع إلى حد ما من الأسفل. ولهذا الثوب فتحة من الأمام على شكل حرف سبعة طويلة. وترتدي الفتاة تحت الثوب الطويل سروالاً. وتضع على رأسها قطعة من القماش يطلق عليه إشار لأن النورية لا تخرج إلى الشارع وهي حاسرة الرأس.

ـ السكن عند نور صافيتا:

إن جماعات النَّوَرْ المتنقلة غير المستقرة لا تزال تعيش في الخيام التي يعملونها من أكياس الخيش القديمة. وعلى الأغلب تكون الخيمة صغيرة بحيث لا يوجد في وسطها إلا دعامة واحدة يرفع سطحها إلى الأعلى، في حين يكون عند البدو بيت الشعر مدعوم بأكثر من عمود واحد، وبشكل مواز إلى اتجاه بيت الشعر مما يؤدي هذا إلى تقسيم بيت الشعر عند البدو إلى أكثر من قسم مستقل وإن كان السقف واحد. وعلى الدوام تكون فتحة الخيمة عند النَّوَرْ نحو جهة الشرق طيلة النهار، وأن الجانب الغربي من الخيمة دوماً يكون مسدوداً على العكس من بيت الشعر عند البدو الذي يكون دوماً مشرعاً من الغرب ومن الشرق يسمح بمرور الهواء منه. وفي فصل الشتاء غالباً ما يلجأ النَّوَرْ إلى بناء أكواخ من التنك والخيش كي يسمح لهم بوضع مدفأة كي يتدفأون عليها. وتكون هذه الخيمة فقط مؤقتة تزول بزوال الشتاء.

وغالباً ما يتجمع نور صافيتا في نزل يقع على جانب الطرقات العامة أو إلى جانب الحدائق كي يسمح لهم بمرونة الحركة في التنقل والاتصال بالقرية أو المدينة لقضاء حاجاتهم اليومية. ويقوم النَّوَرْ دوماً في الشتاء في حفر خندق حول كل خيمة من أجل تصريف المياه الناتجة عن سقوط الأمطار إلى مكان بعيد عن النزل الذي تقوم فيه خيامهم هذا من جهة، ومن جهة ثانية كي لا يسمح للمياه السائلة من الدخول إلى داخل الخيام.

أما الجماعات التي استقرت في قرى صافيتا ـ المتراس ـ يسكنون في بيوت قد بنوها بالإسمنت المسلح وأن المياه والكهرباء قد مددت لهم إلى البيوت. ويمتلكون الأدوات الكهربائية مثل الغسالة ـ التلفاز ـ البراد ـ المسجلة ـ المذياع ـ عصارة الفواكه ـ مطحنة القهوة التي تعمل على الكهرباء... إلخ.

أما المتاع الموجود عند النّورْ فيغلب عليه الخفة ورخص الثمن، حيث يتكون من فرشات من الاسفنج أو قطع القماش البالية مع مخدات وأغطية مثل: بطانيات ـ لحاف خفيف ـ صاج من أجل الخبز ـ إبريق شاي ـ بابور كاز من أجل الطبخ ـ طنجرة وصحون غالبا من الأواني القديمة التي قد شحدنها نساؤهم أو قد سرقنها، كما يقول من يعرف النَورْ عن قرب. ولكن شاهدت أن بعض الخيام صارت تملك التلفاز الذي يعمل على المدخرات (البطارية) إلى جانب المسجلة والمذياع. ويوجد في كل خيمة حصيرة من البلاستيك وغالباً ما تكون مهترئة. ويوجد بساط منسوج من الخرق البالية إلى جانب أدوات نحاسية قديمة يستعملونها.

مجموعة من نور منطقة صافيتا في وضعية نصب خيامهم
بعد رحيل قد أتعب الحيوان الذي نقلوا على ظهره متاعهم (الحمار)

ـ الرحيل ووسيلته عند نور صافيتا:

من عادة النّورْ الرحيل المستمر من قرية إلى أخرى وخاصةً المطاربة منهم الذين لا يمارس الرجال عندهم أي عمل باستثناء الضرب على الطبل أو على الزرنايا (الشبابة). وسبب عدم بقاء نزل النّورْ طويلاً في طرف هذه القرية أو تلك هو إعطاء سكان القرية المرأة النورية أكثر من مرتين أو ثلاث مرات لأن أهل القرية تصبح لديهم تلك النساء

النوريـات اللـواتي يشـحدن معروفـات فيمتنعـون عندئـذ عـن إعطـائهن. أمـا النَّـوَرْ الـذين يمارسون صناعة الغرابيل يمكثون مدة أطول في القرية ما دام نتاج عملهم يباع في تلك القرية. لكن الذي لاحظته بنفسي في صيف هـذا العام أن النَّوَرْ بكافة فئاتهم كانوا يمكثون في القرية أكثر من ١٥ ـ ٢٠ يوماً. إلا أن نسـاءهم لا يـذهبن إلى نفس القرى للحصول على نصيبهن من الشحادة وإنما يركبن السيارات العامة التي تنتقل بين القرى كي يشحدن وبعد الظهيرة (بحدود الساعة الرابعة أو الخامسة) يعدن إلى القرية التي تتواجد بها خيامهن. ودوماً كان النَّوَرْ وما زالوا يضربون خيامهم على جوانب الطرقات العامة وإلى جانب مصادر الماء الجارية أو الراكدة إن وُجدت من أجل قضاء حاجاتهم منها وبقي نور صافيتا يستخدمون الحمار في نقل أمتعتهم أثناء الرحيل من قرية إلى أخرى، حتى بداية الثمانيات من القرن العشرين.

مجموعة من النَّوَرْ وهم في حالة الرحيل على شكل قافلة مكونة من الحمير التي تحمل المتاع والأطفال الصغار والنساء والرجال المتقدمين بالعمر إن وجدوا. عام ١٩٨٦م

والشيء الطريف أنني قد شاهدت أكثر من قافلة رحيل للنَّوَرْ في بلدتي ـ نوى ـ وهم يحملون الجراء الصغيرة على ظهور الحمير إلى جانب أطفالهم ونسائهم غير القادرات على المشي لدرجة أن هـذا المنظر كان يبعث الإعجاب والسخرية من قبل الناس من سكان بلدتي. وأن مثل هـذا المنظر بقي مألوفاً حتى بداية السبعينات من القرن العشرين، في معظم مناطق بلاد الشام.

ولا يرحل النَّوَرْ في منطقة صافيتا إلا بعد أن ترتفع الشمس وتصبح درجة الحرارة عالية (وقت الظهيرة). لذا نجد أن السكان المحليين في أي مكان ينعتون الشخص الذي يسافر أو ينتقل من مكان إلى آخر في ساعات النهار ذات الحرارة المرتفعة (شو مثل النَّوَرْ ما بترحل غير بوقت الشوب).

كما أن جماعات النَّوَرْ لا ترحل في فصل الشتاء أو الربيع في ساعات النهار الأولى كما هو الحال عندهم في فصل الصيف. وقد أفادني أكثر من شخص من النَّوَرْ في أماكن مختلفة من قطرنا ومن بينهم نور صافيتا والعريضة:

أن النَّوَرْ في رحيلهم يتخذون من جلد الطبل مؤشراً لهم في رحيلهم، حيث يضعون الطبل من الصباح الباكر عرضة لأشعة الشمس، وبين كل فترة وأخرى يضربون عليه عدة ضربات. فإذا كان صدى هذه الضربات صافياً وناعماً إلى حد ما فإن ذلك يعني في نظرهم أن حرارة الشمس في الجو قد ارتفعت وأن ذلك هو بمثابة إيذان لهم بالرحيل على ظهور حميرهم. أما في أيامنا هذه فقد شاهدت النَّوَرْ في حوران وفي وسط سوريا كما في الساحل يرحلون على ظهور السيارات الشاحنة التي يستأجرونها لهذا الغرض وبخاصة اليابانية منها مثل: السوزوكي.

أما عن سبب رحيلهم في ساعات الحر الأولى من النهار فقد أفادني رجل من نور صافيتا قد استقر منذ فترة طويلة بما يلي:

أنه في يوم الرحيل ينهض الرجال مبكراً لحزم خيامهم وأمتعتهم في حين تذهب النسوة إلى بيوت القرية كي يحصلن على ما يمكن جمعه من الطعام كي يكفيهم طيلة ذلك اليوم الذي قد هيئوا أنفسهم فيه إلى الانتقال من مكان إلى آخر.

فما أن تعود النسوة من الشحادة يكون الرجال بدورهم قد جهزوا الخيام والمتاع للرحيل. وعندئذ يتناولون طعام الفطور مما قد جمعته النسوة. وأن النوري لا يمكن أن يشرع بالرحيل بدون تناول طعام الفطور والقهوة المرة.

ومما يساعد النَّوَرْ في المرونة على الرحيل من وقت إلى آخر هو قلة وخفة الأمتعة التي يقتنوها في خيامهم من أجل حياتهم اليومية.

العمل الذي يمارسه الرجل النوري في منطقة صافيتا:

يمكننا القول بصورة عامة أن الرجل النوري في منطقة صافيتا والعريضة يبقى في الخيمة لاحتساء القهوة المرة وتناول الطعام الذي كانت زوجته أو ابنته أو أخته قد جلبته من تجوالها طوال النهار دون كلل أو ملل بين أزقة هذه القرية وتلك. أما الأعمال التي يمارسها الرجل فعلاً تكاد تكون بطبيعتها أقرب منه إلى الهواية تسري في بنيتهم الاجتماعية منه إلى العمل الجاد والمنتج الذي يمكن من خلاله أن يسد الرجل حاجات أسرته اليومية. ومن أهم الهوايات التي يمارسها الرجل حتى الآن في منطقة صافيتا ما يلي:

١ -تربية الحمير والخيول والاتجار بها بين صفوف الفلاحين المحتاجين إليها في مواسم الحصاد والفلاحة. حيث يشتري الرجل النوري حيوان الحمار والحصان من فلاحي المنطقة في نهاية فصل الشتاء بعد أن تكون قد هزلت لقلة التبن والعلف عند مالكها مما يضطره إلى بيعها بأرخص الأثمان إلى النُّوَرْ. والنُّوَرْ بدورهم يقومون برعي تلك الحيوانات على ضفاف الأنهار والأودية وفي الأماكن الغنية بالأعشاب كي تتحسن حالتها الصحية وتتصح (تَسمَن). وما أن يأتي موسم الحصاد حتى يبدأ الفلاح بشراء الحيوانات اللازمة له لجني المحصول ودرسه. وفي هذا الوقت تبدأ عملية عكسية حيث الفلاح يشتري الحيوانات من النُّوَرْ وبأثمان غالية قياساً بالأسعار التي كان قد باعها الفلاح في الشتاء إلى النُّوَرْ.

٢ ـ ممارسة الصيد: يهتم الرجل من نور صافيتا بمهنة الصيد الليلي والنهاري على السواء وبمساعدة الكلاب التي بربيها ويهتم بها لدرجة يقدم لها الطعام كأنها فرد من أفراد أسرته مع إيوائها في سكن خاص بها إذا كان مستقراً أو في خيمته التي يسكن فيها إذا كان ما يزال يعيش عيشة الترحال وبشكل خاص في فصل الشتاء. ومن الكلاب التي يهتم بها من أجل ممارسة الصيد ـ كلاب البوجي ـ وكلاب السلوقي.

ويذهب الرجال ليلاً بكلابهم إلى سفوح الجبال وإلى بطون الأودية الحيوانات التي يمكن أن يصادفوها في رحلتهم هذه. ويأتي في مقدمة الحيوانات التي يحبون صيدها حيوان القنفذ البري الذي يُعتبر هدفاً لهم في صيدهم الليلي لاستطابة لحمه في مذاقهم.

ويحاولون اصطياد الحيوانات السريعة إن أمكن بمساعدة كلب السلوقي السريع العدو. ويأتي في مقدمة الحيوانات السريعة التي يحبون صيدها: الأرنب من أجل لحمه - الثعلب من أجل جلده الغالي الثمن.

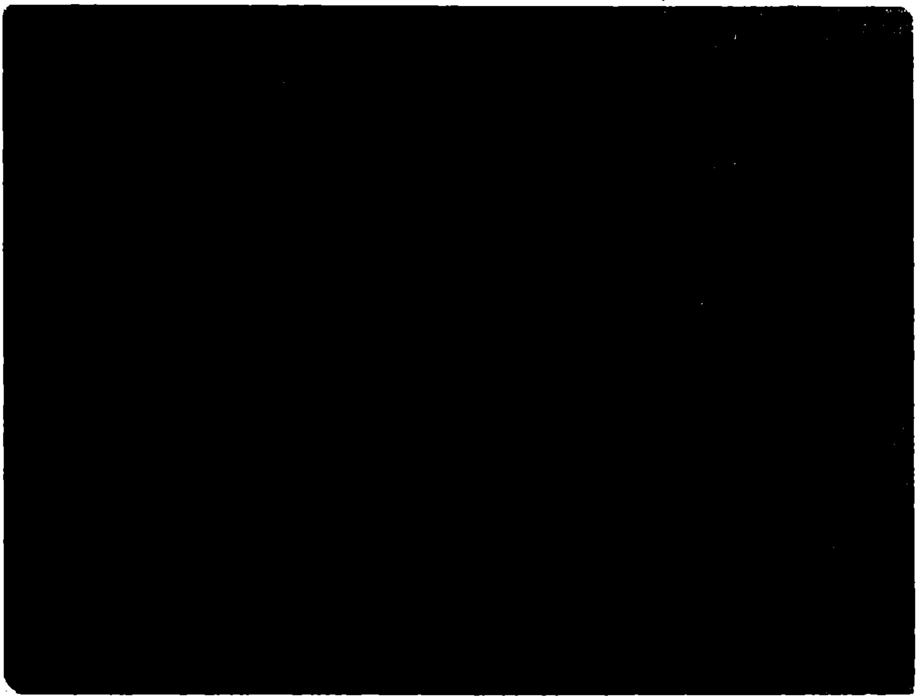

كلب صيد من نوع - البوجي - إلى جانب خيمة صاحبه والتي يظهر منها المدخنة للمدفأة المنصوبة داخل تلك الخيمة شتاءً من أجل التدفئة

ومن الطيور التي يحب النَّورْ اصطيادها طائر الحجل البري وبشكل خاص الذكر منه. فذكر الحجل يمكن أن يعلمونه المبارزة مع الذكور الأخرى من نوعه. فكلما كان ذكر الحجل يجيد المبارزة كلما كان ثمنه أغلى. كما أن ذكر الحجل يطلق أصواتا حلوة يستحب سماعها. وأن الحجل الذكر عند نور صافيتا وغيرهم بمثابة ساعة المنبه الذي ينهضهم عن طريق وضعه في قفص وإلى جانبه شبكة يربط بها خيط يمسكون طرفه من بعيد فعندما تقترب طيور الحجل البري من القفص بعد سماع صوت الذكر الذي يشدون الخيط من طرفه الذي يمسكونه فتطبق الشبكة على طيور الحجل البرية التي اقتربت من القفص الذي يعتبر بمثابة فخ أو شرك منصوب لها.

ـ عمل الأدوات الزراعية:

يقوم الرجال المتقدمون والمتوسطون بالعمر بشغل الأدوات الزراعية مثل: الغرابيل ـ المذاري ـ من أجل بيعها إلى الفلاحين في مواسم الصياد.

يبدو في الصورة الإطار الخشبي الذي يشبك فيه السرّيد المعمول من جلد الحيوانات لتحويله إلى غربال يستخدم في تنقية الحبوب من المواد الغريبة عنها وإلى جانب الإطار الخشبي يبدو المذارة لتذرية التبن لفصل القمح عنه ويبدو الصاج (قطعة معدنية دائرية الشكل مقعرة) يستخدم لعمل رغيف الخبز المشروح (الشراك).

ويهتم النَّوَرْ في منطقة صافيتا بتربية نوع من الدجاج الرومي كغيرهم من جماعات النَّوَرْ الأخرى بغض النظر عن المهنة التي يمارسونها وبغض النظر عن المنطقة التي يتواجدون فيها سواء بشكل دائم أم مؤقت. ويمتاز الدجاج الرومي بعنقه الطويل والعالي وصغر رأسه مع كبر وقساوة في منقاره. كما أن الأطراف الخلفية عند الدجاج الرومي تكون طويلة مما يعطي هذا الطير الارتفاع الأكثر مقارنةً مع الدجاج البلدي الأقل ارتفاعاً منه.

ويستخدم هذا الدجاج من أجل المبارزة فيما بينها. وأن هذا الهدف من مبارزة ذكور الدجاج الرومي هو: كسب الرهن الذي تم عليه الشرط بالنسبة لصاحب الديك الرابح وذلك من صاحب الديك المغلوب وقد تكلمنا عن هذه الطيور وتربيتها والهدف منها في أكثر من موضع من هذا الكتاب.

- عمل السجاد:

لقد تعلم النَوَرْ المستقرون في بلدة المتراس من السكان المحليين في تلك القرية مهنة شغل السجاد من الصوف لحيوان الغنم، لدرجة أننا نرى في كل منزل من منازل النَّوَرْ المستقرين في تلك القرية نولاً يستخدمونه في نسيج السجاد لأنه يدر عليهم ربحاً مادياً جيداً. والشيء الجيد أن النَّوَرْ الذين استقروا في بلدة المتراس وفي أماكن أخرى من صافيتا قد ابتعدوا نهائياً عن الشحادة. وصارت المرأة تعتني بأولادها الذين صاروا يذهبون إلى المدارس.

- إحياء الحفلات في الأفراح:

ويمارس النَوَرْ في صافيتا مهنة إحياء الحفلات الغنائية الراقصة على قرع الطبول والشبابة وحتى على أنغام العود والطبلية. فكثيراً ما يشكلون الفرق الموسيقية المكونة من قارع للطبل، وضارب على الطبلية، وضارب على العود، وفتاة جميلة تجيد الغناء والرقص معاً. لكن نور منطقة العريضة هم الأكثر شهرة بإحياء الحفلات الموسيقية الراقصة لدرجة أن كل أهل محافظة طرطوس وحمص يأتون إلى العريضة لدعوة الفرق الغنائية الراقصة لإحياء الحفلات هناك مقابل أجور مرتفعة يتقاسمها أعضاء الفرقة بالتساوي بغض النظر عن الدور الذي أدّاه كل منهم في تلك الحفلة.

النَّوَرْ في منطقة طرطوس (قرباط)

يعيش في أطراف مدينة طرطوس مجموعة من النَّوَرْ يزيد عددهم الإجمالي عن /٥٠٠ شخص/ موزعين على خمس مخيمات. ولا زال نور منطقة طرطوس إلى الآن يعيشون النمط الحياتي القائم على التنقل والترحال منذ زمن بعيد بين قرى محافظة طرطوس وخاصةً في فصلي الصيف والخريف /الصفصافة - حصين البحر - بمكله - دوير طه - نقيب - السودا - صايا - بلوزة - الدبيبية - الخراب - خربة الفرس - خربة الريح... إلخ. وغالباً ما ينصب هؤلاء النَّوَرْ خيامهم أثناء فترة الترحال النشطة عندهم /صيفاً وفي الخريف/ قرب مصادر مائية راكدة أم جارية.

مجموعة من الصبيان والبنات والنساء في مخيم يقع في حي الفقاسة بطرطوس حيث تظهر في الصورة /الطالبة/ لودي سافيدس/ التي ساعدتنا في التقاط الصورة لتلك المجموعة عام ١٩٨٧م.

ويقول /نور مدينة طرطوس/ على لسان الشيخ محمد أبو جمعه/ أنهم قد جاؤوا إلى هنا منذ زمن بعيد من منطقة إعزاز ـ عفرين إلى الشمال من مدينة حلب. أما تحديد الفترة التي جاء فيها أسلافهم إلى طرطوس غير معروفة مما يوحي بقدم تواجد هؤلاء النّورْ في ريف طرطوس. ويتكلم نور طرطوس الكردية والعربية والقرباطية. ومن خلال معرفة المنطقة التي جاؤوا منها من جهة ومن خلال المهن التي يمارسها كل من الرجال والنساء النّورْ في طرطوس يمكننا القول عنهم أنهم /نور من فئة القرباط/ الذين يعملون في صناعة الغرابيل والكرابيل بادئ الأمر وإلى الآن. أما الآن فقد صار الرجل الشاب يمارس مهنة /تلبيس وتركيب الأسنان/. وأن المرأة لا زالت تتجول بين أحياء القرى والمدينة /طرطوس/ تبيع أدوات بسيطة: شكلات شعر ـ أبر ـ خيطان ـ حنة ـ الكشاتبين ـ المرايا ـ لعب صغيرة للأطفال ـ علكة... إلخ، وتأخذ مقابلها: البرغل ـ العدس ـ الزيت ـ الزيتون ـ الأرز ـ السكر ـ فلوس.... إلخ. لكن هذه الفئة من الناس يطلقون على أنفسهم في طرطوس تسمية النَّوَرْ.

وأما تواجد النّورْ في مدينة طرطوس غالباً ما يكون في الشتاء في مخيمات تغلب على أصحاب كل واحد منها القرابة بالدم في معظم الأحيان:

ـ **منطقة كراجات الانطلاق للسيارات**: حيث يوجد مخيم للنور في حي الجمعية السكنية ويزيد عدد أفراد هذا المخيم عن /١٠٠ نسمة/. ومن أهم العائلات التي تسكن في هذا المخيم: عائلة البشراني وأن عدد الخيم العائدة لتلك العائلة /٤ ـ ٥ خيم/ لكن أفراد هذه العائلة دوماً في حالة تنقل حتى ضمن منطقة طرطوس، تارةً يستقرون في آخر المساكن الشعبية، وتارةً في مدخل طرطوس الجنوبي وتارة أخرى قرب كراجات الانطلاق وتنقّل هذه العائلة في أطراف مدينة طرطوس دائم على مدار السنة تمشياً مع العوامل الجوية وهناك عائلة الشيخ أبو إبراهيم حسن وعائلة الشيخ أبو الفوز.

ـ **منطقة مَرْقية**: بالقرب من الجسر على الطريق العام طرطوس ـ بانياس/ ويتكون المخيم هنا من عدة عائلات يزيد عددها بصورة عامة عن /١٠٠ شخص/. وأهم العائلات في هذا المخيم أو المنطقة ـ عائلة الشيخ أبو جمعه /٧ ـ ٨ خيام/ موزعين على الجانب الشرقي للطريق العام طرطوس ـ بانياس، ولهم خيام على الجانب

الغربي لخط طرطوس ـ بانياس، وهناك عائلة عبد الكريم. إن نور هذا الموقع غالباً ما يعملون بالزراعة في الأراضي القريبة منهم إذ يقومون بجمع المحاصيل. ونساء هذه المجموعة تمارس مهنة الشحادة. وأن مناطق التنقل لهذه الجماعة غالباً ما يكون بين القرى التالية /بلوزة ـ صايا ـ الدبيبية ـ الخراب ـ القرمية/. ويسمى هذا المكان في منطقة /مفرق الجمعية التعاونية للسياحة والاصطياف/ جانب محطة محروقات الساحل الذهبي.

ـ في حي /مار الياس وقرب السجن المركزي في مدينة طرطوس/ ويسكن في هذا الحي العائلات التالية:

ـ عائلة خليف التي تسكن قرب السجن وعدد خيامها /٥ ـ ٦/ خيمة تعود له ولأولاده: خليف ـ حسين وإلى أخيه الشيخ توفيق وابنه /خيمتان/.

ـ وهناك الحاج أبو الفوز الذي يملك بيتاً مبني من الاسمنت مكون من طابقين يقع في آخر حي /مار الياس/ (يقع حي مار الياس في الشمال الشرقي من مدينة طرطوس) وقد تم بناء البيت العائد إلى السيد الحاج أبو الفوز عام ١٩٧٨م. ففي الطابق الأول تقوم محلات حدادة عربي ـ افرنجي. لكن الشيء الطريف أن الحاج أبو الفوز لا زال يضرب خيمته أمام منزله ويعيش فيها مفضلاً إياها على السكن في البيت المؤثث والمخدّم حسب متطلبات الحياة اليومية المعاصرة /كهرباء ـ ماء ـ أدوات كهربائية ـ مذياع ـ التلفاز/ ١٩٨٧م.

وقد أجاب الحاج أبو الفوز عن سؤالنا له: لماذا تسكن في الخيمة ولك منزل حديث وجيد ومؤثث فكان جوابه (إنني بصراحة لا أستطيع النوم في ذلك المنزل، كما أنني لا أتهنّأ في العيش إذا لم أكن في الخيمة بشكل دائم بالإضافة أنني أضع مصبات القهوة /الدلال/ في هذه الحفرة التي كنت قد حفرتها في وسط الخيمة كما تشاهدون فهل أستطيع الحفر في أرضية المنزل من أجل وضع أدوات القهوة/.

وفي منطقة قريبة من قرية /البصيرة/ إلى الجنوب من معمل الإسمنت حيث تسكن جماعة السيد حسن أبو وجيه ويزيد أن عددهم يزيد عن الخمسين شخصاً بصورة عامة.

- الزواج:

لا يتم الزواج بين الشاب والشابة إلا من خلال الخطبة التي يقوم بها أهل الشاب بأن يذهبوا إلى بيت البنت التي أرادوها زوجةً لابنهم فبعد أن يوافق أهل الفتاة على طلب أهل الشاب بتزويجهم ابنتهم لابنهم الذين جاؤوا من أجله يبدؤون بتحديد المهر الذي يتناسب في كميته طرداً مع جمال تلك البنت.

وقد حدثنا السيد أبو خالد: أحمد حسن: أنه تزوج من امرأته الأولى بمئة نيرة ذهبية لكونها جميلة جداً أما زوجته الثانية فكان زواجه منها مقابل /٧ ليرات ذهب* /

والفتاة غالباً ما تزوج على رأي والدها وليس على رأيها. وإذا لم يكن عند الأب رغبة بتزويج فلا يوافق على تخطيبها ممن يأتون إلى عنده.

- زواج الخطيفة:

إن هذا الزواج حاصل عند كافة فئات النَّوَرْ بغض النظر عن المهنة التي تمارسها هذه الفئة أو تلك على الشاب الخاطف دفع مبلغ من المال يحدده والد الفتاة المخطوفة وغالباً ما يصل إلى ثلاث أضعاف المهر في الأحوال العادية. وإذا لم يدفع أهل الشاب المبلغ الذي يطلبه والد الفتاة يتم إجلاؤه عن المنطقة التي يعيش فيها أهله إلى جانب مطاردته وقتله إن أمكن بعد أن يتم قتل البنت لأنه حسب العرف عند النَّوَرْ لا يجوز قتل الشاب الخاطف إلا بعد قتل الفتاة المخطوفة أولاً من قبل أهلها. فإذا ما أقدم أهل الفتاة على قتلها عندما تخطف صار من الواجب عليهم قتل الشاب الذي كان قد خطفها وعند ذلك تأخذ المشكلة أبعادها الاجتماعية السلبية على أهل كل من الشاب والشابة اللذين كانا قد خطفا بعضهما دون إرادة الأهل. أما إذا خطفت امرأة متزوجة من عند زوجها رجلاً آخر فلزوجها الحق استرداد المهر الذي كان قد دفعه إلى أهلها. كما أن الأهل يأخذون مبلغاً كبيراً من المال يزيد عن ضعف المهر الذي زوجوها مقابله أول مرة كشرفية لهم. وبهذا فإن الزوج الجديد الخاطف للمرأة المتزوجة عليه دفع ثلاثة أضعاف المهر العادي إلى أهل تلك المرأة، وإلا ستحدث حتماً جوانب سلبية بين أهل الطرفين.

---

* إن كلام السيد أبو خالد (أحمد حسن): مشكوك فيه وهو أقرب إلى الادعاء. لأن المهر في الماضي بالنسبة لعشائر النور: لا يتجاوز عدداً من الجلود وعدداً من الغرابيل وحمار بالنسبة للنّور القرباط، وبالنسبة للنّور الآخرين فقد كان المهر على الأغلب كلباً من كلاب البوجي أو السّلق. وحمار وذكراً من طيور الحجل.. إلخ.

وإذا ما تم الصلح فإن الرجل الذي خطفت زوجته له الحق بأن يتزوج من أخت زوجته الباكر التي لم تتزوج بعد، واسمها جمرة. كزوجة ثانية. وقد حصلت مثل هذه الحادثة عند /الشيخ أبو وجيه/ حيث خطفت إحدى بناته المتزوجات مما اضطره إلى إعطاء ابنته الأصغر الباكر زوجةً لصهره الذي كانت زوجته قد خطفت وهي على عصمته. ويسود عند نور طرطوس ـ كغيرهم من جماعات النَّوَرْ ـ عادة زوج البدل أو المقايضة أو زواج الداقيش. كما تسود عادة الزواج أكثر من زوجة عند رجال النَّوَرْ في منطقة طرطوس. وزواج الرجل ثانية في هذه الحالة يحصل إذا ما وافقت الفتاة التي يريد الزواج منها على أن تتزوج منه. لأن الأهل هنا لا يجبرون ابنتهم بالزواج من رجل متزوج إلا إذا كانت البنت راضية عن ذلك. والزواج بصورة عامة محصور بين العشائر النورية حصراً فلا يزوجون غيرهم ولا يتزوجون من غيرهم. وتعدد الزوجات عندهم من أجل جمع الثروة التي تكثر كلما كثر عدد الزوجات عند الرجل.

والشيء الطريف أن الرجل عند جماعات النَّوَرْ: أن الرجل في البيت هو الكلمة النافذة والمسموعة والذي لا يُخالف له رأي على عكس من المرأة التي تخضع خضوعاً كاملاً للرجل علماً أنها هي عماد ا لبيت، حيث تقوم بتأمين كل شيء لأفراد الأسرة عن طريق مهنتها التي تمارسها الشحادة أو البيع للأدوات التي تشتريها وتبيعها للنساء مقابل مواد تموينية.

والنَّوَرْ يحبون الفرح وأن الفرح عندهم صاخب ومكلف لدرجة أن والد العريس يمكن أن يبذر ثروة بقي مدة عدة سنوات وهو يجمع بها كل ذلك من أجل التفاخر والتباهي. ويبقى أهل العريس طويلاً من الزمن يرددون وصف الفرح والمال الذي صرفوه في عرس ابنهم. ويدوم الفرح عند النَّوَرْ بعد يوم الزفاف من ٣ ـ ٧ أيام مليئة بالغناء والرقص والشوباش.

ـ النمط المعيشي للنَّور في طرطوس:

ـ لقد كان النَّوَرْ في مدينة طرطوس يمارسون مهنة /صنع الغرابيل ـ المذراة ـ الكرابيل/ من جلود الحيوانات الميتة /حمير ـ خيول ـ بقر...إلخ/ ولا زال البعض من الرجال المتقدمين بالعمر يقومون بصناعة مثل تلك الأدوات والتي تباع في القرى من ريف مدينة طرطوس.

ـ وهناك من رجال النَوَرْ في طرطوس يعملون في صناعة السكاكين مثل /أحمد أمونة/ ويمارس هذا الشخص مهنة صنع الغرابيل. والكرابيل من جلود الحيوانات التي يؤمنها من المسلخ، أو عند الجزارين.

ـ هناك جماعة يمارسون الجهد العضلي المتعب مثل جماعة /أبو وجيه: محمد أبو وجيه/. حيث يعمل الأب والابن في حمل الأثقال عند المزارعين، أما النساء فإنها تذهب إلى القرى المجاورة /المتن ـ صايا/ من أجل الشحادة بالإضافة إلى عملية التنجيم مقابل مبلغ من المال من أجل تبييض الحظ /٥ ـ ١٠ل.س/.

ـ البعض من الرجال يعملون في مهنة تلبيس الأسنان مثل عائلة /خليف/ وهناك قسم من هذه العائلة يعملون في الكراجات /جباة في السيارات ضمن طرطوس/ أما النساء تقوم بتبديل السكاكين والثياب المطرزة التي تأخذها معها من أجل الحصول بدلاً منها: الرز ـ الزيت ـ البرغل ـ السكر ـ الزيتون.... إلخ.

أما بالنسبة للمرأة النورية في طرطوس فإن مهنتها الأساسية هي /الشحادة/ وخير مثال على ذلك نساء السيد الحاج أبو الفوز الذي يملك بيتاً بطابقين إلى جانب أموال أخرى كلها عن طريق زوجاته السبعة اللاتي لا زلن على عصمته.

والمرأة النورية لها أسلوبها في الشحادة التي هي من قبل أن تكون مهنة: فبعض النساء تشحد لأولادها اليتامى الذين يكونون بجانبها بلباس المرأة مهترئ كي تستدر العطف عليهم. ومن النساء ما تشحد متذرعة بأن زوجها مريض أو في المشفى وبحاجة إلى عملية جراحية.... إلخ والمرأة الأفضل بنظر زوجها هي التي تستطيع أن تأتي من الشحادة بأكبر كمية ممكنة من المواد التموينية والدراهم. وفي أغلب الأحيان تسرق المرأة النورية ما يمكن أن تصادفه في الدار التي دخلت إليها من أجل الاستعطاء من أهلها إذا كان الجو سانحاً لها بذلك.

فعلى سبيل المثال هناك السيد /أحمد حسن: أبو خالد/ الذي يسكن قرب السجن له زوجتان تعملان طوال النهار في الشحادة وعنده /١٢ ولداً/ كل هؤلاء الأطفال يعملون بالشحادة داخل مدينة طرطوس. وفي المساء عندما يعودون إلى البيت يسألهم أبوهم عن المبلغ الذي جمعوه في ذلك النهار حيث يأخذه بكامله ولا يعطيهم منه إلا الشيء اليسير. أما الشيخ أبو جمعه وأولاده يعملون في العتالة في طرطوس، لكن البعض

من أولاده ونسائه يعملون في محطة للأعلاف قرب المحطة الحرارية والبعض يعمل في جمع المحاصيل الزراعية.

لا زال النَّوَرْ في طرطوس يربون حيوانات الحمير من أجل الرحيل والانتقال بين القرى التابعة لمحافظة طرطوس ويربي النَّوَرْ الكلاب للحراسة من جهة ولممارسة هواية الصيد من جهة ثانية في المناطق الجبلية الواقعة إلى الشرق من مدينة طرطوس وخاصةً الصيد الليلي للحيوان المحبب إلى النَّوَرْ والذي يُدعى /النيص/. عن طريق كلاب البوجي، والسلق.

أطفال في أحد المخيمات للنَّوَرْ إلى جانبهم الكلب من نوع /البوجي/
الذي يستخدم في صيد الحيوانات ليلاً مثل: النيص - الغريري

ويُعتبر لحم حيوان النيص من اللحوم الطيبة لأنه حيوان عاشب ويحب تناول البسباس* الذي ينتمي إلى فصيلة نبات الشومر ذي الرائحة الجيدة. ويستخدم النَّوَرْ في طرطوس رماد عظام النيص في مداواة الجروح عن طريق رشها عليها بعد دهن تلك الجروح بالزيت البلدي.

---

* البسباس: نبات طيب الطعم والرائحة، وهو من فصيلة نبات الشمرة: الشومر. وهو نبات فصلي، يتكاثر عن طريق بذرة الصغيرة الحجم، / حيث عندما يكبر هذا النبات، يعطينا زهراً أصفر صغير الحجم.

وهناك جماعة صغيرة تقوم بالضرب على الطبل وعلى الزمر مثل: حمود الريس يدق على الطبل ـ حسن الريس يلعب على الزمر ـ فرج الريس /أبو أحمد/ من أجل إطلاق صيحات الشوباش.

يدين النَّوَرْ في طرطوس بالإسلام ولا يشربون الخمر على عكس جماعة العريضة وتلكلخ ونور اللاذقية وبانياس الذين يسمون محلياً /مطاربة/ الذين يحبون تعاطي المشروبات الروحية وخاصةً في وجبة العشاء التي تعتبر وجبة رئيسية عند جماعة النَّوَرْ. والخمر بنظر النَّوَرْ لمدينة طرطوس حرام وشاربه كافر. فذات مرة كان /عبد الكريم أحمد/ يدق على الطبل وضرسه ملتهباً فأشار عليه الحضور بوضع قطنة مشبعة بالعرق على الضرس الذي يؤلمه فرفض وقال إن ذلك حرام وكفر. واستمر في الدّقّ على الطبل بكل أريحية وضرسه يؤلمه.

نَورْ مشتى الحلو: ريّاس

وهنا مجموعة من النَّوَرْ /الرياس/ يتواجدون في منطقة مشتى الحلو. ويتجاوز عدد هؤلاء النَّوَرْ المئة شخص. ويقيم هؤلاء النَّوَرْ في الخيام في منطقة مشتى الحلو حول نبع مريزي والأودية المحيطة به في فصل الصيف. وتكون خيام هؤلاء النَّوَرْ صيفاً متفرقة ومتباعدة عن بعضها البعض إذ من النادر أن يكون ٣ ـ ٤ خيم، إلى جانب بعضها البعض بسبب توزعهم في كافة أرجاء مشتى الحلو. أما في فصل الشتاء فغالباً يتجمعون في مخيمات قريبة من بعضها البعض وفي أماكن مرتفعة كي لا تغمر خيامهم المياه السائلة من أعالي المرتفعات باتجاه المنحدرات لكون المنطقة جبلية.

ولا يعرف هؤلاء النَّوَرْ الفترة الزمنية التي جاؤوا فيها إلى منطقة مشتى الحلو ولكن كما قال أحد الكبار في العمر أنهم ولدوا هنا وأن أباه ولد هنا /المشتى/ وبهذا يكون تواجدهم في منطقة مشتى الحلو ما يزيد عن /١٠٠/ عاماً مضت.

ويتكون هؤلاء النَّوَرْ من العائلات التالية:

١ ـ أسرة أبو فرح، ٢ ـ أسرة حمود، ٣ ـ أسرة ظاهرة، ٤ ـ أسرة أبو سعيد، ٥ ـ أسرة أبو نديم. إلى جانب بعض العائلات الصغيرة التي تسكن في النزل /المخيم/.

وأن هؤلاء النَّوَرْ ليسوا جميعاً مسجلون في السجلات المدنية. وأن القسم الأعظم قد حصل على الجنسية السورية وأن أولاد هؤلاء قد خدموا في الجيش العربي السوري. كما أن أطفال هؤلاء المسجلين في النفوس يذهبون إلى المدارس المجاورة لمخيماتهم.

والأشخاص الذين لا يملكون بطاقات شخصية يأخذ ورقة تعريف من المختار تشهد له بأنه نوري. إلا أن هؤلاء الناس غير المسجلين يحق لهم الاستفادة من المشافي الحكومية ومستوصفاتها مع إمكانية الحصول على بطاقات تلقيح لأولادهم.

يعمل الرجال النَّوَرْ في منطقة مشتى الحلو في حقول الفلاحين بأجور يومية تتجاوز الستون ليرة في مواسم قطاف الزيتون والتفاح ١٩٨٦م. كما أنهم يقومون بالعمل المتعب كالحفريات من أجل إشادة الأبنية، ويعمل قسم من الرجال في المواصلات كفرش

الطرقات بالإسفلت. ويقوم رجال منهم بأعمال تفريغ وتحميل السيارات بالخضار والفواكه في أسواق مشتى الحلو ـ صافيتا. والمرأة تعمل بدورها مع الرجال في تحويش الثمار للأشجار المثمرة /التفاح ـ الزيتون/. وتقوم بعض النسوة من نور مشتى الحلو بمزاولة مهنة /الشحادة/ عندما يكون زوجها فقيراً. ومن الأعمال الرئيسية التي يمارسها نور مشتى الحلو إحياء الحفلات السارة مثل الأعراس وأعياد رأس السنة، حيث يتم دعوتهم من سكان المنطقة للمشاركة بالأفراح. وعندما تكون في مناسبات الأفراح فرق موسيقية من النَّورْ فإنها تضفي على الجو الفرح والبهجة وتنتزع البسمة من شفاه الناس المتفرجين على قرع الطبول واللعب بالزمر والعزف على الشبابة والناي. ومما يجدر ذكره أن الرجال فقط من النور هم الذين يحيون الحفلات الموسيقية دون النساء.

وما يجمعه الرجال أثناء الحفلات من فلوس يوزعونها على كافة العائلات التي تعيش معاً في نزل واحد (مخيم واحد)؛ وكالعادة فإن المخيم الواحد عند النَّوَرْ لا يضم جماعة واحدة فقط يرتبط أفرادها جميعاً برباط القرابة الدموية، وإنما يكون المخيم مكونا من مجموعات من العائلات التي لا تمت لبعضها بالقرابة الدموية ولكنها آثرت العيش معاً لأن هناك رباطاً قوياً يجمع أفراد هذه العائلات هو رباط النمط المعيشي غير المستقر القائم على الترحال، وتعاطي المهنة الواحدة.

ويتكلم هؤلاء اللغة الكردية مع معرفة باللغة التركية بشكل ضئيل. والكبار في السن يعرفون اللغة القرباطية: النورية أو لغة العصفورة /الضومية/. ودون أدنى شك أنهم يجيدون التكلم بالعربية بطلاقة.

ويدين هؤلاء بالدين الإسلامي ولكن لا نعرف مدى تطبيقهم لمبادئ الدين: الصلاة ـ الصوم. والشيء الطريف عند نور منطقة مشتى الحلو أن عادة تعدد الزوجات ليست سائدة بين صفوفهم كغيرهم من بقية فئات النَّوَرْ الأخرى وربما هذا يعود إلى تأثرهم بالعادة والتقليد السائدة عند سكان /مشتى الحلو/ الذين يدينون بالديانة المسيحية التي لا تسمح للرجل أن يجمع في عصمته أكثر من امرأة واحدة وفي وقت واحد.

وعند السؤال لماذا لا يتزوج الرجل أكثر من مرة كان الجواب: إن الحالة المعيشية صعبة ولا يستطيع الرجل تأمين الطعام لامرأة واحدة وأطفالها فكيف إذا كان عنده زوجتان. إن ذلك لشيء طريف وغريب عما هو مألوف لدى التنظيم الاجتماعي عند النَّوَرْ

بصورة عامة الذي يقوم على تعدد الزوجات وخير مثال على ذلك النُّوَرْ في بقية منطقة طرطوس والأقرب صافيتا حيث تسود عند نور صافيتا ظاهرة تعدد الزوجات لكون البيئة التي تحيط بهم هناك تدين بالدين الإسلامي الذي يسمح للرجل بأن يجمع في عصمته أكثر من امرأة واحدة في وقت واحد.

- اللباس:

يرتدي الرجل القلابية والجاكيت من فوقها، ويلف على رأسه القضاضة أو المنديل: الشماخ بدون أن يضع فوقه العقال (البريم).

رجلان مع أطفال في لباسهما الشعبي التقليدي - مشتى الحلو - ١٩٨٦م.

ويتكون لباس المرأة من ثوب طويل من القماش له فتحة على شكل قبة ذات شكل /٧/. وترتدي المرأة فوق هذا الثوب رداءاً من القماش المخاط على شكل عباءة ولكن بأكمام طويلة ومفتوح من الأمام بشكل كامل تستخدمه المرأة في حمل الأشياء على ظهرها وفي حمل طفلها أيضاً. ودوماً يكون الثقل المحمول بواسطة العباءة الخارجية يضغط على الكتف الأيمن من الأعلى في حين يكون الشيء المحمول أو الطفل

المحمول على الجانب الأيمن بحيث يمكن وضع وإخراج الشيء بهذا الرداء الذي اتخذ شكل الكيس المفتوح من الأعلى وعلى الجانب الأيمن بسهولة[١].

وترتدي المرأة سروالاً تحت ثوبها الطويل. وتلبس المرأة على رأسها منديلاً من القماش الأبيض أو الملون تلفه على رأسها وعلى عنقها ويكون في النهاية له طرف من الخلف منسدل على الظهر. وتمسك المرأة هذا المنديل على رأسها بقطعة قماش تربط رأسها بها بحيث تكون الجبهة ونصف الرأس مغطى وتكون العقدة لطرفي قطعة القماش العليا (العصاب) أيضاً إلى الخلف كما هو الحال في الصورة التالية:

امرأة من /نور مشتى الحلو/ بلباسها الشعبي التقليدي
وبيدها صفيحة من البلاستيك ١٩٨٦م

ـ الجانب التعليمي:

إن المستوى التعليمي عند نور مشتى الحلو متدنياً شأنهم بذلك شأن بقية فئات النَّوَرْ في القطر العربي السوري. والسبب في ذلك هو ترحالهم الدائم وعدم تسجيلهم في السجلات المدنية. وينعكس المستوى التعليمي المتدني جداً عندهم على أحوالهم المادية الفقيرة إلى جانب حرمانهم من الضروريات الأساسية للحياة من /بيت ـ كهرباء ـ ماء ـ

---

١ - يعرف هذا الرداء بتسميات عدة منها: الزبون -- الخفتان – الشقبان – الزعبوط.. الخ.

أدوات كهربائية ضرورية للحياة الحالية/ لكونهم لا زالوا يعيشون في الخيام التي لا تتوفر فيها الماء ولا الكهرباء.

مجموعة من الأطفال /مشتى الحلو/ ١٩٨٦م.
تعلو شافههم البسمة البريئة المشبعة بالبؤس والحرمان

ـ نور بلدة القمصية /منطقة الشيخ بدر/ /مطارية/:

يوجد مخيم للنّورْ على جانبي الطريق الواصل ما بين طرطوس وبانياس، وعلى مقربة من مفرق الرمال الذهبية. ويتراوح عدد خيام النزل /١٢ ـ ١٥ خيمة/. وكلهم ينتمون إلى عائلة خضور. وأن جد هذه العائلة لا زال على قيد الحياة، وبيده صلاحيات واسعة. وأن زوجة السيد خضور، لا تزال على قيد الحياة، وهي تشرف على أعمال النسوة للنزل المذكور.

يطلق هؤلاء على أنفسهم تسمية /مطارية/. ويكرهون بأن يدعون بالنَّوَرْ أو الضوم. ويعتبرون جماعات النَّوَرْ من المهن الأخرى: القرباط /غرابلية/ ـ الرياس ـ الحجيات، فئات دنيا بالنسبة لهم. وإذا ما غضبوا من شخص نعتوه بكلمة نابية بالنسبة لهم وهي (قرباطي ـ ابن سلاخ الحمير).

نساء هذه الجماعة /خضور/ تشحد، حيث تعتبر الشحادة حقاً معلوم بالنسبة لهم. وأن لهم نصيباً في ما يملكه الآخرون. وما يتم الحصول عليه يُدعى /الكِشْت/ ويؤمن هؤلاء بوجود الأرواح الشريرة، ودخولها إلى الجسم وتتم المداواة منها بالذهاب إلى المشعوذين لكتابة الحجاب، كحرز يشفيهم من تلك الأرواح التي تتلبّسهم.

ويمارس الرجال مهنة الصيد ليلاً بواسطة كلاب البوجي، الذي يساعدهم على التعرف على أوكار حيوان /النيص/، حيث ينظرون إليه نظرة احترام وتقديس أو تناول لحمه يشفي من كثير من الأمراض، وفي مقدمتها طرد الأرواح الشريرة. ويربي جماعة - خضور - ديوك الدجاج التركي من أجل المبارزة. وأن جميع أفراد النزل يدخنون التبغ وبشراهة. والفرد منهم مستعد للقيام بأعمال بدنية متعبة عند مزارعي التبغ، كي يحصل على هذه المادة من أجل التدخين.

وليس أفراد النزل من مهنة واحدة، فهناك البعض من الرجال يتعاطى مهنة صناعة الغرابيل، وأسرجة الخيول، السكاكين، والبعض الآخر يقوم بصنع الطبول. والمزامير. وأن سكان هذا النزل غير مسجلين بالسجلات المدنية. ولا يؤدون خدمة العلم. ولا يذهب أطفالهم إلى المدارس. ويتكلم هؤلاء اللغة الكردية، إلى جانب العربية، ويعرفون اللغة النورية الأم. ويشترطون على العريس، بعد الموافقة على الزواج منها ما يلي:

«لا تريد أن تظلمها، ولا تسبها، ولا تضربها يوماً من الأيام»، وعندما تذهب العروس إلى عند العريس. تقوم أم العريس بوشم وجه العروس للزينة. حتى عام ١٩٨٨م. لكن هذه الظاهرة الآن تكاد تختفي. لأن الذوق الاجتماعي الجمالي ليس ثابتاً، وإنما هو متغير.

- نور منطقة مصياف (ريّاس):

يوجد تجمعات للنّور في مصياف في الأماكن التالية: ١ - عند متنزه الوراقة في الجهة الجنوبية لمنطقة مصياف، ٢ - عند مفترق الطريق المؤدي إلى بلدة وادي العيون السياحية. ٣ - عند الجهة الشمالية لقلعة مصياف.

- يقوم الرجال بالعزف على الأدوات الموسيقية بدون مشاركة النساء، الطبل - الدف - الترونايا أو ما يُعرف بالزمر. ويقوم الرجال بصيد حيوان النيص من جحوره في المنطقة

الجبلية، بواسطة كلاب البوجي. ويصطادون حيوان الغريري بمساعدة كلاب السلوقي والسريع العدو.

أما النساء فيقمن بتربية الأولاد، والطهي، ويمارسن مهنة الشحادة، من أحياء القرى التابعة لبلدة مصياف. ويتم الزواج بين /١٥ ـ ١٦ عاماً للفتاة/ وتتم مراسيم الزواج عن طريق الأهل.

عائلة من النَّوَرْ الرياس في الجهة الجنوبية لمنطقة مصياف

كما أن هناك عائلة من النور الريّاس، يخيم أفرادها في الجزء الجنوبي من مدينة مصياف وهم أصحاب طبل وزمر، حيث يمارس الرجال منهم عمل: الريّس ـ بحيث يكوّن فرقة موسيقية راقصة يكون هو رئيسها. ومعه طبال، ودقاق زمر ـ إضافة إلى فتاة أو فتاتين من جماعة الحجيات كراقصات، من أجل تلبية دعوات الاحتفالات للمواطنين في المنطقة.

ويدين هؤلاء النّور بالإسلام، حيث يدفنون موتاهم على الطريقة الإسلامية، ويكفن الرجل المتوفى بأكفان تساوي عدد زوجاته اللاتي تزوج منهن في حياته، في

حين المرأة لا تكفن إلا بكفن واحد مهما كان عدد أزواجها اللذين كانت قد تزوجت منهم في حياتها. والجدير بالذكر، أنهم لا يأكلون قلوب الطير كما يدّعون، لأن الطير يسرح في الهواء، وهذا بدوره يؤدي إلى جعل الإنسان دوماً يسرح في الخيال، ولا يحبون لحم الدجاج كثيراً.

وأن نور منطقة مصياف، أصحاب طبل وزمر، ولا يسافرون إلى خارج القطر، وأن المرأة تمارس الشحادة يومياً، وتُعبّر عماد البيت المعيشي.

أما اللغة التي يتكلمونها، هي اللغة الكرمنجية /الكردية/: إلى جانب اللغة النورية الأم. ضّوم واري: أو لسان العصفورة. وهي من اللغات الهند وأوربا، وأن اللغة الأوردية - التي يتكلم بها بعضاً من شعوب هندستان هي الأقرب إلى لغة - ضوم واري تلك اللغة الأم لجماعات النور كافة ودون استثناء.

عشائر النَّوَرْ في لبنان

يتواجد النَّوَرْ في /لبنان/ حول أطراف المدن والقرى، وفي داخل بعض المدن مثل: صيدا - اشتورا - بيروت. ومعظمهم من النّور - المطاربة والرياس مع قليل من العائلات القرباطية مثل عائلات: الذيابات والعنطوز، وأن كافة النّور في لبنان يدينون بالإسلام، حيث يختنون الأطفال الذكور، ويدفنون موتاهم على الطريقة الإسلامية. وأن عاداتهم وتقاليدهم المعيشية هي نفس مثيلاتها عند النّور في منطقة الساحل السوري، مع فارق بسيط يتمثل أن النّور في لبنان أكثر انفتاحاً من النّور في سورية. ويحلون مشاكلهم فيما بينهم بالطرق السلمية. ولا توجد علاقات اجتماعية ما بين النور القرباط من جهة، وبين النور الآخرين من: المطاربة - الريّاس - الشعار(القواصيد) لدرجة تصل الأمور فيما بينهم إلى درجة القطيعة، حيث كل فريق منهم ينظر إلى الفريق الآخر نظرات دونية، ولكل فريق حججه التي تؤيد وجهة نظرته حيال الآخر.

- وأن الشيء الذي يجب ذكره:

أن كافة أفراد النّور في لبنان دون استثناء، وبغض النظر عن اختلاف مللهم ونحلهم، لم يشاركوا في الحرب الأهلية التي اندلعت في لنان عام ١٩٧٥ وحتى نهاية الثمانينات من القرن العشرين. وأنهم كانوا محايدين، ولم ينصروا فريقاً على آخر، وإنما العكس كانوا يرتحلون من المنطقة نهائياً التي تصبح ساحة لقتال أهلي طائفي. وأن قسماً كبيراً منهم ارتحل إلى سوريا وبخاصة إلى منطقة الساجل، والقسم الآخر انزوى في المناطق اللبنانية التي كانت بعيداً عن الحرب الأهلية.

١ -عائلة بيت شكري، وينتشر أفرادها في صيدا وبيروت.

٢ -عائلة بيت الأسمر، وينتشر أفرادها في كل من مناطق صيدا، وبيروت وبخاصة في القسم الغربي منها، ويمتهن هؤلاء مهنة الرقص والغناء /حجيّات/.

٣ -عائلة التركماني، وينتشر أفرادها في خلدة وبيروت، وبر الباس.

٤ - عائلة بيت حمزة، وينتشر أفرادها في بيروت الغربية.

٥ - عائلة الطرابلسية، وينتشر أفرادها في بيروت وصيدا.

٦ - عائلة العلوني، وينتشر أفرادها في بيروت.

٧ - عائلة بيت المنّاوي، ويتواجد أفرادها في داخل الملعب الرياضي في بيروت، حيث وضع هؤلاء أيديهم عليه مع بداية الأحداث في لبنان عام ١٩٧٥م. وبعد انتهاء الحرب الأهلية ارتحلوا إلى مناطق متفرقة من لبنان.

٨ - عائلة بيت علّوش، وينتشر أفرادها في البقاع، وفي برالياس.

٩ - عائلة كرمو، وعائلة بيت محسن، في البقاع وفي بيروت.

١٠ - عائلة كنجو وعائلة مراد في طرابلس، عائلة بيت الأسعد. وتعدُّ عشيرة كنجو من أكبر عشائر وينتشر أفرادها في لبنان. ويأتي بعدها في العدد عشيرة الطرابلسية، وفي المرتبة الثالثة تأتي عشيرة كرمو وفي المرتبة الرابعة عشيرة بيت مصطفى. ومن العائلات الكبيرة في بيروت عائلة ـ الحمرات ـ وهم من نور عشيرة الهرامشة. /حجيات/

ومن العائلات التي تسكن في لبنان أيضاً:

عائلة مايهة ـ عائلة هندا ـ عائلة بشير ـ عائلة حكمة ـ الذيابات ـ وعائلة بيت كايد ـ عائلة بيت الرقودي ـ عائلة إسبر ـ عائلى بيت عنطوز.

ـ عائلة الذيابات/ قرباط/:

يعيش أفراد هذه العشيرة في منطقة ـ وادي الزيد ـ المطلة على الساحل مباشرة. وتقع منطقة تواجد عشيرة الذيابات إلى الشمال من مدينة صيدا بعشرة كيلومترات، حيث أشجار السرو، والصنوبر البري.

ويمارس الرجال من عشيرة /الذيابات/ مهنة صناعة الغرابيل بأنواعها المختلفة. ويتم تحضير /السريد/ من جلود الأبقار والأغنام، والماعز، وحتى من جلود الحمير، حيث يقومون بتحضيرها، ليجعلوا منها مادة صالحة لصنع الغرابيل، في حين أنهم يحضرون طارات الخشب التي يحولونها إلى غرابيل من المعدن.

ويبيعـون الأدوات الزراعيـة الـتي يصـنعونها في الصـيف، وقـت مواسـم حصـاد الحبوب في منطقة البقاع. أما الأطفال ما بـين ١٠ ـ ١٥ عـام، يقومـون بمسـح الأحذيـة في شوارع مدينة صيدا.

أمـا نسـاء الـذيابات، فإنهن يقمـن بممارسـة مهنـة /الشـحادة/ في شـوارع صيدا، إلى جانب الفتيات الصـغار، إذ يطلـبن مـن المـارة، ومـن أصـحاب السـيارات الـتي تعبر شـوارع صيدا. وغالباً ما تحمل النسوة أطفالهن في أحضانهن.

ويسـكن هـؤلاء في خيـام تتكـون مـن أكيـاس الجنفـيص، وصـفائح القصـدير، والـورق المقـوّى. وتفـرش أرض الخيمـة باللبـاد والحصـر، والبسـط، والمخـدات، علمـاً أن أرض الخيام لا تزال من التراب وغير مفروشـة بمواد أخـرى كالإسمنت. والخيام منـورة بالكهربـاء بشـكل جمـاعي غير نظـامي نتيجـة للفوضـى الـتي اجتاحـت لبنـان منـذ عـام ١٩٧٥. وتوجد في خيامهم الأدوات الكهربائية: التلفاز ـ المكواة ـ الغسالة ـ المذياع.

أما ما يخص اللباس: فإن المرأة مـن عائلـة الـذيابات مثل بقيـة نسـاء العشـائر الأخـرى في لبنـان لم تتـأثر في تقليعـات اللبـاس النسـائي في لبنـان، فهـي محافظـة علـى لباسـها الشعبي والتقليدي وبإصرار:

بتورة طويلة فضفاضـة مـن الأسـفل، ومزمومـة في منطقـة الخصـر بواسـطة دكّـة مـن المطـاط. وتلبس الكنـزة الـتي تكفـت نهايتهـا في التنـورة. وتلبس علـى رأسـها قطعـة مـن القمـاش الأسـود النـاعم والشـفاف يعـرف باسـم /المنـديل/ وتلبس المـرأة المتقدمـة بالسـن الثـوب الأسـود الواسـع والفضـفاض، وتسـتر رأسـها بقطعـة مـن القمـاش الأسـود الآنـف الذكر. وأن لباس المرأة هنا هو شبيه بلباس المرأة لنور منطقة الحجر الأسـود الواقـع إلى الجنوب من مدينة دمشق.

أمـا الرجـال الكبـار، فليبسـون القلابيـة، والعقـال، والقضاضـة، في حـين يلـبس الشباب اللباس العصري /بنطال ـ جاكيت ـ قميص/.

ويحمل أفراد الذيابات هويات لبنانية قيد الدرس، ويحملـون أيضـاً جـوازات سـفر قيـد الـدرس، ويحـق لهـم السـفر كبقيـة المـواطنين مـن مطـار بيروت الـدولي. وهـؤلاء النَّـوَرْ، وبقيـة جماعـات النَّـوَرْ الأخـرى في كافـة أرجـاء لبنـان، لم تتـدخل في القتـال

الـذي يجـري في لبنـان، لا بـالعكس عنـدما يتعـرض مخـيم للنّـورْ لنـوع مـن الخطـر يهربون إلى مكان آخر أكثر أمناً.

عائلة من نور الذيابات في شمال /وادي الزين/. ١٩٩٠

- نور برالياس:

يعيش في منطقة /برالياس/، إلى الجنوب من بلدة اشتورة، وفي منطقة خلدة جنوب بيروت جماعة من النُوَرْ يعرفون بـ - عشيرة التركمان - ويقوم أفراد هذه العشيرة بصناعة الربابة - الدربكة - الطبل، أما بقية العائلات من النُوَرْ فإنها تمارس المهن التالية:

١ - **عائلة الطرابلسية**: يعملون في مدينة بيروت في مجال التنظيفات التابعة إلى البلديات.

٢ - **عائلة كرمو ومحسن**: يعملون في الرقص والغناء /حجيات/.

٣ - **عائلة المناوي**: يعملون في الدق على الطبول، والنساء في الرقص والغناء (حجيات).

٤ -عائلة العلوني: يعيشون في مدينة بيروت. ويمارس الرجال أعمالاً يدوية مختلفة، في حين تمارس نساء هذه العشيرة مهنة الشحادة.

٥ -عائلة بيت مراد: يعيشون في طرابلس، وتمارس نساؤهم الشحادة، ويوجد هناك اختلاط وتزاوج بين كافة عشائر النَّوَرْ في لبنان، حيث الجميع يمكن أن نضمهم إلى الجماعة التي تُعرف بتسمية المطارية، والحجيات. وكل النَّوَرْ في لبنان يحملون بطاقات شخصية، وجوازات سفر لبنانية تحت قيد الدرس. وعند دخولهم الأراضي السورية يعاملون في نقطة العبور (معاملة المواطن اللبناني). وينتظم النَّوَرْ في لبنان على شكل عشائر، حيث لكل عشيرة شيخها، ولكل النَّوَرْ في لبنان كبير، يحتكمون إليه في خلافاتهم العشائرية.

وكل النَّوَرْ في لبنان يتكلمون اللغة النورية /جب دوموماري/ اللسان النوري. إلى جانب اللغة العربية، ولغات أخرى مثل: التركية ـ التركمانية ـ الكردية.

ـ عائلة بيت الرّمّودي: (قرباط):

يعيش أفراد بيت عنطوز في ضاحية ـ خلده ـ جنوب مدينة بيروت. ونتيجة للحرب الأهلية التي نشبت في لبنان عام ١٩٧٥، رحل معظم أفراد هذه العائلة إلى منطقة اشتوره، وأن الغالبية منهم قد استقرت في بيوت ثابتة، وأن البعض منهم بقوا حتى عام ١٩٨٦م، يعيشون في الخيام.

يتكلم هؤلاء القرباط فيما بينهم باللسان النّوري: ضّوم واري (لسان العصفورة). ويتقنون التحدث بالعربية باللهجة اللبنانية بطلاقة. وأن هؤلاء النّور أكثر انفتاحاً من النور القرباط في كل من حلب وحمص، حيث تتم عندهم فضّ الخلافات بالطرق السلمية وبخاصة ـ حالات زواج الخطيفة ـ وأن قتل الخاطف والمخطوفة لا يحصل إلا نادراً. وليسود عندهم تعدد الزوجات، والأسرة لديهم من النوع الممتد Patranomy ـ التي تتكون من أكثر من جيل، والسلطة فيها للأب. ولشيخ العشيرة الدور الرئيس لحل الخلافات بين أفراد عشيرته، وبين أفراد عشيرته وأفراد العشائر النّورية الأخرى. وإذا ما فرح أفراد هذه العائلة فإنهم يفرحون من أعماقهم، ويحزنون بصدق على موتاهم، وبخاصة إذا كان المتوفى شاباً، أو شابة ولم يتزوجا بعد.

وكان الرجل في الماضي، يمارس صناعة الأدوات الزراعية المشغولة من جلود الحيوانات مثال: الغرابيل - الكرابيل.. إلخ، في حين أن المرأة كانت تقود بدورها في الحصول على المواد التموينية عن طريق: الشحادة. وكان هؤلاء متنقلين حيث يصل بهم الانتقال إلى مناطق صيد - وصور - النبطية، لبيع الأدوات الزراعية التي قاموا بصنعها للفلاحين في تلك المناطق.

- عائلة بيت عنطوز (قرباط):

كان يعيش أفراد هذه العشيرة في لبنان، وقد انتقل قسم منهم إلى مدينة اللاذقية إثر اندلاع الحرب الأهلية في لبنان.

وأن هؤلاء النور القرباط من بيت عنطوز، أكثر انفتاحاً من قرباط منطقة حلب وحمص، والسلطة في البيت هي للأب، ولشيخ العشيرة عندهم الدور الأساسي في حلّ المشاكل التي تحصل بين أفراد العشيرة، والمشاكل التي تحصل مع أفراد العائلات النّورية الأخرى. والزواج محصور بين افراد العشيرة (زواج داخلي Endagamy) والمهر غالباً ما يكون عالياً، حيث يصل إلى ما يزيد عن ٤٠٠٠٠ ل ل. هذا عام ١٩٨٥م. ولا يزوج قرباط بيت عنطوز بناتهم إلى النّور الأخرين: المطارية - الريّاس - الحجيات - المبيضون - ويعود سبب ذلك حسب زعمهم: أن أفراد هؤلاء الجماعات من النّور لا يحافظون على عرضهم: (أن العرض عندهم رخيص). وفي الوقت نفسه لا يتزوج شبابهم من بنات العشائر النّور الأخرى الآنفة الذكر. وأن هذا القول ينطبق على النّور القرباط من بيت - الرمّودي.

ويحزن هؤلاء النور القرباط على موتاهم من أعماقهم، ويلفّون موتاهم بالكفن من القماش الأبيض، حيث يكفن الرجل الميت بأكفان تساوي عدد زوجاته اللاتي تزوج منهن قبال موته، في حين أن المرأة لا تكفن إلا بكفن واحد، مهما كان عدد الأزواج التي كانت قد تزوجتهم في حياتها قبل مماتها.

تسود عند النور القرباط كغيرهم من باقي عشائر النّور، ظاهرة الزواج المبكر للولد وللبنت، حيث السن الماسب للزواج للبنت ما بين ١٤ - ١٥ سنة، وللشاب ما بين ١٦ - ١٨ سنة. وأن البنت ملزمة بالحفاظ على عذريتها حتى ليلة زفافها. فإذا ما تزوجت، وعرف زوجها ليست باكر - يعيدها إلى أهلها، ويأخذ نصف المهر الذي كان قد دفعه

مهراً للعروس، والأهل بدورهم يبدأون التحقيق مع ابنتهم لمعرفة الشاب الفاعل، حيث يتم الصلح مقابل مهر مضاعف. وإذا لم يتم الصلح فغالباً ما تنتهي الأمور في مثل هذه الحال: بقتل الفتاة، ومن ثم قتل الشّاب الذي كان قد ضاجعها وهي بنت باكر... إلخ، وتسود عندهم ظاهرة تعدد الزوجات ولكن بشكل أقل مما هي عليه عند النّور القرباط في منطقة حلب وحمص وبقية المناطق في سورية.

ـ عائلة بيت الأسمر: (حجيات).

ينتمي أفراد هذه العائلة إلى عشيرة ـ المقصطلي ـ التي ينتشر أفرادها في كل من سورية ولبنان والأردن، ومن جملة العائلات النورية التي تنتمي إلى عشيرة المقصطلي ـ عائلة تدعى ـ المجارية أو بيت ـ الظاهر، حيث يتواجد افراد بيت ـ أبو مجرية في مناطق الجنوب من سورية وبخاصة في منطقة عين غزال إلى الجنوب من مدينة دمشق.

وتعد عائلة ـ بيت الأسمر النّورية من أكبر العائلات في لبنان، حيث يصل تعدادهم إلى ما يقارب /١٣٠ بيتاً: أسرة/ حسب قول أفراد هذه العائلة / أبو عدنان الظاهر الذي يسكن في عين غزال بسورية.

يعيش أفراد عائلة ـ بيت الأسمر ـ في منطقة ـ بر الياس ـ وفي منطقة المرج في لبنان. ويصلون في تنقلاتهم حتى مدينة صيدا وصور والنبطية.

وينتمي أفراد بيت الأسمر إلى النّور الذين يلقبون بالحجيات، حيث تمارس النسوة مهنة الرقص والغناء، وبرفقتها أخيها، أو زوجها، أو أبيها إلى دور الملاهي، أو النوادي الليّلية أو في الحفلات التي تقام المناسبات بالزواج، عندما يدعون من قبل المواطنين الذين يعيشون بكنفهم، وهم على هذه الحال حتى يومنا هذا.

ولا يتزاوج هؤلاء النّور مع النّور القرباط، حيث كل منهما يحتقر الآخر، فالنور القرباط ينظرون للنور: المطارية ـ الرياس ـ الحجيات ـ المبيضون ـ بأن عرضهم ليس غالٍ عليهم، في حين ينظر النور من المهن الآنفة الذكر ـ إلى القرباط على أنهم جلفين وكثيري المشاكل.

ولم تكن المرأة في الماضي تشارك في الحفلات التي يقيمها الريِّس، حيث تكون الفتيات اللاتي يشاركن الفرقة التي يرأسها الريس - من النرو الحجيات من العائلات الآتية:

الهرامشة - الكريملية - الصوالحة - القواسمة - وأما الآن فكثير من نساء النور مطاربة كانوا أم ريّاس - أم شعار (قواصيد) أصبحن يمارسن مهنة الرقص والغناء مع الفرق التي يشكلها الريس، ويمارسن الغناء والرقص في دور الملاهي، والنوادي الليلية.

ويحزنون ويفرحون من صميم أعماقهم. وأن الميت يكفن بأكفان تساوي عدد زوجاته اللاتي كنّ قد تزوجن منه في حياته، في حين أنّ المرأة لا تكفن إلا بكفن واحد.

ويدين هؤلاء النّور بالدين الإسلامي في شأنهم شأن كافة الجماعات النور في بلاد الشام وأن الجميع ملتزمون بختان الأطفال الذكور.

- عائلة بيت إسبر (ريّاس):

يعتبر أفراد عشيرة بيت إسبر في كل من سورية ولبنان، حيث يتواجدون في منطقة اللاذقية بسطورية، وفي منطقة زحلة - بعلبك - اشتورة. في لبنان. وتعتبر عشيرة بيت إسبر من العشائر النورية (الريّاس) الكثيرة العدد في لبنان وهم أصحاب طبل وزمر في أيامنا الحالية. بينما في الماضي كانوا - شُعَّاراً - أو - قواصيد - على الربابة، فكان الرجُل يضرب على الربابة مع قول القصيد في المدح، والهجاء، والرثاء. فكان هؤلاء النّور الشعار - يقصدون عشائر البدو في مضاربهم - ايام فصل الربيع، حيث يقومون بمدح شيخ العشيرة أو الوجهاء الميسورين - مقابل عطاءات سخية يحصلون عليها مثل: الخراف - الصوف - السمن - مشتقات الألبان وبخاصة ما يعرف: الكشك - الهقط - أو الجميد - ويسميه النّور - بالاكشط.

وأن المرأة لم تشارك الرجل أثناء القصيد على وتر الربابة، وهو يمدح، أو يذم الشيوخ أو البدو - أو الميسورين منهم وبخاصة إذا لم يكرم ملفاهم، وقد تحدثنا عن هذه الظاهرة (الهجاء - والمديح) في مكان آخر - عند كلامنا عن النور الذين كانوا في بلدة قطنا السورية عام ١٩٨٦م. وفي معظم أيام السنة تكون المرأة - تدور بين أزقة القرى والمدن اللبنانية حيث ينصبون خيامهم، للحصول علة المواد الغذائية من السكان المحليين عن طريق: الشحادة.

والـذي لاحظتـه عنـد النّـور عامـة وعنـد نـور لبنـان خاصـة، أنهـم ينـؤون بأنفسـهم عـن السياسة، ولا يتعاطون بها، لأنها حسب رأيهم لا تهمهم أبداً ولا تجلب إلا المآسـي لكـل مـن يتعاطاهـا. وربمـا أن عـدم تعـاطي النـور للسياسـة في بـلاد الشـام، يعـود إلى الـويلات والمصائب التي حلت بأخوانهم النور في أوروبا منذ أن ظهرت طلائعهم في القـرن الخـامس عشر، هناك وحتى الحرب العالمية الثانية، حيث أحرق من النور في أفران الغـاز النازيـة، ما يزيد عما أحرق من اليهود، ومع ذلك لم يعتـذر لهـم الأوروبيـون وكـافؤوهـم بالاحتقـار والقتل، في حين أن اليهود إلى الآن تعترف أوروبا وألمانيا خاصة بعقدة الذنب تجاه محارق الغاز الهولوكوست.

الفصل السادس

النَّور في منطقة مدينة دمشق

١ ـ النَّور في منطقة القدم / كازية /

٢ ـ النَّور في منطقة القدم: /الجورة . بور سعيد/.

٣ ـ النَّور في الحجر الأسود.

٤ ـ النَّور في منطقة / الدويلعة: كباس . دخانية /.

٥ ـ النَّور في منطقة السبينة.

النَّور في منطقة القدم (كازيَّة)

يستقر عدد كبير من جماعات النُّور في المنطقة الواقعة إلى الشرق من خط دمشق درعا، وعلى جانبي الطريق الذاهب باتجاه كازية القدم شرقاً باتجاه الحجر الأسود. وأن هناك قسماً كبيراً من النُّور يسكنون في حي الجورة في الجزء الشمالي من القدم وبالتحديد في الجانب الشرقي من محطة القطارات. وهناك جماعة من النُّور يسكنون إلى الجنوب من موقف الكازية بجانب مرآب باصات النقل الداخلي لمدينة دمشق، والذاهبة جنوباً نحو القدم، ويسمى الحي الذي يسكن فيه هؤلاء النُّور بـ حي بور سعيد. وقد جاء هؤلاء إلى القدم من منطقة حمص عندما كانوا هناك غير مستقرين، ويقولون أنهم جاؤوا في الماضي من منطقة الحدود السوفيتية على حدّ زعمهم.

. توزع النُّور في منطقة القدم التابعة لمدينة دمشق:

يتوزع النُّور في منطقة القدم بثلاث مناطق رئيسية هي:

١. حي الأرناؤوط الذي يضم المنطقة الواقعة إلى الشرق من خط درعا وعلى جانبي الطريق الذاهب من خط دمشق القدم درعا باتجاه الشرق نحو الحجر الأسود. ويتكون هذا الحي حالياً من أبنية حديثة على شكل بيوت ملمومة (فيلات). ويسكن في تلك الأبنية جماعات من النُّور ونتيجة لزعمهم بأنهم من أصول كردية، صار حي الأرناؤوط المذكور سابقاً يدعى بحي الأكراد. ويتواجد في هذا الحي ما يزيد عن (٩٠٪) من المجموع العام من عدد النُّور في منطقة القدم والبالغ عددهم بحدود... غير معروف.

٢ـ وأن قسماً كبيراً من النُّور الأكراد يسكنون في حي ـ بور سعيد ـ في الجهة الجنوبية لمنطقة القدم. أما القسم الثالث من النُّور ذاتهم في منطقة القدم فإنهم يعيشون إلى جانب نور الطنجرلية في حي الجورة إلى الشرق من محطة القطارات.

٣. وما تزال مجموعة من العائلات النُّورية غير مستقرة تعيش في الخيام، وذلك إلى شمال الطريق المؤدي إلى الحجر الأسود والقادم من القدم ماراً بمنطقة الكازية، حيث النور (الأكراد كما يزعمون). وأن هذه العائلات التي لا تزال تعيش في الخيام فقيرة في

وضعها المادي قياساً بالنَّور المستقرين في منطقة القدم. وكانت مجموعة من النَّور التي تعيش حياة غير مستقرة، تقضي معظم فصل الشتاء وحتى جزءاً كبيراً من بقية الفصول الأخرى في قطعة من الأرض السليخ تقع على يمين الطريق دمشق ـ درعا، وقبل موقف الكازية المعروف بتلك التسمية وأن تلك القطعة المذكورة محاطة بسياج يزيد ارتفاعه عن المائة وخمسين سم حيث كانوا يضربون خيامهم بها وإن كانوا يرحلون فترة من الأرض من الزمن لكنهم في نهاية المطاف يرجعون لقضاء الشتاء فيها. أما بعد عام ١٩٨٤م فقد وضعت الدولة يدها على تلك المساحة من الأرض واتخذت منها مرآباً للسيارات ولم يعد النَّور ينزلون فيها وإنما صاروا ينزلون في أماكن مختلفة من الغوطة الشرقية في ريف دمشق. وهناك قسم لا بأس به من النَّور الناطقين بالكردية يتواجدون في منطقة الحجر الأسود أيضاً.

ـ العشائر النَّورية في حي الأرناؤوط (موقع كازية القدم):

من العائلات التي تسكن في حي الأرناؤوط: عائلة الكردي ـ عائلة درويش ـ عائلة شيخو ومنهم المختار أبو حسني ـ عائلة السموري: أبو يوسف ـ جمعة راشد: أبو وليد ـ نعمان الكردي ـ إبراهيم شاهين ـ خيرو أبو زهير ـ حكمت حسين ـ رشاد سليمان ـ فايز راشد محمود وأخيه محمد الناصر ـ محمد محمود الأحمد ـ جمعة شاهين ـ شوكت سليمان ـ حمود الحمد ـ إبراهيم نعمة ـ خليل شاهين ـ غازي الكردي............ الخ

ومن أهم العشائر /ديقوري ـ كتيتكة ـ برازليه ـ أبو بيين ـ كيكان/

وقد قدم النَّور إلى حي الأرناؤوط من مناطق مختلفة، فمنهم من جاء من الأردن مثل إبراهيم درويش (أبو درغام) ـ علي درويش ـ غازي الكردي ـ عدنان الكردي (إن عدنان الكردي حالياً هو مختار حي الأرناؤوط، ويعرف بـ أبو عزيز) ويقع بيته على يمين الطريق الرئيسي وفي الجزء الغربي لحي الأرناؤوط. ويتألف بيته من مجموعة من الشقق الحديثة تتوزع على طابقين تتجه أبوابها نحو الشمال الشرقي إلى حد ما باتجاه الشارع وهو متزوج من أكثر من مرأة). وهناك قسم من هؤلاء النَّور جاءوا من الباكستان ومن تركيا إلى الحي المذكور واستقروا فيه مستأنسين ببني جلدتهم المستقرين هنا. وأن قسماً منهم قد قدم من اليمن الجنوبي واستقر في حي الأرناؤوط، وذلك كما قالوا لي ذلك أثناء ترددي عليهم من أجل جمع المادة الخام لإعداد البحث الذي نحن بصدده.

أما النَّور غير المستقرين والمتواجدين في معظم أيام السَّنَة في الجزء الشرقي من القدم وإلى شمال الطريق المؤدي إلى الحجر الأسود، فقد قدموا من مناطق مختلفة من القطر العربي السوري ويستدل على ذلك من خلال الأماكن التي منحت البطاقات الشخصية التي يحملونها والتي تعود إلى الأماكن التالية: بلدة دير العصافير في غوطة دمشق . ونفوس بلدة قياسين التابعة لبلدة الباب في محافظة حلب ومنهم من يحمل بطاقات تحمل اسم السجل المدني لبلدة سراقب . كما أن البعض منهم كتب على بطاقته الشخصية دمشق . المزّة. ويبدو واضحاً للعيان أن النَّور غير المستقرين المذكورين آنفاً أفقر بكثير من النَّور المستقرين في حي الأرناؤوط. ومن البيوت التي استطعت معرفة أصحابها: خيمة السيد جمال البش. خيمة السيد جلال الأحمد. خيمة السيد أبو ربيع . وأن نساء هذا التجمع جميعاً يذهبن إلى منطقة دمشق وإلى دمشق يومياً من أجل الشحادة. ومن وجهاء النَّور الأكراد الذين يسكنون في الخيام السيد محمد الحسين. حيث جاء من ناحية قبور البيض التابعة لمدينة القامشلي، واستقر في الجزء الشرقي من حي النَّور الأكراد على طريق كازية القدم. الحجر الأسود. ويعمل هؤلاء في الأعمال الزراعية عند أصحاب الأراضي المحيط بهم. ويعملون أيضاً أعمالاً عضلية متعبة مثل أعمال الحفر وفي أعمال البناء بصورة عامة. إلا أن المشكلة التي يعاني منها هؤلاء أن بعضهم غير مسجل في السجلات المدنية حتى الآن.

عائلة من النَّور الذين يعيشون في الخيام من المنطقة الواقعة إلى الشرق من القدم باتجاه الحجر الأسود (١٩٨٦م)

- **الزواج وحفلاته:**

يسود عند النَّور في منطقة القدم ممن يزعمون بأنهم أكراد الزواج المبكر إلى جانب الزواج التعددي بالنسبة للرجل وأن الزواج عندهم زواج داخلي مغلق ـ Endagamos ـ فإذا ما أحب شاب لم يتزوج بعد فتاة من غير جماعته ومن ثم أراد الزواج منها فإنه يصطدم بمعارضة الأهل الصارمة غير القابلة للرفض من قبل الشاب. ويرغب الآباء في تزويج أبنائهم من البنات اللاتي انحدرن من أسر نورية تتكلم اللغة الكردية في حياتها اليومية إلى جانب اللغة النَّورية الخاصة بهم دون غيرهم، والتي تعرف باللسان الضّومي.

ويقول أهل حي الأرناؤوط من غير النَّور الأكراد (نور الأكراد) أن رجال هذه الجماعة من النَّور يقدمون على الزواج التعددي وإن كان عند الواحد منهم أكثر من امرأة. وقد تزوج هؤلاء من نساء مصريات وإيرانيات وتركيات (لكن كلهن ينحدرن من نور الدولة التي يعيش فيها أهلها).

ويتم اختيار الزوجة بصورة عامة من قبل أهل العريس إذ اتصفت بأحد الصفات التالية كما يزعمون: جمالها، نسبها، وحسبها، وأخلاقها. أما أهل الحي من غير النَّور يقولون عكس ذلك تماماً: أن النَّور الذين يدَّعون أنهم أكراد يختارون الفتاة كزوجة لأبنهم إذا كانت تتصف بخفة يدها وقدرتها على السرقة دون أن يلحظها أحد أثناء قيامها بعملية السرقة. ويعرف هؤلاء النَّور البنت الخفيفة اليد والماهرة في حوادث السرقة من خلال كمية الذهب التي تحملها الفتاة في يديها وفي عنقها وذلك في أوقات المناسبات المفرحة مثل حفلات الزواج والخطبة، حين تظهر الفتاة النَّورية بأحلى الثياب وأبهاها مع وضع كل ما بحوزتها مما تملكه من الذهب لتزيين أعضاء جسمها الظاهرة للعيان.

- **المهر:**

إن المهر عند هذه الفئة من النَّور يكاد يكون كبيراً في مقدار، حيث لا يقل عن (٥٠) الخمسين ألف ليرة سوري هذا في التسعينات من القرن العشرين. إلا أن كمية المهْر تختلف من فتاة إلى أخرى حسب جمالها فكلما كانت البنت جميلة كلما زاد المهر المدفوع بها غالياً، لأن البنت في زواجها تعامل وكأنها قطعة أثاث يقدم الأهل على

بيعها لأخذ الثمن المقبوض إلى جيابهم، وتختلف كمية المهر حسب العمل الذي ستمارسه تلك الفتاة بعد زواجها، وذلك وفقاً للمعايير التالية:

١. أرخص المهور يدفع ثمناً للفتاة التي ستكون بعد زواجها ربَّة بيت فقط، حيث ستتفرغ لتربية الأطفال والاعتناء بهم، ويتم الاتفاق على ذلك في وقت الخطبة. وأن الزوجة التي ستتفرغ لأمور البيت غالباً ما تكون الزوجة الأولى عند الرجل، ويمكن أن تمارس هذه الزوجة مهنة: الشحادة والسَّرِقَةَ لكونها قد تأصلت في سلوكيتها الاجتماعية نتيجة التعود على ممارسة هاتين الظاهرتين السيئتين وذلك عن طريق محض إرادتها دون أن يكرهها أو يلزمها على ذلك زوجها.

٢. زوجة للشحادة: إن مهر هذه الفتاة سيكون في هذه الحالة أغلى بكثير من مهر الفتاة التي اتفق أثناء خطبتها بأنها ستكون ربَّة منزل فقط. إن هذه الزوجة تمتلك الحرية الكاملة في حركتها غير المتوقفة خارج بيت زوجها، بغض النظر عن المدة التي يمكن أن تقضيها وهي تقوم بممارسة الشحادة كي تجمع أكبر قدر ممكن من المال. وأن الزوج لا يسأل زوجته هذه أين كانت؟ ولماذا طال زمن خروجها من البيت؟ لكنه يسألها ماذا أحضرت معك؟

٣. أغلى المهور في الماضي كان يدفع ثمناً للفتاة التي ستجمع بعد الزواج بين العمل وبين الشحادة بأساليبها المختلفة. إن مثل هذه الزوجة سوف تعمل بكامل حريتها. وإنها حرَّة بشكل كامل بالإقدام على أي تصرف مهما كان شاذاً، بغية الحصول على المال الوافر فهذه المرأة قادرة على استخدام الحيل والطرق الملتوية سواء كان عن طريق السرقة أو بيع جسدها إذا ما أجبرت على ذلك.

- مراسيم الخطبة:

تتم الخطبة عن طريق إرسال مجموعة من الرجال من قبل أهل العريس إلى عند أهل العروس (الجاهة). وبعد أن يدخل أعضاء الجاهة إلى بيت والد العريس يجلسون ويتحادثون معه ومن ثم يطلبون يد ابنته للشاب الذين قد جاءوا من أجله. وفي هذه اللحظة يمتنع أعضاء الجاهة عن تناول أي شيء يمكن أن يقدمه لهم أهل العروس كضيافة سواء كان شراباً (قهوة . شاي . شراباً بارداً)، أو طعاماً ما لم يعطي الأب أو وليٌّ أمر

الفتاة الموافقة على الزواج، فإذا ما وافق على طلبهم في تزويجه لابنته للشاب الذي جاءوا من أجله تناولوا الضيافة بكل سرور. وبعد أن تتم الموافقة تبدأ المفاوضات من أجل تحديد كمية المهر. وغالباً ما يطلب والد الفتاة مبلغ مائة ألف ليرة سورية (١٠٠٠٠٠ ل.س) ثم ينخفض هذا المبلغ حتى مبلغ يتراوح ما بين ٤٠ ـ ٥٠ ألف ليرة سوري عام ١٩٨٧م. وأن هذا المبلغ من المهور هو الأرخص من بينها لأن هذا المهر هو مهر للزوجة الأولى التي ستكون في حياة ذلك الشاب والتي ستكون قطعاً ربّة بيت. ويتم دفع المهر كاملاً بعد تحديد قيمته مباشرة وقبل القيام بأي مراسيم تلحق بعملية الخطبة مثل التلبيسة.

ـ التلبيسة:

بعد عدة أيام من الخطبة يأتي العريس مع أهله وصحبه من أجل تقديم الهدايا الذهبية إلى خطيبته مثل: سنسال ـ أساور ـ سحبات ـ مُخَمَّسَة. وتختلف كمية الذهب في عملية التلبيسة من شاب إلى آخر وذلك وفقاً لحالة أهله المادية.

وبعد التلبيسة تُترك الخطيبة عند أهلها فترة من الزمن تعادل الشهر أو تزيد من أجل التمرن والتدريب على ممارسة الأعمال التالية: السرقة ـ الشحادة، والتي تعتبر جزءاً من الشخصية الاجتماعية لنور حي الأرناؤوط بمنطقة القدم لمدينة دمشق. ويتم إرسال الفتاة المخطوبة مع بعض النساء النَّوريات اللواتي يمتلكن الخبرة الكافية بالسرقة والشحادة وفنونهما. وعلى الأغلب تكون فترة التدريب والمران للفتاة كي يتأكدون من خفة يدها في الأسواق الصناعية والتجارية المزدحمة. وعندما تتقن الفتاة السرقة والشحادة بشكل جيد يسمونها عندئذ بأن يدها / خفيفة / أي أنها قادرة على أن تسرق دون أن يشعر بها أحد.

ـ العرس:

قبل موعد الزفاف الذي يتم الاتفاق عليه بين أهل العريسين يكون أهل العريس قد أحضروا كافة المستلزمات المطلوبة من أجل تلك المناسبة المفرحة. ومن ثم يبدأ أهل العريس بدعوة أهل الحارة من النَّور ودعوة الأصدقاء من غير النَّور في نفس الحارة. وتتم الدعوة عن طريق قرع الطبل من قبل الطبال الذي يدور في الحارة. بحيث إذا اقترب

الطبال من باب دور المدعويين قام بضرب عدة ضربات على الطبل فيفتح أهل الدار الباب إثر سماعهم صوت الطبل فيدعوهم الطبال وآخ العريس الذي على الغالب يرافقه الطبّال أثناء جولاته في الحارة من أجل دعوة الناس للمجيء والمشاركة في العرس. ويلحق بالطبال عدد كبير من الأطفال وحتى الكبار في العمر تغمرهم الفرحة والابتسامة المشرقة البعيدة عن التزييف تعبيراً عن فرحتهم بهذه المناسبة الغالية على قلوبهم. وبعد أن تتم دعوة الناس بواسطة الطبال يبدأ أهل العريس بنصب بيت شعر كبير يزيد عن سبع، عمد، وتمدد له الكهرباء عن طريق أسلاك تزخر بالأضواء

رجل من النّور / عين غزال إلى الشرق من بلدة سبينة جنوبي دمشق /
. يقرع الطبل في حفلة عرس عند النّور الناطقين بالكردية في / حي الكازية / قدم / ١٩٨٦م /

الزاهية والمتعددة الألوان. ويأتي أهل العريس على طريقة أهل المدن بعدد من الكراسي المصنوعة من الخيزران والمستأجرة ويصفونها في مكان الاحتفال بشكل دائري. ويأتون بأجهزة الموسيقى التي تعمل على الكهرباء مع مكبرات للصوت إلى جانب آلات التصوير الحديثة منها والسينمائية. ويأتي نور القدم الذين يتكلمون الكردية إلى جانب لغتهم النّورية الأم بالراقصات والمغنيات اللواتي ينتسبن إلى النّور في منطقة التجارة من عشيرة الهرامشة ويتم الفرح لمدة أسبوع تقريباً قبل حفلة الزفاف. وقد قال لي أحد

الأشخاص الذين يسكنون من غير النَّور في الحارة: أن أهل العريس ينفقون عشرات الألوف من الليرات السورية ثمناً للذبائح والأرز والمحليات وأجور الفرق الموسيقية والغنائية. فعلى سبيل المثال يأخذ دقاق الطبل ما يزيد عن ثلاثة آلاف ليرة، وتأخذ الراقصات ما يزيد عن عشرة آلاف ليرة سوري، ويأخذ المطربون مبلغاً من المال يزيد على أربعة آلاف ليرة سورية: هذا ما عدا أجار الأدوات الموسيقية والتصويرية المستأجرة وفي اليوم الأخير من الاحتفال تذبح الخراف التي عادة تطبخ على الحطب هي والأرز وتكون القُفْرَةُ من السمن العربي إلى جانب الصنوبر مع اللحم الذي يوضع في مناسف كبيرة تقدم للمشاركين في الحفل كطعام لهم. وأما مرقة اللحم فإنها توضع في صحون كبيرة إلى جانب المناسف المملوءة بالأرز واللحم والصنوبر. ويتم تناول الطعام هذا من قبل المدعوين بالأيدي. أما الأناس الذين لم يأتوا إلى الحفلة يرسل الطعام في صحون كبيرة إلى دورهم. ويقول أحد الأشخاص من غير النَّور أن الطعام مُكْلِفٌ جداً إلا أن طريقة تحضيره تفتقر إلى النظافة.

فرقة راقصة من الحجيات / حي التجارة / يرقصن على إيقاع
الطبل في عرس للنور الأكراد في حي القدم كازية / ١٩٨٦م /

إن عادة إحضار الطعام وتقديمها بالمناسف مكتسبة من البيئة الاجتماعية العربية التي يعيشون بين ظهرانيها خاصة عندما كان هؤلاء النَّور في حالة ترحال مستمر حيث كان احتكاكهم بالبدو وبأهل الريف الذين يتبعون عادة التبذير في تحضير الطعام من أجل حفلة العرس لديهم. وعلى الأغلب أن كثرة الذبائح التي ينحرها أهل العريس والتي تقدم للمشاركين في العرس بمناسف كبيرة قد رُجِمَتْ باللحم والصنوبر والسمن العربي ما هي إلا نوع من التفاخر والتباهي بين جماعتهم الذين يعيشون معهم.

وبعد تناول الطعام من قبل الحضور تبدأ الموسيقى والغناء من قبل الشباب والشابات للمجيء بالعروس إلى بيت العريس بواسطة سيارة مزينة بالبالونات وورق الزينة الملون إلى جانب الألعاب الصغيرة. وبعد الزواج بيوم أو بيومين يأتي والد العروس لزيارة ابنته العروس في بيتها الجديد ويقدم لها كمية من الذهب على شكل حلي يزداد وزنه طرداً مع الكمية التي كانت قد قدمتها إلى أبيها وهي بنت قبل أن تتزوج. ويطلق على هذا المبلغ من الذهب والمقدم من قبل الوالد بـ / النقوط / ويصل الوزن إلى ١/٢ كغ ذهب وأما النقوط الذي يقدمه الحضور والمشاركون في احتفال الزفاف يتكون من النقود ذات القيمة (٥٠٠ ل.س) في معظم الأحيان وأكثر أحياناً مع جلب الخراف كمساعدة لأهل العريس وتتم عملية النقوط بكل انتظام وهدوء:

يقف شخص يصيح بأعلى صوته وعن طريق مكبر الصوت الذي بيده إطلاق صَيحات الشوباش لأصحاب الهدايا - شوباش إلى فلان فقد قدم هدية للعريس ٥٠٠ ل.س مع خاروف. ويكون إلى جانب الذي يقول الشوباش شخص يقرأ ويكتب يجلس إلى كرسي وأمامه طاولة من أجل تسجيل أسماء المنقطين مع المبلغ الذي نقَّطه إلى العريس لأن هذا النقوط بمثابة قرضة أو دين على أهل العريس يتم استيفاؤها من قبل أصحابها عندما يفرحون في مناسبات مفرحة مثل الطهور - الأعراس. وليس شرطاً أن يكون النقوط الليرات السورية فمن النقوط ما يكون بالريال السعودي أو الجنيه الاسترليني أو الدولار الأمريكي. وتكون كمية النقوط المهداة إلى العريس كبيرة أو قليلة بشكل يتوافق مع القيمة الاجتماعية للعريس وأهله بين جماعة النَّور لدرجة يصل المبلغ الذي يهدي إلى العريس (النقوط) نصف مليون ليرة سورية وأكثر على حدِّ قولهم.

ومن عادات النساء النَّوريات في منطقة حي الأرناؤوط (الكازية) أن يلبسن أجمل وأبهى ما عندهن من لباس ويتزينَّ بالذهب بكثرة فكل فتاة تلبس ما عندها من الذهب لتظهر أمام المتفرجين من الحضور أنها لبقة ويدها خفيفة لأن ذلك يزيد الرغبة عند الشباب للزواج من تلك الفتاة التي تتحلّى بالذهب بكميات كبيرة. وتضع تلك النساء والفتيات الذهب في آذانهن (أقراط) وفي أنوفهن (شناف)، وفي أيديهن على شكل أساور أو سحبات أو مباريم وتزين السلاسل الذهبية أعناقهن والمعلق بها إما مصاحف أو أونصات أو ليرات من الذهب. ومما يلفت النظر أن الفتيات النَّوريات يلبسن أو يضعن الخلاخيل الذهبية في أرجلهن في أسفل الساق.

فتاتان حسناوتان من النَّور الأكراد في حي القدم كازية
في لباسهما النظيف والجميل والطويل الفضفاض على اليمين
سلوى السموري - وعلى اليسار ابتسام راشد بنات عم (١٩٨٦م)

وترغب المرأة أو الفتاة النَّورية في حي الأرناؤوط في صبغ شعرها بالألوان المختلفة بالرغم من جودة الشعر لديهن من حيث لونه الأسود والكثيف والطويل لدرجة يكون شعر الفتاة منهن منسدلاً على ظهورهن إلى ما تحت منطقة العجز، وهذا ما يجعلهن أكثر جاذبية للرجال في تلك المناسبات التي تظهر الفتاة إلى حد ما مفاتن جمالها. ومن الألوان التي تصبغ المرأة النَّورية شعرها به كل من اللون الأشقر ـ اللون الرصاصي، واللون الأشقر المائل للأصفر (الأصهب).

ـ الأسرة:

تتكون الأسرة عند نور حي الأرناؤوط من الزوج وزوجاته وأبنائهما. والشيء الظريف أن هؤلاء النَّور يجمعون الزوجات في دار واحدة ولا يحدث أي خلاف بين زوجات الرجل الواحد بسبب كونهن ضرايز. ويعود سبب عدم نشوب خلاف بين النساء إلى عوامل عدة منها:

١ ـ أن الرجل في البيت بيده زمام الأمور وإن كانت النساء هنَّ اللواتي يذهبن إلى العمل.

٢ ـ القناعة التامة والمتأصلة في نفسية المرأة أو في سلوكيتها بأن من حق الرجل أن يتزوج من أكثر من امرأة واحدة.

٣ ـ النمط المعيشي الذي كان سائداً في الماضي لدى هؤلاء النَّور والذي يحدد مكانة كل من الرجل والمرأة فيه هو الذي يجعل الرجل يقدم على الزواج من أكثر من امرأة. وأن المرأة بدورها تعتبر هذه الظاهرة الاجتماعية ذات الطابع التعددي للنساء من قبل الرجل أمراً لابد منه من أجل الحصول على ضروريات الحياة اليومية عن طريق الزوجات لكون الرجل يبقى قعيداً في الخيمة لتحضير القهوة وشرب الشاي والتدخين مع مزاولة بعض الأعمال في خيمته أو خارجها.

ومن العادات الجميلة عند النَّور الناطقين بالكردية في حي القدم أن البنات الشابات العازبات يجتمعْن ليلة الحنّاء عند العروس في بيت أهلها. وتكون هناك امرأة متقدمة في السن تقوم بدهن الحناء المجبولة بالماء على راحة اليد وعلى الأصابع لكل من الكف والقدم. وتقوم الفتيات بزتّ قطع من النقوط في الوعاء المجبول فيه الحنّاء وعند ذلك تقوم تلك المرأة بدهن كفي وقدمي تلك الفتاة بالحنّاء وهكذا حتى يتم دهن جميع

الفتيات بالحنّاء. وأن الدراهم التي وضعت من قبل الفتيات تأخذه المرأة المتقدمة بالعمر كهدية لها مقابل تعبها. وأثناء عملية دهن الحنّاء يكون الغناء والرقص من النساء الحضور تعبيراً عن فرحهن لزواج صديقتهن مع إطلاق عبارات التبريك والدعاء بأن تتزوج كل الفتيات ممن يحبن من الشباب. وفي معظم الأحيان تقوم أم العريس بوضع الحناء على يدي وقدمي العروس. ومن العادات الجميلة عند النَّور في كازية القدم أن أم العريس تقوم برش الأرز فوق العريس والعروس عند مدخل باب دار العريس، للتفاؤل بالخير والعطاء، وليكون من العروس كما يقولون: (الخُثْرة، والكثرة) أن يكون لها أبناء وبنين وأحفاد مستقبلاً. وأحياناً تقوم برش الملح فوق رأس العريس والعروس، لتكون حياة العروسين كلها صفاء وعطاء، وان يستمرا بالحياة معاً إلى نهاية مشوار الحياة، ومتلازمين تلازم الملح والخبز، بحيث لا يستطيع أن يعيش أحدها بدون الأخر.

- طقوس دفن الموتى:

يخشى النَّور بصورة عامة الموت ويخافون منه لدرجة كانوا وما زالوا يرون في الميت شبحاً يمكن أن يجلب لهم الشر والأذى وهذا ما كان يجعلهم يهربون بعد دفن الميت عن طريق الرحيل الشامل لهم إلى مكان آخر ولو أن هذا المتوفى قد تم دفنه في مكان بعيد عن المكان الذي فيه خيامهم منصوبة. أما الآن وبعد أن استقروا في بناء ثابت ومكلف والذي ترافق مع تزايد للوعي الاجتماعي، لم يعد النَّور بعد دفن الميت محافظين على عادة الرحيل من مكان تواجدهم. ومما ساهم في إبطال عادة الرحيل هذه النمط المعيشي الجديد الذي يتخذ من البناء الثابت مسكناً لهم بدلاً من الخيمة التي يمكن حزمها وتحميلها على الحمار أو في العربة أو في السيارة استعداداً للرحيل من أجل الابتعاد عن المكان الذي تمت فيه الوفاة لأحد أفراد جماعتهم.

وإلى الآن يقابل حادث الوفاة من النَّور المستقرين بنوع كبير من الخوف والهلع المصحوب بالحزن الشديد والصادق على الميت. فعند الوفاة يتجمع كل أفراد الحي صغاراً وكباراً وتعلو أصوات العويل والصراخ خاصة من قبل النساء. ففي إحدى الوفيات في صيف عام ١٩٨٦ من الشهر السادس في اليوم الثاني عشر منه شاهدت في إحدى زياراتي الميدانية لهؤلاء النَّور حادثة وفاة لامرأة هي زوجة السيد غازي

الكردي (والد مختار نور حي الأرناؤوط والذي يدعى أبو زهير) والنساء تلطم على وجههن لدرجة أن الدم كان يكاد يسيل من تلك الخدوش، وعلى الأغلب تكون النسوة التي تلطم وجوهها وتخدش بالأظافر خدودها من أقارب المتوفي بالدم من الدرجة الأولى مثل ـ البنات ـ الأخوات ـ الزوجات ـ الخالات ـ العمات الجدات. وكثيراً من النسوة ما تقوم بتمزيق ثيابها مع نثر التراب أو السكن (الرماد) على الرأس والوجه. وقد كانت مثل هذه العادات السيئة عند أهل الريف سابقاً منذ أكثر من خمسين عاماً مضت من القرن العشرين.

والشيء الطريف عند هؤلاء النَّور الأكراد أن عادة تعدد الأكفان عندهم لا تزال موجودة حتى يومنا هذا.

يقول البعض أن عادة تكفين الميت بعدد من الأكفان ينطبق على الرجل إذا توفي وكان متزوجاً أكثر من زوجة. وتعد ظاهرة تعدد الأكفان بالنسبة للمتوفي إذا كان رجل متزوجاً أكثر من امرأة في حياته مثابة دين وحق ودين شرعي عليه: أي أن لكل زوجة من زوجاته حق عليه بحيث لا تفضل واحدة على أخرى حتى بعد مماته كي يصبحن في الممات سواسية. أما إذا كان ذلك الرجل حاجاً إلى بيت الله الحرام فإنه يكفن بلباس الحُرُم الذي طاف به في مكة المكرمة حول الكعبة الشريفة. أما المرأة فإنها تكفن بكفن واحد فقط مهما تعدد أزواجها وهي على قيد الحياة. والشيء الذي لاحظته لا تحدث بينهم الوفاة المفاجئة كالسكتة القلبية ـ النزيف الدماغي مما يدل أن الحياة عندهم غير معقدة حتى الآن، وأنهم لا يكترثون كثيراً بمشكلات الحياة اليومية وبخاصة المادية منها.

ـ السهرات أمام المنازل:

إن علاقة نور حي الأرناؤوط فيما بينهم علاقة ذات طابع اجتماعي قائم على الألفة والتكاتف والمحبة لبعضهم البعض وتتجلى قوة الارتباط الاجتماعي ذات الطابع المغلق فيما بينهم بجلوسهم الطويل على شكل سهرات ليلية في أيام الصيف على المصاطب المعمولة أمام أبواب منازلهم نحو الشارع. كما أنهم يسهرون ليلاً وفي معظم أيام الصيف والخريف على أسطحة المنازل حيث يقومون بتعاطي المشروبات الكحولية مع اللعب بالقمار عن طريق الورق (الشدَّة).

وتسمع أصواتهم وهم على المصاطب جالسين أمام منازلهم بشكل جيد من قبل المارة في الشارع كما أن نور حي الأرناؤوط يشربون القهوة المرة مع تدخين السيجارات من قبل النساء والرجال على حد سواء.

أما تفسير جلوس النَّور أمام منازلهم أو على الأسطح ما هو إلا انعتاق مؤقت من العيش ضمن الأربعة جدران التي صارت جزءاً أساسياً من نمطهم المعيشي الجديد القائم على الاستقرار. وتدل ظاهرة الجلوس في الشارع وأمام البيوت على تأصل الحرية الفردية في امتلاك حرية الحركة داخل الخيمة سابقاً عندما كانوا يعيشون رحَّلاً غير مستقرين في بناء ثابت لأن العادة الاجتماعية يتم تغيرها ببطء شديد على العكس من التغير السريع الذي يطرأ على الجانب المادي من الثقافة البشرية.

ـ اللغة التي يتكلم بها النَّور:

يتكلم نور منطقة القدم في حي الأرناؤوط اللغة الكردية لدرجة أنهم ينعتون أنفسهم بأنهم أكراد. وأي كلمة يمكن أن يوصفوا من خلالها أنَّهم ـ نور ـ يرفضونها رفضاً قطعياً ويعتبرونها إهانة لهم. ولقد أطلق هؤلاء على حيهم الذي يعيشون فيه / حي الأكراد / كما أن هؤلاء النَّور يتقنون اللغة العربية بشكل جيد بسبب عيشهم الطويل في بيئة اجتماعية عربية أفرادها يتكلمون اللغة العربية، وهم في الوقت نفسه من نور الأكراد.

أما من أين جاءت اللغة الكردية إليهم أو كيف تم اكتسابها من قبلهم: فدون أدنى شك أن أجداد هؤلاء النَّور قد عاشوا في منطقة يتكلم ساكنوها اللغة الكردية سواء في تركيا أو إيران حيث توجد مناطق يتواجد فيها الأكراد وبأعداد كبيرة وعلى مساحات واسعة. ويؤكد صحة رأينا هذا أن أكثر من شخص قد قال لي أننا قد جئنا من تركيا منذ فترة طويلة، ومن مناطق قريبة إلى الاتحاد السوفييتي سابقاً.

فقد كان هؤلاء النَّور يعيشون مع القبائل الكردية هناك بحماية شيوخ تلك القبائل مقابل الخدمة التي يقدمها هؤلاء النَّور للشيوخ من تحضير للقهوة وإحياء الحفلات الغنائية الراقصة وكان أجداد هؤلاء النَّور يرافقون القبائل الكردية في حلِّها وترحالها، وهذا ما جعلهم يكتسبون بعض الظواهر الاجتماعية من القبائل الكردية وكانت اللغة في مقدمة تلك الظواهر التي كان قد اكتسبها النَّور من البيئة الكردية التي عاشوا فيها فترة طويلة من الزمن.

وقد قال السيد /أبو حسن/ من النَّور الناطقين بالكردية ـ حي القدم ـ كازية (أن الذين يقولون عن أنفسهم أنهم أكراد هم في الحقيقة جزء من القبائل النَّورية التي خرجت من الركن الشمالي الغربي من بلاد / السند أي الهند الحالية / على شكل هجرات متتابعة، تفصل فيما بينها فواصل زمنية بعيدة. وقد استقرت تلك القبائل النَّورية، بعد خروجها من شمال غرب الهند في القسم الشمالي من الشرق الأوسط على حد تعبيره) وربما هذه المنطقة التي يعني بها هي سهوب بلاد فارس حيث تدعى منطقة بلخ. وقد عاش النور إلى جوار العشائر الكردية هناك كَشُعَّار من أجل المديح والغناء في المناسبات المفرحة: الأعراس ـ الشفاء من المرض ـ عودة الغائب الذي طالت غيبته ـ وفي أيام الأعياد الدينية. ونتيجة لهذه المعيشة الطويلة بين العشائر الكردية اكتسب النَّور اللغة الكردية مع مرور الزمن مع نسيان أو ضياع تدريج للغتهم الأم / لغة الضوم / أما المرحلة الثانية من هجرة النَّور فقد بدأت من سهوب المناطق التابعة لإيران حالياً والشمال الشرقي من تركيا باتجاه بلاد الشام حيث بدأ استقرارهم بادئ الأمر في منطقة حلب. ومن ثم انطلقوا من حلب باتجاه كافة المناطق من سوريا الطبيعية وخاصة إلى مدينة دمشق حيث يقيمون حالياً في بيوت اسمنتية بعد أن بقوا فترة طويلة من الزمن يجوبون معظم المناطق من سوريا صيفاً وخاصة في منطقة حوران. إلا أن مشتاهم كان حول مدينة دمشق وقد بقي النَّور الأكراد على هذه الحال في ارتحال مستمر إلى أن بدأوا في الاستقرار في منطقة القدم منذ مدة تزيد عن الأربعين عاماً على الأقل.

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة النَّورية / القرباطية: العصفورة: الضوم/ هي لغة يكثر فيها المفردات المنحدرة من أصول لغوية: كردية ـ فارسية ـ تركية ـ عربية. وذلك نتيجة لاختلاط قبائل النَّور بشعوب المناطق الناطقة باللغات المذكورة. إلا أن القسم الأعظم من اللغة النَّورية هي من أصول لغوية هندية شبيهة جداً إذا لم نقل متماثلة مع اللغة: /الأوردية التي يتكلم بها الجزء الشمالي من الهند الذي يدعى /هندستان/. وتنتمي اللغة النَّورية إلى عائلة اللغات الهندو أربة والتي تتكون من اللغات التالية: البنغالية ـ لغة بيهار ـ لغة الفوجارية ـ لغة البانجاراز ـ لغة بارهاري ـ لغة أهل كشمير ـ لغة نيبال ـ لغة أهل أسام ـ لغة أهل السند ـ لغة الفدا. والشيء الطريف أن النَّور في القطر العربي السوري يفهمون جيداً على الأناس القادمين إلى سوريا من مناطق الباكستان /حيدر

أباد/ والقادمين من منطقة شمال الهند بصورة خاصة ومن الهند بصورة عامة. ونتيجة للقرابة اللغوية ما بين القادمين من الهند والباكستان نجدهم يستأجرون غرفاً في الأحياء التي يعيش فيها النَّور وبشكل خاص في منطقة /السيدة زينب/ ويسكنون في بيوت عن طريق الإيجار تعود ملكيتها إلى النَّور هناك. وكنت أطرح عليهم معاني بعض الكلمات من اللغة النَّورية التي استطعت اكتسابها من النَّور أنفسهم أثناء جولاتي الميدانية في مناطق تجمعهم مثل كلمة: مانا: خبز - بّاني: ماء - بّار: أخ - لافتي: بنت - اسنوطا: كلب. ففهمت أنْ هؤلاء المغتربين من هنود ومن باكستانيين تربطهم مع النَّور رابطة لغوية تاريخية تجعلنا نقول أن النَّور هم والكثير من شعوب القارة الهندية ينحدرون من أصول ثقافية وسلالية واحدة، شأنهم بذلك شأن الشعوب التي تتكلم العائلة اللغوية الجرمانية مثل: الألمان - الإنكليز - النمساويون - الهولنديون - السويديون - النرويجيون - الإيسلنديون - الأنكليز في جنوب أفريقيا - الأمريكيون المنحدرون من المجموعة الأنجلوساكسون في الولايات المتحدة الذين ينحدرون من أصول سلالية وثقافية واحدة في الماضي البعيد (العائلة اللغوية الجرمانية) من أصل جرماني واحد. كما أن الجميع من نور منطقة القدم يتكلمون اللغة الأوردية التي تسود في منطقة شمال وشمال شرق الهند والتي يطلق على تلك المنطقة من الهند باسم /هندستان/. وللنور الأكراد علاقات جيدة مع الإيرانين من القومية الفارسية ومع الكثير من الهنود الذين يأتون إلى بلدنا كسواح... الخ.

كما أن الصفات السلالية من سمار للبشرة وسواد الشعر وشكله السابل والقامة التي تميل إلى النحافة والطول، والوجه المستطيل والجمجمة ذات الشكل المستطيل كل هذه الصفات نجدها عند النَّور وعند شعوب القارة الهندية تقريباً واحدة مع اختلاف بسيط لا يكاد يذكر يتواجد بين النَّور وعلى نطاق ضيق كوجود البشرة الشقراء والعيون الملونة وخاصة عند الفئة التي تطلق على نفسها الحجِّبات (غناء ورقص) وذلك بسبب الانفصال البعيد الزمن عن الأرومة البشرية الهندية من جهة وإلى الاحتكاك الكبير الذي تم ما بين فئات النَّور وغيرهم من الشعوب التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها عن طريق الترحال.

أم يوسف وإلى جانبها شاب من النَّور الأكراد في القدم / كازية /
حيث تبدو بلباسها الشعبي / الخراطة الواسعة والطويلة ـ القميص ـ غطاء الرأس / حيث البشرة السمراء
والوجه الطويل والرأس المستطيل... الخ ١٩٨٦

وإذا قمنا بدارسة للباس المرأة النَّورية التي لا تزال إلى حد ما تحافظ على لباسها الشعبي القديم لوجدناه قريباً في ملامحه العامة من لباس المرأة في كثير من مناطق الهند والباكستان ونيبال وجماعات الفدا في جنوب الهند. وأن أكثر القبائل شبهاً بعادات وتقاليد الغجر أو النَّور في بلادنا هي قبائل. البانجاراز في الهند والتي يتواجد عدد كبير من أفرادها في مدينة حيدر أباد. لذا من خلال تلك المؤشرات البسيطة السابقة الذكر التي تحتاج إلى دراسة ميدانية معمقة نستطيع القول إلى حدٍ ما أن النَّور بصورة عامة هم من الهند لكنهم تركوا موطنهم الأصلى منذ فترة زمنية طويلة يصعب تحديد زمن هذه الهجرة بالضبط، وإن يرجعها بعض من علماء النَّوريات إلى الثلث الأخير من القرن العاشر للميلاد.

وتتصف جماعات النَّور بصورة عامة وفي حي الأرناؤوط أيضاً بالشجاعة لدرجة أن الفرد فيهم لا يخشى الموت فيما إذا وجد الرجل نفسه في مأزق مضطر فيه للدفاع عن

نفسه وعن كرامته. كما أن الشخص النّوري كريم في بيته لدرجة أنهم يتفانون في إكرام ضيفهم كتقديم القهوة والشاي والشراب البارد مع تقديم وجبات الطعام إذا دخل الضيف إلى بيوتهم وبقي إلى وقت تناول وجبات الطعام.

ومن العادات التي لاحظتها عند نور الأرناؤوط أنهم جماعة منغلقة على نفسها لدرجة التقوقع ولا يرغبون بدخول الغريب إلى بيوتهم إلا لمن كانت لهم مصلحة معه ورغم ذلك يكون التعامل مع ذلك الرجل بحذر شديد. ويتعاطف أفراد النّور في حي الأرناؤوط مع بعضهم لدرجة التعصب الأعمى فإذا ما تشاجر أحدهم مع شخص من غير النّور هبّوا جميعاً هبة رجل واحد. ودوماً يكون في مقدمة المتجمعين حول الشخص الغريب الأطفال من ذكور وإناث مع إطلاق الشتائم بلغتهم التي لا يفهمها أحد غيرهم.

- حماية الدخيل:

ومن عادات نور حي الأرناؤوط والنّور بصورة عامة أنهم يحمون الداخل إلى بيتهم ولو كلفهم ذلك حياتهم من أجل الدفاع عنه. فقد ذكر أحد الأشخاص حادثة تشير إلى شهامة النّور في توفير الحماية لمن يلوذ بهم طالباً الأمان:

أن سائق سيارة صدم طفلاً من أطفال النّور في منطقة القدم بحي الأرناؤوط وتوفي الطفل مباشرة على إثر الحادث تجمع النّور حوله وحاولوا قتله لكن ذلك السائق ترك سيارته وهرب مسافة وهو يركض ودخل بيتاً لا يعرف صاحبه وقد كان صاحب البيت من النّور. وقد قال السائق لصاحب البيت أنا داخل عليك وعلى عرضك فقال له صاحب البيت أدخل ولا تخف وبعد أن حكى له القصة خرج صاحب البيت وأبعد الناس عن الدار ولم يسمح لأحد أن يقترب منه. ومن ثم جاءت الشرطة وسلم ذلك الرجل النّوري الشّهم سائق السيارة لرجال الأمن ليلقى الجزاء الذي سيترتب عليه قانونياً. ومن المعروف عن النّور فيما إذا جرى عندهم حادث من هذا القبيل أنهم يقدمون على تكسير السيارة وحتى ضرب السائق حتى الموت. فلو أن السائق الذي دعس الولد لم يدخل أحد البيوت ولم يدخل بصاحبه لكان مصيره ومصير سيارته قاتم جداً يمكن أن تكون نهاية لحياته تلك الحادثة ومن هذه الحادثة نؤكد أن النّور أصحاب نخوة وشهامة ومروءة، إذ يحمون المستجير بهم ولو كلفهم ذلك الكثير.

ويتصف النَّور بصورة عامة بالشجاعة وحب المساعدة للغير إذا ما تعرض شخص إلى مكروه، حيث تجدهم يندفعون إلى مكان الحادث كالسهام المقذوفة حبًّا في الوصول السريع لانقاذ من بحاجة إلى ذلك عن طريق تقديم المساعدة التي يمكن تقديمها من قبلهم مباشرة. فإذا ما حدث حريق في أحد البيوت العائد في ملكيته إلى أحد أفراد جماعتهم أو لشخص من غير النَّور تجدهم يندفعون بسرعة للمساهمة في إطفاء الحريق بشتى الطرق ولو أدى ذلك إلى إصابة أحدهم بأذى. وتحدث أحياناً في حوادث سيارات مفجعة يكون الضحية على سبيل المثال من غير النَّور ففي مثل هذه الحالة لا يتجرأ أحد على إسعاف المصابين خوفاً من التوقيف والتحقيق معهم في ملابسات الحادث من قبل رجال الأمن وذلك على عكس من أفراد جماعات النَّور الذين يندفعون لإسعاف المصاب دون أن يفكروا بالعواقب فإن دلَّ ذلك إنما يدل على المروءة والتفاني في سبيل إنقاذ الغير ومنحهم الحياة إذا كان ذلك ممكناً.

ويتصف النَّور في حي الأرناؤوط أنَّهم سائقون مهرة لدرجة أنهم يقودون السيارات والدراجات النارية بسرعة كبيرة جداً لكن بثقة عالية بالنفس.

- عادة الثأر:

تعدُّ عادة الثأر من أسوأ العادات التي ما زال النَّور على اختلاف مِلَلِهم ونحلهم، يتمسكون بها في حياتهم اليومية المعاشة رغم أنهم جميعاً يكادون قد تخلوا عن النمط المعيشي القائم على الانتقال وعدم الاستقرار، حيث لا زالت نار الثأر تشتعل في صدور كافة أفراد بني الدوّارة: Nauar، في الوقت الذي تخبو فيه المعتقدات الدينية لديهم.

فإذا ما قتل شخص من هؤلاء النَّور فلا يصلحون على دمه إلا بعد أن يثأروا له من القاتل إذا ما ثقفوا به أو قتل أحد أقاربه أو أحد أفراد العشيرة التي ينتمي إليها القاتل. ويقولون أنهم يثأرون لقتيلهم ولو بعد مئة عام، في حين يوجد هناك مثل عند البدو عن عادة الثأر لديهم (البدوي يأخذ بثأره ولو بعد أربعين عاماً).

إن سبب تمكن عادة الثأر السيئة عند كل من النَّور والبدو يكمن في بنيتهم الاجتماعية التي تقوم على العصبية القبلية التي تجعل من أفراد العشيرة جميعاً كلاً لا يتجزأ. فالعشيرة كالجسد، في حين يكون أفرادها كالأعضاء لذلك الجسد. فأمن

الفرد هو من أمن العشيرة التي ينتمي إليها فإذا ما أقدمت عشيرة على سحب غطاء الحماية القبلية عن أحد أفرادها لسبب أو لآخر، كأنها قامت بإعدام ذلك الشخص فعلاً، لأن ذلك الشخص يفقد السند القبلي الذي يحميه، مما يضطره في هذه الحالة إلى الاحتماء بعشيرة ثانية ليجد في كنفها الاستقرار النفسي والطمأنينة. وتسود عادة الأخذ بالثأر عند الناس الذين يعيشون على الزراعة لكن بشكل أخف عما هو عليه من حدّة عند الجماعات الرحل. أما في المدينة حيث التجارة والصناعة والشعور الأقوى بالمادة تكون عادة الثأر أقل وقعاً في سلوكية ابن المدينة. لذا فإن أهل الريف عندما يأتون إلى المدينة ويصبحون من أصحاب المصالح المادية يتناسون كثيراً من عاداتهم القروية وخاصة عادة الثأر التي يمكن أن تمس مصالحهم المادية مباشرة سواء عن طريق الأخذ بالثأر أو عن طريق دفع الديّة لأهل القتيل.

ويحشد[1] أفراد التجمع البشري من النَّور لأي فرد من هذا التجمع يمكن أن يتعرض إلى خلاف أو شجار مع شخص آخر من غير النَّور. فجميع أفراد الحي نجدهم يتجمعون ويصرخون لنصرة قريبهم لدرجة أنهم يأتون إلى مكان الشجار مهرولين بأيديهم عصيّاً أو سكاكين أو قطع من الحديد... الخ.

- الغيرة على العرض:

إن نَور حي الأرناؤوط كغيرهم من فئات النَّور الأخرى يغارون على نسائهم وهنّ أمام أعينهم لدرجة أنهم مستعدون للمشاجرة مع أي شخص مجرد النظر إلى فتياتهم وهن جالسات أمام المنازل وعلى المصاطب المحتضنة للشارع والتي ترتفع عن سويّته مقدار ثلاثين سم. كما أن النَّور عامة لا يشعرون الآخرين من غير النَّور بأنهم يعتدون على أعراض بعضهم البعض مع العلم أن ذلك الشيء حاصل لكن بحذر وكتمان شديدين. ومما يمتاز النَّور به حفظ السر وعدم الإباحة به حتى لأقرب الأصدقاء وهذه عادة مألوفة عند الجماعات الرحل حيث الفرد دوماً في حركة دائمة مما يجعل عملية التعرض له وقتله سهلة جداً ودون أن يعرف أحد بذلك. ويغار النَّوري على زوجته وابنته وأخته حتى من ظاهرة التقاط الصور لهن. إن النَّور في منطقة القدم يحبون الصور

---

١ - حشدَ: آزر، وقف إلى جانب.. الخ.

والتصوير أثناء الحفلات والأعراس. وأنهم يمتلكون الآلات التصويرية الجيدة والحديثة العادية منها وأجهزة التصوير ذات الأشرطة التي تعرض في الفيديو. ويقوم النَّور في القدم بتصوير حفلاتهم وأعراسهم على الفيديو ومن قبلهم ولا يسمحون لغيرهم بالتصوير لا في الأعراس ولا في المناسبات وعندما كنت أطلب منهم السماح لي بالتصوير كان الجواب بديهياً على شفاههم كالتالي. **ينتج عن ذلك مشاكل نحن بغنى عنها.**

وقد سردوا لي حادثة حول التصوير والنتائج المترتبة عليه:

أن المدعو ـ فاضل محمد ـ من النَّور الذين يتكلمون اللغة الكردية والتابع إلى جماعة السيد ـ أبو عزيز ـ مختار نور حي الأرناؤوط، كان قد أقدم على قتل زوجته الثالثة من حيث العدد والمدعوة ـ سلوى آخر زوجاته وأصغرهن والجميلة فيهن بعد أن أخبره أحد الأشخاص بأن زوجته قد تصورت مع شاب يدعى: ناصر ـ وهو من النَّور في منطقة القدم. وقد أقدم الزوج ـ فاضل محمد ـ على قتل زوجته سلوى عن طريق مسدسه الذي لقمه حالة إخباره لتصوير زوجته مع شاب ومن ثم أفرغ ما في المخزن من خرطوش في رأسها. وقد سجن على إثر ذلك مدة ستة أشهر. وأن القاتل دفع مبلغ ١٠٠ ألف ليرة سورية مقابل إخراجه من السجن، وبعد خروجه من السجن مباشرة قالوا أنَّه تزوج من بنت نورية بعد أن دفع مهرها ٩٠. ألف ليرة سورية.

إن عدم السماح للغريب بأن يقوم بتصوير رجال النَّور ونسائهم ليذكرني جيداً بعادة قبائل ـ البانجاراز ـ التي تعيش في منطقة حيدر أباد في الهند التي لا يسمح أفرادها للغرباء بتصويرهم إلا فيما ندر ومقابل دراهم من أجل السماح بالتصوير.

ـ شيخ العشيرة والدور الذي يلعبه:

يلعب رئيس العشيرة عند جماعات النَّور في منطقة القدم دوراً هاماً في حل الخلافات التي تنشأ بين أفراد عشيرته عن طريق الحوار وإجبار الطرفين المتنازعين على التنازل من أجل تقريب هوة الخلاف بين الطرفين ويعتبر كلام رئيس العشيرة بمثابة سلطة تنفيذية يجب التقيد بها في تطبيق ما يقوله في حل الخلافات التي لا تقود إلى حوادث قتل حتى الموت. ويعتبر المختار هو الممثل لعشيرته عند العشائر الأخرى من أجل حل الخلافات الدموية وغير الدموية التي يمكن أن تحدث بين عشيرة وعشيرة أخرى.

وفي أغلب الأحيان يسهر رجال العشيرة خاصة الكبار منهم عند المختار حيث يتسامرون ويشربون القهوة والشاي ويشربون الدخان والأرجيلة. ويناقش الرجال مع مختار العشيرة كافة القضايا التي تعترض أفراد تلك العشيرة وغالباً ما يكون اتخاذ القرار الذي يخدم صالح العشيرة ككل قرار جماعي يقره المختار وكافة الوجهاء والمتقدمين بالعمر من أفراد تلك العشيرة.

ـ عادة التبني:

يسود عند النَّور في حي الأرناؤوط عادة التبني وخاصة للأطفال الصغار من قبل العائلات غير المنجبة فإما أن يُشترى ذلك الطفل أو يُسْرق كما كان ذلك في الماضي البعيد. وتقوم الأسرة على تربية ذلك الطفل تربية وكأنه ابن لها من حيث تقديم الطعام واللباس. ويقال أنه يمكن أخذ طفل من الأطفال اللقطاء الذين تعتني بهم المؤسسات الاجتماعية ذات الطابع الإنساني والمقامة من قبل الدولة. ويتم تسليم الطفل بشكل رسمي ضمن شروط معينة تشترطها المؤسسة الحكومية التي تسهر على رعاية أولئك الأطفال اللقطاء.

وقد يتبنى أحد الوجهاء من النَّور عدداً من الأطفال اليتامى المنحدرين من أسر نورية فيقوم على تربيتهم ويشرف عليهم حتى يكبروا ويعاملهم كأنهم أولاده وهم بدورهم يعاملون الأب بالتبني كأنه والد لهم، إذ يقومون على خدمته وتقديم نتاج عملهم إليه والمتبني بدوره يقوم بتزويج هؤلاء الأطفال الذين صاروا شباباً. وهذا النموذج من التبني هو الأرجح والموجود عند جماعات النَّور.

ولقد سرد لي السيد ـ خالد الأسعد المعروف بـ أبو محمد ـ من النَّور المنحدرين من عشيرة ـ الكريملية ـ والذي يسكن في منطقة السيدة زينب (من الغرب من الست وفي نهاية شارع الشهيد علي الوحش ـ وللسيد خالد الأسعد دار فسيحة وحديثة تتكون من طابقين فيها كافة الأدوات الكهربائية العصرية): حادثة حول اتهام النَّور في سرقة الأطفال الصغار من أجل التبني:

كان الناس سابقاً إذا ما فقد طفل من أطفال القرية التي يضرب النَّور حولها خيامهم يقول أهل القرية أن النَّور قد سرقوا الطفل الضائع. فقد حدث في الستينات أن

طفلاً قد ضاع أو فقد من أحد القرى التابعة لحمص وفي المنطقة الشرقية منها فادعى أهل القرية على جماعة من النَّور التي تنزل بخيامها في المنطقة المذكورة فقامت الشرطة آنذاك بالبحث عن الطفل المسروق بين منازل النَّور الذين تعرضوا إلى القتل المبرح من أجل الاعتراف بالطفل المسروق. وبعد مدَّة جاءت امرأة من عرب العقيدات ومعها الطفل الذي كانت سرقته هي بعد أن غيرت ملامحه بالصباغ. وعندما عرف الأمر على حقيقته تبيَّن أن النَّور بريئين من تلك التهمة التي ألصقت بهم. إلا أن أهل القرى وأهل المدن عندما يكون أطفالهم في الشارع وحتى في البيت يخيفونهم بالنساء النَّوريات حيث يقولون للطفل ـ (أُسْكُتْ أَحْسَنْ ما تيجي النَّوريَّة هَسَّعْ وَتُوْخذَكْ): أي إذا لم تسكت فإن المرأة النَّورية ستأتي وتأخذك فيخاف الطفل عندئذ ويسكت.

ـ النمط المعيشي لنور حي الأرناؤوط:

يعيش النَّور في منطقة القدم حياة الاستقرار الدائمة في بيوت ثابتة وحديثة ومؤثثة بكافة الأدوات المنزلية العصرية الكهربائية منها والغازية بالإضافة إلى الأثاث الوثير من سجاد وبسط ومخدات يحشونها بريش الدجاج الذي يشرونه حيّاً من أجل ملء تلك المخدات المريحة للرأس أثناء الاستلقاء. وأن هذه العادة غير موجودة عند العرب وإنما موجودة عند الشعوب الهندو أوربية عامة ومن بينهم النَّور المنحدرين من العائلة الهند آرية التي تعتبر بدورها أحد العائلات اللغوية التي تنطوي تحت المجموعة اللغوية الأعم والأشمل والتي تدعى ـ المجموعة اللغوية الهند وأوربية.

ـ الأعمال التي يزاولها الرجل في حي الأرناؤوط:

من خلال أقوال الأناس من غير النَّور الساكنين في حي ـ الأرناؤوط بمنطقة كازية القدم: أن الرجال من هؤلاء النَّور الذين يتكلمون اللغة الكردية لا يمارسون أي عمل في سوريا باستثناء بعض الحالات لرجال شباب قد قاموا بفتح محلات لبيع الأشرطة الموسيقية بمختلف أنواعها فعلى سبيل المثال يوجد محل لبيع أشرطة الفيديو ـ تعود ملكيته للسيد /أحمد أبو عبد الكريم/ ويدعى ذلك المحل ـ فيديو النسور. ويقع ذلك المحل في منتصف الطريق العام القادم من القدم باتجاه الحجر الأسود والمار من حي

الأرناؤوط. ويمتلك صاحب محل ـ فيديو النسور سيارة. مازدا خاصة نموذج ٩٢٩ ـ ويمتلك بيتاً على شكل فيلا تتكون من طابقين بحيث تسكن في كل طابق زوجة له. ويوجد محل فيديو آخر يدعى محل /فيديو اسكندر/ يملكه السيد /محمد يوسف محمد/ من النَّور التابعين إلى السيد أبو عزيز ويقع ذلك المحل في آخر حي الأرناؤوط من الشرق وعلى يمين الطريق العام الذاهب إلى الحجر الأسود. وهناك محل سمانة من النوع الجيد تعود ملكيته للسيد /جمعة محمد/. ويقع محل السمانة المذكور في الجهة الغربية من حي الأرناؤوط وعلى يسار الطريق العام الذاهب إلى الحجر الأسود. ويقع بيت السيد أبو عزيز بن السيد غازي الكردي مقابل محل السمانة بالضبط.

وهناك محل لوقوف السيارات /كراج/ وتصليحها في منطقة حي بور سعيد. حيث تعود ملكية كراج تصليح السيارات المذكور إلى السيد /أبو حسني شيخو/ وعند صاحب الكراج المذكور بيتاً يتكون من ثلاثة طوابق. ويعتبر السيد أبو حسني شيخو مختار حي بور سعيد ووجيهاً لجميع النَّور في منطقة القدم.

ـ السفر إلى خارج القطر العربي السوري:

يسافر النور الناطقون بالكردية في منطقة القدم إلى: ليبيا ـ كينيا ـ نيجيريا ـ اليابان ـ فرنسا ـ إسبانيا ـ تايلند ـ دول الخليج، وذلك على حدٌ قولهم لي:

يعتمد نور منطقة القدم والمتكلمين باللغة الكردية على السفر إلى خارج القطر العربي السوري من أجل الحصول على النقود التي من خلالها يقومون ببناء البيوت الحديثة والمؤثثة بمتطلبات العصر الحالية. وغالباً ما يكون سفرهم إلى السعودية واليمن وإلى ليبيا من الوطن العربي، وأن هؤلاء النَّور يجيدون العديد من اللغات: الكردية ـ التركية ـ الفارسية ـ الإنكليزية، ويسافرون غالباً إلى إسبانيا وإلى فرنسا وإلى الصين واليابان كما ذكر لي البعض منهم. والشيء الذي يلفت الانتباه أن النَّوري بصورة عامة أنَّه يحب بيته لدرجة انه لا يبتعد عنه أكثر من مدة تتراوح بين ٣ أشهر إلى ٤ أشهر على أكثر تقدير ومن ثم يعود ومعه مبلغاً من المال لا يقل عن ١٠٠ ألف ليرة سورية أما سفرهم إلى العربية السعودية غالباً ما يتم في مواسم الحج من أجل السرقة والشحادة. وعندما يسألون عن طبيعة العمل الذي يزاولونه خارج القطر العربي أثناء

سفرهم القصير يقولون أنهم يعملون بتجارة السيارات علماً أن تجارة السيارات في أي بلد غير مربحة ما عدا في القطر العربي السوري بسبب عدم الاستيراد وعدم جعل بابه مفتوحاً مما يجعل أسعار السيارات ترتفع مع تقادم الزمن على العكس من بقية المناطق في العالم حيث ينخفض سعر السيارة مع تقادم الزمن عليها وبنسبة كبيرة عندما يزداد التقادم عليها ١٩٨٩م. ومما سبق نجد أن الاتجار بالسيارات في أي بلد غير سورية يجعله غير مربح. ويقول السيد . محمد الحسين بن مصطفى الساكن في القدم عن جيرانه أن النَّور في غيابهم لا يمارسون أي نوع من التجارة بالسيارات وخاصة في منطقة السعودية، وإنما يقومون باستخدام طرق ملتوية من بينها الخداع والسرقة والتسول وخاصة في مواسم الحج. أما الذين يسافرون إلى خارج الوطن العربي فغالباً يذهبون على شكل جماعات امرأة وزوجها أو رجل وابنته وأخيه وغالباً ما يكون احتكاكهم بجماعات النَّور المتواجدة في البلدان الذاهبين إليها فمن خلالهم يتحركون ويقومون بالحصول على العملة بالطرق التي يتقنوها ولا أحد يعرفها غيرهم فمن هذه الطرق . التبصير . تركيب وتلبيس ذهباً مزيفاً بدلاً من الذهب الحقيقي للأسنان المنخورة، إلى جانب تهريب العملة بطرق يصعب اكتشافها.

أما الأولاد في حي القدم لا يمارسون أي عمل غير التسكع في الشوارع إلى جانب ممارسة لعبة كرة القدم في الأراضي الواقعة في البساتين المجاورة لمنطقة القدم من جهة الشرق. ويمتلك هؤلاء الأولاد أدوات موسيقية مثل العود . المزمار . إلى جانب أدوات تصوير ثمينة. ويهتم الأطفال بتربية الحمام والكلاب الصغيرة الحجم.

وقد لاحظت أن تربية الحمام هواية عند كافة أطفال النَّور بغض النظر عن نحلهم المعاشية. فمن خلال دراستي الميدانية لاحظت أنَّ نور منطقة عفرين (القرباط) ونور منطقة الساحل (المطارية) كلهم يهتمون بتربية الحمام لدرجة أنهم يحملون الحمام معهم في حلّهم وترحالهم (الحمام في هذه الحالة يقصون له ريش أجنحته الطويلة التي تساعده على الطيران من أجل أن يبقى حبيس الخيمة).

ويقول الذين يسكنون في حي الأرناؤوط من غير النَّور عندما سألتهم عن العمل الذي يقوم به الأطفال: أن الأولاد يسرقون من السيارات المارة من الشارع الرئيسي لحي الأرناؤوط إذا كانت محملة بالبضائع وفي الحالة التي يكون فيها السائق يسير ببطء

بسيارته الصغيرة الحجم مثل سيارات (الهوندا ـ السوزوكي). فذات مرة مرَّتْ سيارة هوندا محملة بعدد كبير من بوابير الغاز. وعندما قلّل السائق سرعة سيارته عند مروره فوق جزء محفر من الطريق تعلّق في تلك اللحظات ثلاثة أطفال بالسيارة، وأخذ كل واحد منهم بابوراً من الغاز دون أن يشعر السائق بهم. وأحياناً يضع الأطفال الحواجز إلى جانب الحفر كي يضطر السائق لتخفيف سرعته بحجّة مفادها ـ أنهم يعملون ذلك تفادياً لسرعة السيارات المارة التي يمكن أن تؤدي إلى حوادث مؤسفة ـ إلا أن الحقيقة عكس ذلك كما يقول أهل الحي من غير النَّور: أن الأولاد يعملون ذلك من أجل السرقة والنشل من السيارات الصغيرة والمحملة التي تمر من تلك الحارة.

وفي أحد المرات كانت تمر في الطريق سيارة شحن من نوع ـ بيك آب ـ محملة بالصوف الخام غير المغسول وعلى شكل جزز، فعندما خفف السائق سرعته لتفادي بعض الحفر في منتصف الطريق العام أسرع الأولاد وتعلقوا بالسيارة. وأن كل واحد من الأولاد أخذ جَزَّةً من الصوف المحمل وأن البعض من الأطفال كان يرمي بجزة الصوف إلى قريبه أو لأخيه ليأخذ بدوره جزة ثانية كل ذلك تم دون أن يعرف السائق شيئاً عن ذلك العمل بالرغم من أن الناس من غير النَّور كانوا ينادون على السائق بأعلى صوتهم كي ينتبه إلى ما يجري على متن سيارته من عمليات نهب وسرقة من قبل الأطفال النَّور، في حين كانت هذه الحوادث تتم على مرأى من الرجال والنساء النَّور الجالسين أمام بيوتهم على المصاطب المرفوعة لتبادل الحديث وشرب الدخان والشاي والقهوة دون أن يضيرهم ذلك المنظر من أطفالهم.

ـ أعمال النساء:

أما الأعمال التي تمارسها المرأة عند النَّور الناطقين بالكردية بمنطقة القدم غالباً ما تكون أعمالاً منزلية بحتة. إذ تعتني المرأة بتربية الأطفال وتحضير الطعام وتنظيف الدار. ولا تمارس نساء النَّور الناطقين بالكردية مهنة الشحادة مطلقاً. ومن الاحتمال أنهن يذهبن إلى أماكن بعيدة عن الحي الذي يسكن فيه لممارسة بعض الطرق الملتوية مثل التبصير ـ السرقات..... الخ من أجل الحصول على المال. ويشهد الساكنون جوار هؤلاء النَّور أن الأخيرين لا يسرقون مطلقاً من المنطقة التي يسكنون فيها، لأن في ذلك

تشويه لسمعتهم بين جيرانهم. فقد ذكر شرطي إلى السيد محمد الحسين بن مصطفى: أنه ذات مرة كان مُكلفاً بتبليغ السيد - غازي الكردي - المعروف أبو عزيز - وهو مختار النّور الناطقين بالكردية في حي الأرناؤوط - بأنه عليه دفع مخالفة مقدارها ٢٥ ل.س. وقد كان ذلك الشرطي المكلف بالتبليغ يمتطي دراجة رجل كان قد وضع على منصبها الخلفي عدداً من أرغفة الخبز المشروح التي اشتراها الشرطي لنفسه من بوابة الميدان. فعندما وصل الشرطي إلى حارة النور، وقف عند باب دار السيد - أبو عزيز - سأل أحد نسائه الثلاث عن المدعو أبو عزيز وبعد أن استفسرت من الشرطي بأن على زوجها، مخالفة مرور عليه أن يدفعها كانت أحدى النساء من زوجات أبو عزيز قد سرقت الخبزات التي من على منصب دراجة الشرطي وعندما سأل الشرطي زوجة أبو عزيز لماذا سرقت الخبزات أجابته: قالت أنها في بداية الحمل وهي في حالة وحام على مثل هذا الخبز. وأردفت قائلة تلك المرأة التي تتوحم هذه ٢٥ ل.س ثمن الخبزات وهذه ٢٥ ل.س لقاء المخالفة إلا أن الشرطي لم يأخذ من النَّورية زوجة أبو عزيز ثمن الخبزات التي سرقتهن في الوقت الذي كان فيه جميع أفراد بيت أبو عزيز واقفين عند الباب لمعرفة ماذا يريد الشرطي منهم.

ويقول أهل الحي من غير النّور أن الكثير من البنات يذهبن منذ الصباح الباكر ولا يعدن إلا وقت الظهيرة إلا أنهم لا يعرفون إلى أين تذهب تلك البنات.

وتعتبر المهمة التي تقوم بها المرأة النَّورية الناطقة بالكردية من حي القدم في الذهاب إلى خارج القطر وبرفقة أحد أقربائها بغض النظر عن درجة قرابتها له، أساسية في حياتها. ومن المحتمل أن المرأة النّورية خارج القطر تقوم بطرق نجهلها تجمع من خلالهما المال: من بين هذه الطرق أو السبل - طريقة التبصير بالودع أو بالمسبحة أو بفنجان القهوة أو بالكف. كما أنها تمارس السرقة خارج القطر. وقد قال أحد الأشخاص الساكنين في حي الأرناؤوط وبجوار النُّور الناطقين بالكردية: أنه في أحد المرات تم إلقاء القبض على مجموعة من النساء النُّوريات في ليبيا وهن في وضعية السرقة. وكان نتيجة لهذا العمل أن ألقي القبض على تلك النسوة وصودرت النقود الموجودة معهن بكاملها. إلا أن تلك النساء لم يغادرن ليبيا إلا بعد أن استطعن جمع مبلغ من المال يفوق المبلغ الذي تم مصادرته منهن من قبل السلطات الحكومية في ليبيا.

وعندما سألت النساء اللاتي كن قد ذهبن إلى ليبيا عن طريقة تهريب العملة من ليبيا إلى الخارج (لأن ليبيا لم تكن تسمح إلا بخروج مقدار معين من المال بشكل يتناسب مع عمل المقيم فيها). قالت تلك النسوة أن هناك طرقاً متعددة يمكن تهريب العملة خارج ليبيا منها:

- وضع العملة المراد تهريبها في الفراغ الفاصل بين الزجاج الحاوي للماء وبين الغلاف البلاستيكي الخارجي للبراد (الترمس الذي يتسع إلى كمية من الماء تتراوح من ١٠ ـ ١٥ل ماء).

ويتم وضع العملة في المكان المذكور بعد فك أجزاء الترمس بدقة ومن ثم إعادتها كما كانت سابقاً بعد أن تنزع الطبقة العازلة التي يوضع بدلاً منها النقود المراد تهريبها. وبعد أن تتم عملية الغش المذكورة يملأ البراد بدلاً من الماء ألبسة ولادية ولعب أطفال مع أحذية ولادية كي لا يلفت النظر من قبل رجال الجمارك في نقاط التفتيش.

- وأحياناً تضع المرأة العملة المهربة في جيبة طويلة تكون مخاطة في الجانب الداخلي من الخراطة وفي المنطقة الواقعة بين الفخذين لأن رجال الجمارك لا يقدمون على تفتيش المرأة بتلك الدقة لأن في ذلك انتهاك لحرمتها... هذا إلى جانب طرق كثيرة لا نعرفها في كيفية تهريب العملة لم يفصحن عنها لي. ويتم تصريف العملة التي جاءوا بها من الخارج في السوق السودة قبل أن تقدم المصارف المالية في القطر على وضع أسعار تشجيعية للعملات غير السورية وخاصة للدولار بعد أن تم حصر تصريف العملة إلا عن طريق المصارف الرسمية العائدة للدولة.

- يضع النَّور وهم خارج القطر العملات الأجنبية في داخل الإطارات المطاطية لدراجات الأطفال التي يأتون بها كهدايا وذلك في الدول التي لا تسمح لعملتها بالخروج من حدودها إلا بكميات محدودة وبإشراف الدولة. أما النساء النَّوريات اللواتي يسكن وعائلاتهن في خيام وشوادر شرقي القدم على يسار الطريق المتجه من القدم باتجاه الحجر الأسود، فإنهن يمارسن مهنة الشحادة المعتادة عند النَّور عامة حيث تذهب المرأة من الصباح ولا تعود إلا في المساء أو بعد الظهر وهي تحمل على ظهرها أكياساً تحمل فيها الأشياء التي كانت قد شحدتها في ذلك النهار. وعلى الأغلب ترجع تلك النساء النَّوريات إلى مخيمهن بسيارات هوندا بحيث تركب إحداهن لجانب السائق في حين

تركب بقية النسوة في الصندوق ويتم هذا بشكل ملحوظ في شهر رمضان والأضحى وخاصة في مواسم الأعياد.

ولتنفيذ عملية السرقة بنجاح من قبل المرأة لابد من ارتداء عدد كبير من الملابس الطويلة والواسعة فوق بعضها كي تخبئ بها المسروقات. وأن المرأة حسب اعترافات البعض منهم تضع لكل خراطة جيبة طويلة بحيث تكون الفتحة للخراطة في أعلى الخراطة وعند خصرها تماماً. وتمتد تلك الجيبة داخل الخراطة من الخَصْر أو الجذع وحتى القدمين أحياناً. وتضع المرأة النُّورية المصاري في تلك الجيبة إلى جانب الأشياء التي يمكن أن تسرقها دون أن يلحظ ذلك وهي تمشي. وإذا ما اكتشفت عملية السرقة وتعرضت تلك المرأة للتفتيش فإنها تجعل نهاية ذلك الجيب السفلي بين فخذيها كي لا يستطيع أحد كشف ذلك. وفي الحالات العادية تجعل المرأة النُّورية تلك الكيس المخاط بالخراطة من الداخل والنازل من الخصر إلى الأسفل يتدلى بشكل حر إذا لم يكن يضايقها في المشي إذا ما كان الحمل ثقيلاً. إلا أن الأشياء التي تضعه في تلك الجيبة الداخلية (الزنبيل) غالباً يكون الخفيف الوزن والغالي الثمن.

أما المرأة التي تسافر إلى الوطن العربي مثل ليبيا ـ السعودية اليمن الشمالي ـ غالباً ما تمارس التنجيم إلى جانب بيع الأدوية الشعبية التي تصنعها المرأة النُّورية بنفسها والذي يكون غالباً من أجل أن تَحْمِلَ النساء العواقر من هذه الأدوية ومن هذه الأدوية: مسحوق البطاطا المشوية المجفف الذي تبيعه المرأة مقابل مقدار كل معلقة (٢٠٠) ريال سعودي.

ـ المسكن:

يقيم النُّور في منطقة حي الأرناؤوط في بيوت حديثة وصحية بحيث تحيط الحديقة التي تزرع فيها الورود وبعض الأشجار المثمرة في البيت من كل جانب. ومعظم تلك البيوت تتكون من أكثر من طابق ولهذه البيوت شرفات واسعة تطل نحو الشارع العام الذاهب باتجاه الحجر الأسود. وقد لاحظت أن الكثير من تلك البيوت الحديثة يتكون الطابق الأسفل منها والمواجه للشارع بالذات من محلات تجارية البعض منها مغلقة والبعض الآخر يستخدم كمبيت للسيارة الخاصة العائدة في ملكيتها لصاحب ذلك البناء. وهناك البعض من البيوت تمتلك مدخلاً واسعاً بحيث تدخل السيارة السياحية الخاصة إلى صحن الدار في الداخل.

وكافة المنازل مفروشة بالبلاط الجيد والغالي الثمن. وغالباً ما يكون للبيوت مصاطب مرتفعة عن مستوى الشارع بحدود الثلاثين سم. وتصل مساحة بعض تلك المصاطب إلى ما يزيد عن ٣٠ متراً مربعاً. وتوجد هذه المصاطب على يسار الطريق الذاهب من الكازية باتجاه الحجر الأسود. وفي منتصف منطقة حي الأرناؤوط توجد مصاطب كبيرة المساحة لكن على يمين الطريق نفسه الذاهب من الكازية باتجاه الحجر الأسود. ويستخدم هؤلاء النّور تلك المصاطب أماكن للجلوس عليها خارج المنزل في معظم أيام السنة حتى في أيام الشتاء البارد حيث يفرشونها ويجلسون عليها بعد أن يشعلوا النار الموضوعة في إناء حديدي يشبه الكانون. ويقومون بشواء اللحم وشرب الدخان والقهوة والشاي ليلاً حيث السهرات الجماعية والمختلطة من النّساء والرجال والبنات والأولاد. ويتكلم هؤلاء النّور في جلساتهم على تلك المصاطب بصوت مرتفع وبشكل يكاد يشبه الفوضى. وأحياناً إذا كان شخص من الجالسين عليه عمل فإنه يزاوله في تلك الجلسة حتى ينهيه فكثيراً من النساء ما تجلس وهي تقوم بتحضير الطعام كفرم البندورة أو حفر الكوسا والباذنجان أو تقطيع الفاصولياء في الوقت الذي تتحدث مع جاراتها بصوت مرتفع ومسموع بشكل جيد من قبل المارة.

وأن كافة البيوت منورة بالكهرباء بشكل نظامي. وأن الماء أيضاً ممدة إلى البيوت كما أن لهذه البيوت مصارف خروج صحية. وأما فيما يتعلق بالأثاث الموجود داخل البيوت يمكننا أن نقول أن الأدوات الكهربائية وغيرها من مستلزمات الحياة العصرية كلها متوفرة في تلك البيوت لدرجة أنه لا يوجد لها مثيل في البيوت التي تعود ملكيتها لغير النّور ويعود سبب ذلك إلى السفر إلى خارج القطر بشكل مستمر ومن ثم العودة إلى بلدهم محملين بالنقود والأدوات المنزلية الحديثة والغالية الثمن وغير الموجودة مثيل لها في السوق المحلية. وقد لاحظت أنه قد تم تخصيص غرفة كبيرة من كل بيت كمضيف. وتكون تلك المضافة ممدودة بالسجاد والبسط الجيّدة على أطراف المضافة من الداخل توضع الركايات المصنوعة من القش والقماش كما هو الحال عند أهل الغوطة، ويوجد في كل مضافة عدة القهوة المرة وعدة الشاي كما يوجد في مضافات البعض التلفاز الملون والفيديو. وتسود لديهم لصق صور النساء العارية وصور الرياضيين وصور المطربين على جدران البيوت

- اللباس عند نور القدم الناطقين بالكردية:

يرتدي الرجل النوري في منطقة القدم مثل غيره من رجال النَّور المتواجدين في مناطق متعددة في القطر العربي السوري. حيث يتكون لباس الرجل بصورة عامة من القلابية والقضاضة والعقال. كما أن الرجل يرتدي الجاكيت فوق القلابية. ويرتدي الرجل السروال من القماش الناعم الخفيف تحت القلابية وفي معظم الأحيان يكون قماش السروال من نفس قماش القلابية، مما يعطي تناسقاً في اللبس.

رجال من النَّور الأكراد بلباسهم الشعبي

أما الشباب من نور حي الأرناؤوط كغيرهم أيضاً من الشباب حيث يرتدون البنطال والقميص في حين يكون الشاب حاسر الرأس. ويتكون لباس الأطفال من قطع تكاد تكون غير كاملة. حيث يلبسون البنطال دون قميص أو يلبسون قميصاً دون أن يكون له أزرار وأحياناً يلبسون لباساً قصيراً بدون قميص فوقه أو كنزة. ويظهر هؤلاء الأطفال بمظهر غير نظيف. لا بل تجدهم يسبحون والفرحة تغمرهم في نهر قليط الذي يتكون من ماء المجاري لمدينة دمشق. وعندما يفيض ذلك المجرى الوسخ في الصيف نجد الأطفال النَّور في منطقة القدم يتسابقون من أجل السباحة فيه دون أن يصيبهم أي مرض من جراء عملهم غير الصحي هذا. وعلى الأغلب يكون الأطفال حفاة طوال أيام السنة حتى في أعز برد الشتاء القارس ١٩٨٧م.

ويلبس الشباب في بعض الأحيان اللباس الهندي التقليدي والذي يتكون من:

١. القلابية القصيرة التي تصل إلى عند الركبتين. ولهذه القلابية فتحتان جانبيتان في الجانب الوحشي لكل من الفخذ والساق. وللقلابية فتحة للرقبة ومفتوحة فقط إلى منتصف الصدر أحياناً فقط ولهذه الفتحات أزرار بحيث تكون تلك الفتحة مبكلة بالأزرار لدرجة تحيط بالعنق إحاطة السوار للمعصم.

٢ـ يرتدي الشاب تحت القلابية سروالاً من نفس قماش القلابية ويكون ذلك السروال إلى حد ما واسع حتى في حجليه.

٣. يرتدي أحياناً الشاب طاقية بيضاء أو ملونة ولكن بشكل نادر كغطاء للرأس.

- لباس المرأة:

يتصف لباس المرأة النَّورية بغض النظر عن انتمائها العشائري ونمط المعيشة القائم على الاستقرار أو القائم على الترحال بأنه لباس محتشم وفضفاض وطويل لدرجة أنه يجري على الأرض مغطياً بذلك القدمين.

وعلى الأغلب يتكون اللباس عند المرأة النَّورية التي تسكن في منطقة القدم من قطعتين رئيسيتين هما:

١. الخراطة الطويلة التي تربط في منطقة الجذع وفوق الخصر وتسدل تلك الخراطة الواسعة نحو الأسفل لدرجة أنها تجر على الأرض. وتتكون الخراطة عادة من القماش الفاقع الألوان مثل الأحمر أو الأصفر أو الأزرق والأخضر. وغالباً ما يكون قماش الخراطة من النوع الغالي الثمن.

٢ـ تلبس المرأة أو الشابة الكنزة فوق الخراطة والتي يغلب عليها اللون الأحمر ومشتقاته وأحياناً تلبس المرأة القميص فوق الخراطة بدلاً من الكنزة.

٣ـ لا تلبس المرأة النَّورية في حي الأرناؤوط السروال تحت خراطتها ويبدو ذلك واضحاً أثناء مشي المرأة في الشارع خارج بيتها حيث ترفع جزءاً من خراطتها كي تسهل عليها الحركة في المشي.

وقد شاهدت الشابات في لباسهن القشيب وهن يخرجن من دورهن الفخمة إلى الشارع وهن حافيات القدمين بالرغم من وساخة الشارع أو الأرض المحيطة أحياناً بالبناء.

نساء من النَّور الأكراد في حي الأرناؤوط القدم / كازية / ١٩٨٦

وتلبس المرأة أحياناً ثوباً طويلاً ضيقاً في منطقة الخصر، إلا أنه واسع وفضفاض في الأسفل وتحزم المرأة مزنرها بزنار على الأغلب يتكون من مَحْرَمة من القماش وفي حالات نادرة يكون الزنار من الجلد غير العريض.

ولقد شاهدت بعض النساء المتقدمات بالعمر يرتدنَّ اللباس الطويل النظيف ومن فوقه جاكيت عادية مع غطاء للرأس يتكون من قطعة قماش سوداء رقيقة وخفيفة الوزن وشفافة في نفس الوقت وقد كان لون الجاكيت من نفس لون الثوب الطويل مما كان يعطي لتلك المرأة وقاراً وهيبة. وقد كانت تلك المرأة هي أحد زوجات والد السيد أبو عزيز مختار النَّور الناطقين باللغة الكردية في منطقة القدم.

السيدة أم وليد وابنتها ابتسام في لباسهما الشعبي / النَّور الأكراد ـ القدم ١٩٨٦م

بالرغم من أن الثوب أو الخراطة عند المرأة من أجود وأغلى أنواع القماش فإن زهوته لا تبقى إلا لفترة قصيرة من الزمن بسبب توسيخ ذلك الثوب بسرعة لكونه يجر على الأرض وراءهن وهن في وضعية المشي والوقوف.

- كما أنهن يجلسن على الأرض مباشرة دون الأخذ بعين الاعتبار نظافة المكان وهذا يساعد على توسيخ الثياب بسرعة كبيرة.

وتتزين المرأة النَّورية بالقدم بأدوات الحلي الذهبية كالأساور والمباريم والسحبات التي توضع في اليد. كما أنها تضع في ساقيها الخلاخيل الذهبية إلى جانب العقود والسلاسل الذهبية التي يضعنها في أعناقهن وبشكل خاص وقت المناسبات كالأعراس والطهور. وفي بعض الأحيان تقوم المرأة النَّورية وخاصة الشابة غير المتزوجة بتغيير ملابسها أكثر من مرة في الحفلة الواحدة، لتظهر بمظهر جذّاب يلفت نظر الآخرين من الشباب.

- الطب الشعبي:

كان هؤلاء النَّور في الماضي يستخدمون مغلي البابونج والنعناع من أجل معالجة المصاب بآلام البطن والمغص. وحتى الآن لا تزال تستخدم تلك النباتات إلى جانب الميرامية. ويعطون الأطفال التي ترضع مغلي اليانسون من أجل التخلص من الألم المعدي والمعوي لديهم. كما أن شراب اليانسون يساعد الطفل على النوم لأنه يسهم في استرخاء الجملة العصبية عند الإنسان. وكان هؤلاء في الماضي يستخدمون البصل والملح بعد أن يدقان مع بعضهما في معالجة الرأس عند الإنسان عندما يكون مطروحاً (مفجوجاً).

ومن الصفات التي يمتاز بها النَّور في منطقة القدم كما قال لي أحد الأشخاص الذي يعيش هناك - راجي الحسين من عرب الخواشمة الذين كانوا يسكنون في بلدة العِشّة قبل حرب ١٩٦٧: أن النَّور عندما يأتون إلى الدكان لا يفاصلون صاحب المحل عن السعر لدرجة أنهم يدفعون المصاري كما يطلب صاحب الدكان ثمن السلعة التي سيشتريها ذلك الشخص النَّوري. لذا نجد أن أصحاب الدكاكين يبيعون للنور بسعر ولسكان الحارة من غير النَّور بسعر أقل. وكما قال لي الشخص المذكور أن الذي يفتح دكاناً أو مصلحة في منطقة سكنية يعيش فيها النَّور يغتنون بسرعة. وقد لمست تلك الظاهرة المعيشية في منطقة القدم بنفسي كما أن ذلك الشخص - راجي قد فتح

دكاناً هناك بعد أن رحل من منطقة البوابة، وأنه على احتكاك شديد بهم. وقد تحسنت حالته المادية بعد أن رحل إلى حي النَّور بالقدم وفتح الدكانة هناك.

ـ النَّور الطنجرلية[1] في حي القدم بدمشق (تجار خيول + تبيض . يتكلمون اللغة التركمانية):

يعيش في منطقتي ـ الجورة ـ وبور سعيد من منطقة القدم جنوبي مدينة دمشق مجموعة من النَّور يزعمون لأنفسهم أنهم ـ تركمان ـ. وتقع بيوت هذه الفئة من النَّور على يسار الطريق المتفرع عن خط دمشق درعا بمسافة لا تزيد عن ٤٠٠م تقريباً نحو جهة الشرق. ومعظم بيوت هؤلاء تقع إلى الشرق من مجرى المجرى المائي لنفايات مجاري دمشق والذي يدعى نهر ـ قليط ـ الذيتجري فيه مياه الصرف الصحي لمدينة دمشق.

يطلق على هذه المجموعة من النَّور تسمية ـ الطنجرلية ـ وذلك نسبة إلى المهنة التي يمارسونها من أجل الحصول على ضروريات الحياة اليومية. وهذه التسمية ـ الطنجرلية ـ تنعتهم بها فئات النَّور الأخرى التي تمارس أعمالاً ثانية غير التبييض. وتعتبر مهنة تبييض القدور والأواني النحاسية، التي يمارسها أفراد جماعة النور الطنجرلية[2]، من قبل بقية فئات النور الأخرى: (كالصياغ، الحدادين، الغرابلية، المطاربة، الحجيات) أنها مهنة غير جديرة بالاحترام.

أما بقية المواطنين في القطر العربي السوري فيطلقون على النَّور من جماعة الطنجرلية تسمية ـ المبيضين ـ وأن كلمة ـ المبيض ـ جاءت من مهنتهم التي يمارسونها حيث يطلون الأدوات النحاسية المتأكسدة بالقصدير(عند عامة الناس لأنها تتكون عليها مادةً زرقاء فاتحة تشبه الجنزار، وهي مادة تعرف بكبريتات النحاس نتيجة للاستعمال المنزلي) بطلاء القصدير الأبيض. وبعد أن يطلى بالقصدير يصبح الإناء من الداخل أبيض نظيف.

---

[1] الطنجرلية: كلمة آتية من كلمة ـ طنجرة ـ وهي إناء للطبخ كان في القديم على الأغلب يصنع من معدن النحاس ونتيجة لاستعمال هذا الإناء النحاسي في الاستعمال المنزلي كان يتأكسد ويصبح عندئذ استعماله لطبخ الطعام ساماً عندئذ يلجأ صاحب الإناء إلى تبيض هذا الإناء عند جماعة من النور تهتم في تبيض النحاس عن طريق طلية بالقصدير. ومن هذه المهنة جاءت التسمية لتلك الفئة.

[2] الطنجرلية: تسمية مشتقة من كلمة (الطُنجرة – وعاء للطبخ) يعرف هؤلاء النور بأوروبا بتسمية المقالديراش (أصحاب القدور).

- أماكن تواجد الطنجرلية في القطر العربي السوري:

يقول السيد أبو خالد وهو من نور - الصياغ - أن عدد النُّور الطنجرلية في القطر العربي السوري بحدود الألف شخص، أي أنهم يزيدون عن مئة وعشرين بيتاً بصورة تقريبية. ويتوزع هؤلاء - الطنجرلية في الأماكن التالية:

١- في منطقة القدم جنوب دمشق في كل من حي الجورة - وحي بور سعيد - ويبلغ عدد بيوتهم ما يقارب الخمسين بيتاً.

٢- يوجد - الطنجرلية - في ضواحي مدينة حمص في حي جورة العرايس (إلى الجنوب الغربي من مدينة حمص باتجاه الخط العام حمص - دمشق ومن هذه الفئة من النُّور تعيش جماعة على يمين الطريق العام حمص - دمشق. وهؤلاء لا زالوا يعيشون في الخيام ويرتحلون من مكان إلى آخر، إلا أنهم يمضون فصل الشتاء في حمص إما في الخيام وأحياناً يستأجرون بيوتاً لقضاء الشتاء، وحالياً معظمهم قد استقر في جورة العرايس، أو في حي وار المعلمين بحمص.

٣- قسم من النُّور الطنجرلية ينزلون بالقرب من طريق مصفاة حمص باتجاه طرطوس وذلك بالغرب من الجسر المقام هناك على نهر العاصي. ويعيش هؤلاء النُّور في الخيام. وفي أيام الشتاء إما يأتون إلى دمشق لقضاء فصل الشتاء في بيوت يستأجرونها لهذا الغرض. وفي الغالب يسكنون عند أقاربهم الطنجرلية في حي الجورة وفي حي بور سعيد. وقسم من هؤلاء يذهب إلى مدينة حمص ويستأجر في حي جورة العرايس عند أقاربهم لقضاء فصل الشتاء. ويبلغ عدد بيوت هذه الفئة من النُّور بحدود - ٥٠ - بيتاً في منطقة حمص. (البيت: الخيمة).

٤- يتواجد جماعة من النُّور - الطنجرلية - في منطقة حي الصاخور بمدينة حلب على طريق العام حلب - الباب. يبلغ تعداد هؤلاء في مدينة حلب وضواحيها ما يزيد عن - ٢٠ - بيتاً ويقول السيد - قاسم سعيد الصياغ - المعروف بـ أبو قاسم - أن النُّور الطنجرلية في معظمهم حتى الآن جماعة رحَّل لا زالوا يعيشون في الخيام. وأن مشتى الطنجرلية على الأغلب يكون في المدن مثل - حمص - دمشق - حلب - عن طريق استئجار المنازل بشكل مؤقت. وأن الطنجرلية يذهبون إلى لبنان وإلى الأردن في أيام الصيف من أجل ممارسة مهنة التبيض.... هذا كان ما قبل التسعينات من القرن العشرين.

ـ الزواج عند النَّور الطنجرلية:

ليسود عند جماعة الطنجرلية (المبيضين) زواج من النوع المغلق أو الداخلي فهم لا يتزوجون إلا من بعضهم ولا يعطون بناتهم لجماعات من النَّور الأخرى التي لا تمارس مهنة ـ التبيض. كما أن لهؤلاء النَّور مكانة غير محمودة في نفوس جماعات النَّور الأخرى بسبب الاختلاف في بعض الجوانب الروحية فيما بينهم. ويصل المهر عند جماعات الطنجرلية إلى مبلغ يتراوح ما بين ٢٠ ـ ٢٥ ألف ل.س. وإذا كانت العروس هي ابنة عم للعريس يكون مهرها أقل من النصف (١٠ آلاف ل.س). ولا تسود حالياً ظاهرة تعدد الزوجات عند جماعات نور الطنجرلية إلا في حالات قليلة جداً على عكس من جيرانهم النَّور الذين يزعمون لأنفسهم بأنهم ـ أكراد ـ لأن الأخيرين أيسر حالاً وأكثر حركة في تنقلاتهم خارج القطر، وأكثر قدرة على التحايل في كيفية جمع الثروة. لذا نجد النَّور الطنجرلية الذين يقولون عن أنفسهم أنهم تركمان* فقراء قياساً بالنَّور الأكراد الذين يعيشون في منطقة القدم على الجانب الأيمن من الطريق المتفرع من خط دمشق درعا باتجاه الشرق نحو مخيم اليرموك ماراً بالغرب من كازية القدم.

- ويسود بين النَّور الطنجرلية كغيرهم من فئات النَّور الأخرى زواج البدل. فإذا كانت إحدى الفتاتان العروستان في الزواج المذكور أجمل من الأخرى ـ أجمل من بديلتها ـ يترتب على أهل الفتاة الثانية دفع مبلغ من المال فوق ابنتهم كزيادة حتى يتم الزواج بين ابنهم وابنة الطرف الآخر الذي سيناسبونه. وقد تكلمنا عن هذا الزواج سابقاً بما فيه الكفاية.

- تنتشر ظاهرة الزواج الاجتماعي غير المرفوق برضا أهل العروسين أو غير مرفوقة برضى أهل أحد العريسين وعلى الأغلب عدم رضى أهل العروس (الفتاة). فإذا ما أحبت الفتاة من النَّور الطنجرلية شاباً من جماعات النَّور الأخرى مثل: القرباط ـ النَّور الأكراد ـ بني الدوار ـ المطارية... إلخ، فإن أهل تلك الفتاة لا يعطون تلك الفتاة لمن

---

* - إن هؤلاء النَّور الطنجرلية، ليسوا بتركمان كما يدَّعون لأنفسهم ذلك، وإن كانوا يتكلمون اللغة التركمانية إلى جانب العربية، كما هم يعرفون لغة النَّور الأم التي تعرف - لغة العصفورة: (ضوم واري: اللسان النَّوري). منهم من النَّور nauar - لكن أجدادهم كانوا عاشوا في الماضي في مناطق وسط آسيا، حيث يتكلم أهلها اللغة التركمانية.

تحب، مما يجعلها تذهب مع ذلك الشاب خفية وبدون موافقة أهلها. ويترتب على حادثة خطف الفتاة حالتين لا ثالث لهما:

١. إما أن تتم الصلحة بين أهل الشاب الخاطف وبين أهل العروس المخطوفة، بعد أن يدفع أهل الشاب المهر مضاعفاً إلى أهل العروس. وغالباً أن وجهاء النَّور الطنجرلية هم الذين يمشون في الصلحة بين الطرفين كي لا تحدث نزاعات دامية بين الطرفين إذا لم يتم الصلح لأن في ذلك إنقاص لكرامة عشيرة الفتاة التي خطفت.

٢. أما إذا لم تتم الصلحة بين أهل العروس وأهل العريس وخلال فترة زمنية ليست طويلة يأخذ أفراد العشيرة التي تنحدر البنت منها باستنفار كافة رجالها للأخذ بثأرهم من العريس الخاطف إذا أمكن ذلك أو من أي شخص من أفراد عشيرة العريس. والأفضل أن يكون من الأقربين بالدم للعريس. وإذا ما تم قتل الشاب الخاطف أصبح من المتوجب قتل الفتاة أيضاً من قبل أهلها كمسح للعار.

ويحدث أحياناً إذا لم يسارع أهل الخاطف بمصالحة أهل العروس المخطوفة أن يلجأ الأهل إلى قتل ابنتهم إذا ثقفوها، وإذا ما حصل ذلك صار إلزاماً على أهل العروس قتل العريس الذي استباح عرضهم وإلا صاروا هزءاً في أعين العشائر الأخرى من النَّور.

ـ اللغة التي يتكلم بها النَّور الطنجرلية:

تعتبر اللغة الوسيلة الأساسية التي يتم من خلال مفرداتها التفاهم بين أفراد الجماعات البشرية. ويحدث أحياناً أن كثيراً من الجماعات البشرية تتفاهم فيما بينها بلغات غير لغتها الأم بسبب اكتساب لغة جديدة كانت قد اكتسبتها من شعوب أخرى نتيجة للعيش بين ظهرانيها مدة طويلة من الزمن هذا مع الحفاظ بشكل أو بآخر على اللغة الأم. وتعتبر جماعات النَّور في القطر العربي وفي بقية الوطن العربي والعالم خير نموذج على اكتساب لغات عدة نتيجة للعيش بين ظهراني شعوب لا يتكلمون بلغة واحدة.

فعلى سبيل المثال أن النَّور الطنجرلية أو ما يطلق عليهم المبيضين ـ يتكلمون اللغة التركمانية التي تنتمي إلى العائلة اللغوية الطورانية إلى جانب اللغة التركية. ونظراً لتكلم النَّور الطنجرلية بالتركمانية يزعمون لأنفسهم أنهم ـ تركمان ـ والشيء

الظريف أن هناك جماعات تركمانية جاءت من قرى الجولان بعد حرب السبعة وستون يعيشون في حي الجورة بالقدم بالقرب من النُّور الطنجرلية.

وقد سألت أحد الأشخاص من هؤلاء النُّور هل تفهمون على النازحين من التركمان فكان جوابهم نفهم بعض الكلمات. ولقد فهمت من خلال زياراتي الميدانية إلى حي الجورة - أن لهجة النُّور الطنجرلية تختلف عن لهجة التركمان الذين نزحوا من الجولان.

ويمكننا القول أن النُّور الطنجرلية الذين يزعمون أنهم تركمان - قد عاشوا في الماضي البعيد في منطقة تركمانيا ولفترة زمنية طويلة ممّا حملهم على تعلم وتمثل اللغة المحلية للشعب الذي كانوا يعيشون بين ظهرانية. وعلى هذا يمكننا القول أن الطنجرلية هم - نور التركمان - وليسوا تركمان وإنما عاشوا بين التركمان ولمدة طويلة في الماضي قبل مجيئهم إلى هذه المنطقة العربية.

ويدّعي هؤلاء الطنجرلية أنهم أقارب مع نور دير العصافير الذين يتكلمون بدورهم اللغة التركمانية في نفس الوقت إلا أنهم لا يمتون بصلة القربى الدموية إلى الطنجرلية. كما أن نور دير العصافير يختلفون اختلافاً جذرياً في مهنتهم التي يطلق عليها - رُيَّاسْ - ولم يمتهنوا يوماً قط - التبيض.

وإلى جانب اللغة التركمانية فإن النُّور الطنجرلية يتقنون اللغة العربية بشكل جيد بسبب عيشهم بين طهراني مجتمع يتكلم اللغة العربية ولفترة زمنية طويلة. كما أن النُّور الطنجرلية لا زالوا يحافظون على لغتهم النُّورية الأم وإن كان ذلك بشكل أخف من محافظة النُّور القرباط في المناطق الشمالية من سورية على تلك اللغة الأم التي يطلق لغة - الضوم - أو - لغة الضومرية. وتلفظ، الدُّوم - أو الدُّمرية.

- رئيس العشيرة:

لرئيس العشيرة عند النُّور الطنجرلية كغيرهم من جماعات النُّور الثانية مكانة جيدة. فرئيس العشيرة هو الذي يقوم بدور السلطتين التشريعية والتنفيذية لديهم. فأي خلاف يحدث بين أفراد العشيرة يتم الرجوع إلى مختار العشيرة ووجهائها لفض ذلك الخلاف مهما كانت وجهة النظر مختلفة عند الطرفين المتخاصمين. كما أن رئيس العشيرة هو الذي يمثل عشيرته في حل الخلافات التي يمكن أن تحدث بين عشيرة

الطنجرلية من جهة وبين أي عشيرة ثانية من عشائر النَّور الأخرى. وقد كان مختار عشيرة النَّور الطنجرلية السيد - أبو مرشد - الذي كان يسكن في حي الجورة بدمشق. أما بعد وفاة أبو مرشد الأب استلم المخترة لتلك العشيرة ابنه - مرشد - الذي يسكن في حي الجورة.

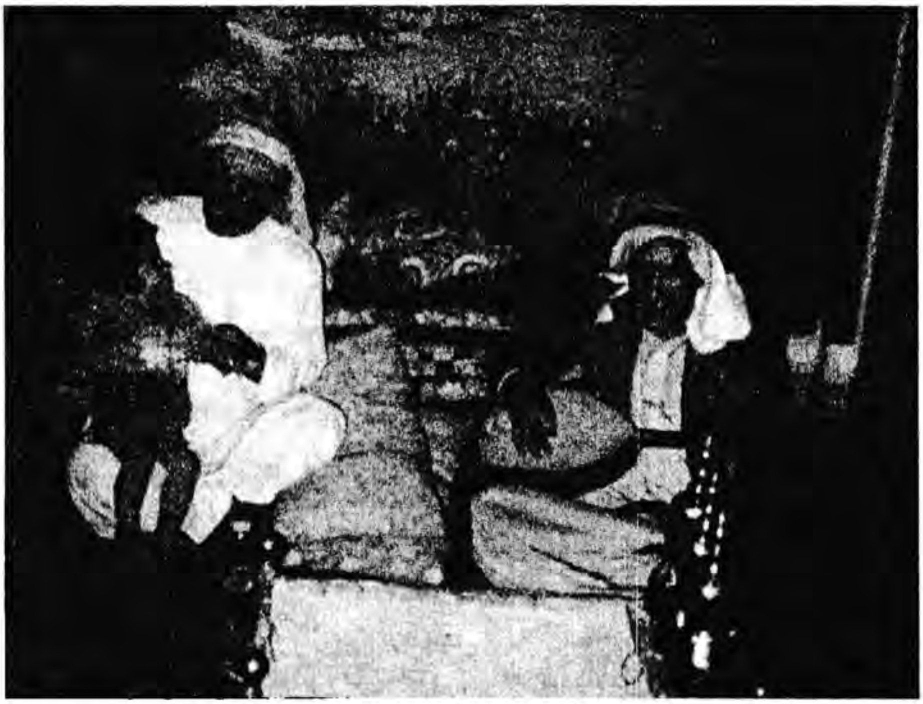

السيد أبو فيصل من وجهاء النَّور الطنجرلية /حي القدم - الجورة إلى جانبه/ ابنه وحفيدة ويمسك السيد أبو فيصل بآلة /البزق/الخاصة بالنَّور/ دون غيرهم في القطر العربي السوري.

ويرفض هؤلاء النَّور الطنجرلية أن توجه إليهم تسمية - النَّور - ففي إحدى الزيارات الميدانية لأحد وجهائهم في حي الجورة بالقدم استغرب زيارتي لدرجة أنه لم يجب على الأسئلة التي كنت أوجهها إليه بكل أدب. ونتيجة لسوء استقباله وجلافته لي في بيته خرجت من البيت وأنا مكسوف دون أن أحصل على أي معلومات منه - لكن أثناء خروجي من البيت شاهدت جرواً لكلب البوجي أسود اللون، سألت صاحب البيت لماذا هذا الجرو الصغير متجاهلاً الأمر وكأنني لا أعرف شيئاً فقال لي: إننا نربيه حتى نصيد عليه، وأردف قائلاً أننا في الماضي كنا نهتم بهذه الكلاب من أجل اصطياد حيوان /النيص/ ليلاً. ومن خلال رؤيتي لهذا الجرو الصغير الذي تعتبر تربيته عاملاً مشتركاً عند كافة العشائر النَّورية على اختلاف مهنهم واللغات التي يتكلمون بها.

أنهم نورٌ بعاداتهم وتقاليدهم وبنمط معيشتهم، وبصفاتهم الإتنوغرافية. ومن العشائر الطنجرلية في حي الجورة المذكور: ملوجي - جَحْجَلِيَّة - أغز بيوك (تعني العشيرة ذات الفم الكبير لأفرادها) - حم متلي - لا باجرال - عجيلة - قازا انطانجية: النحاسين. ومن النَور الطنجرلية كل من السيد عباس النحاس المعروف أبو عباس مختار عشيرة الطنجرلية - ومن النَور الطنجرلية كل من السيد حسن حمزة يضرب على الربابة - زين أبو تراب جمعه - علي بن عبد العزيز الحسن - سليمان عباس نحاس.

- عادة الثأر عند النَور الطُنْجرلية:

ويعرف النَور الطنجرلة بغيرتهم على عرضهم وخاصة على بناتهم. فالبنت تتعرض للذبح من قبل أهلها مجُرد أن يوشى إليهم أنَّها كانت وشاب ما من أفراد النُّور جالسين إلى بعضهم ومنفردين دون أن يكون أحد لجانبهما وخير مثال على ذلك ما حصل مع المغدور بها - فوزية - بنت السيد إسماعيل العلي الملقب أبو معروف:

أخبر رجل من النُور أبا معروف أن ابنته - فوزية كانت مع أحد الشباب عندما كانت ترعى بالخاروف في البستان المجاور لبيتهم في حي الجورة الواقع بمنطقة القدم على يسار الطريق العام الذاهب من القدم باتجاه الحجر الأسود شرقاً. فلما أبلغ السيد إسماعيل العلي والد الفتاة الأمر المذكور عن ابنته طلب من ابنه الأكبر التوجه فوراً إلى شقيقته لذبحها إلا أن شقيق الفتاة رفض رفضاً قاطعاً وذلك بعد أن سألها عن صحة ما أبلغوا عنها ونفيها لذلك. ومن ثم أرسل الأب ابنه الأصغر إليها كي يذبحها إلا أن الشقيق الثاني لم يقدم على ذلك لأنه عرف أن أخته بريئة بعد أن سألها عما سمعوا عنها. انزعج الأب من أبنائه بعد أن وجه إليهما الكلمات النابية والشتائم. وعلى إثر ذلك توجه على الفور إلى عند ابنته - فوزية - وأتى بها إلى الدار، وبعد ذلك أدخلها إلى الحمام وذبحها بالسكين من عنقها كما تذبح الشاة. وبعد أن تم إخبار الشرطة وحضور هيئة الكشف تبين لهم بعد الفحص الطبي أن المغدور بها لا تزال بنتاً باكراً تحافظ على غشاء بكارتها ولم يمسها أحد. هنا كما روى رجل من النَّور هناك أن القاتل (الأب) دفع إلى الطبيب الشرعي مبلغ ثلاثين ألف ليرة سوري من أجل أن يتم تغيير التقرير الطبي ويصبح لغير صالح البنت البريئة المغدور بها. وقد تم هذا الأمر في السبعينات من

القرن العشرين. وبعد إجراء عملية الكشف سلم الابن الأصغر نفسه إلى الشرطة بدلاً من القاتل الفعلي (الأب). وقام فيما بعد والد المغدورة وأبناءه بطقوس الدفن، فبعد تغسيل الجثة تم تلبيس الفتاة المذبوحة لباساً أبيض اللون وكأنها في حفلة زفافها ومن ثم حملوها بالنّعش وداروا بها في الحارة التي هم فيها ساكنين، ويقال أنهم داروا فيها بالحارة دورتين والنعش محمول على الأكتاف وذلك قبل أن توارى في المقبرة.

أما السبب الذي دعاهم لحمل ابنتهم المغدور بها والطواف بها بالحارة أنه إظهاراً لرجولتهم وإكباراً لشرفهم وشهامتهم بأنهم غسلوا عارهم بالدم. وفي نفس الوقت تشير هذه الظاهرة إلى توجيه لطمة نفسية لكل فتاة في المستقبل بأن مصيرها هو القتل فيما إذا ما أقدمت على جلب العار لشرف أهلها. وقد قال الرجل الذي سرد القصة بأن الشخص الذي افترى على الفتاة قد أصيب بالشلل بعد أسبوع من قتل الفتاة البريئة ومات بعد عدة أيام من إصابته المرضية لأنه ظلم البنت وجنى عليها زوراً وبهتاناً.

وبعد أن تم دفن الفتاة المقتولة من قبل أهلها صار والدها وإخوتها يتربصون بالشاب الذي قتلت البنت بسببه علماً أن منازل الطرفين الذين صاروا في حالة خصومة لا تبعد عن بعضها المئة أكثر من مئة متر. وذات يوم شاهد أبو معروف واحداً من أهل الشاب وهو يصعد الدرج في داره فأطلق عليه النار من بارودة فأرداه قتيلاً. فهرعت والدة القتيل واحتضنت ابنها المقتول ومن ثم أغمى عليها وماتت في الحال وهي تبكي ابنها الضحية البريئة. وقد دفنت الأم وابنها معاً وفي قبر واحد في نفس اللحظة. وقد ألقت الشرطة القبض على القاتل - أبو معروف - وأودعته السجن حيث مكث به مدة سنة ونصف. ومن ثم خرج من السجن بعد أن دفع مبلغاً من المال كرشوة مقدارها (١٥٠) ألف ليرة سورية. وكما قال الرواي:

وبعد فترة صادف شقيق الشاب المقتول - أبو معروف القاتل - في الصالحية فما كان منه إلا أن سحب مسدسه ووضعه في رأس قاتل أخيه وأفرغ ما به من رصاص وبقي شاهراً مسدسه إلى أن جاءت الشرطة، واستلمت القاتل. وعلى إثر هذه الحادثة هجم الطرفان المتخاصمان أهل الشاب وأهل الفتاة على بعضهما وأحرقوا البيوت وما فيها والبعض قاموا بهدمها. فكان نتيجة هذا العمل القبلي المتهور قتل خمسة أشخاص وحرق وهدم العديد من البيوت ورحيل الطرفين من الحارة نهائياً فأهل الفتاة - بيت أبو

معروف ـ رحلوا نهائياً إلى حلب. أما أهل الشاب الذي قتلت البنت بسببه رحلوا إلى جهة غير معروفة. وقد دارت فصول هذه الحادثة في عام /١٩٧٤/م، وكان يسكن في البيت الذي تم فيه ذبح الفتاة – شرطي من بلدة نوى بعد أن أخلي من أصحابه.

- لا يتقيد هؤلاء النَّور الطنجرلية بفرائض الدين الإسلامي فهم لا يصومون ولا يحجون إلى بيت الله الحرام ولا يؤدون الصلاة في أوقاتها، وحتى لا يحتفلون بعيد الفطر وعيد الأضحى. واهتمامهم الوحيد بعيد عاشوراء / يوم مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما/.

ـ الرجل وظاهرة العمل:

ـ إن الرجال من عشيرة النَّور الطنجرلية كانوا في الماضي يمارسون مهنة المتاجرة بالخيول والحمير بين صفوف الفلاحين الفقراء من سكان ريف القطر العربي السوري.

كان الرجل النَّوري الطنجرلي يشتري الحمير والخيول الهزيلة، من أصحابها في فصل الشتاء وبداية فصل الربيع في وقت لا يكون عند الفلاح تبن وعلف لإطعام تلك الحيوانات التي يستخدمها في الفلاحة. وغالباً ما يبيع الفلاح حيوان الحمار أو الحصان الهزيل بأسعار بخسة جداً لأنه غير قادر على إطعامها. أما الرجل النَّوري فإنه يحصل على التبن والعلف من خلال ظاهرة الشحادة التي كان يمارسها وزوجته، فكان الرجل الطنجرلي (المبيض) يحمل الكيس على ظهره بعد أن يكون قد امتلأ بالتبن الذي كان قد شحده من عند الفلاحين (غالباً ما يكون التبن خشناً جداً يشبه القصل). ولا تزال محفورة بذاكرة الناس الفلاحين وأنا من بينهم صورة النَّوري الذي كان يحمل كيس التبن على ظهره. والشيء الذي كان يلفت الانتباه أن الرجل من الطنجرلية كان دوماً معروفاً بلحيته الطويلة، التي يطلقها دون أن يحلقها. وفي مواسم الحصاد والبيادر كان الرجل الطنجرلي والمرأة يشحدان التبن لإطعام حيواناتهم من حمير وخيول.

وما أن يبدأ فصل الربيع حيث كان يحزم النَّوري الطنجرلي أمتعة خيمته وحيواناته ليخرج بها من القرية إلى الأماكن التي تنبت فيها الأعشاب. وفي الغالب تكون مجار الأنهار أو سيول فصلية، وأودية: مثل وادي الرقّاد، ووادي العلان.

ففي منطقة حوران كان النَّور يذهبون إلى منطقة الجولان من أجل تسمين حميرهم وخيولهم الهزيلة في كل من قرية الفجر السورية، الواقعة في السفح الجنوبي للجزء الغربي من جبل الشيخ، وفي منطقة عين ذكر حيث العيون والينابيع الجارية والتي تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الجولان.

وفي بداية الموسم الزراعي للحصاد يبدأ النَّور الطنجرلية ببيع حيواناتهم التي سمنوها ببيعها إلى الفلاحين من جديد وبأسعار غالية جداً. وكان النَّور يستخدمون طرقاً كثيرة لغش الفلاح أثناء شرائه الحمار أو لهذا القديش فعلى سبيل المثال:

١ـ كان النَّوري يقدم على وضع التنباك أو الدخّان أو الفليفلة الحادة في دِبْرِ الحيوان[1] يوم السوق كي يظهر أن ذلك الحيوان جيد في المشي عندما يركبه الفلاح كي يرى ذلك الحيوان وهو يمشي أو يجري.

٢ـ من النَّور من كان يقدم على شحذ أسنان الحمار المتقدم بالعمر كي لا يظهر كبيراً (هَرِشاً) عندما ينظر إلى فمه كي يعرف عمره. لأن الأسنان كلما كانت في سطحها ملساء كلما كان الحيوان كبيراً بالعمر والحيوان الكبير يتعب بسرعة ويهزل بسرعة ومهما أطعمته لا يسمن وبالتالي فإن تربيته بالنسبة للفلاح غير مربحة.

٣ـ كانوا يقومون بقص شعر الحمار أو الحصان في منطقة العجز وخاصة للذنب كي يظهر الحيوان بمظهر جميل. وعلى الأغلب كانوا يضعون في عنق الحمار أو الحصان القلائد من الخرز الأزرق إلى جانب الأجراس). ويقومون بصبغه ونفخ لجوفه.

وكانوا يبيعون تلك الحيوانات للفلاحين في الأسواق المعروفة التالية: سوق نوى - سوق دوما - سو ق حماة - سوق حرستا - سوق درعا - سوق خربة غزالة - وفي الأسواق في ريف الساحل السوري.

ـ مهنة التبيض:

يقول السيد / قاسم سعيد الصايغ / الملقب - أبو قاسم - أن النَّور الطنجرلية لم يتعلموا مهنة التبيض إلا مؤخراً وذلك بعد أن صارت مهنة المتاجرة بالحمير والخيول الهزيلة غير مربحة وخاصة بعد أن أخذت الآلة الزراعية تنافس تلك الحيوانات في

---

١ - دبر الحيوان: فتحة الشرج للحيوان.

الفلاحة والحصاد والبيدر مما أدى إلى إقلال من قيمة تلك الحيوانات عند الفلاح لأنها لم تعد ضرورية له كما كانت في السابق*.

صار الطنجرلي يشتري القصدير ويقوم بصهره ومن ثم يقوم بطلي الأواني النحاسية التي تأكسدت نتيجة الاستعمال، حيث تتكون طبقة زرقاء نحاسية على الآنية من الداخل تدعى (الزنجار). وزنجار النحاس مادة سامة تتحل في حموض الأطعمة، لذلك لا تحفظ الأطعمة في الأواني النحاسية إلا بعد طلائها لطبقة من القصدير. أما الهواء الجاف فلا يؤثر بالبرودة في النحاس. ولكن إذا سخنت آنية من النحاس غشُيَتْ سطحها طبقةً من أكسيد النحاسي الأحمر Cu_2O لا تلبث أن تتحول إلى أكسيد النحاس الأسود CuO. ويؤثر الهواء الجوي الرطب الحاوي على غاز الكربون في النحاس. فتكسو سطحه طبقة خضراء تعرف بزنجار النحاس. وهي عبارة عن كربون النحاس المائية [$Cu(OH)_2 . CuCO_3$] وهي طبقة كتيمة.

وعندما كان يقوم النَّوري بالتبييض كان لزاماً على صاحب الأواني النحاسية التي ينبغي طلاؤها بالقصدير أن يصطحب معه الحطب أو الجلّة - المعمولة من الزبل الحيواني.

ويقوم النَّور المبيضون حالياً بتذويب أدوات الألمنيوم القديمة وتحويلها إلى ملاعق كبيرة تدعى - المرغفة أو الكفكير وتستعمل هذه المرغفة الكبيرة في تحريك طبيخ البرغل عند مزجه باللبن المطبوخ باللحم والذي يدعى بالمليحية.

وتجدر الإشارة أن النَّور الطنجرلية لم يمارسوا مهنة تلبيس الأسنان وتركيبها لا في الماضي ولا في الحاضر.

- المرأة الطنجرلية والشحادة:

كانت المرأة النَّورية الطنجرلية تقوم بالتجوال بين أحياء القرية للحصول على ما يمكن أن تحصل عليه من مواد غذائية تموينية مثل - العدس - البرغل - القمح - الطحين - إلى جانب التبن الذي تحمله في ثوبها الخارجي الذي يشبه العباءة بعد أن تجعله على

---

* - إن هذا الكلام غير صحيح، فمهنة التبييض - قديمة فقد كانوا يمارسوها في البلدان التي كانوا قد قدموا منها إلى بلاد الشام. ففي ...ني في الخمسينات من القرن العشرين، كان هؤلاء النَّور الطنجرلية يأتون في فصل الربيع إلى منطقة - نوى - ومعهم حيواناتهم الهزيلة ... حمير وخيول، تكون مربوطة أمام خيامهم. كما أن هؤلاء موجودون في أوروبا منذ نهاية القرن العاشر الميلادي، حيث يمارسون مهنة ...يض في بلدان أوروبا ويطلقون عليهم تسمية بـ(الغالديراش): أصحاب القدور.

شكل صرة تربط طرفيها على رأسها. وأحياناً يكون معها كيساً لتضع فيه التبن الذي تشحده من أجل إطعام الحمير والخيول التي توجد عندهم أمام الخيمة والتي كانت تستعمل للركوب ولنقل خيامهم وأمتعتهم وصغارهم وللاتجار بها.

والمرأة الطنجرلية عندما تذهب في الصباح الباكر من أجل ممارسة الشحادة لا تأخذ معها شيئاً مثل: الأمشاط ـ الأبر ـ المسال ـ المروحة ـ العلكة ـ الكحل الأسود...إلخ. وإنما كانت تذهب على مد الله الكريم على عكس من المرأة النَّورية القرباطية التي تأخذ الأشياء التي ذكرناها كي تبيعها لتحصل على المواد التموينية ولا زالت هذه العادة عند المرأة القرباطية حتى يومنا هذا.

أما الآن فإن المرأة الطنجرلية تذهب إلى القرى ومعها أوانٍ من المعادن أو البلاستيك كي تضع فيها ما يمكن أن تشحده مثل: الزيت ـ الصابون ـ السمنة ـ اللبن ـ إلى جانب العملة التي يمكن أن تحصل عليها. وتجدر الإشارة أن العائلة النَّورية إذا كان عندها أكثر من امرأة تشحذ قادرة على أن تؤمن في خلال يومين أو ثلاثة على أكثر تقدير تنكة زيت سعتها ـ ١٧كغ ـ ويبيعون هذا الزيت بثمن رخيص لا يتجاوز / ٣٠٠ ل.س / لأصحاب الدكاكين فعلى سبيل المثال في بلدة نوى تبيع النَّوريات كل ما معهن من زيت وصابون وغيرها من أشياء ثانية إلى صاحب دكان في نوى الحي الغربي اسمه ـ أسعد العودة الله ـ ودكان زيدان العودة الله، وهما بدورهما يبيعانها وكان هذا في الثمانيات ولا زالوا حتى اليوم يشترون من النساء النوريات ما يشحدنه يومياً ويبيعونه إلى المحتاجين على أنها زيت زيتون (إلا أن الزيت النَّوري مثل طبيخهم يكون خليطاً منه الزيت الأصلي ومنه زيت القلي منه المستعمل في القلي ومنه غير المستعمل)...

ـ السكن:

إن النَّور الطنجرلية بصورة عامة لا زالوا يعيشون عيشة الارتحال وعدم الاستقرار في مكان ثابت باستثناء قسم كبير من الطنجرلية القاطنين في حي الجورة وحي بور سعيد في القدم حيث يسكنون في بناء ثابت وممد له الكهرباء والماء.

كما أن النَّور الطنجرلية في حي جورة العرايس بحمص يسكنون في أبنية ثابتة من البلوك والمسقوفة بالخشب أو الاسمنت المسلح وأن الماء والكهرباء ممدة إلى البيوت في حي جورة العرايس.

وقد قال لي أكثر من شخص من النَّور وفي مقدمتهم السيد سعيد الصباغ أن النَّور الطنجرلية المتواجدين في منطقة القدم بصورة عامة قد استقروا هنا منذ فترة لا تزيد عن العشرين عاماً فقط أي في الستينات من القرن العشرين. وقبل العشرين عاماً كان النَّور الطنجرلية جماعة مرتحلة يتاجرون بالحمير والخيول كما ذكرنا سابقاً. وأن هؤلاء النَّور كانوا يذهبون في الربيع وحيواناتهم إلى منطقة عين ذكر في الجولان كي تتسمَّنْ (تُربّعْ). وفي أول أيام البيادر كانوا يبيعونها إلى الفلاحين في حوران وجبل العرب.

وقبل أن يستقر النَّور الطنجرلية في القدم كانوا يقضون فصل الشتاء مع حيواناتهم في منطقة الزفتية الحالية القريبة من باب مصلّى. وقد كان هناك جماعات منهم على يمين الطريق العام الذاهب إلى درعا*. وكان هؤلاء الناس منذ فترة لا تزيد عن عشرة سنوات يقومون بتربية الديك الرومي الصالح للمبارزة. وقد شاهدت بأمي عيني ديكين يتقاتلان والرجال بأعداد كبيرة حولهما فدهشت لذلك المنظر المحزن للديكين المتقاتلين لأن الدماء كانت تسيل منهما، في حين الأناس الذين من حولهما يضحكون. وفي تلك الفترة لم يكن عندي إطلاع كافٍ على عادات وتقاليد النَّور فلو كان عندي إطلاع لجلست إلى جانبهم وتفهمت الهدف من هذا المنظر المحزن إذا كان ذلك ممكناً. وبعد أن قامت الدولة بهدم الأكواخ المبنية آنذاك في الزفتية من أجل إقامة أبنية حديثة ذهب هؤلاء إلى منطقة بور سعيد وحي الجورة في القدم واستقروا هناك.

- أثاث البيت:

من البديهي أن يكون في كل بيت منار بالكهرباء أدوات كهربائية. أما البيوت التي زرتها والتي تقع في حي الجورة على الجانب الأيسر لنهر قليط في القدم يوجد في البيت الأثاث الآتي: التلفاز الملون - الفيديو - المذياع - المسجلة - مطحنة القهوة - عصارة فواكه - سجاد - أراجيل. ويمكن أن أقول أن الأثاث الموجود في البيت المذكور لا أستطيع أنا أن أقتنيه في بيتي لعدم وجود المادة. آنذاك بين يدي؟

* - هذا الكلام كان في الثمانينات من القرن العشرين.

- اللباس:

يمتاز لباس المرأة النَّورية من جماعة الطنجرلية بألوانها المزركشة والجميلة والواسعة في آن واحد. فترتدي المرأة الخراطة المشدودة على الخصر بشكل جيد بواسطة قطعة من المطاط. وتكون تلك الخراطة واسعة من الأسفل وطويلة لدرجة أنها تخبُّ على الأرض. وتلبس فوق الخراطة كنزة على الأغلب تكون من نفس لون الخراطة. وتغطي المرأة رأسها بقطعة قماش سوداء رقيقة وواسعة وناعمة في نفس الوقت. وعلى الغالب يكون معظم شعر المرأة في مقدمة الرأس مكشوفاً، بالإضافة إلى أن العنق يكون مكشوفاً. وتلبس المرأة تحت الخراطة سروالاً على الأغلب يكون واسعاً كي يساعد على المرونة في الحركة. وأحياناً تستعيض المرأة عن الكنزة بلبس قميص فوق ثوبها الذي يبدأ من فوق الجذع. ومن المعروف أن لباس المرأة في الحفلات يكون زاهياً ونظيفاً ومن القماش الجيد الغالي الثمن. ويغلب على لباس المرأة الألوان الزاهية والفاقعة.

عائلة من النَّور الذين يتكلمون اللغة التركمانية .

القدم / حي الجورة / السيدة أم فيصل وإلى جانبها أحفادها ١٩٨٦م

ولا تخرج المرأة الطنجرية ولا الفتاة حاسرة الرأس مطلقاً شأنهن بذلك شأن المرأة عند كافة جماعات النّور على اختلاف نحلهم وفي كافة القطر العربي السوري وحتى في الوطن العربي عامة.

ويرتدي الرجل من النّور الطنجرلية في بيته الجلابية ذات اللون الأبيض بصورة عامة وتحتها سروال من القماش الأبيض الرقيق والناعم ويرتدون فوق القلابية الجاكيت، ويلبسون على رؤوسهم الكوفية أو القضاضة البيضاء مع العقال الأسود.

والقسم الذي يعمل في مؤسسات الدولة على الأغلب يلبسون القميص والبنطال والطقم الأوربي بما فيه ربطة العنق.

ومما لمسته بين الرجال أنهم يمتازون بالشوارب الكبيرة ذات اللون الأسود. ويرتدي الشباب منهم أحياناً اللباس الباكستاني المتعارف عليه كما يشاهد ذلك في شوارع دمشق: القلابية القصيرة التي تصل إلى عند الركبتين أو إلى أسفل الركبتين أحياناً. ومن سروال من نفس لون القلابية وحتى من نفس القماش وغالباً تكون القلابية مفتوحة من على الجانبين الوحشيين وهذا بدوره يسهل الحركة في المشي. وأحياناً يرتدون طاقية يضعونها على رأسهم أو يلفون منديلاً من القماش على رؤوسهم. أما الأطفال فغالباً ما يكون لباسهم بسيط وغير نظيف وحفاة طوال أيام السنة. والشيء الذي يلفت النظر أن هؤلاء الأطفال يسبحون في نهر نفايات مجاري مدينة دمشق المسمى - نهر قليط - الذي يمر من بين منازلهم وقد شاهدت الأطفال يسبحون وهم فرحين بماء هذا المجرى القذر بتاريخ ١٢ /١٩٨٦/٦. عندما قمت بأول زيارة ميدانية لهم آنذاك وقد سألت شخصا في منطقة القدم عن تلك الظاهرة غير السليمة فكان جوابه كالآتي: أن هؤلاء الأطفال يسبحون في هذا المجرى الوسخ في عزّ أيام فصل الشتاء دون أن يصابوا بأمراض وكأن البرد والوسخ لا يؤثر بهم.

ويقوم الأطفال بممارسة الألعاب مثل كرة القدم في البساتين الواقعة إلى جانب منازلهم. وأحيانا يحملون بأيديهم أدوات موسيقية مثل: العود - الشبابة - أدوات التصوير غالية الثمن. ويهتم النّور في بيوتهم بتربية الكلاب البوجي لا لشيء وإنما استمراراً لعاداتهم القديمة التي كانوا يمارسون من خلالها الصيد بمساعدة كلاب البوجي - السلوقي ويربي النّور في القدم الحمام وأحياناً يوجد في بعض المنازل الدجاج الرومي طويل الساقين والعنق.

ويسافر النَّور /الطنجرلية/ إلى كل من: تركيا ـ اليونان ـ بلغاريا ، وإلى الأردن والسعودية من الدول العربية من أجل مزاولة مهنة التبيض هناك كما يدَّعون لأنفسهم ذلك. وأن لهؤلاء النَّور الطنجرلية أقارب في المهنة واللغة في منطقة لواء اسكندرون العربي السوري المحتل من قبل تركيا كما أن هناك نور طنجرلية في منطقة الموصل في العراق.

النَّور في الحجر الأسود /الشَّعارنة/ جماعة أبو زكي

تعيش مجموعة من النَّور في منطقة الحجر الأسود / الذي يقع في الطريق الجنوبي الغربي من مخيم اليرموك الواقع إلى الجنوب من مدينة دمشق. وتنتمي هذه المجموعة البشرية من الضوم إلى عشيرة تدعى الشعارنة، ويتراوح عدد أفراد هذه العشيرة بصورة تقريبية ما بين ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ نسمة. حيث القسم الأعظم من تلك العشيرة قد استقر في الطرف الجنوبي الغربي من منطقة الحجر الأسود وأن القسم الآخر قد استقر في المنطقة الوسطى من الحجر الأسود، حيث يوجد مختار عشيرة الشعارنة ـ السيد أبو فيصل في منطقة شارع الثلاثين.

ويقول أفراد عشيرة ـ الشعارنة عن أنفسهم عندما يسألون من أي عشيرة يجيبون: انهم شعراني. وأن كافة أفراد عشيرة الشعارنة مسجلون في السجلات المدنية الفلسطينية تحت كنية ـ أسعد ـ وذلك نسبة إلى شيخ تلك العشيرة عندما كان أفرادها بفلسطين قبل عام ١٩٤٨، والذي كان يدعى ـ محمد عبد الله الأسعد / أبو زكي / لذا يقال لأفراد عشيرة الشعارنة بين عشائر النَّور / الضوم / بجماعة أبو زكي /.

وقد جاء أفراد عشيرة الشعارنة من منطقة فلسطين إلى سوريا في أعقاب حرب عام ١٩٤٨م. وقبل ذلك كانوا يرتحلون من مكان إلى مكان آخر في كافة مناطق فلسطين. وكانت النساء تشحد على باب الله الكريم وهناك البعض منهن كن يزاولن مهنة التبصير والتنجيم بالمسبحة أو بالودع أو بالكف. ولا زالت بعض النسوة إلى الآن تمارس تلك المهنة القائمة على الشعوذة والتشليح. وأخذ الفلوس قسراً من الشخص الذي يقع في شرك البَصارة التي تطلب أكثر من مرة دفع الفلوس تبيضاً للحظ/ كي تستطيع كشف الفأل للشخص الذي وقع في هذه الأحبولة الكاذبة. وأن معظم زبائن البصارة من النساء المتزوجات والشابات إلى جانب الشباب المراهقين أملاً في معرفة هل يتزوجون ممن يحبون مستقبلاً. وتُدعي البصارة أنها من أسرة دينية عريقة مثل: النعيم ـ وجدها ـ عز الدين ـ وأحياناً تقول أنها مغربية علماً أنها نَوَرية /ضُومِيَّة/ وليس لها

علاقة لا بعشيرة النعيم التي يقول أفرادها على أن جدهم هو عز الدين. أما الرجال فكانوا وما زالوا يتاجرون بالخيل ـ سيّاس خيل ـ وكانوا ومازالوا يهتمون بتربية كلاب الصيد: البوجي من أجل صيد حيوان النيص ـ الغريري ـ وكلاب السلوقي لصيد: الغزال ـ الأرنب. وكانوا يربون الدجاج الرومي من أجل المبارزة، إلى جانب طير الحجل الذكر لجمال صوته ولإمكانية صيد طيور الحجل البري عن طريقه. وكانت المنطقة الجبلية في فلسطين المحتلة هي أماكن الصيد لهم.

ـ مكانة شيخ العشيرة:

كان يتمتع شيخ العشيرة عند الشعارنة بمكانة اجتماعية مرموقة عندما كانوا بفلسطين قبل الاحتلال. فكلمة شيخ العشيرة في أي خلاف قد ينشب بين أفراد العشيرة هي قرار الفصل بين الطرفين المتنازعين. وأن كلام شيخ العشيرة يجب أن ينفذ لأنه يجمع بشخصيته السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية بآن واحد. وإذا ما صار فرح عند عشيرة ثانية من النَّور/الضوم/ فإن الدعوة الرسمية تتم إلى شيخ العشيرة الذي بدوره يبلغ أفراد عشيرته بالدعوة التي وجهت لحضور أفراد عشيرته الفرح عند العشيرة النَّورية التي تقيم الفرح لسبب أو لآخر وذلك من خلال شيخ العشيرة. وعلى ضوء اجتماع شيخ العشيرة بأفراد عشيرته يتم الاتفاق على جمع مبلغ محدود من المال من أفراد العشيرة وليكن /٥٠٠٠ ل.س/ كي يشتري ذبائح وهدايا لأصحاب الدعوة. ويتم جمع المبلغ عن طريق فريعة يدفع مبلغ محدد عن الذكور / فريعة على الزبرة: أي بعدد الذكور الموجودين في تلك العشيرة دون حساب النساء، فإذا ما كان الذكور في العشيرة فرضاً ١٠٠٠ ذكر، يتوجب على كل ذكر كبيراً كان أم صغيراً أن يدفع مبلغ / ٥ ل.س / عام ١٩٨٢.

ونظراً لمكانة عشيرة الشعارنة المحترمة بين عشائر الضوم ليس بسوريا وإنما في بلاد الشام بسبب كثرة عدد رجالها لدرجة لا تتجرأ أي عشيرة أخرى من الضوم / النَّور / أن تتخاصم معها، فإن أي شخص مغبون من قبل عشيرته أو من قبل عشيرة ثانية يأتي إلى شيخ عشيرة الشعارنة كي يحصل له حقه ويتم له ذلك لنفوذ تلك العشيرة بين عشائر النَّور الضوم.

ويتمتع أفراد عشيرة الشعارنة برباط قبلي واجتماعي جيد فيما بينهم، حيث دوماً يقضون السهرات في الليل عند الوجهاء ليتبادلوا شؤونهم الحياتية الاجتماعية بشكل خاص نظراً لكثرة الخلافات التي تنشب بين الأسر النُّورية والتي تنتهي بسرعة لكون النَّور في سلوكهم مزاجيين أقرب إلى الفوضى منه إلى النظام إلا أنهم طيبوا القلب يرضون بسرعة ويتناسوا الخلاف الذي حصل فيما بينهم، فبمقدار الشخص النُّوري ما هو رجل سريع الغضب والانفعال فإنه سريع التنازل عن غضبه ويقبل المصالحة دون أن يبقى في ذاكرته أ ي حقد للشخص الذي تنازع معه باستثناء مشكلة العرض التي يمكن أن تقود إلى القتل وما أسهله عندهم حيث يقدم الرجل النُّوري على قتل المرأة الزانية دون أن يحسب حساباً للنتائج السلبية التي يمكن أن تترتب على ذلك.

- الزواج:

يسود الزواج الداخلي Endagamos بين أفراد عشيرة الشعارنة، فلا يزوج الشعارنة بناتهم لشباب من غير عشيرتهم وإذا ما حدث ذلك فيكون المهر مرتفعاً وبرضا شيخ العشيرة وبقية أفرادها. فالفتاة كانت ومازالت لا تزوج لمن تحب إلا ما ندر. ولقد سألت السيدة / يسرى أبو مسمار . أهلها من نَوَر منطقة إربد في الأردن / زوجة السيد ناجي إبراهيم الأسعد / أبو طلعت - وهو من وجهاء عشيرة الشعارنة / إذا ما أراد أحد أن يتزوج شابة من بناتكم فهل تزوجوه. فكان جوابها كالآتي: أنت تريد الصح أم الكذب فقلت لها أريد الصح - فقالت بالحرف الواحد: وَاللهِ أُطَلّبْ فُلُوْسْ ولا تُطَلّبْ عَرُوْس.

ومن عادات عشيرة الأسعد في ظاهرة الزواج وإلى الآن . وجود زواج البدل: زواج الداغيش فتاة مقابل فتاة بعد أن يتفق أخويهما على أن يتزوج كل منهما من أخت الآخر ويسود الزواج التعددي من قبل الرجل، حيث يجمع في عصمته وإلى الآن أكثر من امرأة /. وتعيش النساء الضراير في بيت واحد/. ويحدث عندهم زواج الخطيفة الذي ينتهي غالباً بقتل الفتاة الخاطفة في حالة كون الشاب الخاطف لها من عشيرة أخرى غير عشيرة الشعارنة وإن تمت المصالحة على ذلك بين الطرفين. وإذا كان الشاب الخاطف من عشيرة الشعارنة فإن المشكلة أسهل وتحل اجتماعياً عن طريق دفع المهر مضاعف ويصل المهر عند الشعارنة حالياً فيما بينهم إلى مبلغ يتراوح ما بين /٢٥ . ٣٥/ ألف ليرة سوري عام ١٩٨٧م.

فقد كان القران في الماضي يتم بين الشاب والشابة بعد معرفة العشيرة بذلك ووضع الشهود في الوقت الذي لم يكونوا فيه مسجلين بالسجلات المدنية. أما الآن فإن القران يكتب في المحكمة الشرعية أو عن طريق الشيخ أولاً وبعد الزواج يتم عقد القرآن في المحكمة.

وأن سبب تعدد الزوجات عند جماعات النَّور بصورة عامة ـ وعند عشيرة الشعارنة ـ لا يعود إلى حب الأطفال وكثرة الإنجاب ولا يعود إلى أن النَّوري رجل سريع الغرام بالفتاة فقط وإنما الذي لمسته من الواقع ومن خلال كلام الذين كانوا صادقين معي في حديثهم وخاصة في الماضي، هو ما يلي:

أن الرجل النَّوَري كان يتزوج بأكثر من امرأة من أجل جمع المال والطعام واللباس الوفير له ولأفراد أسرته الذين ينجبهم من نسائه المتعددات، لأن الأسرة النَّورية في مصاريفها المادية وحتى تموينها ولباسها يقوم على أكتاف المرأة وليس على أكتاف الرجل. وقد كان ومازال إلى حد ما الرجل جليس البيت لا يزاول أي عمل باستثناء هواية صيد /النيص ـ الغريري ـ الأرانب ـ الحجل/ بواسطة الكلاب التي يربيها إلى جانب خيمته وفي أغلب الأحيان ينام معهم في نفس الخيمة وبشكل خاص في أيام الشتاء الباردة، ولكن هذه الهواية حالياً شبه زالت، لأنه لم يعد هناك شيء يتم اصطياده.

نساء ورجال من الشعارنة بيت الأسعد /الحجر الأسود/

وأن الزوجة عليها أن تأتي بمبلغ من المال يفرض عليها يومياً، فإذا جاءت إحدى الزوجات بمبلغ قليل فإنها تضرب من قبل زوجها ويعتبرها أنها امرأة ناقصة /ليست كفؤاً أن تكون زوجة/ ولا يحدث الطلاق للمرأة من قبل زوجها إلا إذا تكررت الأيام التي لا تأتي الزوجة في نهاية النهار إلى زوجها بفلوس قد حددت كميتها من قبل زوجها. لكن الطلاق بهذا السبب نادراً ما يحصل لأن المرأة النَّورية حريصة كل الحرص أن تحضر المبلغ المفروض عليها إحضاره وإن كان الأسلوب في الحصول على ذلك يتم بشكل غير مستقيم، وبطرق ملتوية تقوم بها المرأة خارج بيتها وهي تتسول بين أحياء القرى أو شقق البنايات في المدن، ففي شتاء عام ١٩٨٧م التقيت بالسيد ـ فتحي محمد الأسعد والذي ساعدني في جمع المعلومات، حيث يسكن في الحجر الأسود في بناء ثابت . أملاً أن نعمل على إخراج زوجته المحبوسة لسبب لم يذكره / ولكن على ما يبدو أنه عمل غير مشروع كالسرقة/.

وأن الفتاة من عشيرة / الشعارنة / مطالبة بالمحافظة على عذريتها حتى ليلة زفافها. ففي ليلة الزفاف كان يخصص خيمة للعريس والعروس وإلى الآن عند بعض الأسر التي لا تزال تعيش في تخشيبات من صفائح القصدير وأكياس الخيش والورق المقوى. وكانت أم العروس وعمتها /أخت أبيها وحتى أبوها/ يذهبون مع ابنتهم إلى بيت أهل العريس حيث يجلسون هناك كي ينتظروا دخول العريس على عروسه ليطمئنوا على بكارة ابنتهم التي يتجسد فيها شرف وكرامة أهلها وعشيرتها. وتعلم النتيجة أن العروس باكر كما يلي:

عندما يدخل العريس إلى عند عروسه تضع ثوب عرسها الأبيض تحتها عندما ينام معها عريسها كي تنزل قطرات دم البكارة على الثوب الأبيض ولتكون بمثابة شاهد على عذريتها فيما إذا زعم العريس غير ذلك كي يهين البنت ويهين أهلها عن طريق عرضهم. وبعد أن ينام العريس مع عروسه يلبس العريس ثيابه ويدخل إلى الغرفة أو الخيمة التي ينتظر بها أهل العريس وأهل العروس النتيجة فيطرح العريس السلام على الحضور ويقبل يد والده ويجلس إلى جانبه، وعند ذلك يسأل والد العريس ابنه هل تزوجت فيكون جواب الابن نعم يا أبي عند ذلك تقوم النسوة من أقارب العروس /أمها عمتها ومن معها من نساء يقربن العروس/ كي يشاهدن الثوب الأبيض وعليه دم

البكارة، وعلى إثر ذلك تعلو الزغاريد فرحاً لأن ابنتهم شريفة لدرجة يتم إطلاق العيارات النارية تعبيراً عن الفرح. أما في حالة كون العروس ليست باكر يتم ما يلي:

١. إما أن يستر العريس وأهله على عروسهم ويبقوها عندهم وعند ذلك يتوجب على الأب إرجاع نصف قيمة المهر المدفوع إلى أهل العريس. وأحياناً كما قال السيد ناجي إبراهيم الأسعد /أبو طلعت/ إرجاع المهر كاملاً مقابل ستر البنت وعدم تطريدها إلى عند أهلها تحاشياً لحدوث فضائح تعقبها حوادث اجتماعية ذات طابع سلبي.

٢. وإما أن يأخذ أهل العروس ابنتهم غير الباكر إلى عندهم كي يعرفوا من الفاعل الذي فضَّ غشاء بكارتها قبل الزواج. وبعد معرفة الفاعل وإعلامه بذلك وإعلام وجيه عشيرته يتصرف أهل العروس بما يلي:

١. إما أن يقوموا بقتل ابنتهم لأنها حطّت من قيمة شرفهم. في هذه الحالة لا بد من قتل الشاب الذي فعل في ابنتهم في حالة كون عشيرة الشابة أقوى من عشيرة الشاب الذي كان قد ضاجعها وفض بكارتها قبل زواجها.

٢. وإما أن يتم الصلح بين الطرفين ويلزم الشاب الفاعل بالفتاة مع دفع مبلغ من المال يزيد عن الضعف إلى جانب تقديم الذبائح للوساطة التي انتهت جهودها إلى حل الخلاف سلمياً وذلك وفقاً للقاعدة الاجتماعية أو العرف الاجتماعي عند النَّور الشعارنة والقائل:

الْقَتْلُ أَوْ الْلزومْ. وهناك قول آخر له نفس المعنى:

/لِشَارِبْ الْبَحُرْ شَارِبْ الْبحيرِة وَالِمتْهُومْ مَلْزُوُمْ/.

والمثال الحي على ذلك أن. السيد ناجي إبراهيم الأسعد. قد ألزم بزوجته الثانية. يسرى. والتي يقال لها. أم يسرى / وهي من عشيرة. أبو مسمار. حيث يعيش أهلها في منطقة إربد في الأردن / وقد اتهم السيد ناجي بالسيدة يسرى عندما تزوج منذ فترة تزيد عن العشرين عاماً عندما كان يعيش مع أهل زوجته الأولى في لبنان / الشعارنة. وأن معظم هؤلاء النَّور غير مستقرين بصورة عامة إلا القلة القليلة منهم: أن التهمة وجهت إليه من قبل أم زوجته الأولى ومن زوجته بالذات. وعلى إثر ذلك ذهب ناجي إبراهيم وزوجته إلى الكويت وعمل فراشاً في وزارة التربية، لكن السيدة يسرى وأهلها لحقوا به إلى الكويت لدرجة تعرض إلى ضغوط من قبل أهل المرأة التي اتهم بها ووصل الأمر

إلى حد القتل. ولما وصلت الأمور إلى هذا الحد رجع إلى سوريا وأخبر أهله. لكن السيدة . يسرى وأهلها لحقوا به إلى سوريا. وأتت يسرى بالذات إلى بيت والد ناجي ودخلت عليه / علماً أنها أماً لستة أطفال / فألزم السيد ناجي عندئذ بيسرى عشائرياً وصالح أهلها بدفع مبلغ / ٦٠ ألف ليرة سورية/ في السبعينات من القرن العشرين.

- عادة المخاواة عند عشيرة الأسعد:

يمتاز النَور بعلاقاتهم الاجتماعية الوثيقة فيما بينهم، لدرجة أن العشيرة تظهر بمثابة أسرة واحدة تخضع لأمر شيخها الذي يستضيف في بيته سهراتهم حيث يتم استقبال وإكرام ضيوف عشيرتهم من العشائر الأخرى والتي يطلق عليها /عشائر بنى الدوارة/ العشائر التي لا تعرف للاستقرار طعماً*. وعند جماعات النَّور بما في ذلك عند عشيرة /الشعارنة/ كان يتم في الماضي إذا تصادق رجلان مع بعضهما أن يقوما بعملية تدعى /المخاواة/ كإثبات على صدق كل منهما في صداقته للآخر. والمخاواة حسب عرف النَور تتم على الشكل الآتي:

إذا كان أحد الرجال المتصادقين عنده ابنة شابة يقوم الرجل الآخر بجرح أحد أطراف جسمه وليكن أصبعه، ويطلب من ابنة صديقه الشابة جرح إصبعها حتى يسيل الدم، وبعد ذلك يضعان إصبعيهما على بعضهما وهما ينزفان كي يختلط دمهما معاً ويصبح دم كل واحد منهما مختلط بدم الآخر، وهذه العملية عند النَّور كانت في الماضي وإلى الآن ولكن بشكل نادر... كدلالة على صدق الشخص الصديق والتزامه الشرف تجاه بنت صديقه، وليكون صادقاً مع الله ومع صديقه. وعندما يختلط الدم يقول الرجل الذي اختلط دمه مع دم ابنة صديقه ما يلي:

/انتِ أختي بعهد الله وأنتِ حارمة عليّ بالسبع تحاريم، ترى أنت مثل بنتي أو مثل أختي والله خير الشاهدين/.

إن مثل هذه العادة ما هي إلا بقايا من عبادة قديمة كان يؤمن بها أجداد النَّور قديماً . وتدعى هذه العبادة بعبادة الأرواح . ANIMISN . ومع مرور الزمن صارت روح

* عشائر بني الدوّارة: هذه تسمية متعارف عليها عند كافة عشائر النَّور – Nawar - بما فيها القرباط – تدل عليهم، لأنهم جميعاً كانوا غير مستقرين، وأن نساءهم تدور على مدّ الله الكريم من أجل الشحادة، فهي عماد البيت عندهم.

الكائن الحي تتجسد في أحد أعضائه أو في لعابه كما هو الاعتقاد السائد عند بعض الرجال الذين يتاجرون بالدين عن طريق الشعوذة، حيث يأتي شخص يدّعي أنه رجل دين وتقوى ومن عائلة تنسب إلى آل الرسول صلوات الله عليه، ومشهود لها بصلاحية سلوك أفرادها، ويقوم ذلك الشخص في البصق في كأس ماء كي يشربه الشخص الجاهل الذي يؤمن بمثل تلك الخرافات ليصبح من أتباع ذلك الشخص الذي يطلق عليه بمفهومنا الاجتماعي بكلمة /الفقير/ وبعد أن يشرب الكأس المبصوق به من قبل الشيخ /الفقير/ يصبح بذلك الشخص على غرار شيخه فقيراً ومن هنا نشأت كثيراً من الكنيات في اللغة العربية والتي تقوم على أساس طريقة دينية مثل الطريقة الرفاعية ـ الطريقة السعدية ـ الطريقة القادرية ـ الطريقة الشاذلية... الخ. فهنا في عملية مزج الدم هي مستحاثة حيّة لعبادة قديمة هي عبادة الأرواح، وتعني أن روحي ذلك الشخصين تتجسد في دمهما وبالتالي فإن روحيهما صارتا روحاً واحداً، وأصبحا شخصاً واحداً بجسدين، وحَرُم كلٌّ منهما على الآخر.

ـ حفلة الزفاف والشوباش:

يهتم الرجل من الشعارنة أو المرأة في وصف الفرح الذي أقيم لعرس ابنيهما ويتفاخرون بالأموال التي أسرفوها على حفلة زفاف ولدهما. ويعتبرون الفرح والمبلغ الذي ينفق على العرس مجالاً للتفاخر والتباهي بين أفراد العشيرة الواحدة من جهة وبين أفراد العشائر النُّورية من جهة ثانية. ويدوم الفرح قبل يوم الزفاف على الأغلب بمدة أسبوع كامل. وغالباً ما تكون ليلة الزفاف مساء يوم الجمعة بصورة عامة ولكن يمكن أن تكون مساء يوم الخميس أو الاثنين من أيام الأسبوع لكون النُّور في الوطن العربي يدينون بالإسلام وفي يوم الزفاف بعد الغداء، تُصْمَد العروس بعد تزينها باللباس والذهب والمساحيق في بيت والدها من قبل نساء عشيرتها. وتقوم النسوة حولها بالرقص والغناء الذي يصف جمال العروس. وبعد الظهيرة يتم الغداء في الساحة العامة التي أعدت خصيصاً من قبل أهل العريس خصيصاً لذلك الحفل حيث بيوت الشعر والقهوة المرة والدخان وفرق الحجيات اللاتي يُستَأْجَرْنَ من التجارة أو من عذرا /نساء من عشيرة الهرامشة/. وبعد تناول طعام الغداء يتم بدء عملية النقوط للعريس سواء كانت من

دراهم أو من خراف. وقد أطلعني السيد ناجي إبراهيم على القائمة المسجل بها النقوط الذي قدّم إلى ابنه عام ١٩٨٥ من الحضور في حفلة الزفاف. وقد وصل ذلك المبلغ إلى أكثر من /٢٠ ألف ليرة سورية/ دون الخراف المقدمة أيضاً كنقوط.

ويعتبر النّور: أن النقوط المقدم إلى العريس في يوم زفافه هو دين عليه وعلى والده يجب أن يردّهُ إلى أصحابه في مناسبات الفرح لديهم. وقد قالت لي السيدة /يسرى زوجة ناجي ابراهيم الأسعد/ على العروس أن تمتنع عن الشحادة قبل يوم زفافها بأسبوع على الأقل كي تحضر نفسها ليوم الزفاف.

ولا زال النّور الشعارنة إلى الآن يأتون بالعروس إلى بيت العريس في المساء بعد غياب الشمس مرفوقة بالغناء والرقصات الجميلة من قبل قريباتها وصديقاتها.

ـ طقوس دفن الموتى:

١. إذا كان المتوفي امرأة فإنها تغسل ومن ثم تلبس ملابس جديدة، بعد ذلك تكفن بعدد من الأكفان التي تتكون من القماش الأبيض يساوي في عددها عدد الأزواج التي كانت قد تزوجت منهم. فإذا كانت قد تزوجت من ثلاثة رجال يجب تكفينها بثلاثة أكفان... الخ ويعتبر كل كفن بمثابة ستر للمرأة في مماتها ولزوجها الذي ترغب به.

٢ـ أما الرجل فإنه يغسل بعدد من طاسات الماء الساخن تساوي في عددها عدد زوجاته التي كان قد تزوج منهن في حياته. وبعد الغسول يتم لف الرجل الميت بكفن واحد فقط. والمغزى من تعدد سطول الماء هو ما يلي: أي كل زوجة تزوجها يغسل بسطلها كي يمحي أخطاءه مع زوجاته وأن تغسل نفسه ذاتها من الذنوب التي اقترفتها مع زوجاته وهن على قيد الحياة.

ويقابل حادث الوفاة بالصراخ والعويل واللطم والخدش للوجه مع تمزيق الثياب وقص الشعر بالنسبة للمرأة بصورة عامة. ويزورون موتاهم في الأعياد بأخذ الزهور والريحان إلى القبور كتعبير عن احترامهم لموتاهم.

ـ اللغة:

يتكلم النَّور الشعارنة فيما بينهم باللسان النَّوري / لسان الضُّوم /. ويطلقون عليه لسان العصفورة. وينشرح قلوبهم بسرعة للشخص الذي يعرف بعض الكلمات بلسانهم الضُّومي، ويتبادرون إلى طرح الأسئلة عليه:

بالله ما أنت ضومي. من أين تعرف بالله لسان الضوم: وهذه بعض الجمل:

١. لافتي يخبري شتيري: أنت فتاة جميلة.

٢. كاي تامون: ما اسمك.

٣. زارس كاتا غارور: إلى أين ذاهب ابنك.

٤. كرين بدك جاه لافني: إلى أين تريد أن تذهب.

٥ . بدي جام ستما زينب: بدي أروح إلى السيدة زينب.

٦. ضوم اشتوري برا: هل أنت نَوَري. أما ضوم اشتوري: نعم أنا نَوَري مثلك.

٧. لافني بخبزي قوسوم اشتيري: أنت فتاة جميلة..

٨ـ توونـدي منجـي تشـاغاه تشـاط كمـاه: يوضـع الطفـل في الصـايا / العبـاءة الـتي تلبسـها المـرأة فوق لباسـها مـن الخـارج كـي تضـع طفلـها الرضـيع وبقيـة الأشـياء الـتي تشحدها في النهار لتأتي لها إلى بيتها.

ـ النمط المعيشي:

إن الغالبية العظمى للنَّوَر من عشيرة الشعارنة مستقرون في بيوت سكنية مبنية من الاسمنت المسلح وفيها الماء والكهرباء. وقد ابتعدوا عن النمط المعيشي الذي كان يقوم على التنقل والترحال ولكنهم لم يتخلصوا بعد من العادات القديمة السيئة التي اقترنت بكلمة / النَّور / لدى سماعها من قبل شخص آخر من غير النَّور والتي تعني: الترحال وعدم الاستقرار ودوران المرأة طيلة النهار من أجل الشحادة، وجلوس الرجال في الخيام لتناول الشاي والقهوة والدخان. وغالباً ما ترفق كلمة النَّور ببعض السرقات التي كانت وما زالت تقوم بها المرأة عندما تدور بين أحياء القرى أو بين طوابق الأبنية في المدن إذا ما كانت الفرصة مؤاتية لذلك:

- العمل:

كان يقوم الرجال من عشيرة الشعارنة في الماضي بتجارة الخيول والحمير، حيث يشترونها من الفلاحين في أوقات تكون فيه تلك الحيوانات هزيلة خائرة القوى نتيجة لإنهاكها في الحراثة أو في مواسم الحصاد والبيادر. وبعد أن تُسَمَّن تلك الحيوانات تباع ثانية للفلاحين بأسعار غالية. وكان الرجال يمارسون صيد حيوان النَّيص في جبال منطقة فلسطين إلى جانب صيد الحجل عن طريق الشرك الذي ينصب وإلى جانبه ذكر طير الحجل الذي يطلق أصواتاً فيأتي إليه الحجل البري فيمسك الصياد بخيط ينتهي بشبكة فتنشد مما يؤدي إلى وقوع الطير المسكين من الحجل في داخل الشَّرَك المصنوع من الخيوط التي حبكت مع بعضها خصوصاً لذلك الغرض.

أما المرأة كانت في الماضي تقوم بعمل الشحادة من أجل تحصيل الطعام واللباس لأفراد أسرتها وما زالت إلى الآن ولكن الذي يحصل الآن أن النساء من عشيرة - الشعارنة - تطوف بين أحياء مدينة دمشق، وفي أحياء ريف دمشق مثل - دوما - حرستا - داريا... الخ حيث يشحدن اللباس المستعمل وغالباً ما ينطلقن من بيوتهن في الحجر الأسود في الساعات الأولى من النهار ما بين السابعة والثامنة صباحاً ومعهن أكياس من القماش كبيرة تتسع إلى ما يزيد عن الأربعين كغ من اللباس المستعمل. وبعد أن تمتلئ تلك الأكياس باللباس المستعمل يحملنه على ظهورهن إلى الشارع العام وهناك يستأجرن سيارة شحن صغيرة / سوزوكي / ويركبن وأكياسهن معهن في الشاحنة ويتوجهن إلى باب الجابية من مدينة دمشق حيث يقوم هناك سوق الألبسة المستعملة. تقوم تلك النسوة ببيع ما يوجد في الأكياس بشكل كامل ودفعة واحدة لأصحاب المحلات هناك أو الأشخاص الذين يبيعون الألبسة المستعملة بالمفرق. ففي مساء يوم ١٩٨٦/١/٢ يوم أربعاء - كنت في باب الجابية لأرقب عملية البيع وقد أتت تلك النسوة بأكياسهن الممتلئة باللباس المستعمل في حدود الساعة ما بين ٣ - ٤ بعد الظهر وسرعان ما تهافت عليهن أصحاب المحلات هناك والأشخاص الذين يبيعون الألبسة المستعملة بالمفرق.

فقد دفع لإحدى النسوة مقابل ما في كيسها من ملابس مبلغ ٢٧٥ ل.س ولم ترض، في حين دفع لامرأة ثانية ١٧٥ ل.س مقابل ما في كيسها ولم يبعن. وقد ترددت أكثر

مَن مرة وخلصت إلى نتيجة أن المرأة النَّورية عندها يومياً من بيع الملابس التي تشحدها وسطياً ما بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ ل.س على أسوء تقدير في ذاك الزمن ١٩٨٦م.

وتجدر الإشارة إلى أن الناس عندنا إذا مات شخص تقوم أسرته بتفريق ملابسه بعد مماته حسنة عن روحه من جهة وعدم تقبل ارتداء ملابس المتوفي من قبل أفراد أسرته من جهة ثانية لذا فمن هذا المنطلق يصادف أحياناً وبكثرة ألبسة جديدة وغالية في الأكياس التي امتلأت باللباس المستعمل من قبل الشحادة.

وعلى هذا الأساس فإن الأشخاص الذين يشترون من النساء النَّوريات ما كنّ قد شحدنه من لباس: يقومون بنبش ما هو موجود داخل الكيس فإذا ما كانت هناك قطع نظيفة في داخل الكيس يتوجّب عليه زيادة المبلغ المدفوع للنَوَرية.

امرأة من عشيرة /الشعارنة / تدعى ـ أم صخر /

تبيع الملابس التي جمعتها في النصف الأول من النهار

ـ ظاهرة التنجيم عند الشعارنة:

وتمارس المرأة عند النور . الشعارنة مهنة الكشف عن المستقبل /التنجيم أو التبصير/ عن طريق قراءة الكف ـ أو عن طريق رمي الصدف الحلوزني على الأرض ـ أو عن طريق المسبحة.

ففي المساء يوم الأربعاء المصادف في ٢٩/ ١٩٨٧/١ كنت في زيارة لعشيرة العشارنة ـ التي بدأت في الاستقرار في منطقة الحجر الأسود إلى الجنوب من مدينة دمشق بدءاً من عام ١٩٨٠م تقريباً ـ وحالفني الحظ بأن دخلت بيت أحد الأشخاص من عشيرة العشارنة، حيث كان عنده ولد مريض قرأت له ما هو مكتوب في الوصفة الطبية المعطاة له من قبل الطبيب، ومن ثم ذهبت إلى الصيدلية واشتريت الوصفة الطبية.

فما أن دخلت وجلست إلى جانب الطفل المريض وأمه وأبيه، دخلت إلى الغرفة امرأة ترتدي اللباس الأسود تدعى ـ أم نعيم .. وعرّفتني صاحبة البيت على أم نعيم: بأنها طبيبة أيضاً وتحسب بالمسبحة عن المستقبل وأنها حسب ادعائها قد جاءت من الجزيرة كي تلمّ جُعالتها. ومما قالته عن نفسها أنها ذات حسب ونسب وأن جدها / عز الدين أبو حمرا: أي أنها من عشيرة النعيم /. وادّعت في نفس الوقت أنّها من المغرب /مغربية /.

فأخرجت أم نعيم المسبحة من جيبتها، وقالت لي إذا أردت أن تعرف مستقبلك امسك حبة واحدة. أما إذا أردت أن تعرف حظك من النساء فامسك حبتين من المسبحة، عند ذلك أمسكت حبتين من المسبحة، ومن ثم قالت البصّارة إلى صاحبة البيت: خذي وكالته على بركة الله ومُحمّد، وفي نفس الوقت طلبت أم نعيم مني أن أصفي النيّة. عندئذ قالت صاحبة البيت قم معي فاستجبت لأمرها ووقفنا في طرف الغرفة ووجهنا نحو الحائط ولم تسمح لي بالالتفات إلى الخلف، ومن ثم سألتني عن وضعي العائلي وكم معي من الأولاد والبنات.. الخ.. وبعد ذلك جلست وبدأت تكلمني من خلال المسبحة التي بين يديها. وقد أعادت البصارة لي نفس الكلام الذي قلته إلى المرأة صاحبة البيت بحذافيره لدرجة أنني اندهشت من ذلك، علماً أن المرأتين لم تتكلما مع بعضهما باللغة النّورية ـ أعني بعد أن استجوبتني صاحبة البيت، ولكنني أتوقع أن المرأة البصّارة قد وقفت وراءنا عندما كانت تستجوبني صاحبة البيت ونحن منحني الظهر وجهينا إلى الحائط وفي نفس الغرفة التي فيها البصّارة.

وعندئذ قالت البصارة أم نعيم - حط مصاري من أجل تبييض الحظ فوضعت - عشر ليرات سوري - فسخرت مني وقالت حط أيضاً فوضعت بدلاً من العشرة خمس وعشرين ليرة سورية.

البصارة أم نعيم - كما ادَّعت ذلك ١٩٨٧م - ك٢

كانت نتيجة الحظ: أن حظي من النساء قليل وأن ورائي قرٌّ كبير /كلام/. وأنه مكتوب لي إذا ما تزوجت أن أنظر إلى العروس كأنها عبدة سوداء مثل الملفع. وعلى ضوء ذلك قالت أم نعيم - لي: أنا بإذن الله أفك لك السحر - وكررت العبارة / بإذن الله وبإذن اجدودي/. وبعد ذلك أخرجت - أم نعيم من جيبها - عشبة يابسة عرفتها بعد أن نظرت إليها /زهرة وردة تدعى المحكمة/ - وطلبت مني أن أطول محرمتي فقلت لها لا يوجد معي، فأتت بمنديل من عند صاحبة البيت ووضعته فوق العشبة اليابسة وطلبت مني أن أضع يدي فوق المنديل بعد أن جاءت بكمية من الملح وطلبت وضع الملح فوق الوردة اليابسة المغطاة بالمنديل:

عند ذلك طلبت - البصارة أم نعيم في أن أردد وراءها كل ما تقول به وكنت خير تلميذ لها:

أنت أختي بعهد الله الخائن يخون الله - صلي على النبي - كثر من الصلاة على النبي وقالت لي: إذا شلنا المنديل عن الوردة وكانت متفتحة ستحل كافة مشاكلك

بإذن الله. قول إن شاء الله واكسب الصلاة على النبي، وإذا بقيت الوردة غير مفتحة ستبقى الدنيا كلها مسدودة في وجهك. ومن ثم قالت: الكل يقول أنهن (عن النساء) أنهن يحبنّك ولكن ذلك كله كذب وليس لك حظ عند النساء.

رفعت يدي عن المنديل بناءاً على طلبها وإذا بالعشبة اليابسة قد ابتعدت أطرافها بعضها عن بعض وكان السبب برأي هو وضع الملح على العشبة اليابسة.

ومن ثم طلبت أن أضع بالأرض مبلغ /٤٠٠ ل.س/ فقلت لها لا يوجد معي، فقالت: إن أجدودي يقولون معك حُط بالأرض، فحلفت لها بالله لا يوجد معي وكنت صادقاً إلا أنها لم تصدق لا بل صارت تهتز على شكل رجفات هستيرية مفتعلة كي تسيطر عليَّ نفسياً من أجل وضع دراهم أكثر لكني لم أفعل، عندئذ قالت لها صاحبة البيت هذا فقير أتركيه وضعت / ١٠ل.س /. وفي النهاية أعطتني عشبة حسب رأيها وطلبت مني أن أرميها خارج باب الدار من وراء ظهري دون أن التفت وبإذن الله ستحبني النساء. أمسكت بالعشبة وإذ بها /بذرة عنب يابسة/.

وفي النهاية طلبت منهما أن التقط صورة لهما فرفضتا، حيث قالت صاحبة البيت إن جوزي يزعل، أما البصّارة قالت إن جدودي يضربونني /أي أنها ستصاب بأذى من قبل الشياطين/، إلا أنني أخذت لهما صورة سراً دون أن أشَغّل الضوء لآلة التصوير التي معي.

والشيء الظريف أن الطفل المريض طلب مني ليرتان بالرغم أنه مريض. وبعد أن خرجت من عند البصّارة ذهبت إلى بيت /أبو طلعت/ أحد وجهاء الشعارنة وإذ بالسيد زوج صاحبة البيت الذي فيه الطفل موجود هناك لكنه تجاهلني علماً أنه هو الذي أدخلني إلى داره. والأنكى من ذلك ادَّعى بادئ الأمر: أنه بدوي وليس من النَّور، لكنه في نهاية الجلسة قال أنا نوري يا عم والله.

اللباس:

ترتدي المرأة من الشعارنة نموذجين من اللباس، وأن كليهما فضفاض وطويل محتشم وغالي الثمن:

١. تلبس ثوباً طويلاً من الحرير الغالي، ولهذا الثوب قبة على شكل سبعة، ويخب [illegible] الثوب على الأرض. وأن هذا الثوب مكسماً في الوسط. وتلبس المرأة على رأسها [illegible] الأسود من القماش الناعم والرهيف والمقصب على أطرافه الأربع.

وأحياناً تلبس المرأة من الشعارنة الخراطة فوق الثوب الطويل حيث يبدو الثوب الطويل في جزئه العلوي بمثابة قميص فوق الخراطة المزمومة على الجذع والكثيرة الثنايا والتي تخب على الأرض.

٢ـ تلبس الخراطة الطويلة الواسعة والكثيرة الثنايا من الجذع حتى أسفل القدمين ـ وتلبس فوقها قميص أو كنزة. وفوق الكنزة أحياناً جاكيت أو كنزة صوف مفتوحة من الأمام. وتلف المرأة من الشعارنة رأسها بقطعة من القماش الأسود الشفاف / الملفع /. وتلبس المرأة النَّورية من الشعارنة السروال الطويل تحت الخراطة ولا يسمح الرجل لزوجته أو لابنته أو لأخته بارتداء الثوب الطويل أو الخراطة مع لباس داخلي قصير، ولا يسمح بهذا اللباس إلا إذا كانت المرأة ترتدي فوقه سروالاً طويلاً.

امرأتان من نَوَر ـ الشعارنة بلباسهما التقليدي/ الحجر الأسود ـ ١٩٨٧م ك٢

البصارة التي قرأت الفال لي، وصاحبة البيت، حيث امتنعنا عن التصوير (الوضعية تدل على ذلك)

والشيء الذي يلفت الانتباه أن اللباس عند المرأة النَّورية غالٍ جداً ومكلف ويتألف من القماش الجيد والنادر وجوده في القطر العربي السوري /يحصلون عليه من السفر إلى الخارج/. ومعظم لباس المرأة يغلب عليه الألوان الزاهية وقد كانت المرأة في الماضي تلبس ثوباً طويلاً ومفتوحاً من الأمام بشكل كامل فوق لباسها من الخارج لتضع فيه طفلها وما تحمله من أشياء قد شحذتها. وكانت تحمل فيه التبن الذي كانت تشحده المرأة للدواب التي عند زوجها أو عند أبيها.

أما لباس الرجال فهو لباس عصري يتكون من بنطال وقميص وجاكيت والرأس حاسرا. أما الرجال الوسط في أعمارهم يرتدون . القلابية الجاكيت فوقها. ويضعون على رؤوسهم القضاضة البيضاء وفوقها العقال الأسود الوسط في غلاظته (ثخانته).

مجموعة من الرجال من عشيرة الشعارنة في اللباس الحالي /الحجر الأسود ١٩٨١م

وفي الماضي كان الرجل الكبير في العمر يرتدي القمباز الطويل والمفتوح من الأمام. ويحزم الرجل وسطه بنطاق من الجلد بعد أن يضع الجانب الأيمن من القمباز فوق الجانب الأيسر كي يغطي منطقة البطن في حين يبقي عند العنق مفتوحاً وكان يرتدي على رأسه القضاضة والعقال. أما أثناء العمل فقد كان الرجل النَّوري يلبس قميصاً ويضع اجزاء القميص السفلية في سروال ذي فرجة كبيرة بين الفخذين وطويلة نحو الأسفل لدرجة أنها تكاد تلامس على الأرض بين قدمي الرجل النَّوري قديماً وهو ماشي. وأما الساقين للسروال فقد كان ضيقين لدرجة بالكاد يدخل قد الرجل في فتحتي السزوال كي يرتديه. وكان يعرف النَّوري بسرواله الواسع والنازل إلى الأرض بين قدمي الرجل. والمزموم على الساقين /مع الأسف لم أرى إلى الآن منذ أربع سنوات رجلا يرتدي مثل هذا السروال/. وكان يلبس فوق السروال والقميص الجاكيت. وفوق الرأس القضاضة والعقال.

- المسكن:

إن الغالبية العظمى للنَوَر الشعارنة حالياً يسكنون في بيوت ثابتة، وهذه البيوت لها نموذجين:

١- البيوت التي تعود إلى الشعارنة عند شارع فلسطين فهي تتكون من بيوت من الأسمنت المسلح بشكل كامل.

٢- البيوت المبنية في الطرف الجنوبي الغربي من الحجر الأسود تتصف بما يلي:

جدران الغرف من حجارة البلوك وأما السقف للغرف فغالباً من صفائح التوتياء، حيث تتخذ الشكل الجملوني أو الشكل ذات السطح المائل. وأن كل دار محاطة بسياج من البلوك. وأن صحن الدار غالباً ما يكون مصبوباً بالأسمنت والرمل على شكل صبة من البلاط يقال لها - عدسة. وغالباً ما يتكون البيت من هذا النموذج من غرفة طويلة يصل طولها إلى أكثر من سبع أمتار وإلى جانبها غرفة صغيرة لا يزيد عرضها عن المترين وأما طولها فيساوي عرض الغرفة الأولى الكبيرة وغالباً ما يعيش الرجل وزوجته وأسرته معاً في الغرفة الكبيرة التي هي غرفة لاستقبال الضيوف في الوقت نفسه.

يبدو في الصورة بعض البيوت في منطقة الحجر الأسود
والتي تعود إلى عشيرة الشعارنة - عام ١٩٨١م.

وأن كافة البيوت موصول إليها الماء والكهرباء في منطقة شارع الثلاثين. أما البيوت الإسمنتية المسقوفة بألواح التوتياء في الطرف الجنوبي الغربي من الحجر الأسود فإنها منورة بالكهرباء بشكل غير رسمي. أما الماء فهي عبارة عن ماء آبار تحفر باليد في كل دار. ويشتري النَّور الشعارنة الماء للشرب شراءاً من قبل الباعة الجوالين إما على صهاريج صغيرة تجرها الخيول أم محمولة في صناديق سيارات السوزوكي الصغيرة.

وأما القسم الذي لازال يعيش في تخشيبات على شكل أكواخ تتناشر بين البيوت الإسمنتية في الطرف الغربي من الحجر الأسود وبصورة خاصة إلى جانب تلك البيوت الثابتة. وتتكون من صفائح من القصدير وأكياس وأحياناً من الشوادر المصنوعة من خيوط الكتان المتينة.

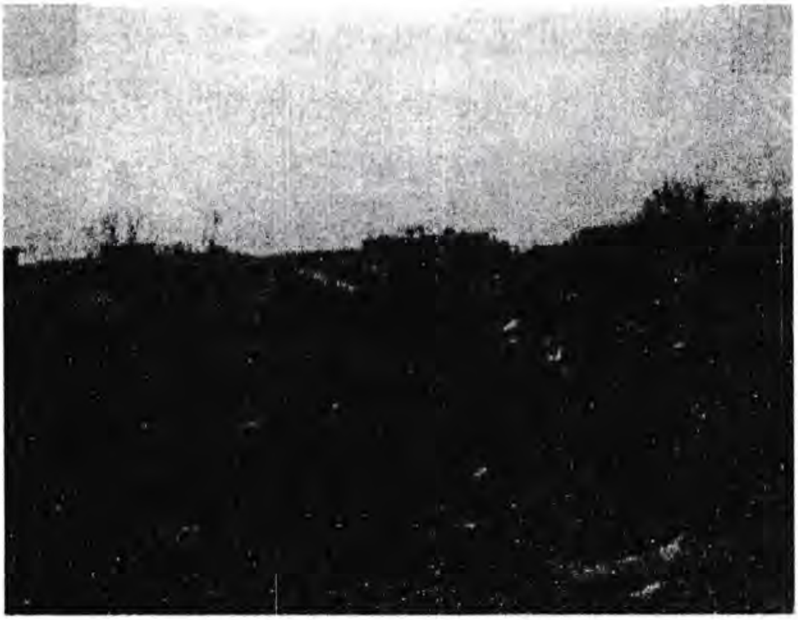

شوادر وأكواخ في أطراف الحجر الأسود ١٩٨١م

وأن كافة الأكواخ المعمولة من صفائح القصدير وأكياس الخيش منارة بالكهرباء بشكل غير رسمي وبعلم من مؤسسة الكهرباء. ويتكون الأثاث من الفراش والحصر البلاستيكية. ويوجد في كل كوخ الأدوات الكهربائية التالية: المذياع - التلفاز - المسجلة.

ـ الحيوانات التي يربيها الشعارنة:

كان يربي الشعارنة: كلاب البوجي والسلوقي ـ ديوك الحجل ـ ديوك الدجاج الرومي من أجل المبارزة. وما زال أفراد الشعارنة من الرجال مغرمون بتربية الحيوانات المذكورة من أجل ممارسة هواية الصيد المحببة إلى قلوبهم والتي لا يمكن أن تنفصل عن شخصيتهم الاجتماعية. فالشعارنة مولعون بصيد حيوان /النيص/ الذي غالباً ما يعيش في جحور موجودة في التلال التي تتكون من الطف البركاني أو في منطقة الصخور الكلسية حيث التجاويف والمغر الصغيرة والكبيرة. وأن أمنية كل واحد من الشعارنة أن يمسك بنيص صغير كي يربيه في قفص لفترة من الزمن ومن ثم يتركه في أرجاء البيت بعدما يتعود ويألف أهل الدار. ومما فهمته أن النيص حيوان ليلي يعيش في الجحر في النهار ويرعى العشب في الليل وكان الشعارنة يصطادون النيص في المناطق التالية: في منطقة تلول الحُمُرْ في الجولان. وادي طعيم الذي هو جزء من وادي الرقاد ـ في وادي حيط[1]. وتلول الهش إلى الشرق من بلدة نوى بحوران ـ تل أيوبة إلى الجنوب الشرقي من بلدة سعسع إلى الغرب من مدينة دمشق.

---

١ - هي أودية تجري فيها المياه في معظم أيام السنة، وهي من روافد نهر اليرموك.

النَّور في منطقة ـ الدويلعة / كباس ـ الدخانية /

يتواجد جماعة من النَّور في منطقة ـ الدويلعة على يسار ويمين الطريق الذاهب إلى المليحة باتجاه الغوطة الشرقية.

وينتمي هؤلاء النَّور إلى العشائر التالية: بيت عارف ـ الطروطات: الصايغ. وينتمي إلى عشيرة الطروطات هذه: كل من عائلة /الشوندر ـ كنجو/.

يتواجد أفراد تلك العائلات النَّورية في ثلاثة أماكن:

١ـ عائلة بيت / العارف / والتي يبلغ عدد بيوتها / ١٢ / بيتاً أي يزيد عن /٨٠/ شخصاً. إن أفراد عائلة العارف يعيشون في بيوت سكنية ثابتة مبنية من الاسمنت المسلح في الجزء الشرقي من حي / الدويلعة / في منطقة غير منظمة من قبل وزارة الإسكان والمرافق شأنهم بذلك شأن كافة المنازل في حي الدويلعة والطبالة التي يسكنها خليط من الريفيين قد قدموا من كافة أنحاء القطر لسبب أو لآخر.

وقد جاءت عائلات بيت عارف منذ أكثر من ثلاث سنوات من مدينة حمص حيث كانوا يقيمون في حي / مساكن دور المعلمين قرب ساقية الري. وقد جاءوا بدورهم إلى حمص من مدينة حلب. ويبلغ عدد أفراد هذه العشيرة كما يقولون ما يزيد ١٠٠٠ نسمة تتواجد غالبيتهم في ضواحي مدينة حلب.

وكانت عائلات بيت عارف قبل مجيئها إلى دمشق حي الدويلعة من حمص تسكن الخيام المشغولة من أكياس القِنَّبْ أو من صفائح التنك المليسة بالأكياس على شكل جملون.

كانت عشيرة العارف قبل ثلاثين عاماً يرتحلون من قرية إلى أخرى في ريف منطقة حلب على ظهور الحمير وذلك من قرية إلى أخرى من أجل العمل الذي كان يمارس من قبل الرجال ألا وهو / صناعة الخواتم والأساور من معدن الفضة. لكن هذه المهنة شبه تلاشت بعد أن استقروا في بيوت ثابتة حيث صاروا يمتهنون/ تركيب الأسنان الصناعية وتلبيسها بالذهب أو بالفضة أو بالنحاس أو بالبلاتين / وأن المرأة كانت في

السابق تمارس المهنة الأساسية لها / الشحادة / لأن المرأة هي المسؤولة عن تأمين المواد الغذائية لزوجها ولأطفالها.

٢. ويوجد في الموقع الثاني لتجمع النَّور في منطقة الدويلعة وذلك في نهاية وعلى يمين الطريق الذاهب نحو الشرق باتجاه المليحة . ويدعى هذا المكان باسم / الدويلعة . كباس /

ويتكون هذا النزل أو المخيم من مجموعة من الخيم لا يزيد عددها عن (٨) عشرة خيم ينتمون إلى عشيرة . الطروطات / ويتراوح عددهم من / ٤٠ . ٥٠ / شخص.

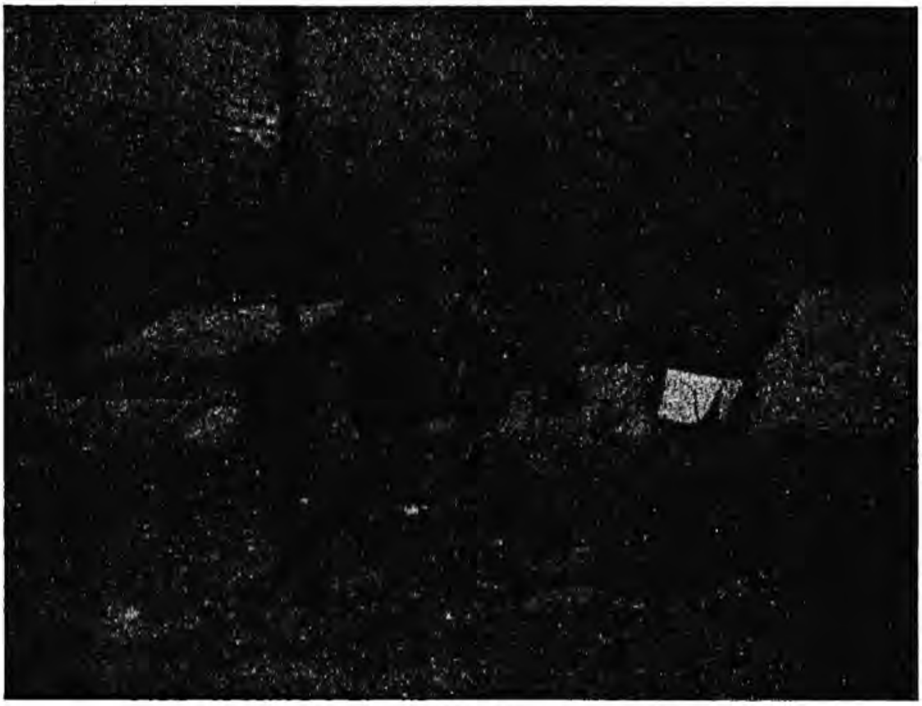

مخيم لجماعة من عشيرة . الطروطات / دويلعة . كباس . ١٩٨٦.
والمكان يقع على يمين الطريق الذاهب شرقاً إلى المليحة
ومرتفع عن الأرض بحدود (مترين) تقريباً.

وأن أفراد هذه العائلات من عشيرة /الطروطات/ قد جاءوا من حمص حيث يستقرون هناك في مساكن ثابتة في منطقة مساكن المعلمين الواقعة على طريق حماة. ويقدر عددهم بما يزيد عن /٨٠ . ١٠٠ بيت/ أي أن عددهم يتراوح ما بين /٦٠٠ . ٨٠٠/ شخص . كما ويوجد نَوَر من عشيرة /الطروطات/ في دير بعلبة يصل عددهم إلى /٤٠/ بيتاً /٣٠٠ . ٤٠٠ شخص/ وقد استقر هؤلاء في دير بعلبة منذ سنتين تقريباً وعلى الأغلب قد بدأ الاستقرار في الثمانينات.

وهناك /١٠ بيوت من الطروطات/ في ضواحي حلب - هلك التحتاني. ويقول السيد /عادل/ أن كافة عشيرة الطروطات مسجلة في السجلات المدنية والكل يخدمون العلم بما فيهم هو، حيث يؤدي الخدمة الإلزامية في أطراف مدينة دمشق.

٣. يقيم النّور أيضاً في موقع ثالث يقع على يمين الطريق /الدويلعة - كباس باتجاه الشرق على بعد/ ٢٠٠ من الموقع الثاني/ ويعرف ذلك المكان /الدخانية/.

يتواجد في هذا المخيم ما يزيد عن / ٣٠ خيمة / فوق مساحة من الأرض سليخ تعود في ملكيتها إلى أحد الإقطاعيين السابقين من سكان دمشق وقد عرضوا عليه شراءها لكنه رفض. وقد قال السيد / عادل / أننا دفعنا له بالقصبة مبلغ / عشرة آلاف ليرة / فرفض ولم يرض، وأن عددهم آنذاك (١٥٠ - ٢٠٠ شخص) وذلك عام ١٩٨٦م.

ويبلغ عدد الخيم لعشيرة الطروطات في هذا الموقع بحدود / ١٥ / خيمة - في حين بقية الخيام تعود إلى أسر تدعى /عائلة كنجو - الشوندر/.

ولكافة العشائر يوجد شخص وجيه هو الذي يدير شؤونها ويمثلها في مجالس العشائر النّورية الأخرى. وغالباً ما يكون المختار أو الشيخ من الرجال المتقدمين بالسن والأغنياء في نفس الوقت - وأن هذا الشيخ عليه أن يستمر في تحضير القهوة المرة التي يجب على أفراد عشيرته تقديم هذه المادة له من أجل الضيافة، شأنه في ذلك شأن كافة شيوع عشائر النُّور - Nauar - أو عشائر - بني الدوَّارة.

- الزواج عند نُور الدويلعة - كبَّاس - دخانية:

إن النُّور في منطقة / الدويلعة - كباس - الدخانية / لا يختلفون عن بقية عشائر النُّور الأخرى في وحدة القيود الاجتماعية التي يتمسكون بها في حياتهم اليومية ومن بين تلك القيود المتعلقة في ظاهرة الزواج:

١- إن كل عشيرة يكاد يكون الزواج فيها مغلقاً لدرجة أنها لا تزوج بناتها إلى العشائر الثانية ولا تعطيهم إلا في الحالات الضرورية القصوى عندما لا يوجد مهرب من تزويج هذه الفتاة من ذلك الشاب الذي لا ينتمي إلى عشيرتها بالدم. وأن المهر في هذه الحالة سيكون مضاعفاً. ويطلق على هذا النوع من الزواج زواج داخلي Enadagamos. وعلى الأغلب الفتاة تتزوج من ابن عمها أو من ابن خالها أو خالتها. وقد كانت في الماضي الفتاة لا تستشار بزواجها وإنما تعطى لمن أراده أهلها. كما أن الفتاة مطالبة

بالحفاظ على عذريتها حتى الزواج. وتقام الأفراح لمدة تتراوح من ٤ ـ ٧ أيام، حيث تقام الولائم والدبكات الشعبية على قرع الطبل وصوت المزمار. وأن النساء والرجال يعقدون معاً الدبكات الجماعية.

ـ زواج الخطيفة:

ويسود عند نَوَر / الدويلعة ـ كباس ـ الدخانية / ظاهرة زواج الخطيفة التي غالباً ما تنتهي بحلول مادية يرافقها سلم بين أهل الخاطفين لكن لا يخلو الأمر أحياناً من حدوث القتل لأحدهما أو إلى الاثنين معاً:

١ـ إذا خطفت الفتاة شاباً يتم الصلح بين أهل الطرفين بدفع المهر غالباً مضاعفاً ـ وغالباً لا يأتي الزوج والزوجة إلى عند أهل زوجته إلا بعد سنين من الصلح وظهور الطفل الأول وحتى الطفل الثاني.

٢ـ إذا تزوجت امرأة ثانية على شكل خطيفة وهي لا تزال على عصمة زوجها فإن أهل الخاطف يدفعون المهر الذي كان قد دفعه زوجها الأول إلى أهلها. ويجب أن يدفع إلى أهل المخطوفة مبلغاً من المال يقال له / شرفية /.

٣ـ أما إذا كانت الزوجة الخاطفة من أقرباء الزوج الأول بالدم من الدرجة الثانية / بنت عمه / فهنا لا يقبلون الصلح عليها. ويطبقون على الخاطفة بهذه الحالة عقوبة الموت وليس الصلح مقابل دفع المال من قبل أهل الخاطف.

٤ـ دوماً ومازال يدفع ثمن الفتاة لأبيها (٥ ـ ١٠٠ ليرة ذهبية) أما حالياً يصل المبلغ إلى ٤٠ ألف ليرة سورية. ويتم تزويج الفتاة دون الرجوع إلى رجل دين ١٩٨٧م.

وينتشر عند نَوَر /الدويلعة ـ كباس ـ الدخانية/ ظاهرة تعدد الزوجات من قبل الرجل والشيء الطريف: أن الرجل النَّوري عنده القدرة على الجمع في عصمته أكثر من امرأة وأنه يسكن معهن في دار واحدة دون أن يحدث خلاف بين الضراير.

لقد سألت إحدى الزوجات الضراير: كيف تنظرين إلى ضرتك فكان جوابها ـ إن الأمر عادي جداً وأن الأمر ليس متعلق بي فالضرة بالنسبة لي هو الرجل وليست ضرتي الفعلية (المرأة التي تزوجها زوجها عليها من جديد).

ومن العادات التي يتقيد بها النَّور من عشيرة / الطراطرة ـ المقصطلية / على سبيل المثال:

١. لا يزوجون بناتهم إلى شباب من العشائر النَّورية التالية: الهرامشة . الصاميات . السناكر . الطنجرلية . الشمارنة. كان نَوَر الطروطات والمقصطلية لا يتزوجون من العشائر المذكورة ولو دفعت المرأة مهراً للشاب، وسبب ذلك يعود إلى أن العشائر المذكورة تطلب من المرأة الخروج من البيت من أجل الشحادة والرقص والسرقة وما إلى ذلك... من عادات تمارسها المرأة تؤدي إلى تقليل من شرف وكرامة العشيرة التي تنتمي إليها.

٢ . من عاداتهم إذا طلقت المرأة بناءاً على رغبتها يدفع أهلها المهر الذي أخذوه سابقاً ويعطي إلى الزوج المطلَّق ويحتفظ الأب بمبلغ / ٢٠٠٠ ل.س / كشرفية أو ناموسية لابنته ـ ١٩٨٧م.

٣. وهناك فرق بالمكانة الاجتماعية بين بنت الشيخ وبين البنات البقيات في العشيرة:

١. بنت الشيخ هي الوحيدة التي يؤخذ رأيها في الزواج من هذا الشاب أو من ذاك.

٢. مهر بنت الشيخ دوماً أكثر من حيث القيمة من المهر الذي يدفع للزواج من البنات الباقيات من العشيرة التي لا تنتمي إليها بنت الشيخ.

ـ عادة الثأر:

يتمسك النَّور جميعاً في عادة الثأر ذات النتائج السلبية بالنسبة للقاتل وللمقتول في آن واحد:

فقد حدث في بداية الشهر الثاني عشر من عام ١٩٨٦، أن قامت جماعة من عائلة عارف التي تسكن في مساكن ثابتة في حي الدويلعة، بالتسلل ليلاً إلى خيمة أحد الشباب من عشيرة الطروطات النازلة في مخيم / الدويلعة ـ كباس / وقد تم طعن الشاب في خيمته بعدة ضربات سكاكين وفي النهاية تم تفريغ عدة طلقات في جسمه. وعلى إثر هذه الحادثة فإن قسماً من عشيرة الطروطات رجعوا ثانية إلى حمص /. أما أهل القتلة فهم مطاردون من قبل السلطة ليجدوا العقاب العادل.

امرأة وبعض أطفالها / دويلعة ـ كباس / من أهل المقتول / رحلوا إلى حمص ثانية

ـ اللغة التي يتكلمها / النَّور في الدويلعة /كباس ـ دخانية/:

يتكلم جميع النَّور المتواجدين في منطقة /الدويلعة/ المستقرين منهم /والذين يعيشون في خيام اللغة النَّورية التي يطلقون عليها تسمية /لغة العصفورة/. ويطلقون عليها تسمية لغة /الضوم/.

ويقول أفراد هذه الجماعة البشرية عن أنفسهم أنهم / نَوَر /. وأن النَّور في الماضي كانوا يعيشون على الشحادة والسرقة التي يمكن من خلالها تأمين الحاجات الضرورية لحياة الأسرة من قبل المرأة في حين كان الرجل في الماضي يقوم بصناعة الخواتم والأساور والخلاخيل والشنافات (الزميمة التي توضع في الأنف).

وتتكون مفردات اللغة النَّورية بصورة عامة من مفردات / هندية وخاصة اللغة الأوردية ومن مفردات من اللغة الكردية والفارسية واليونانية ـ ويوجد بعض الكلمات أحياناً من اللغات السلافية. وبما أن النَّور الموجودين في الوطن العربي يعيشون منذ أمد طويل فإن الكثير من مفردات لغتهم جاءت من اللغة العربية:

بعض المفردات من اللغة النَّورية (جماعة دويلعة كباس ـ دخانية)

بالعربية	النَّورية	العربية	النَّورية	العربية	النَّورية
الدوق	تعني الرجل الثري	رز	أبرنْغ	يثرب	بي
خبز	مانا	ملح	لون	يرقص	نشتي
ماء	باني	ولد	جيشيك	يلعب	كيلتي
كلب	اسنوطا	طعام الإفطار	فطور	ادخل	ننفشي
بيت	كري	صباح	صوبا	تعال	بًا
امرأة	جلافتي	عرس. فرح	داوطي	إذهب	جو
نوري	ضوماني	ميت	مرة	بعض الجمل بالنَّورية وترجمتها	
دجاجة	اتشكماري	دراجة نارية	طقطيقة	١. أخوك يناديك لتناول الطعام	
عصفور	جركي	الليل	آراط	جو بارور فاتوريه فيمي	
حمام	كوتر	اليوم	آج	٢. أنا مسرور اليوم	
قطة	بسيك	الظهر ـ الظهيرة	نيمرو	اجما كيف رومي	
عنزة	بزن	العصر	إيفاريه	٣. أين والدك	
السماء	سماء	العشاء	المشه	كاني بابور	
لبن	ماصت	النهار	صوب يه	٤. والدي نائم في البيت	
باب	قابي	الكفن (القماش الذي يلف به الميت)	بوطي	بابوم ستي كريمو	
سقف	اسطوح	الأحمر	لوريه	٥. غداً نذهب إلى السوق ـ للعمل	
قمح	غيسيف	الأسود	قاليه	صوبا جان فياركمكي	
زيت زيتون	زيتون	الأخضر	حشيش به		
عمل	كمكي	الرمادي	فحوارندي		
جدار	ديفار	الأصفر	زردي		
بنت	لافتي	صباح	صوبا	تعال	بًا

ـ ظاهرة العمل عند نُّور: الدويلعة ـ دخانية ـ كباس:

كان الرجال في الماضي من عشيرة / الطروطات ـ الشوندز ـ الكنجو ـ العارف ـ الصايغ / الذين يتواجدون في منطقة الدويلعة كباس ـ دويلعة الدخانية، يمارسون مهنة الصياغة لمعدني الذهب والفضة، والنحاس.

حيث كانوا يقومون بصناعة الخواتم والأساور والخلاخيل من معدني الذهب والفضة بعد صهرها بالحرارة المرتفعة التي كانوا يحصلون عليها عن طريق الحطب وبقايا الحيوانات بعد توجيه أداة النفخ اليدوية على النار الموقدة والتي تدعى /الكور/. وكان هؤلاء النُّور يقومون بصنع أدوات الحلي والزينة من معدني / النحاس ـ والتوتياء / وكان هؤلاء النَّور الصياغ في الماضي يرتحلون من قرية إلى أخرى على ظهور الحمير وبرفقة كلابهم التي غالباً ما كانوا يُركِبُونَها على ظهور تلك الحمير عندما تكون تلك الكلاب صغيرة في عمرها (جراء).

رجل متقدم بالعمر يقوم بتحضير المواد اللازمة بصناعة الخواتم
إلى جانب خيمته الدويلعة ـ الدخانية ١٢/١٠/١٩٨٦.

وبعد أن تخلى هؤلاء النَّور عن حياة الترحال وسكنوا في بيوت ثابتة غيروا مهنتهم (مهنة الصياغة) بمهنة جديدة / مهنة تركيب وتلبيس الأسنان.

تعتمد مهنة الأسنان هذه على الحركة والتجوال المستمرة في أحياء المدن وأحياء القرى مع إطلاق صيحات / تركيب أسنان ـ مداواة أسنان / وبصوت عالٍ. ويكون في يد الشاب محفظة يحملها وكأنه معقب معاملات أو متعهد حيث يرتدي اللباس النظيف. ويخرج عادة الشاب من / الدويلعة ـ كباس / أو الدخانية في الساعة الثامنة صباحاً ليتجول في أحياء مدينة دمشق وغالباً ينحصر تجوال هؤلاء الرجال في منطقة المرجة حيث يتواجد السياح من الوطن العربي / السعوديين ـ الليبيين ـ الإيرانيين / كما يجوبون شوارع الأحياء الشعبية مثل: القابون ـ الطبالة ـ الدويلعة ـ الدحاديل ـ الحجر الأسود ـ منطقة القدم ـ السيدة زينب. ويكون الرجل النَّوري سعيداً إذا قام بوضع أسنان أو تلبيس لأحد الأشخاص من الخليج حيث العملة الكثيرة.

ويتراوح دخل الفرد من مهنة تركيب وتلبيس الأسنان شهرياً بمعدل وسطي يتراوح من ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠ ل.س على مدار السنة ويقل الدخل في الشتاء على عكس من أيام الصيف حيث الدخل الأكثر. فقد سألت السيد جميل عن المبلغ الذي يحصل عليه في اليوم قال. ما بين ٤٠ ـ ٦٠ ل.س (١٠ / ١٢ / ١٩٨٦ يوم الخميس).

وأن سن الذهب يكلف (٢٠٠ ل.س) إذا كان الذهب من الشاب النَّوري في حين يكلف تلبيس السن بمعدن البلاتين الأبيض /٥٠ ل.س/.

ولا يعمل الرجل عملاً آخر غير تركيب وتلبيس الأسنان، في حين كبار السن لازالوا يمارسون عمل الخواتم والأساور من المعادن الرخيصة التي تباع للأطفال حالياً. ويمارس تصليح الخواتم القديمة إذا كانت معطوبة.

ـ عمل المرأة:

تقوم المرأة بالأعمال المنزلية إلى جانب تأمين الماء اللازم للأسرة عن طريق صفائح بلاستيكية تحملها في يديها أو على رأسها، حيث تجلب الماء من المناطق السكنية المجاورة بعد تقطيع الطريق العام الذاهب شرقاً باتجاه الغوطة (المليحة) لأن مخيم النَّور في هذا المكان / الدويلعة ـ الدخانية / يقع على يمين الطريق الذاهب إلى بلدة المليحة شرقاً.

كما أن المرأة في المخيم تقوم بتأمين الحطب من أجل الوقود للتدفئة عن طريق مدافئ عادية بسيطة داخل المخيم - أو عن طريق كانون يضع فيه الحطب من أجل إيقاده للتدفئة وتسخين الماء.

وغالباً ما يكون الموقد من سطل من التنك يتم تسخين الماء بواسطته بعد إشعال الحطب.

امرأة / نَوَرية من الطروطات / الدويلعة - دخانية تحمل الماء على رأسها بواسطة صفيحة بلاستيكيا وإلى جانبها طفلها (غطت وجهها بيدها لأنها لا تريد أن تتصور)

ويتكون الحطب كما شاهدته بعيني في خيامهم من رقائق خشبية كانت في الأصل بمثابة / سَحَاحير / صناديق / توضع الخضراوات فيها صيفاً إلى جانب جذوع الأشجار اليابسة ولحاءها الساقط على الأرض. ويمكن أن تجمع المرأة النَّورية من مخيم / الدويلعة كباس / الدويلعة - دخانية / كل شيء تصادفه وممكن الاستفادة منه، حيث تذهب في الصباح ولا تعود إلا بعد الظهر وهي تحمل ما جمعته من حطب على رأسها بواسطة أكياس من الخيش وإذا ما كان عندها طفل رضيع فإنها تحمله على ظهرها بواسطة / ثوبها الخارجي المفتوح من الأمام والذي يدعى بلغة النَّور / تشاطك / حيث يوضع الطفل الصغير فيه على شكل صرة . أما يد المرأة آنذاك فإنها تمسك الأشياء المحمولة على رأسها والصورة التالية توضح ذلك.

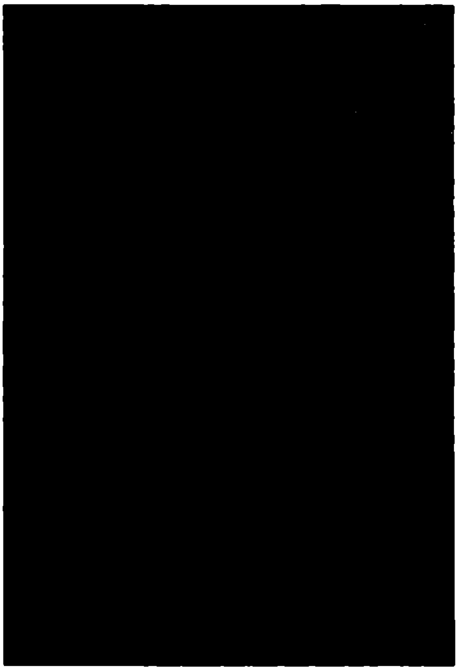

امرأة نَورية / دويلعة ـ دخانية / عائدة إلى خيمتها حاملة على رأسها ما جمعته من حطب وأشياء بالية كما يبدو في الصورة الطفل الصغير على ظهرها (محمول بواسطة التشاطك) ١٩٨٦م.

ويوجد على يمين مدخل كل خيمة عند / النَّور في الدويلعة / زاوية متصلة بالخيمة على شكل خيمة صغيرة منفردة يوضع فيها الحطب والأدوات التي يستعملونها في الحياة اليومية.

وتتكون الخيمة كما قلنا من أكياس من الخيش ولكنها مغطاة بقماش كتيم غير نفوذ بحيث لا يسمح للمطر النفاذ إلى داخل الخيمة.

أما الأثاث الموجود داخل الخيمة فهو بسيط جداً: مجموعة من البطانيات المرتبة فوق بعضها على يمين الخيمة من الداخل إلى جانب بعض الفرشات الإسفنجية . كما أن أرض الخيمة ممدود بالحصر البلاستيكية.

ومما لاحظته أن أرض الخيمة مفروشة بالرمل والاسمنت . وفي الزاوية الأمامية اليمنى من الخيمة . يتم غسل اللباس. كما يتم التغسيل هناك ولهذه الأرضية من الخيمة حافة بارتفاع يزيد عن / ٥سم/ حتى لا يسيل ماء الغسيل إلى داخل الخيمة. وهذه الخيم منورة بالكهرباء بشكل غير مشروع من التيار الكهربائي المار إلى جانب المخيم /سرقة/.

أدوات الطبخ عندهم بسيطة: بابور كاز - طنجرة أو طنجرتان - وبعض الصحون والملاعق - والشاي في الشتاء يغلونه على الموقدة أو على المدفأة البسيطة التي يوضع فيها الحطب اليابس.

الخيام في معظمها ذات شكل مستطيل سواء كانت من الخيش أو من الشوادر القطنية لكن يوجد بعض الخيام الدائرية الشكل ذات السقف الهرمي الشكل كما هو الحال في الشكل التالي:

خيمة ذات شكل دائري - وتبدو المرأة صاحبة الخيمة
وأطفالها الصغار أمامها بعد أن سمحت لنا بالتصوير

- اللباس:

يختلف اللباس عند جماعات النَّور حسب العمر وحسب الحالة المادية للأسرة لكنه بصورة عامة بسيطاً غير نظيف لكونه طويلاً حتى أسفل القدمين من جهة كما أن المكان الذي تجلس عليه النسوة ليس نظيفاً مما يجعل اللباس بسرعة يتوسخ.

لباس الرجل الكبير يتكون من جاكيت وتحتها قميص وقلابية طويلة ويلبس تحت القلابية سروالاً طويلاً وضيقاً يطلق عليه (جينه). وعلى الرأس قضاضة بيضاء

وعقال. أما الشباب فلباسهم معاصر / بنطال وجاكيت وقميص وحذاء وجرابات / كما أنهم نظيفين لدرجة من لا يعرفهم عندما يراهم في الشوارع وبأيديهم محفظة الصمصونايت، حيث يحسبهم متعهدون أو رجال أعمال (المحفظة توضع فيها عدة تركيب وتلبيس الأسنان).

رجل مسن بلباسه القديم /قباز طويل ومن فوقه حزام
وفوق القباز جاكيت. وعلى الرأس الشماخ والعقال
وإلى جانبه /شاب يرتدي البنطال والقميص وأن جدة هذا الشاب
ارمنية كان قد رباها أهله وهي طفلة وربما /أنهم سرقوها/

ـ ويتكون اللباس القديم للمرأة من: تنورة طويلة لدرجة أنها تحف على الأرض (تخب على الأرض). ولهذه التنورة قبة فتحتها من الأمام على شكل حرف سبعة. وتصل فتحة القبة إلى أسفل الصدر. وترتدي تحتها تنورة ثانية. وتلبس زناراً من الجلد قشاطاً فوق التنورة الخارجية في منطقة الخصر كما هو واضح بالصورة التالية ويتكون غطاء

الرأس من منديل أسود تلبسه المرأة على رأسها ومن ثم تمسك ذلك المنديل على رأسها بواسطة محرمة ذات ألوان زاهية بعد أن تثبتها عدة مرات لتجعلها على شكل عصبة على رأسها. وفوق التنورة تلبس الكنزة ذات الأكمام والمفتوحة من الأمام بشكل كامل. وعندما تخرج المرأة من أجل لم الحطب فإنها تلبس / التشاطك /.

امرأة من نَوَر /الدويلعة ـ دخان/ بلباسها التقليدي القديم. ويبدو الوشم واضحاً على وجهها.
كما ويبدو الحزام على خصرها والذي يدعى بلغة النَّور / قايش /.
أما الثوب المزركش الطويل يدعى / كيلا /.

ـ وهناك نموذج قديم آخر:

١ ـ يتكون من تنورة طويلة جداً تخب حتى أسفل القدمين. وتلبس فوق التنورة الطويلة رداء طويل ومفتوح من الأمام بشكل كامل تلبسه المرأة على شكل عبادة لكن لهذه العباءة أكمام عادية طويلة حتى المعصم، ويدعى هذا الرداء بلغة النَّور / تشاطك /. حيث تضع فيه المرأة طفلها الرضيع عندما تغادر الخيمة لفترة طويلة من النهار.

كما أن المرأة تلبس ملفعاً أسود تلفه على رأسها وعنقها والجزء الأكبر منه يسدل على الظهر. وفوق الملفع قطعة قماش ذات لون أسود تشد بها الملفع على رأسها على شكل عصبة كما هو الحال في الصورة التالية:

صورة لامرأة نَوَرية بلباسها النَّوري القديم الآخذ في الانقراض حيث / التشاطك / الذي يوجد فيه الطفل / محمولاً على ظهرها

وهذا يساعد على حرية الحركة لأن اليدين تبقيان حرتان لا يمسكان الطفل أثناء المشي وهذا ما يجعل اليدين متفرغتين لمسك أو حمل أشياء ثانية وقد التقطت هذه الصورة بعد أن طلبت / عشر ليرات / نقوطاً للطفل الذي تحمله على ظهرها. وهي من نور /حمص ـ البياضة/. لكنها زعلانة عند أهلها في حي الدويلعة كباس ـ إلا أنها قالت: أنها بزيارة مؤقتة. دون أدنى شك فإن هذه المرأة تمارس مهنة الشحادة ولكن خارج المنطقة التي يسكن بها زوجها أو بعيداً عن المنطقة التي يسكن بها أهلها. فقد كانت عائدة إلى البيت بحدود الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الخميس ١٩٨٦/١٢/١١.

وتجدر الإشارة أن الثوب الطويل والمزركش ذي الألوان الزاهية الذي ترتديه المرأة النَّورية فوق لباسها يدعى /كَيْلا/ يكون مخصّراً ولكنه واسع وفضفاض من الأسفل بحيث يسمح للمرأة التي ترتديه أن تجلس إلى الأرض بشكل مريح جداً. وقد كانت المرأة في الماضي تخرج من الخيمة لتبيع ما تشتريه للنساء من خلال تجوالها في الأحياء لكل من القرى والمدن من هذه الأدوات: الأمشاط ـ الأساور والخواتم للأطفال وحتى الكِبار ـ المرايا ـ العلكة ـ السكاكين ـ الأبر ـ المسال إلى جانب قراءة الفأل مقابل تبيض الحظ / إما عملة نقدية أو ـ مواد عينية مثل الطحين البرغل اللباس.... الخ.

ـ الحيوانات التي كان يربيها النَّور /الدويلعة ـ كبّاس ـ دخانية:

١. كان هؤلاء يربون /الحمير/ كوسيلة للانتقال لحمل الأمتعة، حيث كان إلى جانب كل خيمة مربوط من الحمير ما يزيد على الثلاثة حمير. حيث كان المخيم لهؤلاء النَّور يمكث في كل قرية يخيم فيها مدة /عشرة أو عشرين يوماً يصنعون خواتم فضة أو توتياء ويبيعونها للأطفال والنساء، ومن ثم يرحلون على الحمير إلى قرية أخرى.

٢. كانوا يربون في الماضي الكلاب سنوطه من أجل الصيد. وأهم هذه الكلاب هي: /السلوقي ـ البوجي/ وكانوا يصطادون بواسطتها /الأرنب ـ الغريري ـ النيص ـ القنفذ/ في جبال القلمون ـ جبال البادية السورية ـ جبال شمالي دمشق.

٣. تربية الديك الرومي أو يدعونه / الديك التركي / ذي العنق الطويل والمنقار الطويل والقاسي والحاد.وساقا هذا الديك طويلين. كان وما زال هذا النوع من الديوك يهتم به / نَوَر منطقة الدويلعة من أجل استخدامها في المبارزة. ـ ويطلقون عليها أحياناً ـ / المصارعة /.

إن صاحب الديك المغلوب غالباً ما يتنازل عنه لصاحب الديك الغالب. وأحياناً يكون الشرط ذبح الديك المغلوب وأكله. ويصل وزن هذا النموذج من الديوك كما يقولون إلى ما يزيد عن خمس كيلو غرام / ٢ ـ ٦ كغ /. وقالوا أن هذه الديوك يتم إحضارها من الباكستان أو من تركيا. وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة مصارعة الديكة منتشرة في كافة المدن والقرى في الفيليبين. وتعتبر هذه المصارعة لعبة شعبية لهم كما هو الحال مصارعة الثيران بالنسبة للأسبان. وتسمى مبارزة الديوك / لعبة الربح أو الخسارة/.

ومن الأعمال التي يزاولها الرجال من عشيرة الطروطات - الشوندر - الكنجو (والذين جميعهم يعملون في مهنة الأسنان) السفر إلى خارج القطر العربي السوري. حيث معظمهم يحملون جوازات سفر تخولهم السفر إلى كافة أنحاء العالم ما عدا السعودية واليمن الشمالي وسبب ذلك حسب قولهم أن الدولة لا تسمح لهم إلا أن الحقيقة تكمن كما قال أحدهم بصراحة:

أن النّور عندما يذهبون إلى السعودية واليمن الشمالي وحتى ليبيا يقومون بأعمال غير شرعية: كالسرقات وعمل الغش. إلى جانب بعض الأعمال غير الأخلاقية. فبدلاً من تلبيس الأسنان المنخورة برقائق من الذهب الأصلي يلبسونها برقائق من معدن أصفر مزيف يشبه الذهب بادئ الأمر وفي هذه الحال يقبض الرجل ثمن تلبيس السن من معدن الذهب بأسعار مرتفعة جداً عام ١٩٨٧م.

- المستوى التعليمي والصحي:

يكاد يكون معدوماً باستثناء ذهاب الأطفال إلى المدارس الابتدائية حتى أن الغالبية منهم لا تحصل على الابتدائية لأن الولد من صغره يساعد أباه في تحضير المواد اللازمة لعمله اليومي /مهنة الأسنان/.

ومن أهم صفات النَّور بصورة عامة /كثرة الإنجاب/ حيث نجد عند الشخص الواحد أحياناً ما يزيد على عشرة أبناء. ويحب النَّور الأطفال الصغيرة بشكل كبير جداً وخاصة المرأة التي تضحي بكل شيء من أجل أطفالها. ويقولون أن المرأة المرضع كل يوم تقوم بدهن جسد ولدها بالزيت الممزوج بالماء والملح كي يكون قادراً على المشي في المستقبل. ولا أدري مدى جدوى هذه الوصفة الطبية مستقبلاً بالنسبة للطفل.

- المستوى الصحي:

يتمتع النّور بأجسام متناسقة رشيقة بعيدة عن السمنة وخاصة عند النساء وربما هذا يعود إلى الحركة المستمرة. كما أننا نجد الأطفال يمشون شبه عراة في عزّ البرد دون أن يصابوا بأي مرض. فقد شاهدت مساء ١٩٨٦/١٢/١١ المصادف نهار الخميس أن أُمّاً قد سخنت ماءاً على موقدة في سطل من التنك ومن ثم جاءت بابن لها مشلول وغسلته في

العراء بالماء الساخن ـ كما أن المرأة النُّورية ذات اللباس الفضفاض لا تلبس ألبسة ضيقة وثقيلة من أجل الدفء شتاءاً بالإضافة إلى المشي دون حذاء داخل المخيم ودون جرابات داخل الخيمة وخارجها. وأقل مرض يصاب بها الشخص النُّوري مباشرة يذهبون إلى عيادة الأطباء من أجل العلاج.

أما الطعام الذي يرغبونه / نَوَر الدويلعة بصورة عامة / رأس الخروف المطبوخ مع الرز. ويقدم للنساء الحوامل والولادات إضافة إلى شورية الرز مع الدجاج. فقد ذهبت إلى بيت حسين الملقب أبو شريف من نَوَر القدم الذين يزعمون أنهم أكراد يوم الخميس الواقع ١٧ / ١٢ / ١٩٨٦ ـ فقدم غداءاً يتكون من رأس خروف وكوشته مع المقادم قد طبخت معاً بالفاصولياء اليابسة مع رب البندورة. ويتناول النَّور في الدويلعة / الشاي بكثرة في الصباح والمساء وفي الظهيرة ويتعاطى نَوَر / الدويلعة / المشروبات الروحية في حين أن المرأة لا تشرب.

يتم دفن الميت عندهم حسب الطقوس الإسلامية لكونهم مسلمين ـ حيث يوضع الميت بكفن واحد فقط ويربط القماش فوق الرأس وتحت القدمين وفي القبر يتم حل تلك الأعصبة عن جثة المتوفى. كما أن المرأة المتوفية، تدفن بعد تكفينها بكفن واحد فقط، وإن كانت قد تزوجت في حياتها بأكثر من زوج.

النَّور في منطقة السبينة

يوجد إلى الشرق من سكة القطار في منطقة السبينة وإلى يسار الطريق العام المتفرع من خط دمشق ـ حوران باتجاه السبينة ـ عين غزال ـ البويضة ـ السيدة زينب، مخيم لمجموعة من النّور يّدعون لأنفسهم أنهم تركمان لكونهم يتكلمون اللغة التركمانية. ويبلغ عدد خيام هذا المخيم ما يزيد عن / ٨٠ / خيمة.

ويصل تعداد أفراد هذه المخيم إلى ما يزيد عن / ٥٠٠ نسمة /. ولا ينحدر هؤلاء من عشيرة واحدة، وإنما من عشائر متعددة يربطهم عامل اللغة، حيث يتحدث الجميع باللغة التركمانية: الخورشيد ـ العلي ـ المحمد.... الخ.

لقد جاء هؤلاء النَّور إلى منطقة دمشق منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات، وقبل ذلك كان يعيش هؤلاء في حي الحيدرية من أطراف مدينة حلب حيث يتواجد العدد الكثير من النّور المتكلمين باللغة التركمانية. كما يوجد في منطقة هلُّك التحتانية ـ ومنطقة هلّك الفوقاني عدد كبير من النَّور الذين يتكلمون اللغة التركمانية.

بالرغم من أن هؤلاء النَّور يشاركون النَّور الذين يعرفون بتسمية / الطنجرلية / في منطقة الجورة ـ قدم / بالتحدث فيما بينهم باللغة التركمانية، إلا أنه لا توجد صلات ذات طابع اجتماعي فيما بينهم ويعود سبب ذلك كما قال لي أكثر من شخص إلى ما يلي:

إن النّور الطنجرلية في منطقة القدم ـ الجورة توجد عندهم عادة سيئة تتمثل ببعث المرأة إلى خارج البيت من أجل الشحادة، في حين يبقى الرجل من الطنجرلية في البيت يشرب القهوة المرة والدّخان. كما أن النَّور التركمان النازلين في منطقة سكة القطار شرق مطحنة السبينة لا يتزاوجون مع النَّور الطنجرلية في منطقة القدم.

إن هؤلاء النّور التركمان هم من أتباع الشيخ / رضى / الذي كان يقوم بحل مشاكلهم الداخلية والخارجية ويحتفل هؤلاء بيوم مقتل سيدنا الحسين رضي الله عنه في عيد يقال له /عيد عاشوراء/. وهم بهذه العادة يشاطرون النَّور الطنجرلية، المقيمين في الجورة من منطقة القدم جنوب دمشق.

ـ العمل:

يمارس الرجال من مخيم النُّور الذي كان قريباً لمطحنة السبينة العمل اليومي المأجور في شوارع مدينة دمشق حيث يبيعون أوراق اليانصيب لمعرض دمشق الدولي. وحسب أقوالهم أن الرجل في الأسبوع يحصل على مبلغ من المال يتراوح ما بين / ٥٠٠ ـ ٦٠٠ ل.س/. هذا في عام ١٩٨٧م.

وكان هؤلاء في الماضي يمارسون الدق على الطبل في مناسبات الأفراح مقابل مبلغ من المال ولازال البعض منهم إلى الآن يمارس تلك المهنة فيما إذا دعي من أجل إحياء الحفلات في المناسبات المفرحة.

وكان الرجال في الماضي يقومون بصنع ـ القفاف والسلال من مادة الحلفاء والقصب ـ وكان البعض يدورون في الشوارع وبين أحياء القرى وبأيديهم المسابح من أجل قراءة الفأل بعد أن يدعوا لأنفسهم أنَّهم مغاربة، حيث لديهم القدرة على كشف الطالع. وقال لي رجل متقدم بالسن من هؤلاء النُّور التركمان: أنهم في الماضي كانوا يربون الخيول ويتاجرون بها في منطقة ريف حلب. ولم يمارس هؤلاء صناعة الغرابيل لا في الماضي ولا في الحاضر.

أما المرأة في هذا المخيم فإنها لا تمارس مهنة الشحادة مطلقاً هذا ما لمسته شخصياً وأكده لي سكان الحارة من حولهم لا بل أثنوا عليهم بالمديح: أنهم بسطاء لا توجد عندهم مشاكل سيئة ـ ولا يتشاجرون مع أحد، ولا يؤذون أحد، ولا يمارس الشباب في هذا المجتمع مهنة تركيب الأسنان الصناعية حيث قالوا بأن هذه المهنة ليست لنا وإنما للقرباط، وقد كان هؤلاء النُّور التركمان في الماضي يربون ـ طير الحجل من أجل الصيد ـ لم ألحظ عندهم كلاب البوجي.

وأن العمل الذي تقوم به المرأة كما لاحظت ذلك هو: تجميع الأحذية البلاستيكية المستعملة من الشوارع ومن أماكن القمامة في أحياء أطراف مدينة دمشق ريفها. ويشارك المرأة في جمع تلك الأحذية البلاستيكية أطفالها في أغلب الأحيان. وتقوم النسوة ببيع الأحذية البلاستيكية بعد تنظيفها يومياً إلى تجار يأتون إلى عندهم يومياً بسيارات سوزوكي ومعهم / قبَّان / من أجل الوزن. وقد قالت لي النساء أنهن يبعن الكيلو غرام من البلاستيك المستعمل مقابل ـ ١٠ ل.س ـ وتقوم النسوة بتنظيف الأحذية

المهترئة من الأوساخ بواسطة السكاكين والشواكيش. وتحصل المرأة من عملها اليومي المذكور إلى مبلغ يتراوح ما بين / ٣٠ ـ ٤٠ ل.س يومياً /. هذا في شتاء عام ١٩٨٧م

وقد ارتحل هؤلاء بخيامهم إلى الغرب من خط دمشق درعا، وذلك إلى الجنوب من الطرف الشرقي لأشرفية صحنايا، حيث يضربون خيامهم حالياً هناك ٢٠٠٦م.

امرأة عجوز تقوم بتنظيف الأحذية المستعملة في مخيم مطحنة السبينة ـ ك٢ ١٩٨٧م

وتقوم المرأة إلى جانب جمع الأحذية البلاستيكية المستعملة يومياً بجمع الحطب يومياً من منطقة الغوطة الشرقية. والذي يتكون من أغصان الأشجار اليابسة ومن خشب الصناديق الخشبية القديمة المستعملة. ويستخدم الحطب المذكور من أجل التدفئة من برد الشتاء ومن أجل الطبخ في نفس الوقت.

امرأة شابة بلباسها النظيف والجميل تقوم
بتجميع الحطب أمام خيمتها. ك٢ ـ ١٩٨٧ م.

ـ السكن:

يعيش كافة أفراد مخيم مطحنة السبينة في خيام بسيطة لا تحتوي على مكان للطبخ ولا على مدخل إلى الخيمة ولا مكان في الداخل واسع للجلوس والنوم كما هو الحال في خيام نَوَر منطقة المعضمية وقطنا. وأن هذه الجماعة من النَّور ـ هي أفقر الجماعات النَّورية على الإطلاق. ونساؤهم لا تشحد، وملتزمون بالآداب العامة في كافة تصرفاتهم اليومية.

تتكون الخيمة من شادر واسع مصنوع من الخيش أو من الكتان ولها مدخل واحد دوماً يتجه نحو جهة الشرق. وأحياناً لا بل في معظم الأحيان يعيش في الخيمة أكثر من أسرة واحد، حيث الأب وزوجته وأولاده وزوجاتهم.

ويتكون أثاث الخيمة من مدات من الحصر البلاستيكية ومن فرشات إلى جانب بطانيات وأحياناً لحف بدون أن يكون لها أوجه من القماش الأبيض. وتتكون أدوات لطبخ عندهم من: الطناجر والصحون والصواني المصنوعة من الألمنيوم ـ ومن بابور لكاز. ولا يوجد لدى هؤلاء المطابخ التي تعمل على اسطوانات الغاز. يتناولون الرز بكثرة. ويتناول هؤلاء الطعام بأيديهم وهم يتربعون الأرض شأنهم بذلك شأن بقية جماعات النَّور أينما كانوا.

ويقول هؤلاء أنهم يسكنون في حي الحيدرية بحلب في بيوت ثابتة ممدد إليها لكهرباء في حين لا زال الكثير منهم يعيش في الخيام حتى يومنا هذا في حي الحيدرية بحلب. أضف إلى هذا، أنهم منذ عام ١٩٨٧ وإلى الآن وخيامهم لا تزال مضروبة في لصيف والشتاء في منطقة السبينة وإلى الجنوب منها كما هو حالياً.

. اللباس:

ترتدي المرأة التنورة الطويلة لدرجة أنها تخب على الأرض، ولهذه التنورة أو الثوب فتحة على شكل حرف ـ سبعة ـ ٧. وتلبس المرأة السروال الطويل والواسع والمزموم فوق الكعبين بمطاطة بحيث تكون الكَفّة إلى الداخل.

ويتكون لباس الرأس عند النساء المتقدمات بالعمر من منديل من القماش الأبيض تلف به رأسها وعنقها وتقوم بارتداء منديل آخر غالباً ما يكون ملون فوق المنديل الأبيض كي يثبته على الرأس. أما المرأة الشابة فإنها ترتدي الثوب الطويل والمخصر غالباً ما يكون من القماش ذي الألوان الفاقعة ـ كالأصفر والأزرق أو الأحمر والأزرق والأخضر إلى آخره. وترتدي على رأسها إشاراً إما أن يكون ملوناً أو من لون واحد وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء النَّور ـ يُكَفِّلونَ صغارهم ويُقَمِّطونهم بقماط من القماش فوق الكفال ما دام الطفل صغيراً والصورة التالية توضح ذلك.

امرأة شابة بلباسها الزاهي الألوان
وفي حضنها طفلها المقمط بالكفال ـ ك٢ ـ ١٠٨٧م

ترتدي المرأة أيضاً العباءة المفتوحة من الأمام. ويدعى هذا الرداء بالصايا ـ أو ـ الزُّبون ـ ولكن باللغة النَّورية يدعى ـ تشاطك. ولاحظت أن بعض الفتيات يلبسن الخراطة الطويلة المشغولة من القماش الزاهي الألوان. وتلبس الفتاة فوق الخراطة قميصاً أبيض اللون أو كنزة ذات قَبَّةٍ مسدودة. وأما غطاء الرأس غالباً ما يتكون من منديل من القماش الأسود الشفاف. وأن أطراف ذلك المنديل الأربع غالباً ما تكون محلاة بخيوط مذهبة أو ملونة بغير لون خيوط المنديل.

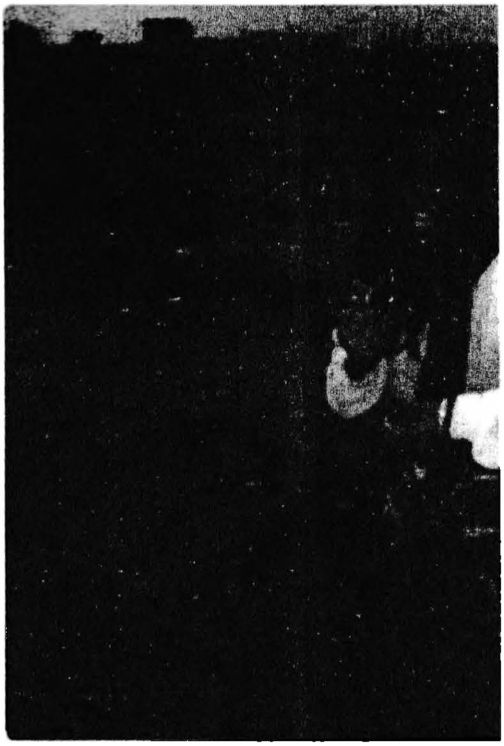

صورة لفتاة بلباسها الزاهي والتقليدي

عند جماعات النَّور بدون استثناء ١٩٨٧ م. ك٢

- الوشم:

لاحظت أن النساء المتقدمات في العمر جميعهن موشومات على أوجههن وعلى يديهن وعلى أرجلهن حتى ما فوق منطقة الكعبين. وعندما سألت عن سبب الوشم أجابت إحدى النساء المتقدمات بالعمر من أجل الزينة يا ابني /كي تظهر المرأة بمظهر جميل بعين الرجل/.

أما النساء الشابات من عمر الثلاثين وما دون وحتى الأربعين غير موشومات وإذا وجد بينهن نساء موشومات غالباً ما يكون على شكل نقاط معدودة على الخدين وعلى الشفة السفلى وتحت منتصفها على عظم اللحية على شكل خط متعامد مع الشفة يطلق عليه / السيّال /. وكان الفلاحون يدقّون وشم السيال على شفاههم السفلى منعاً لتأثير الأداة الحادة.

كما لاحظت أن البنات الصغار يضعن نقطة سوداء بين الحاجبين. وقد سألت أكثر من مرة، لماذا تلك الطفلات قد وضعن نقاط من الصباغ الأسود على جباههن فكان جوابهن على الفور ودوماً:

على شكل الهنود . إن المرأة في الهند تضع نقطة من الصباغ على جبهتها وبين الحاجبين كتقليد لعرف اجتماعي يسود عند قبائل منطقة الهند وذلك تمشياً إلى العرق العشائري أو الطائفي لدرجة نجد لكل طائفة هناك لها لون مميز من الصباغ الذي تضعه المرأة على جبهتها وعلى مفرق شعرها كدلالة اجتماعية على الولاء الاجتماعي لهذه الفئة أو تلك.

إن هذه الظاهرة البسيطة التي لاحظتها عند الأطفال الإناث وحتى الشابات لدلالة واضحة: تشير إلى الارتباط الروحي لهؤلاء النَّور التركمان إلى التقاليد التي كانت سائدة في الماضي عند أجدادهم الذين قدموا إلى مناطق خارج الهند في فترات زمنية غير معروفة بالضبط لا من قبل الباحثين في هذا المجال ولا حتى من قبل النَّور أنفسهم الذين أضاعوا تاريخهم وحتى لغتهم باستثناء النَّور القرباط الذين مازالوا أكثر جماعات النَّور حفاظاً على صلاتهم الثقافية مع أصولهم القديمة التي يغلب الاحتمال أن تكون منطقة وسط وشمال منطقة الهند الحالية.

- المستوى التعليمي والصحّي:

إن الغالبية العظمى من النَّور التركمان في مخيم مطحنة السبينة مسجلون بالسجلات المدينة التابعة لمدينة حلب وتوابعها. لكن يوجد بعض العائلات لا تزال إلى الآن غير مسجلة بالسجلات المدنية لكنهم يحملون تصاريح من الجهات الأمنية تسمح لهم بالتنقل داخل القطر العربي السوري ريثما يتم تأمين بطاقات شخصية لهم.

يذهب القلة من الأطفال إلى المدارس القريبة من مخيمهم في منطقة السبينة. وينحصر التعليم على الأطفال الذكور بصورة خاصة. وتتفشى الأمية بين صفوفهم بنسبة مرتفعة تصل إلى ما يزيد عن ٩٨٪. ويخدم الشباب المسجلون في السجلات المدنية خدمة العلم في الجيش القوات المسلحة، إلا أنهم لا يرغبون التطوع في الجيش مهما كانت الرواتب والمكتسبات من وراء ذلك مغرية. كما أنهم لا يحبون العمل في دوائر الدولة اعتقاداً منهم أن العمل الحر أفضل وأسرع نحو تحقيق الثروة.

وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء النَّور التركمان لا يسافرون إلى خارج القطر العربي السوري من أجل العمل والحصول على المال لذا نجدهم أكثر فقراً من النَّور الذين يسافرون إلى خارج القطر، وأكثر صدقاً وأمانة.

وأنه نتيجة لوضعهم السكني في خيام غير مجزأة إلى أقسام - للطعام - الجلوس - التحميم - بالإضافة إلى الموقع الذي يقوم عليه مخيمهم حيث الأوساخ والطين في الشتاء، فإننا نجد الأطفال حفاة وشبه عراة ويغلب على لباسهم الوسخ والاهتراء. فقد زرتهم في شهري كانون الثاني وشباط من عام ١٩٨٧ م في أيام ماطرة وباردة ومع ذلك نجد الأطفال يلعبون بين الخيام والطين يملأ أرجلهم - إلا أنهم يتمتعون بصحة جيدة وبنية جسمية قوية.

امرأة شابة وإلى جانبها ولدها - ك٢ - ١٩٨٧ م.

كما أن النساء وهن يقمن بجمع الأحذية البلاستيكية القديمة. ومن ثم يقمن بتنظيفها من الأوساخ نجدهن غير نظيفات وخاصة أيديهن ولباسهن الخارجي ومع ذلك صحتهن جيدة. وقد سألت إحداهن إذا ما أرادت إحداهن أن تغتسل ماذا تعمل قالت: **تقوم بالاغتسال داخل الخيمة بعد أن تغلق المدخل لتلك الخيمة / إذا رأينا خيمة مدخلها مغلق معنى ذلك أن شخصاً كبيراً يغتسل داخلها /. أما الأطفال فإنهم يغتسلون**

بمساعدة أمهاتهم خارج الخيمة وقد شاهدت ذلك في أم عيني في أيام شهر كانون الثاني في المشمسة. وإذا ما مرض طفل فإنهم يأخذونه إلى الطبيب من أجل مداواته بالرغم من حالة البؤس التي يعيشونها.

ـ الزواج:

إن الزواج عند هؤلاء النَّور التركمان كما فهمت منهم أنه زواج داخلي مغلق يتم فقط بين أفراد تلك العائلات النَّورية التي تتكلم اللغة التركمانية في منطقة حلب سواء كانوا في منطقة الحيدرية أو في منطقة هلّك التحتاني أو هلّك الفوقاني. وأن الفتاة تباع من قبل وليّ أمرها بيعاً بمبلغ من المال يتراوح حالياً عام ١٩٨٧م كما قالوا ما بين ٢٥ ـ ٣٠ ألف ليرة سوري. وأن المبلغ كاملاً يذهب إلى والد الفتاة وعندما سألت إحدى النساء عن المهر أجابتني بالحرف الواحد ما يلي:

والله البنت حقّهُ ثلاثون ألف ليرة عام ١٩٨٧م.

والله البنت حَقُّوُ ثلاثون ألف ليرة عام١٩٨٧م.

ويحدث عند هؤلاء زواج الخطيفة. فإذا كان الخاطف من نفس النَّور التركماني يمكن أن يتم الصلح سلماً بدفع المهر مضاعفاً إلى أهل البنت، أو يتم قتل البنت المخطوفة من قبل أهلها ولكن هذا قليل الحدوث. أما إذا خطفت البنت شاباً من جماعات من النَّور غير التركمان فغالباً ما يكون مصيرها القتل.

ويسود عند هؤلاء ظاهرة تعدد الزوجات من قبل الرجل لدرجة أنه يسكن زوجاته في خيمة واحدة دون أن تحدث خلافات فيما بينهن. وغالباً ما يتم الزواج بين الأقارب بالدم ـ بين أولاد العمومة أو أولاد الخالات لأن المهر في هذه الحالة يكون أقل فيما إذا كانت العروس لا تقرب العريس بالدم. وأن جزاء المرأة الزانية عندهم هو القتل إذا ما ضبطت بالجرم المشهود. وأن الطلاق عند هؤلاء النَّور غير حاصل إلا في حالة الخيانة لذا نجدهم كغيرهم من النَّور ـ مزواجين وليسوا مطلاقين ـ شأنهم بذلك شأن بقية عشائر النَّور الأخرى (بني الدوَّارة).

كما لم ألاحظ عندهم أن رجلاً متقدماً بالعمر قد تزوج بشابة صغيرة إلا ما ندر.

ومن عاداتهم أن المرأة تضع في عنقها الخرز بمثابة حرز لها من أجل محبة زوجها لها. وتضع خرزاً من أجل الحليب من أجل إرضاع طفلها. ويؤمن هؤلاء بقدرة الأذى الذي تنزله العين الحاسدة بالشخص المنظور إليه وخاصة إذا كان طفلاً.

ومن عاداتهم أن المرأة تقوم بجدل شعر رأسها على شكل ظفائر تضعها على كتفها لدرجة تكون تلك الظفائر المجدولة من الشعر الأسود والكثيف مسدولة على صدر المرأة كثعبان أسود.

وتضع المرأة في أنفها قطعة من المعدن وغالباً ما تكون من الذهب تدعى . الزّميمهْ . أو . الشّناف.

هذا وتضع في أذنيها الأقراط من أجل الزينة من معادن مختلفة كل امرأة حسب وضعها المادي، فإذا كان وضعها المادي جيداً غالباً ما تكون الأقراط والزميمة من الذهب.

الفصل السابع

عشائر النَّور ALnawar

في منطقة السيدة زينب ومفرق حجيرة

- العشائر النَّورية التي تعيش في السيدة زينب
- البنية الاجتماعية
- النمط المعيشي
- عشائر النُّور في مفرق حجيرة.

عشائر النَّور في منطقة السيدة زينب

يعيش قسم كبير من جماعات النَّور المستقرين في بيوت دائمة وثابتة، في منطقة السيدة زينب الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة دمشق.

ويزيد عدد النَّور في منطقة السيدة زينب عن مئتين وخمسين بيتاً ٢٥٠ ـ ٣٠٠ بيت كما يقولون عن أنفسهم. وبهذا يكون العدد الإجمالي لنَوَر السيدة زينب يتراوح ما بين ٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ نسمة حسب أقوالهم عام ١٩٨٦م. وقد بدأت جماعات النَّور في منطقة السيدة زينب بالاستقرار منذ الستينات من القرن العشرين تقريباً. وقبل هذه الفترة كانوا جماعات متنقلين يضربون خيامهم حيث يشاءون بحثاً عن لقمة العيش. وقسم من هؤلاء النّور كانوا يقضون فصل الشتاء في منطقة ـ ببِّيْلا ـ يَلْدَا ـ في حين صيفاً وفي الخريف كانوا يضربون خيامهم في أي مكان يختارونه من مناطق ريف قطرنا بدءاً من ريف الحسكة شمالاً، وانتهاءاً بريف حوران وجبل العرب جنوباً، ومن منطقة البوكمال والدير والبادية شرقاً وحتى المنطقة الساحلية.

ولقد كان الترحال سابقاً على الدواب، متخذين من الحمار سفينة للنقل والركب في لحظات الظهيرة الحارة، في حين الآن صارت السيارة والدراجات النَّارية هما الوسيلتان الأساسيتان المستخدمتان في حياتهم اليومية بدلاً من الحمار والقديش. وتنظيم جماعات النَّور في السيدة زينب في عشائر شأنهم بذلك شأن النَّور في بقية القطر العربي السوري، وفي الوطن العربي. وأن العصبية القبلية هي التي توجِّه دفّة الحياة الاجتماعية عندهم دون استثناء إذا لم نقل أن كل عشيرة من النَّور تكادُ تعيش حياة اجتماعية مغلقة وخاصة في قضايا الزواج.

ـ العشائر النَّورية التي تعيش في السيدة زينب:

يعيش في السيدة زينب أعداد كبيرة من النَّور، الذين ينتمون إلى عشائرة عديدة تتباين في بعض من مهنها، ولغاتها ومستويات معيشتها وهذه العشائر هي:

ـ عشيرة السناكرة ـ عشيرة السبع ـ عشيرة الحلبي ـ عشيرة الكريملية ـ البلايلة (البلالات) ـ عشيرة الدرويش ـ عشيرة الدروز ـ عشيرة الحلاولية ـ عشيرة الضباعنة ـ عشيرة الزليخة ـ عشيرة البرابرة – عشيرة الصنايعية – عشيرة دِرْزَنْكي. وهناك عدد من البيوت لا يتجاوز عددها الخمسة بيوت ينتمي أفرادها إلى عشيرة الشعارنة الكبيرة الموجودة في منطقة الحجر الأسود بصورة عامة.

وتتوزع عشائر النَّور في غالبيتها في الجانب الشمالي الواقع على يمين الشارع الذي يبدأ عند مفرق حُجيرة ـ وهو ذاهب باتجاه حُجَيْرة وبلدة السبينة. ويعرف هذا الشارع بشارع الشهيد علي الوحش[1] بدءاً من مفرق حُجَيرة وحتَّى الأراضي الزراعية التابعة لفلاحي بلدة ـ يَلْدًا ـ إلى الشمال الغربي من منطقة السيدة زينب ومن هذه العشائر:

ـ عشيرة السناكرة:

كان أفراد هذه العشيرة يتواجدون في منطقة شِعْبِ عَكًا قضاء عَكًا بفلسطين وقسم منهم كان يوجد في منطقة صفد، وذلك قبل عام ١٩٤٨ م. وقد أبعد السناكرة من فلسطين مكرهين من قبل العصابات الصهيونية آنذاك. فقد استخدمت تلك العصابات الإرهابية كافة الوسائل غير الإنسانية بغية إكراه السكان الأصليين على مغادرة أرضهم وديارهم وقد تسنَّى لهم ذلك.

فقسم من نَوَر السناكرة ذهب باتجاه منطقة الأغوار الأردنية آنذاك، والقسم الآخر قد قدم إلى سوريا، حيث استقر معظم أفراد هذه العشيرة في منطقة السيدة زينب وهؤلاء النَّور مسجلون في سجلات النفوس المدنية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية. وأن الشباب من عشيرة السناكرة يخدمون الجندية الإلزامية في جيش التحرير الفلسطيني. وأما عدد هذه العشيرة في السيدة زينب لا يزيد عن (٢٠) عشرين بيتاً، ويمكن تقديرهم بحدود مئة وخمسين نسمة. ويعتبر السيد خالد السنكري. أبو فيصل هو الوجيه لهذه العشيرة. ويتواجد أفراد هذه العشيرة عند مفرق حجيرة. في بداية حي

١: حي الشهيد علي الوحش: نسبة إلى الشهيد ـ علي الوحش ـ الذي استشهد في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ وقد سمي قسم من منطقة السيدة زينب السكنية باسمه تكريماً له ـ ويقطن في هذا الحي عشائر بدوية جاءت من الجولان مثل: الفرج ـ الرفاعية ـ الويسية ـ الشقيري ـ الفحومي. ومعظم هؤلاء يشغلون محلات سمانة يستغلون النَّور من خلالها.

الشهيد علي الوحش وفي منطقة الفرن الآلي بالذات، حيث بيت أبو فيصل يقع مقابل الفرن المذكور ويتكون هذا البيت من مساحات واسعة كبيرة جداً. وهناك ما يزيد عن / ١٥ / بيتاً في الكسوة إلى الشرق من مفرق دير علي. وهناك بعض البيوت في الحجر الأسود وفي عين غزال ١٩٨٨م.

ـ عشيرة السبع:

يقال لهذه العشيرة ـ السَّبْعَلِيَّة ـ وهي من أكبر العشائر النَّورية في منطقة السيدة زينب، حيث يزيد عددها عن ـ الأربعين بيتاً ـ وتتكون هذه العشيرة من الأفخاذ التالية: بيت ظاهر ـ بيت طه ـ بيت مصطفى ـ بيت عوض ـ بيت مرعي. ويزيد عدد أفراد هذه العائلة عن ٣٠٠ نسمة كما يقولون. وأن كبير هذه العشيرة حالياً السيد ـ أحمد سليم ـ الملقب بـ أبو عبده. ويقول نَوَر السيدة زينب عن السبعليَّة: أن لسان السبعليّة ثقيل ـ لكن يفهمون على بعضهم بشكل جيد باللغة النَّورية التي يسمونها كما عرفت ذلك مؤخراً ـ لغة الدُّومي ـ وهي مشتقة من كلمة ـ الدُّوْم ـ DOM. وتعني النَّور. ولعشيرة ـ السبع ـ علاقات نسب مع نَوَر دير العصافير المعروفين ـ بـ التركملية ـ وينفرد السيد أحمد سليم أبو عبده عن بقية أفراد عشيرته ـ بأنه يربِّي خيول أصلية من أجل السباق حتى عام ١٩٨٧م.

ـ عشيرة ـ الحلبي (الحلبيَّة):

أ تعتبر عشيرة الحلبية من العشائر النَّورية الكبيرة في منطقة الست زينب سوريا. كما أن لهذه العشيرة أقارب في منطقة بعلبك ومنطقة بيروت في القطر اللبناني الشقيق. وتتكون عشيرة الحلبي من العائلات التالية: الراشد ـ الشنينات ـ السرحان ـ المرسال ـ فرج:

ـ بيت الراشد: يبلغ عدد هذه العائلة بحدود الخمسة بيوت فقط. وقد جاء هؤلاء النَّور من منطقة بعلبك في لبنان بعد ١٩٨٠ كما يقولون، حيث كانوا يقيمون في بلدة ـ حوش الرافأة.

ويقول السيد نظمي الراشد أنهم كانوا مستقرين هناك، وأنهم كانوا يقومون بزراعة المزروعات التالية حول بيوتهم: الباميا - البندورة - خيار - ثوم - بصل - لفت، ويقومون بحراثة الأرض على الدواب كما روى لي السيد نظمي الراشد. ويعتبر السيد - فتحي الراشد - أبو وجيه الكبير لهذه العائلة.

السيد نظمي الراشد الذي يصنع الربابات والطبل
والدق والمهابيج من أجل القهوة المرة

بيت الفرج: يبلغ عدد بيوت هذه العائلة ما يقارب العشرة بيوت تقريباً. وأن كبيرهم السيد - حسن سليم - أبو موسى.

شْنينات: يبلغ تعداد هذه العائلة كما قالوا لي بحدود العشرين بيتاً إذا صح قولهم. وأن مختار هذه العائلة السيد مزيد المعروف بـ - أبو أحمد - ويمارس السيد - فريد أبو أحمد - تربية الخيول الأصلية والإتجار بها كما أنه يشارك في عمليات سباق الخيل الذي تقيمه الدولة.

البرابـرة: يبلـغ تعـدادهم بحـدود / العشـرين / بيتـاً كمـا روى لـي السـيد نظمـي الراشـد . ووجيه الراشـد ومن هـؤلاء النَّور: غالـب البرابـرة (أبو زهـير) ـ السـيد حسـين خالد (أبو خالد).

السرحان: يبلغ تعداد هذه العائلة بحدود العشـر بيوت. وأن السـيد ـ محمـد السـرحان هو وجيه تلك العائلة ويعرف ـ بأبو عامر.

ـ عشـيرة البـلالات: البلالية: يبلـغ تعـداد أفـراد هـذه العشـيرة كمـا قيـل لـي بحـدود العشرين بيتاً ـ وهم من النَّور الصنَّاع.

ومـن هـذه العشـيرة: السـيد صبحي وإخوتـه ـ تيسـير ـ عصـري ـ يعملـون غرابيـل ـ دق طبل وربابة.

عشيرة درْزِنْكي: يبلغ عـدد بيوت هـذه العائلـة بحـدود ـ العشـرين بيتـاً. وأن كـبيرهم السيد ـ محمد علي المعروف ـ أبو جميل.

ـ الصنَّايعيَّة: يبلـغ تعـدادهم بحـدود ـ العشـر بيـوت ـ وأن كـبيرهم ـ أبـو إسماعيل ـ يعملون بصناعة الغرابيل ـ كرابيل ولا يعملون بصناعة الدف ـ الطبل ـ الربابة.

ـ عشـيرة الكـريملية: حجيَّـات: يتواجـد أفـراد هـذه العشـيرة في كـل مـن منطقتي: السيدة زينب ـ ومنطقة الحجر الأسود. ويزيد عدد هـذه العشـيرة عـن ٢٥ خمـس وعشـرين بيتاً. وان قسـماً مـن أفـراد هـذه العشـيرة يسـكنون بالتجـارة بدمشـق. ويوجـد كـريملية أيضاً في منطقة ـ قـارة والنبك (حيـث يعملـون حجيَّـات وغير مسـتقرين إلى الآن). ويقـول السيد خالد الأسـعد ـ أبـو محمـد (يزيـد عمـره عـن السـبعين عامـاً) ١٩٨٦م: أن هنـاك في مخيمي صبرا وشـاتيلا ما يزيد عن الخمسـين بيتاً من عشـيرة الكـريملية. وقـد جـاء قسـم من هـؤلاء إلى منطقـة السـت بدمشـق ويسـكنون الخيـام، وهـم متواجـدون في الجانـب الشمالي الشرقي من منطقة الست زينب، حيـث يضـربون خيـامهم علـى أرض عامـة تعـود ملكيتها إلى الدولـة. كمـا ويوجـد كـريملية في بلـدة ـ الناعمـة بلبنـان. وتوجـد عائلتـان منهم في بلدة ـ ريما ـ التابعة إلى بلدة ـ يبرود.

ويقول السيد ـ خالد أسعد ـ أبو محمد ـ أن عشيرة الكـريملية قبل عـام ١٩٤٤ كـانوا جماعة رحُل متنقلين (حمَّالـة نقَّالـة) مـن مكـان إلى آخـر علـى بـاب الله الكـريم، حيـث كانوا يذهبون إلى حوران لكنهم كـانوا يشتون في الجولان في القرى التالية: البطيحـة ـ

بانياس - زعورة - الفجر - في معظم الأحيان، لأنهم كانوا يربون الخيل والحمير للمتاجرة بها. وأن قسماً من الكريملية قد ذهب إلى لبنان قبل عام ١٩٤٦ واستقروا هناك. أما النُّور الكريملية الذين بقوا في سوريا منهم رحَّالة في منطقة الجزيرة والبادية إلى أن استقروا في نهاية المطاف في الست زينب.

وتنقسم عشيرة الكريملية إلى العائلات التالية: بيت أسعد - بيت محسن - بيت مرعي - بيت ستون - بيت درويش - بيت عجاج الأويَّة.

ويبلغ تعداد هذه العائلات كما روى لي السيد نظمي الراشد كما يلي:

١- بيت أسعد: حوالي عشرة بيوت. وأن كبير عائلة الأسعد السيد خالد أسعد - أبو محمد - ومنهم حمادي أسعد (أبو وليد).

٢- بيت ستوت: يبلغ تعدادهم بحدود العشرين بيتاً، وأن كبيرهم السيد - موسى جميل أبو محمد -

٣- بيت مرعي: يبلغ تعدادهم بحدود العشرة بيوت، وأن كبير هذه العائلة السيد - جميل مرعي - أبو صابر - وأن معظم بيت مرعي يعيشون في حي التجارة بدمشق حيث يمارسون مهنة الغناء والطرب والتي يطلقون عليها كلمة - حَجيَّات. ومن بين الساكنين بالتجارة السيد: أحمد منصور مرعي (أبو أحمد) وأولاده، وبناته: جميلة البدوية - وشقيقاتها - منال - سهام. حيث كلهن يمارسن الفن كما يقولون. وأن السيد أحمد منصور كان بادئ الأمر فقيراً لكنه تزوج من امرأة تتقن الغناء والرقص (حَجِّية). ومن الكريملية المطربة المعروفة باسم - سعاد توفيق - (وهي بنت محمد توفيق المُلَقَّبْ بين النُّور الكريملية - أبو عفينة) وذلك دلالة على حالته المادية الرديئة سابقاً. إلا أن السيد محمد توفيق اعتنى بابنته سعاد ذات الصوت الجميل من طفولتها وصار يَدُقّ على البزق وهي تغني ويذهب معها إلى الملاهي... إلى أن اشتهرت وذاع صيتها كمطربة.

- عشيرة الحلاولية: يزيد عدد هذه العشيرة عن العشرين بيتاً. يتواجد معظم أفراد هذه العشيرة في بلدة الدرخبية التابعة لناحية الكسوة. وفي منطقة السيدة زينب لا يوجد منهم إلا بحدود ثلاثة بيوت فقط.

- عشيرة - الموصللي: التي يزيد عدد أفرادها عن خمسة عشر بيتاً (١٠٠ نسمة) ومنهم السيد - فريد موصللي - الذي يهتم بتربية الخيول الأصيلة - وأن الكبار بالسن منهم

لازالوا يقومون بصنع الغرابيل والكرابيل في حين البعض من الشباب يقومون بصنع الآلات الموسيقية: الطبل. الدف. الطبلة. المزاهر. الربابة. جرون قهوة صغيرة من أجل الزينة. وهناك بعض الشباب يعملون في المعامل التابعة للدولة والكل مسجلون بسجلات النفوس ويؤدون خدمة العلم، وهم يندرجون تحت فئة النَوَر القرياط حسب مهنهم.

. عشيرة أبومايها: ويعرف هؤلاء بنَوَر أبومايها. كانوا يتواجدون في منطقة فلسطين قضاء عكة. شعب عكا. وكان يمارس أفراد هذه العشيرة العمل الزراعي الموسمي حيث كانوا ينصبون خيامهم بين أشجار الزيتون آنذاك وإلى جانب الأعمال الزراعية كان نَور أبومايها يزاولون صناعة السكاكين. محافر الكوسا. المسال. ومعظم النَّور الذين جاؤوا من فلسطين بعد عام ١٩٤٨ . كانوا يمارسون الشحادة وعمل الرقص والغناء من قبل النساء (الحجيات) لكنهم الآن ينكرون ذلك لدرجة أنهم لا يريدون سماع كلمة الشحادة أو السرقة وحتى كلمة النَّور ولا زال نَوَر السيدة زينب المستقرين دون استثناء يمارسون السرقة والشحادة ولكنهم يسافرون إلى خارج القطر العربي السوري وخاصة السعودية أيام موسم الحج حيث ممارسة الشحادة والسرقة على طريقة النشل للفلوس من جيوب الحجاج وخاصة العاجزين منهم.

ـ البنية الاجتماعية عند نَوَر السيدة زينب:

إن جميع النَّور في منطقة السيدة زينب يعيشون كغيرهم من النَّور في المناطق الأخرى من قطرنا العربي السوري حياة قبلية شبه مغلقة، لدرجة يمكننا القول أن كل عشيرة تشكل دائرة مغلقة في بنيتها الاجتماعية وخاصة في المؤسسة العامة للزواج، حيث الزواج داخليٌ Endogamy.

كما أن كافة جماعات النَّور تعيش على مبدأ اجتماعي يقوم على مبدأ اجتماعي مفاده . أن قوة العشيرة مرتبط بعدد الرجال المنحدرين من تلك العشيرة التي تربط أعضاءها بها برباط العصبية القائم على الرباط الدموي المشترك لكافة أفراد العشيرة. وعلى هذا نجد أن جماعات النَّور في السيدة زينب يتباهون بعدد أقاربهم من الرجال وكثرتهم بالرغم من أن المرأة لازالت تشكل الركن الأساسي في الجانب المادي من حياتهم اليومية حتى يومنا هذا، وعند معظم تلك العشائر إن لم نقل عند جميعها.

والشيء الغريب الذي لمسته من خلالي جولاتي الميدانية بين أفراد عشائر الست زينب أنهم يشعرون بنقص لا بل بامتعاض شديد من تسميتهم من قبل الناس الذين يحيطون بهم بالكلمة المتعارف عليها النَّور. **وقد قال لي البعض منهم (من ميسوري الحال) أنّه مستعد أن ينحر الذبائح دون أن تحصى وأن يقول العيش يا جوعان مقابل نزع كلمة النَّوري عنه، وقد تابع قوله قائلاً - مهما كَرِمْتُ وَقدَمت أَبَقى نَوَري بنظر الآخرين.**

ولقد سألت أحدهم طيِّب لماذا يطلقون عليكم نَوَز - فكان الجواب ما يلي: **والله من فينة حظنا سمونا نَوَر - وقد أوضح ذلك لكون امرأتهم ترقص وتغني وتشحد في الوقت الذي يبقى الرجل في البيت قاعد. وأن كافة عشائر النَّور على اختلاف نمطهم المعيشي يقرُّون أن امرأتهم كانت في الماضي تشحد، وأن قسماً كبيراً من النَّور حالياً تمارس النساء عندهم مهنة - الشحادة - كما يقولون على باب الله الكريم.**

- الأسرة:

تتكون الأسرة عند كافة جماعات النَّور في منطقة السيدة زينب من الأب ونسائه وأطفالهما ويمكن أن يبلغ عدد أعضاء الأسرة الواحدة العشرين شخصاً. ويرتبط أفراد الأسرة فيما بينهم برباط شديد يجعل من الرجل السلطة العليا، والذي يتربَّع على قمة الهرم السلطوي للمجتمع النَّوري إلى جانب الزوجة (الأم) إذا لم تتفوق على زوجها بتأثيرها على أبنائها وبناتها.

ويأتي في المرتبة الثانية من حيث السلطة في البيت - الشَّباب - الشَّابَّات. وأما قاعدة الهرم فتتكون من الأطفال الذين لا يمارسون أي عمل مهما كان نوعه وخاصة الذكور منهم.

- ومن الصفات المميزة للبنية الاجتماعية عند النَّور في منطقة الست زينب:

أنَّهم يتزاورون فيما بينهم، ويسهرون عند بعضهم البعض، وغالباً ما يتفقون فيما بينهم على المكان الذي سيجتمعون به، حيث يقولون: أن أبو خالد على سبيل المثال عَامِلْ قهوة اليوم السهرة عنده. ويتسامر النَّور فيما بينهم بصوت مرتفع دون مراعاة لحرمة المتحدث. وأن معظم الحديث الذي يدور بين المتسامرين يدور حول أحوال العشيرة المادية والاجتماعية إلى جانب التحدث عن المعاناة اليومية التي يلقاها الفرد

منهم. وقد لمست بشكل قاطع أن الفرد النّوري لا يتحدث في مجال السياسة ولا يعرف عنها شيئاً وأنّ الحديث الذي يشغل أيّاً منهم هو السفر إلى خارج القطر العربي السوري من أجل تعاطي الأسباب إلى جانب المشاكل الاجتماعية التي تنغص الحياة اليومية عندهم في بعض الأحيان.

فيقولون أن فلان من الناس ذهب إلى السعودية، ومن ثم عاد إلى هنا معه ٣٠٠ ألف ليرة سورية، وقد بقي هناك شهران على سبيل المثال وهكذا.

ومن العادات الجيدة عند النَّور أنهم يتزاورون في أيام الأعياد فالصغير يذهب إلى عند الكبير بالنسبة لأفراد الأسرة والعشيرة بصورة عامة. كما أن النَّور في السيدة زينب يستغلون أيام العيد من أجل إصلاح ذات البين بين الأشخاص المتخاصمين إن كان ذلك موجوداً.

- الزواج عند النَّور في السيدة زينب:

إن الزواج عند عشائر النَّور في السيدة زينب مرهون بالرباط الدموي الذي يربط أفراد العشيرة الواحدة بعضهم إلى بعض، لدرجة أنّه يمكن القول: أن الزواج داخلي Endagamos - بين أفراد العشيرة الواحدة. ويتصف المجتمع النَّوري بصفة الزواج المبكر لكل من الشاب الشابة. إذ تتزوج الفتاة حالياً بدءاً من الرابعة عشر من العمر وما فوق. ويتزوج الشاب بدوره تقريباً بدءاً من سن السادسة عشر من العمر وما فوق.

وقد لاحظت أن الزواج بين النَّور المتواجدين في القطر اللبناني الشقيق، وفي منطقة الساحل العربي السوري تتم واقعاته بين صفوف الشباب أكثر تأخراً مما هو عليه عند جماعات النَّور المتواجدين في الداخل من القطر العربي السوري. وربما يعود سبب التأخر في موعد الزواج هذا إلى التأثر بالبيئة الاجتماعية بكل من لبنان ومنطقة الساحل، حيث الزواج يتم متأخراً بعد أن يكون الشاب قد أمَّن ظروفاً ملائمة لبيت الزوجية تسمح له بأن يعيش معتمداً على نفسه وليس على أهله كما في بقية المناطق الأخرى من قطرنا العربي السوري والتي يسري عندها مبدأ اجتماعي يقول: زوج الولد يأتيه ولد ومما لاحظته: أن تعدد الزوجات عند النَّور في منطقة السيدة زينب من قبل الشباب الذين هم دون سن الأربعين يكاد يكون شبه نادر، في حين تكون النسبة أكثر قليلاً

عند الرجال الذين تجاوزوا سن الأربعين وحتى الستين. أما الرجال الذين هم فوق الستين تكون نسبة المتزوجين بأكثر من امرأة واحدة تكون مرتفعة ومن بين هؤلاء الرجال- خالد الأسعد الكريملي - السيد محمد الصايغ أبو محمد وله زوجة في بلدة جاسم بحوران وزوجة تعيش معه في السيدة زينب.

وتتم مراسيم الخطوبة عند جماعات النَّور على غرار العرب الذين يعيشون بين ظهرانيهم: يذهب والد العريس إلى وجيه تلك العشيرة التي ينتسب إليها ويخبره بالأمر، ومن ثم يذهب إلى عند والد العروس وبرفقته والد العريس وبعض أقاربه، ويطلبون يد ابنته.

أما موقف البنت من زواجها يمكننا القول: أن الفتاة النَّورية لازالت حتى يومنا هذا تعطى لمن يرغبه أهلها حتى وإن كانت لا تعرفه، وحتى أحياناً تعرفه وتكرهه ومع ذلك ترضخ لقرار والدها بالزواج من ذلك الشاب الذي تقدم إليها وهي مكرهة على ذلك. وكنتيجة طبيعية لموقف الفتاة النَّورية الذي لا يسمح لها المشاركة في اختيار شريك حياتها تحدث لدى جماعات النَّور بدون استثناء ظاهرة خطف النساء والتي غالباً ما تنتهي بالمصالحة سلمياً عن طريق الصلح بين عشيرة الخاطف وبين عشيرة المخطوفة. لكن يحدث أحياناً على إثر ظاهرة الخطف مآسي اجتماعية محزنة تنتهي بقتل الفتاة والشاب الذي كان قد خطفها وتزوج منها دون رغبة أهلها وعلمهم.

أما فترة الخطوبة فغالباً لا تدوم طويلاً كما حدثوني كي لا يكون هناك متسع مع الفتاة التي ستتزوج مكرهة من الشاب الذي كان قد خطبها بالبحث عن شاب آخر تجد فيه بديلاً عن خطيبها كي تتزوج منه على طريقة الخطف الشائعة بين جماعات النَّور. وغالباً ما كانت الفتاة النَّورية تبقى مدة تتراوح من ١٥ يوماً إلى شهرين مدة تخضع بها الفتاة المخطوبة إلى فترة تجربة وتمرين عملي على الشحادة لإتقان طرقها وخاصة طريقة السرقة منها - فإذا ما أجادت الفتاة السرقة بشكل جيد تنعت عندئذ بصفة جيدة عندهم - والله يد هذه الفتاة خفيفة - فإذا ما وصلت الفتاة المخطوبة إلى هذا المستوى المتقدم من إتقان الشحادة وفنونها يصبح الزواج من تلك الفتاة مرغوباً به.

ومن العادات الطريفة عند جماعات النَّور في منطقة السيدة زينب عند ذهابهم لخطبة الفتاة لولدهم: **أنهم لا يشربون القهوة المقدمة إليهم أو الشاي إلا بعد أن يوافق وليُّ أمر الفتاة على زواجها من ولدهم.**

إن عدم شرب المشروب (الشاي - القهوة) المقدم من قبل أهل العريس للأشخاص الذين قد جاءوا إلى عندهم لخطب يد ابنتهم إلا بعد الموافقة على ما جاءوا من أجله. أما إذا لم يوافق ولي الفتاة على تخطيب ابنته أو أخته فإن الأشخاص الذين جاءوا من أجل ذلك ينصرفون ولا يشربون ولا يأكلون ما كان قد قدِّم إليهم. وعلى ما يبدو أن هذه العادة قد اقتبسوها من البيئة العربية الاجتماعية التي تحيط بهم. إذا نجد هذه العادة لازالت حتى يومنا هذا متأصلة في البيئة الاجتماعية في قطرنا العربي السوري، لدرجة أن المرأة المتزوجة إذا ما غادرت بيت زوجيتها زعلانة إلى بيت أهلها، وجاءت جماعة من قبل زوجها لعند أهلها بغية مراضاتها، فإنهم لا يشربون ما يقدم إليهم إلا بعد أن يعطي أهل المرأة وعداً برجوع ابنتهم المتزوجة إلى بيت زوجها معهم. ولربَّما هذه العادة المتبعة في الخطوبة ومراضاة الزوجة الزعلانة بمثابة عامل ضغط اجتماعي تمارس على أهل الفتاة أثناء الخطوبة. وعلى أهل المرأة الزعلانة التي كانت قد تركت بيت زوجها وجاءت إلى بيت أهلها. كي يجد أهل تلك الفتاة أو المرأة أنفسهم خاضعين لرغبة الضيوف الذين جاءوا كجاهة من أجل ابنتهم. والشيء الطريف أنه إذا ما تم الوفاق على التخطيب للفتاة، أو إرجاع المرأة الزعلانة إلى بيت زوجها، فيقول الأشخاص الذين جاءوا من أجل ذلك ما يلي: ما قدَّرْ قيمتنا - كَسَفْنا وَاللّه - لسنا على لُوْقِهِ - واللّهِ لَسْنَا على قَدرِ المُقَام.

أما إذا كانت الفتاة التي يريد الشاب النَّوري الزواج منها لا تمت لعشيرة النَّور بصلة فإن الأمر يختلف هنا. فقد أكدت السيدة رسمية عثمان ما يلي:

إذا ما كانت الفتاة ليست نُورية يجتمع كافة أفراد العشيرة البالغين في مضافة شيخ القبيلة كي يتدارسون الأمر فيما بينهم، وقد حضرت بنفسي مثل تلك الجلسات التي يناقشون بها أحوال العشيرة. فكان يسود جو من الحرية التامة في إبداء الرأي، فكل واحد من الحاضرين يدلي بدلوه لكن في نهاية المطاف يستقر الجميع على رأي واحد وغالباً ما يكون رأي كبير العشيرة أو وجيهها هو المرجع بمثل تلك القضايا العامة التي تخصُّ أفراد العشيرة جميعاً. لكن تعصب النَّور لزواج الأقارب من داخل

العشيرة الواحدة بالنسبة لأفرادها ENdagamos يتم أحياناً تجاوزه حيث يتزوج الشاب من عشيرة غير عشيرته ولكن حدوث ذلك قليل جداً لأن المهر للقريبة بالدم أقل من المهر المقدم للفتاة التي تنتمي لعشيرة ثانية غير عشيرة الشاب. إلا أنه توجد بعض الحالات التي لا تتجاوز عدد أصابع اليد تزوج فيها أناس من شباب النُّور من فتيات غير نَوَريات فعلى سبيل المثال:

١. صبحي الخالد تزوج من فتاة من بلدة الشيخ مسكين محافظة درعا.

٢. سلطان خالد تزوج من فتاة من بلدة الفوعة محافظة حلب.

٣. أحمد تايه تزوج من فتاة من بلدة الفوعة محافظة حلب.

كما أن هناك شخص من نُّور الشعارنة في الحجر الأسود تزوج من فتاة من بلدة عَتمَان - اسمها - عزيزة - واسم أبيها - راشد القمَّاش. وأن السيد - عيسى الحريري من الشيخ مسكين قد زوج ابنته من شاب ينتمي أيضاً إلى الشعارنة في منطقة الحجر الأسود. وأن السيد عبد المجيد الديري من الشيخ مسكين كان قد تزوج من فتاة نُورية كانت تلعب على الحبل عام ١٩٥٢ واسمها زَكِيَّةَ، واسم أبيها ذيب البلهوان. وأن السيدة زكية بدورها قد زوجت ابنها الأكبر من فتاة من أقاربها. وقد توفي ابنها فايز. فَزَوَّجَتْ أرملته من أخيه الأصغر واسمه ماجد لأن الأول ترك ولداً صغيراً وراءه. وأن السيدة زكية قد أعطت في عام ١٩٨٥ أحد بناتها إلى أخوالها الشعارنة في منطقة الحجر الأسود (عن السيد نواف عبد العوض المعروف بأبو فايز ٢٤ / ٥ / ١٩٨٦ يوم السبت الموافق ١٦ / رمضان).

ويؤكد معظم جماعات الشعارنة النَّورية: أن الفتاة لا يؤخذ رأيها في الزواج. كما أن الشاب كما يؤكد هيثم عثمان والسيدة رسمية عثمان، ليس له رأي باختيار زوجته.

- المهر: الفَيْد

إن المهر بين أفراد العشيرة الواحدة يكون أرخص من المهر المدفوع ثمناً إذا ما كانت من عشيرة غير عشيرة خطيبها (على لسان السيد محمد الأسعد من نَوَر الكريملية عمره - ٧٥ - سنة). وتختلف قيمة المهر من عشيرة إلى أخرى إلا أنه يمكن القول أن مهر البنت حالياً عند نَوَر السيدة زينب يصل أحياناً إلى مبلغ يتراوح ما بين

٣٠ ـ ٤٠ ألف ليرة سوري إذا كانت العروس ليست من أقارب العريس بالدم. أما إذا كانت من أقاربه بالدم فإن سعرها أرخص كما يقولون إذ يتراوح من ١٠ ـ ١٥ ألف ليرة سوري عام ١٩٨٧م. ويقسم المهر إلى قسمين:

١. المتقدم.

٢. المتأخر.

لكن المتأخر عند عشائر النُور جميعاً أقل من المبلغ المتقدم، فإن عَظُمَ المبلغ المتأخر لا يصل إلى المبلغ المتقدم الذي يدفعه أهل العريس لأهل العروس أثناء الجاهة التي غالباً ما تكون مرفوقة بذبيحة وطبخ طبيخ المنسف كغداء يقدمه أهل العريس للحاضرين ممن ساهموا في تقريب وجهة النظر ما بين أهل العريس وأهل العروس أثناء عملية التشاور في بداية الخطبة. ومن ثم يبدأ أهل العريس والعروس للاستعداد لحفلة العرس وما يترتب عليها من جوانب اجتماعية وثقافية ومادية.

وقد قال لي السيد نظمي الراشد الذي يصنع ـ ربابات ـ ومهابيج قهوة إن المهر سابقاً كما يروى المتقدمون بالسن كان يتألف من:

١. عدد رؤوس من الحُجَل.

٢. عدد رؤوس من الغنم.

٣. وأحياناً مقابل حمار ـ أو ـ قديش ـ إذا كان والد الفتاة بحاجة تلك الحيوانات لحمل المتاع والانتقال عن طريقها من مكان إلى آخر (السميد هيثم أحمد عثمان).

وتختلف قيمة المهر ما بين المرأة والأرملة والمطلقة وبين الفتاة الباكر التي لم تضاجع الرجال بعد، حيث يكون مهر الأخيرة بحدود ضعف المقدم للمرأة الثيب. وأن المهر بكامله يذهب إلى ولي أمر الفتاة ولا تعطى منه إلا الشيء القليل.

وتتم مراسم الزواج بادئ الأمر كما يلي:

١. يبدأ أهل العريس بفرحهم قبل موعد الزفاف بمدة تتراوح ما بين ٤ ـ ٥ أيام (ويطلقون على ذلك الفرح اصطلاح (تَعْلِيْلَةٌ)

٢. يستقدمون فرقاً غنائية ـ الحجيّات ـ من منطقة عَذْرا، أو من منطقة حُمُص، أو منطقة حلب. لأن نَوَر السيدة زينب لا يمارسون مهنة الحجيّات

القائمة على الرقص والغناء في أيامنا هذه باستثناء عشيرة ـ الكريملية ـ المتواجدين في منطقة التجارة بدمشق، حيث تتحدر ـ المطربة ـ سعاد توفيق بنت محمد توفيق الملقب بين أفراد عشيرته ـ الكريملية (أبو عفينة) ويوجد لدى السيد محمد توفيق عدداً من البنات ذات الوجه الحسن والصوت الجميل.

ويتم زفاف العروس بعد تغسيلها وتعطيرها وتزيينها من بيت أبيها إلى بيت زوجها بمشاركة والد العريس ووالدته وبرفقة عدد من رفيقات العروس.

أما الغناء الذي يغنّى أثناء الزفاف فغالبه يكون باللغة العربية، ولا يستخدمون اللغة النَّورية: الدومرية ـ في حفلاتهم الغنائية مطلقاً.

ـ النقوط:

وتسود عند نَوَر السيدة زينب عادة ـ النقوط ـ، حيث يقوم الشباب غير المتزوجين بتقديم هدايا إلى العريس إما إن تكون نقدية، أو ـ خرافاً ـ أو قطع من الأثاث المنزلي. وأن النقوط غالباً ما يكون مرتفعاً فالحد الأدنى له مبلغ ٥٠٠ ل.س. وأن النَّور أسخياء في هذه العادة. لقد لمست أن العرب الذين يعايشون النَّور بشكل مباشر يندفعون إلى تنقيط الشاب العريس من جيرانهم النَّور، لأن المبلغ الذي يقدمه غير النَّوَري للعريس النَّوري يرجع إليه أضعافاً مضاعفة فإذا أعطى ٥٠٠ ل.س فإن الشاب النَّوري يردُّها إلى صاحبه في المناسبات بما لا يقل عن ٢٠٠٠ ل.س (عن أحد الأشخاص من بلدة العشّة المحتلة وينتمي إلى عشيرة الخواشمة).

ـ زواج البدل: الداقيش:

لازال زواج البدل ساري المفعول حتى يومنا هذا، ولكن بصورة أقل حدوثاً عما كان سائداً في السابق، حيث يتفق شابان بأن يتزوج كل منهما أخت الآخر وذلك بعد موافقة أهل كل منهما على ذلك.

ونتيجة للنتائج السلبية التي تترتب على زواج البدل والتي تكلمنا عنها في فصل سابق من هذا الكتاب نجد أن نَوَر السيدة زينب صاروا يقومون بكتابة عقود لزواج

البدل، وكأن واقعة الزواج لكل من الشابين قد تمت مقابل مهر مدفوع لأهل كل من الفتاتين، وذلك تجنباً لأعمال اجتماعية يمكن أن تحدث مستقبلاً - على سبيل المثال - يمكن أن تكون أحد الفتاتين مرتاحة مع زوجها، في حين الفتاة الأخرى لا تكون مرتاحة بدورها مع زوجها، وهذا الوضع يقودها إلى ترك بيت زوجها والذهاب إلى بيت أبيها. فيقوم زوجها بسحب أخته من عند زوجها وإن أدى ذلك إلى طلاقها. لذا فإن كتابة العقد هذا لا تلزم أحد الشابين إذا توفيت أخته التي كان قد بَدّل بها بدفع نصف المهر لأخي زوجته التي مازالت على قيد الحياة وتعرف هذه الظاهرة عند العرب البدو - نصف نقيصه.

- زواج الخطيفة:

مازال هذا النموذج من الزواج موجوداً عند جماعات النَّور على اختلاف أنماط معيشتهم. وذلك كنتيجة طبيعية لظاهرة تزويج الفتاة من قبل أهلها دون أن يكون لها رأي بذلك. وأن الفتاة النَّورية إذا ما أحبَّت شاباً ما سواء كان متزوجاً أم عازباً فإنها تغامر بالذهاب معه إلى بيت الزوجية رغماً عن أهلها وهي تعلم مسبقاً أن تصرفها هذا قد يودي بحياتها وأحياناً تخطف المرأة النَّورية بعد أن تتزوج وإن كان لها أطفال، حيث تترك أطفالها وتذهب مع من تحب سواء كان عازباً أو متزوجاً وهي تعلم أن مجتمعها قاس عليها في معاقبته لها على فعلتها هذه.

إلا أن النَّور في منطقة السيدة زينب إلى حدٍ ما غالباً ما ينهون حوادث الخطف عن طريق المصالحة بين أهل الشابة والشاب، حيث يدفع أهل الرجل الخاطف مبلغاً من المال يقولون له شرفية وأن مبلغ الشرفية هذا غالباً ما يزيد عن ضعف المهر العادي، فإذا كانت الخاطفة متزوجة فإن الشرفية تدفع لزوجها الذي كانت قد تركته. وإذا لم تكن الخاطفة متزوجة فإن مبلغ الشرفية بكامله يذهب إلى أهل الفتاة ولا تعطى منه شيئاً يستحق الذكر.

- رَدَّة الرُّجْل:

بعد انقضاء فترة العرس التي غالباً ما تدوم مدة أسبوع، تقوم العروس والعريس بزيارة أهلها. الذين يحتفلون بقدوم ابنتهم وصهرهم إلى عندهم، حيث يقدمون لهم أشهى الطعام وأغلاه.

وعندما يرجع العريس وعروسه إلى بيت الزوجية غالباً ما يعطي والد العروس لابنته مبلغاً من المال يطلقون عليه كما يقول السيد . خالد الأسعد الكريملي أبو محمد . شوفة خاطر. ويتراوح مبلغ المال لشوفة الخاطر بكميته حسب الوضع المادي لأهل العروس، إذ يصل أحياناً إلى ٥٠٠٠ آلاف ليرة سوري وما فوق. وتختلف كمية مبلغ المال لشوفة الخاطر حسب وضع البنت قبل زواجها فإذا كانت فنّانة فإن المبلغ هنا يكون مرتفعاً جداً. أما الآن بعد أن استقرت جماعات النَّور صار الأهل لا يأخذون من مهر ابنتهم، وإنما يشترون لها به أثاثاً لبيتها مثل . غرفة النوم، وخزانة لوضع الملابس، وواجهة لوضع أدوات الطبخ والشرب الزجاجية (فاترين). وتقول السيدة رسمية عثمان: أن الجهاز المكون من الذهب نصفه يشتريه أهل العروس والنصف الآخر يشتريه أهل العريس كهديّة لعروسهم. أما سابقاً فكان جهاز العروس يتكون من عدد من الفرشات مع لحاف وبعض أواني الطبخ فقط. وقد كان عند الفلاحين سابقاً عادة يعطون ابنتهم التي قدمت إلى عنْدهم بعذ انقضاء أسبوع العرس (سْيَارَة) لُحاف + فرشة من الصوف + مخدتين + بساط من الغزل المنسوج على نول يدوي . أو . فجّة بساط (جزء واحد من البساط، لأن البساط يتكون بدوره من قطعتين).

- ظاهرة التبني عند نَوَر السيدة زينب:

تسود ظاهرة التبني عند جماعات النَّور دون استثناء، وخاصة إذا كانت الأسرة المكونة من الزوج والزوجة غير منجبة. أو أن الزوجة هي غير المنجبة لأن الزوج غالباً يتزوج على زوجته سواء كانت منجبة أو لا.

من هذا المنطلق يسود اعتقاد عند الناس وخاصة في الأرياف أن النساء النَّوريات يقمن بسرقة الأطفال الصغار من أجل تبنيهم. وقد قال السيد. خالد الأسعد . أبو محمد . ٧٥ عاماً ما يلي:

أنَّه كان سابقاً هناك قناعة عند الناس من غير النَّور أنه إذا سرق طفل يقولون أن النَّور قد سرقوه. ولقد سرد لي الشخص المذكور حادثة وقعت في منطقة حماة (وهو من سجلات نفوس منطقة حماة) قد وقعت منذ فترة تزيد عن عشرين عام سبقت: (في الستينات من القرن العشرين)

أن امرأة من عشيرة العقيدات قد سرقت طفلاً من أحد قرى منطقة حماة لأنها محرومة من ثمرة البطن. فبعد أن علمت مراكز الشرطة بالأمر جمعت النَّور في المنطقة التي وقع بها الحادث وقامت بضربهم ضرباً مبرحاً، مع حلق لشوارب البعض منهم (النَّور من عشيرة المجاربة) من أجل الاعتراف بعملية خطف الطفل وإرجاعه إلى أهله، فما أن مضى عدد من الأيام بعد قتل جماعات النَّور حتى جاءت بدوية من عشيرة العقيدات محضرة الطفل الذي كانت قد خطفته لتتبناه. وبعد إعلام مراكز الشرطة في المنطقة عن ذلك تم الإفراج عن بعض الرجال النَّور المشتبه بهم.

لكن هناك نوع من التبني عند النَّور يكادون أن ينفردوا به دون غيرهم وهو كالآتي:

يقوم بعض الشباب ويلتجئوون إلى عند شخص ما شريطة أن يكون ميسور الحال، ووجيه عشيرته في نفس الوقت. ويكون ذلك الشخص الوجيه الملتجأ إليه مسؤولاً عن هؤلاء الشباب، حيث يقدم لهم الطعام واللباس، ومن ثم يزوجهم عند كبرهم وذلك من ماله الخاص. أما الشاب الملتجئ أو الشباب الملتجئون، يقومون بدورهم بتقديم الخدمة لذلك الشخص الوجيه الذين احتموا به: فقد كان في الماضي يقوم الشباب بتحضير القهوة، والاعتناء بالدواب التي تعود بملكيتها إلى الشخص الذي تبنَّاهم. وكانوا يقومون بجمع الحطب من أجل طبخ الطعام وتحضير القهوة المرَّة.

وكان الشاب أو الشباب الملتجئون إذا ما دعاهم أحد لإحياء حفلة ما على آلتهم الموسيقية المحببة المسماة . البزق . فإن الأجر الذي يتقاضونه مقابل عزفهم الموسيقى يعطونه إلى ذلك الوجيه الذي يتبناهم.

ويؤكد النَّور في السيدة زينب: أن الأشخاص المتبنين من قبل الوجيه ليس شرطاً أن يكونوا من أقاربه بالدم، وإنما يمكن أن يكونوا من عشائر أخرى غير عشيرته. ومن بين الأشخاص الذين كانوا يقومون بعملية التبني الأنفة الذكر - السيد سليم علي - من عشيرة الكريملية الذي كان يتبنّى أي شاب يلتجئ إليه، فيقدم له المساعدة حتى يكبر، وعندما يكبر كان يزوجه من ماله الخاص.

- عادة الثأر:

يسود عند النَّور في منطقة السيدة عادة الأخذ بالثأر، شأنهم بذلك شأن بقية العشائر النَّورية في أي منطقة ما من قطرنا العربي السوري. وأن النَّور بهذه الظاهرة الاجتماعية السيئة يشتركون مع بقية المجتمعات البشرية التي تتخذ من العصبية القبلية رباطاً دموياً واجتماعياً يربط أفراد العشيرة الواحدة بعضهم إلى بعض. ويكون ذلك الرباط القبلي قوياً كلما كان المستوى الثقافي والاقتصادي متدنّياً لدى هذه الجماعة أو تلك.

ويكون الرباط القبلي قوياً عند العشائر التي تعيش عيشة الترحال والتنقل، لدرجة أن إخراج الفرد بعيداً عن عشيرته يعتبر بمثابة نفي اجتماعي له مع هدر لكرامته الاجتماعية، وحتى هدر لدمه. وكلما صارت الجماعة البشرية تشعر بالمادة أكثر فأكثر في تعامل أفرادها بعضهم مع بعض في معترك الحياة كلما قلَّ عندهم الشعور بالرباط القبلي وبعض خواصه السلبيَّة. وبناءاً على هذا نجد أن ابن الريف أقل تمسكاً بالعصبية القبلية من الإنسان المرتحل، وأن الإنسان الذي يعيش على التجارة في المدينة أقل تمسكاً بالعصبية القبلية من الإنسان الريفي.

ومن خلال ما تقدم فإن عادة الثأر عند جماعات النَّور مع مرور الزمن ستأخذ بالتلاشي وبسرعة لكونهم تحولوا من النمط المعيشي القائم على الترحال إلى النمط المعيشي المستقر، ويزداد يقيننا بانحسار عادة الثأر مستقبلاً عند النَّور لأن استقرارهم غالباً ما تمَّ ويتم في مناطق المدن حيث الشعور القوي بالمادة نتيجة الحاجة الماسة لها يومياً من أجل قضاء الحاجبات.

وقد حدثت حادثة ثار في منطقة السيدة زينب في صيف ١٩٨٥ بين جماعتين من النَّور إحداهما تسكن في بلدة دير العصافير . بغوطة دمشق الشرقية، في حين الأخرى تسكن في منطقة السيدة زينب.

وقد نشبت الحادثة المؤسفة للثار أثناء حفلة عرس لأحد النَّور الساكنين في السيدة زينب، حيث استقدم أهل العريس الحجيَّات من دير العصافير من أجل الغناء والرقص والعزف الموسيقي وكان يرافق فرقة الحجيَّات من دير العصافير رجال من أقاربهن وهم على خلاف مع جماعة في السيدة زينب والذين كانوا من بين الحضور المعترضين على فرقة الحجيَّات وأدائها الفني. فعندما رأى الشباب النَّور القاطنين في السيدة زينب خصومهم من دير العصافير أطلقوا عليهم النار. وكانت نتيجة ذلك الحادث المؤسف ست قتلى من الشباب. وكما رووا لي ذلك، وهم صادقون بقولهم هذا.

وغالباً ما تنتهي حوادث القتل القائمة على الثار بالصلح سلماً نتيجة لتدخل وجهاء العشائر النَّورية في منطقة السيدة زينب وغيرها من المناطق الأخرى من القطر العربي السوري وعلى الأخص وجهاء النَّور في مدينة حمص المتواجدين في منطقة جورة العرايس لأنهم من الطبالة والحجيات:

ويتم الصلح بدفع مبلغ من المال من قبل أهل القاتل وعشيرته إلى أهل المقتول بعد أن يحدد ذلك المبلغ من قبل الواسطة بين الطرفين. وغالباً ما يحدد مبلغ المال الذي يسمَّى . الدية . ما بين ٤٠ . ٥٠ الف ل.س. وأن المبلغ المدفوع لأهل القتيل يجمع من كافة عائلات أهل القاتل وذلك بفرض مبلغ محدد على . الذكر . فقط والأنثى لا تحسب في هذا الإحصاء العشائري فإذا كانت العائلة فيها ثلاثة ذكور، فهي مطالبة بدفع المبلغ المقتصر على الذكور فقط ولا يحتسب عدد النساء من أجل جمع المال مطلقاً.

- ومن مبادئ الصلح المتعارف عليها عند نَوَر السيدة زينب:

أ. على القاتل وأهله وعشيرته الجلاء عن بيوتهم، إلى منطقة بعيدة وذلك تجنباً لحدوث المشاكل. ويعتبر الجلاء بالعرف العشائري عمل احترازي لحقن الدماء بين المتخاصمين وإن عادة الجلاء لأهل القاتل عن أهل القتيل عادة تسود عند القبائل العربية البدوية منها والمستقرة، وخاصة في الأرياف. ولربما أن العشائر النَّورية قد اقتبسوا هذه العادة القبلية من البيئة الاجتماعية المحيطة بهم منذ أن حطت رحالهم على

الأرض العربية منذ قرون عديدة خلت. ولا يتم الصلح على الشخص المقتول إلا بعد موافقة أفراد عشيرته وخاصة رضى أهله بالذات. وإذا لم تتم الموافقة على الصلح فقتل القاتل إذا أمكن الوصول إليه شيء مفروغ منه ،وإذا لم تستطع أفراد عشيرة المقتول الوصول إلى القاتل نفسه فإنهم يقدمون على قتل شخص من قبيلته وإن كان ذلك الشخص السدَّاد بريئاً. وعندما يتم الصلح بين الجماعتين المتخاصمتين تأتي الواسطة مع أهل القاتل إلى دار المقتول وينحرون الذبائح ويطبخون الطعام - (المنسف من الأرز أو البرغل وتوضع فوقها الخراف) وتدفع الديَّة لأهل المقتول ويقوم الحضور وخاصة الوجيه الكبير في الواسطة (الجاهة) بعقد راية الصلح البيضاء أمام بيت أهل القتيل، أو على حِنْتَ باب الدار الخارجي (فوق الباب الخارجي لدار المقتول):

١ - وغالباً عندما يدفع المبلغ المتفق عليه لأهل المقتول، فإنَّهم يُشَوِّمُوْنَ به تكريماً للحضور وذلك دلالة على الشهامة والكرامة، وهذا ما يحدث أيضاً عند جيرانهم العرب بالضبط*.

٢ - أما إذا حدث شجار بين شخصين وتدخل أقارب كل منهما دفاعاً عن قريب كل منهما، فإذا كُسِرَتْ يد أحد المتشاجرين، أو كُسِرَتْ رجله ولم يعد ذلك الطرف قادراً على الحركة. ففي هذه الحالة يتوجب دفع مبلغ من المال للرجل الذي تعطلت يده أو رجله عن الحركة يعادل نصف المبلغ المدفوع من قبل أهل القاتل إلى أهل القتيل (نصف الديَّة).

٣ - وإذا ما أصيبت عين أحد المتشاجرين، ولم يعد قادراً على الرؤية من خلالها، أو أنه قد خسر عينه بشكل كامل، فإنه يتوجب في هذه الحالة على أهل الضارب دفع نصف ديَّة رجل مقتول للرجل الذي قد خسر عينه. أما إذا خسر شخص كلتا عينيه أو رجليه، أو يديه، فيعامل هنا كأنَّه مقتول ويدفع له ديَّة كاملة من قبل أهل القاتل هذا إذا لم يكن المبلغ أكبر من الديَّة بكثير لأن ذلك الشخص أصبح مقعداً وعالة على غيره ولربما عمره طويل وما الأعمار إلا بيد الله. فمن هذا المنطلق يدفع للرجل الذي صار عاجزاً مبلغ من المال إن لم يعادل مبلغ الديَّة فإنه يزيد عنه.

---

* - يُشَوِّمُوْنَ: يسامحون.

ومن العرف المتبع عند جماعات النَّور في منطقة السيدة زينب، أن هناك بعض حوادث القتل لا يتم لها دفع ديَّة من قبل القاتل لأهل القتيل:

١ـ إذا ما اعتدى رجل على امرأة أو فتاة بالقوة، سواء كان الاعتداء ليلاً أم نهاراً وقد سمع أحد أقاربها صياحها دلالة على عدم رضاها، ومن ثم جاء إلى مكان الحادث، وتمكن من قتل الرجل المعتدي، فهنا لا تدفع ديَّة للرجل المقتول لأن هذا دفاع عن العِرْض والشرف.

٢ـ إذا صدف أهل المرأة أو زوجها أو أقارب زوجها رجلاً غريباً غير زوجها وهو يضاجعها، فغالباً ما يقتل الإثنان معاً، ولا أحد يطالب بدم الرجل المقتول، وحتى أن أقارب المرأة المقتولة (أبوها ـ أخوها) لا يطالبون بدم ابنتهم المقتولة من قبل أحد أقاربها بالدم إذا كان ذلك حاصلاً. وعلى العكس إذا عرفت امرأة ما أنَّها تضاجع شخصاً ما غير زوجها فإنَّ دمها يُهْدَرَ من قبل أهلها دون أَنْ تُمْسَك وهي في حالة مضاجعة ذلك الرجل المتهم بها. وإذا ما قتلت المرأة توجب عندئذ قتل الرجل المتهم بها بداهة.

٣ـ إذا ما خطفت امرأة نَوَرية من نَوَر السيدة زينب وشاهدها أحد أقاربها مع الرجل الذي خطفها، ففي هذه الحالة يتوجب قتل الإثنين إن أمكن. وفي هذه الحالة لا يطالب أهل المقتول بدم ابنهم، ولا تدفع لهم ديَّة مقابل دم ابنهم، لأن ذلك دفاعاً عن الشرف.

ـ حفلة الزفاف:

بعد أن يُحضَّرَ الطرفان (العريس ـ العروس) الحاجات المادية الضرورية لحفلة الزفاف، يتم تحديد اليوم الذي سيحتفل به بيوم الزفاف. وفي الغالب ما يكون يوم الزفاف عند الغالبية العظمى عند عشائر النَّور في يومي الخميس والجمعة من أيام الأسبوع، وما اختيار هذين اليومين (الخميس ـ الجمعة) كموعد للزفاف إلا تأثراً بالعقيدة الإسلامية التي يعتنقونها لكون الجمعة يوم الراحة والمزاورة عند المسلمين شأن ذلك شأن يوم الأحد عند معتنقي الديانة المسيحية، وبعض الأحيان يتم الزفاف يوم الاثنين وهو مفضل لدى معتنقي الدين الإسلامي تبرُّكاً بهذا اليوم الفضيل الذي ولد به الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم.

وغالباً ما تقام الأفراح لمدة أسبوع قبل موعد الزفاف، وذلك على نغمات الطبل والزمر مرفوقة بالدبكات والرقصات ابتهاجاً بتلك الحادثة التي تجود عليهم بالحرية

الكاملة بممارسة مهنة الطرب الأساسية الملازمة للجماعات النَّورية كصفة إتنوغرافية خاصة بهم أكثر من غيرهم من الجماعات البشرية الأخرى.

وأحياناً تدعى الفرق النَّورية الغنائية المكونة من رجال يدقون على الطبل والطنبورة والشبابة، ومن نساء جميلات من دير العصافير أو من عذرا، أو حتى من حمص يقمن بالرقص والغناء على إيقاع الموسيقى (الحجيّات). وفي يوم الزفاف تبنى خيمة كبيرة بطول يزيد عن الخمس وعشرين متراً (٢٥) وعرض يزيد عن عشرة (١٠) أمتار، من أجل استقبال المدعوين للزفاف إلى جانب الأقارب لكل من العريسين.

ويردد أهل العريس عند استقبالهم القادمين للمشاركة بالحفل بعبارة - أهلاً وسهلاً بالجاي أو بالقادم... ويجيب المدعوون على عبارة الترحاب عند قدومهم إلى بيت الخيمة المنصوبة من أجل هذا الغرض السلام عليكم أو حياكم الله إن شاء الله كل أيامكم فرح... ويقدم أهل العريس الطعام للحضور في مناسف مليئة بالأرز المطبوخ والمغطى باللحم وأحياناً بالصنوبر إذا كان أهل العريس ميسوري الحال.

وبعد أن يتناول الحضور الطعام المعد من أجل ذلك تعزَّل الخيمة من الطعام وتنظف ويصفون كراسي الخيزران المستأجرة كي يجلس إليها المشاركون في حفل الزفاف بعد أن يؤتى بالعريس الذي تحمَّم في حمَّام عام في المدينة، إلى الخيمة المذكورة.

وبعد قدوم العريس وجلوسه في الخيمة إلى كراسي الخيزران مع المشاركين بذلك الفرح تبدأ عملية النقوط من الحضور كل حسب مقدرته ومعزَّة العريس وأهله عليه. وبعد الانتهاء من النقوط تقوم الحجيات بالرقص الغناء، مع مدح للحاضرين بأسمائهم وأسماء عشائرهم مع صيحات الشوباش التي تمتاز بها المرأة النَّورية عن غيرها. وعلى إثر مديح الشوباش، يقوم الشخص الذي امتُدِحَ بتنقيط الحجيَّة التي ترقص وتصيح الشوباش مبلغ يتراوح ٥٠٠ - ١٠٠٠ ل.س. (هذا في التسعينات من القرن العشرين).

في حين كان منذ خمس سنوات لا يزيد المبلغ المنقط عن ١٠٠ - ٢٠٠ ل.س وبعد انتهاء الحفل يأتي شخص من أقارب العريس ويأخذ كل ما جمعته الحجيَّة من الشوباش، في حين تأخذ هي لنفسها على نصيب يعادل ١٠٪ من المبلغ العام الذي كان قد جمع من قبلها أثناء الشوباش من الحضور الذين كانوا قد دعيوا للمشاركة بالحفل.

وبعد الانتهاء من عملية النقوط والشوباش يقوم الحضور للمشاركة بحلقات الدبكة المختلطة من رجال ونساء كباراً أم صغاراً دون تمييز. والشيء الطريف في هذه الدبكة المختلطة يسمح للأناس الغرباء بالمشاركة بالدبكة بين صفوفهم، إلا أنهم لا يسمحون للغرباء أن يصطفوا إلى جانب النساء النّوريات سواء كن متزوجات أم عازبات.

ويتصف النّور جميعاً دون استثناء أنّهم يشاركون بالأفراح بصدق معبرين بذلك على الشعور الداخلي الذي يكنّوه من حبٍّ للفرح والطرب، واحترام وتقدير مقروب بالحب لبعضهم البعض، مما يضفي على الجماعات النَّورية صفة التماسك القوية بين أفراد الجماعة الواحدة من جهة، وبين أفراد الجماعات فيما بينها من جهة ثانية.

وبعد حفلة الزفاف وانتهاء النقوط والشوباش تكون خيمة جميلة وصغيرة قد أعدت للعريسين ليقضيا بها مدة الفرح بعد الزفاف والتي تعرف بحوالي أسبوع. وتكون تلك الخيمة إلى جوار خيمة والده الذي يسكن في بناء غير ثابت.

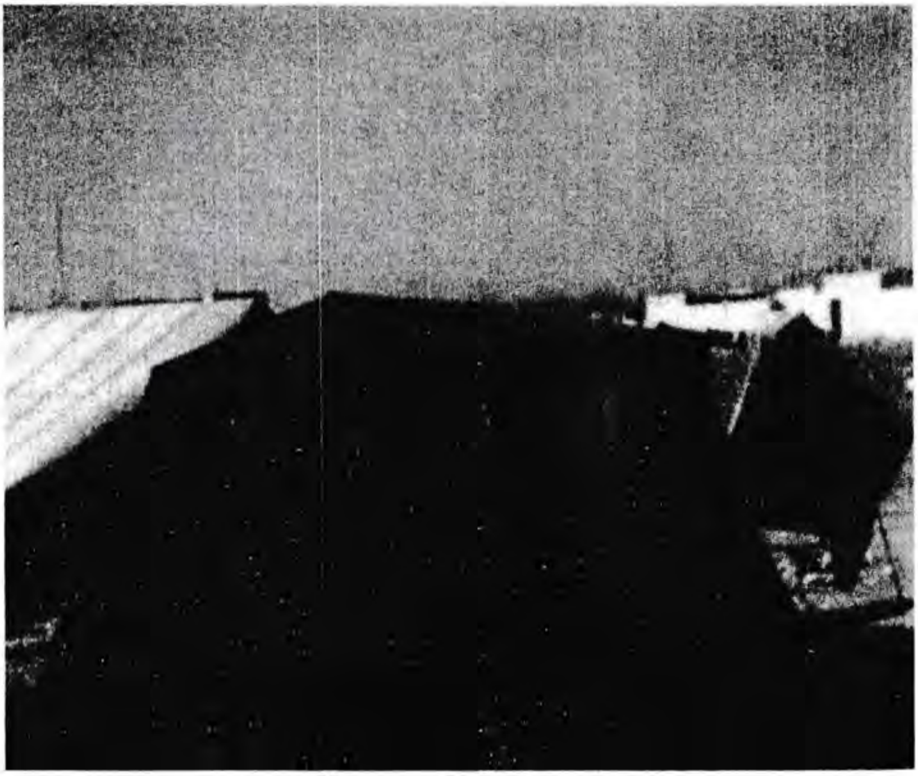

خيمة صغيرة وجميلة أعُدت خصيصاً للعريسين

لقضاء فرحة زواجهما التي تتراوح من ٧ ـ ١٤ يوم

أما إذا كان أهل العريس مستقرين في بناء ثابت كما هو الحال عند نَوَر السيدة زينب، فإن أهل العريس في هذه الحالة يعدُّون غرفة خاصة للعريسين يعيشان بها.

وتجدر الإشارة إلى أن ما يزيد عن ٩٥٪ من النَّور في السيدة زينب يعيشون في أبنية إسمنتية حديثة متعددة الطوابق ومؤثثة بكافة وسائل الحياة الضرورية منها والكمالية الترفيهية منها.

- الطهور:

بما أن عشائر النَّور ALnawar في بلاد الشام يدينون بالدين الإسلامي، نجدهم جميعاً يقومون بختن الأطفال الذكور مع إقامة الأفراح والحفلات الغنائية الراقصة التي يدعون الحجيات لمشاركتهم بفرحهم، حيث يرقصن ويغنُّنَّ. وتسود عادة تنقيط الولد المطهر عن طريق الشوباش أثناء الاحتفال بتلك المناسبة المفرحة لقلوبهم.

إن اهتمام عشائر النَّور - بالختان واحتفائهم الكبير بتلك الظاهرة لدليل على قوة رابطة العصبية القبلية التي تحدد من خلالها علاقة الفرد بجماعته من جهة، وتحدد علاقة الجماعة (العشيرة) ككل مع بقية العشائر النَّورية الأخرى. فبالرغم من أن المرأة في البنية الاقتصادية عند جماعات النَّور كانت ومازالت تعتبر الركن الأساسي في نمطهم المعيشي الذي يتخذ مما تجمعه المرأة من ظاهرة - الشحادة - العمود الفقري له، نجدهم أيضاً يفرحون بولادة الولد الذكر أيضاً ويفرحون بطهوره لأن الرجل في البنية الاجتماعية التي تتمحور في مؤسساتها الاجتماعية وموقع الفرد حول العصبية القبلية التي تقوم على الرباط الدموي هي التي تلزمهم بذلك. ومن أهم صفات البنية القبلية الاجتماعية أن أفراد هذه العشيرة أو تلك تكون مهيوبة الجانب من قبل العشائر الأخرى من خلال عدد أفرادها الذكور فقط.

- الشجار:

تُصنَّف جماعات النَّور بالمشاجرة فيما بينهم لأتفه الأسباب، لأنهم يغلِّبون العاطفة على العقل في معظم تصرفاتهم. وإذا ما حدث شجار، فإن كافة أفراد الجماعة (العشيرة) يهبُّون هبَّة رجل واحد صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءاً، مع تراشق بالسبائب

والشتائم بصوت مرتفع وعالٍ جداً. وغالباً ما تنتهي حوادث الشجار بين أفراد النَّور أو جماعاتها سلمياً دون أن يحدث إراقة للدماء، لدرجة يمكننا القول أن النَّور بصورة عامة جماعة مسالمين يمكنهم أن يتغاضوا ويصفحوا عن كل شيء إلا المساس بالعِرْضِ لا يصفحون عنه، وهذه الظاهرة هي التي غالباً ما تنتهي بإراقة للدم تعقبها عمليات الثأر المؤسفة بين الطرفين المتخاصمين.

والشيء الظريف أن النَّور جميعاً على اختلاف نحلهم يتقنون اللعب بالعصا، فإذا ما حدث خلاف بين جماعتين يمسك كل رجل بعصا وغالباً ما تكون تلك العصي التي يحملونها في شجارهم مع بعضهم البعض أو مع الغرباء، هي الأعمدة الخشبية التي تنتصب عليها الخيام التي يعيشون تحت ظلها.

وقد قال لي أكثر من شخص أن النَّوري بالعصا يمكن أن يصد أكثر من خمس رجال من غير النَّور وذلك بفضل إتقان اللعب بالعصا. وهناك عائلة بالسيدة زينب يفتخرون بالعصا وبفنون القتال بها، وتدعى هذه العائلة (الكريملية) التي يتفاخر رجالها بقدرتهم العالية بالتعامل مع العصا، إذ يقولون:

نحْنْ الكْريمليّةْ عَصَايتْنا رَطِلْ ووْقيِّهْ.

لما بصَدّقْ يطْلّعْ على البرِّية.

كما أن اللعب بالعصا يعتبر بمثابة هواية لديهم. وأن عادة اللعب بالعصا هي من العادات البهلوانية التي يقوم بها الرَّقاصة.

- الأعياد:

يحتفل النَّور في السيدة زينب بعيد رمضان والأضحى شأنهم بذلك شأن المحيط الاجتماعي الذي يعيشون بين ظهرانيه، ويشاركونه باعتناق الدين الإسلامي. ومن عادات النَّور الجميلة في الأعياد أنهم يتناسون الخلافات التي بينهم، ويذهب الرجال جميعاً إلى عند كبير القوم لمعايدته في مضافته (المنزول) حيث دلَّات القهوة المرة الطيبة المذاق مُجلَّسةَ على كانون من النحاس الأصفر وفيه جمرٌ من الحطب الخشبي، وإلى جانب الكانون تجلس برادات القهوة المرة مع فناجين القهوة لتقديمها للمعايدين.

وبعد أن يعايد أفراد العشيرة كبيرهم (شيخهم) يعودون إلى بيوتهم فرحين بذلك اليوم الذي يمحي من قلوبهم كافة الضغائن الصغير منها والكبير، حيث يبدو أفراد العشيرة كأنهم أفراد أسرة واحدة بالفعل لا بالقول فقط. ومن ثم يبدأ الرجال بتبادل الزيارات إلى بيوت بعضهم البعض حيث تقدم السكاكر والحلويات والقهوة المرة والدخان بكافة أنواعه الوطني والمستورد.

وجيه عشيرة من نَوَر السيدة زينب يجلس بمضافته الواسعة
والمبنية من الأسمنت - ومفروشة بالأثاث العربي النظيف
وفي مقدمة ذلك: السجاد اليدوي وأحياناً الآلي الصنع

ويقولون عن حالة الناس في يوم العيد (يوم العيد كل الناس أجاويد) كدلالة على الكرم والسخاء في مثل تلك المناسبات العزيزة عليهم.

ومن العادات الجميلة عند عشائر النَّور لمنطقة السيدة زينب: أنهم يتسامرون ليلاً عند أحد أفراد العشيرة أو عند أنسابهم، حيث القهوة المرة والشاي موضوعة أمام صاحب البيت الذي يلتم به أفراد العشيرة من الرجال. ويقولون عن هذه الجلسة - تَعْلِيلَةٌ - وهي كلمة مرادفة لكلمة - السَّهْرَةَ. وغالباً ما يتبادل الرجال الموجودون الحديث المتعلق بأحوال العشيرة وما يوجد بين أفرادها من خلافات بغية إيجاد الحلِّ لها. وعلى الغالب ما

يتداعى الرجال تلقائياً في المساء من أجل التعليلة إلى البيت الذي قد أعدَّ صاحبه القهوة المرّة كي تطيب الجلسة من حوله وينسر الحاضرون.

إلا أن النقطة السلبية عند النَّور أثناء تبادل الحديث في الجلسات الليلية منها أو النهارية فيما بينهم التكلم بصوت مرتفع دون أية حرمة للمتحدث لعدم إعطائه الفرصة الكافية لإنهاء حديثه.

وإذا ما كان جالس فيما بينهم رجل غير نَوَري فيما بينهم تأخذه الظنون بأن الحاضرين سوف يتشاجرون فيما بينهم كنتيجة للفوضى في الحديث الجماعي وعدم التقيد بآداب الحديث.

ولربما أن عادة التحدث بصوت مرتفع بين أفراد جماعات النَّور مع عدم التقيد بحرمة الحديث كنتيجة طبيعية لوضعهم الاجتماعي العشائري القائم على التنقل والترحال من جهة، والعيش بالخيام من جهة ثانية حيث الحريّة الكاملة للإنسان في الطبيعة بعيداً عن كل القيود المادية والاجتماعية التي تفرضها حياة الاستقرار والعيش بين أربعة جدران.

ومن الصفات التي يتصف النَّور بها بحديثهم إلى جانب الصوت المرتفع وتكلم أكثر من شخص في آن واحد، رفع الأيدي وأحياناً الحركة الكاملة للجسم بحيث يغيّر الرجل من جلسته المتربع بها على الأرض إلى حالة الجثي على الركبتين مع الضرب بالكف على الفخذ كدليل لا شعوري على حالة الانفعال النفسي لديه.

ويجلس النَّور على الأرض جلسة - التربيعة - كما هو الحال عند جماعات البدو الرحل وأهل البادية. ويعود سبب تلك الصفات الملازمة لجماعات النَّور أثناء حديثهم إلى عيشة التنقل والترحال حيث يحتاج المتحدث إلى رفع صوته عالياً مع التأشير بيده كي يوصل الأفكار التي يفصح عنها إلى الطرف الآخر الذي يصغي إليه أو يكلمه.

وجيه من وجهاء النَّور في منطقة السيدة زينب يجلس في مضافته على السجاد الجلسة العربية

(جلسة التربيعة - ١٩٨٧)

ـ طقوس دفن الموتى: .

إن نَوَر السيدة زينب يقومون بدفن موتاهم على الطريقة الإسلامية، حيث يوضع الميت قبل الاحتضار على فراش يكون رأس المريض نحو الشمال وقدما رجليه نحو الجنوب. وتوضع يد المريض على صدره بحيث توضع اليد اليمنى فوق اليسرى.

وبعد الوفاة يغسَّل الميت ويكفن ويصلى عليه بالجامع من ثم يدفن بالمقبرة على الطريقة الإسلامية:

١. يكون القبر باتجاه غرب شرق.

٢. يوضع الميت في القبر بحيث يكون رأسه نحو الغرب ورجليه نحو الشرق. ووضع الميت في القبر يكون على جانبه الأيمن بحيث يكون وجهه متجهاً نحو القبلة (باتجاه منطقة مكة المكرمة).

ومن العادات النَّورية سابقاً البكاء الشديد والصراخ واللطم على الوجه مع خدشه بالأظافر من قبل المرأة عندما يكون المتوفى عزيز عليها. أما الآن بدأ النَّور في السيدة زينب يبتعدون عن هذه العادات (البكاء ـ النواح ـ اللطم على الوجه) وذلك تأثراً بالبيئة

الاجتماعية التي يعيشون فيها. ويزور نوّر السيدة زينب موتاهم في أيام الأعياد تقليداً لعادة الناس المحيطة بهم من أهل دمشق وضواحيها، لدرجة أنهم يأخذون الريحان والورد إلى قبر الميت كما هو الحال عند أهل دمشق وبقية المدن الكبرى مثل حلب - حماه - حمص.

أما قبل الاستقرار عندما يتوفى عندهم شخص فإنهم كانوا يدفنوه في مكان وفاته إذا كانوا بعيداً عن المركز السكني النازلين بجواره ومن ثم يرحلون في اليوم الثاني أو في نفس اليوم خوفاً من تعاظم المصيبة عليهم أكثر من ذلك لأن هذا المكان صار مكان شؤم لهم. وأحياناً يدفنون موتاهم في مقابر البلدة التي ينزلون بجوارها إذا ما كان سكان تلك القرى من المعتقين للدين الإسلامي. إنني أذكر حادثة من هذا القبيل جرت في بلدة نوى بحوران عندما كنت طفلاً حيث توفى عند النَّور الذين جاءوا إلى نوى في مواسم البيادر بعد الحصاد، شاب اسمه محمد كانوا قد دفنوه آنذاك في مقبرة تدعى. مجنّة النبي سام - التي تقع في الطرف الغربي من البلد حالياً. وبعد الدفن قام أهله بالرحيل من بلدة نوى. وبقي القبر واضحاً ويعرف باسم - قبر النَّوري محمد - إلى أن شق طريق معبد يقع على الطرف الشرقي للمجنّة باتجاه الشمال والجنوب في السبعينات مما أدى شق الطريق إلى إزالة قبور كثيرة من التربة من بينها قبر المرحوم محمد النَّوري.

ومن البديهي أن النَّور الذين لازالوا غير ثابتين بمكان ما لا يزورون موتاهم في الأعياد ولا أيام الخميس على مدار العام. ويزور النَّور أهل المتوفي ويأخذون بخاطرهم مع الترحم على الميت وتعديد صفاته الجيدة. في حين البعض يأتون بالذبائح إلى أهل الميت إذا كانت العلاقة جيدة مع أهل الميت. ويتعازم النَّور أهل الميت إلى بيوتهم لتقديم الطعام لهم بمثابة نوع من أنواع المساعدة لأهل الميت، حيث لا يكونون بحالة نفسية تساعدهم على طبخ الطعام لأنفسهم وخاصة إذا كان المتوفى وجيهاً أو شاباً لم يتزوج بعد...

- النمط المعيشي عند النَّور في منطقة السيدة زينب:

يمكننا القول أن كافة العشائر النَّورية في منطقة السيدة زينب هي مستقرة في بيئة ثابتة تتوفر فيها كافة الأمور الضرورية للحياة المعاصرة: كهرباء وما يترتب عليها من أدوات ترفيهية وكمالية، وإلى جانب الماء الحاصلين عليها من آبار قد قام كل ربّ عائلة بحفر بئر في صحن داره، وذلك بالنسبة للنوّر (الذين يقطنون في حي المشتل الواقع

بين السيدة زينب وبين الأراضي التابعة في ملكيتها إلى سكان بلدة - بلدا - أما النَّور المستقرين بالقرب من مفرق حجيرة من منطقة السيدة زينب فالماء ممدوة للبيوت من مياه مسحوبة بقساطل معدنية من قبل الدولة كما هو الحال في بيت السيد /فيصل الخالد/ الحائز على الإجازة في الحقوق والذي يعمل في سلك الشرطة المدنية - وأن معظم عشيرة السناكرة يتواجدون حول مفرق حجيرة.

وأن معظم أفراد العشائر المتواجدة في منطقة السيدة زينب يمارسون العمل المهني اليدوي الحِرَفِي في بيوتهم من قبل الرجال كصنع - الغرابيل - الكرابيل - الطبل - الدف - الربابة - أدوات القهوة مثل المهباج سواء الحقيقية منها، أو المستخدمة من أجل الزينة والتي تباع إما بالجملة لتجار يأخذونها إلى السعودية وإلى دول الخليج العربي، ومنهم يبيعونها بالمفرد على أبواب المقاهي والمطاعم داخل وخارج مدينة دمشق. والغالبية العظمى لنَوَر السيدة زينب يسافرون إلى خارج القطر العربي السوري لفترة مؤقتة بحثاً عن الثروة. وأن عشيرة - الكريملية - تتفرد عن بقية العشائر النَّورية في منطقة السيدة زينب لكون أفرادها يمارسون الضرب على الطبل والزمر من قبل الرجال فقط دون أن يكون مصحوباً بغناء ورقص النساء اللاتي يطلق عليهن تسمية حجيات، علماً أن قسماً من الكريملية يعيشون بالتجارة بدمشق لا زالوا يحافظون على مهنة أبائهم القديمة التي تقوم على الضرب على البزق (الطنبورة) من قبل الرجل، في حين تكون امرأة أو فتاة تقوم بالرقص والغناء على أنغام الطنبورة، تلك الأداة المحببة إلى نفوس النَّور جميعاً، لدرجة أننا نصفها بأداة موسيقية خاصة بالنَّور دون سواهم في قطرنا العربي السوري.

أما نساء النَّور في منطقة السيدة زينب فكلهن إذا لم نقل معظمهن يقمن بعملهن الأساسي والقديم بالذهاب صباحاً على باب الله الكريم، ولا يَعُدْنَ إلا بعد الظهر (الشحادة).

والشيء الطريف أن النساء اللواتي يزيد عمرهن عن ثلاثين عاماً وما فوق لازلن محافظات على لباسهن الشعبي التقليدي المعروف عند جماعات النَّور، والذي يتكون من خراطة طويلة وفوقها كنزة. وتلبس غطاءً على رأسها يطلق عليه الملفع حيث تتركه مسدولاً على ظهرها وصدرها، وتقوم بتثبيت الملفع على رأسها عن طريق شدّه بإشار على رأسها على شكل عصاب دائري يكون طرفا الإشار مسدولان فوق الملفع وفوق ظهر المرأة. وأحياناً تلبس المرأة تنّورة طويلة بدلاً من الخراطة والكنزة معاً.

ومن المهن التي يمارسها الرجال في منطقة السيدة زينب مهنة تربية الخيول الأصيلة من أجل السبق.

- مهنة صناعة الأدوات الزراعية:

إن كافة الرجال من جماعات نُور السيدة زينب كانوا سابقاً يقومون بصناعة الأدوات الزراعية مثل: الغربال - الكربال - المقطف القماحي - المقطف الشعاري - المذراة، في حين حالياً لم يبقى محافظاً على هذه المهنة إلا الرجال المتقدمين بالعمر من سن الخمسين عاماً وما فوق. أما الشباب دون سِنْ الثلاثين وحتى دون سِنْ الأربعين لا يعرفون كيفية صنع الأدوات الزراعية المذكورة، وإنما يقومون بصنع الأدوات الموسيقية الشعبية مثل:

الطبل - الرباب - الدف - الطبلية - إلى جانب صناعة مهابيج القهوة المرَّة. وخير مثال على قولنا الآنف هو السيد فايز الراشد أبو وجيه وأخيه نظمي الراشد فالسيد فايز الراشد الذي يتراوح عمره في الستينات لازال حتى يومنا هذا يمارس صناعة الغرابيل، في حين أخيه نظمي الراشد يتراوح عمره من ٢٥ - ٣٠ عاماً لا يعرف مهنة صناعة الغرابيل... وغيره من الأدوات الزراعية، وإنما يقوم بصناعة الأدوات الموسيقية مثل: الربابة - الطبل. إلى جانب صناعة جرون القهوة (مهباج).

الشاب وجيه فايز الراشد إلى جانب الربابات

التي صنعها بنفسه وفي داره - الوقعة في حي المشتل من منطقة السيدة زينب ١٩٨٧م.

ويمكننا القول على ضوء جولاتي الميدانية بين عشائر السيدة زينب: أن كافة العشائر النَّورية في المنطقة المذكورة هم صُنَّاع باستثناء عشيرة الكريملية الذين مازالوا يمارسون مهنة الرقص والغناء من قبل النساء، في حين يقوم الرجال بالعزف على الطنبورة. وسنحاول قدر الإمكان توضيح المهنة التي يمارسها أفراد العشائر النَّورية كل على حدى:

١. إن عشيرة الحلبي بكافة أفخاذها . الفرح . المرسال . الراشد . الشنينات . البرابرة . السرحان صناع لأدوات موسيقية مثل الطبل . الدف . الربابة . الطبلة . الشبَّابة (الزرنايا) . إلى جانب صناعة المهابيج سواء كانت حقيقية أم للزينة.

. صناعة الربابة والأجران للقهوة المرة ١٩٨٧م:

يتم صنع الربابة كما روى لي السيد نظمي الراشد من الجلد والخشب والأوتار المعدنية والمسامير المعدنية وذلك على النحو التالي:

١. يؤتى بجلد الماعز أو جلد الغنم، ويفضل جلد الماعز لكونه يعطي إيقاعاً موسيقياً أجمل أثناء الضرب عليه. ويؤتى بجلد الماعز أو الغنم من المسلخ، حيث يتراوح سعر الجلد الواحد ما بين ٥ ـ ١٠ ل.س. وأن الجلد الواحد يكفي لصنع عدد من الربابات يتراوح من الثلاثة إلى الأربعة (٣ ـ٤). أما عنق الربابة الذي تشدُّ إليه الأوتار المعدنية فيتكون من خشب الشوح. كما أن الخشب الذي يكون الجوانب الخشبية الأربعة يتكون من الشوح أيضاً. أما إذا كانت الربابة توصاية فإنها تعمل من خشب الزان الجيد ومن جلد الماعز، إلا أن مثل تلك الربابة تكون غالية الثمن.

وتبلغ تكاليف الربابة العادية من ١٠ ـ ١٥ ل.س (١٩٨٧م):

١. عنق الربابة يكلف مع شغله بالمنجره الآلية بحدود ـ ٢ ـ ل.س.

٢. الجوانب الخشبية الأربعة للربابة والمكونة من خشب الشوح تكلف بحدود ٥ ل.س.

٣. ويسمر جلد الماعز على الإطار الخشبي بمسامير كبس. عددها الإجمالي ١٠٠ مسمار بحيث يكون عدد المسامير على كل جانب ـ ١٠ ـ مسامير كبس. وأن ثمن العلبة الواحدة لمسامير الكبس ـ ١٠ ـ ل.س. وأن كل علبة تكفي لشغل عشرة ربابات وذلك بمعدل ـ ٢ ـ ل.س لكل ربابة.

٤ـ أما الأوتار فغالباً ما يضعونها حالياً من الأسلاك النحاسية الدقيقة، في حين كانت في السابق توضع من شعر ذيول الخيل المتينة.

وتباع تلك الربابة المذكورة بعد شغلها بحدود مبلغ ٢٥ ـ ٣٠ ل.س بشكل إفرادي. أما صناعة المهباج (جرن القهوة) تتم على النحو التالي:

إن الجرون الجيدة يصنعونها من خشب البطم بعد أن يجف، وأن الميزة الجيدة لخشب البطم أن خلاياه النسيجية متماسكة غير قابلة للتشقق. ويباع الجرن الجيد من خشب البطم بمبلغ يزيد عن ١٠٠٠ ل.س حالياً. وكلما كانت النقوش النافرة والمحفورة على الجرن وعلى يد الجرن التي يطلق عليها المِدَقّة متقنة وجميلة كلما كان الجرن غالي الثمن. كما يصنع الجرن من خشب المشمش القاسي واليابس إذا لم يكن متشقق لكن ثمن الجرن المصنوع من خشب المشمش أقل ثمناً من نظيره المصنوع من خشب البطم. ويأتي في المرتبة الثالثة خشب جذع شجرة التوت إذا كان يابساً وغير متشقق ١٩٨٨م.

ويمكن للصانع الماهر أن يقوم بصنع جرن واحد على الأقل في مدة لا تزيد عن العشرة أيام. ومن الأشخاص الذين يتقنون صنع الجرون الحقيقية للقهوة المرَّة (المهباج) السيد نظمي الراشد من عشيرة الحلبي. أما الجرون الصغيرة الحجم والتي تصنع من خشب الشوح للزينة حيث توضع في زوايا البيوت والتي يتم صنعها بكميات كبيرة لأشخاص يوصون عليها من أجل المتاجرة بها خارج القطر، أو أن صانعها يقوم ببيع تلك القطع في أماكن الاصطياف بأسعار مرضية، حيث يتراوح سعر القطعة الواحدة ما بين ١٥ ـ ٢٥ ل.س. في حين أن تكلفة القطعة الواحدة لا يتجاوز الخمس ليرات سوري فقط. وغالباً ما يشاهد بائعوا تلك القطع الخشبية المصنوعة على شكل مهابيج للقهوة في سوق الحميدية بمدينة دمشق. وأن السياح الذين يرتادون القطر العربي السوري من أجل ارتياد معالمه الأثرية هم القطاع الكبير الذي يشتري مثل تلك الأدوات الشرقية كهدايا يأخذونها معهم إلى بلادهم. ويقول السيد وجيه الراشد الذي يقوم بصنع تلك الأدوات الخشبية كهدايا خفيفة: أن دخل الفرد يزيد عن ١٠٠٠ ل.س في الشهر الواحد وعلى مدار السنة. وأن الموسم الفعلي لبيع أدوات الزينة المذكورة من مهابيج، أو أراقيل صغيرة يكون في فصل الصيف حيث الحركة السياحية تكون نشطة سواء كانت من

السكان المحليين أو من القادمين من الخارج للإطلاع على معالم القطر العربي السوري الأثرية. ويقول السيد وجيه الراشد الذي يمتهن صناعة تلك الأدوات الخشبية أن معظم الزبائن الذين يشترون تلك الهدايا هم من السعودية ومن دول الخليج العربي الذين يأتون للاصطياف بهذا القطر.

ـ صناعة الطبليات:

يهتم بصناعة الطبليات الصغيرة (الدربكات) رجال عائلة: المرسال ـ السرحان ـ البرابرة. وأن الغالبية من العائلات المذكورة تسافر سنوياً إلى الدول العربية الأخرى مثل السعودية ـ اليمن ودول الخليج من أجل المتاجرة بمنتجاتهم اليدوية: المهابيج الصغيرة والكبيرة ـ الربابات ـ الطبليات ـ الدفوف... ويقولون أنهم إلى جانب المتاجرة بما يأخذونها من مصنوعاتهم اليدوية إلى البلد الذي يسافرون إليه يقومون بممارسة تلك المهنة في ذلك البلد لإنتاج أعداد كبيرة من الأدوات اليدوية الصنع لحساب تجار مختصين بالمتاجرة بالمنتجات الخشبية اليدوية لدى جماعات النَّور ١٩٨٨م.

كما أن الأشخاص الذين يقومون بصنع الطبل والدف في الغالب يسافرون إلى أقطار الوطن العربي لمدة لا تزيد عن الشهرين إما للمتاجرة بما أخذوه من مصنوعاتهم اليدوية، أو لصنع تلك الأدوات الموسيقية في البلد الذاهبين إليه ولحساب أشخاص يتاجرون بتلك الأدوات الموسيقية المذكورة.

ومن بين العائلات التي تسافر إلى الخارج للمتاجرة أو لصنع الطبل والدف في خارج القطر العربي السوري ـ عشيرة البلالات وعشيرة السبعلية (السبع) إلا أن أفراد عشيرة البلالات غالباً ما يذهبون إلى الكويت للمتاجرة بالطبول والدفوف بالجملة، كما أن كثيراً من السبعلية يذهبون إلى الكويت بعد أن يشتروا من سوريا كميات كبيرة من العيدان الموسيقية (جمع عود) من أجل المتاجرة بها بالجملة وبالمفرق بالكويت وبقية دول الخليج العربي.

وحسب قول السيد نظمي الراشد، وقول السيد وجيه الراشد أن أفراد العائلات المذكورة الذين يذهبون إلى خارج القطر العربي السوري من أجل الحصول على الثروة عن طريق المتاجرة بمنتجاتهم اليدوية المذكورة على الأغلب ما يصطحبون معهم النساء

طيلة فترة غيابهم والتي تتراوح من شهر إلى شهرين لأن الرجل النَّوري لا يمكن أن يمكث أكثر من ثلاثة شهور كحد أقصى بعيداً عن بيته وأطفاله، حيث العاطفة عندهم تشدهم بقوة إلى صغارهم وإلى بلدهم الأم على حدُ قولهم.

أما إلى اليمن فيذهب إليه أفراد . البرابرة (الذين يشكلون أحد فروع عشيرة الحلبية) رجالاً ونساءاً حيث يتاجرون بالربابات والمهابيج.

وتجدر الإشارة إلى أن جماعة السرحان التابعين إلى عشيرة الحلبية يقومون بصناعة الغرابيل حتى يومنا هذا إلى جانب صناعة . الغربال . الربابات . الطبل . الدف . المهابيج الصغيرة منها والكبيرة. ويباع الغربال الواحد بخمسين ليرة سورية. أما الغربال الذي يعمل توصايا من أجل المحامص والذي يزيد قطر إطاره الخشبي (الطّارة) عن مئة وخمس وعشرين سم، فإنه يباع بمبلغ يزيد عن المئة ليرة سوري. كما أن الكبار من عشيرة . الدرزنكي لا زالوا حتى اليوم يقومون بصنع الغرابيل، إلى جانب صناعة الطبول والطبليات أو الدفوف وعلى الأخص إذا جاءهم أحد وطلب كميات كبيرة من تلك الأدوات الموسيقية االطبل . الدف . الربابة . الطبلية ا ويهتم بصناعة الغرابيل حتى الآن المتقدمون بالسن من عشيرة الحلاولية سواء الموجودين منهم في منطقة السيدة زينب، أو الموجودين في منطقة الدرخبية التابعة لبلدة الكسوة. كما أن المتقدمين بالسن من عشيرة البلالات لازالوا يقومون بصناعة الغرابيل والكرابيل حتى يومنا هذا مثال. صبحي البلالات أبو سلطان، في حين إخويه: تيسير . عصري . يمارسان صناعة الطبل والدف والربابة والطبليات /١٩٨٨م/.

. المتاجرة بالخيول الأصيلة:

يمارس بعض الأشخاص من عشائر النَّور في السيدة زينب مهنة تربية الخيول الأصيلة والمتاجرة بها كهواية وكمهنة من أجل الاستفادة منها بالمسابقات التي تقيمها الدولة وتشرف عليها.

ومن بين المهتمين باقتناء الخيول الأصيلة السادة:

١. السيد فريد شنينات (الحلبية) أبو أحمد. وقد اشترك الشخص المذكور في معظم السباقات التي أقامتها الدولة على طريق صحنايا.

٢. السيد أحمد سليم من عشيرة السبع، والمعروف بـ أبو أحمد . يعتبر الوحيد الذي يهتم بتربية الخيول الأصيلة من عشيرة السبعلية التي تعتبر من أكبر عشائر النَّور في منطقة السيدة زينب، ويعرف أفراد هذه العشيرة بالشجاعة والجلافة لا في السلوك وحسب، وإنما في لهجتهم عندما يتكلمون بلسانهم النَّوري (اللغة الدومرية). ومن الأشخاص الذين يهتمون بتربية الخيول العربية الأصيلة من أجل الاشتراك في المسابقات السادة التالية أسماؤهم وذلك نقلاً عن السيدة صَبْحَه محمود السَّبْع:

١. السيد نواف إسماعيل خضر الذي ينتمي إلى عشيرة السناكرة.
٢. غالب حسين فياض.
٣. فريد موصللي.

وقد اشترك هؤلاء بالسِّباق الذي أقيم بمنطقة الذيابية إلى الجنوب من بلدة السيدة زينب، واشتركوا أيضاً بسباق قد أقيم في مدينة حمص.

ومن الملاحظ أن النَّور في منطقة السيدة زينب في غالبيتهم لا يمارسون مهنة تركيب الأسنان الصناعية وتلبيسها باستثناء شخص من عشيرة الحلبي من جماعة الراشد ويدعى فتحي الراشد الملقب بـ أبو حسن.

ـ تربية الحجل:

مما لاحظته أن البعض من نَوَر السيدة زينب لا زالوا حتى الآن يهتمون بتربية طيور الحجل من أجل الاستمتاع بالهواية المفضلة لدى الغالبية من جماعات النَّور والتي تقوم على صيد الحجل البرِّي في المناطق الوعرة بمساعدة تلك الطيور من ذكور الحجل التي يربونها، لكن هذه المهنة انحسرت حالياً لأن البيئة عندنا نتيجة للصيد الجائر، قد تدمَّرت شبه نهائي، ولم يبقى أي شيء للصيد.

ويذهب النَّور في منطقة السيدة زينب لصيد طيور الحجل إلى المناطق الوعرة مثل منطقة سرغايا وأحياناً يذهبون إلى وعر منطقة اللجاة بحوران وإلى وعر الجولان هذا قبل عام ١٩٦٧م. وأحياناً يذهبون إلى المناطق الجبلية مثل منطقة عسال الورد ـ و ـ منطقة عرسال بمنطقة بعلبك. ويصل ثمن الذكر الواحد التربابة من طيور الحجل والجيد في الصيد إلى مبلغ يتراوح ما بين ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ ل.س أما الفرد الواحد من الحجل البري

الذي يتم صيده دون أن يصاب جسمه بأذى فإنه يباع بمبلغ يتراوح من ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ل.س فقط ١٩٦٧م. وتتم عملية الصيد عن طريق الحجل على النحو التالي:

يؤخذ طير الحجل الموضوع في القفص والذي يكون على الأغلب ذكراً دون أن تكون له أنثى كي يكون صياحه كثيراً وعالياً (قَرْقْ). ويوضع إلى جانبه شبكة منسوجة من خيوط قطنية تنتهي بخيط طويل يمسك به الصياد الواقف بعيداً عن قفص الحجل الذكر الذي يأتي الحجل البري إلى عنده عن طريق الاهتداء بالصوت الذي يصدر منه. فعندما يصبح الحجل البري ضمن الشبكة يشد الخيط الذي بيده إليه فتنغلق الشبكة على الحجل المسكين ومن ثم يتم القبض عليه.

طفلة جميلة من بيت الراشد (الحلبي)
تحمل بيدها القفص الموضوع به ذكر طير الحجل

- **تأجير البيوت:**

تنفرد عشيرة السناكرة عن بقية عشائر النَّور في منطقة السيدة زينب أن جزءاً كبيراً من دخلهم يحصلون عليه عن طريق تأجير غرف من بيوتهم ذات الغرف الكثيرة والمتعددة الطوابق. وخير مثال على ذلك دار السيد أبو فيصل الخالد الكبيرة المساحة والمتعددة الغرف، حيث تقع مقابل فرن آلي في بداية منطقة السيدة زينب إلى اليمين من الطريق القادم من مفرق حجيرة كما أن هناك بيوتاً قد أجرت لوكالة غوث اللاجئين كمدارس مثال على ذلك:

١. مدارس علما ـ وبيت جبريل اللتان هما ملكاً للسيد أبو فيصل الخالد.

٢ـ مدارس ـ كفر قاسم ـ دلاّتا، حيث تعود ملكيتها إلى السيد مُرَوّح أحمد الخضر.

٣. هناك السيدة ـ رسمية عثمان ـ التي تملك بيتاً وفيه مستأجر لم يرضى بإخلاء بيت السيدة المذكورة، مما اضطرها إلى بيعه بمبلغ مليون ليرة سورية دفعت منه مبلغ (٢٠٠) ألف ليرة سوري للسمسار وضرائب للدولة، في حين وظفت المبلغ الباقي (٨٠٠ ألف ليرة سورية) بالفائدة السنوية عن طريق البنك لتأمين مستقبل أولادها وبناتها.

وتعتبر عشيرة السناكرة من أكثر عشائر النَّور في منطقة دمشق أكثر استقراراً ووعياً. وأن قسماً لا بأس من شبابها قد تعلموا ويحصلون على دخلهم مقابل عملهم الوظيفي في دوائر الدولة المختلفة بمدينة دمشق.

- **صيد حيوان النيص:**

لازال النَّور السناكرة حتى يومنا هذا يقومون بتربية كلاب البوجي التي تكلمنا عنها في فصول سابقة، وعن قدرتها على معرفة بعض الحيوانات وهي قابعة في حجورها ليلاً وخاصة مع الفجر عن طريق حاسة الشم القوية لديها والمقرونة بقدرة عضلية كبيرة قياساً بالقوة العضلية لكلب ـ السلاقي.

ومن أهم الحيوانات التي يصطادها النَّور ـ حيوان النَّيص الذي يصل وزنه أحياناً ما يزيد العشرين كيلو غرام. وغالباً ما يتخذ الحيوان من التلال المكونة من الطف

البركاني وكراً له. ومن طباع ذلك الحيوان أنه يخرج من جحره ليلاً للبحث عن الطعام الذي يتكون من الأعشاب الرطبة واليابسة ويعتبر نبات البسباس الذي يشبه إلى حد كبير نبات ـ الشُومرْ ـ بالشكل والطعم والرائحة. الطعام المفضل لدى النيص شأنه بذلك شأن حيوان الوَبْري الذي يشبه شكل الجمل ولكن بحجم صغير لا يتجاوز حجم الجدي ويتواجد حيوان الوبري في الجزء السفلي من مجرى وادي الرقاد ذي المنشأ الانهدامي، والذي يدعى بـ طَعيمْ. والذي يبدأ من جسر الرقاد القديم (الخربان) إلى الشرق من بلدة صيدا في القطاع الجنوبي من الجولان وحتى نقطة التقاء الوادي المذكور مع نهر اليرموك في نقطة تسمى ـ المقارن ـ أو المجامع. حيث يبني حالياً سدٌ مشترك بين الأردن وسورية ـ يدعى بسدُ الوِحْدَة.

ـ العمل بالفاعل: (العمل بالمْياوَمَة)

ويزاول قسم كبير من نوَر السيدة زينب العمل بالفاعل سواء كان بالمعامل، أو في الأعمال الزراعية أو الأعمال الآلية الحديدية، فعلى سبيل المثال:

١ـ شباب عشيرة الدرزنكي ـ يقومون بتجليس القضبان الحديدية التي يتم الحصول عليها بعد هدم البناء القديم.

٢. شباب عشيرة ـ الضباعنة ـ يمارسون العمل المأجور على اختلاف أشكاله.

٣. شباب عشيرة ـ الحلاولية ـ يمارسون العمل المأجور أيضاً في مجال الزراعة المروية: كزراعة الخضروات والبطاطا وتحويشها ـ ويمارس شباب الحلاولية والضباعنة العمل الزراعي القائم على الاهتمام بزراعة الأشجار المثمرة. وتجدر الإشارة أن قسماً من عشيرة الحلاولية في بلدة ـ الدرخبية ـ يمارسون العمل الزراعي المأجور، وأن قسماً منهم يمتلكون الأرض الخاصة بهم والتي يقومون بزراعتها بالزراعات المروية لحسابهم.

٤. كما أن قسماً كبيراً من شباب ـ الشنينات ـ الذين يشكلون أحد فروع عشيرة الحلبية يمارسون العمل المأجور في المعامل الخاصة منها والحكومية.

٥. إن شباب عشيرة ـ السناكرة ـ بدأوا بالعمل بالمعامل الحكومية قبل بقية شباب عشائر النّور الأخرى لأنهم الأقدم باستقرارهم في منطقة السيدة زينب حيث استقروا ما بعد عام ١٩٤٨ بعد مجيئهم من منطقة صفد بفلسطين المحتلة.

إن ظاهرة العمل المأجور لدى شباب النُّور القاطنين في السيدة زينب تعتبر تحولاً نوعياً في النمط الحياتي الذي تناقله النَّور لأجيال عديدة والقائم على ممارسة الأعمال المهنية الحرة مع الاعتماد الكلي على ما كانت تجلبه المرأة النُّورية من عملها الذي تعرف به منذ القديم ألا وهو - الشحادة - أو حسب تعبيرهم أن المرأة تذهب على باب الله الكريم لتجلب الأكل والدراهم لبيتها، في حين يكون زوجها وأولادها قابعين في خيامهم ينتظرون ما يمكن أن تسفر عنه رحلة العاملة في الخلية النُّورية (الأسرة). وقد كان الرجال في السابق يقومون بتحضير شراب القهوة المرَّة وتناولها طيلة فترة انتظار النساء اللواتي ذهبن من الصباح وحتى رجوعهن إلى خيام أزواجهن وآبائهن بعد الظهر. وغالباً المرأة ما تشحد على فترتين:

١. الأولى صباحية - تبدأ من الساعة الثامنة تقريباً وحتى الواحدة بعد الظهر.
٢. والثانية تبدأ من بعد العصر تقريباً وحتى آذان المغرب.

حيث كانت تعود المرأة محملة بطبيخ متنوع معبوك مع بعضه البعض وفي إناء واحد وعلى إثر ذلك يقول الفلاحون عن الشيء الذي يحوي أكثر من صنف من الطعام وبشكل غير متناسق لا في النوع ولا في الطعام - مثل طبيخ النَّور - ويقولون ذلك على المشكلة المعقدة ذات الخيوط غير الواضحة بغية حلّها فيقولون عنها مثل - طبيخ النَّور -.

- التجارة بالحمير والخيول:

كان الكثير من العشائر النُّورية في قطرنا العربي السوري يمارس أفرادها التجارة بالخيول والحمير الهزيلة، بعد أن يسرحوا بها في أيام الربيع في المناطق الخصبة الكثيرة الأمطار، كما هو الحال في منطقة الجولان: مثل منطقة عين ذكر - ومنطقة زعورة - عين فيت - قرحتة - الفجر في القطاع الشمالي من الجولان وذلك في الأقدام الغربية الجنوبية لمنحدرات جبل الشيخ.

ومن العشائر التي كانت تمتهن - بيع الدَّواب وتسمينها: عشيرة الكريملية - الحسيِّكيات - الشعارنة - السناكرة. يقول السيد خالد الأسعد من الكريملية:

أن الكريملية في الماضي كانوا يتاجرون بالخيول والحمير، وينتقلون بدوابهم من مكان إلى آخر من القطر العربي السوري من أجل تسمينها كي تباع فيما بعد للفلاحين في منطقة الجزيرة وجبل العرب أثناء مواسم الحصاد والدراس.

وقال أن النَّوري سابقاً من تلك العشائر المذكورة كان يشتري الحمير والخيول في نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع بعد أن يكون الفلاح قد أنهى كافة أعمال الفلاحة من حصاد ودراس وزراعة، حيث تهزل حيوانات الفلاحة نتيجة العمل المتعب وقلة الطعام والأعلاف لها عند من يقتنيها، ولهذا فإن النَّور كانوا يشترون تلك الحيوانات بأسعار رخيصة. وبعد أن يشتري النَّور تلك الحيوانات يبدأوون بتعليفها عن طريق التبن والشعير الذي كانت تشحده النساء النَّوريَّات. وقد كنت أشاهد النَّوريات وهن يدرن إلى بيوت الفلاحين شتاءاً لاستعطاء التبن والشعير لدوابهم المربوطة أمام خيامهم المنصوبة على أطراف القرية. وما أن يحل الربيع وتنمو الأعشاب الفصلية يرحل النَّور إلى مجاري السيول والأودية لتوفر الماء والحشائش لحيواناتهم. وقد كان النَّور في المنطقة الجنوبية من سوريا يرعْوْن حيواناتهم في منطقة عين ذكر التي تقع إلى الغرب من بلدة ـ تسيل بحوران ـ حيث الماء الجاري طيلة أيام الربيع، والأراضي الواسعة المشاع الصالحة لرعي الخيول والحمير. وفي بداية فصل الصيف وأول موسم الحصاد يبدأ النَّور ببيع تلك الحيوانات التي قد سمنت وتحسنت جسدياً نحو الأفضل، في منطقة جبل العرب لاستخدامها في عمليات الحصاد من ركوب وجر، ومن ثم من أجل الدراس عن طريق جر اللوح الخشبي الموضوع في وجهه السفلي قطعاً من الحجارة البازلتية الكثيرة التجاويف من أجل تقطيع وسحق القش (ساق القمح وساق الشعير المحصود والموضوع في البيدر). وغالباً ما تكون الأرباح التي كان يجنيها النَّور من تجارة تلك الدواب أضعافاً مضاعفة قياساً لثمنها البخس الذي كانوا قد اشتروها به وهي هزيلة الجسم في فصل الشتاء حيث التبن والعلف عند الفلاح قليل الكمية. وأحياناً تكون الدواب التي يشتريها النَّور من الفلاحيْن حيوانات هرمة متقدمة في العمر، لدرجة لن يكون منها فائدة فعَّالة في أعمال الفلاحة. ويشارك العشائر: الشعارنة ـ السناكرة ـ الكريملية ـ في المتاجرة بالحمير والخيول النَّور المطاربة المتواجدين في منطقة الساحل السوري ومنطقة العريضة وتل كلخ. وكذلك النَّور في منطقة القدم الذين يطلقون على أنفسهم حسب ادعائهم ـ أكراد ـ ويسكنون في منطقة القدم على

يمين الطريق العام الذي يبدأ من مفرق كازية القدم بدمشق وهو متجهاً نحو الشرق. كما أن النَّور التركمان في منطقة الجورة كانوا سابقاً يتاجرون بالخيل والحمير حيث كانوا يسمونها في منطقة عين ذكر من الجولان. وفي مقدمتهم أبو محمد - الذي يسكن في الجورة. ويعرف هؤلاء بالطنجرليَّة.

فقد قال السيد - شريف الظاهر من نَوَر - دبوسيَّة - في منطقة العريضة: أن الكبار في العمر من النَّور المطاربة لازالوا حتى اليوم يتاجرون بالخيول والحمير من أجل بيعها للفلاحين في منطقة الساحل وجباله من أجل الفلاحة عليها من قبل الفلاحين هناك. وكان السيد شريف الظاهر نازلاً وجماعته في أطراف بلدة القنَّية (على يمين الخط العام الذاهب من دمشق إلى درعا وإلى الشمال من بلدة القنية إلى الغرب من الجسر الذي تمر فوقه السيارات على الطريق العام ١٩٨٨م) وقال أنَّه بعد أن ينتهي شهر رمضان سيرجعون إلى منطقة العريضة وسيشتري دوابًّا للمتاجرة بها من أجل بيعها للفلاحين في منطقة الساحل مع بداية موسم الفلاحة والحراثة:

السيد شريف الظاهر من مطاربة منطقة دبوسية بالعريضة
والذي يعمل في المتاجرة بالخيول والحمير إلى جانب الضرب على الطبل إذا ما دعي إلى مناسبات الأعراس - الطهور - النذر - تسريح شاب من الخدمة الإلزامية

وغالباً ما يطلق على الشخص الذي يهتم بتربية الخيول الأصيلة التي تستخدم للركوب والسباق فقط دون الجر والحراثة، لقب /سايس خيل/. وقد كان الكثير من نور العشائر التي كانت تمتهن التجارة بالخيول والحمير حتى الستينات من القرن العشرين يعملون خدماً عند سيّاسي الخيل أمثال رجال الكريملية كما روى السيد ـ خالد الأسعد (أبو محمد ٧٥ سنة يسكن في حارة علي الوحش بالسيدة زينب).

ـ مهنة الضرب على الطبل والزمر:

ينفرد أفراد عشيرة ـ الكريملية ـ عن بقية العشائر النَّورية الأخرى في منطقة السيدة زينب في أيامنا الحالية بأنهم لازالوا حتى يومنا هذا محافظين على مهنة الضرب على الطبل والعزف على الطنبورة (البزق) وعلى الزرنايا (المزمار) وعلى الزمر (الأرغوان). وأن النساء عند الكريملية يقمن بدور الحجيَّات حيث الرقص والغناء المتقن الأداء على إيقاع الضرب على الطبل والنفخ بالأرغن والعزف على الطنبورة.

لكن السيد ـ خالد الأسعد (أبو محمد ـ قال لي في ١٣ / ٦ / ١٩٨٦ من يوم الجمعة: أن الرجال من عشيرة الكريملية كانوا يمارسون الغناء لوحدهم على إيقاع الضرب على الطبل، ولحن الزرنايا، دون أن تشاركهم نساءهم في إحياء الحفلات التي يدعون عليها. وقد أردف السيد خالد الأسعد قائلاً: أن الكريملية كانوا يعملون نَوَاساً فقط شأنهم بذلك شأن النَّور التركملية في دير العصافير، حيث الرجال فقط هم الذين يحيون الحفلات التي يدعون إليها من أجل الضرب على الطبل المصحوب بالرقص يقوم به الرجال والذي يمتاز بحسن الأداء وخفة الحركة. وقد كرر لي السيد خالد الأسعد مراراً أن نساءهم لا ترقص ولا تغني حالياً ولا في السابق إلا أن هذا القول فيه شك للأسباب التالية:

١. أن أفراد عشيرة الكريملية كانوا يحيون حفلات الرقص والغناء التي يشترك بها الرجال والنساء في الماضي وحتى الخمسينات من هذا القرن الحالي لدى أغنياء وشيوخ البادية السورية وشيوخ الجزيرة ووجهاء العشائر من أجل الحصول على عطاءاتهم السخيَّة التي غالباً ما تكون من الخراف. ومازال المتقدمون في السن من الكريملية يقصدون شيوخ البدو في كل من البادية والجزيرة بما في ذلك المناطق الشرقية من سوريا ـ الرَّقة

ودير الزور. فقد قال السيد خالد الأسعد إن شاء الله سنذهب إلى منطقة الجزيرة في القريب قاصدين باب الله الكريم حيث يمكن أن نحي حفلات الأعراس، والنذر وحفلات العائدين من الحج، علماً أن السيد المذكور يسكن في منطقة المشتل بالسيدة زينب في دار تزيد مساحة أرضها عن (٢٠) عشرين قصبة ذات طابقين وفيها بئر ماء تضخ الماء منها على الكهرباء. كما أن الدار مؤثثة بالأثاث الجيد وفيها كافة الضروريات والكماليات من الأدوات العصرية وأن عمره يزيد عن خمس وسبعين عاماً. ١٩٨٦م.

٢- إن كثيراً من العائلات من نَوَر الكريملية يعيشون بالتجارة يمارسون مهنة (الحجيات مثل السيد - أحمد منصور مرعي (أبو أحمد) وبناته وأولاده الذين يعملون بالإذاعة السورية منال - سهام - جميلة.

٣- قال لي السيد خالد الأسعد: أن الكريملية في الماضي كانوا يمارسون مهنة اللعب على الحبل حيث المرأة تضع في قدميها لوحاً من الصابون ومن ثم تقوم بالمشي على الحبل المرفوع عن الأرض بما يزيد عن أربع أمتار عن طريق تثبيت طرفيه على قطع خشبية مغروسة بشكل جيد بالأرض بشكل عمودي.

كما أن الرجال كانوا يجلسون بلقن معدني وغالباً من النحاس وفي منتصف المسافة للحبل المشدود، ومن ثم يقوم الرجال بالفتل بسرعة بشكل محوري حول الحبل. وهناك الكثير من الرجال كانوا قد فتنوا بالنساء النَّوريات اللواتي كن يلعبن على الحبل لدرجة أنهم تزوجوا من بعضهن وخير مثال على ذلك: السيد عبد المجيد الديري الذي تزوج من زكية بنت ذيب البيلهوان الذي كان مع ابنته عندما لعبت على الحبل في بلدة الشيخ مسكين بحوران عام ١٩٥١ م.

مما سبق نعرف أن الكريملية في السابق كانت نساؤهم تقوم بممارسة مهنة الحجيات. وقد قال السيد خالد الأسعد أن هناك بعض العائلات من النَّور الكريملية يتواجدون في منطقة النَّبك - وقارة تمارس نساؤهم مهنة الرقص والغناء (الحجيات) كما أن هناك عائلتين كريمليلية تتواجد أفرادها في بلدة - ريما - بين يبرود والنبك (علي السليم - عادل جميل - يعيشون في الخيام إلا أنه في عام ١٩٨٦ بدأوا ببناء بيوت إسمنتية ثابتة).

وتعتبر عشيرة الكريملية العشيرة النَّورية التي خرجت منها مغنيات جميلات الصوت يطلقون عليهن تسمية فنّانات مع تقدير وإعجاب بهن وبوضع أسرهن المادي أمثال:

١. سعاد توفيق بنت محمد توفيق الملقب بـ أبو عفينة. ولسعاد توفيق عدد من الأخوات اللواتي يتمعن بصوت جميل. وقد بدأ السيد محمد توفيق حياته الفنائية بعد أن تزوج من فتاة كانت تعمل حجيّة، حيث صار يذهب وإياها إلى الملاهي وأماكن الاستراحة.

فكان الزوج يعزف على البزق (الطنبورة) في حين زوجته تغني وترقص وهكذا إلى أن تحسنت حالتهما المادية وبعد أن كبرت ابنتهما سعاد صار يعلمانها الغناء إلى أن ذاع صيتها فوصلت إلى الإذاعة والملاهي.

٢ـ جميلة بنت محمد منصور (المعروفة بجميلة البدوية). ولجميلة أخوات جميلات ويجدن الغناء والرقص. أمل. سهام. وأنهُنَّ يغنين في ملهى شهرزاد مع ذياب مشهور في منطقة الربوة بدمشق.

ويقول شباب الكريملية أن الفنانات النَّوريات المذكورات يُلَبينَّ الدعوة لإحياء حفلات الأفراح عند النَّور الكريملية في السيدة زينب بكل سرور، ودون أن يأخذن أجراً على عملهن الفني لا بل تكون الفنانة شاكرة أهل العريس لدعوتها حضور العرس.

وهناك السيد، محمد عبد الكريم ـ الذي يحسن العزف على الطنبورة (البزق) لدرجة أنهم يصفونه بأمير البزق ـ وأن كل هؤلاء الفنانين يعيشون في حي التجارة بمدينة دمشق أمَّا المطربة. يسرى البدويَّة فهي من. عشيرة الهرامشة. فخذ السروج.

ـ الآلات الموسيقية:

إن الآلات الموسيقية التي يستخدمها النَّور في الحفلات الفنائية التي يحيونها هي بسيطة وبعيدة عن التعقيد. وتتكون من الأدوات التالية:

١. الطبل.

٢. الزرنايا (الشبابة).

٣. الزمر (الأرغن).

٤. البزق (الطنبورة). إن هذه الأداة الموسيقية منتشرة في منطقة آسيا الوسطى.

ويستخدم الطبل بصورة عامة في الحفلات الريفية البعيدة عن الأربع جدران، لأن صوت قرع الطبل يكون مرتفعاً لدرجة يمكن سماعة من على مسافة أكثر من واحد كم. ويكون الطبل والقرع عليه بمثابة المنبه الذي يوقض السامع لقرعه. ويستخدم في حفلات العرس والطهور. وكان يستخدم القرع على الطبل من قبل أناس من النَّور ليلاً في شهر رمضان في القرى والمدن لإيقاض النيام من نومهم من أجل تحضير وتناول طعام السحور. وكان الضارب على الطبل يصح بأعلى صوته عند باب كل دار يمر من عندها عبارة - يا نايم وحِّد الله - مع قرع شديد على الطبل حتى يخرج أحد من أصحاب الدار كي يجزى على عمله هذا وغالباً ما كان الجزاء من الخبز والحلوى قديماً وأحياناً بعض الفلوس.

أما بقية الأدوات الموسيقية فغالباً يكون استعمالها في حفلات الرقص والغناء وخاصة الزمر والزرنايا منها. أما آلة البزق فغالباً ما تستخدم في الملاهي لأنها ذات إيقاع هادئ تشبه العزف على العود إلى حدٍّ ما.

طفل من نَوَر السيدة زينب ومن عشيرة - الكريملية -

وبيده آلة الموسيقى - البزق: الطنبورة - الخاصة بالنَّور والتي تشبه آلة العود إلى حدٍّ ما

ـ ظاهرة الشحادة:

إن النساء في منطقة السيدة زينب دون استثناء كنَّ في الماضي يذهبن من الصباح الباكر وحتى المساء على باب الله الكريم كما يقولون عن الشحادة تعبيرهم المحلّي. لكن بعد أن استقروا في البناء الإسمنتي الحديث منذ عشرين عاماً على أكثر تقدير بدأت هذه الظاهرة (الشحادة) التي تعرف بها المرأة النَّورية بالانحسار التدريجي. فالمرأة حالياً وخاصة الشابات منهن يلازمن بيوت أهلهن ولا يخرجن من أجل الشحادة. وأقل النساء حفظاً لهذه العادة تلك النساء اللواتي يعمل أزواجهن في صناعة الغرابيل والدربكات والطبول وشغل مهابيج القهوة والربابات.

وبالرغم من التحسن الواضح في المستوى المعيشي عند جماعات النَّور لمنطقة السيدة زينب مازالت بعض النسوة تمتهن عادة ـ الشحادة ـ وعلى الأخص إذا لم يكن عند تلك المرأة رجل شاب معيل لها. وللشحادة عند نَوَر السيدة زينب نموذجان هما:

ـ تقوم نساء بعض العشائر المستقرة في السيدة زينب بممارسة الشحادة المعتادة التي تذهب المرأة من أجلها منذ الصباح وحتى العصر، إلى المراكز السكنية المجاورة للسيدة زينب لا بل أحياناً تبتعد المرأة إلى مسافات بعيدة عن منطقة السيدة زينب. ولا تأخذ المرأة معها أي شيء كي تبيعه للنساء الجالسات في بيوتهن. وإنما تقرع النَّورية الباب وتطلب من أهل الدار الحسنة منهم مع قول بعض العبارات العاطفية لاستدرار عطف أهل الدار كقولهن: الله يخليلك صاحب بيتك ـ الله إن شاء الله يجيب صاحب بيتك بالسلامة ـ الله اخللي لك أولادك ـ الله يشفي لك ابنك أو زوجك إذا كان مريضاً.... الخ. ويقمن بعملية التبصير بالحصى.

وتطلب حالياً النَّورية من صاحبة البيت: الزيت ـ الصابون ـ السكر ـ الرز ـ الشاي ـ الملابس ـ الطعام والخبز. أما منذ فترة لا تزيد ٢٠ عشرين عاماً كانت المرأة النَّورية من مال الله: الطحين ـ البرغل ـ العدس ـ القمح ـ الحمص ـ الخبز ـ وبصورة خاصة (الطحين والبرغل) ١٩٨٨م.

ـ وفي المساء تطلب النَّورية طعام العشاء الذي كان في الماضي وعلى الأغلب من طبخ البرغل المتنوع بطريقة طبخة: مُجَدَّرَة ـ مليحية ـ برغل مع بندورة يابسة أو طَرية ـ

برغل مع دبس البندورة... شوربة عدس - حراق اصبعوا .... وكانت المرأة النَّورية تضع كل ما تشحدة من طعام مطبوخ في إناء واحد، مما يجعل الطبيخ متنوع في مذاقه وفي تركيبه، لدرجة كان الناس يقولون ومازالوا حتى يومنا هذا يقولون: - خبيصة مثل طبيخ النَّور - أو - عبيكه مثل طبيخ النَّور - كدلالة على الشيء غير المتناسق في الطعم ولا في التكوين. وتعود تلك النسوة التي تذهب على باب الله الكريم من الصباح حتى المساء ودون أن تأخذ معها شيئاً للبيع بنسبها إلى العشائر النَّورية التالية: الكريملية - الحلاولية - الضَّبَّاعِنَة - الحَلَبيَّة - الموصللي الدرويش.

أما نساء عشيرة: السبع - البلابلة - المغاربة. فيأخذن معهن بعض الأشياء لبيعها للنساء اللواتي يشحدن من البيوت الموجودات فيها. والأشياء التي تأخذه النساء النَّوريات للبيع هي: الكحل - الأمشاط - الأبر - المسال - ملاقط - شكالات - حَلَق من المعدن بوضع في آذان البنات الصغار على شكل أقراط - كشاتبين - وبحجة عرض تلك الأشياء المذكورة تطلب المرأة النَّورية الملابس أو الطعام، وقد قال لي السيد خالد الصايغ (أبو محمد) والسيد مروِّح أحمد الخضر أبو خالد:

أن النساء النَّوريات كنَّ يذهبن إلى الشحادة في القرى التي يضربون خيامهم بالقرب منها أو على أطرافها، وهنَّ يحملن أطفالهن الصغار على ظهورهن، حيث يضعن الطفل في قطعة اللباس الخارجية التي تشبه العباءة المفتوحة من الأمام كاملاً يطلقون عليه كلمة - الشُّقَبان - علماً أن الشقبان هو الجزء الأمامي من الملفع الذي تلبسه المرأة على رأسها وفي نفس الوقت يحيط صدرها من الخلف والأمام. وعندما تشتري المرأة الريفية وخاصة في منطقة إدلب وحوران والجزيرة كانت تضع الشيء الذي كانت قد اشترته أو كمية الحب التي أخذتها لصاحب الدكان في شقبانها.

ومن النساء ما كن يذهبن للأفراح مثل مناسبات: الحج - الطهور - الأعراس من أجل الحصول على المال، حيث يقمن بالمهاهاة وإطلاق الزغاريط على شرف الرجل العائد من الحج أو على شرف والد الطفل المطهر أو على شرف والد العريس. وكان النَّور في السيدة زينب سابقاً يشكلون فرقاً من النساء من أجل الغناء والرقص لإحياء الأفراح في المناسبات (الحجيَّات). أما حالياً لم يعد عند نَوَر السيدة زينب مثل هذه الفرق. وإنما تجلب تلك الفرق (الحجيات حالياً من عند نَوَر حمص - نَوَر عذرا - ومن عند نَوَر منطقة العريضة).

ونعتقد أن النساء اللواتي كن يذهبن إلى بيوت العائلات التي عندها الفرح هنَّ مِنْ نور الكريملية والهرامشة الذين يسكنون حالياً في حي التجارة بدمشق.

وكنتيجة لظاهرة الاستقرار وارتفاع دخل الرجل وزيادة التعقيدات في مجرى الحياة اليومية. فإن كثيراً من النساء النَوَريّات قد لزمن بيوتهن وابتعدن عن ظاهرة الشحادة. وهناك بوادر طيبة حيث أخذت المرأة النَّورية لبعض العشائر تمارس العمل اليدوي في المعمل وفي المزارع، وفي المخابز الآلية.

. المرأة والعمل اليدوي:

هناك ظاهرة طيبة بدأت تلوح في الأفق عند نَوَر منطقة السيدة زينب. وتكمن تلك الظاهرة بذهاب المرأة إلى العمل الزراعي مع ابتعاد كامل عن ظاهرة الشحادة (الذهاب على باب الله الكريم). ويأتي في مقدمة تلك العشائر النَّورية:

- عشيرة الدرْزنكي: إن نساء هذه العشيرة يعملن بجني المحاصيل الزراعية مثل تحويش ثمار شجر المشمش، وثمار أشجار الخوخ والجارنك في منطقة الغوطة الغربية منها والشرقية.

وأن أصحاب المشاريع الزراعية يأتون إلى السيدة زينب ويتفقون مع تلك النسوة للعمل. ويتكفل أصحاب المشاريع المذكورة بأخذ النساء من بيوتهن وبإرجاعهن إلى بيوتهن بعد انتهاء العمل اليومي المأجور كشرط أساسي كي يذهبن إلى العمل.

- عشيرة الحلاولية: تمارس نساء تلك العشيرة العمل الزراعي المأجور أيضاً، في جني المحاصيل للأشجار المثمرة. كما أن العشيرة الحلاولية أقارب في بلدة الدرخبيّة - التابعة للكسوة، حيث يمارسن العمل الزراعي حيث زراعة البطاطا والبندورة والباذنجان. ولا تمارس نساء هذه العشيرة مهنة - الشحادة إلا القليل منهن في منطقة السيدة زينب.

ظاهرة الوشم:

كانت المرأة النَّورية المنتمية إلى العشائر المتواجدة في منطقة السيدة زينب، تمارس في الماضي مهنة الوشم كأحد الطرق التي يحصلن مقابلها على الفلوس. وكان الوشم سائداً بين النساء الريفيات كظاهرة جمالية، حتى بين صفوف الرجال. وكانت النساء

النَّوريات يتفننَّ بالأشكال الفنية التي ينقشنها على جسد المرأة أو الرجل وخاصة في سن المراهقة كي يظهر الفرد إثر ذلك بمظهر يجذب الطرف الآخر المناقض له في الجنس. وكان الوشم يتم على حسب قول السيد خالد الأسعد كما يلي:

١ـ يؤتى بشحوار السراج الأسود (سنا السراج) ويوضع في فنجان.

٢ـ يؤتى بسائل المرارة لحيوان الغنم أو الماعز أو البقرة، ويوضع فوق الشحوار الموضوع في الفنجان ـ ويترك المزيج مدة يوم واحد أو يومين حتى يتخمَّر على حد قول السيد خالد الأسعد: وغالباً ما تضع المرأة النَّورية قطعة من الصفوف في النقيع الموضوع في الفنجان.

٣ـ وعند عملية الوشم تأتي المرأة النَّورية بحزمة من الأبر عددهن ثلاث أبر، ومن ثم تبدأ بتغميس رؤوس الأبر الثلاثة معاً في نقيع الشحوار بسائل المرارة الذي كان قد تخمر، ومن ثم تقوم بوخز المكان المراد وشمه من جسم المرأة أو الرجل الجالس أمام المرأة النَّورية (الواشمة).

ـ السفر إلى خارج القطر:

يعتمد النَّور في منطقة السيدة زينب اعتماداً أساسياً في حياتهم المعاصرة على الأموال التي يحصلون عليها من سفرهم إلى خارج القطر العربي السوري. سواء كان ذلك السفر إلى أقطار الوطن العربي، أو إلى بقية أنحاء العالم الرأسمالي في أوربا الغربية وأمريكا الشمالية. وأن مدة السفر إلى خارج القطر لأفراد النَّور لا تدوم أكثر من شهرين أو ثلاثة على أكثر تقدير.

ويذهب الشخص النَّوري هو وزوجته وابنته في أغلب الأحيان. وأقل مبلغ يأتي به الفرد النَّوري نتيجة ذهابه القصير لا يقل عن ١٠٠ ألف ل.س، ١٩٩٠م.

ويقول السيد وليد خالد الأسعد: أن الشخص النَّوري عندما يذهب إلى خارج القطر عليه أن يجمع المال بأية طريقة كانت ولو كان ذلك بطرق ملتوية مثل التسول ـ السرقات - الخداع والغش... ما عدا طريقة المساس بالْعِرْض (لكن قوله الأخير مشكوك فيه).

ويحب النَّور السفر إلى اليمن وإلى المملكة العربية السعودية أكثر من أي قطر آخر من الأقطار العربية. ولربما الرغبة لدى النَّور بالسفر إلى هذين القطرين عائد إلى النظام العشائري القائم حتى الآن هناك. فيذهب الرجل النَّوري إلى هناك قاصدين أمير هذه المنطقة أو تلك أو شيخ هذه القبيلة أو تلك من أجل المدح عن طريق الغناء والرقص، والمهاهات مع صيحات الشوباش مما يجعل الشيخ أو الوجيه الممتدح يغدق المال عليه بسخاء. لذا نجد أن الحلم الذي يراود الرجل النَّوري في منطقة السيدة زينب الذهاب إلى كل من اليمن والسعودية. وأن أكثر ما يخشاه الشخص النَّوري أثناء زياراتي الميدانية لمناطق تواجدهم أن يشطب من الجواز الذي سيمنح له - اليمن الشمالي - والسعودية لأن عدم وجود هذين البلدين على جواز الفرد النَّوري ذي الجنسية السورية عند منحه جوازاً للسفر إلى الخارج يعتبر بمثابة نكبة تحل به ١٩٨٨م.

وقد قال لي السيد خالد الأسعد - والسيد محمد الصايغ - أن الحالة المادية للنَّوَر في منطقة السيدة زينب وغيرها من المناطق التي تعيش بها جماعات النَّور قد تحسنت نتيجة السفر إلى الخارج.

فالدور التي بناها النَّور من الإسمنت والمؤثثة بالأثاث العصري كله بفضل الأموال التي حصلوا عليها من الخارج بطرق ملتوية يأتي في مقدمتها السرقة والخداع والغش. فقد قال لي السيد خالد الأسعد: في السابق كنَّا نركب الجحاش صرنا حالياً نركب سيارات ونسافر بالطائرات وكنا في السابق نعيش في خيام من أكياس الجنفيص البالية، صرنا حالياً نعيش في بنايات حديثة ومكيفة وبها كافة الضروريات. اللازمة لحياة العصر الحالي.

ويمتاز النَّور بقدرتهم الفائقة على تهريب العملة التي يحصلون عليها خارج القطر وخاصة في ليبيا، حيث لا يسمح للشخص تحويل كل ما معه من نقود إلى بلده خارج ليبيا. وكنتيجة لقرار الحكومة الليبية بعدم تحويل كامل العملة من قبل غير الليبي إلى بلده وجد النَّور السوريون أنفسهم مضطرين إلى ابتداع طرق شتى لإخراج العملة التي بين أيديهم إلى بلدهم سوريا من بينها كما قالوا هم:

١. تضع المرأة العملة الورقية في لباسها الداخلي غير القابل للتفتيش. وتضع أحياناً العملة الورقية بين ثدييها أو ضمن الشَّمْلة التي تضعها على ثدييها.

٢ـ يضعون العملة في ألبسة الطفل الرضيع الوسخة ذات الرائحة الكريهة غير القابلة للتفتيش والمبللة على الأغلب ببول ذلك الطفل الصغير.

٣ـ يخبئون العملة أيضاً في الأخذية التي يحتذونها بأرجلهم بعد فرط خياطتها ووضع العملة النقدية فيها بشكل فني ومن ثم يخيطونها كما كانت

٤ـومن الطرق التي يلجؤون إليها لتهريب العملة من ليبيا وهي وضع تلك العملة في البرادات المائية التي تتسع إلى أكثر من ٥ ـ ٨ لترماء، وذلك عن طريق فك ذلك البراد (الترمس) ونزع المادة العازلة الواقعة ما بين القطعة الزجاجية الحافظة للماء من جهة وما بين الغلاف الخارجي للترمس المبطن بمادة بلاستيكية من الخارج. وبعد نزع الطبقة العازلة ترجع القطعة الزجاجية إلى مكانها، ومن ثم يتم حشي الفراغ الذي تولد عن نزع الطبقة العازلة ما بين الزجاج والغلاف الخارجي بالعملة التي يأتون بها إلى بلدهم سوريا. وبعد أن تخبأ العملة في البراد بدلاً من الطبقة العازلة يطبقون قطع البراد كلها بمكانها، بالإضافة إلى وضع قطع قذرة من ملابس الأطفال داخل الترمس حتى لا ينظر إليها من قبل أفراد الجمارك في المطارات التي يغادرون منها ليبيا إلى بلدهم سوريا.

٥ـ يخبئون العملة من أجل تهريبها إلى القطر العربي السوري عن طريق حشو عجلات الدراجات الصغيرة التي يصطحبونها معهم كهدايا لأطفالهم في بلدهم القطر العربي السوري.

ـ المستوى التعليمي:

بالرغم من استقرار العشائر النَّورية في بيوت ثابتة في منطقة السيدة زينب لازال المستوى التعليمي عند أفرادها متدن جداً. فالأطفال الصغار لا يذهبون جميعاً إلى المدارس الابتدائية بالرغم من قرار التعليم الإلزامي للمرحلة الابتدائية. وإذا ما ذهب البعض من الأطفال إلى المدارس فمن النادر ما يصل البعض إلى المرحلة الثانوية من بين الأطفال الذكور. أما بين صفوف الإناث فإن الأمية متفشية بنسبة يزيد عن ٩٠٪ بين الإناث الأكثر من /١٥/ عاماً من العمر، في حين يذهب بعض الإناث الصغار إلى المدارس الابتدائية إلا أنه من النادر أن تصل إحداهن إلى المرحلة الإعدادية.

إذ يسود اعتقاد بين جماعات النّور مفادة: لا فائدة من تعليم البنات أكثر من المرحلة الابتدائية إن أمكن ذلك. وفي الغالب ما تتزوج الفتاة مبكراً ما بين ١٤ ـ ١٦ عاماً من العمر هذا إذا لم يكن الوقت أبكر من ذلك. وتقول السيدة ـ رسمية عثمان ـ عن سبب عدم وصول البنات عند نوَر السيدة زينب إلى المرحلة الإعدادية عائد إلى: أن الفتاة غالباً ما تخطب وهي في نهاية المرحلة الابتدائية منذ الصف الخامس الابتدائي، حيث تترك المدرسة وترتدي اللباس الطويل مع غطاء الرأس وفقاً للتقاليد الشعبية للباس المرأة عند النّور.

وبغض النظر عن عدم ارتفاع في المستوى التعليمي إلا أنه توجد بعض الحالات التي استطاع فيها بعض الأفراد أن يجتازوا المرحلة الثانوية وحتى الدخول إلى الجماعات وهذه نماذج لتلك الحوادث عند نوَر السيدة زينب المستقرين:

١.السيد وجيه السنكري مساعد فني أنهى المعهد الهندسي (مساعد مهندس).

٢.السيد نظير السنكري معهد متوسط هندسي (مساعد مهندس).

٣.هيثم أحمد عثمان ـ أنهى معهد متوسط صيدلي (مساعد صيدلي).

٤.ناصر السنكري ـ أنهى المرحلة الثانوية وحالياً يدرس في أحد كليات جامعة دمشق.

٥.فيصل الخالد (السنكري) حائز على الإجازة الجامعية لكلية الحقوق.

كما أن هناك فتيات في المرحلة الابتدائية من بيت السنكري: إزدهار نوف إسماعيل ـ نجلاء عصام خالد ـ جواهر عثمان ـ نظيرة إسماعيل ١٩٨٩م.

ومما لاحظته من خلال زياراتي للنوَر في منطقة السيدة زينب أن عشيرة السناكرة هي أكثر العشائر النّورية تشجيعاً لأولادها بالذهاب إلى المدارس والمعاهد وحتى الجامعات. وأن المستوى التعليمي بين عشيرة السناكر أفضل من مثيله عند بقية أفراد العشائر النّورية الأخرى ولربما هذا يعود إلى ما يلي:

١. إن عشيرة السناكرة قد جاءت من منطقة صفد بعد عام ١٩٤٨ م. وأن أفراد هذه العشيرة مسجلون كفلسطينيين في وكالة الغوث للاجئين.

٢. إن عشيرة السناكرة هي أقدم عشائر النّور في استقرارها في منطقة السيدة زينب والدليل على ذلك أن الدور التابعة لهم تقع حول مفرق حُجَيرة، أي في بداية الست زينب ويوجد في العشائر الثانية وخاصة بين صفوف عشيرة الكريملية بعض الشباب الذين قد

حصلوا على الشهادة الإعدادية في حين أن قسماً لا بأس به من الأطفال دون سن العاشرة من العمر يذهبون إلى المدارس سواء كانوا من الذكور أو لإناث. ومن خلال جلساتي بين الشباب والكبار بالسن قد لمست أن هناك شعوراً يتمالكهم يقضي بضرورة تعليم الأطفال بغية الحصول على شهادات الإعدادية والثانوية للتطوع بالجيش كضباط في صفوف القوات المسلحة، لأنهم ينظرون إلى القوات المسلحة نظرة احترام وتقدير حيث يظهر الشاب من خلالها بالرتبة العسكرية وامتلاك السيارات التي يمتطيها.

وأعتقد أن النَّور المستقرين في منطقة السيدة زينب سيتحسن وضعهم التعليمي تدريجياً وبشكل مترافق للعادات والتقاليد التي كانت تتمشى مع النمط غير المستقر القائم على التنقل والترحال والتي تقضي بتعليم الشاب مهنة صنع بعض الأدوات مثل: الربابة - الطبل - الدف - المهباج - صنع المجامع الخشبية المرصعة بالأصداف الصغيرة.... الخ. ومازالت تلك الأفكار الملازمة لحياة التنقل تلازمهم وإن هم حالياً مستقرون في بناء ثابت. وأن السبب في استمرار العادات القديمة عائد إلى ماهية البيئة الاجتماعية بصورة عامة التي تحتاج إلى فترة زمنية طويلة كي تضعف مكانة العادة أو العرف الاجتماعي في نفسية الإنسان الذي يؤمن ويتقيد بها في حياته اليومية، لأن التغير الاجتماعي لا يتمشى مع التغير المادي لأي جماعة بشرية تتعرض إلى نقلة نوعية في سمات حياتها العامة كما حصل ذلك عند جماعات النَّور التي انتقلت من التنقل بالخيام البالية إلى حالة الاستقرار والعيش في أبنية صحية ومؤثثة وتتوفر بها كافة مستلزمات الحياة العصرية.

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نقول أنه في العشرين سنة القادمة سيطرأ تحول شبه جذري في الحياة الاجتماعية عند جماعات النَّور في منطقة السيدة زينب إذا ما تزايد لديهم الشعور بالحاجة الماسة إلى التعليم والابتعاد عن المظهر القائم على الجهل والشحادة، من أجل إثبات وجودهم ومن أجل احترام الآخرين لهم.

وقد لاحظت بنفسي أن الرغبة الشديدة في التوجه نحو التعليم بين صفوف العشائر النَّورية في منطقة السيدة زينب، أنهم لا يتكلمون فيما بينهم إلا باللغة العربية. وأن الأطفال دون سن الخامسة عشر من العمر لا يعرفون اللسان النَّوري إلا بعض المفردات منه. وقد قال لي أكثر من شخص لا داعي إلى تعليم اللسان النَّوري لأطفالنا لأنه لا

فائدة من ذلك بل العكس علينا أن نبعد كلمة - نَوَرِي - ذات السمعة السيئة في نفوس الآخرين من غير النّور عن أطفالنا في المستقبل بأي شكل من الأشكال. ومن العشائر التي لا تعلّم أطفالها اللسان النَّوري - عشيرة الكريملية - عشيرة السناكرة - عشيرة الحلبي. حيث يحاولون تناسي اللسان النَّوري - (دومري): دوم واري: ضوم واري.

- اللباس الشعبي عند النَّور في السيدة زينب:

عند الرجل: يتكون اللباس عند الرجل المتقدم بالعمر من القطع التالية:

- القلابية ذات الألوان السادة والتي غالباً ما تكون من القماش الأبيض.
- سروالاً من القماش يلبسه الرجل تحت القلابية. إلا أن فرج السروال لم يعد واسعاً كما كان في السابق.
- يلبس الرجل جاكيت فوق القلابية.
- يلبس الرجل على الرأس العقال والقضاضة البيضاء.

ومما لمسته أن النّور في منطقة السيدة زينب هم أكثر نظافة من النَّور في منطقة القدم الذين يزعمون أنّهم أكراد حيث الوساخة تبدو على ملابسهم وعلى بشرتهم بالرغم من أنهم يسكنون في أبنية حديثة والماء ممددة إلى البيوت.

رجل من النَّور - الكريملية - السيدة زينب بلباسه الشعبي النظيف

أمام كوخه المبني من ألواح التنك والقصدير - عازب - وعمره يزيد عن (٨٠) عاماً.

كما أنني لم أشاهد في منطقة السيدة زينب رجال من النَّور يلبسون الشماخ الأحمر على رؤوسهم حيث الجميع يلبسون القضاضة البوال ذات اللون الأبيض.

وتعتبر ظاهرة ارتداء اللباس العربي من قبل الرجل لجماعات النَّور بمثابة مؤشّر حقيقي على قدرة البيئة العربية على تمثل الجماعات غير العربية في أصولها السلالية واللغوية. وقد وصل تمثل المجتمع العربي للفئات غير العربية إلى تأثرهم باللغة العربية لدرجة أن الكثير من النَّور المستقرين في طريق تناسي لسانهم النَّوري وحلول اللسان العربي فيما بينهم وذلك في الأحاديث التي تدور بين أفراد العائلة داخل منازلهم.

كما أن الشباب بدورهم يرتدون القلابية إلا أنهم لا يرتدون القضاضة والعقال. لكن الغالبية العظمى من الشباب يلبسون اللباس الحالي المنتشر في معظم أنحاء العالم والذي يتكون من البنطال والقميص والجاكيت والأحذية والجوارب. وكما قلت سابقاً أن لباس النَّور في منطقة السيدة زينب نظيف وجميل ويعتنون بنظافة أجسامهم.

أما في السابق فقد كان الرجل من النَّور يلبس السروال الأبيض أو من القماش الأسود ولكن السروال النَّوري كان يختلف عن السروال الذي كان يرتديه الفلاح العربي على سبيل المثال في حوران: فسروال الرجل النَّوري يتصف باتساع المسافة للمسافة الفاصلة بين الفخذين مع نزول ذلك القسم من السروال إلى الأسفل لدرجة يكاد فرج السروال يصل إلى الأرض بين قدمي الرجل الذي يرتديه. أما فتحة الحِجِل فعلى الأغلب كانت ضيقة وشبه اسطواني من عند كعب القدم وحتى مسافة إلى ما تحت الركبة. وكان يرتدي قميصاً يكفته تحت السروال وأحياناً يلبس جاكيت فوق القميص. أما غطاء الرأس فيتكون من طاقية توضع على الرأس، ويوضع فوقها قضاضة وعقال أسود كما هو الحال في الصورة التالية.

رجل من النّور يرتدي السروال الواسع الفرج إلى جانب
والقضاضة البيضاء والعقال على الرأس.

ويعتبر السروال بصورة عامة مريحاً للمشي وللحركة بصورة عامة وخاصة حركة الجلوس على الأرض لمزاولة الأعمال اليدوية كصناعة الغرابيل - الطبل - الرباب... وكذلك عمل تنظيف الأواني النحاسية وتبيضها عن طريق طليها بمادة القصدير ذات اللون الأبيض. كما أن السروال يساعد على جلوس الشخص جلسة القرفصاء دون أن يشعر الرجل بمضايقة لجسمه كما هو الحال في البنطال الذي لا يتمشى مع عادة الجلوس على الأرض أو القرفصاء. وعلى ما يبدو أن البنطال فقط بتفصيلته الضيقة حول الزنار الحوضي ومنطقة ما بين الفخذين (المحاشم) مخصص لوضعية الجلوس على مقاعد. أضف أن لبس البنطال يقيد الحركة للإنسان لحد كبير. وكان الرجل النّوري في الماضي يلبس القمباز الطويل المفتوح من الأمام بشكل كامل. وكان القمباز يتكون من القماش الناعم والأملس ويغلب عليه الشكل المخطط بالأبيض والأسود أو الأزرق.

أما الآن لم يعد للقمباز وجود وذلك تماشياً مع المتغيرات التي تطرأ على اللباس عند المحيط العربي الذي يعيشون في خضمه، حيث كان القمباز في الخمسينات من القرن العشرين، سبقت لباساً شائعاً في الريف وفي المدينة.

- لباس المرأة النَّورية في منطقة السيدة زينب:

تكاد المرأة النَّورية أكثر احتفاظاً من الرجل بتراث الماضي تماشياً مع المبدأ الأنتروبولوجي القائل أن المرأة بصورة عامة أكثر خضوعاً من الرجل للإرث الاجتماعي والثقافي للبيئة الاجتماعية التي ولدت وترعرعت فيها. لذا نجد المرأة بصورة عامة بما فيها المرأة النَّورية أنها أكثر محافظة على لباسها الشعبي الذي ألفته المرأة النَّورية في الماضي والذي انتقل من السلف إلى الخلف مع تغير طفيف بشكله الخارجي.

وما لمسته في لقاءات معهم أن اللباس النسائي لم يتغير عن ذلك اللباس الذي كانت تلبسه المرأة النَّورية في الخمسينات عندما كنت طفلاً، وهي تجوب أزقّة قريتنا طارقة أبواب الدور طلباً لمواد تموينية تطعم بها أفراد أسرتها الذين ينتظرون قدومها إلى الخيمة المنصوبة بجوار البلدة والقابعين بها صغاراً وكباراً من الرجال وكلهم أمل أن تكون حاملة على ظهرها ما ينشدُّون إليه من طعام طيب.

وعلى ذلك يمكن أن يقسم لباس المرأة إلى نوعين:

١. اللباس القديم الذي يتكون من تنورة خارجية طويلة حتى القدمين ولهذه التنورة فتحة من الأمام بحدود العشرين سم نحو الأسفل فقط من جهة الصدر.

٢. ترتدي المرأة أيضاً ملفع أسود خشن الملمس إلى حد ما ولكن في بعض الأحيان يكون شفافاً، فتلف المرأة رأسها بالملفع بشكل يغطي كتفيها وظهرها إلى ما تحت منتصف الجذع، ومن الأمام إلى ما تحت الثديين.

٣. قطعة من قماش غالباً ما تكون على شكل مَحْرمة مزركشة تُصَفِّطُها وتشدُّها على رأسها من فوق الملفع كي لا يَسْلُتْ من على رأسها.

٤. تلف المرأة النَّورية قطعة من القماش على خَصْرِها كي لا تظهر التنورة فضفاضة وعريضة، وتكون العقدة لطرفي القماش من الأمام وفوق البطن.

٥. ترتدي أحياناً المرأة النَّورية السروال وغالباً ما تكون نهاية الحجلين مزمومتين على عظمَيْ الساق عن طريق مطّاطة مخيطة بقماش (فتحتي السروال لِلْحجلَيْن من الأسفل).

٦. ترتدي المرأة المتقدمة بالسن قطعة من القماش فوق التنورة والملفع وتعقدها على أحد كتفيها وغالباً على الكتف الأيمن، بحيث يصبح في شكله مشابهاً لوضع كيس مفتوح بشكل أفقي ومن الأعلى، في حين يكون من الأسفل غير مفتوح. وهذا الشكل لقطعة القماش يسمح لها بوضع ما تحصل عليه أثناء جولتها على باب الله الكريم. ولقد كانت المرأة النَّورية في الخمسينات من القرن العشرين تضع فيه التبن الذي تشحده للدواب التي يرتحلون بواسطتها والتي تكون مربوطة أمام خيامهم بأجسامها الهزيلة من قلة الطعام، ويدعى هذا الرداء الخارجي بالزبون أو التشاطك.

وقد تحسنت نوعية القماش الذي ترتديه المرأة النَّورية نتيجة لتحسن في المستوى المعيشي العام لديهم، حيث صار القماش الذي تلبسه المرأة في منطقة السيدة زينب من النوع الغالي الثمن والمتقن في صنعه وعلى الأغلب يأتون بهذا القماش من خارج القطر العربي السوري أثناء سفرهم إلى الخارج بحثاً عن مصادر يحصلون من خلالها على المال الوفير بزمن قصير.

وهناك نموذج آخر للباس المرأة النَّورية في السيدة زينب، حيث يتكون من خراطة طويلة تصل حتى القدمين. وتلبس كنزة فوق الخراطة الطويلة. وتلبس فوق الكنزة قطعة قماش في بعض الأحيان تكون ذات لون أبيض حيث تلفها على رأسها، علماً أن الغالبية العظمى من النساء تكون قطعة القماش لغطاء الرأس ذات لون أسود.

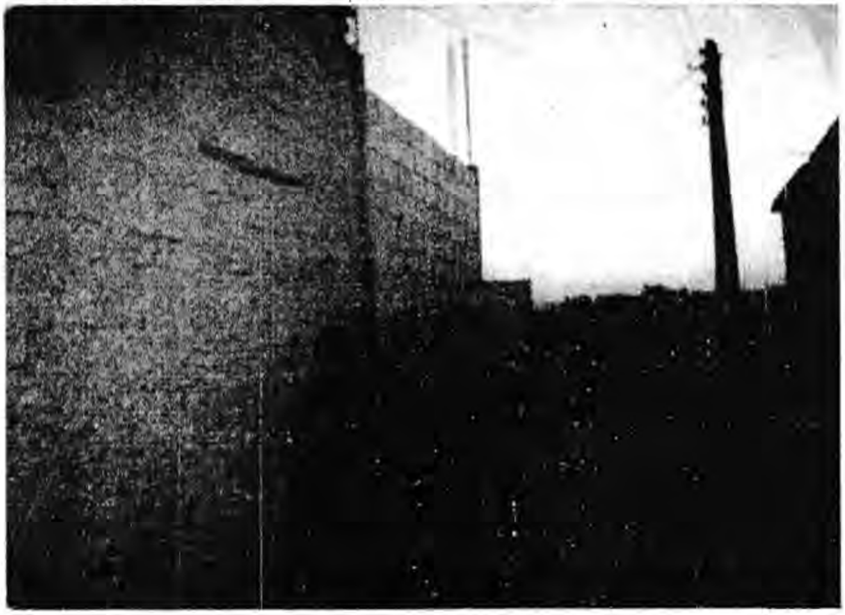

شابة من نَوَر السيدة زينب وهي بلباسها الشعبي التقليدي
خراطة واسعة طويلة ذات ثنايا وفوقها كنزة وعلى رأسها قماش أسود

- البيوت السكنية عند النَّور في منطقة السيدة زينب:

يسكن النَّور في منطقة السيدة زينب في بيوت حديثة مبنية من الإسمنت المسلح. وتتوفر في تلك المنازل التي يسكنونها الشروط الصحية من اتساع في المساحة وارتفاع في أسطحة المنازل، ووجود المنافذ الكبيرة والجيدة الإتقان في عملها بإضافة إلى بيوت من أكواخ من الصفيح وأكياس الجنفيص - أو - القِنَّبْ ١٩٩٠م.

منظر لجزء من شارع حي الشهيد علي الوحش في السيدة زينب
والذي يعيش فيه عدد كبير من عشائر النَّور في بيوت إسمنتية مسلحة.

ومعظم الدور التي دخلتها لها ساحة واسعة تزيد عن ٧٠ سبعين متر مربع. وغالباً ما يكون صحن الدار مبلطاً مع وجود أحواض بعرض متر مزروعة بالورود ومساكب الفجل والبقدونس كما هو الحال في دار السيد نظمي الراشد أبو فايز، ودار أخيه فتحي الراشد. وكذلك دار السيد محمد الصايغ أبو خالد حيث صحن الدار الواسع الذي يصل طوله إلى أكثر من ٢٠ متراً وعرض يزيد عن عشرة أمتار حيث الأشجار المثمرة ونباتات الورد الجوري، إلى جانب الاتساع في مساحة الغرف وفي صحن الدار فإننا نلمس النظافة المنزلية مما يعطي للجالس في ديارهم راحة نفسية ويشعر بنفسه أنه

قريب من الطبيعة. وعلى كل باب دار يوجد جرس كهربائي من أجل تنبيه أصحاب الدار من قبل الطارق حتى يشعر صاحب الدار بوجود طارق ليقوم ويفتح له. وغالباً مثل هذه الدور تقع في نهاية الطريق أو الشارع غير المعبد والمعروف بشارع. علي الوحش..

وهناك دور أخرى لا نجد المساحة الكافية كصحن للدار، وإنما بنيت على شكل بناء ملموم ولها الشكل الطابقي المتعدد. إلا أن الغالبية في الدور عند النَّور لها الشكل التالي تكون البيوت مصفوفة على جانب واحد أمامها صحن للدار ودرج ومنافع، وفوقها طابق آخر مبني على صف البيوت الأولى كما هو الحال في دار السيد. خالد الأسعد. أبو محمد وأحياناً تكون الغرف مصفوفة على شكل صفين متقابلين وبينهما مساحة لا بأس بها وفوق هذين الصفين المتقابلين بناء له نفس المواصفات كما هو الحال في دار السيد وليد الأسعد.

بيوت إسمنتية حديثة وإلى جانبها بيوت من صفائح التنك وأكياس الخيش

وإلى جانب البيوت الحديثة الفخمة والمتعددة الطوابق عند جماعات النَّور في منطقة السيدة زينب وخاصة في نهاية حي الشهيد علي الوحش، توجد بيوت لعائلات من هؤلاء النور الفقراء الذين لم يحالفهم الحظ بالذهاب إلى خارج القطر العربي السوري من أجل العمل والحصول على المال الذي من خلاله يحسنون أوضاعهم السكنية والاقتصادية في

القطر العربي السوري. فالذين لم يسافروا إلى الخارج لازالت مساكنهم من صفائح التنك وقطع أكياس الخيش المثبتة بعضها إلى بعض. وغالباً ما تكون هذه البيوت ملجأ للفئران وخاصة الكبيرة الحجم منها وقد شاهدت هذه الحيوانات في أم عيني في صيف عام ١٩٨٦ م أثناء دراستي الميدانية للنَوَر في منطقة السيدة زينب. وأن الصورة التالية توضح الفارق الشاسع بين أوضاع جماعات النُّور في مجال السكن في حي الشهيد علي الوحش من جهة بلدة ـ يلدا.

ـ الطب الشعبي عند النُّور في منطقة السيدة زينب والمستوى الصحي:

تقول السيدة ـ صبحة ـ محمود حسن السبع ـ أن النُّور سابقاً لم تكن الأمراض منتشرة فيما بينهم كما هو الحال الآن. وتعلل السيدة المذكورة قلة حدوث الأمراض في الماضي بين جماعات النُّور إلى ما يلي:

١ـ أنهم كانوا يرتحلون من مكان إلى آخر حيث الطبيعة الصافية البعيدة عن التلوث بالمواد الكيمائية حيث يضربون خيامهم في أطراف القرى، ولم تكن البيئة الطبيعية في الستينات لم تكن قد تلوثت بعد.

٢ـ فإذا ما حدث وباء بالمنطقة التي ينزلون بها يحزمون متاعهم البسيط على ظهور حميرهم وخيولهم إلى حيث لا يوجد وباء يؤذيهم.

٣ـ كما أن الحركة الدائمة لأفراد العائلات النُّورية مع كميات الطعام الخفيفة قد ساهمت بدورها على جعل بنيتهم الجسدية سليمة ومعافاة ورشيقة في قامتها. ونتيجة لهذه الحركة من النادر أن تجد بين صفوف النُّور المرتحلين الأجسام السمينة المترهلة الناتجة عن كثرة الطعام وقلة في الحركة. وتعتبر صفة السمنة الزائدة صفة ملازمة للناس المستقرين القليلي الحركة، والذين يتعاطون النشويات والسكريات في غذائهم اليومي.

وتقول السيدة ـ صبحة محمود حسن السبع ـ إذا ما حدث مرض بين صفوف جماعات النُّور كانوا يذهبون إلى الجبال للحصول على بعض الأعشاب التي كانت تستخدم في مداواة المرضى لديهم:

١ـ كان النُّور يستخدمون ـ نبات الميرامية ـ بعد غليه بالماء لمعالجة إصابة الشخص بآلام البطن وخاصة المغص منها.

٢ـ كان النُّور سابقاً يأتون بألواح الصبار لمعالجة المصاب بمرض ـ الربو ـ ويتم تحضير الدواء من ألواح الصبار على النحو التالي:

يؤتى بلوح من الصبار ويوضع فوق منخل على أن يكون تحت المنخل صحن فارغ، ويؤتى أيضاً بسكين كي يقشّر لوح الصبار، وبعد ذلك يضعون فوقه قليلاً من السكر. بعد هذا كله يتكون سائل في الصحن ناتج عن الماء التي يحتفظ بها لوح الصبار بين أنسجته الخلوية كنوع من أنواع التلاؤم والتكيف من قبل ذلك النبات مع الظروف المناخية الجافة. وعلى ذمة السيدة ـ صبحة محمود السبع ـ أن المريض يشفى.

٣ـ كان النُّور يستعملون البخار الناتج عن غلي أوراق شجر الكينا للتداوي من كثير من الأمراض وخاصة ارتفاع الحرارة منها ووهن الجسم.

٤ـ كما كانوا يأتون بنبات ـ القرفة والزنجبيل من علبة العطارة، حيث كان يتم غلي هذين النباتين معاً مع قليل من السكر، ومن ثم تعطى للمريض.

٥ـ كانوا يستخدمون لمداواة آلام الظهر ـ الشعير + شُشبول الذرة الصفراء + عشبة خاصة يطلقون عليها ـ مرجان بوكسي. ويتم التداوي عن طريق تناول المريض مغلي تلك النباتات معاً بعد أن يبرد إلى درجة يستطيع المريض شرب ذلك السائل دون أن يحرق جوف فمه.

٦ـ كانوا يلجأون إلى عملية التشطيب في ـ أسفل القدم وبين الكتفين للشخص المصاب بآلام المفاصل.

٧ـ أما آلام الكبد والخواصر كما تقول السيدة ـ صبحة محمود السبع ـ كان يلجأ النُّور سابقاً إلى كيِّ المريض على مكان الألم.

٨ـ أما مرض الشويهقة والتي تعرف ـ بالسعال الديكي ـ كانت تداوى من قبل النُّور كما روى السيد خالد الأسعد أبو محمد الكريملي، عن طريق الوشم بالإبر على مكان يقع فوق فجوة عظمة القص الصدري ويكون الوشم على شكل ثلاث نقاط كبيرة إلى جانب بعضها وغالباً ما يكون لها الشكل المثلثي.

ويقول السيد خالد الأسعد أن المريض بالشويهقة كان يشفى بإذن الله. وتجدر الاشارة أن السيد خالد الأسعد كان في صغره مصاباً بالسعال الديكي وعالجه أهله عن طريق الوشم ولا زال الوشم واضحاً على عنقه فوق عظمة القص بمسافة قليلة لا تتجاوز الثلاث سم.

- المستوى الصحي:

ما لاحظته أثناء زياراتي لنَوَر السيدة زينب أن أجسامهم جميعاً دون استثناء سليمة من الأمراض وقامتهم ممشوقة سواء عند الرجال أو عند النساء. ويعتنون بسلامة أبدانهم بالاغتسال وتناول الدواء منْ قبل الأطباء إذا ما شعر الشخص بوعكة صحية في جسمه.

وتنعدم بين صفوف النَّور عامة - الأجسام المفرطة في السمنة بالرغم من استقرارهم في بناء ثابت وصحي وتوفر ضروريات الحياة بشكل جيد كما لمست ذلك بما في ذلك الطعام النظيف مما يشير هذا إلى ارتفاع في مستوى المعيشة بصورة عامة، لا بل أن هناك نقلة نوعية في المستوى المعيشي عند النَّور بمنطقة السيدة زينب قياساً مع المستوى المعيشي السابق قبل عشرين عاماً على الأقل.

والنَّور بصورة عامة كرماء، ومما لاحظته بشكل مباشر أنهم كانوا يشترون البندورة في الوقت الذي كان سعر الكيلو غرام الواحد أكثر من (١٠ ل.س)، وكانوا يشترون الخيار في الوقت الذي كان سعره، فوق العشر ليرات (١٩٨٦م).

ويتناول النَّور الطعام وهم متربعون على الأرض عن طريق الملاعق وبشكل جماعي شأنهم بذلك شأن الفلاحين والبدو، حيث تجتمع كافة أفراد العائلة ويتناولون الطعام من صحن كبير يطلق عليه (لَقِنْ). ويغسلون أيديهم وأسنانهم بعد الطعام بالماء والصابون وينشفون أيديهم وأوجههم بعد الاغتسال بمناشف نظيفة وجميلة وذلك على عكس من النَّور الذين لم يستقروا بعد ومازالوا يعيشون بالخيام كما هو الحال عند الجماعة التي تِضرب خيامها قبل مفرق حجيرة غرب الطريق العام الآتي من بلدة ببيلا باتجاه السيدة زينب، الذين يشبهون بنمط معيشتهم النَّور في زمن ما قبل الاستقرار. وهؤلاء يعودون إلى عشيرة الملحم الموجود في مدينة حلب وهي من العشائر النَّورية الكبيرة. وما لاحظته عند هؤلاء في خيامهم: البساطة في الأثاث وقلة في أواني الطبخ مع قلة في الماء للاغتسال لعدم وجود أوان كبيرة يحتفظون الماء بها من أجل الاغتسال والتغسيل لأدوات الطبخ بعد تناول الطعام - ويستخدمون - بابور الكاز في حياتهم اليومية. وأولادهم حفاة وشبه عراة يلعبون بالأوساخ المحيطة بهم.

ومما لاحظته خلال جولاتي الميدانية بين صفوف نَوَر السيدة زينب بالنسبة إلى النظافة ما يلي:

أن النّور الذين قدموا من لبنان بعد الاجتياح الصهيوني لجنوب لبنان أكثر اعتناءاً بنظافة أطفالهم من بقية النّور الآخرين القاطنين في منطقة السيدة زينب.

طفلتان من جماعة الراشد الذين قدموا من لبنان مؤخراً ـ حيث النظافة والاعتناء:

الكبيرة بنت السيد أبو وجيه الراشد ـ والبنت الصغيرة ابنة السيد نظمي الراشد أخ أبو وجيه.

أما الأطفال من العائلات الأخرى التي تعيش في السيدة زينب باستثناء عشيرة السناكرة تجدهم حفاة ويبدو على ملابسهم قلة النظافة.

مجموعة من الأطفال حيث يبدو واضحاً للعيان الاعتناء الأقل بالنظافة

من الأطفال الذين قدموا من لبنان بعد الثمانينات

ـ الأكلات الشعبية عند نَوَر السيدة زينب:

نتيجة لحياة الترحال والتنقل من منطقة إلى أخرى، واعتمادهم بصورة أساسية على ما كانت تجلبه المرأة من طعام من تجوالها بين بيوت هذه القرية أو تلك من ـ الشحادة ـ لا يوجد لديهم أكلات شعبية خاصة بهم لعدم استقرارهم.

ويمكننا أن نقول أن الأكلات الشعبية لدى جماعات النَّور هي نفس الأكلات الشعبية للبيئة الاجتماعية التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها حيث التأثير الواضح في هذا المجال.

تقول السيدة ـ صبحة محمود السبع: أن أكلة الهفيت من الأكلات الشعبية لدى جماعات النُّور في منطقة السيدة زينب خاصة عند عشيرة السبع.

من المعروف أن أكله الهفيت هي أكلة عربية خاصة بالجماعات العربية المرتحلة وراء مواشيها من أغنام وماعز وإبل والذين يعرفون باللغة العربية بمصطلح كلمة ـ البدو ـ وأن أكلة ـ الهفيت تتمشى والنمط المعيشي المرتحل القائم على تربية الشاة، وبالتالي يمكن أن تعتبر أكلة الهفيت هي نوع من الطعام نتج عن تكيف الفرد البدوي بطعامه مع ما يحيط به من بيئة اجتماعية ومادية والدليل على ذلك ما يلي:

١. تتكون أكلة الهفيت من الخبز المشروح (الشراك) المخبوز على الصاج.

٢. لحم الخروف المجروم والمقطع على شكل قطع تزيد عن حجم الجوزة.

٣. مرق لحم الخروف الناتج عن طبخ الخروف في الماء وبعض الأحيان في اللبن (الخاثر).

وبالتالي يوضع الخبز في لقن بحيث يكون طبقة من الخبز وفوقها قطع اللحم، ومن ثم طبقة من الخبز، وفوقها قطع من اللحم والمرق. وفي آخر طبقة تصب القفرة التي تتكون من السمن العربي. ومن ثم يصبح الطعام جاهزاً للأكل بعد أن يصبح الخبز طرياً بحيث يتم تناول الطعام باليد.

إن وجود هذه الأكلة الشعبية عند النُّور وخاصة جماعة ـ السبع ـ لدليل قاطع على احتكاك جماعات النُّور في الماضي بأهل البادية وخاصة في فصل الربيع. إذ كانت تذهب العائلات النُّورية إلى شيوخ القبائل ووجهائها قاصدين عطاءاتهم السخية بعد القيام بحفلات الرقص والغناء أمام فريق العرب (يتكون الفريق من مجموعة من بيوت

الشعر غالباً ما تضم عشيرة بكاملها أو فخذاً من أفخاذ هذه العشيرة أو تلك). في شهر نيسان كان النّور يعودون ومعهم الخراف التي حصلوا عليها من عطاءات وجهاء العشائر نتيجة الشوباش والمديح لهم من قبل جماعات النَّور. ولازال النّور يمارسون هذه العادة حتى اليوم وخاصة (نَوَر الهرامشة... ونَوَر الكريملية). وأثناء إقامة الحفلات لشيوخ العشائر في البادية والجزيرة، كان يقدم للنَوَر الأكلات الشعبية عند البدو والتي تتكون من أكلات: الهفيت ـ وأكلة المنسف ـ التي يعتبرها النَّور أيضاً أكلة شعبية يقدمونها في أوقات المناسبات كالأعراس والطهور والتسريح من الخدمة أو الشفاء من المرض أو الرجوع من السفر أو الخروج من السجن.

ـ الطعام الذي يقدم للمرأة أثناء الولادة:

تقول السيدة صبحة محمود السبع. والسيدة /رسمية عثمان/ أن جماعات النَّور في الماضي كانوا يقدمون للولادة الطعام التالي:

١ـ يؤتى بالبيض البلدي بعد خفقه بشكل جيد، ومن ثم يضاف إلى البيض الملح والبقدونس المفروم مع إضافة كمية من الطحين البلدي، ويؤتى بالثوم الذي يدق مع الملح والذي يخلط بكمية كبيرة من زيت الزيتون، ومن ثم يضاف الثوم المدقوق بالزيت والملح إلى الخليط الأول ويوضع ذلك الخليط في إناء لقليه إلى حدٍّ ما مثل قلي البيض. وتدعى هذه الأكلة (بيض بطحين أو أقراص عِجَّة). ولا تزال هذه الأكلة تقدم للنساء الولادات حتى يومنا هذا، أضف أن هذه الأكلة تحبها النساء كثيراً في بلاد الشام.

٢ـ ويقدم إلى الولادة أيضاً شراب القرفة المغلي لمدة يومين بعد الولادة. وفي اليوم الثالث يقدم للولادة شراب اليانسون المغلي الذي يساعد على تطهير الرحم عند المرأة بعد الولادة كما تروي السيدة صبحة محمود السبع، والسيدة رسمية عثمان.

ـ القصص والحكايات المنقولة شفاها:

يحب النَّور سرد الأحاديث والقصص الخيالية وخاصة التي تتحدث منها على المناقب المحببة إلى نفوسهم والتي يحبون أن يوصفوا بها مثل: الشجاعة وقدرتهم الخارقة في صيد حيوان النيص المحبب إلى قلوبهم. وتعتقد جماعات النَّور دون استثناء أن صيد النيص لا يستطيع أحد غير النَّور بالإقدام على صيده، لأن هذا الحيوان يطلق ريشه

الذي يشبه المسال كما يقولون باتجاه الإنسان الذي يقترب منه على شكل سهم موجه بقوة وبدقة إلى من يحاول المساس بذلك الحيوان، وأن هذه السهام من الريش التي يطلقها أو يقذفها النيص مؤذية للإنسان، فإذا ما جاءت في عين الشخص، فإنها تفقأ.

أما حقيقة قذف الريش ذو الشكل المَسَلّي القاسي يعود إلى أن ضغط الدم عند ذلك الحيوان يرتفع ومن ثم يتمدد الجلد المغمور به تلك المسال، مما يؤدي إلى فتح البصيلات الماسكة بجلد ذلك الحيوان وهذا بدوره يؤدي إلى تحرر الريش المجوف بعد أن يعبأ بالهواء عن طريق الضغط عند النيص من الجلد المتماسك به. وغالباً يكون ذلك الريش القاسي مُلوَّن باللون الأبيض والأسود بشكل متعاقب وتدور عند النَّور أيضاً القصص الخيالية حول الزير سالم وجساس، وهناك قصة الشماء المحببة إلى نفوسهم.

ـ الألعاب الشعبية:

يتسلى النَّور بألعاب شعبية لا تختلف عن الألعاب الشعبية التي يمارسها المحيط العربي الذي يعيشون بين ظهرانيه دلالة على التأثر الكامل بالبيئة المحيطة بهم في بعض العادات ولكن لازالوا يختلفون ببعض العادات الخاصة بهم دون غيرهم: الكذب بمهارة ـ المراءاة أمام الناس أنّهم يحافظون على العِرْض، في حين على الواقع على العكس من ذلك فالاعتداء على نساء بعضهم البعض صفة ملازمة للجماعات النَّورية دون استثناء والدليل على ذلك هو عادة القتل أي ـ الذبح للمرأة أو الفتاة التي تمسك بالجرم المشهود في بعض الأحيان. الشحادة بطرق المباشرة منها وغير المباشرة ـ السفر إلى الخارج لممارسة صفة السرقة عن طريق النشل ممن تكون جيوبهم ملانه بالنقود كما هو الحال في اليمن والسعودية.

ومن العادات التي لا زالوا يحافظون عليها عادة الرقص والغناء والتعامل مع الأدوات الموسيقية مثل البزق ـ الطبل ـ الدف ـ الطبلية... الخ... تربية الكلاب والحجل......الخ.

ـ ومن الألعاب التي يمارسونها:

١. لعبة الشدة بكافة أنواعها.

٢. لعلبة المنقلة.

٣. لعبة الودآي. (لعبة العصا).

وتتكون هذه اللعبة من فريقين كل منهما يتكون من ستة أطفال. وتلعب هذه اللعبة ليلاً، حيث يصطف أفراد الفريقين المكونين من ـ ١٢ ـ لاعب على نسق واحد. وينتقي أفراد الفريقين طفلاً لا يمت للفريقين على غرار الحكم بينهما وغالباً يكون هذا الطفل حيادياً. بعد أن يصطف أفراد الفريقين على نسق يمسك عندئذ ذلك الطفل العصا التي يلعبون بها وغالباً لها شكل مميز. ويقذفها خلف الفريقين المصطفان على نسق. بعد قذف العصا من الحكم يبدأ أفراد الفريقين بالبحث عن العصا، وعندما يجد العصا أحد لاعبي الفريقين يسلمها بدوره إلى الحكم وتحسب نقطة لصالح فريقه ضد الفريق الآخر. وكلما حصل أحد الفريقين على نقاط أكثر من الفريق الآخر يكون هو الرابح (عن السيدة صبحة محمد السبع).

٤. لعبة الخمس حصوات (الزقطة أو القالات): ولعبة الخمس حصوات لعبة شائعة في ريفنا العربي السوري وحتى في مدنه يتسلى بها الأطفال وخاصة الإناث منهم.

٥. لعبة الكورة: حيث تكون هناك كرة من التك المطعّج حيث يحضرها الفريقان اللذان يلعبان بهذه الكرة. وتوضع تلك الكرة في وسط الملعب. ويكون مع كل فرد من الفريقين عصاً طويلة أطول من ١٠٠ سم وتكون هناك حفرة في وسط الملعب.

يكون لكل فريق له مرمى يتكون من حفرة خاصة به. وعندما تبدأ اللعبة يحاول كل فريق قذف الكرة وإدخالها لحفرة الفريق الخصم. وهذه اللعبة عربية قد انتقلت إلى أوربا ومن أوربا انتقلت إلى القارة الأمريكية ولكن مع تعديل طفيف عليها وصارت تعرف هناك بلعبة الغولف.

وهناك ألعاب الدحاحل عند الأطفال الصغار الذكور. ولا تزال حتى أيامنا هذه في القرن الواحد والعشرين.

عشائر النّور في مفرق حُجِّيرة /السيدة زينب/

• على يمين الطريق العام الذاهب من بلدة / ببيلا - سيدة زينب / وقبل مفرق حجيرة بمسافة لا تزيد عن مئتي متر يوجد في أرض سليخ مخيم لجماعة من النُّور، يزيد عدد الخيام عن / ١٢ / خيمة. ويمكن تقدير العدد الإجمالي لهذا التجمع ما يزيد عن ثمانين شخص / ٨٠ - ١٠٠ / شخص بصورة عامة.

- ويتكون هذا المخيم في الغالب من عائلات تنحدر من عشيرة الملاحمة /٩/ تسع خيام، وخيمة واحدة لعائلة من عشيرة / الْجَراجِمَة / وخيمة لشخص من عشيرة الصايغ:

- عشيرة الملاحمة: إن معظم المتواجدين في المخيم المذكور ينحدرون من عشيرة /الملاحمة/. وأن جميع أصحاب تلك الخيام من الملاحمة وهم جميعاً أولاد عمومة.

كان هؤلاء النُّور في منطقة حلب /كبَّاس/. وقد جاءوا إلى هذا المكان منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات بحجة أن أولادهم يخدمون الجندية في منطقة دمشق ومن أجل أن يكونوا قريبين منهم، هذا القول عام ١٩٨٨م.

- يقول هؤلاء / النُّور / عن أنفسهم أنهم قرياط من منطقة حلب - ويعمل الرجال كافة في مهنة الأسنان / تركيب وتلبيس/.

وكما قالوا لي أن الرجال الذين يعملون في مهنة الأسنان يسافرون في الصيف إلى الخارج، حيث يأتون بكميات من النقود جيدة تكفي لسد حاجتهم المادية لبقية أيام السنة. ومعظم الدول التي يسافرون إليها أوربية وإلى بعض الدول العربية لكن هناك دول عربية /السعودية - اليمن/ لا تقبل بمجيء النُّور إليها بسبب الأعمال غير المشروعة التي يقومون بها هناك.

رجل متقدم بالعمر من عشيرة الملاحمة لازال يمارس مهنة تركيب وتلبيس الأسنان

أما المرأة فهي ربة منزل لا تذهب من أجل الاستعطاء /الشحادة/ في النهار كما قال ذلك جيرانهم الساكنين في بيوت ثابتة هناك. كما أن الجوار قد أثنوا عليهم من حيث طيب المعاملة وحسن الاستقبال لمن يأتي ضيفاً إلى عندهم.

وتلبس المرأة الثوب الطويل والواسع من الأسفل حول القدمين والمخصر عند الجذع. وغالباً ما يكون لهذا الثوب ذي الألوان الزاهية / الأصفر - الأحمر - الأزرق - الأخضر / جيبة جانبية تقع على الجنب اليمين بالنسبة لمن يرتدي ذلك الثوب. ولهذا الثوب فتحة على شكل قبة من الأمام من العنق وحتى أسفل القفص الصدري.

وتضع المرأة على رأسها قطعة من القماش الأسود الرهيفة مغطية بذلك العنق وجزءاً من الصدر، في حين أن القسم الأعظم من غطاء الرأس المذكور يغطي الكتفين ومنطقة الظهر والصورة التالية توضح ذلك:

امرأتان من عشيرة الملاحمة أمام خيمتهن

بالقرب من مفرق حجيرة ١٩٨٦ م

إن أفراد هذه العشيرة مسجلون في السجلات المدنية إلا أن المستوى التعليمي عندهم معدوم. فالأطفال من النادر أن ينهوا المرحلة الابتدائية.

- محتويات الخيمة:

تحتوي الخيمة على أدوات منزلية بسيطة / أواني للطبخ. صحون. كاسات شاي. بابور كاز . مدفأة حطب للتدفئة / النساء في النهار هي التي تجمع الحطب من الطرقات ومن بين البساتين.

وتحتوي الخيمة على فراش يتكون من فرشات الإسفنج المرتبة في صدر الخيمة. أما أرضية الخيمة فهي مفروشة بالحصر البلاستيكية والبسط. يغسلون لباسهم في أطباق بلاستيكية خارج الخيمة. ومما لاحظته عند كافة / جماعات النَّور الرُّحَّلْ/ أنهم قليلاً ما يستخدمون اللحاف كغطاء في منامهم وإذا ما استعملوه فيكون بدون غطاء قماشي خارجي / بدون ملحفة /. وإنما يستخدمون البطانيات على نطاق واسع من أجل المد في أرض الخيمة ومن أجل الغطاء ليلاً أثناء النوم.

الصورة لداخل أحد الخيام في مخيم مفرق حجيرة /سيدة زينب/
حيث يبدو الفراش مرتباً في صدر الخيمة.
وتبدو صاحبة الخيمة واقفة أمامها بلباسها التقليدي ١٩٨٦ م.

- يسود بين أفراد نُور الملاحمة ـ الزواج الداخلي Endagamy ـ داخل العشيرة. ولا يتزوجون من نساء لا تنتمي إلى عشيرتهم، ولا يزوجون بناتهم إلى أفراد من غير عشيرتهم. وأن أهل العريس يدفعون مهراً غالياً ثمناً للعروس. ويذهب المهر بكامله لأهل العروس.

- يتم دفن الموتى حسب الطقوس الإسلامية لكونهم مسلمون إلا أنهم يكفنون الميت رجلا أم ذكراً بأكفان تساوي عدد الأزواج التي كانت تزوجت منهم المرأة المتوفية. أو أكفان بعدد الزوجات اللواتي كان قد تزوج منهن الرجل المتوفى.

- يتكلم أفراد عشيرة الملاحمة في هذا المخيم اللغة / القرباطية . النُّورية . الضومية / إلى جانب اللغة الكردية لكونهم كانوا يعيشون في الماضي في منطقة لسانها كردياً. كما أنهم يتكلمون العربية بطلاقة.

هناك في المخيم خيمة واحدة لعائلة من عشيرة / الجراجمة / الذين يزعمون لأنفسهم أنهم أكراد إلا أنهم في الواقع / نور الأكراد /. وتتواجد عشيرة الجراجمة في منطقة حماة. وكان في الماضي أفراد عشيرة الجراجمة يتنقلون في البادية وفي منطقة

جبال البلعاس. ويتكلم أفراد عشيرة الجراجمة اللغة الكردية إلى جانب اللغة العربية إلى جانب معرفتهم باللغة النَّورية القريبة من اللغة / الأوردية كل من التي يتكلم بها أهل الهند وأفغانستان. وأن عشيرة / الجراجمة / مسجلون في السجلات المدنية ويخدم أبناؤهم الخدمة الإلزامية. وأن المستوى التعليمي عندهم متدنٍ جداً شأنهم بذلك شأن بقية جماعات النَّور الأخرى. وصاحب الخيمة الوحيدة الموجودة في مخيم مفرق حجيرة / أبو خالد ـ حسين خالد الجراجمة / يمتهن عمل تركيب الأسنان.

و الشئ الذي يميز / مخيم النَّور / دوماً أن كافة الخيام الموجودة فيه لا ينحدر أصحابها من أصل واحد بالتالي فإنهم ليسوا أقارب بالدم.

ويشعر الشخص النَّوري دوماً باستعلاء على ما يحيط به من أناس غرباء. ولا غرابة إذا ما قلنا أن لدى النَّور نظرة عنصرية فوقية بالنسبة لغير النَّور.

لقد طرحت سؤالاً عن الزواج في أكثر من مكان لدى مخيم النَّور: إذا ما أحب شاب عربي شابة نَوَرية فهل تزوجونه إياها فكان الجواب بصورة عامة - إذا كان يحبان بعضهما البعض وأن ذلك الشاب أهل وقادر على تأمين حاجاتها البيتية فإننا نزوجها إذ نحن ليس أحسن منكم. لكن الواقع لا يزوجون بناتهم للعرب، حيث يعتبرون هذا عاراً وعيباً عليهم، وذلك وفق ما يكنونه في صدورهم من الريبة والشك والحذر للأناس من غير النور – كاجي، وهم بهذا شبيهون باليهود – بتسمية غير اليهودي بـ(غوييم).

حسين خالد الجراجمة / أبو خالد / أمام خيمته بالقرب من

مفرق حجيرة / السيدة زينب / عام ١٩٨٦ م

والزواج عند عشيرة الجراجمة لا يتم إلا بدفع المهر مقابل الفتاة كثمن لها والذي يصل إلى مبلغ يتراوح ٦٠٠٠٠ - ٧٠٠٠٠ ل.س. وأن الشاب الذي لا يتوفر لديه ذلك المبلغ يبقى عازباً. فقد قال السيد / أبو خالد / أنه أرمل وأنه غير قادر على الزواج لعدم وجود المهر الغالي لديه. ويعمل الآن / حسين خالد العلي / من الجراجمة / في صناعة وتركيب الأسنان. وقد قال أن الجراجمة في الماضي كانوا يربون غنماً وماعزاً في منطقة البادية إلا أن الصحيح أن الجراجمة كانوا شعاراً: قواصيد عند وجهاء وشيوخ العشائر الشاوية (التي تربي الشاة) مما كان يؤمن لهم ثروة من الماشية نتيجة المديح والغناء في مضارب عشائر البدو سابقاً.

وهناك خيمة واحدة ينتمي صاحبها إلى عشيرة / الصياغ /.

كان يمتهن أفراد هذه العشيرة من النَّور في الماضي صناعة / الغرابيل والأدوات الزراعية / إلا أن مهنتهم الأساسية كانت ومازالت صناعة الخواتم والأساور والخلاخيل والأقراط الأذنية منها والأنفية. وكانت تصنع أدوات الحلي المذكورة من الفضة ومن الذهب ومن النحاس ومن التوتياء. فهناك الكثير من النساء المتقدمات بالعمر لا زلن حتى اليوم في الأرياف يلبسن الأساور التي تم صنعها من قبل النَّور عندما كانوا يأتون إلى القرية لفترة من الزمن ثم يرحلون إلى قرية أخرى بحثاً عن عمل لهم وتصريف ما يقومون بشغله.

وقد جاء صاحب الخيمة منذ ١٢ / عاماً من منطقة حلب واستقر بخيمته في منطقة /الدويلعة - دخانية/. ونتيجة لعمل قد قام به صاحب تلك الخيمة المدعو / أحمد حمود من جماعة / أبو عيسى / التابعة لعشيرة الصياغ فقد سجن مدة ثلاث سنوات وبعد أن خرج من السجن جاء بخيمته وأطفاله وزوجته والبالغ عددهم /١٢ نسمة/ إلى مخيم مفرق الحجيرة عند السيدة زينب.

إن /النَّور في مخيم مفرق حجيرة/ فقراء كما يبدو لمن يشاهدهم عن قرب. كما لا تتوفر الشروط الصحية في سكناهم. فقد شاهدت الأطفال في صيف عام ١٩٨٦ م وفي شتاء نفس العام يلعبون طيلة النهار حول الخيام وهم حفاة شبه عراة ومع ذلك فإن صحتهم جيدة وأجسامهم قوية. وكما قالوا/ أننا لا نمرض.

■

وتقوم النساء في هذا المخيم وفي كافة مخيمات النَّور في تسخين الماء من أجل الغسيل على موقدة من الحطب تتكون من إناء معدني / سطل ـ أو سخَّانة / قد وضع به الحطب الذي يجمع من قبل النساء لهذا الغرض كما أنهم يشعلون النار في تلك المواقد من أجل التدفئة خارج خيامهم وبشكل خاص مع مغيب الشمس كما لاحظت ذلك أيضاً في مخيم النَّور - الدويلعة ـ كباس - مخيم / الدويلعة ـ الدخانية / في منطقة الطريق المؤدي إلى المليحة باتجاه غوطة دمشق، وذلك شتاء عام ١٩٨٧م.

امرأتان من عشيرة / الملاحمة / مخيم مفرق حجيرة /
تنتظران الماء كي تسخن من أجل الغسيل. كما أنهم / النَّور / يجلسون
حول الموقدة للتدفئة بالرغم من وجود مدافئ في الخيام ١٩٨٦.

وعند السؤال عن سبب عدم استقرارهم حتى الآن كانت الإجابة أن الأرض غالية في ثمنها ولا يتوفر لديهم في الوقت الحالي المال لشراء الأرض والبناء. وقد قالوا عندما تتوفر لدينا الفلوس سنشتري الأرض ونبني بها منازل ليسكنوا فيها.

وبالرغم من أن النَّور يعشقون الحرية ويمقتون السجن ضمن أربع جدران إلا أنهم يحبذون الاستقرار في بناء ثابت لما فيه مزايا إيجابية: الراحة ـ الاستقرار النفسي ـ وإمكانية بعث الأطفال إلى المدارس كي يتعلموا كشأن بقية المواطنين.

الفصل الثامن

النور في منطقة غوطة دمشق

- النور في دير العصافير: رياس
- النور في بلدة صحنايا: حجيات.
- النور في بلدة عدرا: حجيات
النور في بلدة عين غزال: مطاربة /شعار/.
- النور في بلدة: الدرخبية ـ المقيلبية/ مطاربة عقار /تراكلب
- النور في بلدة الكسوة/ قرباط+ حجيات/.
- النور في بلدة حرستا.
- النور في الغوطة الشرقية: بيت نايم. أوتايا. جسرين /تركملية/
- النور في منطقة قطنا: حجيات من جماعات الحجّة/ شيخة.
النور في بلدة المعظمية وداريا.

النَّور في منطقة غوطة دمشق

ينتشر النَّور على اختلاف مِلَلِهِمْ ونِحَلِهِمْ في معظم أنحاء غوطة دمشق وأن معظم أفراد جماعات النور هذه يمارسون مهنة الطبل والزمر: المطاربة ـ والريّاس ـ وهناك جماعات من النَّور يعرفون ـ بالحجيّات - حيث يتواجدون في منطقة عدرا ـ وصحنايا ـ وقطنا ـ وفي بلدة الكسوة، وكما يوجد هناك بعض العائلات النَّورية في داريا وأنهم في الماضي كانوا أقرب إلى جماعة الحجيات منه إلى جماعة الشّعار.

وهناك جماعات من النور في بلدة المعظمية وما حولها، وفي بلدة عين غزال / شعار. وفي بلدة الدرخبية والمقيلبية حيث يتعاطون الأعمال الزراعية كأقربائهم النّور في دير العصافير. ويكاد يتكلم الجميع اللغة التركمانية، والتركية إلى جانب اللغة العربية، وأن الجميع وبخاصة المتقدمين بالسن يتكلمون اللغة النّورية الأم: اللسان النّوري: أو ضُوم واري، وإن في بادئ الأمر ينكرون ذلك عندما يسألون عن معرفتهم بتلك اللغة الخاصة بهم. والتي يسمونها لسان العصفورة: وهي من اللغات الهند وأورية، والأقرب إلى لغة ـ الأوردو ـ التي يتكلم بها أناس يعيشون في باكستان وفي شبه القارة الهندية.

النَّوَرْ في منطقة دير العصافير (ريّاس)

تقع بلدة دير العصافير في الغوطة الشرقية من ريف دمشق وعلى بعد عشرة كيلو متر فقط. وتتبع هذه القرية إلى ناحية المليحة. يطلق نور دير العصافير على أنفسهم لقب - رُيّاسْ - بحيث يقوم الرجل بالضرب على الطبل والشبابة في إحياء الحفلات. ويمكن أن تكون برفقته فرقة موسيقية غنائية يكون من بين أعضائها نساء. لكن النساء اللواتي يعملن في الفرق الموسيقية الغنائية التي يرأسها شخص من نور دير العصافير هنَّ من نساء نور الهرامشة الذين يسكنون بحي التجارة بدمشق. ويتفاخر نور دير العصافير بلقب - رَيِّس.

يتواجد النَّورْ في منطقة دير العصافير بالأماكن التالية المنتشرة بين - زبدين - وحرستا - ودير العصافير - والميزانية. وأن أهم عشائر هؤلاء النّورْ: عشيرة الظاهر - عشيرة التركمانية - عشيرة الميزانية - عشيرة الطيارة، وقد قدم هؤلاء النّور إلى غوطة دمشق منذ فترة زمنية تعود إلى أكثر من مئة عام، وكان توضعهم بادئ الأمر في قرية /زبدين/ التي تقع إلى الشمال الغربي من بلدة دير العصافير (ومعظم سكان هذه القرية من أصل عربي مغربي). ومن ثم انتقل هؤلاء النّورْ إلى قرية دير العصافير. منذ فترة تزيد عن السبعين عاماً. ويرجع سبب اختيار النّورْ منطقة دير العصافير إلى أمور عدة منها:

١ - وفرة المياه ووفرة المحاصيل الزراعية.

٢ - قرب منطقة دير العصافير من مضارب البدو إلى الشرق من منطقة الغوطة.

إن توفر الشرطين السابقين في المنطقة المذكورة كان وما زال يسمح لهم بحرية الحركة بين السكان هناك من أجل الحصول على المواد الضرورية لهم. فكان هؤلاء النّورْ سابقاً ينزلون بخيامهم إلى جانب مضارب البدو من أجل إحياء الحفلات عند رؤساء العشائر البدوية ووجهائها الأغنياء مقابل الحصول على الخراف والصوف والألبان ومشتقاتها. كما أن هؤلاء النّورْ كانوا يحصلون على الماء والخضرة وثمار الأشجار من فلاحين المنطقة آنذاك. وكانت تنشط بين صفوفهم حركة التجول من

أجل الشحادة في المواسم الصيفية للخضار والفواكة. ومن الأسباب المغرية حالياً في البقاء في منطقة الغوطة لنور منطقة دير العصافير هو: انتشار أماكن الترفيه عن النفس في المنطقة كالمطاعم والمقاهي والملاهي التي تعتبر مورداً جيداً لهم عن طريق الحفلات الغنائية أو بيع الأدوات التي يصنعونها يدوياً مثل الربابا - المهابج الصغيرة - طلبيات... إلخ. وأحياناً تذهب المرأة النورية إلى تلك الأماكن من أجل الشحادة والتبصير بالمسبحة أو بالودع للأشخاص الذين يأتون لقضاء بعض الوقت في تلك الأماكن من أجل الحصول على الراحة النفسية بعيداً عن صخب مدينة دمشق وضوضائها.

- ومن أهم العشائر الموجودة في دير العصافير:

التركمانية - بيت الظاهر - الطيار - البزانية. ومعظم أفراد هذه العشائر مسجلون في دوائر السجل المدني العائدة لبلدة دير العصافير.

لقد بدأ تسجيل النَّوَرْ في بلدة دير العصافير في دائرة السجل المدني تقريباً في عام ١٩٥٠ حيث عيَّنت الجهات المسؤولة في منطقة الغوطة مختاراً خاصاً للنّور ومن النَّوَرْ في وقت واحد، واسم ذلك المختار السيد **جميل محمد الظاهر**. فقد قام ذلك المختار بتسجيل كافة النَّورْ في بلدة العصافير بعد أن كانوا مكتومين أو غير مسجلين في السجلات المدنية، وقد تم تحديد الأعمار للذكور والإناث بشكل تقريبي أثناء تسجيلهم في السجل المدني وذلك من قبل لجنة خاصة من دمشق كانت تسمى /لجنة تقديرالأعمار/.

وبعد وفاة المختار جميل بن محمد الظاهر خلفه ابنه علي جميل الظاهر وقد منحته السلطة آنذاك ختماً مهر عليه عشيرة الظاهر - دير العصافير. وقد ذاع صيت ذلك المختار والصلاحية الممنوحة له بتسجيل الأشخاص من النَّورْ في السجلات المدنية لبلدة دير العصافير، وذلك في كافة أرجاء الغوطة حيث تتواجد جماعة النَّورْ /جسرين - بيت نايم - السيدة زينب - الحجر الأسود - الزفتية/. وقد ذاع صيت ذلك المختار في كافة محافظات القطر حيث يتواجد نور هناك مثل /حمص - حلب - حماة/. وصار لدى كافة النَّوَرْ في القطر العربي السوري آنذاك، عِلْمٌ: أن مختار النَّوَرْ في دير العصافير يقوم بالسعي لمنح الهويات المدنية أو جوازات سفر لمن يرغب من النَّوَرْ مقابل مبلغ من المال رمزي كتقدير له على أتعابه التي يبذلها من أجل ذلك. وبالفعل تم تسجيل الكثير من النَّوَرْ في السجل المدني لدير العصافير وإن كان هؤلاء لا يسكنون في نفس بلدة العصافير.

فقد بلغت خانات السجل المدني لدير العصافير ما ينوف عن /١٩٠/ خانة، في حين أن أرقام خانات السكان المحليين لبلدة دير العصافير تقف عند الخانة ذات الرقم /٧٥/. ونتيجة للأعمال السيئة التي كان يقوم بها النَّوَرْ المسجلون على قيود السجل المدني لدير العصافير خارج القطر العربي السوري بعد أن يحصلوا على جوازات سفر تؤهلهم إلى السفر إلى خارج القطر مؤقتاً قامت بعض الدول العربية مثل /السعودية ـ اليمن ـ دول الخليج/ بممارسة حقها بالتحفظ على دخول أناس يحملون جوازات سفر مسجل عليها دائرة السجل المدني لبلدة دير العصافير بصورة عامة دون تمييز بين السكان المحليين الأصليين وبين الذين أخذوا خانة في السجلات المدنية لتلك البلدة والتي تبدأ من الخانة /٧٥/ وحتى آخر رقم الذي وصل إلى /١٩٠/.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عائلات من النَّوَرْ في دير العصافير قد استفادت من قانون الإصلاح الزراعي الذي صدر إبَّان دولة الوحدة عام ١٩٥٨م. بين القطر العربي السوري، وبين القطر العربي المصري بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر.

ويرفض النَّوَرْ من سكان بلدة دير العصافير أن يتم التخاطب معهم على إنهم نَوَرٌ لأن في ذلك انتقاصاً لكرامتهم. ولقد عبر عن ذلك الامتعاض أحد وجهاء النَّوَرْ في دير العصافير قائلاً ـ لو تنتزع عنّا صفة أو كلمة /نور/ لأقمت مضرباً من بيوت الشعر يتكون من سبعة أعمدة وَصِحْتُ العيش يا جوعان. ويعود كُرْهُ /النَّورْ/ لنعتهم بكلمة ـ نَوَرْ ـ إلى المعنى الملازم لهذه الكلمة في ذهن المواطن العادي من غير النَّوَرْ (وتعني هذه الكلمة أن الرجل يقدس البطالة ولا يعمل مطلقاً ويعيش على ما تجمعه زوجته أو أخته أو أمه أو بنته طيلة تجوالها في النهار وبشكل دائم ومتوال). وقد عبر عن هذا الامتعاض رجل من عشيرة /الكريملية/ في منطقة السيدة زينب بقوله /أنَّه مِنْ فَيْنِةْ حَظنا سَمُّونا نَورْ/.

ـ البنية الاجتماعية عند نور دير العصافير:

من المعروف أن البنية الاجتماعية تتكون من مجموعة من المؤسسات الاجتماعية، التي ترتبط فيما بينها بعلاقات اجتماعية متشابكة، والتي يتحدد من خلالها موقع الفرد في الجماعة التي يعيش بين ظهرانيها. وتتدرج العلاقات الاجتماعية حسب المهمة الاجتماعية الملقاة عليها إلى مؤسسات اجتماعية أهمها: الزواج ـ الأسرة ـ العشيرة ـ الطلاق ـ الثأر... إلخ.

ـ الأسرة:

تعتبر الأسرة في أي جماعة بشرية ما اللبنة الأولى التي يرتكز عليها البناء الاجتماعي والاقتصادي لتلك الجماعة البشرية التي تنتمي إليها هذه الأسرة أو تلك. وغالباً ما تتكون الأسرة عند نور دير العصافير من الرجل والزوجة وأولادهما وفي بعض الحالات تتكون الأسرة من الرجل وزوجاته وأولادهن.

وتمتاز العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة عند النُّوَرْ بالاحترام الكامل والمطلق من قبل الأبناء نحو كل من الأب والأم. فلقد لمست أكثر من مرة خلال تحدثي مع الآباء حول العلاقات الاجتماعية والنمط المعيشي أن الأبناء لا يتكلمون مطلقاً ما دام الأب مستمراً بالحديث لأن مقاطعة الأب في حديثه من قبل أحد أبنائه تعتبر جريمة لا تغتفر. كما لمست أن الأصغر من الأبناء يحترم الأكبر وخاصةً أثناء الحديث، حيث لا يتكلم الطفل الأصغر أو الابن الأصغر إذا كان أخوه الأكبر منه يتحدث في الجلسة فإذا ما تحدث الأصغر فإنه يسكت مجرد الإيماء له بطريقة أو بأخرى من قبل أخيه. وقد شاهدت بأم عيني أن الابن يقدم لوالدته العجوز ـ الحذاء كي تلبسه بقدميها، وذلك من قبل سامي بن إبراهيم الصياح لوالدته. وذلك في مساء ٢٠٠٦/٣/٢٨م. وعائلة صياح هذه من جماعات النَور التي كانت تعيش في منطقة الجزيرة ملازمين للشيخ ـ دَحّام الهادي ـ أحد شيوخ عشائر ـ شمَّرْ ـ حيث كانوا يقومون بإحياء الحفلات مقابل الحصول على الخراف والسمن ـ والصوف ـ من الشيوخ، ومن وجهاء العشائر الميسورين.

أما ما لاحظته عند النُّوَرْ غير المستقرين وخاصةً نور منطقة عفرين ونور منطقة العريضة عدم التزام النظام في الحديث وسيره مع ارتفاع الأصوات أثناء الكلام بشكل مرتفع جداً. لدرجة يظن الشخص الذي لا يعرف عاداتهم وتقاليدهم أن أفراد هذه الخيمة في خلافات مع بعضهم البعض لدرجة الشجار.

كما لاحظت أن المرأة والفتاة غير المتزوجة بصورة خاصة لا تشارك بالحديث بشكل مطلق عندما يدور حديث ما بين الأب وأولاده وأناس ضيوف عندهم في الخيمة. ومن الصفات التي تمتاز بها الأسرة النورية في دير العصافير وغيرها: الخصوبة في التكاثر، وحب الأطفال الصغار بشكل غريب سواء من الرجال أو النساء بصورة عامة.

كما أن العلاقة بين الأسر النورية في أي تجمع ما وإن لم يكونوا من عشيرة واحدة نجدها قوية ومتينة جداً فإذا ما تعرض بعض أفراد هذه الجماعة إلى خطر أو إلى مضايقة من جماعة أو شخص غريب هبّوا جميعاً ووقفوا الكل نساءاً ورجالاً وأطفالاً وقفة رجل واحد. لذا فإن أي خلاف مع شخص نوري وفي مكان تجمع أفراد جماعته سواء كانت تلك الجماعة مستقرة يعيش أفرادها في بيوت ثابتة أم يعيشوا في الخيام فلا فرق في تعاضدهم أبداً. فأثناء الخلاف مع رجل أو جماعة غرباء عنهم تزول كافة الخلافات بين أفراد الأسرة، كما تزول معها كافة الخلافات الموجودة بين أفراد الأسرة فيما بينها. وأفراد النَّوَرْ جماعة شجعان فإذا ما أُهين أحدهم فإنه يندفع بنفسه اتجاه خصمه كالسهم وإن كان في ذلك موت محتم له.

- الزواج:

يتصف النّور في دير العصافير كغيرهم من فئات النَّوَرْ الأخرى المستقرة والمرتحلة بالزواج المبكر لكل من الشاب والفتاة على حد سواء. وقد سألت أكثر من امرأة حول هذه الظاهرة فقالت بما في معناه:

أن زواج البنت وهي صغيرة يجعلها محافظة على شرفها ويبعدها عن الانحراف ويقلل من ظاهرة الخطيفة.

والزواج عند نور دير العصافير كان سابقاً شبه مغلق إلا أنهم الآن يتزاوجون مع النَّوَرْ في السيدة زينب والنَّوَرْ المتواجدين في منطقة الحجر الأسود. ويتم الزواج عن طريق الخطبة التي يقوم بها أهل العريس وبعد ذلك تتم الجاهة التي تنحر فيها الذبائح مع طبيخ الأرز والبرغل. وبعد الجاهة بفترة حسب رغبة أهل العريس والعروس الذين يحددون فيما بينهم يوم الزفاف يبدؤون بالغناء والرقص وقرع الطبول والدبكة التي يشارك فيها الشباب والبنات معاً، حيث تظهر الفتيات بأحلى ثيابهن ذات الألوان الفاقعة والمزركشة (الأصفر ـ الأحمر ـ الأزرق ـ الأحمر...) وتتفاخر النساء النوريات بارتداء الزينة سواء كانت ذهباً حقيقياً أم لا.

والشيء الطريف عندهم أن العروس يؤتى بها إلى خيمة عريسها بعد مغيب الشمس في المساء. ويسود عند نور دير العصافير زواج الأقارب وخاصة من ابنة العم لأن المهر في

هذه الحالة أقل فيما لو كانت العروس من عشيرة ثانية. وتشارك إلى حد ما الفتاة النورية في اختيار عريسها من خلال أمها في أغلب الأحيان. وأما المهر عند نور دير العصافير يتساوى في كمية المهر الدارج في منطقة الغوطة الشرقية والذي يصل إلى /عشرين ألف ليرة سوري/. أما في السابق فقد كانت الفتاة تزوج بحمار وطبل أو بأحد الاثنين. وأن الفتاة النورية لم تكن تأخذ من مهرها شيئاً في السابق ولا في الوقت الحالي، فهي تُباع في زواجها كما تباع السلعة ١٩٨٨م.

- زواج الخطيفة:

يسود عند نور الغوطة بما فيهم نور دير العصافير زواج الخطيفة. وسبب هذه الظاهرة الاجتماعية أن الفتاة لا تشارك في معظم الأحيان باختيار عريسها وإنما كلمة الأهل هي الفصل في هذه الحالات. وأن الفتاة تتزوج وهي لا تزال في سن مبكر من عمرها مِمَّ يوقعها بعد زواجها في حب شاب آخر غير زوجها، حيث تغامر بنفسها بالذهاب مع ذلك الشاب الذي اختارته زوجاً لها. وبعد أن تحدث الخطيفة يقوم أهل العريس بتكليف وجهاء العشائر النورية في المنطقة من خلال مختار عشيرة الشاب الخاطف للتوسط عند مختار عشيرة الفتاة الخاطفة، حيث يتم الاتفاق على حل الخلاف ودفع مهر مضاعف في هذه الحالة ثمناً لِعِرْضِهِمْ الذي انتُهك بشكل غير شرعي. وإذا لم يحاول أهل الشاب التوسط لدى أهل الفتاة للصلحة ودفع المهر فغالباً ما كانت تنتهي الأمور بقتل العريس والعروس إذا أمكن ذلك من قبل أهل العروس وعن طريق أقرب الناس إليها مثل الأخ أو الأب. ويوجد عند نور دير العصافير كغيرهم زواج يقال عنه زواج - رَضْوَة - ، ويتم هذا النوع من الزواج كما يلي:

إذا كانت امرأة متزوجة ومن ثم خطفت رجلاً آخر وتزوجته بعد أن تركت زوجها والأولاد إذا كان لها منه أولاد، حيث يتم حلّ هذه المشكلة الاجتماعية الأكثر تعقيداً من زواج الخطيفة للبنت العازبة لوجود ثلاثة أطراف هنا وهم: ١ - الزوج القديم، ٢ - أهل المرأة. ٣ - أهل الرجل الذي خطف المرأة من زوجها:

يقوم أهل الرجل الخاطف بالتوسط لدى أهل الزوجة الخاطفة لإرضائهم فإذا ما وافقوا على ذلك فإن أهل الرجل الخاطف يدفع مبلغاً من المال يكون في معظم الأحيان

ضعف المبلغ الذي دفعه زوجها الأول مهراً لها. وبعدئذ يذهب أهل العروس الخاطفة إلى زوجها القديم بصحبة وجهائهم ويعطونه المبلغ المدفوع من قبل الزوج الجديد مقابل طلاقه لزوجته كي يكتب كتابها على الرجل الجديد الذي خطفته. أما في حالة عدم رضاء الزوج الأول بطلاق زوجته الخاطفة يبقى المبلغ المدفوع مع أهل المرأة وقد يعطونه لأولادها إذا كانوا كباراً كي يعيشون منه لأن الشخص الذي كان يؤمن لهم الطعام واللباس قد تركهم (الأم قبل الخطيفة).

ـ النقوط:

ومن مراسم الأعراس عندهم أن يقوم والد العريس باصطحاب وجهاء العشيرة والأقارب لشراء جهاز العرس لولده. وفي أثناء العرس (حفلة الزفاف) يقوم نَوَر دير العصافير بدعوة أصحابهم من النَّوَرْ في المنطقة وغيرها من المناطق الأخرى التي يتواجد بها نور. وقد يوجهون دعوات لحضور الأفراح لسكان دير العصافير من غير النَّوَرْ. ويقدم إلى المشاركين في حفلة العرس: موائد عامرة بالفواكه والخمور إلى جانب لحوم الخرفان المطبوخة مع البرغل أو الأرز إذا كان أهل العريس ميسورين. وفي المكان الذي يسمونه المِزرَحْ وتلفظ المِرْسَحْ (وهو المكان الذي يجتمع به الناس يوم الزفاف من أجل الدبكة والرقص وضرب الطبول) ويقوم أحد الأشخاص ويصيح بصوت مرتفع جداً محرضاً الحضور والمدعوين للمشاركة بهذا الحفل إلى دفع النقوط (الهدايا) التي يغلب عليها النقود وأحياناً تكون مرفوقة بالخراف. فيصطف الناس الذين سينقطون العريس ويقدم كل منهم ما يمكن دفعه. وبصورة عامة لا يمكن أن يدفع النوري كنقوط أقل من ٥٠٠ ل.س حالياً هذا في عام ١٩٨٦م. يقول الرجل الذي تولى إشهار المتبرعين بإطلاق صيحات الشوباش (شوباش لأبو فلان فقد دفع ٥٠٠ ل.س مع خروف وأحياناً ١٠٠٠ ل.س وأكثر لأن في ذلك المبلغ تفاخر وتباه للمتبرع أثناء الحضور). وتستمر سهرة ليلة الزفاف حتى الساعات الأولى من صباح اليوم الثاني على أنغام المزمار والطبل والغناء الشعبي ورقصات الحجيات ويتخلل غناء العرس غناء من نوع عتابا ـ ميجانا إلى جانب الأغنيات الحديثة.

- الطلاق:

إن النُّوَرْ بصورة عامة وبدون استثناء يُعَدِّدُوْنَ في زوجاتهم ولا يطلقون لدرجة يمكننا القول أنهم جماعة بشرية أفرادها مزواجون وليسوا مطلاقين. ولا يقدم الرجل النوري على طلاق زوجته إلا في حالة رؤيتها في خيانته مع رجل آخر غيره. ويترتب على أهل المَرأة في هذه الحالة دفع المهر الذي كان قد دفعه زوجها لهم أثناء زواجه منها. ويترتب في هذه الحالة أمور اجتماعية منها:

١ - أن يأخذ أهل المرأة التي خانت زوجها إلى عندهم.

٢ - أن يخطر الرجل الذي نام معها بوجوب الزواج منها بعد دفع المهر مضاعفاً لأهلها، والذي يعطى بدوره إلى زوجها الذي تركته بمحض إرادتها.

٣ - فإذا لم يأت أهل الرجل الذي ضبط نائم مع تلك المرأة من أجل التوسط للزواج منها، يتم قتل تلك المرأة من قبل أهلها، وفي هذه الحالة صار بحكم المؤكد ضرورة قتل الرجل الذي اتهم بها مهما توسط الأهل لحل ذلك. والسبب يعود إلى أن أهل المرأة قتلوا ابنتهم على حسابه لأنه هو السبب، وهذا يؤدي إلى خلاف بين عشيرتي كل من المرأة المقتولة والرجل الذي افتَضِح أمره مع المرأة المقتولة. وغالباً ما يؤدي الخلاف إلى ذهاب ضحايا بريئة ليس لها دخل في حادثة المرأة والرجل، والسبب في ذلك يعود إلى أن النُّوَرْ كافة ترتكز حياتهم الاجتماعية على العصبية القبلية، حيث تؤمن القبيلة الأمن والاستقرار لأفرادها، وأن الفرد فيما إذا سحب عنه غطاء القبيلة، يصبح معرضاً للأذى، والموت من قبل الآخرين، وبالتالي فإن دمه أصبح مهدوراً ولا أحد يقف إلى جانبه.

- العشيرة:

ينتظم النُّوَرْ كافة وبدون استثناء في عشائر بحيث يرتبط أفراد كل عشيرة بعضهم البعض برباط القرابة الدموية. ويترتب على هذا الرباط الدموي بالنسبة لأفراد كل عشيرة ما يلي:

١ - إن كافة أفراد العشيرة يرتبطون ببعضهم برباط القرابة الدموية حسب خط الأب علماً أن المرأة هي العنصر الاقتصادي الفعال في نمطهم المعيشي.

٢ - إن كافة أفراد العشيرة مترابطون مع بعضهم ارتباط العضو بالجسد فإذا ما حدث لهذا العضو مكروه تداعت له كافة أعضاء الجسم بالسهر والحمّى.

٣ - كافة أفراد العشيرة يحلون الخلافات التي تحصل فيما بينهم عن طريق رئيس تلك العشيرة (الشيخ)، فكلامه لأفراد عشيرته في حل الخلاف بمثابة السلطتين التشريعية والتنفيذية معاً. كما أن كافة الخلافات التي تحصل مع أحد أفراد هذه العشيرة مع أفراد عشيرة أخرى من النُّوَرْ يتم التوسط من أجل حلها عن طريق رئيس العشيرة.

٤ - في معظم الأحيان يكون لكل عشيرة مجلس يتم من خلاله تداول وحل المشاكل التي تعترض أفراد هذه العشيرة، ويتكون هذا المجلس من وجهاء تلك العشيرة بما فيهم الشيخ أو كبير هذه العشيرة، فرئيس عشيرة التركمان في منطقة دير العصافير هو السيد - علي جميل الظاهر - المعروف بأبو زهير. وقد كان أبوه من قبله - محمد جميل الظاهر - مختارٌ لنور دير العصافير وهو ريّس في نفس الوقت.

٥ - يعيش أفراد العشيرة بصورة عامة معاً فإذا كانوا غير مستقرين فغالباً ما يشكلون في تجمعهم شبه معسكر من الخيام التي تضرب إلى جانب بعضها البعض على عكس من جماعات البدو التي تكون خيامهم (بيوت شعرهم) متباعدة عن بعضهم البعض. فإن دلّ هذا على شيء إنما يدل على أن جماعات النُّوَرْ تعيش حياة مغلقة تماماً فكل عشيرة بمثابة حلقة مفرغة يعيش كافة أفرادها بأسرهم داخل هذا الحيز من الفراغ داخل تلك الحلقة. وأن إبعاد أي فرد إلى خارج هذا الحيز من الفراغ بمثابة عقوبة إعدام له. وتجدر الإشارة أن معظم رجال العشيرة دوماً يذهبون إلى بيت المختار أو أحد الوجهاء، حيث يشربون القهوة ويتبادلون الأحاديث فيما بينهم.

ومن صفات أفراد العشائر النورية في سلوكهم اليومي أنهم: مرحون يضحكون للشيء الذي يسر القلب من أعماقهم. يتقبلون النكات حتى الثقيلة منها بكل طيبة قلب، لكنهم يغضبون بسرعة بسبب طباعهم القاسية التي لا تعرف اللين أغلب الأحيان؛ لذا نجد أفراد العشيرة في خلافات مستمرة إلا أنهم يتناسون خلافاتهم بنفس السرعة التي تعتمر بها قلوبهم لدرجة أنه يمكن الحكم عليهم من خلال مضمون هذا

المثل الذي يقولونه عن أنفسهم ـ بيتخانقوا على الدّق وبيصْطّلحُوا على الجَبْوَة[1] ـ . وغالباً ما كانت تحدث نزاعات بين عشائر نور دير العصافير وتوابعها في ناحية النشابية حول الأحقية بالمخترة (خلافات بين عشيرة بيت الظاهر وبين بيت النايم) على عشائر النَّوَرْ في ناحية النشابية الواقعة في الغوطة في الشرق من مدينة دمشق.

ـ المعتقدات الدينية:

يدين النَّوَرْ في منطقة دير العصافير بالديانة الإسلامية كغيرهم من بقية النَّوَرْ في منطقة الوطن العربي إلا أنهم لا يتمسكون بتعاليم ذلك الدين وفرائضه حيث القليل منهم يؤدون الصلاة في أوقاتها. لكن كافة فئات النَّوَرْ بغض النظر عن نحلهم المعيشية وأماكن تواجدهم يتقيدون بشعائر الإسلام الدينية في طقوس دفن الموتى إلى جانب ظاهرة الختان لدى كافة النَّوَرْ. ويحتفل النَّوَرْ عامةً بعيدي رمضان والأضحى مع عدم تقيد الغالبية منهم بصوم شهر رمضان. كما أنهم يطبقون تعاليم الدين الإسلامي في تحديد المحرمات من النساء بالنسبة للرجل كما ورد في الشرع الإسلامي. كما أن كافة الأسماء عند النَّوَرْ جميعاً هي أسماء عربية ذات طابع إسلامي: محمد ـ أحمد ـ علي ـ عثمان ـ عمر ـ خالد ـ بكر ـ فاطمة ـ عائشة ـ آمنية ـ حليمة.... إلخ.

ويشتهر نور دير العصافير بصورة عامة كما يقول السيد أبو خالد من عشيرة نور الصايغ (والذي يقطن في السيدة زينب وبقية أهله في جورة العرايس بحمص) بطيبة القلب والكرم. إلا أنهم دوماً يكفرون بكلامهم (يسبون الله ومحمد بشتائم مختلفة في كلماتها) وتعد هذه الشتائم صفة سيئة في سلوكهم.

ويدفن نور دير العصافير موتاهم في المقبرة العامة لبلدة دير العصافير لكن في جانب خاص بالنَّوَرْ.

---

١ - يعبر هذا المثل عن طيبة الشخص النوري الذي يغضب بسرعة لكنه يرضى بسرعة لأن المثل بحد ذاته يعبر عن ظاهرة اجتماعية عن طريق كلمات قليلة ومعبرة. ويدل المثل هذا على أن النَّوَرْ بصورة عامة ينظرون إلى مهنة الغناء وقرع الطبول وغيرها من الأدوات الموسيقية جزءاً من شخصيتهم الاجتماعية. وأنهم كلهم يحبون العزف على الآلات الموسيقية لدرجة يقوم الخلاف على من سيقوم بقرع الطبل والضرب على البزق (الطنبورة) أو المزمار، لكن في نهاية المطاف يرتضون ويتسامحون ويتقاسمون أجر أتعابهم بالتساوي وإن لم يكن أناس لم يشتركوا بالعزف على الأدوات الموسيقية لأن حصيلة عملهم يذهب لكافة أعضاء الفرقة.

- **الكرم:**

إن نور منطقة دير العصافير كرماء مضيافين ويقدرون الضيف ويكرموه. فعندما ذهبت إلى بيت السيد علي جميل الظاهر مختار نور دير العصافير تم إكرامي وزملائي الدكتور علي موسى والسيد حسين عواد الذي كان يعدّ رسالة ماجستير في التخطيط الإقليمي. فقد قدمت لنا أم زهير تلك المرأة بكل لطافة وثقة في النفس القهوة المرة والفواكه - الكرز - المشمش - الخوخ، حيث كانت الزيارة في صيف عام ١٩٨٥ إلا أننا لم نوفق برؤية السيد أبو زهير في تلك المرة. وقد أمطرتنا أم زهير بعبارات الترحيب. وطلبت منا أن ننتظر حتى يأتي أبو زهير الذي كان قد ذهب إلى دمشق لشراء قطع غيار للجرار الزراعي الذي يمتلكونه لحراثه أراضيهم التي يزرعونها حبوباً في منطقة دير العصافير.

وحول الكرم عند النُّوَرْ قال لي أكثر من شخص من النُّوَرْ ومن الناس الذين لهم اختلاط بهم: أن النوري إنسان كريم شهم في بيته. لأن الكرم من صفات البنية الاجتماعية عند النُّوَرْ عامة لدرجة أن قال مثلاً يصف فيه اليد المبسوطة في الكرم للنور - لو ما يقال عن النوري نوري لقطع الكرم - (أي أن كرم الشخص الذي ينتمي إلى عشائر النُّوَرْ لا مثيل له، ولكن مع الأسف مهما كرم النوري لضيوفه بمفهوم الناس الذين من حوله من غير النُّوَرْ أنّه يبقى بنظرهم نوري. فلولا ما يقال عنه نوري بعد حسن الضيافة لضيوفه، حيث قدّم كل ما يستطيع تقديمه، وذلك تمشياً مع عاداتهم وتقاليدهم التي يلتزمون بها في سلوكهم اليومي). وقد قال لي أيضاً شخص له معرفة جيدة بعادات وتقاليد النُّوَرْ حول كرم النُّوَرْ ولا أدري مدى صحة ذلك: أنه إذا كان للنّوري مصلحة عند هذا الشخص أو ذاك الذي هو بضيافتهم فإنهم يتفانون في إكرامه، وأعتقد أن هذه الصفة الناجمة عن المصلحة والتذبذب لمن بيده هذه المصلحة ليست موجودة عند النُّوَرْ فقط، وإنما موجودة عند كافة المجتمعات البشرية بغض النظر عن الانتماء اللغوي والسلالي والجغرافي والزماني لتلك المجتمعات البشرية.

- اللغة التي يتكلم بها نور دير العصافير:

يتكلم النَّوَرْ لغات الشعوب التي خالطوها وعاشوا بين ظهرانيها لمدة زمنية طويلة، مع الاحتفاظ بلغتهم الأم /الدُّومرية أو النورية/: فنور دير العصافير يتكلمون اللغة التركمانية فيما بينهم لدرجة ينعتون أنفسهم بأنهم ينحدرون من العشائر التركمانية التي تعيش في موطنها الأصلي في آسيا الوسطى (منطقة تركمانستان: تركمانيا التي هي إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي في آسيا الوسطى سابقاً). ويُنعَت أهل دير العصافير من قبل غيرهم بـ التركمانية وذلك نسبة للغة التركمانية التي يتكلمون بها لانتمائهم البشري كما يزعمون لأنفسهم ذلك، علماً أن ذلك مخالف للحقيقة. وإنما هم بالحقيقة نور قد عاش أجدادهم في الماضي بين عشائر التركمان فاكتسبوا لغتها التركمانية وخير ما يقال عن ذلك قول أحد النَّوَرْ العارف بأمور النَّوَرْ أبو خالد: أن النَّوَرْ التركملية هم الأصح أن يطلقوا على أنفسهم - نور التركمان - لأن النَّوَرْ والتركمان لا يمتان لبعضهما بأي صلة لغوية ولا سلالية ولا قومية.

- دور رئيس العشيرة:

يعتبر رئيس العشيرة هو القائد والموجه. وهو المرجع في حل كل الخلافات التي تنشب بين أفراد عشيرته. وشيخ العشيرة هو الذي يمثل عشيرته في مجالس شيوخ العشائر النورية كل المشاكل بين عشائر النَّوَرْ إذا ما حصلت. وكان سابقاً السيد جميل الظاهر هو شيخ النَّوَرْ في منطقة غوطة دمشق، وبعد وفاته صار ابنه - علي جميل الظاهر - الذي يسكن في بلدة العصافير والذي يعود له الفضل في تسجيل الكثير من النَّوَرْ المكتومين في منطقة دمشق وضواحيها.

السيد علي جميل ـ شيخ النَّوَرْ ـ يرقص في حفلة أقامها بمناسبة تسريح ابنه زهير من الجيش.
فقد أقام عشاءاً من الأرز واللحم /مناسف/ وحلويات
قرئ عليها المولد النبوي الشريف ـ ١٩٨٧م وكنت أحد المدعوين من غير النّور

ـ النمط المعيشي:

إن نور منطقة دير العصافير في معظمهم جماعات مستقرة تسكن في بيوت إسمنية أو طينية محشوّة بالخشب على طريقة أهل الغوطة في بناء بيوتهم سابقاً وذلك تكيفاً مع البيئة الجغرافية التي يعيشون فيها حيث التربة السهلة والأشجار وانعدام الغطاء الحجري سواء كان رسوبياً أم اندفاعياً. وأن البعض من هذه العائلات هناك تمارس الفلاحة بأراضٍ قد حصلوا عليها عن طريق الإصلاح الزراعي، وأن معظم هذه الأراضي مرويّة تزرع خضاراً وأشجاراً مثمرة. وأن لنور دير العصافير والغوطة علاقة مع البدو الرحل المتواجدين على أطراف البادية، حيث يضرب النَّوَرْ خيامهم إلى جانب مضارب البدو في أيام المواسم في الربيع والصيف ليحصلوا على الخراف وعلى الصوف والألبان ومشتقاتها مقابل الحفلات التي يقيمها هؤلاء النَّوَرْ عند وجهاء البدو. وأن البدوي يشعر

بأن من الواجب عليه دفع شيء مما يمتلك للنور عندما ينزلون بخيامهم إلى جانبه. حيث يقومون بإحياء الحفلات. لأن هؤلاء النَّور شعاراً سيقومون بهجائه عند البدو الآخرين إذا لم يكرم وفادتهم إلى جانبه.

ـ الأعمال التي يقوم بها الرجل:

ـ الزراعة: يمارس عدد من الرجال لأسر عديدة مهنة الزراعة المروية في الأراضي التابعة لهم والتي حصلوا عليها من الإصلاح الزراعي في أعوام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ وذلك على زمن دولة الوحدة. ويمارس أفراد هذه الأسر زراعة النباتات الصيفية: البندورة ـ البطاطا ـ الباذنجان ـ الفليفلة، كما أنهم يزرعون شتاءً: الجزر ـ الفجل ـ الملفوف ـ القرنبيط ـ الخس. ويزرعون أيضاً أشجاراً مثمرة مثل: التفاح ـ الكرز ـ المشمش ولكن بكميات قليلة. ويتم إرواء تلك المزروعات عن طريق نبع ماء يُدعى ـ نبع عين التينة ـ بالقرب من دير العصافير.

ويستخدم هؤلاء النَّوَرْ الآلات الزراعية الحديثة والقديمة كل حسب وضعه المادي. فمن خلال جولاتي الميدانية هناك شاهدت بعض الأسر على سبيل المثال المختار ـ أبو زهير ـ يملك جراراً زراعياً خاصاً به يفلح به أرضه ويفلح أرض الغير مقابل أجرة محددة من الفلوس. أما الذين لا يمتلكون الأداة الحديثة أو المادة فإنهم لا زالوا يستخدمون الحيوانات مثل: الحمار ـ الخيل سواء في الفلاحة أو في جني المحصول أو في تسويق ذلك المحصول.

إن الشيء الجيد الذي لمسته عند نور دير العصافير: أن مهنة الشحادة التي كانت تمارسها المرأة في الماضي، قد زالت من نمطهم المعيشي السابق، حيث كان الرجل ...وره، يدور على بيادر الفلاحين ومعه الربابة. فبمجرد دخول النوري إلى البيدر، حيث ...بّة القمح* ـ يبدأ بالعزف على الربابة مع إطلاق غناء المديح لصاحب البيدر، وأحياناً يكون مع الرجل امرأة تغني أو ترقص مما يؤدي ذلك إلى زيادة في إعطاء صاحب البيدر

* ...ة القمح: بعد أن يتم تذرية التبن لفصل القمح عن التبن - تبدأ عملية هزّ القمح بالغربال، ومن ثم إعطاؤه إلى شخص يقف بشكل ... بيده مقطف كماحي - يقوم بدوره بقطق القمح في مكان واحد حتى يتم قطف القمح بالقطف بهد هزّه بالغربال. فتكون كومة من ... على شكل هرم - من الأسفل واسع ودائري وتكون القمة ضيقة ودائرية: تعرف هذه الكومة من القمح بتسمية / الصبّة.

الكمية لذلك الشخص النوري الحامل للربابة، ولكن في غالب الأحيان كان الفلاح صاحب البيدر الذي عنده ـ صبّة قمح ـ أن يسارع إلى إعطاء النوري نصيبه من القمح دون أن يسمح له بالعزف على ربابته اعتقاداً من ذلك الفلاح أن بركة طلعة القمح سوف تطير (كنت أشاهد هذه الحوادث وأنا طفل في بيادر بلدتي نوى وذلك حتى عام ١٩٦٣م). وذلك اعتقاداً من الفلاح البسيط: أن الغناء حول صبة القمح ـ تذهب منها البركة: (تطير البركة: حسب التعبير المحلي لأهل حوران).

ـ **الأعمال اليدوية:** يمارس رجال بعض الأسر في منطقة دير العصافير صناعة مهابيج القهوة التي يصنعونها حالياً من خشب شجر المشمش أو خشب شجر التوت اليابس وغير المتشقق، علماً أن أجران القهوة الجيدة كانت تصنع ومازالت تصنع من خشب شجر البطم غير القابل للتشقق مهما تقادم الزمن عليه بالإضافة إلى صفة القساوة التي يتمتع بها خشب البطم. إلا أن شجرة البطم تكاد تكون شبه منقرضة، حيث لا يوجد إلا بقايا من الأعداد القليلة منها في منطقة جبل البلعاس.

ويبيع النُّوَرْ ـ أجران القهوة ـ في أسواق حوران مثل سوق الجمعة الشهير الكبير الذي ما زال يقام حتى يومنا هذا في بلدة نوى، وسوق درعا ـ سوق خربة غزالة ـ سوق جاسم ـ سوق إنخل.... إلخ. ويبيعون الأجران أيضاً في أسواق جبل العرب وفي الأماكن التي تتعامل مع السياح مثل سوق المصنوعات الشرقية في البناء التابع لتكية السلطان سليم وفي سوق الحميدية وعند أبواب الملاهي والمطاعم في الغوطة وبقية مناطق دمشق، وفي مناطق الأردن.

ـ **صناعة الغرابيل:** لا زال البعض من الرجال المتقدمين بالعمر من نور منطقة دير العصافير يمارسون صناعة الأدوات الزراعية مثل: الغربال ـ المذارة ـ المقطع ـ الكربال ـ الغربيلة (غالباً ما تصنع من الأسلاك المعدنية بدلاً من السريد المصنوع من جلود الحيوانات) ويحصل هؤلاء الصناع على المواد الأولية من الجلود حالياً من المسالخ في مدينة دمشق. ويحصلون على الأخشاب كإطارات للغرابيل أو عصي من أجل المذراة على الأخشاب في منطقة الغوطة.

ـ **النسيج اليدوي (النول اليدوي):** يقوم البعض من النُّوَرْ في منطقة دير العصافير بممارسة الحياكة مثل حياكة البسط التي تعمل من قطع القماش القديمة المشرّطة

على شكل شرائح طولانية لا يتجاوز عرضها الواحد سم وأطوال طويلة جداً عن طريق ربط كل قطعة بالقطعة الأخرى ومن ثم غزل هذه الأشرطة القماشية ولفها على كتلة كروية الشكل يصغر حجمها أو يكبر حسب طول ذلك الشريط القماشي.

ـ صنع السكاكين: يمارس البعض من سكان دير العصافير صناعة السكاكين (الأمواس جمع كلمة موس) حيث كانوا يستعملون الكور اليدوي والمصنوع من الجلد من أجل إذكاء النار المشتعلة كي يستطيع الصانع التكيف بالقطعة المعدنية كيفما يريد.

بالإضافة إلى حرفة الزراعة والنسيج وصناعة السكاكين يمارس الرجال النَّوَرْ في منطقة دير العصافير بعض الأعمال التجارية ضمن التجمعات السكنية في دير العصافير وغيرها مثل: الدكاكين والمتاجر الصغيرة، حيث يعتمدون عليها في حياتهم اليومية، لكنني لم ألاحظ وجود أي سوق يعقد أسبوعياً أو موسمياً في منطقة دير العصافير.

وهناك البعض من نور دير العصافير يقومون بإحياء الحفلات الموسيقية والغنائية في مناسبات الأفراح على شكل فرق موسيقية تدعى من أجل ذلك مقابل أجر معين يتم التفاهم على كميته مع شخص يدعى ـ الريس ـ وغالباً ما يقوم الريس بتأمين أعضاء الفرقة وخاصةً البنات منها على الأغلب يكنَّ من النَّوَرْ الهرامشة الذي يطلق عليهم ـ الحجْيات ـ واللواتي يسكن في حي التجارة في مدينة دمشق. ويتم تقسيم المبلغ المتفق عليه بين الريس وصاحب الحفلة بالتساوي بين أعضاء الفرقة بما فيهم الريس. ويتفاخر أهل دير العصافير خاصةً بيت الظاهر بهذا اللقب (لأن الريس قادر على قرع الطبل وعلى الرقص بشكل جيد، يستطيع جذب وشد أنظار المتفرجين إليه. فالريس يستطيع القيام بحركات بهلوانية بثني الجذع من خلالها على شكل نصف دائرة في حين النصف الآخر تكمله الأرض المنبسطة ما بين قدميه وراحة كفيه. كما أن الراقص الجيد يستطيع مسك الأشياء الموضوعة على الأرض عن طريق رموش وجفون عينيه. وقد قال لي رجل متقدم بالسن: أنه حضر حفلة في شبابه لشباب نور كانوا يرقصون في عرس في نوى استطاع أحد الشباب الراقصين تكحيل عينيه بالطرف الحاد للخنجر (الشبرية) الذي وضع بشكل مستو على الأرض بحيث يكون أحد طرفيه الحادين متجهاً نحو الأعلى، وذلك دون أن تصاب عيني ذلك الشاب الخفيف الحركة بأي جرح من جراء تمرير عينيه وهما يَضُمَّان الطرف الحاد للخنجر بين أجفانهما.

وتستخدم الفرقة النورية الأدوات الموسيقية: الطبل ـ البزق ـ الزمر (الشبابة)، والآن صاروا يستخدمون: الدربكة ـ العود ـ الأكورديون. ويصل أجر الحفلة الواحدة والتي لا تدوم أكثر من ٣ ساعات في المرة الواحدة على مبلغ يصل إلى (٣٠٠٠) ل.س حتى عام ١٩٨٧م.

كما أن الكثير من الشباب وحتى الشابات صاروا يعملون موسمياً في المتنزهات المتواجدة في الغوطة كعمال للتنظيف أو للخدم، وحتى الغناء والرقص. كما أن هناك بعضاً من الشباب صاروا يعملون كسائقي سيارات نقل داخلي خاصة مقابل أجور معينة على طريق أو على خط ـ الحجر الأسود. ويوجد هناك عدد من الشباب يعملون في معمل الألبسة الجاهزة في الغوطة والمعروف تحت اسم ـ وسيم ـ . إلا أن هناك مورداً لا بأس به يحصل عليه نور دير العصافير عن طريق جماعات في مواسم الربيع والصيف. حيث يشد النَّوَرْ رحالهم ويضربون خيامهم إلى جوار مضارب بيوت الشعر للبدو المتواجدين على الأطراف الشرقية للغوطة. وقد قال لي أكثر من رجل بدوي: أن النَّوَرْ مجرد أن ينون خيامهم إلى جانب مضارب البدو يبدأ البدو بإعطائهم ما تجود به أنفسهم من الصوف والسمن واللبن المجفف /الإكشط/ بلغة أهل دير العصافير (الجميد أو الهقط باللغة العربية)، إلى جانب تقديم الخراف من قبل وجهاء البدو مقابل الغناء والرقص والشوباش لهذا الوجيه أو ذاك من البدو.

وبعد انتهاء موسم الربيع وبداية فصل الصيف نجد النَّوَرْ ذهبوا إلى البادية أو إلى أطرافها لحاقاً بالبدو ومنتجاتهم الحيوانية، وهم يعودون وأمامهم قطعان من الخراف إلى جانب الحمير المحملة بالصوف والسمن واللبن المجفف. وهذه العادة لا زالت عند النَّوَرْ عند منطقة الجزيرة في شمال سوريا وفي وسط سوريا إلى الشرق من حمص ومنطقة حماه.

ـ مهنة الصيد: كان أهل دير العصافير من النَّوَرْ يمارسون الصيد عن طريق الكلاب: البوجي ـ السلوقي، بواسطة الحيوانات البرية مثل: الأرانب ـ الثعلب ـ النيص ـ الغريري ـ الغزال في الماضي البعيد. والنَّوَرْ بصورة عامة يحبون لحم الأرانب ولحم حيوان القنفذ والنيص.

كما أنهم يمارسون مهنة الصيد لطيور الحجل وخاصة الذكر منها لأنه يستخدم في المبارزة والصيد. أما الآن فقد خرجت هذه العادة عند نور دير العصافير وإن وُجدت فإنها تمارس كهواية عن طريق البندقية الحديثة فقط. ويبيع النَّوَرْ ما يصيدونه في أسواق مدينة دمشق. وقد شاهدت في مضافة ـ أبو زهير ـ مختار دير العصافير ـ أنواع من بنادق الصيد الحديثة معلقة على جدران مضافته متباهياً بها ـ وأنها جميعاً قد جاءته هدايا من أناس معروفين.

ـ السفر إلى خارج القطر العربي السوري:

يسافر الرجال وأحياناً إلى جانبهم نساءهم إلى بعض الأقطار العربية الأخرى مثل: السعودية واليمن وليبيا ودول الخليج العربي. وغالباً ما يحصل هؤلاء على الأموال بطرق ملتوية منها: أن يقوم الرجل تلبيس الأسنان ذهباً مزيفاً ليس حقيقي في حين يأخذ مقابله أجراً عالياً. كما يحصلون على الدراهم عن طريق الدخول إلى متجر ويطلب من صاحبه صرف مبلغ ٥٠٠ ل.س أو ١٠٠٠ ل.س فأثناء عملية العد لقطع العملة يتم غش وخداع صاحب المحل وسرقته.

ومن الأعمال التي يقوم بها النَّوَرْ الشباب منهم لعبة ـ الكشتبان ـ في شوارع المدن وخاصة في بعض الزوايا من مدينة دمشق:

يكونون بحدود أربع أشخاص أو أكثر، ويكون واحد من هؤلاء الشباب بيده كشتبان مع قطعة صغيرة على شكل كرة من الورق المفضض أو الرمادي، بحيث يحاول هذا الشاب الحامل للكشتبان المقلوب على وجهه، خداع الناظرين إليه من خلال أحد مرافقيه بوضع ٢٥ ل.س أو ١٠٠ ل.س على الكشتبان الذي وُضعت تحته الكرة. وبعد أن يرفع اللاعب الكشتبان تظهر الكرة تحته فيربح ذلك الشاب ظاهرياً مقدار المبلغ الذي وضعه على الكشتبان الذي توقّع أن تكون الكرة تحته. وعندما يرى الشاب أو الرجل البسيط المار بالشارع ذلك، يتحمس إلى هذه اللعبة فيضع من المال على أحد الكشتبانين آملاً في الربح لكنه يخسر. وقد أقدمت على مثل هذه اللعبة في عام ١٩٦٥ م على طريق الجامعة أمام دار التوليد القديمة، حيث وُجدت شباباً ثلاثة يلعبون لعبة الكشتبان، فوضعت قطعة (٥ ليرات) الوحيدة التي كانت معي وأنا طالب في

السنة الثانية بجامعة دمشق لكنني خسرتها وبقيت طيلة يومين بدون مصروف وذهبت يومها إلى الغرفة التي كنت أستأجرها في منطقة ركن الدين مشياً على القدمين لأنه لا يوجد معي ١٠ ق.س أجار باص آنذاك. فطلبت من الشاب النّوري أن يعطيني /٢٥ق.س/ كأجار للباص فضربني بقبضة يده على صدري وكاد يطرحني أرضاً، وانصرفت إلى البيت خائباً صفر اليدين.

ونتيجة لتصرفات نَوَرْ دير العصافير السيئة في بعض الأقطار العربية، فقد منعت تلك الأقطار دخول أي شخص من دير العصافير إليها (السعودية ـ اليمن الشمالي). وعلى ضوء ذلك فإن أهل دير العصافير الأصليين مستاءون جداً من تسجيل النَّوَرْ على نفس الأرقام لقيد النفوس الخاصة بتلك البلدة. لا بل يطالب أهلها عن طريق المختار محمد الخطيب بأن يخصص للنور في دير العصافير أرقاماً في قيد نفوسهم غير تابعة للسجل المدني لبلدة دير العصافير.

ـ المرأة والعمل عند النَّوَرْ في منطقة دير العصافير:

تتصف المرأة النورية بصورة عامة والتي تنتمي إلى الجماعات الرحل بصورة خاصة بحركتها المستمرة طوال أيام السنة من الصباح وحتى المساء وهي تتجول في القرى المحيطة بمكان تجمعهم المؤقت سواء كان ذلك صيفاً أم شتاءً لتحصل على المواد التموينية لأفراد أسرتها. فالمرأة هنا بمثابة عمود البيت التي يقع على كاهلها تأمين الغذاء لأفراد الأسرة.

لكن الذي لاحظته أن الأسر النورية التي استقرت واستفادت من توزيع الأراضي عن طريق قانون الإصلاح الزراعي في كل من دير العصافير ومنطقة الدرخبية إلى الجنوب الغربي من مدينة دمشق: أن المرأة هنا صارت متفرغة لأمور البيت من تربية الأطفال وتحضير الطعام في وقت ابتعدت نهائياً وإلى الأبد نهائياً عن مهنة ـ الشحادة ـ التي تعتبر جزءاً من الشخصية الاجتماعية للمرأة النورية. كما أن العائلات النورية التي يعمل رجالها ـ رياساً ـ لا تمارس النساء فيها مهنة الشحادة وإنما يقعدن فقط في البيوت لتربية الأطفال وتحضير الطعام. وخير مثال على ذلك السيد علي جميل الظاهر المعروف أبو حسين، وهو شقيق للسيد أبو زهير المختار والذي يعمل ـ رَيِّس. وقد لاحظت بأن

عيني أن زوجته وأمه وبناته متفرغات لأمور البيت ولا يمارسن مهنة الشحادة بأي شكل من الأشكال فالرجل هو الذي يعمل ويجلب ما يحتاجه البيت من طعام ولباس. ويهتم السيد أبو حسين بتربية الخيول الأصيلة من أجل السبق. ويوجد في بيته الذي يقع إلى اليسار من جدول مائي في الجزء الشمالي من بلدة دير العصافير صور له وهو يمتطي فرسه العربي الأصيل، كما أن هناك سَرْجان للفرس وخُرْجان يوضعان فوق السَّرْج لوضع الأغراض التي يمكن حملها على ظهر الفرس.

أما بقية معظم نساء المهن الأخرى فإنهن يمارسن مهنة الشحادة وبإتقان كبير يستطعن استدرار عطف الآخرين من جهة بفضل لبقاتهن في الحديث وطلب الحاجة من صاحبة الدار التي يدخلنها على شكل جماعات يزيد عدد كل واحدة منها عن امرأتين على الأقل وتستخدم النوريات في منطقة الغوطة طرقاً ملتوية للحصول على نصيبهن من الشحادة:

١ -أن تحمل المرأة معها ورقة مزورة قد كتب عليها، أنا أم لسبعة أطفال أو أكثر وأن الأب قد توفي ولا أحد غيرها يعيلهم حالياً مع التفوه بكلمات ذات مضمون رقيق تؤثر عن طريقه في شعور وأحاسيس السامع لها ـ الله يخلي شَبَابَك ـ الله يخلي لك صاحب البيت ـ الله يجيب لك زوجك بالسلامة.... إلخ.

٢ -التبصير لصاحبة الدار ومحاولة كشف الطالع لها ولبقية أفراد عائلتها. وفي هذه الحالة تكون امرأتان نوريتان مع بعضهما بحيث تسأل أحدهما الأطفال الموجودين خارج المنزل عن أوضاع أفراد أصحاب البيت الذي يدخلانه، في حين تدخل أحدهما إلى عند صاحبة البيت مباشرة، فتبدأ بالحظ أو التبصير عن طريق الودع فتكون بهذه الحالة دخلت المرأة الثانية التي جمعت معلومات كافية عن أصحاب الدار. فتقوم بدورها بتلقين المرأة التي تخطُ عن طريق الوَدَعْ باللغة التي تتكلمان بها والتي لا تفهمها ربة البيت. فتدهش ربة البيت لدقة وصحة المعلومات التي تقولها لها تلك النورية الضاربة للودع. وفي هذه الحالة فإنها تجزيها العطاء. وأحياناً تقوم أحدهما بالهاء صاحبة البيت في حين الأخرى تقوم بالبحث عن الأماكن التي تضع فيها صاحبة البيت ذهباتها (أدوات الحلي).

والجدير بالذكر أن المرأة التي تقوم بهذا الدور تحمل معها مجموعة من المفاتيح كي تفتح بواحد منها بعض الأمتعة المغلقة بقفل لتحصل على ما في داخلها الخفيف الوزن والغالي الثمن. ولقد روى لنا رجل من دير العصافير عن قصة لأحد البيوت في بلدة الأحمدية هذا نصها:

دخلت امرأة نورية إلى بيت من بيوت بلدة - الأحمدية - التابعة إلى ناحية النشابية، وذلك بعد أن عرفت الكثير عن واقع أفراد هذا البيت. وعلمت النورية أن في هذا البيت امرأة - عاقر - ليس عندها أولاد. فبعد أن دخلت إلى بيت تلك المرأة البسيطة استطاعت إقناعها بأن لديها وسائل تجعلها قادرة على الإنجاب. وعلى إثر ذلك طلبت من المرأة العاقر إحضار شَكّةَ ليرات الذهب التي تملكها تلك المرأة (العُرْجَةَ كما يُقال لها في حوران). وبعد أن تم إحضار المرأة العاقر لشَكّةِ الذهب قامت المتسولة بإبدالها بشكة ليرات ذهب مزيفة بعد أن حاولت ربطها على خصر تلك المرأة العاقر بعد أن طلبت منها التعري تماماً حتى تستجاب التراتيل التي ستقرؤها والتي تعتبر بمثابة طلاسم لإيهام المرأة بأنها ستحمل. وقد تمَّ كشف زيف هذه العملية من قبل زوجها ولكن بعد فوات الأوان.

وتقوم المرأة حالياً بطلب: الزيت - الصابون - النقود - اللباس - الأحذية، في حين كانت في الماضي تطلب: البرغل - العدس - الأرز - الحمص - الطحين - الخبز، وكأن مهنة الشحادة تتكيف مع المتغيرات الجديدة التي تطرأ على النمط المعيشي للناس الذين هم هدفاً لنساء النَّوَرْ في عمليات التجوال اليومية (الشحادة).

ومن الطرق التي يمارسها النَّوَرْ لشحد ما يحتاجونه من صوف وسمن ولبن جامد مجفف من البدو يذهبون وينزلون بخيامهم إلى جانب مضارب البدو على أطراف البادية في مواسم الربيع وأوائل الصيف. ومجرد أن يشاهد البدوي أن خيمة للنور نُصبت وراء بيت شعره يشعر بأن عليه واجب دفع شيء ما من إنتاجه لصاحب هذه الخيمة: صوف - سمن - هقط (الإكشط). وأن بعض البدو الميسوري الحال يقدمون الخراف وخاصةً بعد الحفلات الراقصة والممتعة التي يقيمها هؤلاء النَّوَرْ مديحاً لوجهاء العشائر ومشايخها. فيعود هؤلاء النَّوَرْ في نهاية الموسم محملين بالسمن والصوف وأمامهم قطعان الخراف التي يبيعونها فيما بعد بالمدينة. وحالياً تمارس نساء النَّور

لبلدة دير العصافير، ببيع بعض الخضار: كزبرة، بقدونس، فجل، بصل أخضر، خس، ملفوف، طرخون، ملوخية، هندباء، فليفلة: إلخ في منطقة سوق الهال القديم بمدينة دمشق، ومنهن ما يبعن الفريكة - عند جسر الثور - وقد اشتريت من إحداهن فريكة في الشهر الأول لعام ٢٠٠٦م – وكانت تلك الفريكة من النوع الجيد، واشتريت منها كيلوغرام واحد بـ٥٠ل.س.

- المسكن:

كان المسكن سابقاً عند نور دير العصافير الذين استقروا، يتكون من الخيام المعمولة من أكياس الخيش القديمة والبالية أحياناً، في حين كان بيت مختارهم يتكون من بيت قد نسج من شعر الماعز على غرار البيت المصنوع من شعر الماعز عند جماعات البدو الرحل.

أما الآن فيتكون المسكن لنور دير العصافير من البناء الاسمنتي المسلح، ويتكون أحياناً البيت من طابقين كما هو حال بيت السيد أبو زهير مختار نور دير العصافير. ويوجد في بيته وبيت كل شخص من نور دير العصافير غرفة كبيرة تزيد مساحتها عن الثلاثين متراً مربعاً تستخدم بمثابة مضافة يتم فيها استقبال الضيوف. ونلاحظ أن كافة البيوت شبة منفصلة عن الحظائر التي تعيش فيها الحيوانات مثل الحمير أو الخيول. وأن كافة البيوت ممدة إليها الكهرباء والماء، وهذا بدوره ما يجعل أثاث البيت يحتوي على الأدوات الكهربائية العصرية: المذياع - المسجلة - الغسالة - التلفاز - مطحنة القهوة.... إلخ.

وفي المطابخ توجد أدوات الطبخ الكهربائية منها والتي تعمل على الغاز. وغالباً المضافة ما تكون ممدودة بالسجاد والفرشات الصوفية والاسفنجية أحياناً أخرى. ويوجد لديهم البسط الصوفية والوسائد المحشية بالصوف والمصنوعة من الغزل الصوفي كما هو الحال في بيت الريس – علي جميل الظاهر – من أجل أن يرتكي عليها الشخص الجالس على الفرشة.

ويقوم صاحب البيت من النَّوَرْ في دير العصافير بتحضير القهوة المرة لتقديمها للضيوف. كما أن صاحب البيت يقوم بمسامرة الضيوف من أجل خلق جو يرتاح الضيف فيه. ومما لاحظته أن الرجل في البيت عند نور دير العصافير يكاد يكو شبه ديكتاتورياً في علاقته مع بقية أفراد أسرته. وأن كافة قراراته نافذة غير قابلة للتأجيل.

وربما سبب موقف الرجل المتسلط في البيت هنا لكونه الأداة العليا المنتجة التي تحصل على ما يحتاجه أفراد البيت من طعام وشراب وسكن، في حين أن المرأة لا عمل لها سوى داخل المنزل في إعداد الطعام وتربية الأطفال وهذا بدوره أنقص من قيمتها الاجتماعية في البيت.

- اللباس:

يتكون لباس الرجل بصورة عامة من: القلابية ـ الشماخ أو السلك أو القضاضة البيضاء والعقال من فوق غطاء الرأس. ويلبس الرجل المتوسط العمر الجاكيت فوق القلابية الإضافة إلى السروال من القماش الأبيض الرقيق؟؟؟، ويرتدي الشاب من نور دير العصافير اللباس العصري من بنطال وقميص في حين الرأس يكون حاسراً.

ويتكون اللباس الشعبي للمرأة إذا كانت متوسطة العمر من: الفستان الطويل أو الخراطة الطويلة التي تربط في وسط الجذع وتتسدل حتى أسفل القدمين. وتكون الخراطة واسعة وفضفاضة في الجزء الأسفل منها. وترتدي المرأة على رأسها قطعة من القماش الأسود الرقيق الذي تلفه على رأسها وتغطي الجزء الأكبر من كتفيها وظهرها به، مع رباط على شكل عصبة على الرأس. وأحياناً تلبس المرأة القميص عوضاً عن الكنزة. أما بالنسبة للشابات فإنهن يلبسن القماش المزركش ذي الألوان الفاقعة والغالية الثمن. وغالباً ما يتكون اللباس من ثوب طويل يشبه القلابية مع وضع إشار على الرأس.

النَّوَرْ في بلدة صحنايا (حجيات)

تقع بلدة صحنايا إلى الجنوب الغربي من مدينة دمشق. وأن أهالي بلدة صحنايا يعتمدون في نمطهم المعيشي على الزراعة وخاصة زراعة العنب والفواكة والخضراوات.

يقيم في بلدة صحنايا مجموعة من النَّوَرْ القرياط، إلى جانب جماعة من النّور - الحجّيات حيث يبلغ عددهم بحدود الخمسين شخصاً. ونور بلدة صحنايا دوماً يضربون خيامهم في الجزء الشمالي الشرقي وعلى امتداد استراد جديدة صحنايا الذاهب إلى منطقة حوران جنوباً. ويعتبر هذا الموقع من بلدة صحنايا مكاناً ملائماً لسكناهم مما يسهل لهم حركة الانتقال من جهة، والاتصال بالمراكز السكنية بما فيها مدينة دمشق من جهة ثانية من أجل قضاء حاجاتهم اليومية.

ومن أهم العائلات التي تسكن في صحنايا ما يلي:

- حسن بديع عز الدين: أبو سميح وأولاده.
- تركي محمد عز الدين وأولاده /حالياً يسكن في المغضمية في خيام/.
- تركي محمد عز الدين /متزوج من بيت البسوني ويسكن حالياً في قطنا/.
- حسين عز الدين.
- صابر عز الدين.
- يوسف عز الدين.

- الأسرة:

تعتبر الأسرة الخلية الاجتماعية والاقتصادية في البنية الاجتماعية لعشائر النَّوَرْ. وأن الرجل في البيت هو سيد الموقف ومدير شؤونه وإن كانت المرأة التي تشكل الركيزة الأولى في جمع المواد التموينية لأفراد الأسرة. وتتكون الأسرة من الرجل والمرأة وأولادهما. وغالباً ما تكون الأسرة عند كافة جماعات النور دون استثناء من النموذج الذي يعرف بالأسرة الممتدة، التي تتكون أكثر من جيلين، أو ثلاث أجيال.

ـ الزواج:

يتم التكاثر السكاني لجماعات النَّوَرْ عن طريق الزواج الذي يشهر عن طريق الخطوبة وحفلات الزواج المفرحة التي يقيمونها. ويحضر أفراحهم أناس من القرى المجاورة لهم مثل: جديدة – صحنايا – الأشرفية – داريا ، للاستمتاع بغنائهم الجذاب وبموسيقاهم العاطفية. وتصل نسبة التزايد السكاني إلى ٤٪.

ويتم في يوم الخطبة نحر الخراف وطبخ الطعام الذي يوضع في مناسف كبيرة قد ملأت بالأرز واللحم أو البرغل واللحم.

ويتم الفرح عند نور صحنايا ثلاثة أيام بعد ليلة الدخلة (الزفاف). والمهر عند هؤلاء النَّوَرْ مرتفع وخاصةً إذا كانت الفتاة جميلة وتمارس الغناء والرقص. ويسود زواج البدل عندهم حتى الدَّاقيش وغالباً ما يكون لزواج البدل سلبيات تترتب عليه قد ذكرناها في مكان آخر من فصول هذا الكتاب. وتشارك الفتاة باختيار شريك حياتها إلا في بعض الحالات حيث تتزوج على رأي أهلها ، مما يؤدي في هذه الحالة إلى هروب الفتاة مع من تحب على شكل خطيفة ، وتصل نسبة التزايد السكاني عندهم إلى ٤٪.

ويتكلم هؤلاء اللغة التركية إلى جانب اللغة النورية الأم (لغة الدومري). وقد قال أكثر من شخص أن كافة النَّوَرْ على اختلاف نحلهم يعرفون اللغة النورية الأم ولكن بشكل متفاوت. وأن القرياط لا زالوا محافظين على اللغة النورية بشكل أفضل من بقية عشائر النور الأخرى.

القصص التي يحكونها عن أصولهم ذات الطابع الخرافي الأسطوري:

آ ـ لقد أجاب أحد الأشخاص من نور صحنايا عندما سألته عن الحكايات التي يتداولونها فيما بينهم حول أصولهم البشرية...، وذلك كالآتي:

أن عجوزاً أتت إلى حسَّان ومعها ناقتها فطلبت من خادمها (عبدها) أن يربط الناقة بأرض ـ كليب ـ وهو ابن عم حسان ، وأن يقطف لها الأوراق من أعلى الشجرة ولما رأى خدم كليب (عبيده) الناقة قتلوها. وعندما رأت العجوز الناقة قد قتلت شكت أمرها إلى حسَّان ، فقال لها حسَّان ماذا تريدين بدلاً منها فقالت أريد واحداً من الأمور التالية:

١ -إما ناقتي تقوم على الأربعة (تريد ناقتها حية من جديد بعد أن ذبحت، وهذا أمر مستحيل).

٢ -وإما تملأ فرجي من نجوم السماء.

٣ -وإما رأس كليب على الأرض يحوم.

وبعد أن أصغى حسان إلى المطالب التي طلبتها العجوز بدلاً عن ناقتها وجد أن الطلب الأول والثاني مستحيل تحقيقه. واستقر رأي حسان على قتل كليب لأن هذا أمر يمكن تحقيقه.

عندئذ ذهب حسان إلى بيت كليب وسأل عنه فأجابه أهله: أن كليب خرج يروض المهرة التي اسمها (القمرة). فلحق حسان عندئذ كليب حتى وجده. وطلب حسان من كليب أن يتسابقان وأثناء السباق كان كليب يتقدم حسان، فصاح حسان بكليب، فالتفت كليب إلى الوراء فقال له حسان: ليس من عادتك يا ابن عمي أن تنظر إلى الوراء، فعاد كليب وتابع سيره، ومن ثم صاح حسان مرة ثانية بكليب فالتفت كليب إلى الوراء فخاطبه حسان بعبارته التي قالها له في المرة الأولى ليس من عادتك أن تلتفت إلى الوراء يا بن عمي. وفي المرة الثالثة وهما لا زالا في حلبة السباق صاح حسان بكليب فلم يتلفت في هذه المرة. فأقدم حسان على الغدر بكليب حيث طعنه بالرمح طعنة قاتلة.

ولما علم الزير سالم بمقتل ابن عمه - كليب - جمع كافة أفراد عشيرته الأقربين ودارت رحى المعركة بين الزير سالم وجماعته، وبين حسان القاتل وجماعته، وقد دام القتال عشرة أيام وكان الزير في كل يوم يأتي إلى قبر كليب ويسأله إذا كان يكفي العدد الذي تم قتله من جماعة حسان مقابل دمه إلا أن كليب لم يجب الزير في كافة المرات التي سأله بها عند قبره. وبعد كل سؤال يعتقد الزير أن كليب غير راضٍ عن القتلى حتى الآن وإنما يريد المزيد من ذلك علماً أنه كان يقتل يومياً من جماعة حسان ثمانين شخصاً. كما تقول تلك الحكاية الأسطورية التي يتناقلها جماعات من النَور - شفاهاً.

ونتيجة لكثرة الدماء التي سالت فكر أحد العقلاء بأن يذهب إلى قبر كليب ليستلقي به حتى إذا ما جاء الزير وسأله هل هو راضٍ عن عدد القتلى كي يجيب بكلمة نعم أنه راضٍ.

وفي اليوم الثاني جاء الزير إلى قبر كليب وسأله هل يكفي ما تم قتلهم من جماعة حسان فأجاب الرجل المتنكر يكفي. فأجابه الزير عندئذ - انهض وساعدني، وسحب

صاحب الصوت من القبر وهم الزير بقتله لكن الزير تردد قليلاً وسأله لماذا فعلت ذلك فأجاب الرجل فعلت ذلك حقناً للدماء.

وبعد أن اقتنع الزير بعدد القتلى من جماعة حسان اشترط من أجل إنهاء القتال بينهما ما يلي:

١ -أن لا يشعل جماعة حسان النار أبداً.

٢ -أن يكون ترحال جماعة حسان في منتصف النهار.

وعلى إثر هذين الشرطين القاسيين تفرق جماعة الفارس العربي حسان، وبدؤوا بالرحيل بين أرجاء كافة الوطن العربي. ومن هذه الجماعات ينحدر النُّوَرْ الحاليون.

وأن أحداث هذه القصة حسب ما زعم راويها أنها حدثت في المغرب العربي في منطقة تُدعى ـ مرج بن عامر ـ (علماً أن مرج بن عامر منطقة سهلية تقع في فلسطين المحتلة).

إن هذه الرواية شائعة عند الكثير من النُّوَرْ لاعتقادهم السطحي غير الصحيح بأنهم ينحدرون من قبائل عربية مثل قبيلة بني مرة كما يزعمون لأنفسهم ذلك.

وقد قال لي شخص من نور صحنايا رواية أخرى عن أصل النُّوَرْ:

أن النُّوَرْ الحاليين هم الصعاليك الذين كانوا يجوبون الجزيرة العربية في السابق وخاصةً قبل الإسلام.

إن في هذا القول افتراء على الحقيقة وإنقاص من القيمة الاجتماعية للصعاليك الذين كانوا متمردين على الواقع الاقتصادي الاجتماعي القائم على الرق والعبودية آنذاك بين صفوف العرب بجزيرتهم.

فقد كان الصعاليك يقومون بظاهرة الغزو لمواشي وأملاك الأغنياء من سكان الجزيرة العربية وما يغتنمه الصعاليك في غزواتهم يوزعونه بينهم بالتساوي بعد أن يتم توزيع الكمية الكبرى من غنيمتهم على الفقراء من عامة الناس من بدو المنطقة التي يتواجد فيها الصعاليك. والصعاليك لم يمارسوا مهنة الشحادة قط وإنما العكس هم جماعة كرام ورفيعي الخلق.

ويسود عند نور صحنايا عادة الثأر الاجتماعية المتأصلة في سلوكهم الاجتماعي. فإذا ما قتل شخص من عشيرة ما يصبح مفروضاً على عشيرة المقتول الأخذ بدمه من عشيرة القاتل. وليس شرطاً أن يقتل القاتل، وإنما أي فرد من عشيرته لأن أي فرد في العشيرة دمه يمكن أن يهدر بدلاً عن دم القاتل بغض النظر عن درجة القرابة الدموية له.

ويعيش معظم نور بلدة صحنايا في خيام يضربونها على جانب الاستراد العام الآتي من بلدة جديدة - صحنايا - حوران. وذلك باستثناء عائلة واحدة تتكون من اثني عشر فردا ما عدا الأب والأم، حيث تتكون هذه الأسرة من أربع بنات وثمانية شباب. وأن هذه العائلة مسجلة في السجل المدني للنفوس ببلدة صحنايا. ويؤدي شباب هذه الأسرة ضريبة الشرف المتمثلة في الخدمة الإلزامية في الجيش العربي السوري.

بعض من عائلة النَّوَرْ التي تقطن في بيت إسمنتي مسلح في بلدة صحنايا على ضفة مجرى مائي
وتملك هذه الأسرة قطعة أرض تزيد مساحتها عن الأربعين قصبة
(بحدود الدونم مربع) من عائلة عز الدين حجيات

وتملك هذه الأسرة كافة مستلزمات الحياة اليومية المعاصرة في بيتها: تلفاز - مذياع - مسجلة - غسالة - براد - جهاز فيديو. وأدوات موسيقية حديثة غالية الثمن من أجل إحياء الحفلات الغنائية والموسيقية في سرغايا - الزبداني - مخيم اليرموك - جديدة - المعضمية وفي أي مكان يدعون إليه، ومن الأسر النورية، التي استقرت في بيوت إسمنتية حديثة، عائلة أبو صياح، حيث كان في الماضي في منطقة الجزيرة بصحبة الشيخ عبد الهادي. ويتكلم هؤلاء اللغة الفارسية إلى جانب اللغة النورية والعربية، بطلاقة.

ـ اللباس عند نور صحنايا:

يتكون لباس الرجل النوري في بلدة صحنايا من القطع التالية:

حيث يرتدي القلابية الطويلة والفضفاضة، والتي يغلب عليها اللون الأبيض واللون السكري. ويرتدي الرجل فوق القلابية الجاكيت النظيف والمتناسق اللون مع لون قماش القلابية التي يرتديها. ويرتدي الرجل المتوسط بالعمر والمتقدم بالسن أيضاً على رأسه القضاضة البيضاء النظيفة والغالية الثمن من نوع (بْوّال). ويضع فوق القضاضة العقال الأسود والذي يعطي للرجل وقاراً أكبر. ويرتدي الرجل تحت القلابية سروالاً من القماش الأبيض والخفيف. وأما الرجال المتقدمون بالعمر يرتدون قميصاً تحت القلابية، في حين الشباب منهم يرتدون القلابية مباشرةً فوق قميص القطن الداخلي.

الرجل النوري وكبير العائلة المستقرة في لباسه الشعبي النظيف وهو جالس في بيته.
حيث يبدو إلى جانبه أدوات القهوة المرة التي يقوم بتحضيرها يومياً ١٩٨٦م

أما الشباب من نور بلدة صحنايا يرتدون اللباس العصري الذي يتكون من البنطال والقميص والرأس دوماً يكون دون غطاء (حاسراً) في الشتاء والصيف.

إلا أننا نجد أحياناً بعض الشباب الذين تجاوزوا الثلاثين من العمر يرتدون البنطال والجاكيت والقميص، وأنهم في نفس الوقت يرتدون القضاضة والعقال مما يعطيهم هيبة ووقار أكثر في نظر الآخرين، وأن هذه الصورة خير دليل على ذلك.

رجل شاب حيث يمزج بين اللباس العربي واللباس الأوروبي في آن واحد.
وإلى جانبه شابة في لباس البيت العصري ١٩٨٦م.

ـ لباس المرأة:

على ما يبدو أن النساء النوريات المتقدمات بالسن لا زلن محافظات على لباسهن التقليدي إلى حد ما مع بعض التغييرات الطفيفة التي دخلت على لباسها نتيجة للاحتكاك المستمر مع سكان المنطقة التي يتواجدون فيها بشكل مستمر في معظم أيام السنة.

ترتدي المرأة النورية المتقدمة بالسن والمستقرة ببلدة صحنايا: الثوب الطويل والواسع إلى حد ما. وترتدي على رأسها الملفع. الذي يتألف من قطعة من القماش المنسوج من خيوط سوداء رفيعة وناعمة ما يعطي الملفع الشكل الرهيف لدرجة يمكن أن يرى الناظر يتمعن صدر المرأة التي ترتديه من خلاله. وتثبت المرأة النورية الملفع على رأسها بعد أن تحيط عنقها وكتفيها به بقطعة من القماش ذات الألوان المتعددة على شكل

عصبة دائرية الشكل يعقد طرفيها على الجزء الخلفي من الرأس. وترتدي أحياناً المرأة فوق لباسها الطويل جاكيتاً نظيفة مما يعطها هيبة وكمالاً في اللباس. ويمكننا القول بصورة عامة أن اللباس النوري بصورة عامة وللمستقرين في بلدة صحنايا بشكل خاص لباساً طويلاً فضفاضاً وكامل في الحشمة.

امرأة نورية من المستقرين في بلدة صحنايا تبدو في لباسها الشعبي النظيف والتقليدي. حيث يظهر التناسق الجيد في لون اللباس الذي ترتديه على رأسها مع لون قطعة القماش المخاطة على شكل ثوب طويل /السيدة أمر تركي/ خبصة ١٩٨٥م/

إلا أن الشيء الطريف في لباس المرأة النورية في بلدة صحنايا وخاصةً المستقرين منهم أنني شاهدت هناك امرأة في الخمسينات من عمرها ترتدي القلابية الزرقاء القريبة من الثوب الذي تلبسه المرأة الحورانية والبدوية مع اختلافات بسيطة في كيفية التفصيل وخاصة فوق الكتفين، حيث يبدو الثوب مخاط دون أن يكون هناك ثنيات على الكتفين. إلا أن الفتحة الأمامية للثوب أوسع من مثيلتها عن الثوب الذي ترتديه المرأة الحوارنية وحتى البدوية. وتعطي الفتحة الواسعة لقبّة الثوب منظراً كاملاً للملفع الذي تلبسه المرأة النورية على رأسها والمشدود بقطعة من القماش على رأسها بحيث

تغطيه بشكل كامل وأن الملفع يكون مغطى بالثوب لكونه يقع تحت الثوب باستثناء ظهور في فتحة الثوب من الأمام ليغطي صدر المرأة.

امرأة نورية وزوجها إلى جانبها في صحن دارهما المزروع بالورد الجوري كما هو واضح.
وتبدو المرأة بلباسها القريب من الزي البدوي ولكن تعرف من خلال تفصيلة الثوب الخارجي وفتحة الثوب وكيفية لبس الملفع، ومن شكل لف قطعة القماش الملونة حول رأسها على شكل طرحة أنها امرأة (نورية).
/السيد حسن بديع عز الدين وزوجته الحجّة بدرة/ ١٩٨٦م.

ـ المرأة والعمل:

يختلف النَّورْ الذين يتواجدون في بلدة صحنايا في طبيعة العمل الذي تمارسه المرأة باستثناء ظاهرة الشحادة التي تعتبر عاملاً مشتركاً عند كافة النساء النوريات دون استثناء. فالعائلة التي تقطن في بيت إسمنتي ثابت تتمتع بدخل مرتفع جداً بفضل مهنة الغناء والرقص التي تقوم بها المرأة في إحياء الحفلات إلى جانب الرجال الذين يضربون على الأدوات الموسيقية المختلفة. والذي لاحظته أن الفتاة الجميلة لا تمارس إلا مهنة الغناء والرقص لأنها تكون أكثر جاذبية في الغناء والرقص للأناس المشاهدين وللأناس الذي يريدون إحياء الحفلات عندهم. وغالباً الفتاة النورية ما تلجأ إلى أسلوب ـ

الشوباش ـ أثناء الرقص والغناء من أجل الحصول على كمية أكبر من الدراهم من جيوب المتفرجين. فقد ذكر لي السيد نضال حجير ما يلي:

أنه ذات مرة وهو يحضر حفلة فرح لنور بلدته صحنايا المتواجدين على جانب الاستراد العام هناك كان يجلس في الصف الأول من الحفل رجل من حلب يعمل سائقاً لسيارة شحن. فقد نزل ذلك السائق من سيارته بعد أن أوقفها على جانب الطريق العام المذكور سابقاً. وفي أثناء جلوسه كانت الراقصة تنزل من على خشبة المسرح الذي أعدّ لهذا الغرض وتطلق صيحات الشوباش لذلك الرجل الضيف فيضع في صدرها (١٠٠ ل.س) كل مرة تنزل إلى عنده وتصيح الشوباش، لدرجة أنها حصلت منه على مبلغ قيمته (٢٠٠٠ ل.س) عام ١٩٨٥م. في تلك الحفلة. وتجدر الإشارة إلى أن الحفل كان في فسحة من الأرض كبيرة دوماً يتخذها النَّوَرْ لإحياء الأفراح فيها بالنسبة لهم لكونها تقع على الطريق العام (أوتستراد جديدة صحنايا وبالعكس). وأن هذه المنطقة تعج دوماً بالسيارات المسافرة من لبنان إلى حوران والأردن والسعودية ومنطقة الخليج العربي. وعلى هذا تكون تلك الفسحة مليئة بأصحاب السيارات العابرة لأراضي القطر العربي السوري عندما يكون هناك احتفال راقص مع مكبرات الصوت للنور في صحنايا. وتبقى حفلات النَّوَرْ إلى ما بعد منتصف الليل، وتتم في تلك الحفلات سواء كانت عرساً أم طهراً أم نذراً عملية تدعى بالنقوط؛ حيث يصطف الأشخاص الذين سينقطون الطفل أو الشاب الذي أقيم من أجل الحفل، وذلك أمام المطربة المغنية أو المطرب المغني حيث يبدأ بإطلاق صيحات الشوباش المرفوقة بالشكر للمتبرع بالنقوط. ويقولون ـ شوباش من فلان ٥٠٠ ل.س، أو ٢٠٠ ل.س حسب المبلغ المتبرع به. وغالباً ما يأتي الحفل الذي يقيمه نور صحنايا أناس كثر من سكان صحنايا، وداريا، والأشرفية، وجديدة، كي يتمتعوا بالغناء والرقص النوري الذي يريح النفس ويعطيها النشوة وصحوة الوجود.

أما الأسر التي لا تتخذ من الغناء والرقص مصدراً لحياتها نجدها تعتمد اعتماداً كاملاً على ما تجلبه المرأة وهي تشحد طيلة النهار في صحنايا والقرى المجاورة لها. وقد قال لي أهل صحنايا والقريبين من تجمع النَّوَرْ هناك: أن الرجل النوري لا يسأل امرأته عن كيفية جمعها للمواد التي كانت قد جمعتها في ذلك النهار، وإنما يسأل عن الكمية التي قد حصلت عليها. وقال لي أهل البلد أن المرأة النورية غالباً ما تصطحب

معها أطفالها الصغار من أجل كسب العطف والحصول على كمية أكبر من المواد التي تعطى لها من قبل أصحاب البيوت التي يطرقنها في تجوالهن، وإذا كان الطفل رضيعاً فإن والدته تحمله في ثوبها الطويل والمفتوح من الأمام بشكل كامل والذي ترتديه فوق كافة لباسها. ويطلق النَّوَرْ في صحنايا على المكان الذي يوضع الطفل فيه الصغير على ظهر والدته تسمية الشَّقْبَان.

وقال لي الشاب - نضال حجير - من سكان صحنايا وله علاقة جيدة مع النَّوَرْ هناك أنه سأل ذات مرة نورية قائلاً لها: لماذا تشحدين أليس لك رجل وأولاد... ولماذا لا تعمل في عمل آخر غير مهنة الشحادة فكان جوابها حسب قوله كالآتي:

نحن نشحد أباً عن جد وليست هذه المرة الأولى التي نشحد بها في هذه البلدة. نحن نشحد على دور أبوك ودور جدك فهل تريد منا أن نغير هذه المهنة بعد هذا العمر كله.

إن ترك مهنة الشحادة بالنسبة للمرأة كما لمست من خلال دراستي الميدانية لجماعات النَّوَرْ أنها تخف تدريجياً مع مرور الزمن بعد أن يستقر أفراد عائلتها في بناء ثابت وخير دليل على ذلك نور السيدة زينب إلا أن بعض العائلات تسافر نساؤها مع الرجال إلى خارج القطر حيث هناك يمارسن الشحادة والسرقة أحياناً ولفترة قصيرة وبعد ذلك يعدن مع رجالهن إلى القطر. ولا تدوم رحلة الرجل النوري وزوجته إلى خارج القطر أكثر من شهرين على أقصى تقدير.

أما النساء اللواتي يتواجدن في أسر يمارس بها الرجال مهنة التبييض، فإنهن يعملن في تدبير شؤون البيت. وتتجول تلك النسوة بقرية صحنايا وفي القرى المجاورة من أجل جلب الأواني النحاسية التي تحتاج إلى تبييض مقابل مبلغ من المال، وبعد عملية التبييض لتلك الأواني يتم إرجاع تلك الأواني إلى أصحابها من قبل تلك النساء.

وأن جماعة النَّوَرْ الذين يبيضون لا يشحدون ولا يرقصون ولا يغنون. وقد أجاب رجل يمتهن التبييض بعد أن طرحت عليه السؤال التالي: هل لكم مورد آخر للرزق غير هذه المهنة بما يلي:

إننا لا نرقص لا نغني ولا نشحد إلا إذا اعتبرت جلب الماء من البيوت المجاورة بمثابة شحادة. وأردف نفس الرجل قائلاً: نحن جماعة نرحل من مكان إلى آخر بحثاً عن لقمة العيش الشريف من خلال مهنة التبييض. وأننا ننتقل منذ القديم بين قرى

متعددة، بحيث نمكث في كل قرية فترة زمنية ثم نرحل إلى قرية أخرى. وقد أكد حسب قوله أنهم لا يقومون بأي عمل مناف للأخلاق بالنسبة لأهالي القرى التي يرتحلون بينها من أجل التبييض. وأن السبب في عدم إقدامهم باقتراف أعمال سيئة مثلاً لأنهم يأخذون بعين الاعتبار الرجوع ثانية إلى تلك القرية. وقد قال أننا أحياناً في بعض المناطق وخاصة شتاءً نقوم باستئجار بيوت كي نمضي بها الفترة التي سنقيمها بتلك القرية. وبصورة عامة أن الأسر النورية التي تمارس مهنة التبييض لا تستطيع أن تقيم في القرية أكثر من شهر واحد، لأنه في خلال تلك المدة تستطيع تلك الأسرة أو تلك الجماعة من تبييض كافة الأواني النحاسية لتلك البلدة. وتجدر الإشارة إلى أن أهالي منطقة الغوطة الغربية والشرقية على السواء كانوا في السابق يكثرون من الأدوات النحاسية المختلفة أثناء تأثيث بيت العروس لدرجة نجد في كل بيت عدداً من الأواني النحاسية يزيد عددها عن الخمسين قطعة مرفوعة وموضوعة على رفوف خشبية في أعلى الجدار الداخلي للغرفة وعلى الأربعة جدران أحياناً. وأن هذه الكمية تحتاج إلى طلاء بالقصدير بين كل فترة وأخرى. وقد شاهدت مثل هذا العدد من الأواني النحاسية في كل من بيوت: المعظمية - داريا - صحنايا.

- الرجل وظاهرة العمل:

إن الرجل النوري بصورة عامة لا يحب ولا يمارس الأعمال العضلية التي تحتاج إلى جهد كبير، وفي مقدمة تلك الأعمال الفلاحة. فقد سألت رجلاً من نور صحنايا متقدم بالسن عن طبيعة العمل الذي يزاوله فأجاب بكل بساطة وصراحة الجواب التالي.

انه لا يعمل ولا يحب العمل وهكذا حال جميع النُّوَرْ وأردف قائلاً بالمثل الآتي قائلاً: أن في زمن السلطان عبد الحميد العثماني أعطى للنور قطعة أرض في منطقة كوكب وهي منطقة تقع في جنوب مدينة دمشق، وقد أعطاهم السلطان القمح كي يزرعوه، وماشية كي يربونها بغية ترك مهنة الشحادة إلا أن النُّوَرْ لم يعملوا كما أرادت الدولة منهم وإنما تصرفوا العكس تماماً، لقد سلقوا القمح وزرعوه في الأرض، وهم يعلمون أنه لن ينبت لأنه قد سُلِقَ. وأقدموا على ذبح الماشية وأكلوا لحمها وقطعوا جلدها إلى قطع صغيرة جداً وزرعوه في الأرض. وبعد مدة جاء السلطان عبد الحميد كما زعم ذلك

الرجل وسأل النَّوَرْ آنذاك لما لم تزرعوا القمح، فقالوا له: لقد سلقنا القمح وزرعناه ولم ينبت، ولم ندري سبب ذلك، وأننا زرعنا الخراف ولم تنبت. وأن النَّوَرْ قد طلبوا من السلطان عبد الحميد أن ينظر إلى قطعة جلد خاروف كانوا قد أخرجوها من التربة ليرى بأم عينه أنها لا تزال صغيرة لم تكبر. وعلى إثر ذلك طلب منهم السلطان عبد الحميد الرحيل على ظهور الحمير لأن في ذلك يتمحور نمط معيشتهم وقال لهم:

إن رزقكم على ظهور حميركم، هيا ارحلوا أيها النَّوَرْ، وبعد أن أنهى ذلك الرجل الذي سألته عن العمل الذي يقوم به نفى تلك الحادثة، وقال إنها مجرد قصة لا أساس لها من الصحة. إلا أنني سمعت هذه القصة من أكثر من شخص من نور المناطق المختلفة في القطر العربي السوري حتى النساء كنَّ يقصصن عليّ تلك الحكاية غير الواقعية. ولكن ليس السلطان عبد الحميد هو الأمر، وإنما ملوك آخرون وفي أزمنة مختلفة حسب ادعاءاتهم غير الصحيحة والمشكوك بها، وقد وردت تلك الحكاية في كتاب الشاه ناما، للشاعر الفردوسي (١٠١١م): «بعث الحكام المحليون التابعون، لبهرام غور (مالك فارس ما بين عامي ٤٢٠ – ٤٣٨م الذي كان يحب رعاياه) كل على حدة، يخبرونه أن الامتعاض بدأ يتزايد لأن الأغنياء يشربون الخمور برفقة الموسيقى، في حين أن الفقراء لا يستطيعون ذلك.. أرسل الشاه الحكم على الفور رسالة على ظهر الجمل إلى عمه (والد زوجته) شنجيل – ملك كمبوديا ومهراجا الهند، يطلب منه إرسال عشرة آلاف من اللوربيين Luris نساء ورجالاً، ممن يجيدون العزف على العود. وعندما وصل اللوريون استقبلهم الشاه، وأعطى لكل واحد منهم حماراً وثوراً، وأعطى للمجموعة كلها ألف حمار محملة بالحبوب، وكل ذلك على أمل أن يستقروا ويعملوا مزارعين بالمملكة. أكل اللوريون على الفور حبوبهم وثيرانهم، وغادروا العاصمة.. ثم عادوا في نهاية السنة، فقابلهم الشاه بازدراء، فخاطبهم بهرام بغضب قائلاً: (كان عليكم أن لا تضيعوا بذار الحبوب. تملكون الآن حميركم فقط. جهزوا آلاتكم، واربطوا بكل آلة شريطاً من الحرير، وحملوها على حميركم، وغادروا) وإلى الآن ما زال النور اللوريون يتسكعون في البلدان، يتسولون عيشهم، وينامون مع الذئاب، ويحيون كالكلاب دائماً على الطريق، ينهبون ويسرقون في تجوالهم حول العالم»..

لكن الشيء الذي يمكن أن نستشفه من تلك الحكاية ما يلي:

أن النَّوَرْ والعمل المتعب الشاق الذي يتطلب بذل جهد كبير على طرفي نقيض تماماً. كما أن النَّوَرْ لا يمكن أن يمارسوا الزراعة لكونها تتطلب حركة مستمرة من العمل الدؤوب لخدمة الأرض كي تعطي إنتاجها الجيد وهذا ما لا طاقة للنور عليه. إن مثل هذه القصة تترك أثراً نفسياً كبيراً في نفسية السامع إليها من الأطفال النَّوَرْ، حيث ينغرس في نفوسهم كره الفلاحة وتربية الماشية. وتتولد لديهم قناعة أنهم لم يخلقوا للزراعة وتربية الماشية وغيرها من الأعمال الشاقة وإنما هم خلقوا لضرب خيامهم متى شاؤوا وفي أي مكان يريدون، وأن الشحادة هي العمل الذي يجب أن يتقنوه للحصول على رزقهم لأنها لا تحتاج إلى جهد. وقد قال لي أكثر من شخص قد عايش النَّوَرْ: أن النَّوَرْ يجدو في الطعام الذي يشحدونه أكثر طيبة من الطعام الذي يطبخونه في خيامهم فيما إذا انجبروا على ذلك فيما إذا لم يكفهم الأكل الذي كان قد شحدته النساء والأطفال.

وفي نهاية الحديث مع الرجل المسن الذي روى لي القصة الآنفة الذكر قال أنه يقوم بتدبير شؤون منزله ويقوم بتحميص القهوة المرة ومن ثم تحضيرها. وأنه يستقبل الزوار القادمين إلى منزله، ويقدم القهوة المرة كتقدير لهم. وأن هؤلاء ينطبق عليهم المثل الذي يقول /خُبْزُنَا مَخْبُوزْ وَمَاؤُنا بالكُوز/.

أما المورد الحقيقي والأساسي لأسرة ذلك الرجل يأتي من عمل النساء في إحيائهن حفلات الرقص والغناء التي ينشدُّ أليها كافة سكان منطقة صحنايا وما حولها بسبب الأداء الجميل للغناء المرفوق بالحركات الراقصة الجميلة حيث تتلوى الفتاة النورية التي تكون في الغالب جميلة وكأنها قطعة لحم يخلو جسمها من العظام مطلقاً. ويصنف نور صحنايا حسب مهنتهم من النَّوَرْ الذين يطلق عليهم /حجيات/.

فبالرغم من أن هناك عائلات تعيش على الغناء والرقص لنسائها، فإن هذا لا ينفي وجود عائلات ثانية يمارس رجالها أعمالاً متعبة من أجل الحصول على لقمة عيشهم، فقد سألت شاباً يعيش مع والدته في خيمة واحدة عن طبيعة العمل الذي يقوم به فكان جوابه كالآتي: إنني أقوم بإصلاح الدراجات الهوائية وإصلاح بوابير الكاز وضو الكاز (الكلس). وعن سبب ممارسته لتلك المهنة قال: أنه لا يعرف مهنة أخرى كما

أنه يفتقر إلى النساء التي يمكن أن تزاول مهنة الشحادة. أما والدته فهي امرأة مسنة غير قادرة على التجوال بين شوارع البلدة أو بين شوارع غيرها من القرى كي تمارس الشحادة. ويوجد بعض الشباب يمارسون العمل في بيع وشراء الدارجات والمسجلات، لكن من خلال كلام أهل صحنايا الذين يعرفونه قالوا لي عندما قلت لهم عن عمله: أنهم يشكون بذلك وعلى الأغلب أنه يقوم بسرقة تلك الأدوات المذكورة من أماكن بعيدة ومن ثم يقوم ببيعها بأسعار رخيصة.

وفي شتاء عام ١٩٨٦ كان هناك رجل وعائلته، يمارس مهنة التبييض كي يطعم وينفق على عياله. وبالفعل فإن نساء هذا الرجل (بنات وزوجة) لا يمارسن الشحادة مطلقاً لأن في ذلك عيباً لهم.

وسألت شاباً آخر عن طبيعة عمله فأجابني: أنا أعمل كل شيء يعتمد على الجهد العضلي سواء كان بالحفريات أم في جني المحصول أو في مجال البناء بما في ذلك حمل الرمل والحجارة على ظهري. وفي أغلب الأحيان أعمل في تحميل وتنزيل أكياس الاسمنت لقرب مركز التوزيع من مكان إقامتنا. وعندما سألت أكثر من شخص عنه وعن طبيعة عمله: قالوا لي نفس جوابه. ويبدو ذلك الشاب صادقاً من خلال حديثه عن طبيعة عمله التي سردها لي.

وعندما سألته لماذا تسكن ووالدتك في خيمة أجاب:

أنني لا أستطيع شراء قطعة أرض من أجل البناء عليها كما أنني لا أستطيع تأمين مواد البناء من أجل أن أبني بيتاً أسكن فيه أنا ووالدتي لذا أجد نفسي مجبراً على العيش في خيمة مع والدتي العجوز. وأن الشيء الذي يعاني منه ذلك الشاب هو عدم حمله للجنسية السورية، وهو يعمل جاهداً كي يحصل على الجنسية السورية.

النَّوَرْ في بلدة عدرا : (حَجِّيات)

تقـع بلـدة عـدرا على بعـد يزيـد عـن العشـرين كـم إلى الشـمال الشـرقي مـن مدينـة دمشق. ويعيش في هذه البلدة جماعة من النَّوَرْ عند منطقة الخزان وتدعى تلك المنطقة من أهـالي بلدة عـدرا بتسـمية /حـارة النَّوَرْ/. وينتمـي أفـراد هـذه الجماعـة مـن النَّوَرْ إلى عشيرة كبيرة تـدعى /الهرامشـة/. وتعتبر هـذه العشيرة مـن أكبر عشـائر النَّوَرْ في بـلاد الشـام وبشـكل خـاص في القطـر العربـي السـوري. وتتكـون جماعـة الهرامشـة في بلـدة عدرا من عدد من العائلات يزيد عددها عن /١٤/ عائلة. ويتراوح عدد الهرامشة في عدار ما بين ١٤٠ ـ ١٦٠ شخص. ومن هذه العائلات:

١ - عائلة خليفة: تتألف من السيد أبو غازي وأولاده: غازي ـ فايز ـ نجاة ـ نجاح.

٢ - عائلة رشيد: أبو جمال وأولاده: جمال ـ عدنان ـ بسام ـ هيثم ـ فراس ـ رامي ـ نوال ـ محاسن ـ.عبلة.

٣ - عائلة شـريف: أبـو سميـح /فهـد شـريف/ وأودلاه: سميـح ـ سميحـة ـ يسـرى ـ ربيعة ـ أدهم ـ أحمد ـ نجاح.

٤ - عائلة مراد: ويتراوح عدد أفـراد بيت مـراد مـا بـين ٤٠ ـ ٥٠ شخصـا. وقـد جـاء مـراد بـادئ الأمـر مـن منطقـة بعلبـك في لبنـان وسـكـن في بلـدة عـدرا. وبعـد أن تزوج السيد مـراد رحـل إلى منطقـة الشيخ مسـكين بحـوران هـو وابنـه خضـر. وأن السيد خضر بدوره قد تزوج وخلف وراءه عشرة شباب. وأن كافة الأولاد العشرة للسيد خضر متزوجون ويصل عدد أفـراد عائلة مـراد إلى مـا يزيـد عـن /٤٠ شخص/. ومنذ فترة لا تزيد عن الثلاث سنوات رجع أفراد عائلة مراد إلى بلدة عدرا ، وأن كافة بيت مـراد مسجلون في النفوس. وأن الشباب يخدمون العلم لكن نسبة التعليم بينهم متدنية.

ـ الزواج:

إن الزواج من بنات هذه العشيرة بصورة عامة مكلف ومرهق مادياً بالنسبة لأهل العريس لأن المهر الذي يقبضه الأب ثمناً لابنته غالباً ما يكون مبلغاً كبيراً من المال تزداد كميته طرداً مع جمال البنت ومع جمال صوتها وقدرتها على الأداء في الحفلات الغنائية الراقصة لدرجة يصل المهر أحياناً إلى ما يزيد عن /٤٠٠ ألف ليرة سورية/. فالبنت ذات المهر العالي تتوفر فيها الصفات التالية: الجمال ـ الأداء الغنائي الجيد، والأهم من ذلك كونها المعيل الأول والأخير لأهلها. وتستطيع هذه المغنية الجميلة خلال سنة من الزمن أو أكثر أن تجمع ذلك المبلغ الذي دفع مهراً لها لأهلها عوضاً عنها. فإذا ساعدها الحظ وسافرت إلى دول الخليج أو إلى دول عربية أخرى فإنها خلال فترة قليلة ستعود ومعها مئات الألوف من الليرات من دخل الحفلات التي أقامتها في هذا البلد أو ذاك وهي خارج القطر العربي السوري.

وعند /هرامشة/ عدرا يسود نوع من الحرية في مجال اختيار الفتاة من تريد من الشباب لدرجة: أنه يحق للمرأة المتزوجة أن تعشق على زوجها، وإذا كان ذلك الشاب أو الرجل الذي وقعت في شباك حبه غنياً وجميلاً، لا مانع من أن تخطفه وعند الصلحة يتم دفع مبلغ من المال لأهلها يعادل ضعف مهرها دون أن تحصل أي إشكالات سلبية.

ـ زواج البدل(الداقيش):

يسود عند نور هرامشة عدرا زواج البدل أو زواج الداقيش كما يسمونه وكأن الأمر مجرد تبديل سلعة بسلعة لا أكثر ولا أقل. ويتم زواج الداقيش هذا عندما يخطف شاب فتاة ما قد أحبها، فعند الصلحة يطلب والد الفتاة تزويج أخت الخاطف إلى ابنه مقابل ابنته التي خطفت. وإذا لا توجد أخت عند الشاب الخاطف عليه دفع المهر مضاعفاً لأهل زوجته دون أن يأخذ من مهرها شيئاً، والذي يصل إلى ما يزيد عن ١٠٠٠٠٠ ل.س في غالب الأحيان.

ويسود عند هرامشة عدرا ـ ظاهرة تعدد الزوجات. وعندما يقدم الرجل على الزواج من امرأة ثانية، يجب أن تتوفر بها صفات جمالية ولياقة بدنية أكثر من زوجته التي

عنده. وأن الرجل المتزوج يقدم على الخطيفة دون أن يفكر بزوجته وأولاده وماذا يمكن أن يحل بهم. ويفضل الرجل بصورة دائمة أن تكون زوجته من نفس عشيرته التي ينتمي إليها. وأن المرأة عند الهرامشة دوماً تتبع الرجل الغني، حيث عندها الحرية لخطفه وإن كان عندها أولاد من زوجها التي هي على عصمته.

- طقوس دفن الموتى:

ينظر الهرامشة إلى الميت نظرة اشمئزاز مما يدفعهم إلى نقل الميت وبسرعة إلى مقبرة بلدة عدرا. ويوضع الميت في تابوت من الخشب /نعش/ ويرشون عليه قليلاً من الماء ثم يكفنونه بكفن واحد بغض النظر عن عدد الزوجات اللاتي كان قد تزوج منهن في حياته. والمرأة أيضاً تكفن بكفن واحد بغض النظر عن عدد الأزواج التي كانت قد تزوجت منهم في حياتها. ونظراً للعمل النسائي الراقص الذي يزاولونه فإن الحزن عندهم لا يدوم طويلاً على الميت. وأن النساء لا تتصرف كبقية النساء من عشائر النَّوَرْ الأخرى من لطم على الوجه وخدش وتمزيق للثياب وذر التراب على الوجه وعلى الرأس كما هو الحال عند النَّوَرْ الذين يزعمون لأنفسهم أنهم أكراد /نور منطقة كازية القدم/ في الطرف الجنوبي لمدينة دمشق.

فالحزن يدوم في مدته حسب المركز الاجتماعي للميت:

1 - إذا كان الميت عادياً يدوم الحزن عليه يوماً أو أكثر.

2 - إذا كان المتوفي رجلاً ذا قيمة عندهم فإن النساء يربطن رؤوسهن بعصبة سوداء ولمدة أسبوع تعبيراً عن حزنهن العميق على فقيد عشيرتهم الغالي عليهم.

الديانة:

يدين الهرامشة في عدرا بالدين الإسلامي إلا أنهم لا يتقيدون بتعاليم الدين الإسلامي في حياتهم اليومية. فالرجال يتعاطون شرب الخمور بأنواعها وبشكل دائم لدرجة يسود لديهم اعتقاد مفاده /**أن الانشراح لا يتم إلا بالشراب الروحي**/. أما المرأة فهي تحتسي المشروبات الروحية وهي تقوم بالأداء الغنائي الراقص في الحفلات فقط حيث الجو العام يفرض عليها ذلك.

- اللغة عند النَّوَرْ الهرامشة /عدرا/:

يتكلم النَوَرْ الهرامشة الذين يعيشون في بلدة عدار فيما بينهم باللغة التركية إلى جانب التكلم باللغة العربية وبطلاقة. ويتخلل اللغة التركية التي يتحدثون فيها فيما بينهم مفردات تعود في أصولها إلى اللغة النورية الأم /اللغة الضومية/ التي تعتبر أحد اللغات الهندية المنتشرة في شمال غرب وشمال الهند /حيث هناك جماعة يطلق عليهم - الدوم - وهي قريبة من اللغة الأوردية المنتشرة في الجزء الشمالي والغربي من الهند /هندستان/. كما ويوجد مفردات في لغتهم التركية المحكية كلمات عربية وبكثرة الى جانب وجود كلمات من أصول فارسية.

١ - أخ: باروم، وهي كلمة من أصل لغوي نوري وهي من كلمة - بَار، وتعني أخ.

٢ - كلب: سموطا: وهي كلمة من أصل لغوي نوري وهي من كلمة - سنوطا، أو اصروطا.

٣ - بنت: بنوم - فهي تتكون من الجذر /بن/ من أصل عربي، أما - وم - فهي علامة المخاطب للشخص الأول في حالة التملك كقولنا: بنت - بنتي، وهنا /بنوم: بنتي/.

٤ - آب: بابام - أو تلفظ - بابوم - حيث كلمة بابا متأثرة بصفة التملك للشخص الأول في اللغة النورية /الضومية/.

ومن خلال التحدث مع امرأة تدعى /أم جمال/ من نور هرامشة عدرا أن هؤلاء النَّوَرْ الذين يتكلمون اللغة التركية على معرفة جيدة باللغة الضومية الخاصة بالنَّوَرْ دون غيرهم. وقد أكد لي ذلك أيضاً السيد /عبدو الرمضان الأحمد/ الذي ينتمي إلى عشيرة الهرامشة إذ يعرف هو اللغة الضومية وأن أولاده وزوجاته يعرفون اللغة الضومية الخاصة بجماعات النَّوَرْ كافة.

- الأعمال التي يزاولها الرجل:

إن الرجل من عشيرة الهرامشة في عدرا حالياً لا يمارس أي عمل باستثناء العزف على البزق أو العزف على العود بصحبة ابنته التي تغني وترقص سواء في إحياء الحفلات في مناسبات الأفراح في عدرا كانت أم في القرى الأخرى أو في الأماكن العامة من دور

الملاهي. وأحياناً يعزف الرجل على العود أو على البزق في داره في الوقت الذي تقوم فيه ابنته أو زوجته بالرقص والغناء إما من أجل التدريب على عملهم الفني هذا بغية الوصول إلى مستو فني جيد في الأداء الغنائي الراقص في الحفلات الساهرة التي سيدعون لإحيائها مستقبلاً. وأحياناً يقوم الرجل من الهرامشة في عدرا بإحياء حفلات راقصة ساهرة في داره ليلاً إذا ما جاء إلى عندهم أحد وطلب منهم ذلك مقابل مبلغ من المال، حيث يقوم الأب أو الابن بالعزف على العود أو البزق وبنفس الوقت تقوم البنت أو الزوجة بالرقص والغناء مع التمّايل يمنةً ويسرى وهزّ شعر الرأس ونثره على الوجه مع مسك مقدمة الثوب الطويل بيدها. وأن كافة البنات النوريات اللواتي يرقصن يتمتعن بشعر طويل وغزير وحلو مما يضفي على حركاتها أنوثة أكثر وهي تتمايل ذات اليمين وذات الشمال.

فتاة عازبة من نور الهرامشة بعذرا تقوم بالرقص في أحد الحفلات الراقصة
مقابل مبلغ من المال (حجيّة) ١٩٨٦م

وقد انعكست مهنة الرقص على الحالة المادية للرجل النوري من الهرامشة: فعندما يكون الرجل عنده بنت جميلة وصوتها حلو ورشيقة في الرقص يؤدي ذلك إلى تحسين وضعه المادي لذلك الرجل ويظهر ذلك واضحاً في البيت الذي يسكنه وفي الأثاث المفروش في بيته. أما الرجل الذي لا يوجد عنده فتاة جميلة راقصة ومغنية تبقى أوضاعه المادية فقيرة إلا إذا تزوج من حجية ترقص وتغني وعن طريقها سيجمع الأموال مقابل إحياء الحفلات الساهرة الراقصة.

وغالباً ما تكون الحفلات الغنائية الراقصة ليلاً. أما في النهار فإن الرجل من عشيرة الهرامشة بعدرا لا عمل له إلا تحضير القهوة المرة والتدخين وتضييف من يأتي إلى عنده من الرجال لتبادل الحديث بغية تقطيع الوقت.

ـ المرأة الهرموشية وعملها:

إن عمل المرأة الهرموشية كان ولا زال بالدرجة الأولى هو /الشحادة/ في النهار والرقص والغناء في الليل من أجل تمتيع الآخرين بالصوت الحلو والرقصات الجذابة مقابل فلوس يحصلون عليها منهم (الحضور). فالرجل من النَّوَرْ الهرامشة في بلدة /عدرا/ يستحث كل من زوجته وابنته في النهار بالذهاب إلى أحياء القرية التي يسكنون فيها أو إلى أحياء القرى المجاورة من أجل الشحادة: الدراهم ـ الزيت ـ السكر ـ الأرز ـ البرغل ـ اللباس. ويقول أهل بلدة عدرا عن النَّوَرْ هناك /أن الرجل لا يسأل زوجته أو ابنته أين كنت وإنما يسألها كم جلبت/. وأن الزوجة التي لا تذهب إلى الشحادة يهددها زوجها بالطلاق أو بالزواج عليها. لذا في الماضي كان الرجل النوري يعدد في زيجاته أملاً في الحصول على المال بشكل أكثر فكلما كان الرجل عنده نساء أكثر كلما كانت حالته المادية أفضل. وأن الشاب النوري سابقاً كان يرغب بالزواج من الفتاة ذات اليد الخفيفة الرشيقة في الاستعطاء والسرقة في آن واحد. وكلما كانت الفتاة ذات يد رشيقة وخفيفة كلما كان مهرها مرتفعاً ومرغوب الزواج منها. وأن مهرها هنا سيكون أكثر من مهر الزوجة التي ستكون في خيمة زوجها فقط بعد الزواج دون أن تخرج من أجل الشحادة. (ربَّة بيت) ـ حيث يسأل الخاطب من قبل والد الفتاة عند التقدم لطلب يد ابنته: بدْكْ إيَّاها دوَّارة ولا ست بيت).

ولشدة شغف النَّوَرْ من عشيرة الهرامشة بالغناء والرقص من جهة، ولكون أن هذه المهنة تشكل المورد الأساسي للمعيشة عندهم، ومن جهة ثانية نجد الأطفال حتى سن الخامسة من العمر يتدربون على العزف على الأدوات الموسيقية من /ربابة ـ العود ـ البزق ـ الطبل ـ الدف ـ الشبابة/. وأن هؤلاء الأطفال يعزفوه عن التعليم في المدارس ويتجهون بفكرهم إلى تقليد آبائهم في مهنة الرقص والغناء والعزف على الأدوات الموسيقية. ومن الأدوات الموسيقية عند النَّوَرْ في بلدة عدرا /آلة الكمنجة ـ الدربكة ـ الطقاشيات «الصنجات التي تضعهما الفتاة وهي ترقص في أصابع يدها، واحدة في الشاهد أو السبابة» والأخرى في إصبع الإبهام/. وهناك أداة أخرى مصنوعة من جلد الخروف ينفخها النوري ويدق عليها مدة نصف ساعة في الدبكة وتدعى /العنيزة/ موسيقى القُرُبْ غالباً ما تشاهد هذه الأداة الموسيقية في أغاني التراث الشعبي من خلال أجهزة الرائي لمحطة عمّان في القطر الأردني الشقيق.

فتاة حسناء من نور الهرامشة في عدرا أثناء أداء الرقص في أحد الحفلات
وإلى جانبها والدها يشجعها على الرقص ١٩٨٦م

ـ السكن:

كان النَّوَرْ الهرامشة في الماضي يعيشون في الخيام ويتنقلون من مكان إلى آخر على ظهور الحمير التي كانت تربي لهذا الغرض من قبل النَّوَرْ /لأن الحمار هو سفينة النقل في بحر التنقل الدائم عند النَّوَرْ أينما كانوا/.

وكان هؤلاء النَّوَرْ لا يرحلون من مكان إلى مكان جديد إلا وقت الظهيرة حيث الشمس الحادة: ويعود سبب الرحيل في مثل تلك الساعة:

١ - حتى يصبح وزن الخيمة خفيفاً بعد أن تخف الرطوبة الصباحية عنها.

٢ - كي تتمكن المرأة من الذهاب إلى القرية من أجل جمع الطعام اللازم للفطور وطريق الرحيل الذي لا يطول أكثر من بضع ساعات مشياً وراء قطيع أو قافلة الحمير المحملة بالصفار والمتاع. وفي الوقت نفسه يكون كل رجل قد استطاع أن يحزم خيمته من أجل توظيبها لعملية الرحيل.

٣ - البعض يقول أن الزير سالم قد أمرهم بالرحيل في وقت حمية الشوب حصراً.

وقد انقطع نور عدرا عن نمط الترحال غير المستقر منذ فترة تصل إلى أكثر من ثلاثين عاماً حيث تم بناء البيوت الطينية المسقوفة بالخشب آنذاك. أما الآن فصارت البيوت من الإسمنت المسلح والتي يتوفر فيها الشروط الصحية الجيدة. وأن الكهرباء والماء موصلة إلى هذه البيوت. وتتناسب فخامة البيوت والأثاث طرداً مع الحالة المادية للشخص النوري الذي يحب بدوره التظاهر بالغنى والأناقة وحسن الاستقبال أمام الضيف مع إطلاق تعابير كلامية تشير إلى ذلك. وحالياً معظم النَّور الحجيات يعيشون في حي التجارة في دمشق، في بيوت تعود ملكيتها لهم، أو استئجاراً.

كما ويتواجد النَّور الحجيات في منطقة مساكن برزة، حيث في أيامنا هذه أصبحت منطقة مساكن برزة تَغُصُّ بالنَّور الحجيات الذين قدموا من العراق، بعد دخول القوات الأمريكية والبريطانية في احتلالها للعراق، نهباً لثرواته النفطية ولضمان أمن الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، حيث كان العراق بقواته يشكل تهديداً لأمن ذلك الكيان المصطنع.

وقد قال لي أهل /عدرا/ أن البيوت الجميلة والحديثة في حارة النَّوَرْ /حارة الخزان/ تعود ملكيتها لعائلات نورية عندها بنات حجيات يزاولن مهنة الرقص والغناء في الحفلات الساهرة في المناسبات: الأعراس - الطهور - النذر - العودة من الحج - التسريح من الجيش.... إلخ. وأما البيوت القديمة الترابية فهي لعائلات فقيرة لا يوجد لديها البنات الجميلات التي يمارسن مهنة الرقص والغناء (حجيات).

ويرتدي الرجل المتوسط العمر /جلابية ـ وجاكيت فوق القلابية ـ وسروالاً تحت القلابية غالباً ما يكون من القماش الأبيض ـ ويرتدي الرجل على الرأس القضاضة أو الشماخ ومن فوقها العقال أما المرأة فإنها ترتدي الثوب الطويل المزركش والمفتوح من الأمام على شكل قبة ومخصر في الوسط، وترتدي على رأسها منديلاً أسود رهيف تشده على رأسها بواسطة قطعة قماش سوداء.

فتيات /هرامشة عدرا/ يرقصن

ومن حولهن الرجال باللباس الشعبي التقليدي كما هو واضح. ١٩٨٦م.

وبخصوص الطعام الذي يتناوله ـ النور الحجيات ـ في عذرا ـ فيغلب عليه الطعام الجاهز، والذي غالباً ما يكون من الفراريج المشوية التي تشترى جاهزة. وأن أفراد العائلة الواحدة لا يأكلون سوية لكونهم لا يتواجدون معاً في البيت وفي وقت واحد. ويشتري هؤلاء /اللحم المشوي/ من السوق بشكل جاهز، وأن الطبخ عند هؤلاء النَّوَرْ قليل جداً في البيت. ويقدم إلى المرأة الولادة: شوربة الدجاج بالرز ـ سودة ـ شراب مغلي الكمون أو اليانسون ـ حلاوة...إلخ. ويتعاطون المشروبات الروحية، وأن الوجبات الرئيسية في طعامهم غالباً ما تكون في أماكن إحياء الحفلات الليلية الساهرة.

وتذهب الفتيات الحجيّات أسبوعياً، إلى صالونات الحلاقة للاعتناء بشعرهن، وتعاطي تسريحات ليظهرن بمظهر أنيق، يزيدهن جمالاً فوق جمالهن، ومنهن من يذهب -- قصاص الشعر - إلى بيوتهن لتزيين شعرهن. ويتم هذا مقابل أجر مرتفع، حيث تدفع الفتاة الحجيّة الدراهم بسخاء لإظهارها بمظهر جذاب ومغرٍ.

وترتدي الحجيّة اللباس الأنيث الرهيف والغالي الثمن، والمستورد من خارج القطر، إلا أن الحجية وبغض النظر عن مهنتها الغنائية الراقصة، فإن لباسها يغلب عليها طابع الحشمة، على عكس من الفتيات غير النور، اللاتي يظهرن غير محتشمات في ملابسهن، وهن يبتذلن حركات جسدية بعيدة عن الحشمة، كراقصات ملازمات للغناء الهابط، مضموناً وأداء لمغنين غير ملتزمين بقضايا مجتمعهم، يتساقطون علينا مثل تساقط غيث المطر.

النَّوَرْ في قرية عين غزال في غوطة دمشق

(مطاربة :شعار)

تقع قرية عين غزال على يمين الطريق العام الذاهب من القدم باتجاه كل من بلدة السبينة - البويضة - الست زينب. ولا تزيد المسافة ما بين السبينة غرباً وعين غزال شرقاً عن اثنين كم. ويتراوح عدد النَّوَرْ في قرية عين غزال ما بين /٤٥٠ - ٥٠ نسمة/ بغض النظر عن العشائر التي ينتمون إليها. إن تجمع النَّوَرْ الموجود في عين غزال تنحدر عائلاته من عشائر مختلفة من النَّوَرْ، ومن النَّوَرْ الذين يطلقون على أنفسهم أكراد لا بل يصل الزعم عندهم أنهم أكراد أيوبيون. إلا أن الغالبية للعائلات النورية في تجمع عين الغزال تنتمي إلى عشيرة رئيسية نورية كبيرة تدعى - عشيرة المقصطلي - والتي كان أفرادها سابقاً متنقلين في منطقة حوران والجولان قبل عام ١٩٦٧م. ولم يكن يذهب أفراد هذه العشيرة إلى مناطق ثابتة من القطر وكانوا يشتون في: المزيريب - تل شهاب - البطيحة - الجوخدار - البغالية (في الجولان.)

وبعد عام ١٩٦٧صار أفراد عشيرة المقصطلي وفي مقدمتهم بيت - الظاهر - الذين يطلقون على أنفسهم لقب - بيت أبو مجرية (المجارية) حيث يقضون فصل الشتاء في بلدة البويضة التي تقع إلى الغرب من منطقة السيدة زينب، وما أن يأتي فصل الصيف وحتى نهاية فصل الربيع يبدأ هؤلاء النَّوَرْ الذين اتخذوا من البويضة مشتى لهم بحزم أمتعتهم وخيامهم على ظهور حميرهم من أجل التنقل في منطقة حوران. وقد استمر هذا النمط من التنقل حتى عام ١٩٨٠ حيث بدأ البعض من هؤلاء النَّوَرْ بشراء أراضي في منطقة عين غزال إلى الشرق من السبينة من أجل البناء فيها. ويعتبر السيد أبو عدنان /محمد محسن الظاهر/ أول من قام ببناء بيت في منطقة عين غزال وقد حدث هذا في عام ١٩٨١م. وما زال السيد محمود فارس الظاهر وأولاده يسكنون في البويضة شتاءً بالخيام.

- العشائر الموجودة في تجمع عين غزال:

يوجد في تجمع /عين غزال/ عشائر من النَّوَرْ متعددة ومختلفة في أنسابها. وفيما يلي أسماء العشائر التي استقرت في عين غزال:

بين ظاهر (أبو مجربة: المجاربة) - عشيرة العبد الله - عشيرة أحمد الحاج - عشيرة الصيامات - عشيرة البيلهوان - عشيرة الرقودات، وهناك عشيرة تدعي لنفسها أن أفرادها أكراد ويرفضون تسميتهم بكلمة النَّوَرْ التي تتقبلها العشائر المذكورة آنفاً دون انزعاج. وأن هؤلاء النَّوَرْ الأكراد مكروهين بصورة عامة من قبل كافة العشائر النورية لسوء أعمالهم وسلوكيتهم كما يقولون عنهم وخاصةً في مسائل العِرْضْ.

أصل كلمة النَّوَرْ حسب ما قاله لي السيد عارف بن محمد بن محسن الظاهر المجزي المقصطلي:

أن النَّوَرْ في تنقلاتهم سابقاً وحالياً يختارون المكان الجيد والنظيف والمعشب من أجل أن يبنوا خيامهم على أرضه، وبعد أن تبني العائلة النورية خيمتها يكنسون أرضها ومن ثم يحفرون حفرة في وسط الخيمة من أجل وضع أدوات طبخ وتحضير القهوة المرة فيها. وعندما يمر أهل القرية التي نزل النَّوَرْ على أطرافها كانوا يقولون والله أن هؤلاء - أصحاب الخيام نُوَّارَةٌ - كدلالة على طيبة المكان المختار من قبل جماعة النَّوَرْ ونظافته، ومع مرور الزمن تحولت كملة - نُوَّارَةٌ - إلى كلمة - نَوَرٌ: إلا أن هذا القول فيه مبالغة وغير قابل للتصديق لأن كلمة نور موسومة بمهنة الشحادة من قبل النساء مع كسل وجلوس في البيت وشرب القهوة من قبل الرجل. إلا أن هذا التفسير للكلمة التي تُطلق عليهم /نَوَرٌ/ تفسير غير مقبول وربما لا يريدون الإفصاح عنه لي بسبب توجسهم وحذرهم الشديدين من قبلهم اتجاهي كما لاحظت ذلك من خلال بحثي الميداني بين صفوف عشائر النَّوَرْ في كافة أنحاء القطر العربي السوري[1].

١ - **عشيرة بيت ظاهر /بيت أبو مجربة أو المجاربة/**: يُعرف أفراد عشيرة بيت الظاهر بتسمية أخرى هي: المجاربة، وتنتمي عشيرة المجاربة إلى قبيلة أكبر تُدعى /المقصلطي/

---

١ - نور: إن هذه التسمية معروفة في أدبيات علم النوريات بأوروبا، تطلق على جماعات ذات أصول هندية في البلاد العربية، تمتهن الغناء والرقص والشحادة، التي تطلق على جماعات رحل في نيبال، وفي مناطق أخرى في هندستان.

وقد كان يتواجد أفراد هذه القبيلة في منطقة حوران والجولان سابقاً. وأن كافة أفراد هذه القبيلة متجولون غير مستقرين إلا في المدة الأخيرة حيث بدأ أفراد هذه العشيرة بالاستقرار في مناطق مختلفة من الجزء الجنوبي من سوريا بما فيه منطقة غوطة دمشق بكاملها. ويبلغ تعداد عشيرة ـ الظاهر ـ في عين غزال ما يزيد عن عشرة بيوت يزيد تعداد أفرادها عن التسعين نسمة. ومن عائلات بيت ظاهر في عين غزال ما يلي:

١ - السيد محمد محسن الظاهر وأولاده، عارف ـ عدنان ـ جمال ـ ناصر، بحدود (٥٠ نسمة).

٢ - السيد علي محسن الظاهر وأولاده بحدود ١٣ نسمة.

٣ - السيد حسن محسن الظاهر وأولاده.

٤ - خالد محسن الظاهر وأولاده.

وقد كان أفراد عشيرة المجارية في الماضي شعاراً عند وجهاء رؤساء العشائر البدوية، الجملان ـ الصُيَّاد ـ العقيدات ـ ومنطقة تل الأصفر ـ وبعد أن اتخذوا بعض المناطق من الغوطة مقراً لهم في الشتاء مثل ـ البويضة ـ بقي نور بيت الظاهر يخرجون في الربيع إلى عند البدو، ومقابل ذلك كانوا يحصلون على الخراف وعلى الصوف والسمن والجميد /الهقط: اللبن المُجَفَّفْ الجامد/ وعلى الكشك، وهم أصحاب طبل وزمر وربابة كانوا يدعون من أجل إحياء الحفلات في المناسبات مثل: الأعراس ـ العودة من الحج....إلخ. أما الآن فإنهم يعملون بالمزارع الخاصة المتواجدة في الغوطة مثل مزرعة المقدادي، وأن نساء هذه العشيرة لا تخرج من بيوتها من أجل الشحادة، وتبقى النساء الشابات في البيوت من أجل الإعتناء بالأطفال وتحضير الطعام. أما النساء اللواتي وصلن سن اليأس، فيعملن في الزراعة مقابل أجرة يومية أو في مبان للدولة من أجل تنظيفها أو في أفران الخبز الآلية. والشيء الطريف أن تلك النساء يَلْبسْنَ اللباس الشبيه باللباس الحوراني: الثوب الطويل ـ الشنبر ـ الطفخة فوق الشنبر الذي تلبسه تحت الثوب الخارجي وهذا ما يعطي المرأة النورية شكل امرأة من سكان منطقة الجولان. ولكن الذي لاحظته أن اللباس الداخلي مازالت المرأة تحافظ عليه، حيث الخراطة السوداء ومن فوقها الكنزة أو القميص وهذا ما لا تلبسه المرأة في الجولان أو في حوران.

ويوجد أربع بيوت من عائلة الظاهر في بلدة الكسوة شرق مفرق دير علي وإلى الجنوب من طريق الكسوة ـ حرجلة، ولا زال هؤلاء إلى اليوم يشترون الخيول والحمير الهزيلة من أجل المتاجرة بها بعد تسمينها ١٩٨٨م.

وإلى جانب بيت ظاهر في الكسوة يوجد ما يزيد عن عشر بيوت من عائلة /السناكرة/ الذين يتواجدون بصورة أساسية في منطقة السيدة زينب عند الفرن الآلي وفي حي الشهيد علي الوحش. وتجدر الإشارة إلى أن السيد /محمد عيسى الخضر المعروف بأبو فايز/ هو الوجيه لعشيرة السناكرة. ويسكن السيد أبو فايز إلى الجنوب من نجْها على يمين الخط العام في مزرعة تقع على يمين الطريق الذاهب من السيدة زينب ـ السويداء وبالقرب من مفرق بلدة الحرجلّة. وأن معظم النّور في منطقة السيدة زينب قد رحلوا باتجاه منطقة المعرض الجديد، حيث اشتروا أراضي وعمّروا هناك أبنية مخالفة.

٢ ـ عشيرة العبدالله (صُيّاغ): تعرف هذه العشيرة بين جماعات النَّوَرْ بالتسمية التالية ـ عشيرة الطبجي ـ ويبلغ تعداد عشيرة الطبجي في عين غزال من ١٠ ـ ١٥ بيت ويسكن هؤلاء إلى الشرق من معمل الألمنيوم الواقع في الجهة الغربية من بلدة عين غزال. وأن كبير بيت الطبجي هو السيد ـ محمود أبو حسن ـ ومن وجهائهم السيد نايف فارس العبد الله ـ إبراهيم فارس العبد الله /صيّاغ حسب المهنة/. ويقال لهم /روما نتشيك/[1].

إن نور بيت ـ العبد الله ـ قد جازوا عام ١٩٤٨ من منطقة فلسطين. وأن جميع أفراد هذه العائلة يحملون الجنسية الفلسطينية، حيث كانوا ينتقلون بفلسطين ما بين القدس ـ نابلس ـ الطيرة. وكانوا يحصلون في السابق على المعونة المادية من وكالة الغوث الدولية إلا أن هذه الإغاثة قد قطعت عنهم في الفترة الأخيرة. وكان أفراد هذه العشيرة يمارسونْ صنع الأساور والخلاخيل النسائية إلى جانب الخواتم، ولقد كانت تلك الأدوات من الحلي تصنع من الفضة أو من معدن النحاس والذي كان يقال عنه (الصَّفرة). ومن ثم صارت تلك الأدوات تصنع من معدن الألمنيوم وخاصةً للنساء المتقدمات بالعمر. حيث كانت النساء حتى الخمسينات من القرن العشرين يَلْبسنَ مثل هذه الأساور والخواتم النحاسية والألمنيوم، والقليل منهن يلبسن حُليّاً من الفضة. أما

---

١ - رومانتشيك: هي كلمة نورية (ضُومِيّة) وتعني ابن روما.

الآن فإن أفراد هذه العشيرة يتعاطون صناعة وتلبيس وتركيب الأسنان. وكانت منطقة تنقلاتهم في الماضي داخل فلسطين وبعد ١٩٤٨ صاروا يتنقلون في منطقة الجولان وحوران وما زالوا حتى الآن صيفاً يذهبون إلى المناطق المذكورة لتعاطي الأسباب. أما لباس نساء هذه العشيرة لا يختلف عن لباس المرأة عند عشيرة الظاهر: خراطة سوداء طويلة وكنزة فوقها، أو ثوب طويل فضفاض.... إلخ.

٣ـ بيت أحمد الحاج: (صُيَّاغ): يوجد أفراد هذه العشيرة ما يزيد عن الخمسين شخصاً (٥٠ نسمة). ومن بين أصحاب تلك البيوت كل من: السيد محمد الحاج ـ هاشم الحاج ـ خالد الحاج ـ عزت الحاج. وأفراد هذه العشيرة مسجلون جميعاً في دوائر السجل المدني السورية. وقد بدأ استقرار أفراد تلك العشيرة منذ عام ١٩٨٢ م في موقع /عين غزال/. وأن عشيرة ـ بيت أحمد الحاج ـ هم من النَّوَرْ الذين كانوا سابقاً يتجولون في منطقة حوران. ولقد كان مشتاهم في كل من بلدتي ـ جلين وبلدة المزيريب ـ . وكان يمارس الرجال من بيت أحمد الحاج في الماضي مهنة ـ صياغ ـ حيث كانوا يقومون بصنع الخواتم ـ الأساور ـ الخلاخيل، التي كانت توضع في أسفل الساق وفوق كعب القدم من قبل النساء وخاصةً البنات منهن إلا أن هذه العادة قد بطلت.

٤ ـ عشيرة الصيامات: إن أفراد هذه العشيرة يتواجدون في منطقة الحجر الأسود إلى الجنوب من مخيم اليرموك، وفي حي الشاغور بدمشق. أما عدد الصيامات في تجمع عين غزال لا يزيد عن /الثلاثة بيوت/. إن عشيرة الصيامات من العشائر النورية التي كانت تتواجد في فلسطين قبل عام ١٩٤٨م. وقد خرج نور الصيامات مع من خرج من سكان فلسطين آنذاك بسبب سياسة البطش والقهر والتهجير التي سلكتها العصابات الصهيونية قبل وإبان حرب الثمان وأربعون اتجاه سكان فلسطين من أجل إبعادهم عن وطنهم، وينكر هؤلاء أنهم من النور.

ومن العشائر النورية التي كانت في فلسطين وخرجت إثر حرب عام ١٩٤٨ عشيرة السّناكرة ـ عشيرة الشّعارنة وكلاهما تتوجدان في السيدة زينب وفي منطقة الحجر الأسود. ويقول السيد /محمد محسن الظاهر المجزي المقصطلي/ بصدد العشائر النورية المذكورة: السناكرة ـ الشعارنة ـ الصيامات، أن نساء تلك العشائر ما زالت تشحد بالرغم من الحالة المادية الجيدة حيث يسكنون في بيوت فيها الماء والكهرباء والأثاث

العصري. وقال السيد /محمد محسن الظاهر/ أن الصيامات كانوا في فلسطين المحتلة يبيعون الحمير والخيول. وما زال أفراد عشيرة الصيامات والسناكرة والشعارنة إلى الآن عندما يحل فصل الربيع يتركون بيوتهم الاسمنية ويحزمون أمتعتهم على السيارات بينما في السابق على ظهور الحمير والخيول من آجل قضاء الربيع والصيف والخريف في كل من حوران وجبل العرب والجولان وإلى منطقة اللجاة الوعرة في قلب حوران. وغالباً ما يكون رحيلهم في الربيع إلى الجولان من أجل تسمين الحيوانات التي كانوا قد اشتروها من الفلاحين وفي موسم الحصاد وخاصةً أيام البيادر يتجهون شرقاً إلى قرى الجيدور (١) وحوران كي يحصلوا على الحبوب عن طريق الشحادة التي كان يمارسها كل من المرأة والرجل. وفي نهاية الصيف وبداية الخريف يذهبون إلى جبل العرب ليحصلوا على محصول العنب والزبيب عن طريق الشحادة أيضاً وما أن ينتهي فصل الخريف كانوا يعودون إلى مشتاهم في أطراف مدينة دمشق.

وحالياً نساء عشيرة الصيامات والسناكرة والشعارنة يشحدن في مدينة دمشق في منطقة المرجة وعلى طريق الجامعة القديمة وفي منطقة الحلبوني وعند منطقة فندق سميراميس وهن يرتدين الطراز الحوراني الجولاني مع تكلم باللهجة اليدوية من أجل طلب المال من المارة كقولهن: أريد أن أَقُوْطِرْ إلى هَلِي، أو عندي مريض في المستشفى بحاجة إلى مساعدة.... إلخ. وقد قال السيد /محمد محسن الظاهر/ أن نساء تلك العشائر النورية ومن بينها ـ الصيامات ـ تضع المرأة أطفالها بجانبها مع تغيير شكلهم عن طريق التمويه حيث يظهرون أنهم مرضى من أجل أن يستدروا عطف المارة الذين يتبرعون بالنقود من أجل مساعدة هؤلاء الأطفال غير الأصحاء.

أما في الوقت الحالي فإن أفراد عشيرة الصيامات لا يرحلون في الصيف والخريف إلى منطقة حوران كما يفعل كل من أفراد عشيرة السناكرة، والشعارنة وإنما يبقون في منطقة الحجر وتمارس نساؤهم الشحادة في منطقة دمشق وفي قلب العاصمة بالضبط.

---

(١) - الجيدور: هي شريط طولاني من الأرض تصل ما بين منطقة النقرة (سهل حوران) شرقاً وعاصمته (بصرى)، وبين الجولان غرباً، وبلدة نوى هي عاصمة الجيدور، وتتكون حوران من: الجولان، والجيدور، وسهل النقرة، ومن جبل حوران (جبل العرب حالياً).

٥ ـ عشيرة البيلهوان: يوجد في تجمع /عين غزال/ بحدود خمس عائلات تنتمي إلى عشيرة أو جماعة البيلهوان (نسبة إلى الألعاب البلهوانية التي كان يمارسها أفرادها في الماضي. ومن المحتمل أن هذه الجماعة من النور قد تعلمت تلك الأعمال البهلوانية خلال تواجد أفرادها في الماضي في منطقة مصر). وأن الأشخاص الموجودين في منطقة /عين غزال/ من بيت البيلهوان لا زالوا يعيشون في الخيام حتى صيف ١٩٨٦م من عائلة البيلهوان كل من: عارف البيلهوان (أبو فياض) ـ فايز البيلهوان (أبو تيسير) علماً أن معظم أبناء السيدين عارف وفايز يعملون في أمانة العاصمة. وفي فصل الشتاء فإن هؤلاء إما أن يشتوا في /عين غزال/ أو يذهبون إلى المخيم ويستأجرون غرفاً لقضاء فصل الشتاء. وأن الشخص الذي يسكن في بناء ثابت في مفرق عين غزال هو: أبو عمر البيلهوان/. وأن هناك عائلات من البيلهوان تتواجد في كل من جورة الشلاح في مخيم اليرموك، وفي منطقة الطبالة، ويوجد في عين غزال كل من: زكي أبو محمد ـ أبو تيسير ـ أبو خالد ـ خضر البيلهوان أبو علي، والذين يسكنون في بيوت إسمنتية ثابتة. وكبير عشيرة البيلهوان هو السيد /فايز بن ذيب البيلهوان/ الذي يعمل معقب معاملات في القصر العدلي بدمشق، ومن وجهائهم الحاج عبده البيلهوان، والسيد أحمد حسن البيلهوان، والسيد نمر حسن البيلهوان. وهناك بعضٌ من أفراد هذه العشيرة يعملون حالياً طنبرجية يبيعون المازوت والكاز على الخيول، وأن بعضاً منهم يعمل في المشاتل الزراعية الموجودة في الغوطة أو في داخل مدينة دمشق.

وقد كان أفراد هذه العشيرة في الماضي يمارسون الأعمال البهلوانية على الحبال المشدودة على الأعمدة الخشبية التي تقام من أجل هذا الغرض والتي كانت تتم في الساحات العامة في القرى. حيث كان يتجمع أهل القرية بكاملهم كي يشاهدوا (يَتْفَرَّجُوا) ـ على أُمْ حَبِلْ ـ وهي ترقص وتمشي على الحبل وفي كعبيها قد ربطت ألواح من الصابون. وكان الرجال يجلسون في لَقْنٍ نحاسي وموضوع فوق الحبل المرفوع عن الأرض بحدود ٤ إلى ٥ أمتار، ومن ثم كان يقوم بالدوران عن طريق اللّقِن حول الحبل، مما يَشْدَهْ المتفرجين البسطاء. ويمكننا القول أن أفراد هذه الجماعة من النَّوَرْ كانوا يمارسون الأعمال البهلوانية الرشيقة في سيرك متنقل بين القرى. ويقال لهذه الجماعة من (النَّوَرْ المصاروة أو بيت المصري) لأنهم قد جاؤوا من مصر إلى سوريا ومعهم هذه المهنة

البهلوانية التي تتطلب المهارة والرشاقة والخفة بالحركة. وهناك امرأتان من نور البيلهوان قد تزوجن في حوران أحدهما: زكية بنت ذيب البيلهوان تزوجت في الشيخ مسكين وأن الثانية قد تزوجت في بلدة الشيخ سعد إلى الجنوب من بلدة نوى الحالية.

يقول السيد /محمد محسن الظاهر/ أن بيت البيلهوان شرفهم غالٍ عليهم وأن نساءهم لا تمارس مهنة الشحادة في وقتنا الحالي. هذا عام ١٩٨٧م إلا أن تصرف أفراد البيلهوان أو المصري غير مقبول، حيث يمارسون النصب والاحتيال والسلب والنهب.

٦ ـ **عشيرة الأكراد**: تزعم هذه الفئة من النور، أنهم أكراد* ويدعون أيضاً أنهم /أيوبيين/ تيمناً بالبطل صلاح الدين الأيوبي. ويتكلم هؤلاء فيما بينهم اللغة الكردية. وقد جاء هؤلاء من منطقة القدم كازية إلى عين غزال ١٩٨٤م. وأن مختار هؤلاء النَّوَرْ هو /فاعور الكردي الملقب بـ أبو صلاح/. ويصل تعداد هؤلاء النَّوَرْ في عين غزال حسب قول السيد /محمد محسن الظاهر/ عشرة بيوت أي ما يقارب /٨٠ نسمة على أقل تقدير/. إن هذه الفئة من النَّوَرْ والتي تدعي لنفسها أن أفرادها ينحدرون من القومية الكردية مكروهين من قبل كافة العشائر النورية في القطر العربي السوري للأسباب التالية:

١) يتشاجرون فيما بينهم بكثرة، ودوماً يتكلمون بأصوات عالية.
٢) نساؤهم تمارس عادة السرقة في الأماكن البعيدة عن أماكن تواجدهم.
٣) رجال هذه الفئة يمارسون عادةَ النَّشْلِ أو ما تسمى بالنَّشْتَرَةَ، سواء من المارة في الأماكن المزدحمة أو في المحلات العامة الغاصة بالزبائن وخاصةً التجارية منها. ويمارسون هذه العادة على نطاق واسع خارج القطر وفي مواسم الحج في العربية السعودية.
٤) يسافرون إلى الخارج بكثرة ولا تطول فترة الغياب أكثر من شهرين كي يعود الفرد ومعه عشرات الألوف من العملة السورية أو غيرها من العملات الأجنبية والعربية على حد سواء.

---

* إن هؤلاء النَّور، ليسوا بأكراد، وإنما هم ـنورـ - عاشوا في الماضي قبل مجيئهم إلى سورية، في منطقة يعيش فيها أكراد، ونتيجة لعيشهم الذي استمر زمناً طويلاً بين الأكراد - فقد اكتسبوا منهم اللغة الكردية، وأن التسمية الأقرب إلى الواقع بالنسبة لهم هي: نَوَر الأكراد.

٥) تسود عند هذه الفئة زواج الخطيفة على نطاق واسع فعلى سبيل المثال بتاريخ يوم الخميس ١٩٨٦/١٠/٢٩م قد خطفت أربع فتيات من النَّوَرْ الأكراد المتواجدين في عين غزال.

وتقع بيوت هذه الفئة من النَّوَرْ في الجزء الغربي من التجمع السكني لـ/عين غزال/ وخاصةً عند موقف مداجن عين غزال. وتختلف المرأة هنا بلباسها عن لباس بقية النساء التي تنتمي إلى العشائر النورية الأخرى والموجودة في عين غزال: الصيامات ـ الظاهر ـ العبد الله ـ الحج أحمد البيلهوان أو المصري. إلا أن بيت المصري غالباً ما يكون تصرفهم غير مقبول حيث يمارسون النصب والاحتيال والسلب والنهب.

٧ ـ **عشيرة بيت ملحم:/قرباط/:** يوجد بيت واحد من عشيرة ملحم وقد جاء بدوره من قرية /عين ترما/ في الغوطة الشرقية. وأن اسم هذا الشخص /محمد جميل ملحم أو جميل ملحم/ ويبلغ تعداد هذه العائلة في عين غزال ما يزيد عن أربعين فرداً إذ يشكل جميل ملحم وأولاده وأولاد أولاده ثلاثة أجيال تقريباً وهذا يذكرنا بالعائلة الكبيرة التي تضم أكثر من جيل والتي يطلق عليها من قبل الأنتربولوجيين ـ باترونوميا /Patranomy/ وهي تعكس مدى سلطة الأب وقدرته على الهيمنة على أولاده وأولاد أولاده في العيش معاً.

كان جميل ملحم وأولاده في الماضي يعملون في صنع الأدوات الزراعية /الغرابيل ـ الكرابيل ـ المقاطف القماحية ـ المعاطف الشعارية ـ المذارة/ وكانوا يحصلون على جلود الحيوانات عن طريق شراء الحيوانات الهزيلة بأسعار رخيصة من الفلاحين فيقومون بذبحها وسلخها من أجل الحصول على الجلد الذي يصنع منه الأدوات الزراعية المذكورة.

وأحياناً يقومون في سلخ الحمير والخيول الفاطسة للحصول على جلودها. وفي وقتنا الحالي يحصلون على الجلود من المسالخ الخاصة من مدينة دمشق من أجل العمل في مهنتهم القديمة. وتنتمي عائلة الملحم من حيث مهنة رجالها إلى النور القرباط.

أما الآن فإن السيد /جميل ملحم/ وأولاده يعملون في مجال الغناء والطرب وأن حالتهم المادية صارت جيدة لا بل كما يقول /محمد محسن الظاهر/ فوق الريح. وأن أفراد هذه العائلة صاروا مطاربة. وإن أولاد جميل ملحم يشكلون فرقة موسيقية غنائية /فايزة ـ خالد ـ فواز/ وأن المطربة فايزة ملحم ذات صوت جميل. ويدعى أفراد هذه

الفرقة من أجل إحياء الحفلات الساهرة إلى خارج القطر: أوروبا ـ قبرص ـ الأردن. وقد ذهبت هذه الفرقة إلى /تايلند/ في جنوب شرق آسيا. وتوجد أشرطة غنائية للمغنية النورية /فايزة جميل ملحم/ تباع في الأسواق الشعبية.

وأن بيت ملحم في عين ترما قد جاؤوا منذ أكثر من خمسين عاماً إلى هذه المكان من بلدة /باب النيرب/ التابعة لحلب حيث يتواجد هناك أعداد كبيرة من عشير ملحم. وهم من النور القرباط، وقد استقر هؤلاء حالياً في بيوت مخدمة بالماء والكهرباء.

٨ ـ عشيرة الحدادين: يعيش في عين غزال خمس عائلات من الحدادين الذين كانوا في الماضي يقومون بصناعة الأدوات الزراعية مثل المنجل ـ الحاشوشة ـ سكة المحراث القديم الذي كانت تجره الحيوانات من خيول وأبقار.

وكان يستخدم هؤلاء النَّوَرْ الكور من جلد الماعز للحصول على درجة حرورية عالية تكفي لجعل الحديد ليناً يمكن طرقه بالمطرقة. وكان هؤلاء النَّوَرْ يصنعون السكاكين التي تستخدم من قبل النساء الفلاحات في حوران في جمع النباتات البرية التي تؤكل وتنبت في فصل الشتاء والربيع ومن بينها نبات العكوب /السلبين/.... إلخ.

٩ ـ عشيرة الرمودات: الرمودي. (قرباط): يبلغ عدد أفراد هذه العشيرة /الرمودات/ في تجمع عين غزال بحدود خمسة بيوت /٤٠ ـ ٥٠ نسمة/. مثل: صبحي الرمودي ـ عبد الحميد الرمودي ـ علي الرمودي ـ حسن خضر الرمودي وهو بن عم للسيد موسى الجاسم الرمودي أبو خضر، الذي يسكن في مزرعة مساحتها تزيد عن ثلاث دونم، على يمين الطريق الذاهب من ببيلا باتجاه السيدة زينب. ويتكون بيت ذلك الشخص من طابقين مسقوف بالقرميد.

وقد تحسنت أوضاع السيد موسى الجاسم الرمودي بعد أن تزوج فتاة من عشيرة الهرامشة التي تشتهر بالغناء والرقص /الحجيّات/. وقد كانت زوجة موسى الجاسم الرمودي تمارس مهنة الغناء والرقص. وقد علمت بناتها التي ولدتهن من موسى الجاسم الرمودي وهن: حياة ـ عريفة ـ نعيمة مهنة عشيرة الهرامشة التي تنتمي إليها.

وعندما كبرت البنات صُرْنَ يعملن في الملاهي في مدينة دمشق ومن خلال الغناء في الملاهي تعرف رجل من الخليج اسمه /حاضر/ على الفتاة المسماة /عريفة/ ومن ثم تزوج الرجل الخليجي من تلك الفتاة. وبعد زواج عريفة ابنة موسى الجاسم الرمودي تحسنت

أوضاعه المادية كما أن ابنتيه (حياة ـ نعيمة) قد ساهمتا بتحسين الوضع المادي لأبيهن نتيجة عملهن الغنائي والراقص في الملاهي والكباريهات. وتظهر الفتاتان /نعيمة ـ حياة/ في كثير من الأغاني التي تذاع في التلفزيون العربي السوري كمشاركات في عمليات الرقص المرافقة لأداء الأغنية وهن يمسكن أطراف أروابهن الطويلة والفضفاضة مع حركات إيقاعية للرأس بحيث يتناثر الشعر على أوجهن أو على شكل حركات دائرية للشعر.

أما المهنة القديمة التي كان يمارسها أفراد بيت الرمّودي في الماضي هي صنعة الغرابيل ـ الكرابيل ـ المقاطف القماحية والشعارية، وأن السيد موسى الجاسم الرمودي كان يمارس صناعة الغرابيل. وخير مثال على ممارسة مهنة الغرابيل إلى الآن بين صفوف عشيرة الرمودي هو السيد /شامان الرمودي أبو نظمي/ فإن السيد شامان وأولاده إلى الآن لا زالوا يعملون الغرابيل. ويتم تسويق تلك الغرابيل عن طريق بيعها على شكل كميات يحملونها في سيارات خفيفة ويبيعونها في الأرياف سواء في ريف الغوطة أو ريف حوران وجبل العرب وإلى بعض المحلات التي تهتم بتخزين وتنظيف الحبوب بدمشق.

أما بقية أفراد عشيرة الرمودي يتواجدون في بلدة /سَراقِبْ/ حيث يزيد عددهم عن العشرين بيتاً هناك وهم مستقرون في بناء ثابت فيه الماء والكهرباء. وقد تم الاستقرار منذ عشرين عاماً سبقت وذلك في الستينات من القرن العشرين. وأن بيت الرمودي كانوا دوماً في الماضي يتنقلون في منطقة إدلب. ويوجد بيت الرمودي في لبنان في منطقة خَلْدةْ، جنوب بيروت لكنهم رحلوا فيما بعد نتيجة للأوضاع غير المستقرة في لبنان إلى أطراف مدينة /شتورة/ اللبنانية فقسم منهم قاموا ببناء منازل لهم والقسم الآخر لا زال يعيش بالخيام.

١٠ ـ **عشيرة الأسمر**: يوجد في تجمع /عين غزال/ مَن بيت الأسمر بيتان فقط /أسرتان/.

وهم ينتمون كما يقول السيد ـ محمد محسن الظاهر ـ إلى عشيرة المقصطلي والتي تنتمي إليها أيضاً عشيرة الظاهر التي يتواجد أفرادها في منطقتين أساسيتين في سوريا هما: منطقة غوطة دمشق ومنطقة العريضة وتل كلخ وبلدة صافيتا وخاصةً في بلدة المتراس التابعة إلى صافيتا. ويبلغ عدد بيوت عشيرة الأسمر في لبنان ما بين ١٣٠ ـ ١٤٠

بيت. وتعتبر عشيرة الأسمر في لبنان أكبر عشائر النَّوَرْ هناك. يتواجدون في منطقة - براالياس - منطقة المرج، ويصل تنقلهم إلى منطقة صيدا وصور جنوباً. وهم جماعة ريّاس يمارسون مهنة الطبل والزمر حتى الآن. ويوجد بيت إسبر في: بعلبك - زحلة - اشتورة. ويصل عدد أفراد عشيرة الأسمر إلى ما يزيدد عن /٢٠٠٠ نسمة/ في لبنان. وقبل الطبل والزمر كان نور بيت الأسمر شعّار ربابات فقط من قبل الرجال دون النساء.

- البنية الاجتماعية عند نور عين غزال:

- الأسرة:

تعتبر الأسرة عند نور /عين غزال/ اللبنة القوية في أساس البناء أو التنظيم الاجتماعي. ويربط أفراد الأسرة النورية بصورة عامة علاقات قوية ومتينة يسودها نوع من الاحترام والتقدير. وأن سلطة الأب في البناء الاجتماعي النوري واسعة وتكاد تكون مطلقة، فهو صاحب الكلمة المسموعة في البيت لدرجة أن أولاده وأولاد أولاده بعد زواجهم يبقون معاً وبمثابة خلية اجتماعية واحدة ومتماسكة. وبالتالي فإن الأسرة عند عشائر النَّورْ هي أسرة كبيرة تضم عدة أجيال لدرجة أننا بإمكاننا تسمية هذا النوع من المؤسسات الاجتماعية بـ العائلة الكبيرة أو كما يقال في اللغات الأجنبية /باترانوميا Patranomy/. فكل عمل يقدم عليه أحد أفراد هذه العائلة يجب أن يتم من خلال استشارة وموافقة الأب الكبير لهذه الأسرة.

- العشيرة:

تتكون العشيرة من كافة العائلات التي تشترك مع بعضها في كنية واحدة وغالباً هذه الكنية ما تأخذ أسماء علم مذكر وأحياناً تأخذ لقب المهنة التي كان أفراد تلك العائلات يمارسونها في السابق وغالباً مثل تلك العشائر الأخيرة لا يربط فيما بينها إلا رباط المهنة المشتركة التي تجمعهم جميعاً حولها وخير مثال على ذلك: عشيرة الصنّاع - عشيرة البيلهوان - عشيرة السناكرة وهناك عشائر من النَّوَرْ يربط فيما بينهم رباط الدم كما هو واضح من الكنية التي تنتهي باسم علم على سبيل المثال: بيت الظاهر. ويتكاتف أفراد العشيرة فيما بينهم على السراء والضراء وإن لم يكن كافة أفراد هذه العشيرة جميعاً يسكنون في مكان واحد أو في منطقة واحدة، فإن العلاقات فيما

بينهم وثيقة وجيدة. والذي لمسته أن أفراد النَّوَرْ أينما كانوا يعرفون كافة عشائر النَّوَرْ الموجودة في القطر العربي السوري وفي القطر اللبناني والقطر الأردني. وهذه المعرفة تعود إلى ظاهرة التنقل التي كانت سابقاً تزاولها العشائر النورية دون أن يكون قيود على سفرهم أو تنقلاتهم خارج هذا القطر أو ذاك. ومن هذا المنطلق نجد أفراد العشيرة الواحدة في بعض الأحيان يتواجدون في سوريا وفي الأردن وفي لبنان مثل عشيرة: التمارزة (فنانين حجيات غناء ورقص) يتواجدون في سوريا وخاصةً في منطقة الرقة، وفي الأردن. وهناك عشيرة ـ الجيارنة ـ حيث يتواجد أفرادها في كل من سوريا والأردن، وأن عشيرة الأسمر يتواجد أفرادها في سوريا ولبنان.

ـ رئيس العشيرة:

يلعب كبير العشيرة عند جماعات النَّوَرْ دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية لأفراد العشيرة التي هو وجيهها. ويقول النَّوَرْ أن رئيس العشيرة هو فلان وبدلاً من لفظ كلمة /مختار/ أو /شيخ/ أو وجيه أو كبير العشيرة يقولون عقيد العشيرة الفلانية هو أبو فلان (تلفظ القاف هنا مثل القاف الحورانية أو الجيم المصرية). فمثلاً أن عقيد السناكر هو السيد /فايز بن عيسى الخضر/ الملقب بأبو محمد. وغالباً ما تكون الكنية عند جماعات النَّوَرْ على اسم /الجد/ فهنا كنية الخضر نسبة إلى اسم خضر الذي هو جدٌّ إلى السيد فايز المذكور.

فالخلافات التي تحصل بين أفراد العشيرة الواحدة غالباً ما يتم التحكيم من أجل حلّها عند /عقيد عشيرتهم/ وأن قول كبير العشيرة هو الفصل في حل الخلافات. كما أن رئيس العشيرة هو الذي يمثل عشيرته في حل خلافات العشيرة بصورة عامة مع بقية العشائر النورية الأخرى إذ في مثل هذه الحالة غالباً ما يجتمع مجلس عام وموسع يضم عقداء عشائر النَّوَرْ: أي رؤساؤها إلى جانب الوجهاء في تلك العشائر كي يتدارسوا الأمر معاً من أجل حل الخلافات ذات الطابع الدموي القائم على عادة الثأر التي يتمسك بها أفراد العشائر النورية في بنائهم الاجتماعي حتى يومنا هذا. وبدون استثناء.

ـ الزواج:

يتزوج النّوَرْ مبكراً وغالباً ما يتم تزويج الشاب عن طريق أهله. وأن العشائر النورية ذات زواج داخلي Endagamy فشباب العشيرة الواحدة كانوا وما زالوا لا يتزوجون إلا من فتيات تلك العشيرة وقد يحدث أحياناً أن يتزوج شاب من فتاة لا تمت إلى عشيرته التي ينتمي إليها وشرط أن تكون تلك العشيرة التي تنتمي إليها الفتاة من هي عشائر النَّوَرْ التي يقول أفرادها عن أنفسهم أنهم نور مثل العشائر التالية: الهرامشة ـ الكريملية ـ التمارزة ـ المقصطلي ـ الصناع.... إلخ ولا يتم الزواج ما بين تلك الجماعات التي تقول عن نفسها نور من جهة وبين الجماعات الأخرى التي تقول عن نفسها أنها من التركمان أو من الأكراد. حتى أن الجماعتين الأخيرتين لا يتزاوجان من بعضهما وأن كل فئة تحتقر الأخرى وأن كلاً منهما تنعت الأخرى بالصفات الذميمة التي يدّعي كل منها الترفع عنها. وأن الفصل الذي يتزوجون به هو نهاية فصل الخريف وبداية الشتاء. ولما سألتهم لماذا لا يتم الزواج في فصل الصيف فكان الجواب من قبلهم هو أن فراش الصيف واسع بمعنى أن نمطهم المعيشي السابق الذي كان يقوم على التنقل وعدم الاستقرار لم يكن يسمح لهم بالزواج في فصل الصيف الذي يبلغ فيه نشاطهم القائم على الانتقال من مكان إلى آخر ذروته لأن هذا الفصل في الماضي هو الوقت الذي يجمعون فيه قوتهم العيني إلى جانب الدراهم أو الحبوب التي كانت تشحدها نساؤهم. أما الآن فإن المرأة صارت تشحد ـ الزيت الحلو ـ زيت الكاز ـ المازوت ـ الصابون ـ العدس ـ الأرز ـ السكر ـ الشاي إلى جانب النقود (والشيء الذي يجب ذكره بأمانة أن نساء المجاربة في الوقت الحالي لا تمارس مهنة الشحادة).

إلا أن الشيء الذي لمسته من دراستي الميدانية لكافة فئات النَّوَرْ في القطر العربي السوري بغض النظر عن التسميات التي يطلقونها على أنفسهم: أن الفئات التي تقول عن نفسها أنها قبائل نورية هم أكثر طيبة وأميل إلى حالة الاجتماع مع غيرهم من السكان المحليين وذلك قياساً بجماعات النّور الأكراد وجماعات النّور التركمان حسب زعمهم (إن هؤلاء في الواقع نور الأكراد ونور التركمان).

وكانت ظاهرة الزواج تمر بالخطوات التالية: الخطبة ـ الزفاف. حيث كان في القديم أن تخطيب البنت لا يجوز إلا لأحد أقاربها من نفس العشيرة التي تنتمي إليها الفتاة. وكما يقولون (بنت العم لابن العم). أما الآن صارت الفتاة تتزوج من أحد أفراد عشيرتها إذا لم يكن لابن العم رغبة بها. وصارت العشائر النورية تتزواج من بعضها. وتتم الخطبة للفتاة من أهلها على غرار الخطبة التي تتم عن السكان العرب المحليين.

يبعث شخص في بادئ الأمر يقولون عنه (طارش)[1] وغالباً ما يكون رجلاً مسناً لمعرفة مدى تجاوب أهل الفتاة بتزويج ابنتهم من الشاب الذي جاء من أجله. فإذا ما وافق أهل الفتاة على تخطيب ابنتهم لذلك الشاب من خلال الطارش يقوم أهل الشاب فيما بعد بتكليف عدد من الرجال المتقدمين بالعمر إلى جانب رئيس العشيرة التي ينتمي إليها الشاب الذي يريد الزواج، ويتحاور هؤلاء الرجال مع أهل الفتاة من أجل تحديد المهر. وبعد أن يتم تحديد المهر يعود هؤلاء الرجال إلى عند والد الشاب الخاطب ليبلغوه المبلغ الذي تم الاتفاق عليه. وبعد مدة يقوم أهل الشاب بشراء ذبائح كي يأخذوها إلى دار أهل العروس كي ينحرونها هناك وتقوم أفراد الجاهة بطبخ اللحم والبرغل مع تحضير القهوة. والشيء الطريف أن أهل العروس لا يقدمون شيئاً من عندهم أثناء قيام الجاهة بعملية الطبخ وتحضير القهوة. وأن هذه العادةو كانت منتشرة عند البدو، وعند أهل حوران في السبعينيات من القرن العشرين.

وتختلف كمية المهر حسب الوضع الاجتماعي للفتاة وغالباً ما يتراوح ما بين ٢٠ ـ ٢٥ ألف ليرة سورية. ويأخذ والد العروس المبلغ كاملاً دون أن يعطي ابنته العروس شيئاً حتى أن الجهاز الخاص بالعروس مثل /اللباس والأحذية والعطورات وأدوات المطبخ/ يتم تأمين ذلك عن طريق أهل العريس. ويمكننا القول أن البنت عند عشائر النَّوَرْ تباع بيعاً كما تباع الدابة. فبعد أن يتم دفع المهر لأهل الفتاة يحدد موعد الزفاف الذي يكون في أغلب الأوقات يوم الجمعة. ويفرح أهل العريس لمدة تصل أحياناً مدة أسبوع كامل يتم فيها الغناء والرقص في المساء يطلقون عليها كلمة /تَعْلِيْلَةِ/. وأن كلمة تعليلة هذه تسود في البناء الاجتماعي عند سكان منطقة حوران والجولان والبدو المتواجدين في

---

١ - طارش: اسم فاعل من فعل طرش: يعني أرسل أو بعث. حيث يقول أهل ظفار في عمان: طرّشت فلان إلى فلان أو إلى منطقة كذا، أي بعثت فلان أو أرسلت فلان.

المنطقتين المذكورتين. ويقام العرس طيلة يوم الجمعة حيث الغناء والرقص. وفي وقت الظهيرة يتم تناول طعام الغذاء الذي يتكون من ـ المناسف المليئة بالأرز واللحم. وفي المساء بعد آذان المغرب تذهب النساء إلى بيت العروس كي تُزف إلى بيت عريسها. وبعد تناول طعام الغذاء تبدأ عملية النقوط لدرجة أنهم يقولون /كل شيء وفاء ودين حتى دموع العين/. ويذاع اسم كل شخص يتقدم بالنقوط وفي نفس الوقت يكون هناك شخص إلى جانب الشخص الذي يتكلم عن أسماء المنقطين من أجل تسجيل الأسماء والمبلغ الذي تبرع به كل واحد منهم. أما في حالة كون العروس تسكن في مكان بعيد عن المكان الذي يسكن فيه العريس وأهله، يؤتى بالعروس قبل يوم ويستضيفها أحد الرجال الوجهاء تلك الليلة. وأن كافة متطلبات زفاف العروس إلى بيت عريسها تتم في بيت ذلك الشخص الوجيه الذي يساهم وكافة أفراد عائلته نساءً ورجالاً وشباباً في إعطاء حفلة زفاف تلك العروس لبيت عريسها طابعاً مفعماً بالفرح.

ولقد لمست من خلال أبحاثي الميدانية عن جماعات النَّوَرْ بمختلف فئاتها ودون استثناء: **أن الفتاة مطالبة بالحفاظ على عذريتها ليوم زفافها. وتعتبر تلك القبائل أن شرف الأهل والعشيرة مرهون بمحافظة البنت على غشاء بكارتها لدرجة أن أم العروس وعمتها (أخت أبيها) يبقين مع العروس بعد زفافها لمدة ثلاثة أيام أو لمدة أسبوع كامل. ويمكننا القول أن المدة التي تبقى فيها أم العروس وعمة العروس عند العروس في بيت الزوجية الجديد بدءاً من يوم الزفاف مرهونةً بقدرة العريس على مضاجعة عروسه (تبقى الأم والعمة عند العروس حتى يَفْحَلْ عليها العريس كما يقولون هم). وبعد أن يَفْحَلَ العريس على العروس تعود الأم والعمة إلى بيتهما وهما مسرورتان. أما إذا مضى مدة أسبوع ولم يستطع العريس مضاجعة عروسه فإن أم العروس وعمتها تتركان العروس وتعودان إلى بيتهما لإعلام أهل العروس عن الوضع الزوجي لابنتهم.** وكما قال السيد /أبو عدنان، محمد محسن الظاهر/ أنه في حالة عدم قدرة العريس على مضاجعة عروسه يترتب ما يلي في هذه الحالة:

- تبقى العروس في بيت زوجها لمدة تتراوح من ستة أشهر إلى سنة على أقصى تقدير.

-إذا مضت تلك المدة المذكورة ولم يَفْحَلْ العريس عَرُوسَهُ يؤتى بالعروس من قبل أهلها ويتم الطلاق بالتراضي على النحو التالي:

• أن يعيد أهل العروس ٣/٤ المهر الذي تم استلامه من قبلهم أثناء خطبة ابنتهم من قبل أفراد الجاهة.

• يأخذ أهل العروس ١/٤ المهر مقابل أن ذلك الشاب قد كشف على عرض ابنتهم.

وأحياناً يحدث أن أهل العروس يأتون بابنتهم بعد ستة أشهر من زواج ابنتهم إذا لم يَفْحَلْ عليها عريسُها ويتفقون مع العريس كما يلي: أن هذه عروسك موجودة فأنت دبّر حالك ـ داوي حالك ـ فعندما تداوي حالك تأخذ عروسك. وإذ لم يتداوى تبقى العروس عند أهلها ومن ثم يتم الطلاق.

أما إذا فَحَلَ العريسُ عَروسَهُ عليه أن يقوم بمسح دَمِ الْبكَارَةِ بقطعة من قماش بيضاء كي يعطيها إلى أم العروس وعمة العروس، وعند ذلك تنطلق الزغاريد المصحوبة بالعيارات النارية على شرف تلك العشيرة الموجود أمانة في جسم تلك الفتاة العروس، لكونها حافظت على تلك الأمانة حتى ليلة زفافها ولعريسها الشرعي. وفي الصباح يقوم والد العريس بذبح خروف على شرف ابنه العريس وعروسه ويحتفظ بالمعلاق (القلب ـ الرئة) كفطور للعروسين فقط وخاصةً كفطور للعريس الذي كبر في عين أهله. وبعد تناول طعام الغداء تعود أم العروس ومن معها إلى بيتها وهما فرحتان بمضاجعة العريس للعروس التي حافظت على شَرَفِ عَشيْرَتِها وأهلها لهذا اليوم.

أما في حالة كون العروس ليست باكراً بعد زفافها إلى عريسها يترتب ما يلي:

- أن العريس يقوم بدهن وجه العروس بشحوار السراج الأسود، أو دهن وجه عروسه بشحوار بابور الكاز. ومن ثم يأخذ العروس غير البكر إلى بيت أهلها بصحبة أبيه وبعض الرجال من جيران العريس. أو يتم إعلام أهل العروس بالأمر في الوقت الذي تبقى العروس فيه عند بيت عريسها ريثما يأتي الأهل ليأخذوها.

- بعد أن يأخذ الأهل ابنتهم العروس غير البكر يطلبون منها معرفة الشاب الذي كان قد نام معها وأزال بكارتها. وإذا لم تفصح تلك العروس عن الفاعل بها

يسومونها سوء العذاب حتى تقول عن الفاعل، وبعد أن يعرف الفاعل مع الفتاة يحدث ما يلي:

- يُشْهِدُ الأهل على لسان ابنتهم بحضور جماعة من الرجال على الشاب الفاعل الذي كانت قد أفصحت العروس عنه والذي كان أول من كشف عليها. وفي هذه الحالة إما أن يتم قتل الفتاة من قبل والدها أو من قبل أخ لها كي يطفأ العار حسب تعبيرهم. ومن ثم يبدأ النزاع بين أهل العروس المقتولة وبين أهل العريس الذي صار بدوره هدفاً للقتل لأن في ذلك انتهاك للناموس. فإذا ما ظفر أهل العروس بالشاب الفاعل الذي قتلت الفتاة من أجله يتم قتله دون إبطاء، وإذا لم يظفروا به خلال فترة زمنية لا تزيد عن السنتين فإن الأهل بدورهم في مثل هذه الحالة يقتلون أي شخص قريب بالدم للشاب الفاعل بابنتهم.

- وأحياناً لا يتم قتل الفتاة وإنما يبعثون إلى أهل الشاب الفاعل بها ويعلمونهم بما حصل لابنتهم بعد أن يتم تَشْهِيدُ عَدَدٍ من الرجال على ذلك الأمر. وعلى إثر ذلك يبدأ أهل الشاب الفاعل بالتوسط عن طريق جماعة من وجهاء عشائر النَّوَرْ لحل هذه المشكلة التي تمس الناموس، فإذا ما توصلت الواسطة إلى حلّ مع أهل العروس يبلغون أهل العريس لتحضير أنفسهم من المال والذبائح كي تتم الصلحة بدفع المبلغ من المال مع نحر الذبائح وطبخ البرغل مع البُن: مليحي وغالباً ما يتم زواج البنت من الشاب الذي فعل بها أو تتم الصلحة دون أن يتزوج ذلك الشاب الفاعل بتلك الفتاة والتي ستبقى في بيت أهلها. وأن المهر سيكون مضاعفاً في مثل هذه الحالة.

والشيء الظريف والغريب كما قال لي السيد /نايف العبد الله/ أن هناك عادة حالياً عند النَّوَرْ تتعلق بغشاء البكارة عند الفتاة وضرورة المحافظة عليه حتى ليلة زفافها:

أن يقوم والد العروس ووالدتها وبصحبة عم العروس من طرف والدها إلى الطبيب من أجل فحص الفتاة قبل أن تزف إلى عريسها للتأكد من غشاء البكارة عندها. ويتم ذلك سراً دون أن يعلم أحد بذلك.

وعندما سألت السيد /نايف العبد الله/ وهو رجل من نور عشيرة العبد الله الفلسطينية عن هذا التصرف والدواعي الموجبة له أجاب بما يلي:

- يتم حدوث مثل هذه الحالة عندما تكون الفتاة تعمل في المعامل أو في المزارع وفي تلك المعامل والمزارع يحدث الاختلاط ما بين البنات من جهة وبين الشباب. ونتيجة لهذا الاختلاط يمكن أن يتم إغراء الفتاة الباكر مما يؤدي إلى مضاجعتها من قبل شاب ما.

- إن الوالد يأخذ ابنته إلى طبيب قبل زواجها كي يتأكد من عذريتها من جهة في ليلة زفافها فإذا حدث أن قال العريس أن العروس ليس باكراً بقصد الإساءة للعروس ولأهلها فتكون عندئذ الوثيقة الطبية مثابة شاهد على كذب وادعاء العريش بأنها ليست عذراء.

وإذا لم يتبين أن البنت بكر يمكن أن يقوم والدها بقتلها بعد معرفة الفاعل بها لتبدأ المطالبة عشائرياً بحق الناموس المنتهك بقتل الفاعل إذا ما شغفوا به، وأحياناً فإن الوالد لا يقتل ابنته، وإنما يتم إلزام الشاب الفاعل بالزواج من الفتاة التي فعل بها بعد عقد راية الصلح ودفع المهر المضاعف لأهل البنت.

= على أهل العروس في هذه الحالة إعادة المبلغ /المهر/ الذي دفعه أهل العريس لهم كاملاً كما أن الأهل ملزمون بدفع الخسارة التي كان قد خسرها العريس على عروسه في الخطبة وحتى في الزفاف.

لكن قتل العروس غير الباكر من قبل أهلها لا يتم إلا بعد أن تعترف بذنبها وتحكي اسم الشاب الذي فضّ غشاء بكارتها قبل أن تتزوج. وأحياناً يستر العريس على عروسه غير الباكر إذا رغب بالبقاء معها كزوج. لكن الأهل يرجعون له قسماً من المهر. بعد أن يعرف أهل الفتاة المقتولة اسم الشاب الفاعل غالباً ما يبعث إلى أهله وإبلاغهم الجريمة التي حصلت نتيجة عمل ابنهم الشنيع بالفتاة التي تم قتلها ومنذ تلك اللحظة يصبح الشاب هدفاً للقتل من قبل أهل العروس المقتولة. فإذا لم يثقفوا به خلال مدة لا تزيد عن سنتين فإن أهل العروس المقتولة يقدمون على قتل أي فرد من أفراد العشيرة النورية التي ينتمي إليها الشاب الذي كان قد ضاجع الفتاة المقتولة وهي عذراء. وأحياناً لا يحدث قتل إذا ما تدخل وجهاء ورؤساء العشائر النورية لحل هذه القضية بين

أهل الفتاة المقتولة وبين أهل الشاب الذي ضاجعها في خفية ودون علم أهلها. وإذا ما تم الاتفاق بين الطرفين المتخاصمين يتم دفع مبلغ من المال يزيد عن المهر المتعارف عليه بثلاث مرات إلى أهل العروس المقتولة.

- إذا تبين للعروس أن عروسه ليست باكراً غالباً ما يقوم بتشحير وجهها بشحوار السراج أو شحوار بابور الكاز ومن ثم يعلم أهله الذين بدورهم يقودون عروسهم غير البكر إلى أهلها. فإذا كان الأهل متعقلين وضابطين لأعصابهم يستجوبون ابنتهم لمعرفة الشاب الفاعل بها. وبعد ذلك يتم إرسال وجهاء إلى عند أهل الشاب عن طريق رئيس العشيرة التي ينتمي إليها لإبلاغهم بذلك الخبر الذي يؤدي إلى سفك الدماء إذا لم يسارع أهل العريس الشاب في بعث جماعة من الوجهاء لإبلاغهم بذلك الخبر الذي يؤدي إلى سفك الدماء إذا لم يسارع أهل العريس الشاب في بعث جماعة من الوجهاء إلى أهل العروس يعلنون من خلالهم التزامهم بالبنت الذي نام معها ابنهم مع دفع المبلغ الذي يطلبه أهل تلك الفتاة والذي يكون بصورة عامة ما يعادل ثلاثة أضعاف المهر في الحالة العادية عندما يكون الزواج عادياً.

بعد انتهاء مدة العرس والمتعارف عليها بسبعة أيام تقوم العروس وعريسها بزيارة إلى بيت أهلها الذين بدورهم يرحبون بابنتهم وعريسها العزيز ويسمون هذه الزيارة الأولى لابنتهم بعد زواجها بردّة الرِّجْلْ. وعلى الأغلب في مثل هذه الحالة يقوم أهل العروس بذبح شاة لصنع طعام الغداء لضيفيهما العزيزين وغالباً ما يعطي والد العروس أو ولي أمرها الذي زوجها مبلغاً يتراوح من ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ل.س كنقوط للعروس.

لا زال يسود حتى يومنا هذا زواج البدل ـ الداقيش[1] ـ بين صفوف العشائر النورية بالرغم من السلبيات التي تترتب على هذا الزوج. وأن الشيء الطريف عند جماعات النَّوَرْ أنهم لا يتقيدون بالعمر ما بين الزوج والزوجة، فهم مستعدون لتزويج بناتهم إلى رجال متقدمين بالعمر ولو كانوا في الستينات من العمر في الوقت الذي لا يتجاوز فيه عمر البنت المزوجة لذلك الرجل المسن السابعة عشر من عمرها. وأحياناً أن الأب يقدم على زواج البدل بابنته لنفسه وإن كان متزوجاً، فحسب عرفهم أن الرجل له الحق أن يجمع في عصمته

---

١ - الداقيش: التبادل أو المبادلة – دائش: بادل.

أربع نساء في آن واحد وذلك وفقاً للشريعة الإسلامية. وفي حالة عدم وجود ولد أو ابن عند والد الفتاة الذي يريد تزويجها من شاب مقابل أخت ذلك الشاب يقدم والد الفتاة بالزواج من تلك الفتاة التي هي بديلة لابنته (يُدعى هذا الزواج عند جماعات النَّوَرْ بزواج المقايضة أو الداقيش. وإذا ما اختلف أحد الزوجين مع زوجته فأزعلها وذهبت إلى بيت أهلها تاركةً بيتها فإن الرجل الآخر الذي تبادل معه بأختيهما يقوم بدوره بطرد أو تزعيل زوجته كإجراء مضاد، كوسيلة ضغط على الطرف الأخر لإرجاع زوجته إلى بيتها.

وتسود عند جماعات النَّوَرْ عادة زواج الخطيفة الذي يتم دون علم أهل البنت وذلك لعدة أسباب منها:

- إن الفتاة تحب شابا ما ولم يرضى أهلها بتزويجها منه.
- إذا أحب شاب فتاة وكان من عشيرة غير عشيرتها وبين هاتين العشيرتين خلاف فهذا الخلاف كافٍ لعرقلة زواج تلك الفتاة من الشاب الذي ترغب الاقتران به.

وقد قال لي السيد /محمد محسن الظاهر/ أن أي شاب إذا أحب فتاة وأقدم على خطبتها مرة أو أكثر من أهلها ولم يستجيبوا لطلبه يصبح الحق في هذه الحالة لصالح الشاب فإذا ما أقدم على خطف تلك الفتاة فإن كافة وجهاء العشائر ورؤسائها يحقون أهل العروس. وفي مثل تلك الحالة يتم دفع مهر عادي عن طريق الواسطة الحميدة بين أهل الشاب وبين أهل العروس ومن ثم تعود الفتاة والشاب وتقام لهما الأفراح.

ومما فهمته أن النَّوَرْ في زواجهم يسألون عن أم وأب الفتاة وحتى عن جدها وجدتها فإذا ما كان عند أحد من هؤلاء خصلة غير جيدة لا يقدمون على الزواج من هذه الفتاة كذلك الأمر بالنسبة لأهل العروس فبدروهم يسألون عن أهل الشاب وماضيهم فإذا ما كان هناك صفات غير جيدة لا يرغبونها لا يزوجون ابنتهم من ذلك الشاب المتقدم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشاب الخاطف وعروسه يبقيان لمدة سنة خارج نطاق الصراع بين عشيرتيهما حتى يتم الصلح بينهما عن طريق الواسطة التي تقرب وجهة الخلاف بين الطرفين وغالباً ما يتم الصلح دون مهر. وإنما بالاكتفاء بالذبائح والطعام الذي يقدمه أهل الشاب الخاطف على شرف أهل الفتاة، لكن الذي يحصل في معظم الأحيان أن أهل الشاب يدفعون مهراً إلى أهل العروس إلى جانب تقديم الذبائح تكريما لهم أمام وجهاء ورؤساء العشائر النورية.

- أما إذا كانت المرأة الخاطفة متزوجة وعندها أولاد، ولا تزال على عصمة زوجها، فالذي يحدث على إثر ذلك ما يلي:

أن يذهب زوج المرأة الخاطفة لاسترداد مهره الذي كان قد دفعه لأهلها سابقاً. وأن الأهل بدورهم يأخذون المهر مضاعفاً من العريس الجديد لدفع المهر لزوجها القديم من جهة وثمناً لشرفهم الذي انتهكه من جهة ثانية. وفي بعض الأحيان يقوم الزوج القديم بالانتقام من الزوج الجديد لامرأته الخاطفة.

- طقوس دفن الموتى:

إن العشائر النورية بسورية دون استثناء تدين بالديانة الإسلامية فهناك الكثير منهم من يطبق تعاليم الدين الإسلامي في الصلاة والصوم وحج البيت إذا كان ذلك ممكناً بالنسبة لهم مادياً. واعتناقهم للدين الإسلامي يجعلهم يطبقون في دفن موتاهم نفس المراسيم التي تتم عند بقية المعتنقين للدين الإسلامي:

١ - يتم وضع الميت في الفراش أثناء الاحتضار وبعد الوفاة بحيث يكون مستلقياً على ظهره ورأسه إلى الشمال ورجليه نحو الجنوب والهدف من ذلك أن يكون وجه الميت على القبلة أي إلى الجهة التي الصلاة نحوها. وتوضع يدا الميت على صدره بحيث تكون اليد اليمنى فوق اليسرى مع إغماض عينيه.

٢ - يتم تغسيل الميت بالماء الساخن والصابون.

٣ - أما الكفن فإن النَّوَرْ كما قال السيد /محمد محسن الظاهر/ لا يكتفون كبقية المسلمين من لف الميت بكفن واحد من القماش الأبيض. وإنما هنا يتم تكفين الميت إذا كان رجلاً بعدد من الأكفان تساوي في عددها عدد الزوجات اللاتي قد تزوج منهن سواء كن على عصمته أم أنهن قد طلقن أم أنهن ميتات.

وما يقال عن الرجل يقال عن المرأة فإنها تلف بعدد من الأكفان تساوي في عددها عدد الأزواج الذين كانت قد تزوجت منهم سواء كانوا أحياءً أم أمواتاً. والشيء الطريف أن ثمن الأكفان يقوم بشرائها زوجها الأخير أو أولاها إذا كان زوجها متوفٍ وليس لديها زوج ويشترك النَّوَرْ بهذه الظاهرة الاجتماعية مع عشائر القرباط في المناطق الشمالية من سورية: /حلب - عفرين - جندرس - اعزاز - منبج... إلخ.

ـ اللغة التي يتكلمها النَّوَرْ في /عين غزال/:

في بدء زياراتي الميدانية لنور /عين غزال/ أنكروا عليّ أنهم يعرفون اللغة النورية أو أي لغة غير اللغة العربية التي يتكلمون بها. لكن بعد أن تكررت لقاءاتي معهم اتضح لي بشكل قاطع أنهم يعرفون اللغة النورية بشكل جيد إلا أنهم لا يتكلمون بها فيما بينهم عندما يكون بينهم شخص غير نَوَري. كما أنهم يعرفون اللغة الكردية بشكل لا بأس به وذلك يشكل لا بأس به كما ثبت لي فيما بعد. أما كلامهم في اللغة العربية غالباً ما يكون مدغوماً بحركة الضم مثل: يُشْتَغِلْ، نجدهم يلفظونها كالتالي: يُشْتُغُلْ.

وأن اللغة النورية التي يتكلمونها هي نفس اللغة التي يتكلم بها /القرباط/. وقد اعترف لي السيد محمد محسن الظاهر لي في يوم السبت ١٩٨٦/١١/٨ أن القرباط هم أيضاً عشائر من النَّوَرْ بالرغم من أنه: كان دوماً في السابق يقول أن النَّوَرْ لا يمتون إلى القرباط بأي صلة تذكر. وقد قال لي بالحرف الواحد أن النَّوَرْ القرباط هم عشائر من النَّوَرْ، والكل يقربون بعضهم لكن التسمية تختلف حسب المكان التي تتواجد فيه عشائر تلك الفئتين (النَّوَرْ) و(القرباط) (النَّوَرْ في منطقة حلب يُطلق عليهم قرباط). واستثنى السيد أبو عدنان النَّوَرْ التركمان والنَّوَرْ الأكراد أن يكون لهم صلة قرابة مع عشائر النَّوَرْ علماً أنه في كثير من المرات أثناء حديثه يقول أن الجميع نور لكن لسانهم اختلف حسب المناطق التي يتواجدون فيها.

ـ النمط المعيشي لتجمع النَّوَرْ في /عين غزال/:

أن النَّوَرْ الذين يتواجدون في /عين غزال/ شرق السبينة وعلى يمين الطريق الذاهب من القدم اتجاه البويضة ومن ثم إلى الست زينب يعيشون في بيوت ثابتة ومستقرة مبنية من الإسمنت المسلح والمسقوفة بالإسمنت المسلح أحياناً في حين يوجد الكثير من البيوت مبنية دون أعمدة إسمنتية مسلحة ومسقوفة بالخشب على طريقة البيت السكني عند أهل الغوطة سابقاً.

هذه القرية الناشئة ممدودة الكهرباء إلى البيوت لكن الماء غير ممددة إلى البيوت فكل بيت قد تم حفر بئر فيه عن طريق الفرازة على عمق ٣٠م. إلا أن هذه الماء غير

صالحة للشرب وإنما للموعنة. ويؤمنون ماء الشرب عن طريق شراء الماء النظيفة (الفيجة) عن طريق باعة يأتون بالماء على ظهور شاحناتهم الصغيرة حيث يشترون سطل الماء مقابل ليرتان سوريتيان ١٩٨٧م. والطرقات في قرية عين غزال غير معبدة وإنما ترابية لدرجة تتحول تلك الطرقات في فصل الشتاء إلى طرقات طينية موحلة يصعب المشي عليها إلا عن طريق حذاء له كاسية طويلة (الجزمة). كما أن هذه القرية لا يوجد فيها مجاري صحية فكل بيت فيه حفرة قد أعدت من أجل نفايات الإنسان (المطهرة أو بيت أدب). ومما شاهدته أن هناك بيوت من التنك والخيش إلى جانب خيام لا زال أصحابها يعيشون فيها مثل أبناء السيد /ديب البيلهوان/.

- اللباس الشعبي:

١ - **لباس الرجل:** يتكون من قلابية بيضاء وفوقها جاكيت. ويرتدي الرجل المتقدم والمتوسط في العمر القضاضة البيضاء أو السلك /المنديل/ وفوقها العقال. والرجل النوري دوماً يرتدي في قدميه الجوارب والحذاء سواء كان ذلك في الصيف أم في الشتاء.

٢ - **لباس المرأة:** يختلف لباس المرأة في القديم عن لباس المرأة في وقتنا الحاضر. فالمرأة المتقدمة بالسن تلبس الخراطة السوداء وترتدي الكنزة الملونة كاللون الأحمر أو الوردي أو الأصفر فوق الخراطة التي تربطها على خصرها في حين تكون من تحت واصلة عند القدمين. وتلبس المرأة فوق الكنزة قطعة من القماش الأسود الخشن والشفاف والذي يقال له /شنبر أو ملفع/حيث تلفه على رأسها بشكل يغطي صدرها وظهرها ومنطقة الكتفين. وتقوم بتثبيت الشنبر على الرأس بواسطة قطعة قماش ملونة تدعى /المحرمة/ حيث يعصب الرأس بها ومن ثم يتم ربط طرفي المحرمة على الجانب الخلفي من الرأس، وفوق تلك القطع من الملابس ترتدي المرأة ثوباً أسوداً يطلق عليه /الشرش/ وهو شبيه بالثوب الذي ترتديه النساء في الجولان وحوران والنساء البدويات. وإلى حد ما النساء الإدلبيات، مع وجود فوارق بسيطة جزئية خاصة بتفصيلة الثوب الخاص بكل منطقة.

- **الطعام الشعبي المفضل:**

يفضل النَّوَرْ المتواجدين في /عين غزال/ الأكلات الشعبية التالية: المجدّرة - برغ مع عدس أحمر، ويقولون عن أكلة المجدرة أنها /عمود البيت/. أما في الأفراح فإنهم يقومون بتحضير البرغل المطبوخ باللبن والذي يوضع في أواني واسعة يطلق عليها المُنْسَفُ. ويوضع فوق البرغل واللحم في المنسف اللبن المطبوخ مع اللحم والبندورة على شكل شوربة يقال لها /مليحية/. ويتم تناول طبخ المليحي بالأيدي مباشرةً حيث يصطف الأشخاص المدعويين على شكل خاتم يحيط بالمنسف الموضوع في وسطهم. والجدير بالذكر أن هذه الأكلة منتشرة عند سكان الجزء الجنوبي من سوريا في كل من الجولان وحوران كما أن البدو الذين يعيشون في المنطقة والذين استقروا مؤخراً يقومون بتحضير طبيخ المليحي في الأفراح وفي الأيام العادية من السنة كطعام لأفراد الأسرة في بعض الأحيان. وبالتالي فإن النَّوَرْ الذين يعيشون حالياً وعاشوا في الماضي في حوران قد اكتسبوا أكلة المليحي وأكلة المجدرة من السكان المحليين.

أكلة المضيرة: تتكون من الذرة الصفراء المطبوخة مع الحليب أو مع اللبن الذي يطلق عليه الشنينة. ويفضل النَّوَرْ في منطقة عين غزال خبز الصاج الذي تعودوا عليه منذ مئات السنين لكونهم يعيشون متنقلين فالصاج كان دوماً يلازمهم في تنقلاتهم لسهولة حمله وهم بذلك يشتركون مع البدو في امتلاك الأسرة لهذه الأداة المنزلية /الصاج/.

ويحب النَّوَرْ في عين غزال تناول الفليفلة الحادة في طعامهم بشكل كبير لدرجة إذا كانت تلك الخضرة /الفليفلة/ ضئيلة في حدّتها لا يستطيبونها ولا يستطيبون الطعام المقدَّم معها. وهذه العادة تجعلهم قريبين من عادة الجماعات الهندية التي تعيش في شمال غرب الهند مثل قبائل /البانجاراز/ التي يستعمل أفرادها الفليفلة بكميات كبيرة في طعامهم لاعتقادهم أن الفليفلة تطيل العمر. وأن تناول الخضار الحادّة هي صفة مشتركة عند كافة النَّوَر.

ولقد تناولت طعام الغداء مع أفراد أسرة السيد /محمد محسن الظاهر/ المعروف بأبو عدنان في يوم الجمعة الواقع في ١٩٨٦/١٠/٣٠. فقد كانت السلطة المكونة من البندورة والبصل والزيت غاصة بالفليفلة الحادة إلى جانب الفليفلة الموضوعة إلى جانب

الطعام. فكانت تقول أم عدنان: أن الفليفلات غير حادات. فسألت عندئذ هل أنتم فقط تستعملون الفليفلة بطعامكم فكان جوابهم أن كل النَّوَرْ يحبون /الفليفلة/ مع الطعام، وأن الطعام الذي لا يوجد معه فليلفة حادة ليس لذيذاً.

كان يقدم للمرأة وهي في حالة النفاس في الماضي: الدبس المشنون بالماء والزنجبيل والقرفة على شكل شراب ساخن، ولم يكن في الماضي يقدم اللحم مطلقاً إلى المرأة الوَلّادة أثناء وبعد الولادة. وإلى الآن تطعم المرأة الولّادة: السمن العربي ـ الدبس ـ شراب القرفة والزنجبيل والشاي مع وجبات البيض واللحم. وبعد ولادة المرأة بأسبوع كما يقول السيد /محمد محسن الظاهر/ يقوم زوجها بذبح خروف لوجه الله تعالى الذي سلم له زوجته من آلام المخاض.

ـ الألعاب الشعبية:

إن اللعبة الشعبية الخاصة بجماعات النَّوَرْ كما روى لي السيد عارف الظاهر هي - **لعبة العصا** - التي تعتبر بمثابة تراث شعبي لدى جماعات النَّوَرْ دون استثناء. ويكشف الشباب النَّوَرْ عن مهارتهم في استعمال العصا في حفلات الأعراس بقصد الهواية وإبراز الموهبة وكإحياء لتراثهم الشعبي القديم. ولقد كانت العصا في الماضي ذات مكانة كبيرة عند رجال النَّوَرْ لاستخدامها كأداة للمبارزة بين الرجال. ويقول السيد محمد محسن الظاهر: أن النَّوَرْ سابقاً وخاصةً عشيرة /المقصطلي/ التي تنتمي إلى عشيرة الظاهر أي بيت أو مجرية، يهتمون بتربية الخيول الأصيلة من أجل الركب والسبق في الميادين إلى جانب تربية الخيل التي يشترونها من الفلاحين آنذاك فيسمنونها ومن ثم يبيعونها لهؤلاء الفلاحين وقت الحصاد وفي البيدر.

١ ـ لعب الأطفال:

يلعب الأطفال لعبتين رئيستين هما: لعبة الكورة ـ لعبة القهاقير، وتعتبر هاتين اللعبتين المذكورتين من الألعاب الشعبية التي كانت شائعة في منطقة حوران والجولان.

١) لعبة الكورة: يأتي عدد من الأطفال عددهم ثلاثة ومع كل واحد منهم عصا بطول يزيد عن ١٢٠ سم. ومع هؤلاء الأطفال قطعة مكورة صغيرة غالباً ما تكون زر عظمة الفخذ لحيوان. يجتمع هؤلاء الأطفال في ساحة تسمح لهم بالحركة السريعة

فيقومون بحفر جورة لا يزيد عمقها عن /١٥/سم وبقطر لا يزيد عن /١٥/سم. ويحفر كل لاعب لنفسه حفرة مماثلة تسمّى /البُزْلَةْ/. وبعد ذلك يتفقون بطريقة أو بأخرى فيما بينهم ليبدأ أحد الأطفال بتدريج القطعة العظمية بعصاه إلى الحفرة المشتركة التي تقع وسط الساحة ويطلقون عليها /البيش/ فيكون هدف الطفل الذي يدرج الكرة العظمية تسقيط تلك الكرة في البيش وفي هذا الوقت يحاول الأطفال البقية إبعاد تلك القطعة الكروية بعصيهم عن البيش كلما اقتربت. فإذا لا مست عصا أحد الأطفال تلك القطعة واستطاع الطفل الذي يدرج الكرة إلى الحفرة /البيش/ الذهاب إلى بزلة الطفل الذي لامست عصاه الكرة ووضع رأس عصاه فيها عندئذ يتحول الدور إلى ذلك الطفل الذي لم يستطع الوصول إلى /بزلته/ قبل الطفل الذي كان عليه توصيل الكرة إلى البيش وهكذا دواليك.

٢) لعبة القهاقير: يأتي الأطفال ويضعون حجارة فوق بعضها على شكل عمود /قهقور/ ومن ثم يبدأ الأطفال بالضرب على ذلك القهقور بالدور. فالطفل الذي يصيب القهقور ويهدّه من أول ضربة هو الرابح، وتساعد هذه اللعبة على تمرين وتقوية عضلات اليد، إضافة إلى خبرة تساعده في التسديد الجيد لإصابة الهدف.

- تربية الحيوانات:

الكلاب: من أهم الحيوانات التي يهتم بها النَّوَرْ /حيوان الكلب السلوقي وحيوان الكلب البوجي/ وكلا هذين الحيوانين يستخدمان في الصيد. فكلب السلوقي يستخدم لمطاردة الحيوانات السريعة مثل الأرنب - الغريري - الغزال - الثعلب، وكلب البوجي يستخدم لصيد الحيوانات مثل: النيص - القنفذ، وغالباً صيد مثل هذه الحيوانات يتم ليلاً في وعر منطقة اللجاة ووعر منطقة الجولان وخاصةً في المناطق التي تتواجد فيها تلال من الطف البركاني مثل تل الهش في منطقة نوى وتل أيوبة في منطقة القنيطرة إلى الشرق من بلدة /جبا/ الحالية. ولا زال البعض من عائلات بيت ظاهر تهتم بتربية الكلاب المذكورة كهواية وكتراث. ولكن اتضح لي من خلال زياراتي الميدانية لعشائر النّور في بلاد الشام: أن عشيرة /القواسمة/ هي أكثر العشائر النورية اهتماماً حتى الآن بتربية الكلاب بنوعيها البوجي والسلوقي وأن المناطق التي كانوا

يصطادون منها بمساعدة الكلاب: وديان البطيحة ـ الصنابر ـ منطقة جلّين ـ وادي جلّين: وادي طُعيم هو جزء من الرقاد.

الديك الرومي: أحياناً يطلقون عليه الديك التركي. ويربّى هذا النوع من أجل المقاتلة أو المبارزة. وتكون المبارزة بين الديكين من هذا النوع مشروطة: فمن يتغلب ديكه على الديك الآخر يدفع مبلغاً من المال إليه من قبل صاحب الديك المغلوب وذلك حسب المبلغ الذي تم الاتفاق عليه قبل المبارزة. ويقولون أن هناك مغزى آخر للمبارزة وهو:

عندما يغلب ديك خصمه أثناء المبارزة فكأن الشخص صاحب الديك هو المنتصر معنوياً على الشخص الآخر صاحب الديك المغلوب. وبعض الأحيان ما تنتهي تلك المبارزة بين الديوك إلى شجار دام بين أصحابها يؤدي بعضها إلى قتل أحد صاحب الديكين صاحب الديك الآخر. وتعتبر عشيرة /البيلهوان/ من أكثر العشائر النورية اهتماماً حتى يومنا هذا في تربية الديك التركي من أجل المبارزة علماً أن تربية الديك الرومي من أجل المبارزة هي صفة مشتركة عند كافة عشائر النّور ليس في بلاد الشام، وإنما في كافة أنحاء العالم، وبخاصة من يعيشون في قارة آسيا.

ـ الأمراض ومداواتها سابقا:

١ -**مرض السعال الديكي:** الشويهيقة، كان النَّوَرْ يداوونه سابقاً عن طريق الدَّقّ بالأبر /الوشم/ في أسفل ومنتصف الرغامة: /في التجويف الواقع في منطقة اتصال عظمتي الترقوة مع عظمة القص/، وذلك على شكل وشم من ثلاث نقاط أو أربع نقاط. فقد روى لي أكثر من شخص أن المريض بالشويهقة يشفى بعد أسبوع من وشمه. وكانت المرأة النورية تأتي بالزيت الحلو ومرارة غنم وشحوار السراج ومن ثم يتم خلط ذلك المزيج مع بعضه وبعد ذلك يؤتى بثلاث أبر بعد أن يربطن الجانب بعضهن بواسطة خيط وعند ذلك تبدأ المرأة النورية بغمس رؤوس الأبر الثلاث الحادة في المزيج المذكور ومن ثم تقوم بعملية الدق أو الوشم في المكان المذكور من الرغامة.

٢ -كان النّوَرْ يعالجون **مرض السعال الديكي** بإسقاء المريض ملعقة كبيرة من حليب الحمارة السوداء التي لا يوجد بها شبهة (سوداء أطلس) على الريق في كل صباح ولمدة أسبوع فإن المريض يشفى من مرض الشويهقة.

٣ -مرض الحصبة: كان يؤتى بقطعة من دهن إلية الخروف ويضعونها على النار فينشأ عنها رائحة يطلق عليها /كُنَاخْ/ مع دخان. عند ذلك يؤتى بالطفل المحصب ويوضع عل الدخان الخارج من الإلية الموضوعة على النار، فيدخل الدخان إلى جوفه عن طريق الفم والأنف وبعد ذلك يوضع الطفل بالفراش، ويكمر ففي اليوم الثاني تنثر الحصبة على جسده من الخارج: تظهر بثور الحصبة على الجلد من الخارج وفي هذا الظهور دلائل إيجابية على شفاء الطفل من ذلك المرض عن قريب. فلو لم تنهض الحصبة على جلد الطفل من الخارج لبقيت في جوفه وقتلته.

النَّوَرْ في منطقة الدرخبية (مطاربة ـ شعار)

تقع بلدة الدرخبية إلى القرب من بلدة /الكسوة/ الواقعة على مجرى نهر الأعوج وإلى الجنوب من مدينة دمشق بحدود /٣٠كم/.

يعيش في بلدة الدرخبية وفي بلدة /مرانة/ التي تقع إلى الغرب من بلدة الدرخبية /جماعة من النَّوَرْ يسمون بـ /بيت غليون/. وقد جاءت هذه التسمية نسبة إلى جدهم الأول الذي كان يشرب الدخان بواسطة الغليون. ويقال لهم أيضاً ـ بيت خيزران ـ ويبلغ عدد هذه العشيرة من النَّوَرْ ما بين /٣٠ ـ ٤٠/ بيتاً. ويصل تعداد هذه العشيرة في الدرخبية وفي بلدة مرانة إلى الغرب من الكسوة ما بين ٢٠٠ ـ ٢٥٠ شخصاً. على وجه التقريب حتى عام ١٩٨٨م.

وكانت هذه العشيرة ترتحل في الماضي ضمن منطقة سوريا الجنوبية /فلسطين ـ حوران/. ويمكن اعتبارهم من /نور منطقة حوران/ كما قال السيد /محمد محسن الظاهر/ الذي يسكن في /عين غزال/ إلى الشرق من منطقة السبينة، وقال أن ابنته هي زوجه السيد محمد غليون المسمى ـ أبو قاسم. ويسكن في الدرخبية نور من بيت الظاهر يتراوح عددهم /٤٥ ـ ٥٠ نسمة/. وقد جاءوا من منطقة الجولان بعد حرب ١٩٦٧. وكانت عائلات بيت الظاهر ترتحل في منطقة حوران إلى أن استقروا في الدرخبية في بيوت ثابتة من الإسمنت.

ومن بين العائلات التي تسكن في الدرخبية من بيت غليون على سبيل المثال لا الحصر:

١ - عائلة السيد ـ حسن غليون، وهو كبير هذه العائلة سناً، حيث يبلغ من العمر ما يزيد عن /١٢٠/ عاماً ونيف. وأن السيد حسن غليون وهو مختار عشيرة غليون ويتمتع هذا الشخص بمكانة اجتماعية جيدة عندهم.كما أنه يتصف بالتواضع والتروي في حل المشاكل التي تحدث بين أفراد جماعته.

٢ - عائلة حسين غليون.

٣ - عائلة محمد غليون، وهذا الشخص متزوج من عشيرة /الظاهر/ التي تسكن في عين غزال إلى الشرق من السبينة.

السيد حسن غليون مختار عشيرة غليون
يزيد عمره عن /١٢٠/ عاماً، بلباسه الشعبي القديم ١٩٨٦م

إن عشيرة - بيت غليون - هم من نور منطقة حوران حيث كانوا يتنقلون بين قرى حوران وعلى ظهور حميرهم إلى أن استقروا في منطقة الدرخبية. ويقول أفراد هذه العشيرة عن أصولهم تلك المقولة التي تتردد على لسان كافة النَّوَرْ الرحل الذين كانوا يتنقلون في منطقة حوران ومنطقة دمشق والبادية السورية إلى حدٍ ما: أنهم ينتمون إلى قبيلة بني ربيعة، ويشاركهم بهذا الزعم نور منطقة الساحل وحتى منطقة حمص والذين يعرفون تحت تسمية /مطاربة أو رياس/.

إن قول النَّوَرْ بأنهم من عشيرة /ربيعة/ ما هو إلا دليل مادي محسوس على القدم الزمني للفترة الزمنية التي جاؤوا بها إلى بلاد الشام من موطنهم الأصلي الذي يمكننا القول: أنه منطقة الشمال لبلاد الهند الحالية بما في ذلك - نيبال والأقدام الجنوبية

لهضبة التيبت*. لذا ما يقوله النّورْ عن أصولهم المنحدرة من قبيلة بني ربيعة غير صحيح وما هو إلا مجرد أسطورة يحكونها ليعطوا لأنفسهم الانتساب إلى القبائل العربية من أجل الارتياح لهم من قبل الناس المحيطة بهم والمنحدرين من أصول عربية، حيث كان أجداد النّور الحاليين، يلازمون القبائل البدوية في حلهم وترحالهم، وبخاصة أيام الربيع/ كشعّار على الربابة/ لكيل المديح للوجهاء والميسورين من البدو ـ مقابل الخراف ـ السمن ـ مشتقات الألبان.

ـ التنظيم الاجتماعي /البنية الاجتماعية/:

ينتظم أفراد جماعة النَّورْ من بيت غليون في علاقات اجتماعية تتحدد من خلال الانتماء القبلي لهذه العشيرة من جهة والانتماء العام إلى العشائر الأخرى التي تنطوي جميعاً وبقرارة أفرادها تحت تسمية /النَّوَرْ/ ذلك المجتمع الذي كان ومازال إلى حد ما يضرب خيامه أنى شاء ومتى شاء دون أن يعرف للاستقرار طعماً إلا في النصف الثاني من القرن العشرين بالنسبة للنور المتواجدين على أراضي القطر العربي السوري.

ـ الزواج:

يحب أفراد عشيرة غليون كثرة الإنجاب شأنهم بذلك شأن بقية العشائر النورية في القطر العربي السوري وحتى في الوطن العربي وفي العالم. حيث يتزوج الشاب حالياً بعد سن البلوغ تقريباً. إلا أن السن المناسب للزواج عند بيت غليون حالياً هو سن العشرين بالنسبة للشاب وسن يتراوح من ١٥ ـ ١٨ عام بالنسبة للفتاة.

كانت الفتاة سابقاً تزوج حسب رأي أهلها، وغالباً ما كان هذا النوع من الزواج يشكل متاعب لأهل العروس. وقد علمتهم هذه المتاعب: أن زواج البنت يجب أن يتم حسب رغبتها لا حسب رغبة أهلها. لا يتزاوج /نور/ الدرخبية ومرانة مع السكان المحليين وذلك تمشياً مع البناء الاجتماعي العشائري المغلق وغير المنفتح عند عشائر النّورْ بصورة عامة.

* أنظر الفصل الأول. الذي يبحث في أصول النّور

وبعد السؤال حول الاختلاط مع سكان المنطقة كانت إجابة السيد حسن غليون: نحن نرغب بأن نتزوج من عربيات وأن يتزوجوا من بناتنا لأن في ذلك إيجاد علاقات اجتماعية أفضل فيما بيننا.

يدفع أهل العروس مبلغاً من المال يزيد عن /٢٥/ ألف ليرة سورية من قبل أهل العريس. في حين كان المهر السابق /حماراً أو دفاً وطبلاً.... إلخ/. وأن المهر يأخذه أهل العروس في الحاضر وفي الماضي، حيث تعامل الفتاة كسلعة حيث يقولون في هذا الشأن: كم ثمنو: كم هو مهر الفتاة.

ويسود عند نور /الدرخبية/ الزواج التعددي من قبل الرجل دون أن يكون هناك تذمر من قبل الزوجة أو تذمر من قبل أهلها. ويسود لدى بيت غليون إلى الآن زواج البدل الداقيش؛ يتفق شابان بأن يتزوج كل منهما أخت الآخر بعد موافقة أهل كل منهما.

وغالباً ما يكون الزواج من داخل العشيرة إلا في حالات قليلة يتم الزواج من بنات ينحدرن من عشائر نورية أخرى. ولأفرادها نفس مهنة أهل العريس.

ويوجد عندهم زواج الخطيفة الذي غالباً ما كان ينتهي في السابق بقتل العروس الخاطفة لأن العار حسب أقوالهم لا يمحوه إلا الدم. فإذا ما لحق الأهل بابنتهم الخاطفة فإن قتلها يكون مؤكداً. أما في حالة الصلح مع أهل الفتاة الخاطفة بعد تدخل وجهاء النَّوَرْ لحل هذه المشكلة الاجتماعية ذات العواقب السلبية يبقى أهل الفتاة مذلولين وينظر إليهم من قبل بقية جماعات النَّوَرْ نظرة ازدراء واحتقار.

هؤلاء الأطفال جميعاً لرجل واحد عنده زوجتان /الدرخبية/ ١٩٨٦م. (١٢ولداً)

فإن النّور في الدرخبية لا يحبذون الطلاق لكونهم مسلمون، فالطلاق هو أبغض الحلال إلى الله من وجهة نظرهم.

لذا نجد عندهم تعدد الزوجات سائداً من أجل زيادة نسلهم. والسبب الوحيد الذي يتخذه النَّوَرْ سبباً لطلاق الزوجة هو الخيانة الزوجية من قبل الزوجة. وأحياناً يتم طلاق المرأة العاقر غير المنجبة بعض الأحيان.

وتحافظ الفتاة على غشاء البكارة /عذريتها/ حتى ليلة زفافها. فإذا ما تبين أن العروس ليست باكراً غالباً ما يتم نقلها إذا ما افتضح أمرها من قبل العريس وأهله. ويمكن في هذه الحالة أن يستر عريسها عليها ويرجِّع أهلها إليه نصف المهر الذي كان قد دفعه.

ويعتنق هؤلاء النَّوَرْ الإسلام ديناً لهم. ويقومون بتأدية الشعائر الدينية من صوم وصلاة. وهم يطالبون ببناء مسجد لهم يكون موقعه قريباً من منازلهم من أجل تأدية فريضة الصلاة جماعة كما يقولون ويوزعون الفطرة المستحقة على كل نفر منهم في شهر رمضان حسب الشريعة الإسلامية. ويقومون بمساعدة الفقراء والمساكين من المنطقة. وأن البعض منهم قد أدى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.

- دفن الموتى:

يوجد لجماعة بيت غليون مقبرة خاصة بهم يزيد عدد القبور فيها عن ثلاثمئة قبر كما قال السيد حسن غليون /إن دلّ ذلك القول إنما يدل على قدم تواجد هذه الجماعة في منطقة الدرخبية/. ولا يخلو قولهم هذا من الشك.

ويتم القيام بمراسيم دفن الموتى حسب الشريعة الإسلامية. وأن الرجل المتزوج لا يكفن إلا بكفن واحد مهما تعددت زوجاته. أما المرأة المتوفية إذا كانت متزوجة بأكثر من رجل فإنها تكفن بعدد من الأكفان يساوي عدد الأزواج التي كانت قد تزوجت منهم.

وسبب تعدد الأكفان للمرأة المتزوجة من أكثر من رجل بعد وفاتها هو ما يلي: من أجل عدم تبيان عورتها للأزواج الذين كانت قد تزوجتهم هذه المرأة المتوفاة. وأن كل كفن هو بمثابة ستار يسترها عن كفن الرجل الآخر الذي تزوجت منه.

ويتصف نور /الدرخبية/ بسمعة طيبة في منطقة الدرخبية فهم لا يعتدون على أحد. ويحاولون الحصول على لقمة العيش بتعبهم وعرق جبينهم.

اللغة التي يتكلم بها /نور الدرخبية/ /بيت غليون/:

يتكلم هؤلاء النَّوَرْ فيما بينهم باللغة النورية /الضومية/ التي يسمونها بـ ـ لغة العصفورة ـ وأن صغار السن إلى حد ما يعرفون تلك اللغة التي تحكى ولا تكتب ولكن بدرجة أقل عما هو الحال لدى الكبار في السن. ومن مفردات هذه اللغة على سبيل المثال:

١ - الماء : باني.
٢ - المطر : ورسنجنا.
٣ - الشمس : طاطا.
٤ - الأرض : داري.
٥ - المنزل : كري.
٦ - الفرح : هوا.
٧ - البصل : بياز.
٨ - الميت : مرنا.
٩ - السكر : شكر.
١٠ - الملح : لون.
١١ - الثوم : لسن.
١٢ - الخبز : مانا.
١٣ - الطبل : طبلس◆. نجد أن كلمة ـ الطبل العربية، قد أضيف إليها حرف /س/ وهذا تأثير واضح من اللغة اليونانية القديمة، حيث تنشر هذه الظاهرة.
١٤ - العصبة : العصبات (كلمة عربية الأصل).

◆ نجد أن كلمة /طبل/ العربية. قد أضيف إليها حرف /س/ في نهايتها، مما يوضح تأثير اللغة اليونانية في الماضي حيث عاش أجدادهم في منطقة البلقان قبل قدومهم إلى بلاد الشام، وأن اللغة السائدة أنذاك في البيئة الاجتماعية التي جاءوا منها - هي بيئة اجتماعية تتكلم اليونانية.

- المستوى التعليمي:

إن كافة /عشيرة بيت غليون/ مسجل أفرادها في سجلات النفوس المدنية التابعة لبلدة /الدرخبية/. إلا أن المستوى التعليمي لديهم متدن جداً. إذ لا يكمل الأطفال تعليمهم الاعدادي ولا الثانوي وإنما بالكاد ينهون المرحلة الابتدائية فقط سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً. ويقولون أن المدرسة الابتدائية بعيدة عنهم مسافة /٢كم/ مما يجعل ذهاب الأطفال إليها متعباً وشاقاً وخاصةً في الصباح من أيام الشتاء حيث البرد والطين. وعلى هذا فإنهم يطالبون ببناء مدرسة قريبة عليهم من أجل رفع المستوى التعليمي بين أبنائهم كما يقولون. إلا أن هذا السبب ليس ذريعة لعدم تعلم الأطفال فهناك الكثير من القرى تكون فيها المدارس بعيدة /٢كم/ أو أكثر عن بعض البيوت ومع ذلك نجد الأطفال الصغار الذين ما زالوا في عمر البراعم يتأبطون محافظهم ويذهبون في الصباح الباكر إلى المدارس حيث البرد القارس يلفح وجوههم الغضة الناعمة.

- عمل الرجل:

لقد كان الرجال من عشيرة غليون في السابق عندما كانوا مرتحلين يعيشون في الخيام يقومون بتربية الحمير والخيول والمتاجرة بها. كما أنهم كانوا يمارسون صناعة /شد/ الطبل - الدف - الطبّالة - الربابة - الطبلية (حسب قول عبدو الرمضان الأحمد الساكن في بلدة الشيخ مسكين والمسجل في نفوس الشيخ مسكين).

وكان هؤلاء النَورْ في الماضي يمارسون مهنة إحياء الأفراح في القرى المجاورة لبلدة الدرخبية في مبادئ الاستقرار. وقبل ذلك كانوا يمارسون إحياء الأفراح في قرى حوران أو عند /البدو/ الرحل في منطقة حوران قبل الخمسينات وفرق تهريج. كما يقول السيد /حسن غليون/ أنهم كانوا في الماضي يمارسون /اللعب على الحبل/ نوع من الألعاب البلهوانية من رقص ومشي على الحبل. وقد شاهدت تلك الألعاب البهلوانية في طفولتي في الخمسينات حيث شاهدت رجلاً صعد إلى الحبل وبدأ يرقص عليه وهو جالس على لقن من النحاس دائري الشكل. كما أن المرأة كانت تمشي على الحبل وهي تضع في راحة قدميها لوحان من الصابون. في حين كان سكان القرية يحيطون بالحبل ومن يلعبون عليه من ألعاب بهلوانية شيقة. وكانوا يمارسون مهنة الصيد

/النيص ـ الأرنب ـ الغريري/ بواسطة البوجي والسلوقي في المناطق الجبلية المحيطة بمنطقة الكسوة. ولم يربوا الديك الرومي من أجل المبارزة كما أنهم لم يربوا ديوك الحَجَلْ من أجل الصيد.

وكان عندهم فرق للتهريج ومن أشهر المهرجين كان /السيد الملقب أبو ناعسة/ ولا يزال هذا اللقب في منطقة حوران يذكر حتى اليوم وخاصة الشتائم ذات الطابع الجنسي. وأن طبيعة الأعمال التي عددناها كانت تتمشى والنمط المعيشي القائم على الترحال من قرية إلى أخرى على ظهور الحمير. أما المرأة فقد كانت تمارس مهنة /الشحادة/ آنذاك.

لكن الأمر اختلف بعد أن استقرت عشيرة /غليون/ في عام ١٩٥٥ حيث صار الرجال يمارسون مهنة الزراعة. حيث كان قد تكون لديهم قناعة أن الزراعة هي مورد أفضل وأشرف من المورد السابق الذي كان يمارس من قبلهم سابقاً. وهو في حالة عد الاستقرار.

ويمارس /بيت غليون/ الزراعة المروية شأنهم بذلك شأن سكان المنطقة هناك: الثوم ـ البصل ـ الفاصولياء ـ الجزر ـ الفجل. ويقوم الرجل أيضاً بأعمال أخرى مثل: قيادة السيارات ـ أعمال عضلية بالفاعل /أجار يومي/. وفي بعض الأحيان يضمنون أرضاً إضافة إلى أرضهم كي يزرعونها محاصيلاً زراعية.

ـ عمل المرأة:

كانت المرأة في الأيام ما قبل الاستقرار تتجول في القرى المجاورة لبلدة الدرخبية وفي بقية القرى الأخرى من حوران أثناء ترحالهم من قرية على أخرى حيث كانت المرأة هي المسؤولة عن تأمين الطعام لأفراد الأسرة. فقد كانت تشحد الطحين، والبرغل والعدس المجروش والعدس والخبز واللباس والأحذية والقمح الشعير والحمص.

لكن بعد الاستقرار والعيش في مساكن ثابتة بدأت تدريجياً تبتعد عن الشحادة لتزاول العمل الزراعي إلى جانب الرجل لدرجة أن هذه العادة /الشحادة/ تكاد تكون قد انقرضت /شبه انقرضت. كما أن المرأة صارت تحيك الصوف من أجل تأمين الملابس لأطفالها.

نساء من /عشيرة غليون/ يقمن بتعشيب محصول الثوم من الأعشاب الضارة ١٩٨٦م

ـ لباس المرأة:

في القديم كان لباس المرأة النورية /تنورة طويلة لها قبة من الأمام على شكل سبعة. وتلبس فوقها شمبراً أسود اللون تلفه على رأسها، في حين يبقى معظم هذه القطعة السوداء على الظهر وعلى الكتفين وفوق هذه التنورة الطويلة كانت تلبس رداءً طويلا ومفتوحا من الأمام لتضع فيه ما تشحده إلى جانب طفلها الرضيع. وكانت تشحد به التبن لإطعام الحمير التي كانوا يربونها آنذاك من أجل الارتحال.

ونتيجة لتواجدهم الدائم في منطقة حوران بصورة مستمرة فقد اكتسبوا بعض العادات والتقاليد وخاصة اكتساب نموذج اللباس /زي المرأة الحورانية/ من ثوب طويل وفوقه الشنبر الذي يلف به الرأس ويكون مخبأ تحت الثوب في حين يكون ظاهراً فوق فتحة الثوب وتدعى /النُّقْبة/. ويشد الشنبر على الرأس بواسطة قطعة قماش سوداء مطوية تدعى العصبة.

لكن فيما بعد صار ثوب المرأة يخاط من القماش الرهيف والمنقط بألوان زاهية، في حين صارت المرأة تلبس عوضاً عن العصبة محرمة: إشار ـ ملونة تلفها فوق الشنبر /الملفع/ لتشدد على رأسها كما هو واضح في الصورة التالية:

امرأة من /عشيرة غليون/ في بلدة الدرخبية بلباسها التقليدي القريب
من زي اللباس للمرأة في حوران ١٩٨٧م

أما الآن فإن لباس المرأة /من نور بيت غليون/ صار مشابهاً إلى لباس المرأة في منطقة الدرخبية حيث الثوب الطويل من القماش الملون، وتلبس المرأة على رأسها قطعة من القماش الأبيض النظيف على شكل منديل. وتلبس المرأة فوق الثوب الطويل الكنزة المفتوحة من الأمام في أيام الشتاء والربيع من أجل الدفء.

امرأة من /نور ـ غليون/ بلباسها الشعبي الجديد
المتأثر بلباس المرأة في منطقة الدرخبية.

كما أن المرأة النورية لم تعد تجدل شعرها على شكل ضفائر كما كان ذلك متبعا من قبل المرأة منذ أكثر من /١٥/ خمسة عشر عاماً وذلك تمشياً مع روح العصر الحالية حيث النساء في معظم منطقة حوران لم يعد يجدلن شعرهن على شكل ضفائر كما كان ذلك سابقاً.

أما لباس النتيات الصغار عند /نور بيت غليون/ لم يعد يختلف عن لباس البنات الصغار أو الشابات لسكان منطقة الدرخبية، حيث الخراطة الواسعة إلى حد ما والتي تصل إلى ما تحت الركبة. وسروالاً طويلاً من القماش تلبسه الفتاة والمرأة تحت الخراطة أو الثوب الطويل. وتلبس المرأة فوق الخراطة كنزة وفوق الكنزة جاكيت من عمل محلّي معمولة من القماش فوق الخراطة. أما غطاء الرأس عبارة عن منديل من القماش الأبيض النظيف تغطي به المرأة أو الفتاة رأسها بعد أن تطويه على شكل مثلث، وتكون قاعدة المثلث على الرأس وفوق الجبهة في حين رأس المثلث ينسدل على الظهر وأما طرفي المثلث يلفان فوق بعضهما من تحت الذقن وعلى العنق من الأمام بحيث يشد الطرف الأيمن نحو اليسار، في حين ينسدل الطرف الأيمن نحو اليمين ومن ثم يربطان من الخلف بالنسبة للعنق. وبعد ذلك ينسدل ما تبقى من الطرفين للمثلث على الظهر أيضاً كما هو واضح في الصورة التالية:

بنات من عشيرة /بيت غليون/ في لباسهن الشعبي الحالي الشبيه بلباس الفتيات لمنطقة الدرخبية مما يوضح التغير في العادات والتقاليد القديمة بفضل الاستقرار والابتعاد عن نمط الترحال القديم. ١٩٨٦م.

وبصورة عامة فإن لباس المرأة النّورية القديم منه والحديث ـ يتصف بما يلي: أنه واسع، وفضفاض، ومحتشم، ومريح الحركة والجلوس. وفي أيامنا هذه، فإن الصّبايا النّوريات، وبخاصة الحجيات منهن، حيث يرتدنّ اللباس الخليجي للمرأة، والمكون من العباءة، والمنديل الأسود، دون تغطي الحجية وجهها بالنقاب كما هو عند المرأة في دول الخليج العربي.

وكان الرجل في الماضي يرتدي القمباز الطويل حتى القدمين والمفتوح من الأمام بشكل كامل. وكان يلبس فوق القمباز زناراً من الجلد، ويتكون غطاء الرأس من شماخ وفوقه عقال. كما أن الرجل كان يرتدي سروالاً ضيقاً وطويلاً إلا أن الفرج لذلك السروال فضفاض وواسع.

أما الآن فإن الرجل صار يلبس بنطالاً وقميصاً، ويلبس شماخاً على رأسه أحياناً بدون عقال أو مع العقال.

ويسكن النَّوَرْ في منطقة الدرخبية في بيوت من الإسمنت المسلح ذي الشروط الصحية الجيدة، وأن تلك البيوت منارة بالكهرباء والماء ممدد لها بقساطل. ويتكون أثاث البيت من الأدوات الكهربائية /الغسالة ـ التلفاز ـ المذياع ـ المسجلة ـ أفران الغاز/ وأن البيوت ممدودة بالبسط والسجاد والحصر البلاستيكية، ويمكننا القول أن المنازل عند بيت غليون لا تختلف عن المنازل لبلدة الدرخبية لا في الشكل ولا في الأثاث إذ لم نقل أفضل.

ولا يختلف لباس الفرح عند الفتاة /من عشيرة بيت غليون/ عن لباس الفرح عند بقية الفتيات لمنطقة الدرخبية، حيث القماش النظيف الغالي الثمن والذي يختلف من حيث النوع من عائلة إلى أخرى حسب مستواها المادي. وتظهر الصورة التالية فتاة في العشرين من عمرها ترتدي ثوباً من القماش الأبيض النظيف ومن تحته /السروال المعمول من القماش/. وترتدي على رأسها إشاراً من القماش الأبيض المتناسق مع لون الثوب. وتختلف عقدة الإشار (المحرمة) عن اللباس في الحالة العادية حيث العقدة هنا لطرفي المثلث على العنق من الأمام وينسدلان على الصدر، في حين رأس المثلث ينسدل على الظهر*.

* حيث يضغط الإشار على شكل مثلث متساوي الساقين.

فتاة ترتدي /زي الفرح/ وهي من أسرة فقيرة من عشيرة بيت غليون. ١٩٨٦م.

ـ النَّوَرْ في بلدة المقيلبية:

يعيش في بلدة المقيلبية الواقعة إلى الشمال الغربي من بلدة الكسوة الواقعة إلى الجنوب من مدينة دمشق وعلى بعد ثلاثين كم، ثلاث أسر من عشيرة ـ بيت غليون ـ وهم أقارب لأفراد بيت غليون القاطنين في الدرخبية وفي بلدة مَرانَة. وقد استفاد بيت غليون في المقيلبية من الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٨م. حيث وزعت عليهم مساحات من الأراضي الزراعية المروية حيث يزرعون المزروعات التالية: /الثوم ـ البندورة ـ الباذنجان..../ شأنهم بذلك شأن أقاربهم في بلدة الدرخبية. ويسكن هؤلاء في بيوت إسمنتية مخدمة بالماء والكهرباء. وكبير هذه العائلة السيد أبو عمر الذي يعيش وأولاده وأسرهم في بلدة ـ المقيلبية.

ـ النَّوَرْ في بلدة الكسوة:

تقع بلدة الكسوة على بعد ثلاثين كم إلى الجنوب من مدينة دمشق على خط دمشق ـ درعا. ويمر من هذه البلدة نهر الأعوج الذي يصب في بقايا بحيرة الهيجانة في القسم الشرقي من غوطة دمشق.

يسكن في بلدة الكسوة جماعة من النَّوَرْ في المكان الواقع ما بين طريق الكسوة ـ دير علي غرباً، وجنوباً وما بين طريق الكسوة ـ الحرجلّة شمالاً وغرباً. ويتكون المخيم:النزُلْ لهؤلاء النَّوَرْ من عائلتين لا يمتان إلى بعضهما برباط القرابة الدموية وهما: عائلة السناكرة، عائلة المجارية: بيت الظاهر.

١ ـ **السناكرة**: يتراوح عدد أفراد هذه العائلة ما بين ٥٠ ـ ٦٠ شخصاً. وقد جاء هؤلاء من منطقة فلسطين في عام ١٩٤٨. ويحمل أفراد عشيرة السناكرة الجنسية الفلسطينية بصورة عامة ما عدا القليل منهم يحمل الجنسية السورية. ويرتبط سناكرة الكسوة بسناكرة السيدة زينب برباط الدم. ويعتبر السيد /فايز عيسى الخضر/ المعروف بأبو محمد عقيد عشيرة السناكرة /شيخ العشيرة أو كبيرها/. ويسكن السيد فايز عيسى الخضر في بناء فخم من طابقين تحيط به قطعة من الأرض على شكل مزرعة على طريق /الحرجلة ـ العادلية/. وهناك مجموعة من النّور السّناكرة، يتواجدون في بلدة زاكية حيث يشتون فيها، ويتنقلون صيفاً إلى منطقة الكسوة، وإلى منطقة حوران، وتمارس نساؤهم نفس العادات لعشيرة السناكرة. وهذه صورة لبعض من أفراد هذه المجموعة واقفين أمام أحدى الخيام /١٩٨٦م/.

مجموعة من أفراد عشيرة السناكرة في بلدة زاكية ١٩٨٦م

وكان السناكرة بفلسطين يمارسون صناعة الغرابيل والكرابيل إلى جانب المتاجرة بالحمير والخيول /سياس خيل/.

ويتكون لباس المرأة عند السناكرة في الكسوة من: ثوب طويل له فتحة عند العنق على شكل قبة تتخذ من رقم ـ ٧ ـ شكلاً لها. وترتدي المرأة فوقه عباءة مفتوحة من الأمام يدعى /تشاطك/ أو الصاية في اللغة العربية علماً أن الصاية تلبس تحت الثوب الخارجي. وكانت المرأة تضع طفلها وما تشحده في تلك العباءة /التشاطك/.

وتضع المرأة على رأسها الشُنْبرْ الأسود الشفاف ومن فوقه تحزم المرأة رأسها بقطعة من القماش الأسود الناعم بحيث يبقى الشنبر منسدلاً على الكتفين ويكسو جسم المرأة حتى أسفل الصدر وإلى أسفل الجزع. وتلبس المرأة النورية السروال الطويل تحت الثوب الطويل وغالبا ما كان السروال مزموماً عند منطقة الكعبين بالنسبة للمرأة.

أما الرجل فكان يلبس القمباز الطويل والمفتوح من الأمام. ويلبس تحت القمباز السروال الطويل الواسع والطويل الفرج لدرجة أن الجزء الواقع بين فخذي الرجل يكاد يخب على الأرض. في حين كان حجْلا ذلك السروال ضيقان لدرجة يتساوى فيها الحجْل في اتساعه مع غلاظة عظمة الساق عند الرجل. وكان ولا زال الرجل يرتدي القضاضة والعقال على الرأس.

وإن المرأة من عشيرة السناكرة كانت وما تزال تمارس مهنة الشحادة حيث التبصير وقراءة الفال. والشيء الملفت أن نساء السناكرة حالياً يقفن في منطقة الفنادق في منطقة المرجة الواقعة في وسط مدينة دمشق حيث المصطافين العرب من الخليج والسعودية وليبيا إذ تتصرف المرأة بكامل حريتها من أجل الحصول على المال. وترتدي النساء اللواتي تمارسن الشحادة والتبصير في منطقة المرجة اللباس النظيف والغالي: الخراطة الطويلة والواسعة والتي تخب على الأرض، وفوق الخراطة ترتدي المرأة الكنزة أو القميص المفتوح. ويرتدي فوق الكنزة أو القميص الجاكيت الصوفية، أو من فراء الحيوانات الغالية الثمن. وتلف المرأة رأسها بقطعة من القماش الأسود الشفاف المقصّبة على الداير بخيط من القصب الأصفر. وحالياً يتواجد في منطقة جبل قاسيون، حيث المطاعم والأضواء الليلية. والمصطافين الخليجيين، حيث يقوم شخص من النور لم أستطع التعرف عليه، بنقل عدد من النساء النوريات ويوزعهن في منطقة جبل قاسيون،

من أجل النصب والاحتيال عن طريق التبصير بالكف.. الخ. ويقوم بتوزيع وجبات من الطعام والشراب على تلك النسوة، وبخاصة وجبة الغداء. وفي المساء يقوم بجمع تلك النسوة بسيارته، ويقوم بنقلهن إلى أماكن سكنهن في أطراف مدينة دمشق، وبخاصة الجّنوبية منها مثل: الحجر الأسود (٢٠٠٥م).

- المجارية /بيت الظاهر/: يتراوح عدد أسر بيت الظاهر ما بين /٥ ـ ٦/ أسر. وقد جاء هؤلاء النَّوَرْ من منطقة الجولان إثر حرب عام ١٩٦٧. وقد كان أفراد عشيرة المجارية /بيت الظاهر/ يرتحلون في منطقة الجولان وحوران وفي فصل الشتاء كانوا يشتون في بلدة ـ البطيحة ـ وفي بلدة ـ البغّالية ـ في الجولان. وبعد حرب حزيران رحل هؤلاء النَّوَرْ المجارية إلى بلدتي جِلّيْن والمزيريب في الجنوب الغربي من محافظة درعا وبقيوا هناك إلى أن استقروا في بلدة الكسوة منذ عام ١٩٨١م. وكان يزاول أفراد عشيرة المجارية في الماضي الطبل والزمر من قبل الرجال فقط دون النساء /ريّاس/، إلى جانب المتاجرة بالخيول والحمير. وكان البعض من المجارية يزاولون مهنة صناعة السكاكين الحادة /الشباري ذلك السلاح الفردي/. ويمارس المجارية حالياً في الكسوة مهنة تركيب الأسنان إلى جانب الأعمال اليومية /المياومة المأجورة/. يسكن البعض من هؤلاء المجارية في بيوت ثابتة في الكسوة في حين لا زال يسكن البعض الآخر في أكواخ معمولة من التنك وأكياس الخيش على شكل أكواخ مستطيلة الشكل يصل طول الواحد إلى أكثر من ستة أمتار ولكل كوخ باب واحد فقط.

وتمارس المرأة المجربية في الكسوة مهنة الشحادة يومياً، حيث تدور بين أحياء القرى المحيطة بالكسوة لتشحد المواد الغذائية /الرز ـ السكر ـ اللباس ـ الزيت ـ العدس ـ الصابون ـ اللباس... إلخ/.

وينظر النَّوَرْ إلى المرأة التي تشحد من المنازل سواء في المدينة أو في القرية بأنها امرأة ذات وضع مادي بائس، لباسها قديم بالٍ وغير متصنعة، نظرة عادية غير مستهجنة. في الوقت الذي ينظرون فيه نظرة احتقار وازدراء إلى المرأة النورية التي تذهب إلى الحصول على المال تحت ستار الشحادة بعد أن لبست أحلى وأجمل اللباس الذي عندها إلى جانب وضع المساحيق على وجهها كما هو الحال بالنسبة للنساء اللواتي يقفن في وسط مدينة دمشق بين الفنادق. واللاتي ينحدرون من أسر نُورية: الشعارنة ـ السناكرة.

ويتكلم كل من السناكرة والمجاربة /الظاهر/ اللغة النورية التي يسمونها /لغة العصفورة/ وهي اللغة تسمى لغة /الضوم/

- ويتواجد في بلدة الكسوة جماعة من النَّوَرْ، ينتمون إلى عائلة /العزامات/. وتتنقل هذه الجماعة على طرف نهر الأعوج، لكن تقضي معظم أيام السنة في فسحة من الأرض تقع إلى الجنوب من مجرى الأعوج، وإلى الغرب من الطريق العام دمشق - الكسوة - درعا، ويبلغ تعداد خيم هذه الجماعة بحدود /١٠/ خيام. مشغولة من القصدير والورق المقوى، والمغطى بأكياس القنب.

ويقول أفراد هذه الجماعة، أنهم جاءوا من منطقة الحجر الأسود، ومن ثم ذهبوا إلى بلدة /زاكية/ الواقعة إلى الغرب من بلدة الكسوة، وقد أقاموا هنا منذ /١٢ عاماً/. في حدود عام ١٩٧٦م تقريباً.

يقوم الرجال من عائلة /العزامات/ بصنع الطبول من جلود الماعز. أما المرأة فإنها تقوم بالتجوال بين أزقة القرى لمنطقة الكسوة من أجل الشحادة، حيث تجمع كل ما يعطى لها من طعام، ولباس. وبعض النساء يأخذن معهن الحاجات النسائية: الإبرْ - الكشاتبين - المسال - الكحل - الأمشاط - المرايا... إلخ. وتعمل بعض النساء في المزارع.

وإذا كانت حصيلة ما تجمعه الزوجة أثناء تجوالها في النهار، ليست جيدة، فإن زوجها يقوم بتوبيخها، لتقصيرها. وإذا ذهبت إلى الشحادة مثلاً ثلاثة أيام في الأسبوع. في حين زوجة جاره، ذهبت أربعة أيام، فإن الزوج يتهم زوجته بالكسل ويصفها بأنها /عواطلية/.

وإذا كانت الفتاة رشقية في فن الشحادة، فإنها تكون محظوظة عند الرجال، والكل يحاولون كسب ودها لخطبها.

ويتكلم أفراد هذه الجماعة باللغة التركية إلى جانب اللغة العربية، لكنهم لا يعرفون جيداً لغة لسان العصفورة /اللسان الضُومي/. اللسان النَّوري.

نساء من نور الكسوة /جاؤوا من منطقة الست زينب/

أما مراسم الزواج، فهي كمثيلاتها عند بقية العائلات الدومرية، حيث الزواج العادي عن طريق الخطبة، واتفاق أهل العروسين، وزواج الخطيفة، الذي يحصل على الأغلب بسبب عدم موافقة أهل الفتاة من تزويجها ممن يحبها. وغالباً ما يكون المهر في حالة الخطيفة ما يزيد عن مثيله في حالة الزواج العادي.

ويقولون أن المهر سابقاً كان على الشكل الآتي /٥٠٠ ل.س + حمارين، بالإضافة إلى طبل، وكلبي صيد من نوع /بوجي أو سلق/. أما حالياً يصل المهر إلى /١٢.ـ ١٥/ ألف ليرة، حيث تعطى العروس مبلغ /١٠٠٠ ل.س فقط من المهر/. ١٩٨٧م.

أما بالنسبة للباس، تضع المرأة على رأسها قطعة من القماش الأسود ويقال له الملفع، وتربطه على رأسها بقطعة قماش أخرى سوداء وناعمة تدعى /المنديل/ أو تشده على رأسها بإشار يقال عنه الإشار الحوارني. وتلبس ثوباً طويلاً يستر الجسم بشكل كامل ومحتشم.

بعض المفردات التي يتكلمون بها:

لغة الضوم	العربي
جورس	امرأة
عدايس	الشحادة
طنجرس	طنجرة
بكرس	بقرة

باتي	الماء
دايس	الأم
غونس	كيس
ماسي	لحم
كرارس	فلاح
شاروس	الحمار
سفاوس الحمار	رَسُنُ الحمار
زاروس	الولد
سوخر	النيص
جول	قمل
تحليس	القهوة
ضولي	الطبل
كارياس	الإبريق
طراحاس	الفرشة
شكر	السكر
موزياس	شحاطة
سنوطس	الكلب
برنج	الرز
آرآس	الحمار
دندى	سن
وين جورس	أين المرأة
راحت عدايس	راحت إلى الشحادة

يلاحظ من هذه المفردات اللغوية تأثر اللغة الضومية (النورية) باللغة اليونانية قديماً، حيث كان بقاء أجدادهم في منطقة البلقان لمدة طويلة*.

* يلاحظ حرف /س/ في آخر كلمات الضومية / النَورية/ - مما يشير إلى وجود أجداد هذه الجماعات من النَور في الماضي في منطقة البلقان /اليونان/ وذلك بعد خروج أجدادهم إما من الهند مباشرة - أو من خروجهم من بلاد فارس بعد أن قدموا إليها من الهند - وذلك قبل مجيئهم إلى بلاد الشام (المؤلف)

ـ النُّوَرْ في منطقة حرستا:

يتواجد أفراد جماعة النَّوَرْ في منطقة حرستا (في بداية حرستا تحت الاستراد، وعلى يمين الطريق العام دمشق ـ حلب. وينتمي أفراد هذه الجماعة النَّوَرْ من فئة الرياس. ويبلغ تعداد خيامهم أو خرابيشهم ما يزيد عن خمسة وعشرين خربوشاً. وينتمون إلى عشيرة كنجو وعشيرة ملحم (طبالة).

يقوم الرجال بممارسة مهنة الطبل والزمر، في حين الشباب منهم يمارسون الأعمال اليدوية العادية، لكن يبقوا معظم أيام السنة عاطلين عن العمل. وقد كان أفراد بيت ملحم في الماضي يزاولون مهنة صناعة: الغرابيل ـ الكرابيل ـ وهم من النّور القرباط.

أما النساء فيقمن بممارسة الشحادة حيث تعتبر المرأة العمود الفقري بالنسبة للأسرة، إذ تتنقل من بيت إلى آخر وتدق الأبواب. وتطلب من المارة الصدقة. وأن ما تجمعه في يومها تقوم بصرفه على أفراد أسرتها، ولولا عمل المرأة القائم على الاستجداء، وطلب الصدقات، يبقى أفراد الأسرة بدون طعام. ويعترف الرجال بذلك، حيث قال شيخ النزل بهذا الصدد ما يلي: (**والله لولا النساء لنموت من الجوع**).

امرأة من نور حرستا، تمد يدها لاستجداء الناس

ليعطوها الصدقة كما تقول، ١٩٩٠م

وترتدي المرأة اللباس الطويل والفضفاض، ويتكون من قطعة واحدة، كما هو الحال في لباس المرأة التي في الصورة السابقة، وأحياناً يكون اللباس عند المرأة مكوَّن من تنورة فضفاضة في الأسفل، ومزمومة على الخصر، وطويلة لدرجة تغطي كامل القدمين. وتلبس المرأة قميصاً يكفت طرفه الأسفل داخل الفستان. وترتدي المرأة على رأسها غطاءً ذي مساحة كبيرة لدرجة أنها تغطي شعر رأسها ولا يظهر منه شيئاً. ويتم الزوج عن طريق النساء وبعد موافقة العروس وأم العروس تأتي الوجاهة من الرجال ليطلبو يد الفتاة من والدها بشكل رسمي، وليتفقوا على المهر.

ويتم عند هذه المجموعة حوادث غش في الزواج، حيث يتم زفاف فتاة غير الفتاة التي تمت معرفتها وخطبتها من قبل النساء بادئ الأمر كخطوة أولية. ويتناسب المبلغ المدفوع كمهر للعروس حسب مكانة أهلها الاجتماعية والمادية. وغالباً ما تتم الأفراح يومي الخميس والجمعة.

وأثناء خروج المرأة من خربوشها من أجل الشحادة، لا تحمل كيساً كباقي النساء النوريات، لكنها تحمل محفظة أو شنتة كبيرة، لتضع فيها ما تشحده من نقود، ولباس وطعام. ويحترمون الضيف ويقرونه على حسب مكانته المادية والاجتماعية. وهم أصحاب نخوة وحمية، حيث يقدمون أرواحهم دفاعاً عن المستجير بهم (الدخيل). ويمارس الرجال مهنة الصيد، وبخاصة صيد /النيص/ بواسطة الكلاب من نوع البوجي، حيث يستطيع معرفة جحور هذا الحيوان عن طريق شم رائحتها، وتتم عملية الصيد قبل الصباح (قبل الفجر). وكان يصطادون في منطقة القلمون، وفي منطقة جبل الشيخ، وفي منطقة السلسلة التدمرية.

ويتكلم هؤلاء النَّوَرْ اللغة النورية /لسان العصفورة: جب دوموراي

اللسان النوري	عربي
كلوا	الشاي
تحلي	القهوة
جاك	الأكل
كهاي	لباس المرأة
ماسي	اللحم

كري	البيت
قر	الحمار
عسروس	غطاء الرأس للمرأة
كوشك	الكلب
صنوطا	الكلب
بانا	ماء
شماري	الدجاج

ويدين هؤلاء النَّوَرْ بالدين الإسلامي. وتتم مراسيم الدفن عندهم على الطريقة الإسلامية. التعليم يكاد يكون معدوماً عندهم وأن البعض من أسر هذا النزل غير مسجلين بالسجلات المدنية ولا يحملون بطاقات شخصية.

٢ ـ ويوجد نزل آخر للنور في حرستا، على طريق حرستا ـ دوما، حيث تخيم هذه الجماعة عند مفرق النشابية ويتراوح عدد الخيام أو الخرابيش من /٢٥ ـ ٣٠ خريوش/. قرياط.

ويدّعي أفراد هذا النزل أنهم ينتمون إلى قبيلة بني مرة، إلا أنهم قد جاؤوا إلى هذا المكان من منطقة حمص في أوائل عام ١٩٨٩ كما ذكر سكان المنطقة المحليين ذلك. وأن ادعاؤهم من قبيلة بني مرة هو ادعاء كاذب ولا يمت للحقيقة بصله*

يمارس الشاب مهنة تركيب الأسنان، في حين يمارس الكبار في السن صنع الغرابيل والخواتم.

ويرتحل هؤلاء في الصباح في فصل الربيع، وبعد العصر صيفاً، وفي الشتاء والخريف صباحاً، ويدّعي هؤلاء أن المرأة لا تمارس مهنة التسول.

ويحدث عند أفراد هذه الجماعة زواج الخطيفة، وغالباً ما ينتهي بالمصالحة، إلا إذا كانت الزوجة الخاطفة هي بنت عم زوجها، حيث يتم قتلها على الأغلب كما ادعوا ذلك لأنفسهم.

* انظر في أصول النّور في الفصل الأول، فيما يتعلق بإدعاء بعض جماعات النّور، أنهم من قبيلة بني مرة العربية... إلخ.

ويحصل هؤلاء على جلود الحيوانات لصناعة الغرابيل من الدباغات الموجودة في بلدة - جوبر - وعندما يبيعون الغرابيل يقولون: إنها مصنوعة من جلد النوق (جمع ناقة) وهم غير صادقين بقولهم هذا. وجميع هؤلاء مسجلون في السجلات المدنية، ويؤدي أولادهم خدمة العلم.

رجل يقوم بصناعة الغربال - نور حرستا -
على طريق حرستا - دوما مفرق النشابية. ١٩٩٠م

وترتدي المرأة اللباس الطويل، وتغطي رأسها جيداً بالملفع الأسود إذا كانت كبيرة في السن وتشد الملفع على رأسها بإشار إما ملون وإما أسود اللون. وأحياناً ترتدي المرأة على رأسها الشماخ الأحمر.

امرأة من نور نزل مفرق النشابية /الغوطة/ تجلس وطفلها داخل خيمتها وبلباسها النوري التقليدي والذي تعرف عنه الشابات حالياً، ١٩٨٩م.

- النَّور في بيت نايم أو تايا - جسرين (تركمانية) الغوطة:

- يسكن في بيت نايم بغوطة دمشق الشرقية جماعة من النَّوَرْ ينتمون إلى العائلات التالية: تركماني - حلاوة - جوعان - ملحم. وكانت بعض العائلات قد رحلت في الأعوام القليلة الماضية إلى بلدة دير العصافير، وهذه العائلات هي: عائلة الطيار - عائلة النيران ويسكن هؤلاء في بيوت ثابتة من الإسمنت المسلح، حيث يسكن هؤلاء جميعاً في حي واحد، والبيوت قريبة من بعضها، وبعيدة عن مكان الفلاحين من سكان القرية.

ويطلق النَّوَرْ في /بيت النايم/ على أنفسهم تسمية /التركمان/، لكنهم في الواقع هم من نَوَرِ التركمان. ومنهم من يحمل بطاقات شخصية تابعة لبلدة عين ترما.

ويمارس الرجال والنساء منهم أعمالاً حرة: بيع الخضار، والخبيزة، والجرجير. والعُرّة التي يجمعونها من ضفاف الأنهار بمنطقة الغوطة، والأسواق التي يرتادونها سوق الخضار في حي الشاغور، وسوق خضار الإطفائية، وباب توما. ومنهم من يعمل مع الفلاحين بالقرية والقرى المجاورة بالنسبة للرجال.

ولا تمارس النساء مهنة الشحادة. ولا يعمل الرجال في الغناء والرقص، لكن توجد فرقتان للغناء والرقص في بيت نايم: الأولى من عائلة الجوعان، والثانية من عائلة التركماني. وكل فرقة تتكون من: رئيس الفرقة - طبال عدد (٢) - زمارين عدد (٢) - عازف عود - مطرب أو اثنين - عازف كمان - مهرج (أبو ناعسة). وينحصر عمل هاتان الفرقتان في منطقة الغوطة، ومنطقة المرج، حيث يتقاضون آجار الحفلة الواحدة ما بين ٣٠٠٠ - ٥٠٠٠ ل.س عام ١٩٨٩م، ما عدا ما يحصلون عليه من الشوباش. أما إذا كان الشوباش لا يعود للفرقة، سيكون أكثر. وأن الراقصات هن من نور الحجيات وغالباً إما من عائلة /الهرامشة أو الكريملية/ الذين يعيشون في حي التجارة والقصور بمدينة دمشق. ويمارس الرجال أيضاً مهنة صنع جرون القهوة من خشب البطم والمشمش والتوت. ويقومون بصنع الأدوات الموسيقية ذات مثل: العود والبزق (الطنبورة).

امرأة من نوريت نايم في لباسها الشعبي التقليدي

وتقوم بتنخيل الطحين لعجنه، ومن ثم خبزه على الصاج

وترتدي المرأة الثوب الطويل من القماش الملون بالأسود والبنفسجي أو الأزرق والأبيض، أو الأصفر والأحمر. ومخصر في الوسط وتلبس فوقه وعلى الخصر الزنار. وتغطي رأسها بالملفع الأسود والطويل، حيث يكون مسدولاً على ظهرها. ويتم تثبيت

الشنبر أو الملفع على رأسها بإشار من القماش الأسود والناعم والواسع السطح. كما هو الحال في الصورة السابقة. أما الفتيات الصغار، فإنهن يلبسن اللباس العصري. ويتكلم النَّوَرْ في قرية - بيت نايم - إلى جانب اللغة التركمانية، لغة النَّوَرْ الأم - اللسان النوري (جب دومواري). وأما العربية فهم يتكلمونها بطلاقة. وأن الأكلة المفضلة لدى أفراد تلك الجماعة /الكبسة/ من الرز واللحم والهيل والحواد. ويرغبون أيضاً إلى الحواد مثل: الفليفلة الحمرة الحادة، والفلفل بأنواعه. ويصنعون منها مؤونة سنوية من الموسم إلى الموسم.

ويشارك النَّوَرْ في قرية - بيت نايم - جيرانهم من سكان القرية في أفراحهم وأتراحهم.

وهناك نور في قرية - أوتايا - من عائلة عينة، حيث يتكلمون اللغة التركمانية، إلى جانب العربية ولغتهم الأم /جب دومواري/، ويقولون عنها لغة العصفورة، ويتكلم بها الكبار في السن فيما بينهم. والصغار معرفتهم بها ضعيفة.

ويتعاطى الرجال صناعة أجران القهوة، التي تصنع من خشب البطم، والمشمش. وتباع تلك الأجران لأهل القرية، إذ يمكن للمارة في شوارع دمشق مشاهدة باعة الأجران في شوارعها أحياناً في كل من ساحة المرجة، وسوق الحميدية. ويذهبون إلى سوق نوى في يوم الجمعة (منطقة حوران). ويرصعون الأجران بزخارف من الفضة، أو من الألمنيوم ويتراوح سعر الجرن الواحد من /٥٠٠ ـ ١٠٠٠ ل.س/. عام ١٩٨٦م حسب الخشب المصنوع منه، وإتقان ذلك. ويقومون أيضاً بصناعة البزق الشرقي الذي يصنع من خشب الزان أو التوت، وله أربعة أوتار. ويذهب الرجال منهم إلى سواقي البساتين في الغوطة، حيث يجمعون /الهندباء - الخبيزة - البابونج - الجرجير - القُرَّة/ لتباع في أسواق الخضرة بدمشق /الإطفائية - الشاغور - العمارة - باب توما/.

أما النساء فإنهن يعملن ببيع الخضار التي يأتي بها زوجها إليها من سوق الجملة في سوق الهال، حيث تبيعها في أسواق خضار الهال القديم - الإطفائية..... إلخ. وتقوم المرأة إلى الآن بخبز العجين على الصاج. وهناك بعض الرجال يدخلون في فرق موسيقية في كل من: عين ترما - دير العصافير - السيدة زينب - السبينة. وأن المرأة لا تشحد إطلاقاً.

ولا تمارس النساء مهنة الرقص والغناء /الحجيات/. ويفضلون بطعامهم الكبسة من اللحم والأرز، والهيل والبهارات. ويتناولون الحاد كثيراً.

ويوجد زواج الخطيفة. وغالباً ما تحل هذه الظاهرة الاجتماعية سلمياً، بعد أن يدفع أهل الخاطف لأهل الخطيفة مبلغ يتراوح بحدود /١٠٠٠٠٠ل.س/. وإذا كانت المخطوفة امرأة متزوجة. فيأخذ أهلها مبلغاً أكبر من المال فيما لو كانت المخطوفة عازبة. ويتضاعف المهر كلما تضاعف عدد الأولاد التي تركتهم المرأة الخاطفة (المخطوفة).

شاب يقوم بتصنيع العود، وأجران القهوة /نور قرية ـ أوتايا/ ١٩٨٩م

ـ وهناك عائلة واحدة في قرية جسرين من بيت التركماني ولهم أقرباء في دير العصافير. التي تعتبر المركز الأساسي لتجمع النَوَرْ في الغوطة الشرقية، حيث مختارهم /أبو عزيز/ وأخوه /الريس أبو فيصل/. وما يقال عن عادات وتقاليد ولباس النّور في /عين ترما وبيت ناعم وأوتايا/ ينطبق على عائلة التركماني في بلدة جسرين.

ـ ويعيش جماعة من النّورْ في قرية عين ترما في بيوت ثابتة من الإسمنت المسلح، ومخدّمة بالماء والكهرباء وينتمي هؤلاء النّورْ إلى عشيرة: حبش ـ وعشيرة ـ ملحم ـ التي جاءت من باب النيرب.

وقد جاء أفراد عائلة الملحم من حلب، منذ فترة تزيد عن /٥٠ عاماً/. وكانوا يعملون في صناعة الغرابيل. وهناك بيت ملحم في مفرق عين غزال /٥٠ نسمة/. أما بيت ملحم في السبينة صاروا مطاربة حالياً، بينما في الماضي كانوا يصنعون الغرابيل ـ الكرابيل ـ وهم من القرباط. وهناك فرقة /فايزة ملحم وأخوتها: خالد ـ فواز/، ويُدعون إلى إحياء الحفلات في أوروبا ـ قبرص ـ الأردن.

ـ النَّوَرْ في بلدة قطنا (حجيّات جماعة الحجة شيخة):

يعيش في بلدة قطنا الواقعة عند أقدام السفح الشرقي لجبل الشيخ مجموعة من العائلات التي تنتمي إلى النَّوَرْ أو الضوم. ويبلغ عدد عائلات تلك المجموعة /العشر عائلات/ ينتمي أفرادها إلى عشيرة تعرف كنية ـ البسّوني.

وينصب هؤلاء النَّوَرْ خيامهم في الجانب الغربي من منطقة البركة الواقعة في الجانب الشمالي الغربي من بلدة قطنا، وعلى يمين الطريق العام الذاهب غرباً من قطنا باتجاه عَرْنَة، ويعتبر السيد علي البسوني، المعروف بأبو حسين كبير عشيرة البسوني في بلدة قطنا، التي يبلغ تعداد أفرادها ما بين ٦٠ ـ ٧٠ نسمة (١٠ ـ ١٢ خيمة). عام ١٩٨٧م.

ويعتبر نور عشيرة البسوني من نور منطقة وادي بردى إلا أن المشتى الدائم لهم كان وما زال بلدة قطنا وحول منطقة البركة حيث الماء والكلأ من أجل تربية الدواب من خيول وحمير والتي كان أفراد عشيرة البسوني يتاجرون بها بعد تسمينها.

ويتم الزواج بين أفراد عشيرة البسوني عن طريق الخطبة ليد الفتاة من أهلها فإذا لم يوافق الأهل على تزويج ابنتهم على سنة الله ورسوله كما قالت السيدة صباح بنت خضر البيلهوان: (المصري) زوجة السيد علي البسوني فإن الفتاة في هذه الحالة تخطف الشاب الذي يريدها دون موافقة أهلها، وبعد ذلك يتم الصلح بين أهل العروسين، بعد أن يدفع الشاب الخاطف ضعف المهر لأهل البنت المخطوفة. ويصل المهر حالياً إلى مبلغ يتراوح ما بين ٢٠ ـ ٢٥ ألف ليرة سوري. وقد كان المهر في الماضي كما قال السيد علي البسوني مقابل مبلغ زهيد من المال إلا إذا كانت البنت جميلة ولها صوت حلو /حجيّة/ فقد كان المهر يصل إلى /٢٥/ ليرة من الذهب تعرف بالنيرة الرشادية. أما البنت غير الجميلة فقد كان مهرها قليلاً وكما عبّر العجوز /عبده عز الدين من نور صحنايا/

ويعيش بين نور البسوني في قطنا /كل شي يا بني له ثمن/، فقد اعتبر ذلك العجوز الفتاة مثل السلعة تباع وتشرى بأثمان متفاوتة في قيمتها وذلك حسب المواصفات التي تتمتع بها الفتاة. ويسود عند نور البسوني تعدد الزوجات من قبل الرجل، ولا زال يوجد عند هؤلاء النّورْ زواج البدل أو زواج الداقيش. وقد لمست أن ـ نور البسوني ـ ونور عز الدين في صحنايا يرتبطون مع بعضهم بعلاقات نسب جيدة. وتقوم هناك علاقات نسب بين النّورْ من عشيرتي: البسوني من جهة وبين نور البيلهوان من جهة ثانية.

ويتم دفن الموتى حسب الطريقة الإسلامية إلا أن الميت يكفن بأكفان تساوي في عددها عدد الزوجات التي كان قد تزوج منهن ذلك المتوفي إذا كان رجلاً، وأن ينطبق على الرجل ينطبق على المرأة حيث تكفن بأكفان تساوي في عددها الرجال التي كانت قد تزوجت منهم على سنة الله ورسوله في حياتها، ويُعتبر الكفن سترة للمرأة كمال قال السيد علي البسوني.

ـ الأعمال التي زاولها نُور البسوني:

يعرف النّورْ من عشيرة البسوني بأنهم من النَّوَرْ الذين كانوا يزاولون الرقص والغناء على أنغام الربابة والبزق في الماضي. ويقال للنّور من بيت البَسُوني بجماعة الحجة شيخة.

فقد كان نور البسوني يرحلون في أيام الربيع إلى منطقة حوران واللجاة وإلى جبل العرب شرقاً وكانوا يصلون إلى أطراف البادية السورية، قاصدين مضارب البدو الغنّامة من أجل الاستعطاء عن طريق المديح الغنائي المرفوق بصوت الربابة ورقص النساء اللواتي كن يتمايلن بقوامهن الرشيق أما شيوخ عشائر البدو ووجهائهم وبخاصةً الأغنياء منهم مثل: الشيخ طلال أبو سليمان /في منطقة حامر اللجاة/ وهو من عرب السلوط ـ والشيخ جاسم النادر /أبو محمد/ في منطقة الزريقية وشقحب في منطقة جبل المانع والزريقية في الجزء الشمالي من حوران على طريق درعا ـ دمشق ـ والشيخ طلال الفصين في منطقة اللجاة والمعروف بأبو جاسم.

ومن المعروف أن البدوي مجرّد أن يرى خيام النَّوَرْ /الحجيات/ قد نصبت إلى جانب مضاربهم يسارعون إلى إكرامهم. إذ كانوا يقدمون لهم الغنم والصوف والسمن، وقد قال لي السيد عبدو عز الدين: أن الحجيّة لم تكن ترضى بالخروف الصغير شوباشاً

للشيخ إلا إذا كان الخروف من خراف أول السنة (بدري) وأحياناً يكون الخروف كبيراً لدرجة يركب عليه أحد أولاد الحجية الذي يزيد عمره عن العشر سنوات حتى تقبله بعد أن ترى الخروف وهو يركب ابنها عليه.

ومن الحجيات المشهورات عند نور البسوني ـ الحجة شيخة والحجة فطّوم والحجة مريم ـ إلا أن الحجة شيخة مشهورة لدرجة يعرف فيها نور البسوني كما ذكرنا بجماعة الحجة الشيخة. وعندما لا يكرم البدوي النُّوَرْ عندما ينزلون بخيامهم إلى جانب خيمته يهجوه بأقذع الكلام وأوسخه، وكما قال العجوز عبده عز الدين /كنا نمسخ البدوي والله مسخ إذا ما أكرمنا وأَحْسَنَ مَلْقَانا/. ومن قصائد المديح التي كان يقولها نور البسوني ونور عز الدين في مديح الشيخ طلال أبو سليمان ما يلي:

بَاحْ الْحَيَا يا ذِيْب قُمْ دَنّي الوْراقْ
أبْقُرْطاس شَامي وَالزُّرْف مَلْحُوقْ
أحْمُسْ الثّلاثَة عَلى سَاق
واصْحاك بِغاية الْحَرْق مَلْحُوُق
صُبْهَا بِكَفّكْ كَفَاك الله مِنْ شَرّ كُلّ مَخْلُوق
نَادَى الْمُنَادِي يا سَعْدُ ومِنْ فُوْقْ رُجْم الْمداوِيرِ
قُمْت أَفَكِرْ وَين نَادَى الْمنَادي
أَرْقُبْ أَنَا مِنْ فُوْق رُجْم الْمَداوِير
طَفَاهَا دَبْهَة بَين السَّهْل والْحزومي
واتْقَابَل الْجَمْعَين شَرْقَ الْكَرومي

وكان نور البسوني ونور عز الدين يذهبون إلى جبل العرب من أجل مديح الوجهاء هناك من أجل الحصول على عطاياهم، ومن قول المديح على الربابة والمصحوب برقص الحجيات وإطلاق صيحات الشوباش من أجل حث الحضور على إكرامهم مقابل غنائهم ورقصهم ما يلي:

عَفْيا بَني مَعْروف يا زِيْن[1] الْغَادِيْر

---

١ ـ الزين: هو الزيون وهو الصاية التي تلبس فوق اللباس وغالباً ما يكون جيد التفصيل ومن قماش غالي الثمن.

يا ريْت شبْلي باشا عِزْك يَدوْم

وهذه قصيدة يمدح فيها النَّوَرْ الشيخ - جاسم النادر - الذي كان يحسن ملقاهم ويكرمهم مقابل رقصهم وغنائهم له:

يا راكباً منْ عندنا منْ فُوقْ ستة وثماني

يا للّي ازْوارهنْ لكو عِهنْ ما يْنُوشنْ

إرقابْهنْ كاجَريْد الليالي سنة وثماني للّي مدّنْ

يا شيخ جاسم النّادر لا تِهتَّنا بارُوك شَيْشَخاني

عندنا إتْفنقات للْبُعْدْ برْمنْ

الْجاز عابر بضيرْس الْمَتّاني إحْدرْسِنْ اللّبَنْ يشْلَعُ وَيَسِنْ

ومن عادة النَّوَرْ أثناء مديحهم لأحد مشايخ البدو من أجل تحريضه نفسياً ومعنوياً كي يكون مبلغ الاستعطاء كبيراً من قبل ذلك الشخص الممدوح، أن يبدؤوا قصيد المديح بسرد صفات الشيخ الفلاني أو الوجيه الفلاني وليكن الشيخ طلال الغصين الذي كان قد أكرمهم بغية أن يسمع الشيخ الذي يمدحونه في بيته كي يكون عطاءه مثل عطاء الشيخ الأول إذا لم يكن أكبر. ومن عاداتهم أيضاً قبل البدء بغناء القصائد ذات الطابع المديح، أن يهجوا الشيخ أو الوجيه الفلاني الذي لم يحسن ملقاهم كي لا يحذو الشيخ أو الوجيه الذين بدأوا في مديحه: مثل على ذلك:

عنوان القصيدة كما قال العجوز القاصود وعلى الربابة /عبده عز الدين/

قصيد مسْخ إلى واحد عِفِن لَمْ يُكرِّمْ ملقى النَّوَرْ:

الْبقْ والبرْغوثْ علّهْ للْفراشْ

يا لوْمي ما نمْت ليْلى هَنيّه

اهْنيّال منْ دشَرْ الْحَبسْ وانحاش

إبْعدْ عنْ الْعِفنْ والعَسكريّهْ

لقد وصل بالعجوز القاصود تشبيه الشخص الذي يقصده النَّوَرْ من أجل الاستعطاء بشكل غير مباشر عن طريق الغناء والرقص والعزف على الربابة بحشرتي الْبَق والبرغوث. ومن كثرة البخل للشخص الذي لم يكرم النَّوَرْ عندما كانوا يضربون خيامهم إلى جانب خيمته بالنفايات التي تفوح منها الروائح القذرة. بهذه الطريقة

النفسية /السيكولوجية/ كان النَّوَرْ يعرفون كيف يحصلون على العطاءات المجزية من قبل شيوخ البدو ووجهائهم وذلك خشية من أن يطال ذلك الشخص لسان النَّوَرْ السليط القادر على إنزال قيمة هذا الشيخ أو ذاك إذا لم يحسن ملقاهم إلى الحضيض بين عشائر البدو ووجهائهم وهذا أكثر ما يخشاه البدوي من أن يوصف بصفات غير جيدة أمام بقية عشائر البدو.

وبعد الهجاء كما ذكرنا سابقاً للشيخ الذي لم يحسن ملقاهم يبدأون بقصيد المديح على الربابة ورقص الحجيات للشيخ النازلين من جديد إلى جانب مضارب فريقه:

عِزْها يا بَرقْ يِزْعِجن مثْل مَالي
أَهلا ميجْي مِينْ وَهَلي يشيلُوْن
يوْم حَطّوا عَلَى امْدَنَّيَاتْ الحمالي
غَطَّيت رَاسي يُومْ قامُوا يشيلون
طَلَبْت الْحُبّة وقَالَتْ قْبالي وِشْ عَوَّقَكْ قُبُلْ الرَّحايِلْ يمُدُّونْ
يَا ميتْ هَلاَ وَمَرْحَبَا بالشيخ - فُلان - يَا مْشَاقْ راس عِيْن الغَزَال
يَا لَّلي بالعُطُرْ وَالمِسكْ مَدْهُوْنْ يَا خَلِقْ

وبعد أن يسمع الشيخ الهجاء والمديح في آن واحد يقوم بإعطاء النَّوَرْ جزيل العطايا كالخراف والسمن واللبن والصوف كي يحصل على مديحهم عند بقية العربان.◆

وكان النَّوَرْ في بيوت البسوني يصطحبون معهم عند ذهابهم إلى شيوخ العشائر البدوية في الربيع الآلات الموسيقية التالية: الربابة والطبل والدف والطفاشيات التي تضعهما المرأة التي ترقص في أصابع يدها.

وكان النَّوَرْ في الربيع سابقاً يبقون في حالة تنقل مستمرة ونشطة طلباً في الحصول على عطاءات أكثر فكلما كانوا ينتهون من مديح وجيه ما يذهبون إلى وجيه آخر من أجل مدحه والحصول على العطاءات من خراف وصوف وسمن. وكما قال السيد - علي البسوني - أننا كنّا نعود في نهاية فصل الربيع ومعنا قطعان من الخرفان نبيع معظمها والباقي نذبحه لتناول لحمه في المناسبات.

◆ عن القاصود على الربابة - العجوز عبده عز الدين: إن هذا البدوي العجوز عندما دخلت الخيمة التي هو فيها عام ١٩٨٧م - قال لي عندي – قصايد - مديح للشيوخ البدو - ومنهم - الشيخ طلال أبو سليما (اللجاة). فلم يرض أن يقول القصيدة لي حتى أكتبها إلا بعد أن أخذ ثمن دواء مني /١٠٠ ل.س عام ١٩٨٧م/ هذا من دون الرجاء الذي رجوته إياه (المؤلف).

وأما عمل المرأة بعد أن ينتهي فصل الربيع فصل المديح والهبات من قبل مشايخ البدو فقد كانت تمارس مهنة الشحادة على باب الله الكريم ولا تزال إلى الآن فأي إنسان يدخل إلى خيامهم يجد نفسه مضطراً من خلال الكلام الموجّه له عن حالتهم المادية إلى تقديم الدراهم والدّخان، لا بل فإنهم يطلبون ذلك مباشرة بأفواههم عن طريق كلام كذب ويقال بلباقة لدرجة يتصور السامع الغريب من غير النَّوَرْ أنه صحيح مثال على ذلك:

عندما دخلت إلى خيمة السيد ـ علي البسوني ـ /أبو حسين/ من بعد ظهر يوم السبت الواقع في ١٩٨٦/١/٢٤ كان شخص عجوز كان قد تجاوز الثمانين من العمر متكئاً وادّعى أنه مريض ومعه حصر بول علماً أنه يجلس في خيمة غير خيمته ويشرب الشاي والقهوة والدخان. وطلب مني مبلغ /١٥/ ل.س كي يشتري دواءاً فقلت له اعطني الوصفة كي آتي لك بالدواء غداً /وأنا صادق بذلك/ فقال بالحرف الواحد: قصدناك بمبلغ بسيط ما عطيتني ففي قطنا توجد صيدلية وأنا أشتري الدواء علماً لا يوجد ثمناً لأقل وصفة طبية أقل من خمسين ليرة سورية. وعندما أردت أن يجيبني على أحد الأسئلة قال لا أعرف شيئا فانجبرت إلى إعطائه مبلغ /عشر ليرات سورية/ وإلى الطفل الذي بجانبه خمس ليرات وإلى صاحبة الخيمة باكيت دخان بالميرا عند ذلك تغيرت النظرة مباشرة وبدؤوا يرحبون بي من جديد وقال تعال في يوم مشمس واصطحب معك قلم ودفتر ومسجلة حتى أقصد لك قصائد كثيرة وإذا كان هناك عوّاد /يضرب على العود/ /اصطحبه معك/. وعندما عدت إليهم في يوم آخر لم يرضى أن يقول القصائد حتى أخذ مبلغ ١٠٠ل.س (المؤلف)، هذا عدا الشاي والدخان[1].

ومن الأعمال التي يمارسها الرجال من عشيرة البسوني تربية ديوك المبارزة والتي يقولون عنها ديوك مصرية يشترونها من منطقة عفرين. فقد لاحظت عند معظم الخيام المنصوبة إلى جانب البركة من جهة الغرب في منطقة بلدة قطنا الديوك المعروفة بقدرة منقارها القاسي على الضرب المميت. وإلى جانب ديوك المبارزة لاحظت أنهم يعتنون بتربية الحمام والحجل من أجل الصيد.

---

١ - إن تقديم الهدايا من: قهوة وشاي وسكر وسمن وسكاكر وأدوية، أثناء ترددي لخرابيش النور، إضافة إلى أفلام التصوير، والمواصلات كانت قد أرهقتني مادياً، لدرجة أن الراتب الذي كنت أتقاضاه لا يكفي لذلك، في حين أن أفراد الأسرة كانوا يعانون معي العوز والفاقة، طيلة مدة البحث الميداني الذي استغرق أكثر من خمس سنوات.

ويوجد عند نور البسوني - الحمير - التي يستخدمونها في الركوب لقضاء حاجاتهم من بلدة قطنا وضواحيها. ومما شاهدته أنه يوجد عند معظم الخيام رأساً أو رأسين من الغنم التي يربونها من أجل الحليب والاستفادة من خروفها وصوفها. ويوجد كلب أو كلبان إلى جانب كل خيمة من أجل الحراسة. ويزاول الآن الرجال من عشيرة - البسوني - الأعمال اليومية المأجورة عند أهالي بلدة قطنا كالعمل في البناء /الحفريات - العمل في مكابس البلوك/. ويعملون في مجال الزراعة في تحويش ثمار الفواكة - وأعمال التعشيب: تخليص الحقول المزروعة من الأعشاب الضارة. وهناك من الرجال من يعمل في المقالع الحجرية في الجبال.

السيد علي البسوني /أبو حسين/ وإلى جانبه زوجته صباح البيلهوان /أم وحيد/
وهي تحمل الديك الرومي. قطنا - كانو الثاني ١٩٨٧م

ويعيش القسم الأعظم من أفراد بيت البسوني في الخيام التي تتخذ شكل الشقة /غرفة كبيرة ومطبخها وغرفة الدخول (المعبور)/. وغالباً ما يكون المطبخ على اليسار بعد أن يدخل الشخص إلى معبور الخيمة لكن باب المطبخ أو الغرفة التي فيها أدوات المطبخ والمازوت لها منفذ يطل على الجزء الداخلي من الخيمة والذي يستعمل للجلوس والنوم وفيه توضع المدفأة.

والخيمة منارة بالكهرباء بطريق غير مشروع وبعلم المؤسسة في بلدة قطنا. ويوجد في كل بيت تلفاز أسود وأبيض من حجم أو قياس ١٢ ـ ١٤ بوصة. وفي كل بيت توجد مدفأة تعمل على المازوت. وأن أرض الخيمة مفروشة بالإسمنت والرمل. ويتكون الأثاث من فرشات الاسفنج وبطانيات وبعض اللُحُفْ التي ليس لها وجه من القماش الأبيض. وقد ضيفوني القهوة المرة التي يسخنونها عندما يأتي الضيف لعندهم من أجل الضيافة.

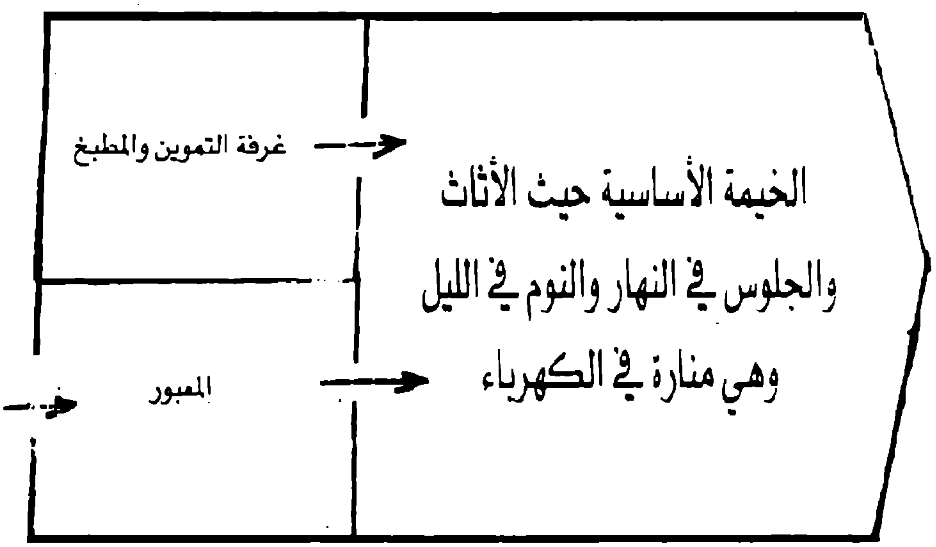

خيمة السيد علي البسوني /أبو حسين/ ١٩٨٧م.

وهناك البعض من النَوَرْ البسوني يسكنون في بيوت ثابتة مثل السيدان: عادل وأخيه نايف. وهما أولاد الحجّة المعروفة ـ شيخة. ويعمل الشخصان المذكوران مع حفّارات في منطقة المعضمية ويقومون بحفر آبار عن طريق المعول والرفش مقابل أجر يومي.

. اللغة التي يتحدثها أفراد عشيرة البسوني:

يتحدث نور عشيرة البسوني فيما بينهم باللسان النوري الذي يسمونه: لسان الضوم أو لسان العصفورة. وعندما تكلمت معهم بعض الجمل بلسان الضوم ارتاحوا لي كثيراً وقالوا لي بالحرف الواحد: والله إحْنَا حَبَّيْنَاك، يا الله إنتَ ضُومي: بالله إِنْتَ نَوَرِي.

وإلى جانب اللّسان الضُومي يتكلم أفراد البَسُونِي اللّسان التركي ولكن قليلاً شأنهم شأن عائلة عز الدين في بلدة صحنايا.

ومن خلال جولاتي الميدانية لعشائر النَّوَرْ في القطر العربي السوري لاحظت ما يلي:

أن النَّوَرْ الذين يتحدثون بالتركية فيما بينهم إلى جانب اللسان الضومي كانوا وما زالوا يمتهنون مهنة الغناء والطرب والعزف على الآلات الموسيقية. ويُعرَف هؤلاء بالحجيّات: البسوني ـ عز الدين ـ الهرامشة ـ الكريملية ـ الصوالحة ـ القواسمة... إلخ.

وأما العشائر النورية التي تتحدث بالكردية فيما بينها إلى جانب اللسان النوري أو اللسان الضومي، فإن أفرادها يعملون في مهنة الريّاس أو طبّالين، حيث الرجل هو الذي يذهب إلى إحياء الحفلات من رقص وضرب على الطبل دون أن تشاركه المرأة في ذلك كما هو الحال عند النَّوَرْ من جماعة الحجيّات كما ذكرنا سابقاً وأن نساء الجماعتين أو الفئتين المذكورتين من النَّوَرْ كانت وما زالت تزاول مهنة الشحادة على باب الله الكريم إلا من استقرّ منهم حيث صار يبتعد تدريجياً عن العادات القديمة المعيبة /المرأة تشحد والرجل يجلس في الخيمة من أجل شرب القهوة والشاي والدخان/.

إن جميع أفراد النَّوَرْ من عشيرة البسوني مسجلون في السجل المدني لبلدة قطنا إلا أن الأمية متفشية بينهم بشكل كامل لدرجة لا نجد شخصاً واحداً يعمل في مؤسسات الدولة لكونهم أميين من جهة ولاعتقادهم بأن العمل الوظيفي لن يحسن من وضعهم المادي. ولم ألاحظ أن أفراد عشيرة البسوني يمارسن مهنة تركيب الأسنان. ولا يزاول الآن /البساسنة/ مهنة الرقص والغناء والعزف على الربابة: (الحجيات).

ويتصف أفراد البسوني بالبشرة السمراء والشعر الأسود الناعم والسبط، ويتصفون بالرؤوس المتطاولة /عرض الجمجمة على طولها يساوي أقل من ٧٥٪/. ويتصفون أيضاً بالوجوه الأقرب في شكلها إلى الاستطالة منها إلى الاستدارة. وتتصف عيونهم باللون الأسود أو اللون العسلي وهو الأغلب بين أفراد عشيرة البسوني. ويطلق الرجل من عشيرة البساسنة شاربيه ولكن باعتدال على عكس من النَّوَرْ التركمان والذين يعرفون بالطنجرلية /جماعة أبو مرشد في حي الجورة بالقدم، في الطرف الجنوبي من مدينة دمشق/.

ويعيش بين أفراد عشيرة البسوني ثلاث خيم من نور بيت عز الدين الذين يعيشون في صحنايا:

١ - عبده عز الدين: وهو رجل عجوز في الثمانينات من العمر كان في شبابه يعمل قاصوداً على الرباب حيث كان يرافق الحجيات مثل: الحجة شيخة ـ الحجة بدرة زوجة حسن بديع عز الدين الحجة ـ مريم والحجة فطوم عندما كان يذهب النَّوَرْ من عشيرة عز الدين البسوني للاستعطاء من قبل شيوخ عشائر البدو في حوران واللجاة والبادية وقد ذكرنا بعض أسمائهم.

٢ - تركي عز الدين وهو زوج لامرأة من عشيرة البسوني ويسكن أهله في المعضمية /أم تركي وأولادها وكانت تعرف بالحجّة خَبْصَة في شبابها: أي تخبص بين الرجال الذين يرونها وهي ترقص، فيقع الخلاف بينهم (تغتن بينهم)

٣ - محمد عز الدين /أبو قاسم/ والذين يمتهن الصيد بواسطة الكلاب: البوجي والكلاب الإفرنجية الصغيرة الحجم ذات الوبر الطويل وقد سمى أحد كلابه /بوبي/. وكان يصطاد سابقاً في منطقة وعر اللجاة وفي منطقة الجولان من أجل صيد حيوان النيص /جبل هريرا/. وقد قال أن كلب البوجي يستطيع معرفة تواجد حيوان النيص في هذه المنطقة أو تلك أما الكلاب الصغيرة الحجم ذات الوبر الطويل فقد قال: أنها تدخل إلى دخل الوكر وتتعارك مع حيوان النيص كي يخرجنه من جحره كي يتم الإجهاز عليه بالعصي بمساعدة كلب البوجي القوي البنية. ويصطاد محمد عز الدين حيوان الغريري بواسطة كلابه. ويربي الشخص المذكور الحمام أيضاً. ويعتبر السيد محمد عز الدين هو المختار حالياً للنور في بلدة قطنا.

كلب صيد من نوع /بوجي/ لصيد كل من حيوان النيص ـ الغريرة ليلاً، قطنا ١٩٨٧م

نور بلدة المعظمية وداريا

يعيش في أطراف بلدة المعضمية ما بين /٣٧ ـ ٤٠/ خيمة ينتمي أفرادها إلى عشائر مختلفة من النَّوَرْ عام ١٩٨٧م.

١ -بيت الحبش /الحباشنة/ يتراوح عدد خيامهم من /١٦ ـ ١٨/ خيمة. وتوجد خيام تلك العشيرة في المعضمية شرقاً باتجاه /درايا/. ووجيه بيت حبش في المعضمية السيد /أبو سعيد حبش/ واسمه: محمد حبش. وهناك بيت حبش في داريا ، ويتراوح عدد خيامهم من ٦ ـ ٨ خيام. ووجيهم السيد: أحمد حبش والمعروف بأبو فهمي. ويتكلم هؤلاء اللسان النوري الضوم مع الإتقان الجيد للغة العربية. وقد كان أفراد بيت حبش في الماضي يتحدثون إلى حد ما باللسان النوري أو لسان الضوم. مع الاتقان الجيد للغة العربية. إضافة إلى إتقان الحديث باللغة الكردية.

ويعتبر بيت حبش بصورة عامة من نور منطقة جنوب سوريا /دمشق وضواحيها ـ حوران ـ جبل العرب/ وهم جماعة صنايعية /غرابيل ـ كرابيل ـ مذراة ـ مقاطف قَمَّاحيَّة وشَعَّارية/. وأن بلدة داريا كانت دوماً هي المشتى لأفراد بيت حبش بعد تنقلهم طيلة الفصول الجافة في كل من الغوطة وحوران واللجاة والجولان وجبل العرب. وقد جاء الحباشنة في الماضي البعيد من منطقة فلسطين. ويشتهر الحباشنة بلعبة العصا: ففي مشاجرة واحدة استطاع السيد ـ حسن حبش ـ أن يقتل رجلاً وأن يجرح تسعة عشر رجلاً في مشاجرة واحدة بالعصا خلال شجار مع عشيرة السبع على إثر خطيفة امرأة من السبعلية*/. ولا زال يسكن حسن حبش في داريا بالخيمة وعنده خمس وعشرين ولداً ما بين ذكر وأنثى.

٢ -بيت عز الدين: يتكون من خيمة واحدة صاحبها /محمد عز الدين/ شقيق حسن عز الدين الذي يسكن بلدة صحنايا وأن السيد محمد عز الدين وأولاده، تركي

* كما روى لي ذلك بنفسه: مدى صحة قوله هذا ما لم أستطع أن أتوصل إليه بسبب كلام النّور الذي لا يخلو من الكذب في معظم الأحيان، وبخاصة عندما يتكلمون مع شخص غريب ليس بنَوري (المؤلف) ١٩٨٧م.

عز الدين ـ يوسف عز الدين ـ يوسف عز الدين ـ حسين عز الدين ـ صابر عز الدين ـ وحيد عز الدين كلهم من مواليد صحنايا لكن الأب محمد عز الدين الذي جاء إلى المعضمية منذ فترة تزيد عن الخمس سنوات منذ عام ١٩٨٠م. وتقع خيمته في الجزء الشرقي من المعضمية وإلى يمين الطريق الذاهب من المعضمية باتجاه داريا. وأن بيت عز الدين /حجّيات/ إلا أن أولاد السيد محمد عز الدين وأختهم وحيدة لا يمارسون مهنة الفن كما يقولون. ويتكلم بيت عز الدين باللغة التركية. ويعرفون اللسان النوري جيداً. ويتقنون اللغة العربية بشكل جيد وبطلاقة.

٣ - **النَّوَرْ الذين قدموا من القامشلي إلى المعضمية:** هناك بيت واحد /خيمة واحدة/ تعود إلى السيد خالد درويش وأخواته وإخوته وأمه. وتقع تلك الخيمة إلى جانب خيمة السيدة / الحجية خبصة البسوني/ المعروفة بأم تركي. وأن هناك بيتاً واحداً من بيت درويش يسكن في عين غزال إلى الشرق من بلدة السبينة التي تقع إلى الجنوب من مدينة دمشق، عند مفرق المداجن، ويدعي ذلك الشخص /خضر درويش وأولاده/. وهناك السيد جميل دوريش /أبو خالد/، فريد درويش /أبو عدنان/ يسكنان في مخيم فلسطين في بناء إسمنتي حديث شأنهما بذلك شأن السيد خضر دوريش /أبو علي في عين غزال/.

وقد جاء أفراد بيت درويش من القامشلي /من قرية زنُّود/ منذ عام ١٩٨٠م. ويقول السيد خالد درويش أن بيت دوريش قد ذهبوا من منطقة حماه إلى منطقة القامشلي بادئ الأمر وذلك قبل مجيئهم من منطقة القامشلي إلى منطقة غوطة دمشق.

وكان بيت درويش يمارسون مهنة صناعة الغرابيل والكرابيل في الماضي. وأن البعض منهم كان يمارس مهنة الطبل والزمر. أما في وقتنا الحالي فهم يعملون أعمالاً مختلفة فالسيد /خالد درويش/ يعمل عاملاً في بلدية جديدة عرطوز مقابل أجر شهري /١٣٠٠ ل.س/. وأن السيد خالد درويش قد زوّج اثنان من أخواته إلى أولاد السيد /حسن عز الدين/ الذي يقطن في بلدة صحنايا. وهم أقرب إلى النّور القرباط منه إلى النّور أصحاب الطبل والزمرة.

وأن أم خالد درويش تنتمي إلى بيت يدعى /البيلهوان/ وقد كانت تمارس الرقص والغناء في شبابها. كما لو أنها كانت ترتدي اللباس الشعبي المتعارف عليه عند المرأة

في منطقة الجزيرة شمال سوريا. ويتكلم بيت درويش فيما بينهم باللسان الكردي، ويعرفون العربية بطلاقة إلا أن أطفالهم لا تذهب إلى المدارس لكونهم لا زالوا مكتومين حتى الآن إلا أنهم يحملون بطاقات تعريف من قبل السلطة في المعضمية.

٤ ـ **النُّوَرْ /المطارية/ الذين جاءوا من منطقة اللاذقية:** يبلغ عدد خيام المطاربة الذين جاؤوا إلى بلدة المعضمية منذ فترة تزيد عن /٨/ سنوات سبقت منذ عام ١٩٧٨. بحدود /٢٢/ خيمة. قسم من هذه الخيام يقع شمال منطقة الجسر الواقع في الجانب الشرقي لبلدة المعضمية، ويصل عدد خيامه إلى أكثر من عشر خيام. وأن القسم الباقي يتواجدون في موقعين يقعان على يمين الطريق الذاهب من المعضمية باتجاه داريا. وأن جميع هؤلاء النُّوَرْ أصحاب طبل وزمر. حيث كانوا يحيون الحفلات عندما يدعون من قبل السكان في مناسبات الأفراح ويتكلم كافة النُّوَرْ المطاربة اللسان الكردي إلى جانب اللسان النوري /لسان الضوم/، مع الإتقان الكامل للغة العربية.

آ ـ **النُّوَرْ الذين قدموا من قرية /منجيلا/ وهم مسجلون في السجل المدني لبلدة المزيرعة.**

١ ـ علي النوني عبد الله.

٢ ـ ناجي النوني عبد الله.

٣ ـ ماجد ناجي النوني عبد الله.

٤ ـ بيت منذر المرعي /ويعرف ببيت أم بسام ويتكون من خمس شباب وخمس بنات وأمهم/.

٥ ـ فريد النوني عبد الله /أبو محمد أو أبو شريف/ يسكن في اللاذقية بالقرب من مديرية التجنيد، ويسكن في بناء ثابت وهو في السبعينات من العمر ويتنكر بشدة للنور لدرجة يقول /ما في شي اسمه نور/ وقد كان عبد الله بزيارة لأخيه السيد علي النوني، وذلك مساء يوم الأحد الواقع في ١٩٨٦/١/١٨. ويسكن السيد علي النوني في خيمة بين النور الذين قدموا من اللاذقية، والذين يضربون خرابيش على يمين الطريق الذاهب من المعضمية باتجاه داريا /مقابل الجامع/. وقد اجتمعت بذلك الشخص في خيمة السيد علي النوني عبد الله. وأن سبب تنكّر فريد النوني عبد الله للنور لكونه صار غنياً وقد فهمت فيما بعد أنه مكروه من قبل بيت عبد الله وحتى من قبل المطاربة في بلدة /منجيلا/.

وأن نور بلدة /منجيلا/ يعملون في الطبل والزمر ويعرفون بالمطاربة حيث يدعون من قبل أهالي منطقة منجيلا وما حولها لإحياء الأفراح في المناسبات. أما أفراد بيت عبد الله في المعضمية فهم يمارسون مهناً مختلفة: السيد علي النوني عبد الله يعمل بعمل سنكري متجول يقوم بإصلاح البابور واللُّكس. أما السيد ماجد ناجي العبد الله فإنه يعمل معاوناً لبلاّط مقابل أجر يومي في منطقة المعضمية. وأن السيد ماجد متزوج من السيدة /دلال بنت أبو ياسر دقّاق الزمر في بلدة منجيلا/.

إن كافة بيت عبد الله مسجلون في السجلات المدنية، والشباب يخدمون العلم. إلا أن نسبة التعليم فيما بينهم تكاد تكون معدومة. وهناك بعض الأطفال يذهبون إلى المدارس في بلدة المعضمية وبصورة خاصة الذكور. والكل في المرحلة الابتدائية. وهناك شاب اسمه - أيمن أمين عبد الله - يقرأ ويكتب ويهوى الشعر الغزلي. وأن الدافع لذلك هو حبه لفتاة من قرية الحفة واسمها أمينة، فقد كتب الشعر غير الموزون مع رسمة قلب من دم حصل عليه من جرح ذارعيه بالسكين.

ويتكلم هؤلاء المطاربة فيما بينهم باللسان الكردي مع معرفة اللسان النوري /لغة الضوم أو العصفورة/. ويتكلم أفراد بيت عبد الله اللغة العربية بطلاقة كاملة.

ب - **النَّوَرْ المطاربة الذين جاءوا من قرية /الهنادي/.**

إن معظم الذين جاءوا من قرية /الهنادي/ إلى المعظمية ينتمون إلى بيت كينجو ولكنهم مسجلون في السجلات المدنية تحت كنية /علي/ ومنهم العائلات التالية والتي يصل عدد أفرادها /٢٥ - ٣٠/.

١ - يسن علي.
٢ - غازي علي.
٣ - عزيز فهد علي.
٤ - جابر عزيز علي.
٥ - بهجب عزيز علي.
٦ - يوسف عزيز علي.

وإن بيت كينجو علي يعرفون باللاذقية بالمطاربة أو ريّاس: أصحاب طبل وزمر حيث كانوا هناك يحيون الحفلات. ويتكلم هؤلاء اللسان الكردي إلى جانب لسان الضوم

أو اللسان النوري. وأن كافة أفراد بيت كنجو علي مسجلون في السجلات المدنية العائدة إلى بلدة /الهنادي/ التابعة إلى مدينة اللاذقية.

ج ـ النَّوَرْ المطارية الذين جاءوا من قرية بستان الريحان.

- أسرة محمد سليمان ريحاني.
- أسرة أحمد الريحاني.
- أسرة فجر إبراهيم الريحاني /عنده خمسة أطفال ما عدا زوجته/ ويعمل في بلدية مخيم اليرموك /١٢٠٠ ل.س/. ١٩٨٦م
- أسرة صديق إبراهيم الريحاني.

وأن أولاد السيد إبراهيم الريحاني لا زالوا مكتومين غير مسجلين بالسجلات المدنية والسبب يعود إلى كون والدتهم امرأة عجوز لم يرضى السيد إبراهيم زوجها اصطحابها إلى السجل المدني من أجل تثبيت زواجه خجلاً من وضعها الصحي مما جعله يسجل نفسه بالسجلات المدنية العائدة إلى قرية /بستان الريحان/ أنه لا زال أعزباً. وأن أولاده لا زالوا يعانون من مشكلة عدم تسجيلهم في السجلات المدنية.

- بيت /تيفارو/: ويتكون بيت /تيفارو/ من السيد خليلي تيفارو وأولاده. ويسكن أفراد هذا البيت في قرية الذيابية التي تقع إلى الجنوب من بلدة الست زينب إلى الجنوب من مدينة دمشق. ويسكن أفراد بيت ـ يتفارو ـ في قرية الذيابة في بيوت ثابتة مبنية من الإسمنت المسلح وهن الأُسر التالية:

١ -أسرة السيد محمد خليل تيفارو.
٢ -أسرة السيد أحمد خليل تيفارو.
٣ -إسرة السيد جميل خليل تيفارو.
٤ -أسرة السيد سمير خليل تيفارو.
٥ -أسرة السيد محمد خليل تيفارو.

٣ ـ بيت حسنو /ويتراوح عددهم من ١٠ ـ ١٢/.

ويتكوّن من الأسر التالية:

١ -علي أحمد حسنو والمعروف بـ أبو وليد.
٢ -زهير علي أحمد حسنو، ويُعرف باسم سليم.

٣ -نبيل علي أحمد حسنو.

يسكن هؤلاء في الخيام في الجزء الجنوبي الشرقي من بلدة المعضمية. ويتكلمون اللسان الكردي إلى جانب لسان الضوم. وهم من نور مطاربة أصحاب طبل وزمر كانوا يحيون الحفلات في منطقة اللاذقية.

٤ ـ بيت السيد علي مريش وأولاده. حيث يسكن هؤلاء في بيوت إسمنتية ثابتة في بلدة /جديدة عرطوز/ حي النازحين الواقع إلى اليسار من الطريق الذاهب من الجديدة باتجاه بلدة عرطوز/ ويصل أفراد هذا البيت إلى /١٧ شخص/ وهم:

١ ـ أسرة أحمد علي امريش.

٢ ـ أسرة فريد علي امريش.

٣ ـ أسرة صبحي علي امريش.

٤ ـ السيد علي امريش، وزوجته وأطفاله الصغار غير المتزوجين.

وأن امريش أصحاب طبل وزمر كانوا يقومون بإحياء الحفلات. ويتكلم بيت امريش اللسان الكردي إلى جانب اللسان النوري /الضوم/ مع الإتقان وبطلاقة للغة العربية.

ويمكننا القول أن كافة الأسر التي جاءت من منطقة اللاذقية مسجل أفرادها في السجلات المدنية وأنهم جميعاً كانوا يمارسون الطبل والزمر ويُقال لهم المطاربة أو الريّاس في منطقة الساحل. ويتكلم هؤلاء جميعاً فيها بينهم باللسان الكردي مع معرفة بلسان الضوم /اللسان النوري/. وقد قدموا إلى المعضمية منذ عام ١٩٨٠م.

ـ المسكن:

ويسكن النّورْ المطاربة الذين جاؤوا من منطقة اللاذقية منذ نهاية السبعينات تقريباً في خيام كبيرة محكمة التسكير بشكل جيد لدرجة لا ينفذ إليها الماء عندما يسقط المطر. وغالباً ما تكون الخيمة الواحدة على شكل غرفة واسعة وملحق بها خيمة ملصوقة بها تكون بمثابة معبر لوضع الأحذية وبقية الأدوات اللازمة من أجل الحياة اليومية مثل الأواني وبراميل المازوت والكاز، وإلى جزء آخر يكون بمثابة مطبخ وحمام في آن واحد. وأن هذا التكوين للخيمة المكوّن من ثلاث أجزاء يجعل من الجزء الأكبر من الخيمة والواقع في الداخل والمستعمل من أجل الجلوس والنوم إلى جانب الأثاث

المنزلي دافئة بشكل لم أكن أتصوره من قبل لدرجة بدون أن يتم إشعال المدافئ تكون درجة الحرارة فيها أعلى بأكثر من /٤/ درجة حرورية عن حرارة البيت المبني من الإسمنت المسلح الذي يكون بجانبها.

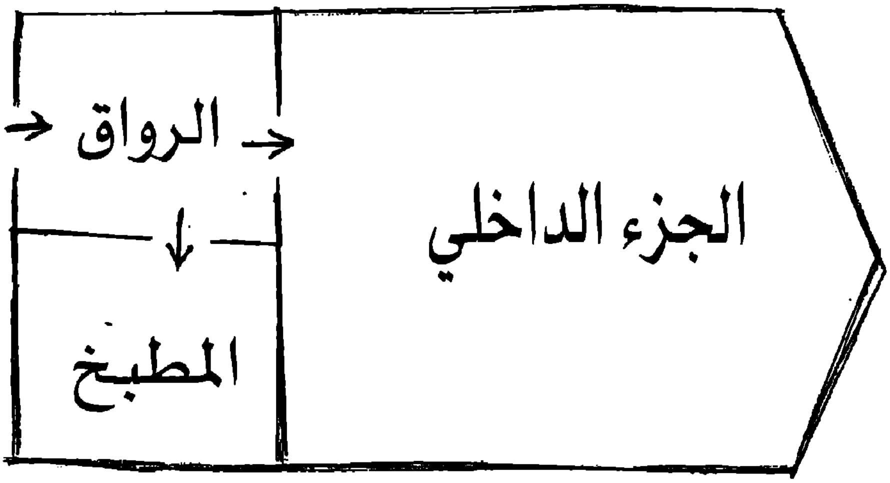

تصميم الخيمة عند النَّوَرْ المطاربة لمنطقة اللاذقية

كما أن كافة أرضية الخيمة مفروشة بالإسمنت والرمل بشكل جيد. وعلى الأغلب ما يكون محيط الخيمة عند أرضيتها مصفوف بالحجارة الإسمنتية كي يمنع دخول الحشرات والزواحف والقوارض إليها باستثناء المدخل الأساسي الذي يكون أحياناً معمولاً من القضبان الخشبية وألواح القصدير. وتقوم الخيمة على هيكل من الأعمدة الخشبية المثبتة مع بعضها البعض بشكل محكم. وفوق الهيكل الخشبي يبسط الشادر الكبير المكوَّن على الأغلب من قماش الكتان ومن ثم تثبيت الخيمة بواسطة حبال جانبية بواسطة أوتاد من الخشب أو من المعدن كي تقاوم الخيمة بشكل متكامل الريح الذي يمكن أن تتعرض له.

وأن كافة أرض الخيمة تفرش بالحصر البلاستيكية وفوق تلك الحصر تفرش الفرشات الإسفنجية على أطراف الخيمة من الداخل من أجل الجلوس وخاصةً عندما يأتي الضيوف. وأن الفراش غالباً ما يكون مرتباً في الجزء الصدراني من الخيمة. وأن كافة الخيام ممدد إليها الكهرباء بشلك غير نظامي. وهذا ما يجعل الأدوات الكهربائية موجودة في كل خيمة وخاصةً جهاز التلفاز الأبيض والأسود من قياس /١٢ ـ ١٤/ بوصة.

كما يوجد في معظم الخيام المسجلات التي تعمل على الكهرباء. ويوجد في كل خيمة ضوء يعمل على الكاز في حالة انقطاع التيار الكهربائي ويُدعى /اللكس/. وإن الطبخ كما لاحظت يتم على الغاز وأحياناً على بابور الكاز /طباخ الكاز/. كما أنني شاهدت عند البعض الغسالات الكهربائية تستخدمها النساء في غسل ملابس أفراد أسرتها.

ويوجد حول الخيمة من الخارج ساقية صغيرة ذات مصارف نحو الاتجاهات الأربع من أجل تصريف المياه الساقطة على سطح الخيمة كي لا ينفذ الماء إلى داخل الخيمة عند أطرافها السفلية الملامسة لسطح التربة. وفي كل خيمة توجد مدفأة تعمل على المازوت وقد شاهدت ذلك كما هو الحال عند مخيم النَّوَرْ التركمان النازلين إلى الشرق من مطحنة السبينة وإلى الشرقي من سكة القطار الذاهب إلى درعا.

ويرتدي الرجل من جماعات النّور القادمين من منطقة اللاذقية اللباس العصري المكوّن من: البنطال والقميص والجاكيت. وأما الرأس غالباً ما يكون حاسراً. أما في أيام الراحة فأحياناً يرتدون القلابية والقضاضة والعقال الغليظ الذي يسود عند منطقة حمص والساحل.

وترتدي المرأة اللباس الطويل المحتشم الذي يخب على الأرض والواسع الفضفاض من الأسفل والمخصّر عند الخصر ومن فوق ذلك الثوب ترتدي المرأة الكنزة المفتوحة من الأمام على شكل جاكيت. وترتدي على الرأس إشاراً تستر المرأة فيه شعرها.

وتلبس المرأة أحياناً الخراطة الواسعة من القماش الأسود والمزمومة على الجذع في منطقة الخصر. وفوق الخراطة قميص أو كنزة بدون قبة /ذات فتحة دائرية الشكل تحيط بالعنق بشكل جيد وغالباً ما تكون من نفس اللون/.

- الأعمال التي يزاولها النَّوَرْ المطاربة القادمون من اللاذقية:

إن النّورْ في منطقة اللاذقية والذين كانوا قد قدموا إلى منطقة المعظمية يعرفون تحت تسمية المطاربة أو الريّاس، وهم أصحاب طبل وزمر ويُدعى هؤلاء المطاربة إلى إحياء الحفلات في المناسبات من قبل سكان المنطقة لإضفاء جو من المرح والسرور والسعادة على الحاضرين في الحفل وخاصةً في مناسبات الأعراس.

أما الرجال المطارية حالياً في منطقة المعضمية غالباً ما يعملون عمالاً في البلديات من أجل تنظيف الشوارع مثال السيد فجر إبراهيم الريحاني الذي يعمل في بلدية مخيم اليرموك. ومعظم البلديات التي يعملون بها بلديات تقع في محافظة ريف دمشق مثل /بلدية المعضمية - جديدة عرطوز - جديدة - عرطوز - داريا - صحنايا - مخيم اليرموك - مخيم فلسطين - بلدية قطنا.... إلخ.

وهناك البعض من الشباب يعملون أعمالاً يدوية في الحفريات أو في أعمال البناء كالسيد ماجد ناجي عبد الله الذي يعمل مع بلّاط من أجل أن يكتسب الخبرة كما قال لي وهو شاب يقرأ ويكتب بشكل جيد وواع ومضياف وقد أدى خدمة العلم. وهناك البعض من الرجال يقومون بممارسة مهن يدوية مثل / السنكري/ يقومون بتصليح طباخ الكاز - طباخ الغاز - ضو الكاز /اللكس/. إلى جانب تنظيف المدافئ. ومما لمسته أن الرجل هو المسؤول عن تأمين المواد الغذائية لأفراد أسرته بسبب عدم خروج المرأة إلى خارج المخيم المتواجدين فيه من أجل الاستعطاء والشحادة. ومن خلال ترددي عليهم لأكثر من عشرة أيام وبشكل يومي لم ألمس أن المرأة تخرج كي تشحد. كما أن النُّوَرْ المطارية لا يسافرون إلى خارج القطر من أجل تعاطي الأسباب وهذا ما يجعل المستوى المادي عندهم ليس جيداً.

- المستوى التعليمي:

تنتشر الأمية بين النُّوَرْ المطارية المقيمين في أطراف بلدة المعضمية بالرغم من تسجيلهم في السجلات المدنية التابعة لمحافظة اللاذقية. لكنني لمست أن هناك البعض من الأطفال يذهبون إلى المدارس الابتدائية لدرجة يكون الطفل عمره الحقيقي بحدود /١٢ عاماً/ لكنه يدرس في الصف الثالث. ولم أشاهد طفلاً يدرس في المرحلة الإعدادية، في حين البنات الصغار نادراً ما يَتَرَدَّدْنَ إلى المدرسة.

وتجدر الإشارة أن السيد /ماجد ناجي العبد الله/ قد بعث زوجته الشابة /دلال/ إلىٰ دورة محو الأمية، وهي حالياً تقرأ وتكتب.

وأن مستوى الوعي الاجتماعي عند النُّوَرْ المطارية في المعضمية جيداً وخاصةً عند الرجال حيث هو أفضل بكثير من النُّوَرْ التركمان المتواجدين في منطقة مطحنة السبينة

على شكل مخيم كبير يزيد عن المئة خيمة. ويمكنني القول أن المستوى الوعي الاجتماعي عند النَّوَرْ المطاربة أفضل بكثير من النَّوَرْ الدائمين في منطقة المعضمية ولربما يعود السبب إلى البيئة الاجتماعية التي عاشوا فيها /منطقة الساحل/ من جهة وإلى المهنة التي كانوا يمارسونها كرياس من أجل الطبل والزمر في إحياء الحفلات مما يجعلهم على احتكاك دائم مع الأناس المحيطين بهم. وبرأينا أن هناك سبب آخر يكمن في تسجيلهم في السجلات المدنية بشكل مبكر. وذلك قياساً مع بقية فئات النَّوَرْ في القطر العربي السوري والتي لا يزال البعض منها غير مسجلين في السجلات المدنية بالرغم من تواجدهم الطويل والدائم في هذه المنطقة أو تلك. ولهذا السبب نجد أن كافة المشاكل الاجتماعية عند النَّوَرْ المطاربة في منطقة الساحل تحل عن طريق التفاوض سلمياً وبعيداً عن الحلول التي تتخذ العنف وسيلة لذلك كما هو الحال عند النَّوَرْ في منطقة حلب ومنطقة حمص وبشكل خاص ما يتعلق بوضع المرأة وزواجها ممن ترغب /الخطيفة/. كما أن عادة الثار عند النَّوَرْ المطاربة أقل تأصلاً في نفوسهم عَمَّا هي عليه.عند نَوَر حلب ونَوَر حمص. ويمتاز المطاربة بصفة جيدة ألا وهي حماية الدخيل بهم. شأنهم بذلك شأن كافة جماعات النَّور بغض النظر عن مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِم.

أن النَّوَرْ عامة وبدون استثناء يبذلون كل ما في وسعهم بما فيه تقديم دمائهم من أجل حماية الشخص الذي استجار بهم. فقد قال لي السيد على النوني عبد الله:

إذا دخل شخص ما إلى بيتي فأنا مطالب بتوفير الحماية له، وإن كان قد قتل واحد من أولادي سواء كان ذلك عن قصد أم عن غير قصد.

كما أنني لمست بين صفوف النَّوَرْ المطاربة في المعضمية عدم انتشار ظاهرة الزواج التعددي من قبل الرجل. وأن السبب يعود بنظري إلى تأثر هذه الفئة من النَّوَرْ بالبيئة الاجتماعية في الساحل حيث ظاهرة زواج الرجل من أكثر من امرأة، تكاد تكون معدومة. وتدل هذه الظاهرة بنظرنا إلى وجود حرية تتمتع بها الفتاة في منطقة الساحل والتي تترجم إلى الواقع عندما تساهم تلك الفتاة باختيار شريك حياتها بمعزل عن ضغوط الأهل ورغباتهم كما يحدث ذلك في مناطق أخرى من القطر العربي السوري، حيث تسود العصبية القبلية كما هو الحال في منطقة حوران والجزيرة والبادية ومنطقة دير الزور.

ويتمتع أفراد النَّوَرْ المطارية بمنطقة المعظمية بمستوى صحي جيد بالرغم من أن الأطفال يمشون حفاة حول الخيام. وأن الطفل أو المرأة مجرد أن يشعر أحدهما بالوجع يذهب الأهل به إلى عيادة الطبيب. وقد لمست أن المرأة الحامل تعرف أنها إذا ما تناولت دواء من أجل العلاج لمرض تعاني منه فإن ذلك يضر بالجنين التي تحمله في رحمها. ومن العوامل التي تجعل الصحة جيدة عندهم أن هؤلاء النَّوَرْ المطارية يتغذون بشكل جيد من لحوم وفواكه وخضار وخاصةً بالنسبة للأطفال الصغار كما قال لي السيد /فجر إبراهيم الريحاني/: إننا نحب الأطفال كثيراً لذا فإن البزرة عندنا كثيرة، يقصد هنا: أنهم كثيروا الإنجاب لكونهم يحبون الأطفال.

وأحياناً يوجد بين الرجال من يتعاطى المشروب مثل السيد ناجي الريحاني - بالرغم من أن أولاده جميعاً لا يشربون، لا بل لمست أن الجميع يؤدون الصلاة في أوقاتها وأنهم يصومون رمضان كما قال السيد ماجد النوني عبد الله.

- طقوس دفن الموتى:

يقابل المطارية حادث الوفاة بشكل عادي دون أن يكون لذلك أثر كبير على أفراد المخيم، إلا أن أهل المتوفى يحزنون عليه وذلك عن طريق ارتداء اللباس الأسود أو الغامق من قبل المرأة. وتطول فترة الحزن على الميت وفقاً لعمره أو لمكانته الاجتماعية.

ويتم دفن الميت وفقاً لطقوس الدين الإسلامي: حيث يُغسل الميت ومن ثم يلبس لباساً جديداً فضفاضاً، وفوق اللباس الداخلي يلف الميت بالقماش الأبيض الذي يقال له الكفن.

إلا أن المطارية في الساحل يلفون الميت بعدد من الأكفان تساوي عدد الزيجات التي تزوجها الميت في حياته. فإذا كانت المرأة المتوفية متزوجة من ثلاثة رجال، يتوجب على ولي أمرها /زوجها - أخوها أو أبيها/ وذلك حسب وضعها العائلي، أن تلف بثلاثة أكفان بحيث يكون كفن واحد عن كل زيجة كانت قد تزوجتها. وما ينطبق على المرأة ينطبق على الرجل في عدد الأكفان.

ويدفن الميت في قبر حفر على شكل مستطيل عرضه لا يزيد عن السبعين وبطول يصل إلى المترين، وبعمق يصل إلى المتر تقريباً، وتكون وجهة القبر غرب شرق، ويوضع الميت في القبر بحيث يكون على جنبه الأيمن ووجهه نحو القبلة. وأن الرجلين في الجانب

الشرقي من القبر والرأس نحو الغرب. وبعد ذلك يغطى القبر بحجارة مستطيلة تصف فوق الجدار الداخلي الذي تم بناءه في القبر. وبعد أن تصف القطع الحجرية كسقف للقبر يوضع التراب فوق القبر. وبعد ذلك توضع حجارة على أطراف القبر من الأعلى كدلالة على وجود قبر في ذلك المكان. ولا يضع النَّوَرْ موتاهم في القبر في صناديق خشبية /التابوت/، وإنما يوضع الميت مباشرةً على تراب أرضية حفرة القبر. حتى في المناطق التي يعيش فيها أتباع الديانة المسيحية كما هو الحال في منطقة الحواش..؟

- الصفات السلالية:

يتصف النَّوَرْ المطاربة في المعضمية بالبشرة السمراء التي تميل إلى البياض قليلاً، ويتصفون جميعاً بالرؤوس الأقرب منها إلى الشكل المتطاول منه إلى الشكل المدوّر. كما أن الوجوه ذات شكل أقرب إلى الاستطالة منه إلى الاستدارة. وأن الأنف إلى حد ما أقنى. والشفاه متوسطة في غلاظتها. وأن الشَّعْرَ أسود مستقيم وناعم قليل التموج وكثيف على الوجه بالنسبة للرجل. ويتصف الرجل النوري بإطلاق شاربيه.

وتميل أجسامهم نساءً كانوا أم رجالاً إلى النحافة منه إلى السمنة، وأن كافة أفراد جماعات النَّور تكون أجسامهم متناسقة لدرجة لم أشاهد فيما بينهم الأجسام المكتنزة الشحم حتى بين صفوف النساء لم أشاهد السمنة وإنما على العكس حيث القامة الأقرب إلى الطول والنحيفة. وربما يعود السبب إلى الحركة المستمرة للمرأة النورية على عكس من المرأة في المدينة أو في الريف حيث قلة الحركة والتخمة بسبب تناول الطعام الذي يغلب عليه النشويات مما يجعل جسم المرأة أقرب إلى الاستدارة منها إلى الاستطالة بسبب اكتناز الدهن في الجسم بشكل بشع.

بيت حبش /الحباشنة قرباط/: يوجد في بلدة المعضمية مجموعة من النَّوَرْ يعرفون في بيت /حبش/. ويزيد عدد الحباشنة عن /١٨/ أسرة/ حيث يتراوح عددهم ما بين /١٥٠ ـ ١٧٠/ شخص. وأن كافة أفراد بيت حبش مسجلون بالسجلات المدنية لبلدة داريا وأن كبير بيت حبش هو السيد أحمد حبش /أبو فهمي/.

ويقول الحباشنة عن أنفسهم أنهم من عشائر الضوم /النَّوَرْ/ ويعتزون بذلك كما أن أفراد عشيرة الحباشنة يتكلمون فيما بينهم باللغة النورية والتي تُعرف ـ بلغة الضوم ـ ويجيد الحباشنة للغة العربية في حياتهم اليومية.

شباب من عشيرة ـ الحبش ـ في بلدة المعضمية، ١٩٨٧ كانون الثاني.

وتتوزع أسر بيت حبش في كل بلدتي المعضمية وداريا في القسم الغربي من غوطة دمشق. وقد كان الحباشنة يتنقلون طيلة أيام السنة في منطقة حوران والجولان وغوطة دمشق، إلا أن المشتى الدائم لهذه العشيرة من الضوم كان دوماً في بلدة داريا.

وقد كان الحباشنة في الماضي يزاولون مهنة أو كار صناعة الغرابيل والكرابيل من جلود الحيوانات الميتة. فقد كان الرجل يقوم بتسليخ الجثث الحيوانية الميتة ليستفيد من جلودها في صناعة ـ السّريد ـ المُستخدم في صناعة الغرابيل. ويقول السيد جمال أحمد حبش أن هذه المهنة لا زالت تزاول من قبل البعض من عشيرة حبش لدرجة أنه إلى الآن عندما يتشاجر شخصان منهم يشتمان بعضهما بعبارة /يا بن سلاخ الحمير/. وقد كانت تباع تلك الأدوات الزراعية إلى الفلاحين في كل من حوران والغوطة مقابل خمس ليرات سورية، في حين يصل ثمن الغربال حالياً إلى مبلغ /١٠٠ ل.س/ عام ١٩٨٦م.

وكان البعض من أفراد بيت حبش يمارسون صناعة /أجران القهوة المرة/ من خشب البطم أو من خشب شجر التوت. ويعتبر السيد أحمد حبش /أبو فهمي/ من الأشخاص الذين يتقنون عمل أجران القهوة بشكل جيد. ويباع جرن القهوة المعمول من خشب البطم مبلغ يتراوح ما بين /٢٥٠٠ ـ ٢٥٠٠ ل.س/ في حين يباع جرن القهوة المرة المعمول من خشب التوت مقابل ٨٠٠ ـ ١٠٠٠ ل.س لأن خشب التوت أقل جودة من خشب البطم. وكما قال السيد /أحمد حبش/ أن جرن القهوة من خشب البطم يخدم لفترة زمنية طويلة دون أن يتشقق، وأنه يحتاج لصنع جرن واحد مع يده لمدة شهر من الزمن عام ١٩٨٧م.

وأما المرأة عند الحباشنة فقد كانت تمارس مهنة الشحادة على باب الله الكريم دون أن تأخذ معها شيئاً لبيعه للنساء وهي تتجول بين أحياء القرى من أجل الاستعطاء. فعلى سبيل المثال العجوز ـ أم محمد حبش ـ تأخذ ما يُعطى لها وبشكل خاص الدخان لكونها تدخن التبغ شأنها بذلك شأن معظم النساء عند النَّوَرْ بمختلف فئاتهم المهنية واللغوية المكتسبة من بيئاتهم الاجتماعية المتعددة والمتباينة في الماضي.

ـ الزواج:

يتصف الحباشنة بتعدد الزوجات من قبل الرجال. فقد لمست أن معظم الرجال الذين هم فوق سن الأربعين متزوجون بأكثر من زوجة، فعلى سبيل المثال /السيد جميل حبش/ قد تزوج من سبع نساء ولا يزال ثلاث منهن على عصمته وللشخص المذكور /٢٥/ ولداً ما بين ذكر وأنثى. ويتصف الحباشنة عن غيرهم من النَّوَرْ في غوطة دمشق بالزواج الخارجي /Exogamous/ من خارج عشيرة الحباشنة عن طريق الخطيفة. وغالباً ما يشكل هذا الزواج خلافات دموية بين الحباشنة والعشائر النورية الأخرى، فعلى سبيل المثال إلى الآن ومنذ مدة طويلة يوجد خلاف دموي قديم ما بين الحباشنة وبين عشيرة السبع من النَّوَرْ التي يسكن أفرادها في السيدة زينب في حي الشهيد علي الوحش، بسبب خطف رجل من الحباشنة لأمرأة من عشيرة السبع.

وعلى حد قول السيد جمال حبش لا توجد عشيرة من نور المنطقة /المنطقة الجنوبية من سوريا بما فيها دمشق وغوطتها/ إلا وقد تم خطف امرأة منها من قبل رجال عشيرة

حبش، وتعتبر عشيرة البيلهوان أو عشيرة المصري التي يسكن أفرادها في مخيم فلسطين من العشائر النورية التي لا يتزواج معها أفراد عشيرة حبش.

وكان المهر في الماضي لا يتجاوز مبلغ المئة ليرة سورية إذا كان العريس والعروس من عشيرة الحبش لا بل كان المهر حماراً وبعض الجلود من أجل عمل الغرابيل. ومنذ فترة تزيد عن /١٠/ سنوات كان المهر لا يزيد عن الخمس آلاف ليرة سورية. أما الآن فإن المهر بين أفراد عشيرة الحباشنة يصل إلى مبلغ يتراوح ما بين ١٥٠٠٠ ـ ٢٠٠٠٠ ل.س. ويصل المهر إلى خمس وعشرين ألفاً إذا كان العريس من خارج عشيرة حبش. ويذهب المهر بكامله إلى والد العروس أو إلى ولي أمرها. وقد كان في الماضي عند الحباشنة يتم زواج الشاب من نفس الفتيات لعشيرة الحباشنة، ويُقال لهذا الزواج داخلياً /Endogamous/. ويسود عند الحباشنة زواج البدل: أن يتزوج شابان عن طريق تقديم أخته للشاب الآخر، ويُقال لهذا الزواج، زواج الداقيش/.

ولا يزوج الحباشنة بناتهم إلى عشيرة السناكرة. ولا يتزوج الشباب من الحباشنة من فتيات عشيرة السناكرة، وذلك لأسباب اجتماعية غير مستحبة تمارسها المرأة من عشيرة السناكرة كالشحادة المصحوبة بعدم المحافظة على الناموس /فالنساء اللواتي يقمن بالتبصير وما يتبع ذلك من أمور اجتماعية في منطقة الفنادق القديمة في ساحة المرجة هن من نساء عشيرة السناكرة/. ومما لمسته أن كافة النَّوَرْ لا يزوجون ولا يتزوجون من السناكرة لنفس الأسباب[1].

ويتم دفن الموتى وفق الشريعة الإسلامية إلا أن المتوفى امرأة كان أم رجلاً يكفن بأكفان تساوي بعددها عدد الزيجات التي كان الشخص قد تزوجها في حياته. ويتم دفن الموتى في المقبرة التابعة لبلدة المعضمية أو في المقبرة التابعة إلى بلدة داريا.

---

١ - إن النساء النوريّات اللاتي يظهرن في منطقة المرجة وتقاطع شوارعها للتبصير بالكف، هن من عشيرة السناكرة حصراً، المكروهة من قبل بقية العشائر الأخرى للنور.

ـ السكن:

لا زال القسم الأعظم من نور عشيرة ـ الحبش ـ في كل من بلدتي المعضمية وداريا يعيشون في الخيام التي تشبه الأكواخ المعمولة من الصفائح المعدنية، في حين يعيش أفراد القسم الآخر في بيوت إسمنية ثابتة في كل من داريا والمعضمية:

١ -السيد فايز حبش /أبو ياسر/ يسكن في بيت ثابت من الإسمنت المسلح، في بلدة المعضمية.

٢ -فوزي حبش /أبو تامر/ يسكن في بلدة المعضمية في بناء ثابت.

٣ -طلال حبش /أبو نذير/ يسكن في بلدة المعضمية في بناء ثابت.

٤ - جمال حبش /أبو أحمد/ يسكن في بلدة المعضمية في بناء ثابت. ويعزف على العود ويغني في نفس الوقت، ويشترك السيد جمال حبش في فرقة موسيقية تعمل في مخيم فلسطين، وتسمى هذه الفرقة /فرقة أضواء المدينة الموسيقية/. أما السيد فهمي حبش شقيق السيد جمال حبش، فإنه يعمل في فرقة موسيقية تدعى فرقة ـ أمين الخياط ـ والتي تعمل مع المغنية ـ ميادة الحناوي ـ ويعزف السيد فهمي على آلة الكمان.

٥ - محمد حبش /أبو سعيد/ يسكن في بناء ثابت يعود إلى زوجته المعضمانية المولد والأصل. أما زوجته الثانية فإنها تعيش في خيمة منصوبة مع النزل الذي يعود إلى عشيرة ـ حبش ـ بين شجر الزيتون في الجانب الشرقي الجنوبي لبلدة المعضمية على يمين الطريق الذاهب من المعضمية إلى بلدة داريا.

٦ -أحمد حبش /أبو فهمي/ يسكن في داريا في بناء ثابت.

٧ -خضر حبش /أبو وحيد/ يسكن في داريا في بناء ثابت.

وهناك السيد فريد حبش /أبو منير/ يسكن في بناء ثابت في المعضمية. ومن الأسر التي لا زالت تعيش في الخيام: أسرة خالد حبش ـ أسرة حسن حبش ـ أسرة جمعة حبش ـ أسرة محمد حبش... إلخ.

وتتكون الخيمة من ثلاث أجزاء /مدخل وإلى يمينه جزءاً على شكل مكان للطبخ، وإلى الداخل الجزء الثالث الذي يكون للجلوس وللنوم/. وأن كافة أرض

الخيمة مفروشة بالرمل والإسمنت. وكافة الخيام منورة بالكهرباء بشكل غير رسمي /سرقة/. ويوجد في كل خيمة مدفأة مازوت إلى جانب أدوات كهربائية مثل المذياع والمسجلة والتلفاز. وحول كل خيمة ساقية غير عميقة من أجل تصريف الماء عند سقوط المطر. ويتكون هيكل الخيمة من الأعمدة الخشبية المثبتة مع بعضها بشكل جيد. ومن القماش الذي يتكون من أكياس الخيش المخاطة إلى بعضها البعض. وأن كافة الخيام مبطنة من الداخل بأكياس من البلاستيك المتين الذي لا يسمح للماء بالتسرب إلى داخل الخيمة عندما تسقط الأمطار.

ويمكننا القول أن كافة النُّوَرْ الساكنين في الخيام في بلدة المعضمية هم فقراء لا زالوا إلى الآن غير قادرين على شراء الأرض من أجل البناء عليها بالرغم من أن بناء منزل ثابت أصبحت تشكل لهم مشكلة أساسية عام ١٩٨٦م.

ويرتدي الرجل البنطال والقميص. وفي حالة الراحة يلبس القلابية والقضاضة والعقال. وترتدي المرأة الكبير في العمر: الثوب الخارجي الطويل المشغول من القماش الذي يغلب على ألوانه اللون الأزرق المنقط بالأسود. وترتدي المرأة الكنزة المفتوحة فوق الثوب الطويل. وغالباً ما تَتَزَنَّرْ المرأة بزِنَّارٍ في وسطها فوق الثوب الطويل الذي له فتحة عند العنق على شكل حرف ـ ٧ ـ . أما غطاء الرأس غالباً ما يتكون من ملفع أسود تحزمه على رأسها بواسطة محرمة بعد أن تطويها عدة طيات ويتم ربط طرفي المحرمة في مؤخرة الرأس. كما أنها ترتدي المرأة السروال الطويل.

وهناك بضعة من الخيام في داريا تعود إلى عائلة الحبش المشهورين بفن استخدام العصا أثناء الشجار. كما يزعمون لأنفسهم ذلك، علماً أن أفراد عشيرة الهرامشة الكثيرة العدد في بلاد الشام، هم الذين يتفاخرون بفن اللعب بالعصى، مع العلم أنهم من النُّور الحجيات حيث النساء ترقص وتغني حالياً في الملاهي وفي البيوت في مساكن برزة، وفي الكسوة، وحي تشرين وفي منطقة حي التجارة في دمشق.

الفصل التاسع

النَّوَرْ في منطقة حوران والأردن

١ ـ منطقة حوران

- نور بلدة المزيريب.
- نور بلدة جلين.
- نور بلدة الشيخ مسكين وداعل.

٢ ـ منطقة الأردن.

النور في منطقة حوران

كانت جماعات النور في الماضي حتى السبعينات من القرن العشرين، تجوب منطقة حوران مرتحلين من قرية إلى أخرى، على ظهور حميرهم، وذلك في أيام الربيع والصيف والخريف، وفي فصل الشتاء، يعودون إلى مشتاهم في غوطة دمشق، وفي منطقة بحيرة المزيريب وما حولها مثل: المزيريب، جلين، الشيخ سعد: فهناك حتى الآن مجموعة من النور تنصب خرابيشها قرب خزان الماء، على يمين الطريق الذاهب من نوى، الشيخ سعد . درعا . وذلك طيلة العام، ولا يرحلون.

وكان هؤلاء النّور، الأحرار من السجن داخل أربعة جدران، ينصبون خرابيشهم حول أطراف القرى، لبيع منتجاتهم الصناعية، من أدوات زراعية مثل: المقاطف، الكرابيل، الغاربيل بأنواعها الكبيرة والصغيرة، والمشغولة من جلود الحمير والخيول النافقة، أو الهزيلة التي كانوا يشترونها من الفلاحين في نهاية المواسم الزراعية، بأسعار بخسة، فيذبحونها، ويأخذون جلودها بعد سلخها، وتعرف هذه الفئة من النّور ـ بالقرباط ـ وهم من أكثر جماعة النّور تعصباً وحفاظاً على العرض، في حين يجاورهم في النّزل ـ نور من جماعات أخرى يعرفوا حسب مهنتهم ـ بالمبيضين ـ حيث كانوا يقومون بطلي الأدوات المنزلية النحاسية لأهالي القرى، بمادة القصدير الأبيض، بأجور زهيدة، شريطة أن يأتي الفلاح بالوقود المشغول من زبل الحيوانات (الجلّة).

وكانت هناك جماعة من النّور تجوب أزقة القرى على ظهور حميرهم السود الكبيرة الحجم والمزينة بالقلائد من الخرز الأزرق، لتلقيح الخيول للفلاحين، /التشباية/. ويعرف هؤلاء النور ـ بالجعافرة أو البرامكة. وهناك فئة من النور ـ كانت تقوم بصنع الأدوات الزراعية من الحديد، مثل: الخوص ـ السكاكين ـ المنجل ـ السحيلية ـ الحاشوشة ـ سكة المحرث القديم، الذي تجره الحيوانات من أبقار، وخيول، وحمير ـ وتعرف بمسمى (الفَرْدَة). وتعرف هذه الفئة من النور بالحدادين. وهناك فئة كانت تقوم بصنع الحلي للنساء: من الفضة ـ والنحاس الأصفر، والذي كان يطلق

عليه أهل المنطقى تسمية: (الصُفْرة). ويعرف هؤلاء النور بتسمية ـ الصياغ. ومن النور من كان يقفوم بصناعة الأدوات الحادة مثل: الخناجر ـ الشباري ـ ويعرف هؤلاء بتسمية الصناع. ومنهم من كان يدور هو وزوجته أو ابنته، وبيده الربابة، حيث يقوم بالعزف على الربابة مع قصيد لصاحب البيدر، لينال عطاءاً من القمح، في حين أن المرأة تأخذ بكيل المديح مديحاً وغناءاً وشوباشاً للشخص المذكور ـ ويعرف هؤلاء بفئة ـ الحجيات، حيث يقمن في أيامنا هذه في إحياء الحفلات الغنائية الراقصة في دور الملاهي، وفي البيوت التي يسكنون فيها مثل: التجارة مساكن برزة ـ حي تشرين في أطراف مدينة دمشق، وفي بلدة الكسوة وصحنايا، وذلك مقابل دراهم، مع تناول المشروبات الروحية، ولفائف التبغ الفاخرة.

وتعتبر الفئة التي تلعب على الحبل، إضافة إلى الفئة التي تقوم على تربية القرود: (السعادين)، من أمتع فئات النور جميعاً عندما يأتون إلى القرى، حيث ينصبون حبال سِرْكِهُم المتنقل في أحد ساحات القرية، وغالباً ما كانت تقام مثل هذه الحفلات في البيادر ـ فتقوم المرأة النَّورية البهلوانية بالمشي على الحبل الذي ثبت من طرفيه، وعلى ارتفاع يزيد عن ثلاثة أمتار، منتعلة بقدميها لوحان من الصابون، في حين يقوم الرجل البهلواني في الجلوس في ـ لقن ـ وسط الحبل المشدود ـ ومن ثم يقوم بحركاته البهلوانية مع اللقن فوق الحبل، حيث كانوا قد دربوا قرودهم على حركات معينة تنتزع الضحكة من شفاه الفلاحين البائسين الفقراء. وأنا من الأطفال، الذي كنت في صغري أفرح بقدوم هؤلاء النَّور: (السعادين) والجري وراءهم في أزقة قريتي ـ نوى ـ في الخمسينات من القرن العشرين.

وأن هؤلاء النور: البهلوانية ـ السعادين. هم ليسوا من النور الذين كانوا يجوبون منطقة حوران، وإنما كانوا يأون من منطقة حمص.

أما النساء النوريات لفئات النور التي ذكرناها، فكن يتجولن في أحياء القرى طيلة النهار دون كلل أو ملل. من أجل الشحادة والمرأة النورية لحوحة في طلبها، لكنها لبقة في الوقت نفسه، حيث الكلام الحلو الجميل الذي يستدر العطف، وتسترق له قلب النسوة كقولهن:

الله يخليلك صاحب بيتك، الله يخليلك ابنك اللي بحضنك وتشوفيه عريس ـ الله يجيب لك الغايبين بالسلامة ـ الله يشافي مرضاكم ـ الله يبعث العريس ابن الحلال إذا كانت بنتاً ـ أو الله يطعمك الولد.

ومن النساء النوريات ما كنّ يحملن بأكياس تعلق بأكتافهن أشياء يبعنها للنسوة مثل: الأبر ـ المسال ـ الكشاتبين ـ العلكة العربية (الكندر) ـ العنزروت ـ المروحة ـ المرمكة.. إلخ.

ومنهن من تقوم بقراءة الفال باستخدام ـ الودع* ـ للنساء الشابات منهن والمتزوجات بصورة خاصة.

وأن كافة النّور على اختلاف مِللهم ونحلهم، لا يسألون الزوجة أين كنت، وإنما كم جبت. ومن المؤكد أن المرأة النورية كانت تتعرض أحياناً اثناء تجوالها إلى حالات غير أخلاقية من قبل الأشخاص الذين يفتقدون إلى الضمير والحس الإنساني، حيث يستغلون حاجة الآخرين إليهم دون أي رادع داخلي يردعهم.

ويتصف هؤلاء النور ــ ببعض الخصائص الأساسية الإتنوغرافية التي تزيح الغموض عن أصلهم:

فإنهم لا يتزاوجون إلا من بعضهم وضمن المهنة الواحدة، فالقرياط لا يتزوجون من غيرهم من النور الآخرين مثل: الحجيات ـ المطاربة ـ الطبالة ـ الريّاس ـ الشعار ـ البهلوان ـ السعادين. وأن هذه الفئات المتباينة في نحِل معيشة أفرادها، يكون الزواج محصور بين أفرادها (زواج داخلي)، ويظل النور بعزلة تامة عن المحيط الاجتماعي الذين يعيشون بين ظهرانيه، حتى وإن استقروا في منازل ثابتة. ولهذا نجدهم من أكثر الأجناس البشرية، احتفاظاً بالخطوط الرئيسية للصفات السلالية الخاصة بهم، والتي يعرفون بها، وتجعلهم يتشابهون بملامحهم السلالية الظاهرة: من لون البشرة، ولون العيون، وملامح الوجه، وتناسق الجسم، وذلك بغض النظر عن البلدان أو المناطق التي يتواجدون فيها:

---

* ـ هياكل لقواقع بحرية صغيرة الحجم، وغالباً ما يكون عدد هذه الأصداف ما بين /٥ ـ ٧ حبات/. حيث تدعدع النورية بكلامها كلام الفتيات الحالمات بالزواج من عشاقهن ـ والمتزوجة تحلم بأن يفي زوجها بحبها، ولا يتزوج عليها، والتي ليس عندها أولاد، تحلم بالحبل والولادة.. إلخ.

فبشرتهم سمراء، ووجوهم طولانية، ورؤوسهم طولانية، وأنوفهم مستقيمة ودقيقة، ولون شعرهم أسود متفحم، وعيونهم سود، وقاماتهم متوسطة وتمتاز بلمعة خاصة، لا تجدها في كل عين فاحمة السواد، وأن عظامهم رقيقة، وليست ثخينة، ولأفراد النور مشية خاصة بهم، وربما ترسخت لديهم بسبب كثرة تنقلهم، ومشيهم على الأقدام. وقد وصفهم الشاعر - أبو دلف الخزرجي الينبوعي في قصيدته السّاسّانية حيث يصفهم بقوله:

(ترى لواحد منهم بين الخطوة والخطر، ولما كانت خطوطهم الوجهية وتناسق أعضائهم البدينة على غاية من التناسب والتناسق، فهم بحكم هذا من أكثر الأجناس غنى بجمال الوجه وملامح التكوين، ولما كانوا كما أسلفنا حريصين على التأقلم والتكيف والتأثر بأحوال محيطهم فالاتصالات الجنسية غير المشروعة تكثر بين نسائهم في البلدان التي أخرجها التمدين عن صدد الحرص على العفة الجنسية. ولهذا فإنه يكثر بينهم أفراد من ليس عليهم مسحة التكوين (الملامح) البنيوي الخاص بسدالتهم)*. وقد وصفهم عالم الأجناس البشرية (بيتارد Pittard): «بشرة بحرارة الشمس، شعر أسود فاحم، أنف بارز حاد المعالم، أسنان بيض، وعيون كستنائية واسعة، نظرة ثاقبة، مرونة عامة في المشي، تساوق في الحركات وكل التنقلات. وأما الشكل والقوام فأفضل جداً من معظم الشعوب الأوروبية»[1].

ويصف العالم (بيتارد Pittard) مشية النور السريعة الرشيقة والخفيفة بقوله: «سريعة رشيقة فائقة بدون رياضة، يمشي النوري بخطوات قصيرة، ومن يتبع مشية نوريين أو ثلاثة معاً، يرى كأنهم ينزلقون على الأرض ولا يطأونها، بخطوات خفيفة بلا ضجيج، وتدل على اقترابهم، حتى أنهم يقال إنهم يسيرون قفزاً كالطيور والعصافير. في كل جزء من أجسامهم حركة حيوية، تتحكم فيها مفاصل قوية متينة تمتاز بمرونة عجيبة.. وقامات منتصبة، وقلما يؤرجحون أذرعهم أثناء المشي»[2].

---

* عن كتاب البدوي الملثم - عرار شاعر الأردن - دار القلم - بيروت - لبنان - ١٩٨٠ ص١٣٢.

١ - كتاب الغجر: أصلهم، لغتهم، تقاليدهم، تاريخهم، جورج ليّان – ص: ٣٩.

٢ - المرجع السابق – ص ٤٠.

وقد وصف العالم مارتين نظرات الإنسان النوري، التي تتصف بالدقة، ووضوح التعبير عن مكنونات حواسه الداخلية المرهفة، بقوله: «لا توجد كلمة تعبر عن معاني نظرات النور Al Nawar، أو تحديقهم.. في عيون النوري من القلق وعدم الاستقرار.. حدقة سوداء أو بنية قاتمة تتوسط بياضاً واسعاً.. والشعر أسود مصمّغ بالأدهان. والأذنان مزدانتان بأقراط من الذهب والفضة، براقة لامعة، تحاكي إشراقة العيون والأسنان ونظرات الفجري، أثمن سلاحه، وأضمن أداة تحميه في صراعه العنيف من أجل البقاء، عدا ذلك فإن الفجري لا يتطلع إلى الأمام، ولا يحدق نظره بمن يتحدث معه لأن عينيه لا تحملانه»[1].

ويدين النور الذين يجوبون المنطقة الجنوبية من سورية بالدين الإسلامي، حيث يلتزمون بالختان، ومراسم دفن الموتى، وبمراسم الزواج، حيث كل هذه تتم على الطريقة الإسلامية إلا أن بعضاً من جماعات النور التي ذكرناها:

١ ـ منها ما تكفن الميت إذا كان رجلاً بأكفان تساوي بعددها عدد زوجاته التي كان قد تزوج منهن في حياته، دون أن تكفن المرأة بعدد أزواجها إذا كانت قد تزوجت أكثر من مرة.

٢ ـ منها ما تكفن المرأة بعدد أزواجها التي كانت قد تزوجت منهم في حياتها، في حين أن الرجل يكفن بكفن واحد فقط، وإن كان قد تزوج بأكثر من زوجة (وذلك على عكس من الأول) وعندما سألت لماذا يكفن الميت بعدد زوجاته، أو بعدد أزواجها، كان جوابهم بأن الكفن هو سترة للميت.

وإذا ما حصلت وفاة لشخص من النّور، وهم في تجوالهم في قرى حوران: كانوا يقومون بدفنه في مقبرة أهل القرية، ويرحلون مباشرة من المنطقة، التي فقدوا فيها عزيزهم، وأن هذه الظاهرة موجودة عند كافة الجماعات البشرية، التي يقوم نمطها المعيشي على التنقل والترحال، وذلك خوفاً من لحاق روح المتوفى بأفراد جماعته، فتلحق الأذى فيهم، وهذه عبارة عن بقايا بالمعتقدات دينية بدائية كانت في الماضي، والتي تعرف بعبادة الأرواح Animisms.. إلخ.

---

١ - المرجع السابق – ص ٤٠.

ويسود عند كافة هؤلاء النور - الزواج التعددي، حيث يكون بعصمة الرجل أكثر من زوجة. والمرأة هي عماد البيت، حيث تؤمن لأفراد أسرتها ضروريات الحياة، في حين يقبى الرجل بخيمته لشرب القهوة المرة والشاي وشرب التبغ، مما يجعل الكثيرين من أهالي القرى، بأن يدلفوا إلى خيامهم للهرج والمرج، وشرب القهوة والشاي، بنظرات جنسية مشبوهة، دون احترام حرمة الخيمة التي هي بمثابة بيت للرجل الذي يستضيفهم.

ذات مرة في شتاء عام ١٩٨٦م الذي كان شديد البرودة، حيث كان هناك نزل للنور في سوق الجمعة الحالي - أخذ صاحب أحد الخرابيش يصيح ليلاً بأعلى صوته: يا ناس نسوان ثنتين ما بيعشوا واحد رجال (زوجاته).

النَّوَرْ في بلدة المزيريب

يقطن في بلدة المزيريب مجموعة من النَّوَرْ يتراوح تعدادهم العام ما بين /٤٠٠ ـ ٥٠٠ نسمة/. وينتسب هؤلاء النَّوَرْ إلى عائلات مختلفة يزيد عددها عن الست عائلات:

ـ عشيرة الحلاولية /الغرابلية/ قرباط:

تعتبر عشيرة الحلاولية من العشائر النورية التي كانت في الماضي تتنقل بين القرى في حوران طيلة أيام السنة لبيع منتجاتهم التي يصنعونها بأيديهم مثل: الغرابيل ـ المقاطف ـ الكرابيل، أما النساء فقد كانت تمارس مهنة الشحادة.

وكانت عائلات هذه العشيرة تتنقل صيفاً بين قرى جبل العرب وخاصةً في أيام مواسم قطاف العنب، إلا أن هذه العشيرة كانت تتخذ من المنطقة الممتدة ما بين بلدتي المزيريب وتل شهاب مشتى لها، تتوقف فيه عن الترحال طيلة أيام الشتاء وقسماً من فصل الربيع. وقد بدأ استقرار عشيرة الحلاولية في بلدة المزيريب بشكل دائم وفي بيوت إسمنتية بدءاً من عام ١٩٦٩م بعد أن اشتروا مساحات من الأرض من أجل البناء. وأن كافة أفراد عشيرة الحلاولية مسجلون في النفوس المدني منذ عام ١٩٥٨م على زمن الوحدة بين مصر وسوريا حيث استفاد أفراد هذه العشيرة من قانون الإصلاح الزراعي آنذاك. ويقول السيد ـ حسن أرشيد العلي ـ أن أفراد هذه العشيرة حسب ما كان يحكيه الآباء وبشكل متعاقب خلال الزمن: قد قَدِمُوْا مع عشائر أخرى في الزمان القديم من منطقة الهند دون أن يحددوا الفترة الزمنية التي انطلقت فيها هجرة هؤلاء النَّوَرْ من موطنهم الأصلي. وقد كانت منطقة تجوال عشيرة الحلاولية في السابق في المنطقة الجنوبية من سوريا /فلسطين ـ الأردن ـ منطقة حوران/. ولهذه العشيرة أقارب بالدم في بلدة /الرمثا/ التي تقع ضمن الأردن. ويسكن أفراد عشيرة الحلاولية في بناء ثابت من الإسمنت المسلح في الأردن. وتتقسم هذه العشيرة /الحلاولية/ إلى الأفخاذ التالية أو الغُصُون* التالية أو العائلات التالية:

---

* الغصون: جمع غصن، ويعني الفخذ، إذ يشبه النور ـ العشيرة بالشجرة، وأن أفخاذ العشيرة وبطونها مثابة غصون لها (هذا التعبير خاص بالنَّور فقط).

١ - بيت أرشيد: ويتألف من /٣/ عائلات تقيم في جهة الشمال الشرقي من بحيرة المزيريب.

٢ - بيت العلي: ويتألف من /٦/ عائلات. يقيم جزء من هذه العائلات في الجنوب الشرقي من بحيرة المزيريب، والقسم الأخير يقيم في الشمال الشرقي من البلدة إلى جانب الوحدة الإرشادية.

٣ - عائلة أو بيت الفارس: ويتألف من /٤/ عائلات تقيم في جهة الشمال الشرقي من بحيرة المزيريب.

٤ - عائلة أو بيت الدرويش: يتألف من /٤/ عائلات تتوزع في الجنوب الشرقي في الشمال الجنوبي من بحيرة المزيريب.

ويوجد في بلدة المزيريب عشيرة تدعى /المرسلي - قرباط/ وقد عايشت هذه العشيرة عشيرة الحلاولية في الماضي في حلّها وترحالها دون أن يكون بين العشيرتين قرابة بالدم من طرف الرجال وإنما هناك علاقات نسب بين العشيرتين فقط. ودوماً العشيرتان في حالة تحالف فيما بينها ضد أي عشيرة نورية تهدد أمنهما. ويبلغ عدد العائلات من عشيرة المرسلي ما يزيد عن /٨/ عائلات. وكان أفراد هذه العشيرة في الماضي يعملون في صناعة الأدوات الزراعية مثل: الغرابيل ـ الكرابيل ـ المقاطف، شأنهم بذلك شأن عشيرة الحلاولية. وكان أفراد كل من عشيرة الحلاولية والمرسلي يحصلون على الجلود من أجل صناعة الأدوات الزراعية المذكورة عن طريق سلخ الحيوانات الميتة /الفاطسة/ من حمير وخيول بعد أن ترمى جثثها خارج البلدة سواء في المزيريب أو في أطراف القرى التي كانوا ينتقلون بينها سابقاً. وأحياناً كان الرجل النوري يشتري الجمال أو الحصان أو الكديش الضعيف البنية المريض من أجل الحصول على جلده بعد أن يقدم على ذبحه مقابل إعطاء صاحب الحمار أو الكديش غربالاً أو كربالاً يستخدمه في موسم البيادر. ولا تزال هذه المهنة موجودة عند رجال هاتين العشيرتين لكنهم يحصلون على الجلود من قبل المسالخ التابعة للدولة أو من قبل أصحاب محلات اللحامة: الجزارين.

ولم يمارس أفراد عشيرة الحلاولية وعشيرة المرسلي صناعة الأدوات التالية: الطبل ـ الدف ـ الربابة، لا في الماضي ولا في الحاضر. ويوجد البعض من رجال العشيرتين

المذكورتين يعملون في المتاجرة بالحيوانات /الخيول والحمير/ حيث تشتري تلك الحيوانات في نهاية موسم البيادر وبداية فصل الشتاء، حيث يقوم هؤلاء النَّوَرْ بتقديم التبْن والعلف وفي فصل الربيع تتناول تلك الحيوانات الحشائش التي تنمو على أطراف البحيرة وعلى مجاري السيول والأودية المائية في منطقة المزيريب. ومع بداية فصل الصيف حيث الحصاد والدراس تباع هذه الحيوانات بعد أن أصبحت سمينة إلى الفلاحين في منطقة جبل العرب وبأسعار غالية. ولا يمتهن أفراد كل من عشيرتي /الحلاولية والمرسلي/ مهنة العزف على الزمر أو الضرب على الطبل. كما أنهم لا يمارسون مهنة الرقص من قبل الرجل /مطاربة أو رياس/. ولا يمارس الحلاولية والمرسلي مهنة الغناء والرقص من قبل المرأة /الحجيّات/ كما هو الحال عند عشيرة /الهرامشة/ وعشيرة /التمارزة/.

وإلى الآن إذا اختلف اثنان من الحلاولية يعيبون بعضهم بعضاً بكلام يشير إلى مهنتهم القديمة /صناعة الغرابيل من جلود الحمير الميتة كقولهم /وَلَكْ يابنْ سلاّخ الحمير/.

أما عمل المرأة كان في الماضي غالباً ما كان خارج الخيمة حيث تجوب أحياء القرى التي يخيمون إلى جانبها من أجل التجارة والشحادة في آن واحد. فقد كانت تحمل المرأة النورية معها في كيس تحمله على كتفها بواسطة حمالة (جناد) تضع فيه /المروحة - العنزروت - هوا جواني - مرمكة - بخور - فُوَّه - أبر - مسال/. ولم تمارس المرأة النورية من عشيرة الحلاولية: الغناء أو الرقص أو قراءة الطالع والتبصير لا في الماضي ولا في الحاضر.

- عشيرة الحمصي أو الحدادين /الجوابرة/:

ويبلغ تعداد هذه العشيرة ما يزيد عن /١٠/ بيوت. وقد جاء أفراد هذه العشيرة في الماضي من منطقة القدس من القطر الفلسطيني إبّان الاحتلال الفرنسي لسوريا. ويقال لهذه العشيرة أيضاً تسمية /الجوابرة/ نسبة إلى جدهم الأول - جابر - ومن وجهاء تلك العشيرة السيد حسين جابر الحمصي. وقد رحل قسم من أفراد هذه العشيرة إلى مدينة درعا إثر حادث خطيفة /رجل خطف فتاة من عشيرة الحلاولية/. وهؤلاء إلى الآن يعيشون في درعا في بيوت متسأجرة وفي الصيف يبنون الخيام، علماً أن لكل عشيرة الحدادين بيوت في المزيريب.

ويُعرف أفراد العشيرة المذكورة بالحدادين، وذلك نسبةً إلى مهنتهم التي كانوا يمارسونها في الماضي، ولا زال البعض من الرجال المتقدمين بالعمر يمارسونها. والأدوات التي كانت تصنع من قبل أفراد هذه العشيرة هي: سكة المحراث القديم الذي تجره الحيوانات /الخيول أو البقر/ - الحاشوشة أو المنجل الصغير - المنجل الكبير - الخوص /جمع خوصة/؛ وهي سكاكين من الحديد قوية ومتينة مقبضها منها وفيها وطويلة يصل طولها أحياناً إلى ما يزيد عن /٤٠سم/ إذ كانت المرأة في حوران تستخدمها لاستخراج نبات العَكّوب /السلبين/ من التربة - سكاكين من أجل الطبخ - العبوة الحديدية التي كانت توضع في أحد طرفي قطعة خشبية أسطوانية الشكل يتراوح طولها من /١ - ٢م/ من أجل تنظيف سكة المحراث القديم من التراب الرطب أثناء الحراثة كي يسهل عملية الجر على الحيوان من جهة وكي تدخل سكة المحراث في جوف التربة بشكل أفضل من جهة ثانية. ويطلق على تلك الأداة بعد أن توضع في القطعة الخشبية ما يلي: العبوة إذا كانت قطعة الخشب قصيرة، وتدعى المنساس: إذا كانت طويلة. وكان يستخدم هؤلاء النَّوَرْ من أجل صناعة الأدوات الزراعية أداة الكور المصنوع من جلود الماعز كأداة نافخة يحصلون بواسطتها على درجات حرارية مرتفعة يستطيعون من خلالها طرق معدن الحديد كي يعطوه الشكل الذي يريدون صنعه. وكان الوقود المستخدم من الحطب من مصدريه الخشبي والحيواني إلى جانب الفحم الحجري. وكان الرجال أيضاً من /الحدادين/ يشترون الخيول للمتاجرة بها حيث كانت تشرى رخيصة لأنها هزيلة وتباع بعد أن تتحسن صحتها إلى الفلاحين في منطقة جبل العرب في أيام المواسم سواء من أجل الحراثة أو من أجل جمع المحصول في الصيف. وكان أفراد هذه العشيرة يتنقلون بين القرى في حوران إلى أن استقروا في بلدة المزيريب في بناء ثابت منذ عام ١٩٦٨م. إلا أن أفراد هذه العشيرة مسجلون في السجلات المدنية لبلدة المزيريب منذ عام ١٩٥٨م حيث استفادوا من أراضي الإصلاح الزراعي التي تم توزيعها على الفلاحين في منطقة المزيريب زمن الوحدة بين مصر وسوريا.

وكانت نساء /الحمصي/ تمارس مهنة الشحادة في الماضي مع المتاجرة ببعض الأشياء التي تحملها في معظم الأحيان مثل: الأبر - المسال - السكاكين الصغيرة - حفارات الكوسا - مواد من علبة العطارة: مِرْوحة - مُرْمَكة - عَنْزَروت - هوا جُوَّاني -

الخ. ولم تمارس نساء النَّوَرْ الحدادين مهنة التبصير والتنجيم وقراءة الطالع، كما أنها لم تمارس مهنة الرقص أو الغناء نهائياً على الإطلاق. وكانت نساء النَّوَرْ في حوران تشحد التبن من عند الفلاحين كي تطعم الحيوانات الموجودة إلى جانب كل خيمة من حمير وخيول التي كانت تُستخدم كوسيلة من أجل الترحال وللإتجار بها.

ـ عشيرة الصبح:

يبلغ تعداد أفراد هذه العائلة ما بين ٤ ـ ٥ بيوت. وقد قدم أفراد هذه العشيرة بعد عام ١٩٤٨م من منطقة فلسطين، حيث كانوا ينتقلون ما بين المناطق التالية كما قالوا لي منطقة مرج بن عامر ـ المغار ـ كفر مصر. ومن وجهاء هذه العشيرة السيد عرسان الصبح.

ـ عشيرة /الغفشة/:

قدم أفراد هذه العشيرة من منطقة جنوب لبنان. ويبلغ تعداد هذه العشيرة ما بين /٤ ـ ٥ بيوت/، من وجهاء هذه العشيرة السيد /محمد غفشة والسيد علي الغفشة/. ويلقبون بـ /المتاولة/ من قبل النَّوَرْ الموجودين في بلدة المزيريب، حيث يحتفلون بعيد عاشوراء.

ـ عائلة شيخو:

ويسكن في بلدة المزيريب /عائلة من النَّوَرْ الذين يتكلمون باللغة الكردية فيما بينهم/. واسم كبير هذه العائلة /السيد حسن بديع شيخو/. وقد قدم السيد حسن بديع شيخو مع والده من منطقة فلسطين منذ عام ١٩٤٨م. وكان كبير هذه الأسرة من بلدة بيسان بفلسطين قبل الاحتلال الصهيوني.

كان أفراد هذه الأسرة يعملون في تجارة الخيول /سيّاس خيل/. وكانوا يسمنون الخيول في منطقة المزيريب الخصبة الغنية بمائها ونباتاتها وخاصةً على ضفاف الأودية والسيول التي تجري في منطقة تل شهاب ـ زيزون ـ الأشعري ـ العجمي ـ جلين. وحالياً يعمل السيد حسن بديع في /سمسرة السيارات/ ويعمل أولاده في أعمالاً متعددة. ويسكن أشقاء حسن بديع في لبنان وفي الأردن وله أخ يسكن في الحجر الأسود من ضواحي مدينة دمشق.

ـ البنية الاجتماعية لجماعات النور في بلدة المزيريب:

تعيش جماعات النَّوَرْ في منطقة المزيريب حياة مغلقة بشكل تام دون أن يكون لافرادها علاقات اندماج تذكر مع سكان بلدة المزيريب. إلا أن جماعة النَّوَرْ في المزيريب قد تأثروا بالبنية الاجتماعية للسكان المحليين مما أدى إلى حدوث تغير في بعض عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وفي مقدمة ذلك تأثرهم بلباس أهل حوران إلى حدٍّ ما وبخاصة المرأة.

الزواج:

يتم الزواج عن طريق الخطبة التي يقوم بها أهل الشاب، حيث يذهبون إلى عند أهل الفتاة التي وقع اختيارهم عليها كزوجة لابنهم. وعلى الأغلب ما تكون العروس قريبة للشاب العريس إما من طرف أمه أو من طرف والده، وبصورة عامة تكون ابنة عمه.

وتكاد تعيش كل عشيرة معيشة الاكتفاء الذاتي في واقعات الزواج لأفرادها بهذا فإننا نقول: أن الزواج السائد هو زواج داخلي ضمن العشيرة الواحدة في الغالب /Endogamies/. ولكن تحدث أحياناً واقعات زواج بين أفراد العشائر النورية ولكن على نطاق قليل.

وبعد أن تتم مراسيم الخطبة يقوم أهل العريس بإرسال الجاهة المكونة من وجهاء النَّوَرْ في المزيريب وحتى من وجهاء البلدة إلى بيت أهل العروس، حيث تنحر الخراف ويطبخ الطعام /طبخ المنسف بالبرغل واللبن واللحم/ كي يتغدى الحضور الذين يقومون بدورهم بدفع المهر الذي تم الاتفاق عليه بين أهل العريس وأهل العروس والذي كان في الماضي لا يتعدى /٤٠٠٠ل.س/ وفي الماضي البعيد كان مهر العروس لا يتجاوز عدداً الجلود أو الحمير إذا كان والدها بحاجة إليها. أما الآن فقد وصل مبلغ المهر عند النَّوَرْ في المزيريب إلى /٢٥٠٠٠ ـ ٣٠٠٠٠ل. س/ عام ١٩٨٩م.

إن الأب يشتري لابنته بعض الأثاث المنزلي إلى جانب بعض القطع الذهبية. في حين يأخذ القسم الآخر من المهر المدفوع له. وأن العريس هو المسؤول عن تأثيث بيت الزوجية. ويسود عن نور المزيريب إلى الآن زواج البدل /الداقيش/ من أجل الإقلال من النفقات المادية في واقعات الزواج عندهم.

- **زواج البدل: (الداقيش)**

يتم زواج البدل بين أفراد العشيرة الواحدة، ويمكن أن يتم زواج البدل بين أفراد ينتمون إلى عشائر نورية مختلفة تسكن في منطقة المزيريب. وغالباً ما يكون هذا الزواج فتاة مقابل فتاة. أما إذا كانت أحد الفتاتين أجمل من الفتاة الأخرى /بَديلْتُها/ فعلى أهل الفتاة الأقل جمالاً أن يدفعوا مبلغاً من المال يتفق على كميته بين الطرفين. ويمكن أن يتدخل الوجهاء من النَّوَرْ هناك لخفض المبلغ الذي سيدفعه أهل الفتاة الأقل جمالاً. والذي يصل أحياناً إلى قيمة مالية تتراوح ما بين ٢٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ ل.س عام ١٩٨٩م. وقد قال لي أحد الأشخاص المسنين:

أنه في الماضي كان يدفع أهل الفتاة الأقل جمالاً لأهل الفتاة الجميلة في زواج البدل: حماراً أو جلداً من جلود الحمير... إذا كان والد الفتاة الأجمل بحاجة إلى ذلك. وإذا ما حصل في المستقبل خلاف بين أحد الأزواج وزوجته، ولم يستطع الأهل رأب الصدع وتمّ على إثر ذلك طرد ذلك الزوج لزوجته. فإن على الزوج الآخر أن يُبادل صهره بنفس المعاملة وإن كان متفقاً مع زوجته، حيث يقوم بدوره بطرد زوجته إلى بيت أهلها لأنه إذا ما فعل ذلك فسيكون إهانة له لا بل عاراً عليه لأن إهانة أخته هي إهانة لشرفه وإنقاصاً لكرامته.

- **زواج الخطيفة:**

إن زواج الخطيفة كما لاحظت قليل الحدوث عند النَّوَرْ في منطقة المزيريب ويعود السبب إلى أن الفتاة تستشار في قضية زواجها إذا لم نقل أنها هي التي تتفق مع الشاب بشأن زواجهما قبل أن يأتي إلى طلب يدها من أهلها. أما إذا حدث أن أقدم شاب على خطف فتاة ما سواء كانت من عشيرته أم من عشيرة أخرى من النَّوَرْ فإن ذلك يقابل بالاستهجان والاحتقار للشاب الخاطف مع ترديد القول الآتي: لماذا لم يطلب يدها من أهلها. ويترتب على الخاطف ما يلي:

على العريس وعروسه أن يَجْلِيَا* بعيداً عن المنطقة.

---

* يجليا: من الفعل الماضي ـ جلى: غادر ـ على العريسين أن يجلوا عن المنطقة التي يعيش فيها كل مَن أهل الخاطف، وأهل المخطوفة إلى مكان بعيد عنهم للالتجاء طلباً للأمان.

على أهل العريس أن يبعثوا وساطة إلى أهل العروسة المخطوفة لإصلاح ذات البين.

وإذا ما بدأت الوساطة لإصلاح ذات البين فغالباً يحدث ما يلي:

إذا وافق أهل العروس على الصلح سلمياً بفضل جهود الوساطة، فعند ذلك يترتب على أهل العريس دفع مبلغ المهر مضاعفاً.

أما إذا لم يوافق أهل الفتاة المخطوفة على الصلح سلمياً، فإن العريس يبقى جالياً: مبتعداً عن العشيرة. ويبقى ذلك الشاب مهدداً بالقتل من قبل أهل زوجته.

أحياناً يطلب والد الفتاة المخطوفة من الوساطة تزويجه من أخت الشاب الذي خطف ابنته وبغض النظر عن الفارق في العمر بينه وبين تلك البنت التي اشترط الزواج منها.

- الزوج التعددي:

يرغب النَّوَرْ في المزيريب في الزواج التعددي من قبل الرجل. حيث نجد أحياناً أن الرجل يجمع في عصمته أكثر من زوجتين وفي بيت واحد. وتكمن رغبة الرجل النوري في الزواج أكثر من مرة لعدة أسباب وهي:

١ - إن المجتمع النوري مجتمعاً خَصْباً كثير التوالد لذا نجد الشخص يتزوج من أجل إنجاب الأطفال.

٢ - يتزوج الرجل النوري أكثر من مرة حبّاً في التخلص من الوضع المادي السيء الذي يعاني منه، لأن المرأة كانت في الماضي وإلى الآن تشكل العمود الفقري في الاقتصاد العائلي عند المجتمع النوري. فالمرأة هي المسؤولة عن تأمين المواد الغذائية والحاجيات التي يحتاجها أفراد أسرتها في الوقت الذي يبقى الرجل قعيد الخيمة لتعاطي مشروب القهوة المرة وشرب الدخان. ومع ذلك نجد المرأة في المجتمع النوري مقهورة.

وعلى ما سبق فكلما كان عدد الزوجات أكثر عند الرجل، كلما كانت حالته المادية أفضل. وكان الرجل في الماضي يعجب بالفتاة أكثر كلما كانت يدها خفيفة وقادرة على جلب أكبر قدر ممكن من مهر الأشياء التي تجمعها أثناء تجوالها من أجل الاستعطاء /الشحادة/. وأن مهر الفتاة التي تشحد هو أكثر من مهر الفتاة التي ستكون ربة بيت فقط دون أن تشحد◆. وأن المرأة أو الزوجة التي تمارس مهنة الشحادة

◆ يسأل والد العريس الذي يريد الزواج من ابنته السؤال التالي: بدكياها (تريدها) دولرة وللا ست بيت / على طبيعة الجواب يتقرر /مبلغ المهر - أو ثمن البنت/ حسب قولهم.

كلمتها في بيتها هي المسموعة وأنها حرة في تصرفاتها بشكل كامل وهي خارج خيمتها عندما تكون في حالة التجوال من أجل الاستعطاء /الشحادة/ بين أحياء القرى.

ومن عادات النُّوَرْ في المزيريب فيما يخص الفتاة غير المتزوجة ما يلي:

- على الفتاة أن تحافظ على عذريتها حتى يوم زفافها. ومن أجل أن تبقى الفتاة عذراء بالرغم من أنها كانت تمارس مهنة الشحادة، لا بد من جعل تلك الفتاة خاضعة لمراقبة الأهل إلى جانب مراقبة أفراد العشيرة التي تنتمي إليها لها في نفس الوقت. فقد لاحظت في أم عيني حول ممارسة /الشحادة/ من قبل الفتاة العذراء ما يلي:

- إن الفتاة العذارء دوماً تذهب إلى /الشحادة/ برفقة أمها وإذا ما طرقتا باباً لأحد البيوت فإن الأم هي التي تدخل إلى داخل البيت خارج باب الدار تنتظر والدتها ريثما تخرج من تلك الدار، وذلك حرصاً على شرفها.

- أمّا المدن حيث الأبنية المتعددة الطوابق تبقى البنت العذراء في أسفل الدرج، في حين تطرق الأم أبواب المنازل في البناية كافة مع إمكانية دخولها إلى تلك المنازل إذا ما اقتضت الظروف ذلك.

- ومن الأساليب التي تستخدمها النساء النوريات في الشحادة الذهاب على شكل مجموعات بحيث يكون في كل مجموعة نساء وبنات. فعلى البنات أن يبقين خارج المنزل ولا يدخلن لوحدهن أو فرادى إلا بصحبة نساء متزوجات. وفي النهاية يمكننا القول أن المرأة المتزوجة لها مطلق الحرية في تصرفاتها عندما تكون خارج خيمتها تتجول بين أحياء القرى وبين أحياء المدن وأدراج أبنيته المتعددة الطوابق.

وفي حالة عدم محافظة البنت على بكارتها واتضح ذلك لعريسها في ليلة دخلتها فإنه يحدث ما يلي:

١ -يعلم العريس أهله عن وضع عروسه غير المحافظة على غشاء بكارتها.

٢ -يقوم أهل العريس بإخبار أهل العروس عن وضع ابنتهم وهنا يتم ما يلي:

- تتم المفاوضة ما بين أهل العريس وبين أهل العروس بحيث تبقى العروس عند عريسها مقابل إرجاع المهر المدفوع لأهل العروس إلى أهل العريس.

- إذا لم يقبل العريس أن يستُر على عروسه فإنها تلزم دار أهلها. وفي هذه الحالة يُعاد المهر كاملاً إلى العريس بعد اقتطاع مبلغ من المال يقال له /شرفية/ بدل

مضاجعة العريس لعروسه غير الباكر. وبعد رجوع العروس غير البكر إلى بيت أهلها يتم ما يلي:

- يتم الضغط على العروس بما في ذلك القتل المبرح كي تفصح عن الشاب الذي كان قد نام معها وهي عازبة. وبعد أن يعرف الأهل من الفاعل مع ابنتهم ذلك العمل الذي أعاب شرفهم وأنقص من كرامتهم يتصرفون ما يلي:

- إذا كان عدد رجال عشيرة الفتاة أكثر من عدد رجال عشيرة الشاب الذي نام معها وفض بكارتها، فإن الذي يحدث هو قتل كل من الفتاة والشاب الفاعل.

- إذا كان عدد أفراد عشيرة الفتاة أقل من عدد عشيرة الشاب، فإن الذي يحدث هنا هو قتل الفتاة من قبل أهلها ولوحدها فقط. وإذا ما تم قتل الفتاة من قبل أهلها فإن الذي يحدث هنا هو دفع مبلغ من المال من قبل أهل الشاب عن طريق الوساطة بين أهل العريس وبين أهل العروس إلى أهل الفتاة يطلق عليه /الشرفية/ أو دفع مبلغ من المال كدية للفتاة المقتولة. وغالباً يكون في هذه الحالة يزيد عن المهر العادي أضعافاً مضاعفة.

- أما في حال كون العريس هو الذي كان قد نام مع عروسه قبل الخطبة والزفاف فإن أهله في هذه الحالة مجبرون على دفع مبلغاً من المال يساوي ضعف المهر في الحالة الاعتيادية، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو الآتي:

كيف يعرف الأهل أن ابنتهم العروس غير باكر إذا ما كان العريس هو الفاعل مع البنت قبل الزواج.

ويعرف أهل العريس وأهل العروس أن العروس ليست عذراء من خلال عدم نشر محرمة بيضاء يمسح بها دم البكارة للفتاة عندما تفض في ليلة زفافها من قبل عريسها، والتي يأخذها العريس ليريها إلى أهله وأهل العروس الذين ينتظرون تلك اللحظة في مكان قريب من بيت العريس، وإن عدم إخراج المحرمة البيضاء الممسوح بها دم البكارة يعني أن العروس ليست عذراء وهنا يبدأ أهل العريس طرح الأسئلة على ابنهم لمعرفة ذلك الأمر غير المرغوب به.

ـ طقوس دفن الموتى:

ويتم دفن الموتى حسب الشريعة الإسلامية إلا أن المرأة عند جماعات النَّوَرْ في المزيريب تُكفَّن بأكفان يساوي عددها عدد الأزواج الذين كانت قد تزوجتهم في حياتها قبل أن تموت. في حين الرجل المتزوج فإنه يكفن بكفن واحد فقط وإن كان متزوجاً من عدة نساء في حياته. وترتدي النساء اللباس الذي يميل للألوان القاتمة حداداً على الميت. وتختلف مدة الحداد هذه حسب المكانة الاجتماعية للمتوفي وحسب عمره إذا كان شاباً أم كهلاً.

ـ اللغة التي يتحدث بها النَّوَرْ في المزيريب:

يتكلم النَّورْ في المزيريب بصورة عامة اللغة النورية الخاصة بهم ويقولون عنها حسب تعبيرهم /طبخة دوليئم وهي تتكون من مفردات من اللغة الكردية والتركية والهندية وبعض المفردات من اللغة العربية. وهذه بعض المفردات من تلك اللغة النورية والتي سميناها بلغة الضوم:

عربي	نوري	عربي	نوري
خبز	مانا	ماء	بّاني
كلب	شنوتا	بنت	لافتي
بيت	كوري	أخ	بهرا
أخت	بهنا	أم	يادي
أب	يابَرْ	لبن	ماسْت
خروف	بَكُرا	واحد	ديكا
اثنان	دوي	ثلاثة	ترن
أربعة	شتار	خمسة	بنج
ستة	شَشْ	سبعة	حفت
ثمانية	عشْر	تسعة	نَوْ
عشرة	دس	هذه الفتاة جميلة لافتي قِرْدوك.	

أكل الولد الخبز قيرا زارو منص.

أما عائلة /حسن بديع شيخو/ فإنهم يتحدثون فيما بينهم باللغة الكردية وهم بهذا لا يختلفون عن النَّوَرْ الساكنين في منطقة القدم والحجر الأسود بمدينة دمشق. إلا أن هؤلاء النَّوَرْ الناطقين بالكردية يعرفون اللغة النورية /لغة الضوم/ والتي يقولون عنها اللغة الأورديّة: وهي اللغة التي يتكلم بها القسم الشمالي من الهند، والذي يطلق عليه تسمية بلاد هندستان.

وإن كل العائلات النورية في بلدة المزيريب يتكلمون العربية بطلاقة ولكن بلهجة تشبه إلى حدٍّ ما اللهجة التي يتكلم بها أهل حوران. لتأثرهم باللهجة المحكية نتيجة المعايشة لأهالي المنطقة الجنوبية:

- النمط المعيشي:

لم يعد النَّوَرْ في منطقة المزيريب نوراً بما تعنيه هذه الكلمة من العيش غير المستقر بالخيام والقائم على الترحال الدائم من منطقة إلى أخرى على ظهور الحمير أو على ظهور السيارات فيما بعد. وإنما تحول هؤلاء النَّوَرْ إلى مستقرين يعيشون في البيوت الإسمنتية مع ممارسة الأعمال الزراعية بدءاً من عام ١٩٦٩م. ولم يكتف نور المزيريب بالتحول من نمط غير مستقر إلى نمط معيشي يقوم على الاستقرار، وإنما تكيفوا مع البنية الاجتماعية للمجتمع الذين يعيشون بين ظهرانيه، حيث اكتسبوا بعض العادات المحلية مع ترك لبعض من العادات التي كانت تلازم نمطهم المعيشي القائم على الترحال، ويأتي اللباس والطعام واللهجة المحلية في مقدمة الظواهر الاجتماعية التي تم اكتسابها من البيئة الاجتماعية المحيطة بهم إلى جانب بعض الأعمال الزراعية والتجارية التي صار الفرد النوري يمارسها سواء كان ذكراً أم أنثى.

- الأعمال التي يمارسها الرجل:

لا زال الرجل النوري في بلدة المزيريب يمارس مهنة صناعة الأدوات الزراعية: غرابيل - كرابيل مقاطف قماحية وشعارية. ويحصل هؤلاء النَّوَرْ على جلود الحيوانات عن طريق شراء الجلود من المسالخ أو من عند المحلات التي تقوم بذبح الحيوانات من قبل أصحابها /اللّحامة/. أما في الماضي فقد كانوا يحصلون على جلود الحيوانات من جيف

الحيوانات التي كانت ترمى خارج القرى من قبل أصحابها. ولقد كانت تلك الحيوانات من حمير وخيول وبغال متوفرة في منطقة حوران حتى عام ١٩٦٢ حيث كانت تستخدم في أعمال الزراعة من حراثة وحصاد وقلّ عدد تلك الحيوانات بشكل ملحوظ بدءاً من عام ١٩٦٧م بسبب الاستخدام المتزايد للآلة في أعمال الزراعة والانتقال بدلاً من الحيوانات. وكان هؤلاء النور يمارسون مهنة المتاجرة بالخيول /سُيَّاس خيول/ يشترونها بعد انتهاء المواسم الزراعية عندما تكون هزيلة، وبعد أن تُسمَّن في فصل الربيع تباع للفلاحين في منطقة جبل العرب بأسعار مرتفعة. وكان النور يضعون في دبر الحيوان الفلفل المسحوق وخاصةً من أجل إظهار حيوان الحمار أنه سريع المشي. أو يضعون الفلفل في دبر الحيوان - الكديش - كي يبدو جيداً وسريع الحركة في المشي وهو يجر عود الحراثة كي يعجب الفلاح الشاري له.

ويعمل الرجل في وقتنا الحالي في تركيب الأسنان وخاصةً الشباب منهم، حيث يحملون أدوات العمل اللازمة في حقائب جيدة ويدورون في حارات القرى لمنطقة حوران على متن دراجات نارية. طوال النهار، ولا يعوون إلى مساءً إلى بيوتهم.

أما المرأة النورية بمنطقة المزيريب فقد كانت تزاول مهنة الشحادة مع بيع حاجات العطارة /مرمكة - سنمكة - عنزروت - هواء جُوّاني - فُوّه - مِروْحِة، إلى جانب بعض الأشياء مثل: الأبر - المسال - كشاتبين - علكة - خيطان. وحالياً لا تمارس النساء لنوريات الشحادة في منطقة المزيريب ولكن يعتقد أن مجال الشحادة عندهن ابتعد كثيراً عن بلدة المزيريب بسبب وسيلة النقل الحديثة - السيارة - فتذهب النسوة إلى قرى حوران البعيدة وقرى جبل العرب لمزاولة الشحادة وهن بلباس شبيه باللباس الحوراني.

ولا تمارس النساء النوريات في المزيريب مهنة التنجيم والتبصير وقراءة لطالع بالفنجان أو بالودع. كما أنهن لم يمارسن الرقص أو الغناء مطلقاً. لا في لماضي ولا في الحاضر.

وتقوم النساء أيضاً بمزاولة الأعمال الزراعية وخاصةً في أيام المواسم، حيث يقمن بجمع محاصيل البطاطا والبندورة والباذنجان.... إلخ مقابل أجر يومي مقداره /٢٥٠ ل.س + فلينة من البندورة تقارب ١٥ كغ..

ـ السكن:

إن نور بلدة المزيريب بصورة عامة يسكنون في بيوت سكنية من الإسمنت المسلح، وفي هذه البيوت الماء والكهرباء إلى جانب متطلبات الحياة اليومية المعاصرة مثل الأدوات الكهربائية: غسالة ـ براد ـ تلفاز ـ مسجلات ـ مذياع ـ عصارات الخضار.... إلخ. وأن كافة البيوت وخاصةً غرف المضيف مفروشة بالسجاد والبسط.

أحد البيوت التي يسكن بها النور في بلدة المزيريب ١٩٨٦م

وإلى جانب البيوت الإسمنية التي يسكنون فيها توجد خيام منصوبة مكوّنة من الخيش والقصدير أحياناً يستخدمونها بمثابة مستودعات لأدواتهم البيتية. وفي فصل الصيف وخاصةً في مواسم قطاف العنب يترك نور المزيريب مساكنهم ليتنقلوا بين قرى جبل العرب، وفي هذه الفترة يحاول النَّوَرْ إيجاد أناس يسكنون في بيوتهم بدون آجار ريثما يعودون إلى بلدتهم بعد أن يكونوا قد جمعوا من الدراهم ما يكفيهم فصل الشتاء الذي يقضونه في مشتاهم المحبب إلى قلوبهم /المزيريب/. ١٩٨٦م

أما في أيامنا هذه، فقد صار العمل متوفراً في منطقة حوران معظم أيام السنة، ففي الصيف تعمل نساء النور ـ وبنات المنطقة، وخاصة البنات اللاتي من منطقة ـ نبع الصخر

ـ التابعة إلى محافظة القنيطرة، في موسم الحصاد، وتحويش الخضراوات: بندورة ـ باذنجان ـ فليفلة.. إلخ، وفي الخريف يعمل هؤلاء في مواسم قطاف الزيتون.

وما يجدر ذكره:

أن هناك أعداداً هائلة من الناس الفقراء، قد قدموا من شمال وشرق القطر العربي السوري، على شكل عائلات وذلك نهاية التسعينات من القرن العشرين ـ وحالياً تزايدت أعدادهم نتيجة للهجرة المستمرة من شمال القطر باتجاه حوران، حيث مخيمات هؤلاء الناس منتشرة في منطقة ـ عشترا ـ على جوانب الطرقات العامة، وفي منطقة طفس وفي المناطق الشرقية من حوران على طريق إزرع ـ السويداء. وهؤلاء قد استقروا في مخيمات من الحيش ـ وعندما يسألون لماذا قدمتم إلى هنا ـ يجيبون أنه في بلادنا لا يوجد شيء نأكله: (تعبيراً عن فقرهم). وقد انعكس هذا الوضع على أجور اليد العاملة في جني المواسم، فصارت اليد العاملة عالية الأجر في حوران.

وقد بدأ استقرار النَّوَرْ في المزيريب بدءاً من عام ١٩٦٩ بعد أن اشتروا مساحات من الأرض أشادوا فيها مساكنهم الحالية والتي في مواقع قريبة من بحيرة المزيريب.

ـ اللباس:

يرتدي الرجل لباساً عربياً من الجلابية والقضاضة والعقال ويرتدي الرجل الجاكيت أيضاً فوق القلابية وقد كان الرجل في الماضي يرتدي: القمباز الطويل من القماش الناعم الملمس والمفتوح من الأمام بشكل كامل. وكان يرتدي الرجل سروالاً ذا فرج واسع جداً يمكن أن تصل الفرجة بين الفخذين إلى أكثر من ثلاث أمتار من القماش ويكون السروال في نفس الوقت له حجلان ضيقان /القسم الذي يغطي الساق يكون ضيقاً جداً/. وقد كان الرجل النوري في الماضي يعرف من شكل السروال الذي يرتديه.

وترتدي المرأة النورية في المزيريب لباساً شبيهاً بلباس الحوراني حيث ترتدي الثوب الحوراني من القماش الناعم الملمس والرقيق. وتلبس الشنبر الأسود الرقيق والشفاف على رأسها وتشده على رأسها بواسطة محرمة من القماش الملون /إشار/. وتتراوح أعمار النساء اللاتي يلبسن الزي الحوراني ما بين /٢٠ ـ ٤٠/.

أما النساء اللاتي تزيد أعمارهن عن الأربعين عاماً لا زلن يرتدن الزي النوري القديم: التنورة الطويلة ومن فوقها ترتدي الشنبر الذي تلفه على رأسها وتشده بقطعة من قماش سوداء بعد أن تطويها عدة طيات. ويتم عقد طرفي العصبة في مؤخرة الجمجمة ومن ثم يتدلى طرفي القطعة حتى أسفل الألية. وكانت ترتدي فوق التنورة الطويلة عباءة سوداء مفتوحة من الأمام ومخاطة من القماش الأسود من أجل حمل ما يمكن أن تجمعه في تجوالها طوال النهار.

سيدة من نور المزيريب تحضر الطعام لأسرتها وهي ترتدي ملابس خارجية شبيهة باللباس لكل من المرأة الحورانية والبدوية/١٩٨٦م/

وكانت المرأة النورية ترتدي سروالاً طويلاً تحت التنورة من القماش الناعم الملمس وكانت نهاية كل من الجلين مزمومة بقطعة من القماش على غرار العسكري الذي يزم حجلي بنطاله فوق ساق الجزمة التي يحتذيها بقدميه.

وترتدي المرأة النورية في المزيريب وخاصةً الشابات منهن الخراطة الطويلة والفضفاضة والمزمومة على الخصر بشكل جيد. وترتدي فوقها القميص أو الكنزة ذات الأكمام الطويلة بالإضافة إلى وضع /إشار/ على الرأس يربط طرفاه في الجهة الخلفية من الرأس.

شابة ترتدي الخراطة والكنزة من فوقها /١٩٨٦م/

ـ الطعام:

من أنواع الأطعمة التي يحبونها حالياً: المحاشي بأنواعها من الكوسا والباذنجان والملفوف وملفوف ورق العنب.

ويقوم النَورَ في منطقة المزيريب بتناول الخضار التي تنبت بشكل طبيعي في البرية مثل: الخبيزة ـ العكوب ـ الهندباء ـ الرشاد ـ المرار ـ الفطر وذلك في فصلي الشتاء والربيع. شأنهم بذلك شأن السكان المحليين.

أما الطعام القديم الذي يحبونه لدرجة كبيرة وخاصةً الكبار منهم طعام يُدعى /الهفيت/ وتتكون من طبقات متناوبة من الخبز المشروح المخبوز على الصاج والذي يسمى بحوران ـ اشراك ـ وطبقة من قطع اللحم المطبوخ باللبن والسمن العربي. ويوضع على وجه المنسف المملوء بالهفيت: مرقة شوربة اللبن مع اللحم. وتُؤكل هذه الأكلة باليد[1]

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأكلة كانت تُؤكل في حوران سابقاً وإلى الآن لا زالت تطبخ عند البدو الذين كانوا رحّلا قبل عام ١٩٦٧م.

---

[1] ـ الهفيت. هي أكلة شعبية خاصة بالبدو الرحل. وهذا يؤكد ملازمة النور في الماضي للعشائر البدوية، كشعّار: (قواصيد)، للحصول على العطاءات من خراف. ومشتقات الألبان والصوف.

ونستطيع أن نستشف من حب نور المزيريب لأكلة الهفيت أن هؤلاء النَّوَرْ في الماضي كانوا على صلة وثيقة مع البدو الرحل مربي الأغنام لدرجة أنهم كانوا يلازمونهم وخاصةً في الفترة الزمنية التي تتكاثر فيها الأغنام /الربيع وبداية الصيف/ وفي فترة قصاص الغنم عندما تجتز الأغنام كي يحصل النَّوَرْ على الصوف وعلى الخراف والسمن والمشتقات اللبنية الأخرى مثل الهقط (اللبن المجفف) والكشك (اللبن المطبوخ من البرغل والمجفف في نفس الوقت).

ومن الأكلات القديمة التي يحبها النَّوَرْ في المزيريب أكلة كانت تعمل على نطاق واسع في حوران سابقاً وتُدعى أَكْلَةُ الْمعيسَةَ: خبز تنور ساخن يفت بالسمن العربي والسكر/. ومن أنواع الأطعمة القديمة التي كان أهل حوارن يطبخونها في الماضي أكلة ـ المغربية ـ أو العجين المفتول /تتكون من العجين المفتول بشكل دقيق باليد على شكل قطع صغيرة متطاولة أو مدعبلة تطبخ على الهبّال: /على البخار/، ويُوضع مع فتائل العجين لحم الدجاج ودبس البندورة والحمص.

ويستخدمون أوان من القيشان والألمنيوم والزجاج وملاعق. ويوجد حالياً في كافة البيوت أفران الغاز وطباخ الكاز.

ـ المستوى التعليمي:

إن أطفال النَّوَرْ في بلدة المزيريب يذهبون إلى المدارس ولدى أهلهم طموحات في إتمام المراحل التعليمية بما فيها المرحلة الجامعية لدرجة التقيت مع امرأة لديها طفلة في الخامس الابتدائي تطمح بأن تصبح صيدلانية في المستقبل وقد تخرج شاب من المعهد المتوسط لإعداد المدرسين وحالياً يعلم في أحد المدارس الابتدائية في المزيريب. كما أن هناك شاباً يشغل وظيفة محاسب في مديرية التربية بدرعا.

وبالنسبة إلى الجانب الصحي لمست أن كافة النساء المتزوجات مسجلات في المراكز الصحية. وأن كافة النساء الحوامل تراجع المراكز الصحية /مركز الرعاية والطفولة/ وبشكل منتظم. وإذا ما مرض أحدهم فإنهم يراجعون الطبيب على الفور ومما لمسته أن النَّوَرْ بصورة عامة عاطفيين جداً اتجاه أطفالهم لدرجة لا يستطيع رجل أن يرى طفله مريضاً وإن كانت حالته الصحية لا تستدعي الذهاب إلى الطبيب.

ـ النَّوَرْ في بلدة /جلين/ - /٣٠ـ ٤٠ نسمة/:

تقع بلدة /جلين/ إلى الشمال الغربي من بلدة المزيريب الواقعة على الجانب الشرقي من بحيرة المزيريب، ويعيش في بلدة /جلين/ في حدود الخمس عائلات من النَّوَرْ الذين ينتمون إلى عشيرة المجاربة التي يتواجد معظم أفرادها في كل من بلدة عين غزال إلى الشرق من بلدة السبينة الواقعة إلى الجنوب من مدينة دمشق، وهناك قسم لا بأس به من المجاربة في بلدة ـ الدرخبية ـ وفي قرية ـ مَرَانَة ـ الواقعتين إلى الغرب من بلدة الكسوة التي تقع إلى الجنوب من دمشق على بعد ثلاثين كم.

وينتمي المجاربة بصورة عامة إلى عشيرة نورية أكبر يُطلق عليها عشيرة /المقصطلية/ وتعتبر هذه العشيرة من نور منطقة حوران حيث حوران بالنسبة لهم هي بمثابة الرئة التي كانوا وما زالوا يتنفسون منها. ولم يرتحل أفراد هذه العشيرة خارج منطقة حوران.

ويوجد هناك عائلتان من المجاربة تسكنان في بلدة /نوى/. كانت تضرب خيامهما في الشمال الغربي من مكان سوق الجمعة المشهور بالنسبة لمعظم محافظات القطر العربي، حيث يفترش الباعة مساحات واسعة لعرض بضاعتهم الكثيرة والمتنوعة، من طعام. وملابس. وخضار وفواكه، وبهارات، وزيوت نباتيةً بكافة أنواعها، وأدوات منزلية، ومشتقات الألبان، وأغراش الشجر المتنوعة، والسجاد، والإسفنج.. والأغنام والأبقار. والماعز...إلخ.

وتمارس نساء المجاربة عملية الشحادة يومياً في نوى، وفي حارات القرى القريبة وحتى البعيدة عنها.

ويزاول النَوَرْ في بلدة جلين مهنة العزف على الشبابة والمجوز والقرع على الطبل إلى جانب الرقص والغناء من قبل الرجال فقط، وهم بهذا ينطوون تحت فئة النَّوَرْ الريّاس أو المطاربة كما هو الحال في منطقة الساحل. ويوجد في بلدة /جلين/ فرقة للدبكة غنائية موسيقية تقوم بإحياء الأفراح في منطقة حوران مقابل مبلغ معين من المال يتقاضاه أفراد الفرقة والذي يصل إلى مبلغ يتراوح من ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ل.س. في الليلة الواحدة هذا في عام ١٩٨٨م. وفي أيامنا الحالية صارت هناك فرق غنائية من السكان الأصليين، تنافسهم بالغناء في الحفلات.

ولا تشارك المرأة الرجل في إحياء الحفلات وإنما تبقى في البيت لتربية أطفالها إلى جانب مزاولة الأعمال الزراعية مثل جني المحاصيل: بندورة ـ بطاطا ـ بصل مقابل آجار

يومي تأخذه المرأة مقابل تعبها يتراوح ما بين /٣٠ ـ ٤٠ ل.س في اليوم/. هذا عام ١٩٨٦م، أما الآن أصبحت المرأة تعمل في تحويش الخضار بمبلغ ٢٥٠ل.س + ١٥ كغ بندورة تقريباً.

صورة لمخيم النّور في نوى ١٩٨٦م

ويتكلم النَّوَرْ المجارية في كل من بلدتي /جلين ونوى/ اللغة النورية التي أطلقنا عليها تسمية لغة الضوم. وإلى جانب اللغة النورية لا يتقنون إلا اللغة العربية وباللهجة الحورانية، إضافة إلى معرفتهم باللسان الكردي. وأن كافة أفراد نور جلين ونوى مسجلون في السجلات المدنية. ولهذا نجد أطفالهم يذهبون إلى المدارس لكنهم من النادر إتمام المرحلة الإعدادية سواء كان ذلك من قبل الذكور أو من قبل البنات. والذي لمسته أن هؤلاء النَّوَرْ لا يسافرون إلى خارج القطر. وهذا ما يجعل وضعهم المادي أفقر بكثير من النَّوَرْ الذين يسافرون إلى خارج القطر لتعاطي الأسباب وخاصةً في فصل الصيف.

ويسكن هؤلاء النَّوَرْ في جلين في بيوت إسمنتية فيها ماء وكهرباء وقد استفاد هؤلاء من قانون الإصلاح الزراعي الذي تم في عام ١٩٥٨م زمن الوحدة بين مصر وسوريا.

وترتدي المرأة النورية في كل من المزيريب وجلين، وبخاصة المستقرين منهم في منازل ثابتة، ملابس شبيهة بملابس المرأة الحورانية، الشبيه بثوب المرأة البدوية من بدو

المنطقة والذين استقروا جميعاً في بيوت ثابتة بعد حرب ١٩٦٧م في الأراضي العائدة لبلدة - نوى - الواقعة ما بين مجرى وادي العلات شرقاً وبين مجرى وادي الرقاد غرباً، إضافة إلى الأراضي الواقعة بين مجرى وادي الرقاد شرقاً وبين خط وقف إطلاق النار غرباً بين القوات العربية السورية وقوات الاحتلال الصهيوني.

صورة لامرأة من نور جلين أو نور بلدة نوى

- النَّوَرْ في بلدة داعل:

يعيش في بلدة داعل الواقعة على خط دمشق - درعا عائلة من النَّوَرْ الذين يتكلمون اللغة الكردية فيما بينهم. وقد جاء أفراد هذه العائلة منذ أربع سنوات من /حي الشمّاس/ بمدينة حمص. إذ يتراوح عدد بيوت هذه العائلة من ٥ إلى ٧ بيوت، وأن هؤلاء غير مستقرين ولا زالوا يعيشون في الخيام، إلا أنهم يستأجرون في الشتاء بيوتاً في بلدة داعل. وعندما ينتهي فصل الربيع يبدأ هؤلاء بالتجوال في منطقة /داعل/. ومن وجهاء هذه العائلة التي تكنّى بـ الكردي السيد حسن الكردي الملقب أبو صالح*.

---

* إن هؤلاء النور وغيرهم من النور، الذين يدعون أنهم أكراداً، ويتكلمون اللغة الكردية، هم في الواقع ليسوا بأكراد لا قومية ولا سلالية، ولا ثقافة، وإنما هم من ذرية أناس من النور عاشوا في الماضي البعيد عن انتقال أجدادهم من الهند باتجاه بلاد إيران وما حولها، في منطقة جغرافية يعيش فيها الأكراد/ شمال غرب إيران+ جنوب شرق تركيا/. ونتيجة لمعايشة أجداد هؤلاء النّور الذين يزعمون بأنهم أكراد، لأناس أكراد القومية واللسان والثقافة، فتأثروا بهم، واكتسبوا منهم اللغة الكردية وبعضاً من العادية الكردية - لذا بحيث أن ينعت هؤلاء بنور الأكراد - وليس النّور الأكراد. وهذا ينطبق على كافة فئات النور التي تدعي لنفسها أنها: أتراك - أو تركمان - أو فرس - أو من قبائل عربية مثل قبيلة بني مرة، وقبيلة ربيعة.

كان أفراد هذه العائلة ولا زالوا يزاولون مهنة تجارة الخيول والحمير /سياس خيل/. وأما الآن فإن الشباب قد تعلموا مهنة تركيب الأسنان. ولم يمتهن أفراد عائلة الكردي في الماضي ولا في الحاضر مهنة الغناء والرقص. كما أنهم لم يمتهنوا صناعة الغرابيل والكرابيل ولا صناعة الطبول والدفوف.

نساء هذه العائلة تزاول مهنة الشحادة دون أن تأخذ المرأة شيئاً معها كي تبيعه. ولكن النساء من هذه العائلة كانت وما زالت تزاول مهنة التبصير والتنجيم عن طريق /الودع/. وتُعتبر النساء بمختلف فئاتهن وأعمارهن الجمهور المشجع للمرأة النورية في قراءة الفال. ويمكننا القول أن نساء الكردي يذهبن من أجل الشحادة على باب الله الكريم.

ويتحدث أفراد هذه العائلة فيما بينهم باللغة الكردية إلى جانب إتقانهم اللغة العربية. وأن هؤلاء مسجلون في دوائر السجل المدني.

ـ النَّوَرْ في بلدة الشيخ مسكين /سمشكين/:

تقع بلدة الشيخ مسكين على الطريق العام دمشق ـ درعا وعلى بعد سبعين كم إلى الجنوب من مدينة دمشق.

يعيش في بلدة الشيخ مسكين عدد من العائلات النورية التي ما زالت تعيش معظم أيام العام في الخيام والتي ينصبونها على الأغلب في المنطقة المحيطة بالجسر الذي يقع إلى الشمال قليلاً من التربة التي لا زال يدفن فيها الأموات من بلدة الشيخ مسكين، ففي /القسم الغربي من التربة يتم دفن الموتى من المسلمين، وفي الجزء الشرقي يتم دفن الموتى من المسيحيين، وأن الطريق العام دمشق ـ درعا هو الذي يفصل بين جزئي المقبرة*.

وينتمي النَّوَرْ في الشيخ مسكين إلى العائلات التالية:

١ ـ عائلة الهرامشة، ٢ ـ عائلة الكردي، ٣ ـ عائلة مراد، ٤ ـ عائلة الزهراوي.

١ ـ **عائلة الهرامشة:** تسكن في بلدة الشيخ مسكين عائلتان من النَّوَرْ المنتمين إلى عشيرة الهرامشة، يتوزع أفراد هذه العشيرة في دمشق: حي التجارة، وفي حمص: حي جورة العرايس ـ حي القصير ومختارهم هناك مخيم محمد نعيم، وفي حلب، حي

---

* الطريف أن هذه المقبرة كان يدفن بها سكان بلدة الشيخ مسكين موتاهم، من مسيحين ومسلمين، حيث قبور المسلمين في الجزء الغربي، وقبور المسيحين في الجزء الشرقي. إن هذا شاهد على الوئام والمحبة وحسن المعايشة بين أتباع الديانتين السماويتين، الذين ينحدرون من أصول قومية واحدة وفئة واحدة، ولهم عادات وتقاليد وتاريخ واحد مشترك.

الأنصاري في منطقة محطة القطار حيث تسكن يسرى البدوية وأخوها محمود وهم من عشيرة الهرامشة: الحجيات. ويتراوح عدد الهرامشة في الشيخ مسكين ما بين ١٨ ـ ٢٠ نسمة. ويوجد في بلدة خان شيخون /إدلب/ أقارب للسيد عبدو الرمضان الأحمد وأن السيد عبدو الرمضان الأحمد كان في بداية حياته يعيش في منطقة إدلب /جسر الشغور/، وفيما بعد ذهب إلى منطقة حمص إلا ما عدا بعض الأيام التي يذهب فيها السيد عبدو الرمضان الأحمد وبناته إلى القرى من أجل الرقص والغناء (حجيات). إن كافة أفراد العائلة المذكورة مسجلون بالنفوس العائدة إلى بلدة الشيخ مسكين، وأنهم يخدمون الجندية ويذهب الأطفال إلى المدارس فعلى سبيل المثال أن للسيد عبدو الرمضان الأحمد ولدان لا زالا في خدمة العلم (صيف ١٩٨٦ ـ ٥/٢٤ السبت) وأن واحداً منهما يخدم في الهجانة.

وأن نساء السيد الرمضان الأحمد: (زوجتاه وبناته)، يمارسن الشحادة من القرى القريبة من بلدة الشيخ مسكين ومن الشيخ مسكين بالذات، ولا تأخذ المرأة معها أشياءً من أجل بيعها وهي في حالة التجوال بين أحياء القرى من أجل الاستعطاء. وقد قال السيد عبدو الرمضان الأحمد أن:

نساء القرباط هي التي تأخذ معها الأشياء من أجل بيعها أثناء الشحادة. وفي الليل فإن نساء الهرامشة في الشيخ مسكين يصبحن حجيات حيث الغناء والرقص على أنغام الربابة أو الطبلية والتي تتخللهما صيحات الشوباش. وأن للسيد عبدو الرمضان الأحمد ـ ابنة فائقة الجمال من قدٍ ممشوق، وبشرة سمراء برونزية، وشعرٍ أسود يميل إلى اللون البني قليلاً. غزيراً تجدله جديلة واحدة، وكأنها أفعى من أفاعي المناطق الاستوائية، وعيون بابلية دعجاء ـ في السادسة عشر من العمر، حيث ترافق والدها عبدو الرمضان الأحمد في تجواله بين وجهاء البدو في منطقة الجولان، حيث هو ـ يقصد على الربابة، وهي تتمايل بجسمها تمايل سنابل القمح في الربيع من أيام نيسان*

* ولقد عرضت عليها الزواج منّي (المؤلف) صيف عام ١٩٨٦م. فقالت القول لوالدي، فسالت والدها، فقال إن الأمر متروك لها ـ واسمها فاطمة. فأخبرتها بالأمر، فكان جوابها لي القاطع والحاسم، والذي لم أتوقعه: يا دكتور ما عيب عليّ أن أتزوج منك ـ إن هذا سيكون مثابة عار وذلّ لي ولأهلي إلى أن أموت ـ فاستحيت واختجلت من نفسي، ووجدت نفسي امامها صغيراً وإنساناً من الدرجة الثانية ـ فوصلت إلى نتيجة من خلال رفضها لي: أن النور ينظرون إلى أنفسهم أنهم شعب الله المختار، وبقية الشعوب هم من الدرجة الثانية.

ويتكلم أفراد الهرامشة في بلدة الشيخ مسكين فيما بينهم باللغة التركمانية إلى جانب اللغة العربية وباللهجة الحورانية، وأن السيد عبدو الرمضان الأحمد وأولاده وصهره يعرفون اللغة النورية أو لغة الضوم بشكل جيد.

ولا يمارس رجال الهرامشة أي عمل باستثناء العزف على الربابة ومرافقة النساء اللواتي يرقصن ويغنين مقابل دراهم يقبضونها من أصحاب الحفلات. وقد قال السيد /عبدو الرمضان الأحمد/ أن النَّوَرْ الهرامشة في الماضي كانوا يلازمون شيوخ البدو في منطقة الجزيرة /الجزء الشمالي والشمالي الشرقي من سوريا/ في حلّهم وترحالهم.

السيد عبدو الرمضان الأحمد /الشيخ مسكين ١٩٨٦م/

فقد كان النَّوَرْ الهرامشة يحيون الحفلات في خيام شيوخ البدو ووجهائهم مثل: الشيخ محمد الفرج شيخ الولدة والشيخ شواح أبو أحمد والأمير شايش أمير عشيرة الموالي، والشيخ نواف الصالح شيخ الحديدين، والشيخ راكان بن مرشد شيخ العنزة. وكان النَّوَرْ الهرامشة /الحجيات/ يحصلون على العطايا المادية بسخاء من أولئك الشيوخ المذكورين ومن أغنياء تلك العشائر البدوية. فقد كان كل شيخ من شيوخ بدو الجزيرة يقدم الطعام والحماية لكافة أفراد العائلة التي ضربت خيامها إلى جانب خيامه ما دام أفراد تلك العائلة النورية أو الجماعة النورية بجواره.

ونتيجة للرقص والغناء من قبل النَّورْ الهرامشة الحجيات عند شيوخ البدو في الجزيرة كانوا يعودون من مضارب البدو وهم محملين بالسمن واللبن المجفف والزبدة وقطعان من الخراف يسوقونها أمامهم حيث كانوا يبيعونها في المدن. وأن العِرْض عند هذه الفئة من النَّورْ ليس عزيزا عليهم. وقد قال السيد /عبدو الرمضان الأحمد/ أن وجهاء وشيوخ عشائر البدو في منطقة الجزيرة لا زالوا إلى الآن يأتون إلى منطقة محطة قطار بغداد بمدينة حلب، حيث تسكن /يسرى البدوية وأخيها محمود/ من أجل سماع الصوت الجميل والنغم الحلو على حد تعبيره.

وإلى جانب مرافقة النساء المغنيات الراقصات /الحجيات/ يمارس رجال الهرامشة مهنة الصيد. فقد كان النَّورْ الهرامشة يصيدون النيص والفريري بمساعدة حيوان كلب البوجي في الليل. وفي النهار كانوا يصطادون الأرانب والغزلان بمساعدة كلب السلوقي السريع العدو. ويعتبر لحم القنفذ، الطعام الأطيب والأشهى، لأن أشواك جلده برأيهم هي رمز للنظافة.

وإلى الآن لا زال النَّورْ الهرامشة يزاولون الصيد بمساعدة الكلاب في منطقة اللجاة الوعرة: منطقة بركانية واسعة تقع في الجزء الحنوبي الشمالي الشرقي من حوران.

١ ـ **صيد النيص:** يقول السيد عبد الرمضان الأحمد: أن الشخص عندما يذهب مع وكلبه /البوجي/ من أجل صيد النيص في منطقة اللجاة، حيث يقوم كلب البوجي بالبحث مع عدد من كلاب البوجي للبحث عن الأوكار التي تختبئ بها حيوانات النيص. فإذا ما استطاع كلب البوجي كشف وكر حيوان النيص عن طريق حاسة الشم فإنه ينبح كدلالة على أنه قد عثر على الطريدة /النيص/ عندئذ يتجه الصياد نحو جهة نباح الكلب الذي يكون على الأغلب قد أمسك بحيوان النيص من عنقه كي لا يؤذيه بريشه القاسي الذي يشبه المسال. ويُعتبر حيوان النيص حيواناً محبباً إلى جماعات النَّورْ لدرجة أن النيص والنَّورْ متلازمان في ذهن المرء الذي يسمع أحد الكلمتين المذكورتين حتى يتبادر إلى ذهنه الكلمة الثانية.

ويستخدم النَّورْ من النيص كأدوية مختلفة:

١ - **من أجل معالجة الحروق:** يؤتى بعظم النيص بعد أن تُحرق وتُسحق ومن ثم رش رماد العظم المسحوق على الجزء المحروق من الجسم فإنه يشفي، على حد قولهم لي.

٢ - **أمراض العين:** تداوى أمراض العين عن طريق قطر العين بسائل مرارة حيوان النيص. ويقول السيد عبدو الرمضان الأحمد: أن النيص مجرد سماعه نباح الكلب فإن مرارته تطق.

٣ - **أمراض المعدة:** يُؤتى بكرش حيوان النيص ومن ثم ينظف كي تُشوى لتعطى للمريض صباحاً على الريق قبل أن يتناول أي شيء /كرشة النيص ذات طعم مر/.

٤ - **إذا كان شخص معه أمراض صدرية في رئتيه:** يُؤتى بحيوان النيص ومن ثم يضع المريض فمه على فم حيوان النيص، فعندما يشهق النيص وهو يلفظ نفسه الأخير عند موته بعد ذبحه فإن كافة الأوساخ الموجودة في رئة المريض تخرج بفضل شدة الشهقة عند النيص وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

ومن جملة ما سمعته عن حيوان النيص من طرائف عند الكثير من جماعات النَّوَرْ على اختلاف المهن التي يمارسونها: أن أضراس النيص مكتوباً عليها: لا إله إلا الله. ويعالج النَّوَرْ الأمراض العصبية /الريح/ عن طريق دهن مكان الألم بدهن القنفذ؛ يُؤتى بحيوان القنفذ ويوضع في طاسة من الماء ذات غطاء محكم ومن ثم توضع على النار لمدة طويلة فإن جسم القنفذ يتفسخ وينضج، في حين يطفو الدهن إلى الأعلى. بعد ذلك يؤتى بالدهن ويمسح به مكان الألم (ألم المفاصل) فيشفى.

أما العمل الذي يمارسه /عبدو الرمضان الأحمد/ وابنه عبد الرزاق هو العزف على الربابة. وأن بنات عبدو الرمضان يمارسن الغناء والرقص ليلاً والشحادة في النهار. وأن السيد عبدو الرمضان قد ذهب إلى منطقة القنيطرة لمدة شهر واحد وذلك من تاريخ ٤/٨ إلى ١٩٨٦/٥/٨م، حيث الحفلات الغنائية الراقصة ليلاً في قرى القنيطرة. وأن أهالي القرى يجزونهم الخراف والمصاري. وقد جابوا معهم ٣٦ خروفاً. وأن تلك السهرات يتم إحياؤها في فصل الربيع. وقال السيد عبدو الرمضان: أنه يذهب وبناته في الربيع وبداية الصيف إلى منطقة البادية لدرجة أنهم يصلون حتى الحدود العراقية من أجل إحياء الحفلات الساهرة بين مضارب البدو الذين يحسنون العطاء. أما الهرامشة الموجودين في المدن سواء في دمشق أو حلب أو حمص فإنهم يمارسون الغناء والرقص والغناء طيلة أيام السنة لكونهم يعيشون في بيوت ثابتة. وأن النَّوَرْ الهرامشة الذين يعيشون في حي التجارة بدمشق قد جمعوا الأموال من لبنان قبل أن تتحول إلى مكان للحرب الأهلية. وأن النَّوَرْ

الهرامشة هم أول من ذهب إلى لبنان من أجل الرقص والغناء في المناطق السياحية مثل بحمدون - عاليه - صوفر - بيروت/ حيث كان أهل الخليج يصطافون ويبذرون الأموال على البسط والكيف (على لسان عبدو الرمضان الأحمد).

ويقوم النَورْ الهرامشة في الشيخ مسكين بتربية الديك الرومي من أجل المبارزة والذي يصل ثمنه إلى ما يزيد عن /٢٠٠٠ ل.س/. وكلما كان الديك قادراً على المبارزة مع ديك آخر بشكل ينهي المباراة لصالحه كلما كان ثمنه مرتفعاً.

شابان من أولاد عبدو الرمضان الأحمد الهرامشة وفي أيديهم ديوك الرومي من أجل المبارزة (المكاونة) ١٩٨٦م.

- **عائلة الكردي**: أول من جاء إلى بلدة الشيخ مسكين هو السيد زيدان الكردي وعائلته منذ أكثر من /١٥/ عاماً. وكان يعيش في شمال سوريا في منطقة جبل الأكراد مما جعله يتحدث وأفراد عائلته اللغة الكردية إلا أنهم نور. وقد خلف زيدان الكردي ابنه يوسف الوحيد. وأن يوسف تزوج من امرأتين وأنجبتا له /١١/ طفل، والكل مسجلون في السجل المدني لبلدة الشيخ مسكين. وهناك عائلة أو أسرة /مصطفى الزهراوي/ الذي ربّاه المرحوم زيدان الكردي. ومن المعتقد أن ذلك الطفل قد تمت سرقته من قبل زيدان الكردي وزوجته عندما كانا في شمال سوريا. ويصل عدد

أفراد أسرة مصطفى الزهراوي الذي تزوج من امرأتين إلى /١٢ شخص/. وقد تزوج أحد أولاد مصطفى الزهراوي من فتاة من أب بدوي.

ويقول السيد عبدو الرمضان الأحمد عن عائلة الكردي الذين يضربون خيامهم في الطرف الشرقي من بلدة الشيخ مسكين: أن هؤلاء يُقال لهم /كاولي: يعني باللغة الفارسية، مغنوا الشوارع الفقراء، وهي مرادفة لكلمة لوري بالفارسية، لكن هذه العائلة لا تمارس الغناء في الشيخ مسكين/١٩٨٧م/.

وكان يمارس أفراد هذه العائلة في الماضي السرقات إلى جانب عمليات النشترة حيث يسرقونك وأنت قاعد. ومن الطرق التي كانوا يتبعونها في الماضي مثلاً: يذهب الشخص منهم إلى الدكان ويطلب منهم صرف قطعة من العملة /٥٠٠ ل.س/ أو /١٠٠ ل.س/، فأثناء العد يسرقون نصف المبلغ ومن ثم يقولون لصاحب الدكان: خيّو بطّلت أصرف هاك مصرياتك. ويمارس هؤلاء حالياً تصليح بابورت الغاز - الكاز - فانوس - لكس.

وتزاول نساء عائلة الكردي الشحادة - على باب الله الكريم - دون أن يأخذن معهن شيئاً يبعنه. وقد قالت لي أكثر من امرأة: **يا ريت عندنا أرض نعمل بها، يا ريت تعطينا الدولة أرض نعمل بها.** وتجدر الإشارة أنه لا توجد علاقات زواج ما بين النَّوَرْ من عائلة الكردي وبين النَّوَرْ من عائلة الهرامشة وأن كلاً من العائلتين يكره ويحتقر العائلة الأخرى. ويعود سبب الكراهية وعدم التزواج بين العائلتين المذكورتين عائد إلى الاختلاف بالمهنة التي تمارسها كل منهما، لأن العلاقات الزوجية فيما بينها ملازم لطبيعة المهنة التي تمارسها هذه الجماعة أو تلك.

ويهتم النَّوَرْ من عائلة الكردي إلى الآن بتربية طيور الحجل، فقد شاهدت في أحد الخيام قفصان، في كل واحد منهما طيراً من الحجل أحدهما ذكر والآخر أنثى. وعندما سألت السيد صاحب الخيمة عن السبب في عدم وضع الذكر مع الأنثى في قفص واحد كان جوابه:

كي يبقى الذكر حامياً كثير الحركة والصياح ونشيطاً في الصيد، حيث يزداد صياحه، فيؤخذ الذكر إلى منطقة وَعر اللجاة ويتم نصب شَرَك من الفخ المصنوع من الخيطان حتى إذا ما جاءت طيور الحجل البري إلى عند القفص بعد سماعها صوته شدّ الرجل الصياد الشبكة بخيط مربوط بها مخصص لذلك الغرض بعد أن يقع طير الحجل أسيراً بين خيطانها ومن ثم يتم الإمساك به.

وينتمي بيت الكردي في بلدة الشيخ مسكين إلى فئة من النَّوَرْ تعرف باسم ـ الكاولية:

ويتواجد النَورْ الكاولية في الجزء الشمالي والشمالي الشرقي من القطر العربي السوري وذلك بدءاً من منطقة دير الزور وحتى منطقة الحسكة. وقد جاء أفراد فئة الكاولية من منطقة العراق. ويتوزع النّور الكاولية في القطر العربي السوري في الأماكن التالية: في الجانب الشرقي من مدينة دير الزور، ويتراوح عددهم ما بين /٢٠ ـ ٢٥/ بيت، ويطلق على هؤلاء النَوَرْ في منطقة دير الزور تسمية الكيولية. ويوجد في منطقة الرقة ما بين ١٠ ـ ١٥/ بيت، من النَورْ الكاولية ويُعرفون بكنية ـ البو ظاهر ـ وهناك في مدينة الحسكة /كاولية/ يُعرفون بكنية البرسيم، ووجيه عائلة البرسيم هناك السيد مصطفى الحمد. وهناك بعض العائلات من النُورْ الكاولية يخيمون مع عائلات نورية تتكلم التركمانية فيما بينها في مكان يقع إلى الشرق من سوق التهريب في منطقة مقام السيدة زينب. ويتراوح عدد النَوَرْ ـ الكاولية ـ في المكان المذكور ما بين /٥ ـ ٧ عائلات/.

ويُعتبر السيد /كامل البو ظاهر/ هو كبير الكاولية في القطر العربي السوري /عقيد الكاولية حسب تعبيرهم/. ويسكن وجيه الكاولية حالياً في الخيام المنصوبة إلى الشرق من سوق التهريب بالقرب من مقام السيدة زينب بين أشجار الزيتون. وهناك بعض الأسر من نور الكاولية قد اندمجوا مع النَّوَرْ الذين يتكلمون اللغة الكردية في منطقة الكازية بالقدم إلى الجنوب من مدينة دمشق ومنهم على سبيل المثال بيت أبو عزيز. هو يقول أنه من نور الأكراد في منطقة الأردن وإلى الآن يحمل وأفراد أسرته الجنسية الأردنية على حد زعمه. ويوجد في بلدة ـ دير حافر ـ إلى الشرق من حلب بعض العائلات من نور الكاولية إلى جانب أسر من الهرامشة والتمارزة.

وتعني كلمة الكاولي: مغنوا الشوارع الفقراء وذلك في قاموس اللغة الفارسية. وبالفعل فإن جماعة النَورْ الذي يطلق عليهم كاولي كما يقول السيد ـ محمد الظاهر المجزي /أبو عدنان/ من عين غزال إلى الشرق من بلدة السبينة الواقعة إلى الجنوب من منطقة دمشق ـ كانوا يحملون الربابة على أكتافهم ويدورون من شيخ إلى شيخ في منطقة البادية السورية والجزيرة السورية كي يمدحوهم بقصائد مديح وتعظيم للشيوخ ووجهاء العشائر الأغنياء ليجزون بالعطاءات السخية كالخراف والصوف والسمن. ولم تكن النساء عند النَورْ الكاولية تشارك الرجل في مديحه للوجهاء والشيوخ من البدو.

وفيما بعد صار الكاولية يتخذون من نسائهم راقصات ومغنيات /حجيات/ شأنهم بذلك شأن العشائر النَّوَرية التالية: الهرامشة ـ التمارزة ـ الكريملية ـ الصوالحة، التي يتعاطى أفراد كل منها العزف على الآلات الموسيقية من قبل الرجال، والرقص والغناء من قبل الفتيات /الحجيات/. ويمارس الرجال من هذه الجماعة النورية مهنة النشترة بطرق مختلفة، في حين تمارس المرأة مهنة الشحادة على باب الله الكريم دون أن تبيع شيئاً وهي تشحد. ويتصف النَّوَرْ من جماعة ـ الكاولي ـ بلون البشرة السمراء الداكنة والوجوه المستطيلة والرؤوس المتطاولة، والشعر أسود قليل التموج. ومما يتصف به النَّوَرْ الكاولية أن الرجال منهم يطلقون شواربهم بشكل يجذب الانتباه أكثر من غيرهم من جماعات النَّوَرْ الأخرى، وهم بهذه الصفة يشبهون رجال النور من عشيرة الطنجرلية.

السيد مصطفى الكردي /كاولي/ الشيخ مسكين ١٩٨٦م

عشائر النَّوَرْ في الأردن

يوجد النَّوَرْ في كافة ربوع القطر الأردني الشقيق، حيث كانوا يضربون خرابيشهم في الماضي القريب حول القرى، وأطراف المدن، متخذين من الرحيل المستمر سنّة في سلوكهم الحياتي لا يحيدون عنه، مما جعل مضاربهم في ارتحال دائم، وفي حرّ الظهيرة، وهي محملة وصغارهم والطاعنين في السن على ظهور حميرهم الهزيلة المتعبة والخاوية بطونها من الجوع والعطش.

وكانت القرى تزهو في أيام الأعياد، وفي المواسم والأعراس، بفضل مواكب النَّوَرْ التي كانت تبعث الحياة في حارات القرى بعد سكون طويل قد ركن سكانها إليه، (حيث كانت القرية تتجرد من سكينتها المطردة، وسكونها المتصل لتستيقظ على صهيل خيولهم ونهيق حميرهم وأصوات شجارهم! وما هو إلا أن تزهو مزابل القرية المهجورة، والتي صارت تسمى أكمات وتكتظ الأزقة الملتوية بأطفالهم العراة يتسولون وبرجالها، بوجوههم النحاسية، فيبشرن العواقر بقرب الحمل واللائي لا يعيش أولادهن بالعمر الطويل للصغير الذي يحتضن، والعوانس بالعريس الملائم القادم حثيثاً من مكان قصي. وليهمسن في آذان المحبين والمحبات بكل ما يذكي النيران التي تأجج أوارها في الصدور من تمائم المحبة والقبول! فإذا ما تطاول ظل جدار بيت العريس أو الشيخ أو المختار وأصبح بوسع المتفرجين أن يفيئوا إليه دون أن يحسبوا لحرارة الشمس حساباً. إذا ما دوّى صوتُ طبْلِ النَّوَرْ معلناً أنّ حبالهم قد انتصبت وأن راقصاتهم (حجياتهم) على قدم الاستعداد لعرض ألعابهن البهلوانية ورقصاتهن التقليدية على الناس بثيابهن الملونة ومعاطفهن المزركشة ابتهاجاً بزفاف ميمون. أو تمجيداً لشيخ القرية الذي يكون قد أعدّ لشيخ النَّوَرْ منذ الصباح ولراقصته المختارة الكسوة الملائمة وعاطر الثناء التي تَعُوْدُ عليه بطيب الأُحْدُوثةِ في القرى المجاورة إذا ما خطرت الْحَجَّةُ (الحجيّة) بها معلنة أنها من حباء الشيخ فلان، دام عزّه أو يدوم العز أو يدوم عزه[1].

---

1 ـ البدوي الملثم: عرار شاعر الأردن – دار القلم – بيروت – لبنان ١٩٨٠ ص ١٢٥.

وفي مواسم الحصاد تضرب فئات النَّوَرْ خرابيشها على أطراف القرى لبيع منتجاتهم اليدوية التي يقومون بصنعها من جلود الحيوانات كأدوات زراعية يستخدمها الفلاحون في أعمالهم الزراعية: الغرابيل ـ الكرابيل ـ المقاطف. وإلى جانب هذه الفئة من النَّوَرْ القرباط يوجد خرابيش لجماعات من النَّوَرْ تدعى بالمبيضين، حيث يقوم أفرادها بتبييض الأدوات المنزلية المصنوعة من النحاس. وفي أيام الربيع تأتي جماعات من النَّوَرْ تمارس مهنة تلقيح الخيول عن طريق حميرهم الكبيرة الحجم، التي يمتطونها وهي مزينة بالودع والأجراس الصغيرة والخرز الأزرق، مما يجعلها ذات منظر يجذب إليها أولاد القرى للنظر إليها بمتعة كبيرة. ويعرف أفراد هذه الجماعة من النّور بالبرامكة*.

أما الآن فالأمر قد تغير، حيث استقر معظم جماعات النَّوَرْ في بيوت ثابتة، وإن لم يتخلصوا بعد من حب العيش في الخرابيش صيفاً، تاركين منازلهم المخدمة بالماء والكهرباء معظم أيام الصيف لأن الإنسان ابن مألوفه وعاداته التي اكتسبها من بيئته الاجتماعية.

ويعرف النَّوَرْ في الأردن بتسمية أخرى من قبل عامة الناس ـ إخوة نورة ـ و ـ إخوة سلمى ـ وأن جزءاً من عشائر النَّوَرْ في الأردن قد جاؤوا من فلسطين عام ١٩٤٨م. وأما الأغلبية الباقية كانت تضرب مضارب خرابيشها في الماضي في منطقة حوران والبادية السورية (بادية الشام). وأن كافة أفراد عشائر النَّوَرْ في الأردن كما في منطقة حوران وفي فلسطين سابقاً، يقولون عن أنفسهم أنهم ـ نَوَر، ما عدا قلة منهم يقولون بأنهم عرب ينتمون إلى قبيلة ـ بني مرة العربية. ومما يقولونه عن أنفسهم «أن الزير ركبّهم الحمير وأن جساساً مسّكنا المنساس» ومنهم من يدعي أنهم ينتمون إلى قبيلة ـ بني هلال العربية ـ وأن غالبية نور الأردن يقولون عن أنفسهم أنهم عرب رحل وأنهم أصحاب مواشي، ما عدا أفراد عشيرتي ـ الجازي ـ و ـ الحلاولية ـ الذين يجاهرون ويفخرون بأنهم نور ومن عشائر الضوم ـ Al Dom.

---

* البرامكة: جماعة من النّور ـ يمتهن رجالها تلقيح الخيول: (التشابية) عن طريق حميرهم الكبيرة الحجم وذات اللون الأسود. وكان هؤلاء البرامكة في الماضي يجوبون أحياء القرى في جنوب سورية وفي الأردن لتلقيح خيول الفلاحين في فصل الربيع، لتلد تلك الخيول ـ بغالاً.. وإلخ ويعرفون أيضاً بتسمية الجعافرة.

ـ عشائر النَّوَرْ التي جاءت من فلسطين إلى الأردن عام ١٩٤٨.

إن كافة أفراد عشائر النَّورْ في فلسطين قد التجئوا إلى كل من سوريا، والأردن، ولبنان بعد نكبة عام ١٩٤٨م إثر قيام دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية. وأن أفراد تلك العشائر يحملون الجنسية الفلسطينية، ويتبعون إلى الآن إلى وكالة الغوث الدولية التي تقدم لهم القليل من المساعدات المادية، التي لم تعد تذكر.

ـ عشيرة الشعارنة: (بني الدوّارة): تعد عشيرة الشعارنة من العشائر الكثيرة العدد في بلاد الشام وهذا ما يجعلها مهابة الجانب من بقية عشائر النَّوَرْ الأخرى لكثرة رجالها، ويُطلق على أفراد هذه العشيرة ـ بني الدوارة ـ لأن أفراد هذه العشيرة كانوا دوما في حلّ وترحال دائمين في طول بلاد الشام وعرضها، متخذين من الحمير والخيول وسيلة مواصلاتهم الأساسية والوحيدة. وكان الرجال يمارسون تربية تلك الحيوانات والاتجار بها.

ويعدُ النّورْ من بيت الأسعد مثابة الشيوخ لعشيرة الشعارنة. وأن كافة أفراد تلك العشيرة مسجلون في دوائر السجل المدني. ويلتحقون بخدمة العلم في صفوف جيش التحرير الفلسطيني والبعض منهم يتطوع في الفصائل المقاتلة للمنظمات الفلسطينية لتحرير فلسطين. ويتواجد أفراد هذه العشيرة في ضواحي مدينة دمشق.

ويتكلم أفراد هذه العشيرة باللغة النورية الأم والتي يطلقون عليها لغة العصفورة، وهي قريبة في مفرداتها ونطق حروفها من اللغة ـ الأوردية ـ التي تندرج تحت عائلة اللغات الهندوأوروبية، حيث تكتب الصفة قبل الموصوف، ويكتب الفاعل قبل الفعل، وهذه بعض من مفردات هذه اللغة:

لغة العصفورة	معناها في العربية
ماصت	لبن
مانا	خبز
بَاني	ماء
سوطن	كلب
الضوم	النَّوَرْ

شباري	دجاج
تحلي	قهوة
كوش	نار

وتدخل في لغة العصفورة أو لغة الضوم النورية مفردات كثيرة من اللغة العربية بسبب وجودهم في بلاد يتكلم أهلها بلغتهم العربية ويتكلم أفراد هذه العشيرة اللغة العربية وبطلاقة، ويتواجد أفراده العشارنة في معظم مناطق الأردن وبخاصةً في منطقة عمان، وأن معظمهم يسكنون في بيوت ثابتة ومخدمة بالماء والكهرباء. وأن أطفالهم يذهبون إلى المدارس. لكن المستوى التعليمي عندهم لا يتعدّى المرحلة الإعدادية إذا لم نقل الابتدائية فقط.

ويتعاطى الرجال الأعمال اليدوية الحرة، إلى جانب العمل في البلديات كعمال تنظيفات أو سائقين. أما النساء فربات بيوت ويمارسن مهنة الشحادة. ويتواجد أفراد هذه العشيرة من النَّوَرْ في منطقة: القدم ـ الحجر الأسود ـ العسالي، في الطرف الجنوبي من مدينة دمشق وقد تكلمنا عنهم في مكان سابق من هذا الكتاب بشيء من التفصيل.

ـ عشيرة السناكرة: يعيش أفراد عشيرة السناكرة في مدينة عمان وضواحيها وقد جاؤوا إلى منطقة الأردن وسوريا عام ١٩٤٨م من منطقة ـ صفد ـ ومنطقة ـ عكا ـ بفلسطين المحتلة. وهناك عدد كبير من أفرادب هذه العشيرة يوجدون في منطقة السيدة زينب وهم من نور فلسطين، حيث كانوا تجار خيول سابقاً وكان يمارس الرجال من هذه العشيرة مهنة الحدادة، وتصليح أجهزة الإنارة سابقاً: الفانوس ـ اللُّكس (الفانوس الذي يعمل على الكيروسين عن طريق الضغط ـ إصلاح المدافئ وصناعتها من صفائح القصدير).

أما الآن فقسم قليل من الرجال يمارس مهنة الحدادة، في حين القسم الأعظم منهم يمارس أعمالاً حرة. ويحمل السناكرة الجنسية الفلسطينية. وأن معظمهم يعيشون في بيوت ثابتة مخدمة بالماء والكهرباء. في حين تمارس النساء مهنة الشحادة، إلى جانب التبصير وفتح الفال عن طريق الودع، الفنجان، وقراءة الطالع بالكف. وفي بعض الأحيان تقوم النسوة بسرقة الحلي وأدوات الزينة للمرأة صاحبة البيت التي تنجرف وراء عاطفتها لمعرفة مستقبلها مع زوجها من خلال عملية التنجيم للكشف عن الغيب

وترتدي المرأة الخراطة الطويلة، أو الفضفاضة والمزمومة بمطاطة على الخصر. وترتدي فوق الخراطة كنزة على الأغلب تكفت نهايتها داخل الخراطة وترتدي على رأسها قطعة من القماش الأسود الرهيف تغطي بها شعر رأسها وعنقها والجزء الأكبر من الصدر والظهر لكن شعر الرأس المجدول على شكل ضفائر والمسدول على الكتفين يتم رؤيته بوضوح إلى جانب العنق من خلال تلك القطعة السوداء التي تدعة بـ الملفع. وتعصب الملفع على رأسها بقطعة قماش ثانيةن من أجل تثبيته كي لا يسجل من على الرأس. وترتدي السروال الطويل تحت الخراطة. وغالباً ما يكون لباس المرأة من القماش ذي الألوان الفاقعة. لكن المرأة الحالية بدأت إلى حدٍ في التخلص من الملفع والاستعاضة عنه بمنديل أسود من القماش الرهيف تلف به رأسها وغالباً يكون العنق مكشوفا من الأمام وجزءاً كبيراً من مقدمة شعر الرأس.

نساء من الشعارنة بلباسهن الشعبي

ويتكلم أفراد عشيرة السناكرة إلى جانب اللغة العربية التي يتحدثون بها بطلاقة بلغة العصفورة ـ لغة الضوم ـ التي تعد اللغة القومية للنور كافة على اختلاف مللهم ونحلهم.

ـ **عشيرة البرامكة**: جاء أفراد هذه العشيرة عام ١٩٤٨م من فلسطين، حيث كانوا هناك يهتمون بتربية الحمير الكبيرة الحجم من أجل تلقيح خيول الفلاحين في موسم الربيع. ويربون الأحصنة أيضا من أجل تلقيح الإناث من الخيول والحمير. ويعمل الرجال

حالياً تجار خيول وغنم، وبائعي مازوت وكاز على عربات تجرها الخيول. ويُطلق على هذه الجماعة من النَّوَرْ تسمية ـ الجعافرة. ويتواجد أفراد هذه العشيرة في محافظة إربد وبخاصة في قرى: إيدون ـ حوارة ـ مخيم إربد. وأن جميع أفراد هذه العشيرة مستقرون في بيوت ثابتة ومخدمة بالماء والكهرباء. وكان السيد سعود البرمكي كبير هذه العشيرة. وأنه كان هناك مطرب في الإذاعة اسمه ـ مصطفى الجعفري من النَّوَرْ البرامكة. بصورة عامة فإن كار النَّوَرْ البرامكة هو ـ تشباية الخيول والحمير. وأنهم جميعاً مسجلون في السجل المدني ويحملون الجنسية الفلسطينية.ويؤدون خدمة العلم في صفوف جيش التحرير الفلسطيني في الأردن.

ـ **عشيرة الجنيدات**: يوجد أفراد هذه العشيرة في منطقة عمان ـ القويسمية. كان أفراد هذه العشيرة قبل وبعد مجيئهم من فلسطين ١٩٤٨م صياغاً، حيث يمارس الرجال منهم صناعة: الخواتم ـ الأساور ـ الخلاخيل من معدني النحاس والفضة والألمنيوم. وكانوا يقومون بصناعة أدوات السلاح الأبيض من: خناجر ـ شَبَاري ـ سكاكين. ولا زال البعض منهم يمارس مهنة صناعة الأمواس، والسكاكين والخواتم.

وهؤلاء مسجلون في سجلات السجل المدني، ويحملون الجنسية الفلسطينية ويتبعون وكالة الغوث الدولية للاجئين.

ـ **عشيرة أبو مايهة (المايهات)**: يتواجد أفراد هذه العشيرة في منطقة إربد، وبخاصة في بلدة حُوَّارَة، وكان يمارس أفراد هذه العشيرة في الماضي مهنة الحدادة: صنع أدوات الحراثة، والحصاد، مستخدمين الكور المصنوع من جلد الماعز للحصول على درجة حرورية كافية تجعلهم يتلاعبون بمعدن الحديد وفق ما يريدون ومعظم هؤلاء مستقرون في بيوت ثابتة، وأن نسبة ضئيلة لا تزيد عن ١٠٪ لا زال أفرادها يعيشون في الخرابيش، وأن هناك قسماً منهم ذهب إلى منطقة الخليج العربي واستقر هناك.

ـ **عشيرة الجازي**: يوجد أفراد هذه العائلة في حوارة التابعة لمنطقة إربد، وأن في حوارة يوجد فخذين من عشيرة الجازي يعرفون باسم ـ المطالقة ـ جمع مطلق. ويعيش أفراد هذه العشيرة في بيوت ثابتة ومخدمة بالماء والكهرباء، ويحملون الجنسية الفلسطينية. ويتبعون إلى وكالة الغوث الدولية للاجئين. ويخدمون العلم في صفوف جيش التحرير الفلسطيني في الأردن.

وكان الرجال من عشيرة الجازي يمارسون مهنة الحدادة، حيث صناعة دلال القهوة من النحاس. وصناعة الأمواس والسكاكين، وأدوات الحراثة كالسِّكك (الفَرْدَة) المصنوعة من الحديد إلى جانب أدوات الحصاد من: الحاشوشة ـ المنجل ـ المرجوب.

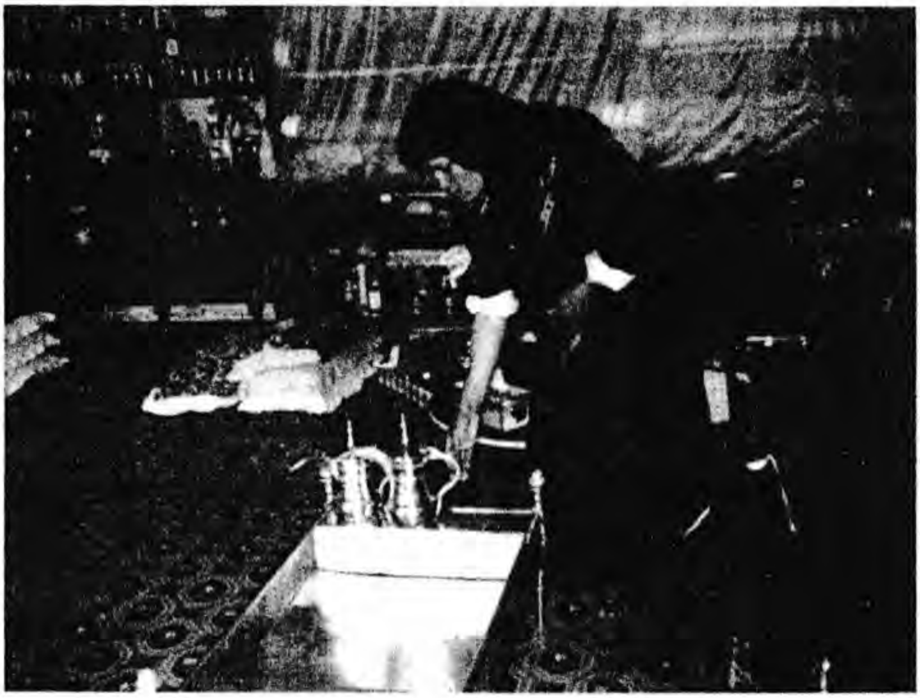

امرأة من بيت الجازي بلباسها الطويل والفضفاض والمحتشم تقوم بوضع دلال القهوة على الكانون الذي تم صنعه من قبل أفراد عشيرة الجازي /حوارة كانون الثاني ١٩٩٣م.

اما الآن فإن رجال عشيرة الجازي قد تحولوا إلى صياغ، حيث يقومون بصنع أدوات الحلي والزينة: الخواتم ـ الأساور ـ صناعة الأسنان من ذهب وفضة، والبعض منهم لا زال يقوم بصناعة الخناجر والسيوف والشباري من الفضة المعادن الأخرى للزينة كأدوات تراثية شرقية.

ـ **عشيرة السباعية (السبع)**: يعيش أفراد هذه العشيرة في مخيم الحصن في مدينة اربد. وفي مخيم البقعة. وأن الكل مستقرون في بيوت ثابتة، ومخدمة بالماء والكهرباء. وقد جاؤوا من الضفة الغربية. وهم تابعون لوكالة الغوث الدولية للاجئين. وأنهم يحملون الجنسية الفلسطينية. ويخدمون في صفوف جيش التحرير الفلسطيني. ويزاول رجال هذه العشيرة مهنة الحدادة كما كانوا في الماضي: صناعة الفأس ـ المجرفة ـ سكك المحراث الذي كانت تجره الثيران والخيول.

ـ عشائر النَّوَرْ التي كانت تجوب شرقي الأردن

من أهم العشائر التي كانت تتجول في شرقي الأردن وجنوب سورية بصورة عامة هي الآتي:

الحلاوات (الحلاولية) ـ السعادنة ـ الصوالحة ـ العودات ـ أبو مسمار (المسامرة) أو المسامير ـ المصطفى (المصاطفة) ـ الزليخات ـ التسابغة ـ الحدادين ـ الكلزي (الكلالزة) ـ الدقادقة ـ التمارزة ـ الكحاوشة ـ الكاولية ـ العذارات ـ الجيارنة ـ البشايرة ـ المورصلية ـ العلاعلة ـ الدبانة ـ المصافرة.

ـ عشيرة الحلاولات (الحلاولية): يوجد أفراد هذه العشيرة في منطقة الرمثاء وفي الأغوار، وفي منطقة سَحَاب. وأن الغالبية العظمى منهم ٦٠٪ يعيشون حتى يومنا هذا في خرابيش متنقلة حسب المواسم. وأن الباقي ٤٠٪ يعيشون في بيوت ثابتة حتى عام ١٩٩٣م.

كان رجال هذه العشيرة يزاولون مهنة صناعة الغرابيل ـ الكرابيل ـ المقاطف. وكان أفراد هذه العشيرة يضربون خرابيشهم في كافة أنحاء الجزء الجنوبي من سورية. أما الآن فهم يعيشون في الأغوار، وفي الصيف يتنقلون في بقية أنحاء الأردن. وأن أفراد هذه العشيرة مسجلون في السجلات المدنية، ويحملون الجنسية الأردنية. ويؤدون خدمة العلم، وأن التعليم بين صفوف أطفالهم قليل لعدم استقرارهم بشكل كامل. وقد تكلمنا عن هذه العشيرة بنوع من التفصيل بموضع سابق من هذا الكتاب.

ـ عشيرة الصوالحة: (حجّيات): يعيش كافة أفراد عشيرة الصوالحة في بيوت ثابتة ومخدمة بالماء والكهرباء. ويقطن هؤلاء في أحياء مدينة عمان: في عمان الهاشمي الشمالي ـ جبل الزهور ـ منطقة بسمان ـ قرب حي أبو جسار، وتنقسم هذه العشيرة إلى الأفخاذ التالية: الشبلي ـ نعمان ـ رصاص ـ فحل ـ علّة.

ويعد الصوالحة من وجهاء عشائر النَّوَرْ (الضوم) في الأردن. حيث كان يمارس أفراد هذه العشيرة، ومازالوا إلى الآن، مهنة الرقص والغناء، وفي إحياء الحفلات: الأعراس ـ الطهور ـ العودة من الحج. وكانوا يضربون خرابيشهم في الربيع إلى جانب مضارب البدو ليحصلوا على عطايا وجهائهم من خراف وصوف وسمن. وهم في مهنتهم هذه يصنّفون من فئة /الحَجّيات/ في سورية، إلى جانب عشيرة كل من: الهرامشة ـ الكريملية، التمارزة. وقد تكلمنا عن الصوالحة ومهنتهم في موضع سابق من الكتاب.

وكان الرجال من عشيرة الصوالحة يلعبون على الحبل: (البهلوان) وحالياً يعملون كمستخدمين في المدارس والبلديات وسائقي سيارات.

- عشيرة العودات: (حجّيات): ينتمي هؤلاء في مهنتهم إلى فئة الحجّيات، حيث تمارس نساؤهم مهنة الرقص والغناء في الملاهي العامة، وفي إحياء حفلات الأفراح. ويعيش القسم الأعظم من هذه العشيرة في بيوت ثابتة مخدمة بالماء والكهرباء، في حين أن هناك نسبة تقل عن ٢٠٪ لا زالوا يعيشون حياة التنقل وفي خرابيش من الخيش والشوادر. وحالياً يمارس قسم منهم مهنة السنكرة: تصليح البوابير وعمال تنظيفات في أمانة العاصمة لمدينة عمان، والبلديات التابعة لمدينة عمان. ويوجد هؤلاء في أحياء عمّان التالية: حي جبل الزهور - عمان الوحدات - الهاشمي الشمالي - جبل النزهة - حي الدبابية.

- عشيرة البشايرة: (حجّيات): ينتمي هؤلاء إلى فئة الحجيات من النَّوَرْ، والتي يزاول أفرادها من النساء مهنة الرقص والغناء. وتعيش الغالبية العظمى من أفراد هذه العشيرة في مساكن ثابتة من الإسمنت المسلح ٨٠٪ في إحياء عمان التالية: عمان الوحدات، حيث جماعة سعيد باشا النوري ويعمل حالياً العديد من رجال البشايرة في أمانة العاصمة عمان وفي البلديات الأخرى كعمال تنظيفات.

وقد كانت خرابيش النَّوَرْ لجماعات الحجيات مثابة ملاذٍ يرتادها كل من أراد أن يروح عن نفسه للتخلص من هموم الحياة ومعاناتها القاسية التي تقتل الروح الإنسانية في كبتها الأحاسيس والمشاعر الرقيقة التي تخالج كل فرد منا. ففي تلك الخرابيش كانت الفتيات يتمايلن بقاماتهن الرشيقة، لإدخال النشوة في نفوس الناظرين إليها. لكن تلك الحسناوات بعيدات كل البعد عن سلوك النساء العواهر المشبوهات وقد وصفهن الشاعر العربي المرهف /صديق النَّوَرْ/ مصطفى التل، الملقب بـ عرار:

«ففي موسيقاهم روعة باكية، وعلى ألحانهم مسحة من كآبة ضاحكة، ولأعين نسائهم ومضة ساحرة، وفي تثني قدود راقصاتهم ما يشيع في نفس المشاهد أحاسيس متباينة ومشاعر متضاربة، تتأرجح بين الإعجاب والشفقة واللذة والألم، والبهجة والأسى. وفي أنماط حياتهم الاجتماعية وضروب تعاملهم من التفكك والالتصاق والتنافر والتآلف والطمع الأشعبي والكرم الحاتمي ما يثير الدهشة! فهذه الراقصة التي تتبذل تبذل العواهر المحترفات استرضاءً للزبائن المقرشين، تنقلب في طرفة عين إذا ما

جدَّ الجد إلى سيدة رزينة تقرأ في كل قسمة من قسمات وجهها المثل العربي الشهير: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها!» مكتوباً بخط ثلث وبحبر أحمر قان...)[1].

ومن الأغاني التي كان يحب الشاعر المرهف مصطفى التل (أبو وصفي) سماعها من الراقصة الحجية الحسناء /سعاد/ بعد أن يهمس في أذنها لتغنيه قبل الرحيل موالاً يستطيبه فتستوقفه وصحبه وأرجلهم في ركب السيارات وتغني:

حِسًّ المِرْياع ينَادِي ... ها بَين الجبال السّودي
يا ولد وكِّل بالله ... بَلْكي الزمان يعودي
يا ولدْ بيعْ المهرة ... ما ظَلْ بها قعودي
عا اللالا اللالا اللالا ... خلْف الغزال سلالا
بَلكي الجسر ما يمرِّق ... دريك على المخاضة
بلكي أبو وصفي زَعلانْ ... دَربَكْ على المخاضة
يا رايح على إربد ... خَطَايَيْكم وَجعانة
حق الكفن من عندي ... صار الكفاين عانة
والله يعلم بالقلوب ... مَصْ نهيدك حَلالا
والله يعلم بالقلوب ... رُدّوا رُدّوا حلالهْ

وهنا كان يغرق الشاعر /عرار/ في نشوته ويستعيد سعاداً مقطع:

عا اللالا اللالا اللالا ... خلْف الغزال سلالا
والله يعلم بالقلوب ... مَصْ نهيدك حَلالا
والله يعلم بالقلوب ... رُدّوا رُدّوا حلالهْ

وإن هناك قصيدة شعرية للأستاذ الشاعر وديع ديب، يصف فيها الفتاة النورية وهي تتمايل بقامتها الرشيقة التي تجذب الأنظار، وتشد القلوب، قائلاً:

نوريــة ســكرت بهــا الطــرق ... والنـــاي والمزمـــار والبـــزق
رفّافــة الخطـــوات راعشـــة ... كفراشــة في الضــوء تحــترق
في كفهــا للـــدفّ خشخشـــة ... ما العقد ما الدملوج ما الحلق!

---

١ ـ البدوي الملثم: عرار الأردن – دار القلم – بيروت – لبنان ١٩٨٠ ص ١٣٠.

نشـأت علـى الأوتـار هازجـة | في خيمـة للـريح تصـطفق
نشـأت علـى الأنسـام عابقـة | والبـدر في العليـاء يـأتلق
مـا همهـا جـوع ولا ظمـأ | مـا همهـا بـؤس ولا أرق
سمـراء مثـل الظـل ناعمـة | تـدنو علـى أمـل وتنطلـق
يـا سـحرها تشـدو وصـاحبها | نشـوان بالآهـات يختنـق[1]

فقد وصل الأمر بالشاعر المرهف بحبه للنور والتعليلة في خرابيشهم بأن كاشف قومه المزهويين بآبائهم وأجدادهم، وبصراحته المعهودة قائلاً:

فدع الرصانة والرزانة والحجى | بـرؤوس عبـدان الفلـوس تنقـر!
وهلـم عنـد الضـاربين بطبلـهم | للنـاس أمثلـة الصـرامة تسـمر
الراقصين علـى حبـال جدودهم | رقصاً كرقص الأمس لا يتغير
الثـابتين علـى مبـادئ قـومهم | الحـافظين زمـام مـن لا يخفـر
نـور لـئن كـانوا فـإن زفـاءهم | مهمـا يحـار بـأمره المتبصّـر
لا يكـذبون ولا تبـور فعـالهم | ولقلّما ظهـروا بمـا لا يضـمروا

وينصح الشاعر عرار أخوانه الذين لم يأخذهم بهرج الحضارة وزيف الحياة بقوله:

وتعـال عنـد المنتشـين بطـبعهم | من (حان) ألحـان الربابة نسـمر
الطـامعين ولـيس مـن أمـل لهـم | والفـانطين وكلـهم مستبشـر
الآخـذين مـن الحيـاة بصـفوها | والتـاركين لغيرهـم مـا يكـدر
نـور نسـميهم ونحـن نعـرفهم | منهم، وفي عين الحقيقة أنور[2]

- عشيرة الكحاوشة: (حجّيات): يعيش أفراد هذه العشيرة في بيوت ثابتة ومخدمة بالماء والكهرباء في منطقة عوجان والزرقاء. وكان يزاول أفراد هذه العشيرة الغناء

---

١ - عن كتاب البدوي الملثم – مرجع سابق ص ١١٤.

٢ - عن كتاب البدوي الملثم – مرجع سابق – ص: ١١٦ – ١١٧.

والرقص. وفي إحياء الحفلات الشعبية: الطهور - الزواج - العودة من الحج. ولا زال أفراد هذه العشيرة إلى يومنا هذا تمتهن نساؤهم الرقص والغناء في الملاهي وفي البيوت التي يسكنون فيها إذا ما توفرت الزبائن المليئة جيابهم في الفلوس. وهم بهذا يندرجون مع النَّوَرْ من فئة الحجيات.

أما بقية العشائر التي يعيش أفرادها في القطر الأردني الشقيق، فإنهم يمارسون مهنة الحدادة، والصياغة، وتبييض النحاس:

- الزليخات: يعيش هؤلاء في بيوت ثابتة في منطقة الوحدات بعمان. وقد كانوا في الماضي يزاولون مهنة الصناعة، مثل صناعة الخواتم، والأساور، والأقراط. وهؤلاء يسكنون في بيوت ثابتة في أطراف مدينة عمان.

- عشيرة أبو المسامير: يعيش أفراد هذه العشيرة في البقعة. وكانوا يمارسون في الماضي مهنة الحدادة: صناعة الأدوات الزراعية اللازمة للحراثة والحصاد، وأن ما يزيد عن ٨٠٪ من عائلات تلك العشيرة مستقرون في بيوت ثابتة ومخدمة.

- الكاولية: (مُبيضُون): يوجد أفراد هذه العشيرة في منطقة المفرق، ويزاول أفراد هذه الجماعة مهنة تبييض وتلميع الأدوات النحاسية عن طريق طليها بطلاء القصدير ويقومون بصناعة بعض أدوات الطبخ عن طريق صهر الأدوات النحاسية والألمنيوم، ومن ثم صبّها في قوالب جديدة. ويستخدمون الحطب ويستخدم البعض منهم السائل الغازي المعبّأ في عبوات معدنية.

- عشيرة الحدادين: يعيش هؤلاء في بيوت ثابتة عند موقع يُدعى - جسر النَّوَرْ - في مدينة الزرقاء. وكان يزاول أفراد هذه الجماعة مهنة الحدادة مثل صناعة: المطارق - الفؤوس - المجارف - حذاء الخيل - سكاكين كبيرة الأبعاد ومن الحديد إذا كانت النسوة في الأرياف تستخدم مثل تلك الأدوات لتحويش نبات العكّوب في أيام الربيع. وحالياً يتعاطون مهنة الصياغة وبخاصةً الأسنان المعدنية من الذهب والفضة، خواتم وأساور.

- عشيرة التسايغة: (صنّاع): يعيش هؤلاء في منطقة الصريح التابعة لمدينة إربد. وأن أفراد هذه الجماعة لا زالوا حتى يومنا يعيشون في الخرابيش التي يشتغلونها من أكياس الخيش، ومن صفائح القصدير. ويُعدّ افراد هذه العشيرة من فئة النَّوَرْ الصناع.

ومسجلون في سجلات الأحوال المدنية. ويؤدون خدمة العلم، شأنهم بذلك شأن كافة عشائر النّورْ التي تعيش في الأردن وتحمل الجنسية الأردنية عام ١٩٩٣م.

صورة لخيمة من نزل للنور من عشيرة الجبارنة في وادي الحجر - الزرقاء ١٩٩٣م كانون الثاني

- **عشيرة الدقادقة**: لا زالت نسبة كبيرة من عشيرة الدقادقة يعيش أفرادها في خرابيش حيث يعيش أفراد هذه الجماعة في منطقة الأغوار، وفي منطقة عمان. وكان أفراد تلك العشيرة وما زالوا يمارسون مهنة السّنكرة: تصليح المدافئ - تصليح الفوانيس - تصليح البوابير - تصليح اللّكس، الذي يعمل على الكاز عن طريق الضغط.

وتمارس نساء الدقادقة الشحادة؛ في حين قسم من الرجال يمارسون أعمال تنظيفات في أمانة العاصمة عمان.

- **عشيرة العذارات**: تعيش الغالبية العظمى من أفراد عشيرة العذارات في بيوت ثابتة، ومخدمة في الماء والكهرباء ٩٠٪، في حين ٥٪ لا زالوا يعيشون في الخرابيش ويوجد هؤلاء في منطقة الكرك والعقبة.

- **عشيرة المورصلية**: عشيرة المورصلية: ويعرف هؤلاء بتسمية أخرى تدعى - الدباعنة - ويوجد أفراد هذه العشيرة في معظم أنحاء الأردن، وبخاصةً في منطقة السلط وعجلون.

ويعيش أكثر من ٩٠٪ من الموصلية في بيوت ثابتة ومخدمة بالماء والكهرباء. وكان يزاول أفراد تلك العشيرة في الماضي صناعة: الشباري - الخناجر - دلال القهوة....).

صورة لعائلة من - نَور - عجلون - يقومون بخياطة أكياس الخيش - لصنع خربوش لهم عام ١٩٩٠م

- **عشيرة الخزاعية:** يعيش أفراد هذه العشيرة في منطقة مأدبا وفي بيوت ثابتة مخدمة بالماء والكهرباء. وهم من النَّوَرْ الصناع في الماضي وحالياً، حيث يقومون بصناعة: الشباري - الخناجر - دلال القهوة - مهابيج، ويزاولون حالياً مهنة الصياغة: صناعة الخواتم - الأساور - الأسنان سواء من الفضة أو الذهب، وأن مختارهم السيد فارس الخزاعي.

- **عشيرة الجيارنة:** يوجد هؤلاء في منطقة وادي الحجر بمنطقة الزرقاء. ويسكن معظمهم في بيوت ثابتة. ويعمل معظمهم أذنة في المدارس والأعمال اليدوية الأخرى. ومعظم أفراد هذه العشيرة، هم مغتربون في دول الخليج العربي، والبعض منهم يعيش في وادي الحجر في منطقة - الزرقا.

- **عشيرة العلاعلة:** يوجد أفراد هذه العشيرة في مدينة جرش، ومدينة عمان. كان أفراد هذه العشيرة من الرجال يمارسون مهنة صيد بواسطة الكلاب، حيث كانوا يصطادون كل من حيوان: الغريري - النيص، ويحبون اصطياد الحجل، وحالياً يمارسون الأعمال الحرة. والمرأة في الماضي كانت تمارس مهنة - الشحادة - حيث تحمل معها مواداً تبيعها للنسوان مثل: المرمكة الغزاوت - المروحة - الأبر - المسال.

- **عشيرة الكلزي**: يوجد هؤلاء في خربة السوق، وفي مدينة عمان، ولهم أقارب في مدينة حلب. ويعيش ما يزيد عن ٧٠٪ من أفراد هذه العشيرة في الخرابيش. ويزاول أفراد هذه العشيرة وبخاصة الشباب منهم - مهنة تركيب الأسنان. وأن شيخ هذه العشيرة - هو السيد محمد الكلزي - الذي يعيش في مدينة حلب بسورية - وهو أول من مارس مهنة تركيب الأسنان بالنسبة لجماعات النّور عامة عام ١٩٨٦م.

- **عشيرة السمامرة**: يوجد أفراد هذه العشيرة في الزرقاء قرب جسر النَّوَرْ - الوحدات حي الدبانية - القويسمية. يعمل معظم أفراد هذه العشيرة في أمانة العاصمة في عمان كعمال تنظيفات.

- **عشيرة الدبانة**: (صناع): يوجد هؤلاء في المفرق. كان أفراد هذه العشيرة يمارسون مهنة صناعة: الشباري - الخناجر - دلال القهوة (صناع

- **عشيرة السّعادنة**: (مربّو السعادين): يوجد أفراد هذه العشيرة في منطقة مأدباً كان الرجال من أفراد هذه العشيرة يتجولون في أحياء القرى والمدن وبرفقتهم السعادين من نوع القرديات، والمدربة على مزاولة بعض الحركات التي يقوم بها الإنسان من رجل وامرأة كل حسب العمل الذي يقوم به. ويعيش ٦٠٪ منهم في مساكن ثابتة، وأن ٤٠٪ في خرابيش. وأن هناك البعض من العائلات في جنوب سورية: في حوران والأردن - يلقبون بالسعادين. مما يشير إلى المهنة التي كان أجدادهم يمارسونها، لكنهم بعد أن استقروا، زالت تلك المهنة، وتكيفوا مع البيئة الاجتماعية المحيطة بهم، فصاروا مزارعين يمارسون الفلاحة شأنهم شأن سكان حوران.

إذ يسأل صاحب السعدان سعدانه:

١ -كيف ينام العزب.

٢ -كيف ينام الأرمل.... إلخ.

ويعطي المتفرجون السعدان الطعام، إذ يتناوله كما يتناوله الإنسان مما يبعث السرور والنشوة في نفوس المتحلقين من حوله وبخاصة الأطفال.

- **عشيرة المصطفى (المصاطفة)**: يعيش هؤلاء النَّوَرْ في عمان في حي الوحدات، وفي بيوت ثابتة بنسبة تزيد عن ٦٠٪ في حين ٤٠٪ من المصاطفة يعيشون في الخرابيش.

ـ عشيرة التمارزة: ينتمي أفراد هذه الشعيرة من حيث المهنة إلى الجماعة النّورية.. التي تعرف بالحجيات حيث تمارس المرأة ليلاً مهنة الغناء والرقص على ألحان الربابة أو المزمار، أو على الأدوات الموسيقية الحديثة وبخاصة الوترية منها. ويعيش أفراد هذه العشيرة في منطقة الزرقاء.

ـ عشيرة المصافرة: كان أفراد هذه العشيرة في الماضي يقومون بصنع الخواتم، والأساور، من النحاس الأصفر، والذي يعرف بالصُّفْرة.

وقد كانت المرأة عند عشائر النّور في الأردن، تمارس مهنة الشحادة ـ وتحمل معها مواداً تبيعها للنسوة مثل: المروحة ـ العنزروت ـ الأبر ـ المسال ـ الكشاتبين. وبعض النساء من النور يضربن بالودع للكشف عن المستقبل وبخاصة الشابات غير المتزوجات، والنساء اللاتي لا ينجبن.

إن غالبية أفراد العشائر النورية في الأردن، في أيامنا هذه، قد استقروا في منازل ثابتة، مخدمة بالماء والكهرباء، لكن نسبة التعليم عندهم لا زالت متدنية، ولا زالوا إلى حدّ ما يحافظون على الكثير من تراثهم الاجتماعي والثقافي، وإن طرأ عليه قليلاً من التغير، تمشياً مع ظروف الحياة المحيطة بهم، وغير الثابتة.

الخاتمة

ينتشر النور Al - Nawar في معظم أنحاء بلاد الشام، ويتباين هؤلاء القوم Ethnoc بصفاتهم السلالية المعاشة عن بقية الناس الآخرين من غير بني جنسهم، حيث يعيشون حياة منغلقة على الذات، تقوم ركائزها على رباط العصبية القبلية، التي تجعل منهم نسيجاً اجتماعياً متماسكاً، رغم انقسامهم إلى مِلل ونحل متعددة ومختلفة، تضرب جذورها في أعماق التاريخ الثقافي والاجتماعي لشبه القارة الهندية. وينقسم النّور إلى جماعات مهنية، حيث تتكون كل جماعة مهنية منهم من عدة عشائر، يرتبط أفراد كل منها برباط القرابة الدموية، حسب خط الأب، ومن هذه الجماعات:

- القرباط:

ينتشر النّور القرباط في معظم مناطق بلاد الشام. ويعتبر هؤلاء من أكثر عشائر النور: الضُوم – تزمّتاً وتقوقعاً على الذات، وأكثرهم حفاظاً على العادات، والتقاليد والأعراف. التي يتفرد بها النور عن غيرهم من الأقوام الأخرى. فهذه الفئة من الضوم الشرف المتمثل بالعرْض عزيز عليهم. إذ ينظرون إلى غيرهم من النّور نظرة دونية لعدم غيرة الأخيرين على عِرْضهم كما يزعم القرباط ذلك. ويمارس أفراد العشائر القرباطية مهنة صناعة الغرابيل بكافة أنواعها من جلود الحيوانات الميتة – فإذا ما تشاجر أفراد من القرباط، فإنهم يشتمون بعضهم بعبارة نابية (يا بن سَلاّخ الحمير).

ومن عشائر القرباط في بلاد الشام: النواصرة – الملاحمة – القادرلار – القوادرة – البرجولي – القشولان – البوعيس – الجبور – الجيارنة – الجنيدات.

ولم يمارس القرباط قط، صناعة الطبل والزمر، ولا الغناء والرقص. ويتكلم هؤلاء اللسان النوري: ضُوم واري، أو – لسان العصفورة، الغني بمفردات لغوية من التركية. الكردية، الفارسية، العربية، إلى جانب التحدث بالعربية، حيث يذكرون المؤنث. ويؤنثون المذكر. وإن كافة نسائهم يمارسن مهنة الشحادة، ولا يمارسن مهنة التبصير وفتح الفال.

الحَجّيات:

يمارس أفراد عشائر الحجيات الغناء والرقص على أنغام موسيقى البزق، والطنبورة. وينتشر هؤلاء في معظم مناطق بلاد الشام، وبخاصة في مراكز المدن وأطرافها، حيث دور الملاهي. وأن هؤلاء النور (الضُّوم) أحسن حالاً من بقية عشائر النور الأخرى، بسبب ارتفاع الدخل المادي عن طريق إحياء نسائهم الحفلات الغنائية الراقصة في دور الملاهي، وفي بيوتهن كما هو الحال في حي التجارة بدمشق، وفي الكسوة، والرقة – عدرا.. الخ. ومن أهم عشائر الحجيات في بلاد الشام:

الهرامشة – الكريملية – الصوالحة – القواسمة – البشايرة – الزليخات – المصاطفة – التمارزة – العودات – الدقادقة.

وتتحدث عشائر الحجيات باللغة التركية، ويجيد أفرادها الحديث باللغة العربية، ويغنون بالعربية. ويتكلم هؤلاء بلغة الضُّوم (اللسان النوري) فيما بينهم. وإن كافة نساء (الضُّوم) الحجيات يمارسن في النهار مهنة الشحادة، وفي الليل يصدحن بأصواتهن الجميلة والشجية، ويتمايلن بقاماتهن، كما تتمايل سنابل القمح مع هبات النسيم في الحقول. ويتهم نور الحجيات بأن العِرْض ليس غالٍ عليهم. أم النساء اللاتي بناتهن متعاقدات مع دور الملاهي والنوادي الليلية، فلا يمارسن مهنة الشحادة، وإنما العكس، فهذه الشريحة من النور الحجيات أغنياء جداً، وبخاصة من يعيش منهم في حي التِجارة، وفي مساكن برزة (أحياء من دمشق). فالنساء يلبسن أجمل وأغلى الملابس، ويسكن في بيوت ملكاً لهن، أو مستأجرة، ويتناولن أطيب الأطعمة وأغلاها.

ومن الأهمية بمكان: أن كافة عشائر النور الحجيات، تعتز بأصولها النورية الضُّومية، وأن الزواج داخلي Endagamy، ضمن العشيرة الواحدة في معظم الحالات، وأن مبلغ المهر الذي يدفع لأهل الفتاة الحجية[1] عالٍ جداً، إذ يصل إلى مليون ليرة سورية إذا ما كانت جميلة الخلقة والصوت.

---

١ - الحجيّة: الفتاة الجميلة الصورة والمشوقة القوام، وذات الصوت الحلو، والرقص الجذاب (فتانة).

الطبالة والريّاس:

يمارس أفراد هذه العشائر مهنة الدق على الطبل والزرنايا والطنبورة. ويعرف هؤلاء النور بأنهم أصحاب طبل وزمر. إلا أن الطبالة يتكلمون الكردية، ويعتبرون أنفسهم أكراداً. وهم ليسوا بأكراد، أما الريّاس، فهم يتكلمون باللغة التركمانية، ويعتبرون أنفسهم تركمان، لكنهم ليسوا بتركمان. وإن الزواج داخلي عند كل فئة منهما. سواء كانوا من الطبالة، أو من الريّاس، وهم منتشرون في الكثير من مناطق بلاد الشام وأعدادهم كبيرة، حيث يزيد تعدادهم عن تعداد النور القرباط.

الشعّار (القواصيد):

يمارس القواصيد الغناء المرفوق باللعب على أوتار الربابة، والذي في غالبيته من الشعر النبطي، وكان هؤلاء في الماضي يلازمون شيوخ القبائل البدوية ووجهائها الميسورين في حلهم وترحالهم، طيلة أيام فصل الربيع، حيث يكيلون المديح لهم، مقابل إعطائهم للقاصود عطايا عينية من خراف وسمن، وصوف، ومن مشتقات الألبان، وتعد عشيرة المجاربة، التي هي أحد فروع قبيلة المقصطلية من أشهر العشائر النوري في بلاد الشام في نظم وقول الشعر النبطي، مصحوباً على أنغام أوتار الربابة، وأن السيد محمد محسن الظاهر المُجْرِبي - شيخ المجاربة، كان قاصوداً بارعاً، ويعيش في بلدة عين عزال إلى الشرق من السبينة جنوب دمشق.

الصُّياع:

يمارس أفراد عشائر الصّياع صياغة المعادن: الفضة – النحاس (الصُفْرة) – التوتياء – والذهب إلى حد ما، حيث يصنعون الخواتم، الأساور، الخلاخيل، رفارف المرجة من معدن الفضة التي تتزين بها النسوة في مناسبات الأفراح.

الصنّاع:

يمارس هؤلاء صناعة السكاكين، الخناجر، الشّباري، والأقراط والشنافات، والزميمة: التي توضع في الجانب الخارجي للأنف كأدوات للزينة، وبخاصة جماعات النور أنفسهم، وعند نساء البدو، والفلاحين في الماضي.

الحدادون:

يمارس هؤلاء صهر الحديد عن طريق أداة نافخة تصنع من جلود الماعز تعرف بالكور، حيث يقومون بصناعة الأدوات الزراعية المعدنية من سكك للحراثة، ومناجيل، حواشيش (حاشوشة).. الخ. ويقال إن أميراً من الهند كان قد قدم كتلة من الحديد الخام تزن ١٥ كغ كهدية، للإسكندر المكدوني عندما احتل بلاد الهند. وقد ذكر بلينو الشهير في القرن الأول الميلادي[1]: «أن حديد الهند يعتبر أجود أنواع الحديد في العالم، وأن مدينة دمشق بقيت تستورد الحديد من الهند حتى القرن الثامن عشر، لصناعة السيوف السمهورية».

الطنجرلية:

يمارس هؤلاء طلاء الأواني النحاسية بالقصدير الأبيض، أو البُنّي الفاتح بعد تأكسد تلك الأواني النحاسية، إذ تتشكل مادة زرقاء عليها تعرف بكبريتات النحاس: «Cuso٤ = الجنزار». كما أنهم يتاجرون بالخيول والحمير الهزيلة التي يشترونها، ويبيعونها للفلاحين في مواسم الفلاحة، بعد أن تمّ تسمينها، وهذه الفئة منبوذة من قبل كافة العشائر النورية، ويتكلم هؤلاء باللغة التركمانية.

البرامكة (الجعافرة):

يربي هؤلاء الحمير الكبيرة الحجم، حيث يستخدمونها في تلقيح خيول الفلاحين حيث تعرف هذه الظاهرة بالتشباية، وكانوا يتجولون على ظهور حميرهم بشواربهم الكبيرة في أزقة القرى بحثاً عن زبائن لتلقيح خيولهم. وغالباً ما تكون الحمير مزينة

---

١ - عن كتاب الغجر: أصلهم – تاريخهم – لغتهم – مرجع سابق – ص ٢٧.

بقلائد من الخرز الأزرق، وبعض المرايات الصغيرة، إلى جانب الأجراس الصغيرة من النحاس، والتي تعرف بتسمية (نحْلات – جمع نَحْلِة).

السّعادين:

هؤلاء يروضون القردة، ويدربونها على القيام بحركات ذات معنى مضحك: إذ يخاطبُ السّعْدانُ من قبل صاحبه، الذي يقوده بزرد من الحديد مربوطاً في عنقه: كيف ينام العَزَبُ. كيف ينام الأرمل.. الخ.

وإن هناك عائلات تحمل لقب – السّعادين: كمستحاثة لغوية، تشير إلى مهنة أجدادهم في الماضي، بعد مجيئهم إلى مناطق سكناهم الحالية من حمص.

البهلوان (أم حبل):

كان أفراد عشيرة البهلوان يمارسون الألعاب البهلوانية الرشيقة على حبال مشدودة ترتفع عن الأرض قرابة ثلاثة أمتار، وهم ينتعلون بكواحلهم ألواحاً من الصابون.

الخصائص الإتنوغرافية للنور Al Nawar في بلاد الشام:

- إن كافة فئات النور التي عددناها، تعيش حياة منغلقة على ذاتها، ولا يتزوج أفراد كل فئة إلا من نفس عشائر فئتهم بالمهنة، وينطوي النور أو عشائر الضوم جميعاً تحت نمط معيشي واحد، حيث الانتقال الدائم، وعدم الاستقرار في مكان واحد، وممارسة الشحادة من قبل نسائهم، ويتميز الضوم، عن غيرهم من الناس الآخرين بمجموعة من الصفات تخصهم دون غيرهم، وهي كثيرة منها:

- إن كافة العشائر النورية – تدين بالدين الإسلامي، ولا يلتزمون بالإسلام إلا بعادة ختان الذكور، واجتناب المحرّمات من النساء، كما جاء في القرآن الكريم: ولا يتناولون لحم الخنزير، إلا أن الكثير منهم يتعاطون الكحول، وخاصة الحجيات منهم، تمشياً مع طبيعة المهنة التي يمارسونها، لكن النور جميعاً غير مدمنين على المشروبات الروحية كغيرهم من باقي الملل الأخرى.
- يسود عند النور – زواج الأقارب من الدرجة الأولى، وزواج الخطيفة، والزواج التعددي للرجال، كما ويسود عندهم زواج البدل أو الداقيش كما يقولون.

- بنت مقابل بنت، والفتاة تباع عندهم بيعاً، ويكون الثمن غالٍ كمهر للفتاة حسب جمالها، ولنسبها، ولخفة يدها (ماهرة في السرقة). ويُكفن الزوج بأكفان تساوي عدد زوجاته اللاتي كان قد تزوج منهن وهو على قيد الحياة. والمرأة أيضاً تكفن بأكفان يساوي عددها عدد أزواجها وهي على قيد الحياة. وإن النور شعب خصب وولود، ويحب الأطفال، وأن كافة فئات النور لا تزوج بناتها إلى غير النور، ولا يزوجون أبناءهم من بنات غير النور.
- إن النور طيبون، ومرحون، ويحبون النكتة، ويضحكون من أعماقهم، ويفرحون من صميم قلوبهم، ويحزنون بشدة لدرجة الاكتئاب، وينفعلون ويغضبون بسرعة لكنهم يرضون بسرعة ويسامحون بكل شيء إلا أنهم في مشاكل العرض فهم دمويون لأن العِرْض غالٍ عليهم ولا يسامحون.
- إن النور مخلصون بعملهم ويتفانون من أجله، ويتكلمون بصوت عالٍ وبغير نظام وكأن السامع يظن أنهم في حالة شجار، ويخافون السلطة (الشرطة) لكثرة المشاكل السلبية التي يقومون بها، وبخاصة النساء منهم، حيث السرقة والنصب والاحتيال، والأعمال المشبوهة خارج المنزل.
- يؤمن النور بالجان والشياطين، وقدرة الأرواح الشريرة على إنزال الأذى، ويؤمنون بإصابة العين، لذا فإننا نجد صدور الأطفال الرضع مزينة بالخرز الأزرق على شكل كف اليد، كما أنهم يخافون من الميت ويعتقدون أن روحه يمكن أن تطاردهم وتنزل بهم الأذى، وهذا ما يجعلهم يحرقون ملابس الميت، ويرحلون بعد دفنه مباشرة إلى مكان آخر، ويقومون بأعمال كي تَضِلَّهُمُ روح الميت، كتغيير أسمائهم، وصبغ وجوههم، والرحيل بعيداً في حال عدم الاستقرار.
- يمارس رجال النور كافة اللعبة بالعصا، ويجيدونها، وإنهم جميعاً يعتنون بتربية الكلاب: البوجي، السلق، من أجل صيد الحيوانات المحببة لقلوبهم: النِّيص، الغريري، الثعلب، القنفذ.. الخ.
- لا يربي النور حيوان القط، في خرابيشهم، لأن هذا الحيوان نجس بنظرهم لكونه يلحس جسمه بلسانه، وأن الأفعى هي الأخرى نجسة لكونها تزحف على بطنها وتشلح جلدها (تغير جلدها).

- ينظر النور إلى المرأة بصورة عامة: أنها نجسة وبخاصة المتزوجة منهن، لأنها تكون ناشطة جنسياً، وأن المرأة نجسة بنظرهم مدة الحيض، والنفاس، وأن كل شيء تلامسه يصبح نجساً بنظرهم.
- يؤمن النور جميعاً بالبخت (كلمة فارسية)، فالبخت عندهم يساوي القدر، ويعني عندهم الاستسلام للواقع، إذ يسود عندهم مثل: (غُنَجْ[1] كبيْر وبَخْتْ مَا فيْ).
- كافة عشائر النور مولعة بتربية الديوم التركية من أجل الاستمتاع بمبارزتها، مثل استمتاع الإسبان بمصارعة الثيران، التي تدمي القلب.
- لا يلحظ عند النور بكافة فئاتهم ظاهرة العنوسة الآخذة في التفاقم عند غيرهم من الأقوام الأخرى، ويعود ذلك برأينا إلى:
  ١ - أنهم شعب مزواج وليس مطلاق.
  ٢ - يسود عندهم تعدد الزوجات.
- لا يلحظ عندهم ظاهرة الإجهاض كما هو الحال عند الأقوام الأخرى.
- إن كافة البنات قبل الزواج عند كل العشائر الضّومية (النورية) يحافظن على غشاء البكارة حتى ليلة زفافهن، لذا فإن الفتاة النورية حريصة جداً على عذريتها قبل زواجها.
- لم يلحظ عند النور ظاهرة الدعارة لنسائهم حتى الحجيات منهن، حيث لا تسلم نفسها إلا بمقدار ما يدفع الزبون لها من فلوس.
- إن الصدر والنهدين عند المرأة ليس للإثارة الجنسية، وإنما هما من حق الطفل. لذا فإننا نشاهد المرأة النورية تكشف عن صدرها وثدييها أمام الناس لإرضاع طفلها، دون الاكتراث بأحد، في حين أن الجزء السفلي من الجسم هو للجنس لذا نجد لباس المرأة النورية واسع وفضفاض، وطويل حتى أسفل الكاحلين.
- إن كافة عشائر النور، تُكفّلُ الطفل الرضيع بقطعة قماش يلفّ بها ويربط من فوقه بحزام من القماش، وإن هذا برأيهم يجعل الطفل مستقبلاً قويّ البنية، صبور على مصائب الدنيا، كما أن النساء يدهنّ جسم الطفل الرضيع

---

[1] الغنج: العجر الكبير الإلية، وغالباً ما يقال هذا المثل من قبل النساء النُوَريّات: الضُومِيّات. دلالة على قلة البخت لديهن.

بالماء والزيت والملح أسبوعياً، فهذا برأيهن يجعله في المستقبل أكثر قدرة على المشي وأكثر تحملاً للمتاعب الجسمية.

- إن النساء المتقدمات بالعمر، حيث لم يعد للجنس عندهن طعم، يشاركن مجلس وجهاء العشيرة في حل مشاكلها، ويشربن الدخان، ويقمن بعمل الرقي والتعاويذ، مما يجعل مكانتهن عالية عند أفراد المجتمع النوري وبخاصة الشباب منهم.
- إن كافة فئات النور تفرح لولادة البنت، لأنها عمود البيت لأهلها قبل زواجها، وعموداً لبيت زوجها ولأولادها بعد زواجها، بسبب ممارستها للشحادة يومياً.
- إن كافة أفراد النور يتمتعون بأجسام رشيقة غير سمينة، كما أنني لم ألحظ بينهم انتشار أمراض العصر: السكري – العصبي – أمراض القلب، لأسباب عديدة منها:
  1 - إن النور غير نهمين في تناول الطعام.
  2 - إن النور كثيرو الحركة طيلة النهار.
  3 - يعيشون ليومهم ولا يفكرون بما ستأتي به الأيام مستقبلاً.
  4 - الجهد العضلي عندهم أكبر بكثير من الجهد الفكري الذي يبذلونه.
  5 - الغناء والرقص دَيْدَنُهُمُ فلا يحزنون على الميت إلا بضعة أيام، وبخاصة جماعة الحجيات منهم، بسبب مهنتهم التي تفرض عليهم الفرح والبهجة.
- يحب النور أنفسهم ويفتخرون بذاتهم، وأنهم أنقى الشعوب، لذا نجدهم يوصون أبناءهم بعدم الاختلاط بغيرهم من أجل الحفاظ على نقائهم العرقي أو السلالي، والحفاظ على تراثهم الروحي والاجتماعي.
- إن كافة أفراد عشائر النور يكرهون مخاطبتهم بكلمة – الغجر – وهناك قسم منهم لا يرغبون مخاطبتهم بكلمة النور، إلا أن جميع النور على اختلاف مِلِهم ونِحلهم يحبون مخاطبتهم بكلمة – ضُوم – الدُّوم: Dom.
- إن كافة أفراد النور نساء ورجالاً يمشون بخفة ورشاقة، وكأنهم ينزلقون فوق سطح من الجليد، وأنهم أذكياء وذوي نظرات معبرة وثاقبة.

- ينعت النور غيرهم بكلمة – كاجييون Gadjé - ومعناها الفلاحون أو القاعدون، وتعني بالنسبة لهم الاحتقار والدونية لكل شخص يتعاطى الفلاحة، ولا يشاطر النور بنمطهم العيشي القائم على الانتقال الدائم، وممارسة الشحادة، وبالتالي يقصد بكلمة Gadjé القعود أو القاعدون، ليظهر الآخرون غيرهم بمظهر (الجِلْفِ) وهذه الكلمة هي التي طعن بها النور كافة الأقوام البشرية من غيرهم: ومفرد غاجييون هي غاجو Gadjo ومؤنثها غاجي Gadji، حيث تعني الدونية والاحتقار لكافة أفراد البشرية من غير ملّتهم. إن كلمة Gadjé التي تشير إلى الناس الآخرين من غير النّور، القريبة في مضمونها العنصري الدوني البغيض لكلمة – جوييم – التي ينعت بها اليهود كل فرد من غير أبناء عقيدتهم الدينية.

- إن النّور Al Nawar في كافة بلدان العالم، هم في قطيعة تامة، وطلاق لا رجعة فيه لأرضهم التاريخية، التي عاش فيها أجدادهم، ضمن مجتمع فئوي تراتبي دوني قاسي، حيث لا زالت هذه التراتبية الاجتماعية سائدة حتى يوْمنا هذا في كافة أرجاء شبه القارة الهندية، التي هجرتها العشائر النورية في فترة غير معروفة في تاريخها، ولا حتى في أسبابها الحقيقية: أهي ناجمة عن فقر مدقع، وجوع قاتل، أم عن حروب دامية، وقتال وحشي بين طوائف متنافرة، حيث هاجر أجدادهم حفاظاً على أرواحهم، وخلاصاً من الظلم الذي كان يحيق بهم، أم عن اضطهادات دينية مقيتة، أو اضطهادات اجتماعية يتنكر فيها الإنسان لتقبل الآخر ونبذ الإنسانية. إن هذه الفئات المهاجرة بقيت متصلة ببعضها البعض، حيث لا زال أفرادها محافظين على الاتصال والارتباط فيما بينهم لدرجة أنهم لم يذوبوا في الشعوب الأخرى التي يعيشون بين ظهرانيها، فهم ما زالوا حتى يومنا هذا متعلقين بنمط الحياة المتنقلة، المتجولة، التي عاشها أجدادهم في الهند، والتي أبقتهم متماسكين، بفضل تربية الأجيال المتعاقبة على نمط الكبار وشاكلتهم، على الإخلاص للعادات وقواعد الحياة المتعارف عليها. ولعل هذه القدرة التي تامتع بها تلك القواعد الحياتية الثابتة، كما يقول كل

من – برودولتي – و – برومليه، أنها كانت الشيء الرئيسي في حفظ الذات لدى النّور على امتداد مئات السنين*.

- إن من يعايش النّور كباحث ودارس لخصائصهم الإتنوغرافية، يساوره اعتقاد مفاده: أن النور أناس يرضون بالعيش والحياة على هامش المجتمعات البشرية، التي يعيشون بين ظهرانيها، كفئات اجتماعية، منغلقة على ذاتها، تعيش حياة اغتراب كلي عن محيطها الاجتماعي، وفقاً لما تمليه عليهم عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم التي تربوا عليها، وعشعشت في عقلية الأجيال المتعاقبة، فتمكنت منهم، حيث تتحكم في سلوكهم المعاشي اليومي.
- لا يتعاطى النور السياسة مطلقاً، ولا يعيرونها أي اهتمام في حياتهم اليومية المعاشة، وإن الوعي السياسي عندهم محدود جداً، وربما هذا عائد إلى نمط معيشتهم القائم على الانتقال وعدم الاستقرار، وتعاطي مهن يدوية تكاد لا تكفي حاجاتهم الضرورية، من أجل استمرارية الحياة، وإن الذي يسيطر على تفكيرهم تأمين بيت ثابت يأوي إليه أفراد الأسرة، الذين لا يعرفون للاستقرار طعماً.
- يتميز النور بقدرتهم على التكيف مع البيئات الاجتماعية والثقافية للشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، فهم مسلحون في البلدان الإسلامية، ومسيحيون في البلدان المسيحية، وبوذيون في البلدان البوذية، وبراهيميون في البلدان التي تدين في البراهيمية، فالنّور في بلاد الشام يدينون بالإسلام، ويرتدون الزي الشعبي، أي ملابس الناس الذين يعيشون بينهم، ويهجون بلهجتهم.

* الإتنوس والتاريخ – برومليه – برودولتي – دار التقدم – موسكو – ترجمة طارق معصراني، ١٩٨٨.

المراجع

المصادر العربية:

١. القرآن الكريم

٢. صحيح البخاري

٣. سفر الشاهناما: الفردوسي.

٤. لسان العرب.

٥. دائرة المعارف الإسلامية.

٦. مقدمة ابن خلدون.

٧. دائرة معارف القرن العشرين (محمد وجدي).

المراجع المترجمة إلى العربية:

١. إ يزابيل فونسيكا: سيرة الغجر. ترجمة د. عابد إسماعيل. دار التكوين ٢٠٠٦ م.

٢. برومليه بودولني: الإتنوس والتاريخ. ترجمة. طارق معصراني من الروسية. دار التقدم. موسكو. ١٩٨٨

٣. تيودوسيوس دوبزانسكي: تطور الجنس البشري. ترجمة عبد الحليم منتصر. مراجعة د. منصور كامل. مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. القاهرة. نيويورك

٤. جان بول كليبر: الغجر دراسة تاريخية اجتماعية فولكلورية. ترجمة لطفي الخوري. بغداد. وزارة الثقافة والإعلام. ١٩٨٦م.

٥. رالف لنتون: دراسة الإنسان. ترجمة عبد الملك الناشف. منشورات المكتبة المصرية. صيدا. بيروت ١٩٦٤ م.

مراجع باللغة العربية:

١. البدوي الملثم. عرار. شاعر الأردن. دار القلم. بيروت. لبنان. ١٩٨٠ م.

٢. طه حمادي الحديثي: الغجر والقرج في العراق. بغداد. ١٩٧٩ م.

منشورات وزارة الثقافة والإعلام.

مراجع باللغة الروسية:

١. أ.ب. بارانيكوف. النَّور في الاتحاد السوفيتي. موسكو. ١٩٣١ م.

٢. ن. ن. تشيبكساروف. ي. أ. تشيبكساروفا ، الشعوب والأعراق والثقافات. دار العلم. موسكو. ١٩٧١م.

٣. س. توكاريف. إتنوغرافيا الاتحاد السوفيتي. موسكو. ١٩٥٨ م.

٤. الموسوعة الإتنوغرافية لشعوب العالم. موسكو. ١٩٦٣ م. ((إتنوغرافيا شعوب وسط آسيا وكازاخستان)).

٥. الموسوعة الإتنوغرافية لشعوب العالم. موسكو. ١٩٥٨ م. ((إتنوغرافيا شعوب جنوب شرق آسيا)).

٦. مجلة مالإتنوغرافية السوفيتية. ١٩٧١ م. العدد (٣).

٧. مجلة شعوب جنوب آسيا. ١٩٦٣ م. موسكو.

مراجع باللغة الفرنسية:

1- Francois de vaux: Mille Ans d'Histoire des Tsiganes Foletier.
2- Le Roberto – 1976.m
3- Hutto: le costes de l'inde – 1949.m
4- Mac – Man : mouets et coutunes mes des basse classe de l'unde – 1934 . m

الفهرس

المقدمة 5

الفصل الأول: دراسة تاريخية أنتروبولوجية لجماعات النور في العالم ٢٥

- تسميات النور **Al Nawar** في بلدان العالم.
- تسميات النور **Al Nawar** في بلاد الشام.
- تسميات النور **Al Nawar** في البلدان العربية.
- تسميات النور **Al Nawar** في البلدان الآسيوية.
- تسميات النور **Al Nawar** في البلدان الأوروبية.
- الفرضيات والأساطير التي تدور حول أصول النور.
- البنية الاجتماعية للنَّور **Al Nawar**.

الفصل الثاني: النور القرباط في منطقة حلب وادلب وعفرين ٨٣

١.منطقة عفرين

٢.منطقة حلب

٣.منطقة إدلب

الفصل الثالث: عشائر النّور في منطقتي الجزيرة والفرات ١٩١

أ ـ النّور في منطقة الجزيرة:

١ ـ النّور في منطقة الحسكة.

٢ ـ النّور في منطقة المالكية.

٣ ـ النّور في منطقة القامشلي.

٤ ـ النّور في منطقة مَعْمُرْلِهْ.

ب ـ عشائر النّور في منطقة الفرات.

١ ـ النور في منطقة الرقة

٢ ـ النّور في منطقة: الميادين ـ العشارة ـ دير الزور.

الفصل الرابع: عشائر النَّوَرْ ALNAWAR في منطقة حمص وتوابعها: ٣٠٧
عشائر النَّور في منطقة تل كلخ والعريضة.
١.مفهوم تسمية المطارية.
٢.البنية الاجتماعية.
٣.النمط المعيشي.
٤.اللغة.
عشائر النور في مدينة حمص وضواحيها:
١.النَّور في حي مساكن المعلمين.
٢.النَّوَرْ في جورة العرايس الشماس ـ البياضة ـ بابا عمر ـ القصير.
٣.النَّوَرْ في منطقة الشمسية.
٤.النَّوَرْ في منطقة الحواش.
الفصل الخامس: النَّوَرْ في منطقة الساحل ٣٩٩
١ ـ النَّوَرْ في منطقة اللاذقية
ـ النَّوَرْ في اللاذقية: قرباط.
ـ النَّوَرْ في ـ بلدتي: منجيلا والهنادي: مطاربة.
٢ - النَّوَرْ في منطقة جبلة: قرباط.
٣ - النَّوَرْ في منطقة بانياس: مطاربة.
٤ - النَّوَرْ في منطقة صافيتا: مطاربة.
٥ - النَّوَرْ في منطقة طرطوس: قرباط.
٦ - النَّوَرْ في منطقة مشتى الحلو.
عشائر النَّوَر في لبنان. ٤٧٨
الفصل السادس: النَّور في منطقة مدينة دمشق ٤٨٧
١ ـ النَّور في منطقة القدم / كازية /
٢ ـ النَّور في منطقة القدم: /الجورة ـ بور سعيد/.
٣ ـ النَّور في الحجر الأسود.
٤ ـ النَّور في منطقة / الدويلعة: كباس ـ دخانية /.
٥ ـ النَّور في منطقة السبينة.

الفصل السابع: عشائر النَّور AL nawar في منطقة السيدة زينب ومفرق حجيرة ٥٨٩
- العشائر النَّورية التي تعيش في السيدة زينب
- البنية الاجتماعية
- النمط المعيشي
- عشائر النَّور في مفرق حجيرة.
الفصل الثامن: النور في منطقة غوطة دمشق ٦٦٧
- النور في دير العصافير: رياس
- النور في بلدة صحنايا: حجيات.
- النور في بلدة عدرا: حجيات
- النور في بلدة عين غزال: مطاربة /شعار/.
- النور في بلدة: الدرخبية - المقيلبية/ مطاربة عقار /تراكلب
- النور في بلدة الكسوة/ قرياط+ حجيات/.
- النور في بلدة حرستا.
- النور في الغوطة الشرقية: بيت نايم - أوتايا - جسرين /تركملية/
- النور في منطقة قطنا: حجبات من جماعات الحجّة/ شيخة.
- النور في بلدة المعظمية وداريا.
الفصل التاسع: النَّوَرْ في منطقة حوران والأردن ٨٠١
١ - منطقة حوران
- نور بلدة المزيريب.
- نور بلدة جلين.
- نور بلدة الشيخ مسكين وداعل.
٢ - منطقة الأردن.
الخاتمة ٨٥٥
المراجع ٨٦٥

لمحة عن المؤلف

- أستاذ الأنتروبولوجيا بجامعة دمشق
- له عدة مؤلفات في مجال الأنتروبولوجيا:

١. الأنتروبولوجيا الطبيعية.
٢. الأنتروبولوجيا الاجتماعية.
٣. علم الإناسة.
٤. علم الأنتروبولوجيا العام.
٥. المرأة في أسفار التوراة دراسة أنتروبولوجية مقارنة.
٦. الفكر الأنتروبولوجي في التراث العربي الإسلامي.
٧. المرأة في أسفار التوراة ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

وهناك العديد من المؤلفات في:

١. الجغرافية السياسية.
٢. الجغرافية التاريخية.

يطلق أهل الشام على جماعات النَّوَرْ تسميات متعددة، وإن كان الناس جميعاً يطلقون على تلك الجماعات مجتمعةً، بغض النظر عن المهن التي يزاولها أفرادها، تسمية النَّوَرْ Al Nawar.

يُعرَف النَّوَرْ في منطقة حلب بتسمية محلية هي القُرْبَاطْ وإن قسماً كبيراً من النَّوَرْ الذين كانوا في الماضي يمتهنون صناعة الغرابيل، ويُعرف النَّوَرْ في منطقة **الساحل السوري** بتسمية المطاربة، وهي جمع لكلمة مُطرِب، ذات الأصل العربي. وقد جاءت هذه التسمية من مهنتهم التي كانوا يزاولونها في الماضي، وإلى حدّ ما حالياً، ألا وهي مهنة الغناء. وفي منطقة **الحسكة والقامشلي والمالكية**، والتي تقع إلى الشمال الشرقي من القطر العربي السوري، يطلق على النَّوَرْ اسم القَرَج. وفي منطقة **غوطة دمشق** وخاصةً في دير العصافير يُطلِق النَّوَرْ على أنفسهم اسم الرُّيَّاسْ لمهنتهم التي يزاولها الرجال بالضرب على الطبل والزمر مع فرقة من الفتيات النَّوَريَّات من جماعة الحَجِّيَاتْ. وفي منطقة **الفرات وحي التجارة** في دمشق يُعرف هؤلاء النَّوَرْ بلقب الحَجيات، لمهنتهم التي يزاولونها، إذ ترقص النساء وتغني، في حين أنّ الرجال لا يعملون شيئاً سوى مرافقة نسائهم إلى دور الملاهي ليلاً. وفي منطقة **حوران** وجنوب سوريا يطلق السكان المحليون على كافة فئات النَّوَرْ على اختلاف مهنهم اسم النَّوَرْ، وهي التسمية الشائعة في بلاد الشام عامةً.

وهناك جماعة من النَّوَرْ كان يزاول أفرادها رجالاً ونساءً مهنة اللعب على الحبال، وكان يُطلق عليهم في بلاد الشام النَّوَرْ البهلوانية، وفي **الأردن**، يُطلق المواطنون على كافة جماعات النَّوَرْ على اختلاف مهنهم اسم ـ النَّوَرْ ـ نفسه. والنَّور في **لبنان** قرباط ورياس وحجيات.

يتناول هذا الكتاب بالتحليل العميق أصول، وتسميات، وسلالات النَّور وعاداتهم وتقاليدهم وتحولاتهم في أنحاء بلاد الشام.

الناشر